kitabweb-2013.forumaroc.net

معلمة المغرب

2

البحر المتوسط
طنجة
سبتة
تطوان
العرائش
القصر الكبير
سوق الأربعاء
شفشاون
وزان
الحسيمة
مليلية
الناظور
وهران
تارگيست
2456
القنيطرة
سلا
الرباط
الدار البيضاء
200
الجديدة
برشيد
بن سليمان
سطات
سي اسماعيل
الزمامرة
أسفي
صخور الرحامنة
ابن گرير
خريبگة
البروج
وادي زم
الفقيه بن صالح
قصبة تادلا
بني ملال
قلعة السراغنة
الصويرة
شيشاوة
مراكش
أمزميز
واد تانسيفت
واد أم الربيع
مكناس
فاس
تازة
جرسيف
تاوريرت
العيون
بركان
وجدة
تلمسان
واد زا
إفران
أزرو
صفرو
ميدلت
الأطلس المتوسط
الأطلس الكبير
الأطلس الصغير
النجود العليا
الريش
الرشيدية
أرفود
بوعرفة
عين الصفرة
فگيگ
بشار
30°
4165
4071
2531
أگادير
انزگان
سوس
واد سوس
تارودانت
تاليوين
ورزازات
أيت باها
تافراوت
بوازر
زاگورة
طاطا
أقا
أكشت
واد درعة
جبل درعة
حمادة درعة
الزاگ
تيندوف
سبخة تيندوف
حمادة تونسين
عرگ ايگيدي
حمادة
العرق الغربي الكبير
الساورة
واد الساورة
واد زيز
28°
مفتاح الخريطة
أهم الطرق والمسالك
نهر
سد مهم
حدود دولية
من 0 إلى 200 متر
من 200 إلى 500 متر
من 500 إلى 1000 متر
من 1000 إلى 2000
أكثر من 4000

المغرب
خريطة عامة
مقياس : 1/5000.000
50 كلم 0 100 200 كلم
الجزر الخالدات
تنريف
لاكوميرا
لاس بالماس دي كناريا
فويرتفنتورا
لنزاروت
الأطلسي
200
طرفاية
الطاح
سبخة الطاح
أبطيح
العيون
المكونية
الكعدة
ايدر
الحوزة
الساقية الحمراء
اسمارة
امكالة
المسيد
بوجدور
سبخة اريدال
بوكراع
وراد الخط
اوغزانات
امريكلي لبيض
أشتوكن
كلتة زمور
بئر أم اكراين
سبخة أغزومال
الداخلة
العركوب
بئر أنزران
البكاري
أودرات
سبخة أم الدروس
لقروق
ادرار سطوف
أوسرد
أغيلاس
بئر كندوز
لكويرة
تيشلا
الزوك
الزويرات
أدفال
12°

المغرب الأقصى

معلمة المغرب

قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف
الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى.

2

BIBLIOTHEQUE

من إنتاج
الجمعية المغربية
للتأليف والترجمة والنشر

نشر
مطابع سلا

جامعة ابن زهر
مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية-اكادير
تاريخ الدخول: 2011
رقم الجرد: 66692
تقييد:

1989 / 1410

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المشرف : محمد حجي

لجنة التحرير : أحمد التوفيق، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط
محمد حجي، أستاذ التاريخ بكلية الآداب، الرباط

لجنة العلوم الانسانية : محمد بنشريفة، أستاذ الأدب المغربي والأندلسي بكلية الآداب وعضو أكاديمية المملكة المغربية، الرباط
محمد زنيبر، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب، الرباط
سالم يفوت، أستاذ الفلسفة بكلية الآداب، الرباط
مصطفى ناعمي، باحث في التاريخ الاقتصادي بالمعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط

لجنة العلوم الطبيعية والجغرافيا : عبد الله العوينة، أستاذ الجيمورفولوجيا بكلية الآداب، الرباط
مصطفى عياد، أستاذ الجغرافيا البشرية بكلية الآداب، الرباط
إدريس الفاسي، أستاذ علم التربة والبيئة بكلية الآداب ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد المالك بنعبيد، أستاذ بالمدرسة الوطنية الغابوية، سلا ومعهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
محمد رمضاني، باحث في البيولوجيا الحيوانية بالمعهد العلمي و أستاذ بكلية العلوم، الرباط

المشاركون في تحرير مواد حرف الهمزة

محمد **الأخضر**، وزارة التربية الوطنية
محمد **أديوان**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **أريبب**، وزارة التربية الوطنية
شفيق **أرفاك**، باحث، الرباط
محمد **أزهار**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **أعراب**، المعهد الأصلي، تطوان
عمر **أفا**، كلية الآداب، الرباط
عبد اللطيف **أكنوش**، كلية الآداب، الدار البيضاء
محمد **ألحيان**، المركز الوطني لتنسيق البحث العلمي، الرباط
علي **أمهان**، وزارة الشؤون الثقافية
محمد **أوجامع**، كلية الآداب، مراكش
محمد **البايك**، كلية اللغة العربية، مراكش
ثريا **برادة**، كلية الآداب، القنيطرة
عكاشة **برحاب**، كلية الآداب، المحمدية
سعيد **برقاد**، مهندس بمكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية
محمد **بريان**، كلية الآداب، الرباط
محمد أمين **البزاز**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **بلاوي**، كلية الآداب، مراكش
محمد **بلعربي**، باحث، الرباط
عائشة **البلغيتي العلوي**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بل الفايدة**، كلية الآداب، القنيطرة
البضاوية **بلكامل**، كلية الآداب، الرباط
محمد الأمين **بلكناوي**، باحث، الرباط
محمد **بنتاويت**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بنجلون أندلسي**، باحث
الحسن **بنحليمة**، كلية الآداب، أگادير
زليخة **بنرمضان**، كلية الآداب، المحمدية
محمد **بنشريفة**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد العزيز **بنعبد الله**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
عبد المجيد **بنعبد الله**، مهندس بوزارة الفلاحة
عبد المالك **بنعبيد**، المدرسة الغابوية للمهندسين، سلا
عبد الرحيم **بنعلي**، كلية الآداب، بني ملال
عمر **بنميرة**، كلية الآداب، الرباط

لطيفة **بناني سميرس**، كلية الآداب، فاس
عبد المجيد **بنيوسف**، الخزانة العامة، الرباط
أحمد **بوجداد**، وزارة الشؤون الإدارية
أحمد **بوحسن**، كلية الآداب، الرباط
محمد **بوخبزة**، قسم المخطوطات بالخزانة العامة، تطوان
فاطمة **بوخريص**، كلية الآداب، الرباط
رحمة **بورقية**، كلية الآداب، الرباط
أحمد **البوزيدي**، كلية الآداب، فاس
أحمد **بوشرب**، كلية الآداب، فاس
مصطفى **بوشعراء**، مديرية الوثائق الملكية، الرباط
إبراهيم **بوطالب**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **بوعصاب**، المركز التربوي، القنيطرة
أحمد **بوكوس**، كلية الآداب، الرباط
أحمد شوقي **بينبين**، كلية الآداب، الرباط
عبد العزيز **التمسماني خلوق**، كلية الآداب، الرباط
محمد **تميم**، معهد الحسن الثاني للزراعة والبيطرة، الرباط
عبد العزيز **توري**، وزارة الشؤون الثقافية
أحمد **التوفيق**، كلية الآداب، الرباط
حسن **جلاب**، كلية الآداب، مراكش
الحسين **الجهادي**، وزارة التربية الوطنية
عمر **الجيدي**، دار الحديث الحسنية، الرباط
محند **آيت الحاج**، وزارة التربية الوطنية
محمد **حجي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرحمان **الحرادجي**، كلية الآداب، وجدة
إبراهيم **حركات**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجليل **الحسيني**، مهندس بشركة إسمنت المغرب الشرقي
حمادي **حضيكي**، مهندس بمفاحم المغرب
عبد الجليل **حليم**، كلية الآداب، فاس
محمد أيت **حمزة**، كلية الآداب، الرباط
محمد أبو **حميد**، وزارة التربية الوطنية
علال **الخديمي**، كلية الآداب، الرباط
سعيد **خليل**، كلية الآداب، أگادير
مارية **دادي**، كلية الآداب، وجدة

محمد **دحماني**، كلية الآداب، وجدة
عبد الله **درقاوي**، مركز تكوين المفتشين، الرباط
حميد **الديوري**، وزارة الشبيبة والرياضة
محمد **رابطة الدين**، كلية الآداب، مراكش
عبد الرحمان **رحو**، كلية الآداب، فاس
محمد **رحو**، كلية الآداب، فاس
حسن **رحيوي**، مهندس بمفاحم المغرب
محمد **رزوق**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
محمد **رمضاني**، المعهد العلمي، الرباط
محمد **زرهوني**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
مبارك **زكي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
محمد **زنيبر**، كلية الآداب، الرباط
قاسم **الزهيري**، باحث، الرباط
عبد الله **ساعف**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الأحد **السبتي**، كلية الآداب، الرباط
عبد الجبار **السحيمي**، صحافي، الرباط
كلود **سلطان**، مفتش التعليم الإسرائيلي، الدار البيضاء
عبد اللطيف **الشادلي**، كلية الآداب، الدار البيضاء I
أحمد **الشرقاوي إقبال**، باحث، مراكش
محمد **شفيق**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
محمد **شقرون**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الشياظمي**، باحث، الرباط
فاطمة الزهراء **الصبيحي ـ العلوي**، متحف الآثار، الرباط
علي **صدقي أزايكو**، كلية الآداب، الرباط
عبد الرزاق **الصديقي**، كلية الآداب، المحمدية
خالد **بن الصغير**، المدرسة العليا للأساتذة، الرباط
فاطمة الزهراء **طموح**، كلية الآداب، الرباط
محمد **الطويل**، كلية الآداب، القنيطرة
امحمد **بن عبود**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
أحمد **عزاوي**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **ابن عزوز حكيم**، باحث، الرباط
عز الدين **العلام**، المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير
محمد **العلوي الأوفوسي**، وزارة التربية الوطنية
عبد الله **العمراني**، باحث
أحمد **عمالك**، كلية الآداب، مراكش
أحمد **العماري**، كلية الآداب، فاس
عبد الله **العوينة**، كلية الآداب، الرباط
محمد **عياد**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **عياد**، كلية الآداب، الرباط
عبد الإله **الفاسي**، كلية الآداب، القنيطرة
حسن **الفكيكي**، كلية الآداب، القنيطرة
خالد **القادري**، وزارة المالية
عبد الرحمان **القادري**، كلية الحقوق، الرباط
محمد مصطفى **القباج**، أكاديمية المملكة المغربية
محمد إبراهيم **الكتاني**، عضو أكاديمية المملكة المغربية
علي **كريمي**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **كنون**، عضو أكاديمية المملكة المغربية ورئيس رابطة علماء المغرب
العربي **كنينح**، المدرسة العليا للأساتذة، فاس
محمد **الكير**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **لقمهري**، كلية الآداب، الرباط
رامون **لوريدو**، باحث، طنجة
شمعون **ليفي**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المازوني**، كلية الآداب، أگادير
محمد **ماگامان**، كلية الآداب، مراكش
الملكي **المالكي**، وزارة التربية الوطنية
أحمد **متفكر**، باحث، مراكش
الحسين **المجاهد**، كلية الآداب، الرباط
الحسن **المحداد**، كلية الآداب، أگادير
علي **المحمدي**، كلية الآداب، الرباط
العربي **مزين**، كلية الآداب، القنيطرة
محمد **مزين**، كلية الآداب، فاس
محمد **مستاوي**، باحث، الرباط
خديجة **المسدالي**، كلية الآداب، الرباط
رشيد **المصلوت**، باحث، أگادير
محمد **مطيع**، كلية الآداب، مراكش
آمنة **معطى الله**، وزارة التربية الوطنية
الصديق **معنينو**، وزارة الداخلية والإعلام
محمد **مقدون**، كلية الآداب، فاس
عبد الرحمان **الملحوني**، باحث، مراكش
محمد **المنصور**، كلية الآداب، الرباط
محمد **المنوني**، كلية الآداب، الرباط
محمد **منيوي**، المعهد العلمي، الرباط
عبد الرزاق **مولاي ارشيد**، كلية الحقوق، الرباط
عبد الله **ميميس**، كلية الآداب، الرباط
مصطفى **ناعمي**، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط
الحبيب **نوحي**، كلية الآداب، أگادير
محمد عبد الجليل **الهجراوي**، متحف الآثار، الرباط
المختار **الهراس**، كلية الآداب، الرباط
عثمان **هناكا**، كلية الآداب، أگادير
أحمد **هوزالي**، كلية الآداب، مراكش
علي **واحدي**، كلية الآداب، فاس
سالم **يفوت**، كلية الآداب، الرباط

اختصارات

تـ .	= توفي
تح.	= تحقيق
تر.	= ترجمة
خ. تـ	= خزانة تطوان
خ. ح.	= الخزانة الحسنية (الملكية) بالرباط
خ. ص.	= الخزانة الصبيحية بسلا
خ. ع.	= الخزانة العامة بالرباط
خ. ق.	= خزانة القرويين بفاس
خ. ي.	= خزانة ابن يوسف بمراكش
د. تـ	= دون تاريخ
د. د. ع.	= دبلوم الدراسات العليا
د. م.	= دون مكان
ط.	= طبعة
←	= انظر

* عندما يكون للكاتب مادتان أو مواد متتابعة لا يذكر اسمه إلا في آخرها.

ز

أزمور بعد الجلاء البرتغالي سنة 948 / 1541.
أول قائد عين على رأس المدينة هو ابن مالك الذي أنجز عدة تحصينات خوفا من عودة البرتغاليين الذين كانوا مايزالون بالبريجة. وفي شهر دجنبر 1542، قام حاكم هذه المدينة دُونْ لُويسْ دي لُوريرُو في خمسين فارساً، بهجوم خاطف على أزمور، فَزحزحَ القائد ابن مالك عن موقعه، ودخل المدينة وأحرق القصر وعدة بيوت وهدم أبواب المدينة وخرب المراكب التي كانت راسية في النهر قبل أن يعود من حيث أتى. وكان جوار البرتغاليين يشكل خطرا دائما على أزمور، حتى أشيع أن سلطان مراكش عازم على دكٍّ هذه المدينة حتى لاتبقى عرضة لهجومات النصارى.

وفي شهر يناير 952 / 1546 وقعت القصة المعروفة بقصة المرابطين الذين كانوا مقيمين بأزمور بقصد الجهاد، وهي أن الحاكم البرتغالي خرج من البريجة ليلاً وباغت أزمور في الصباح الباكر، ففرت غالبية السكان وعثر النصارى على بعض المرابطين المتعبدين، فساقوهم الى البريجة مع عدد من المجاهدين، ولم يطلقوا سراحهم إلا بعد أداء فدية مالية. وهم عبد الله بن ساسي ومحمد كانون ومحمد الدقاق. وهكذا فالبرغم عن جلاء البرتغال عن أزمور ظلوا يترددون على نواحيها، ويظهر أنهم حصلوا على حق الصيد في مصب نهرأم الربيع، دون مغادرة مراكبهم أو الدخول إلى المدينة.

وفي نهاية القرن السادس عشر، كان يوجد بأزمور، إضافة إلى أهل البلد حامية من مائتي جندي مسلحين بالبندقيات، ويُبَدَّلُونْ مرتين في السنة. وكان للقائد ستمائة رجل من حملة الرماح منهم من أمدَّه بهم السلطان ومنهم من جندهم هو في عين المكان ليكونوا دائما على أهبة القتال لكنه عندما كان يهاجم البريجة، فإنه كان يأخذ معه أكثر مايمكن من حملة الرماح بالإضافة إلى عدد من القربينيين الذين يرابطون في الحميّة.

وفي سنة 1013 / 1604، قدم المجاهد مَحمد العياشي من سلا إلى أزمور، بأمر من شيخه عبد الله بن حسون لمجاهدة البرتغال. فاستقر بأولاد بوعزيز، قاطعاً المواصلات بين البريجة والقبائل المجاورة. وأصبحتْ بذلك أزمور تشكل مركزاً من أنشط مراكز الجهاد. وذاع صيت العياشي واستطاع ان يستقطب عددا كثيرا من المجاهدين الذين قدموا للعمل تحت إمرته. ولما توفى قائد أزمور، عين السلطان زيدان المجاهدَ العياشي خلفا له. فلم يزل مثابرا على الجهاد إلى أن أصبح السلطان يرتاب في أمره، بوشاية من بعض أفراد الحاشية. فبعث السلطان 400 فارس تحت قيادة محمد السنوسي لإلقاء القبض على العياشي، غير أن هذا الأخير أُخبر بذلك ففر إلى سلا (1614 م).

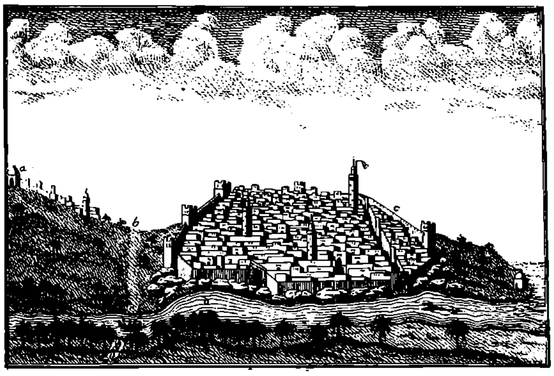

مدينة أزمور في القرن الثامن عشر (عن كتاب Hörst)

وفي عام 1028 / 1619 م. جاء السلطان زيدان إلى أزمور لبناء سدٍّ قِيل إنه سيقضي على الحاجز الرملي الذي يمنع السفن المتعدّدة السطوح من دخول نهر أمّ الربيع. فلما وصل إلى (أمّ الغرس) بدكالة، تلقى هدية فاخرة من عامل البريجة ثم دخل مدينة أزمور تحت طلقات المدافع تحية لقدومه ومن أزمور ذهب لزيارة قلعة البريجة حيث استقبل بحفاوة كبيرة، وفشل مشروع بناء السد بسبب كيد أحد الجواسيس الفرنسيين الذي كان يعمل، على ما يقال، لحساب اسبانيا. وكان قائد أزمور في ذلك العهد هو يحيى بن زيد.

وحوالي 1045 / 1636، عاد المجاهد العياشي إلى الظهور بمدينة أزمور بعد أن أصبح زعيما لإمارة سلا. وتميز رجوعه ببعث روح الجهاد ضد البرتغال، ففي 11 أبريل 1640، كبّد

العياشي البرتغاليين إحدى هزائمهم الكبرى، إذ من بين 139 فارسا برتغاليا لم ينج في هذه المعركة سوى ثلاثة فرسان، أما الباقون فقد قتلوا باستثناء ثمانية عشر أسيراً سيقوا إلى مدينة سلا.

واختفى ذكر أزمور في العهد الأول للدولة العلوية، حتى مُوِّيتْ Mouette لم يذكر هذه المدينة إلا عندما زعم أن عدد الأموات فيها، أثناء الوباء العظيم الذي انتشر في المغرب من 1678 إلى 1680، بلغ ثمانية آلاف شخص، وهو بطبيعة الحال عدد مبالغ فيه. ويسجل دي كونه Da Cunha بعض هجومات مسلمي أزمور على قلعة البريجة، إذ بالاضافة إلى الهجومات التي كانت تنطلق من أزمور، فإن هجومات أخرى كانت تنطلق من مركزين شهيرين هما : "فحص الزموريين" الذي ماتزال آثاره بادية للعيان بقرب منار سيدي مصباح، غير بعيد من حلبة سباق الخيل بالجديدة وفحص أولاد دويب الذي مازال يعرف الآن " بالمجَاهْدِين" واستمر الجهاد على أشده إلي أن تحررت البريجة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله 1183 / 1769 وفي عام 1189 / 1775 . 1776 قام هذا السلطان بنقل 500 من عبيد دكالة إلى أزمور، وبعد ذلك انحازت المدينة والناحية كلها إلى مولاي هشام، غير أن مولاي سليمان استرجعهما وحضر بنفسه إلى أزمور سنة 1210 / 1796 حيث قدمت له البيعة من جديد.

وفي عهد مولاي عبد الرحمان، أصبحت المدينة والناحية مع تامسنا تحت حكم القائد محمد بن الطيب، ومنذ 1276 / 1859، صار باشا أزمور عاملا كذلك على الجديدة وعلى هشتوكة والشياظمة وعلى جزء من دكالة. وفي عام 1289 / 1873 ثار الأزمورين على خليفة عاملهم محمد بن المؤذن الفرجي وقتلوه. ومرت على ذلك ثلاث سنوات جاء بعدها السلطان لزيارة أزمور وضريح مولاي بوشعيب وسيدي محمد وعدود، كما أمر بترميم القلعة الصغيرة التي تواجه الميناء.

ثم كان لأزمور دور في الخلاف بين السلطانيين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، إذ كانت من المدن السباقة إلى مبايعة مولاي عبد الحفيظ في غشت 1907. ولم تمض إلا فترة وجيزة حتى ألقي القبض على قائد أزمور بأمر من مولاي عبد الحفيظ، فثار السكان وتظاهروا، غير أن وحدات من الجنود الحفيظية أعادت الهدوء إلى نصابه وفرضت القائد حسي الاگلاوي، وأصبحت بذلك أزمور منفصلة عن الجديدة التي كان يسيطر عليها أنصار مولاي عبد العزيز والتي صارت التجارة معها ممنوعة. وفي شهر يونيه 1908، عمل الجنرال دامَادْ على احتلال مدينة أزمور لتأمين الحدود الشمالية الغربية للشاوية، فخرج يوم 27 من هذا الشهر طابور فرنسي من الدار البيضاء والتحقت به جنود أخرى يوم 29 كانت آتية من قصبة برشيد. ووصل دامَادْ يوم 30 أمام أزمور، فوجد أبواب المدينة مغلقة والمراكب التي تستعمل في عبور النهر مربوطة على الضفة اليسرى. وكانت المدينة قد هوجمت في صباح نفس اليوم من قبل وحدات عزيزيّة، لكن المدافعين عن المدينة ردوها على أعقابها واستولوا على ماكان معها من مدافع. وكانت طرّادة فرنسية راسية على مصب النهر. وفُتحَت المفاوضات في الحين، واضطرّ القائد حسي الاگلاوي إلىَ مغَادرة المدينة مع جنوده والانسحاب إلي مراكش، كما عزل الجنرال الفرنسي قائد الجوزية محمد التريعي وعيّنَ خلفا له. ودخلت الجيوش الفرنسية إلى أزمور بدون قتال. وفي 6 يوليوز، انسحب الجنرال الفرنسي بجيوشه بعد أن كلف بحراسة المدينة 200 من الجنود المغاربة القادمين من الجديدة والذين كانوا بطبيعة الحال من أنصار مولاي عبد العزيز وبعد أن اتخذ قراراً بتعيين"جماعة بَلَديّة " تولت اختيار عامل جديد للمدينة هو الجيلالي ولد الوَعدودي. لكن قام مولاي الحفيظ بتعيين ولد التريعي من جديد قائداً على الحوزية، وتَمّ اغتيال القائد الجيلالي الذي فرضه الجنرال دامَادْ على أزمور، وعُلّقَ رأسه على أبواب المدينة. وحاول الفرنسيون إلقاء القبض على ولد التريعي. فاحتلوا قصبته التي كانت توجد على بعد عشرة كيلومترات من أزمور وخربوها، غير أن ولد التريعي تمكن من الفرار إلى الجديدة.

أما الحالة الاقتصادية لأزمور على عهد الحماية فقد مرت بثلاث مراحل :

أولاً : من 1912 إلى 1924، ظلت أزمور ممراً مُهمّاً بين الشمال والجنوب وعلى الخصوص بين الدار البَيضاء والجديدة ، إذ كان المسافرون مضطرين إلى التوقف عند أمّ الربيع، لعبور النهر إما بواسطة الزوارق الصغيرة أو بواسطة " المعديّة" مما كان ينعش على السواء الصناعة التقليدية والتجارة المحلية بالمدينة، هذا بالاضافة إلى صيد الشابل الذي كان منذ أقدم العصور من أهم موارد أزمور.ثم ازداد هذا النشاط ازدهاراً عندما شرع في تشييد قنطرة أزمور، سنة 1920، بسبب توافد التقنيين والعمال على المدينة بحيث ارتفع عدد السكان في 1921 إلى 13.900 بعد ان كان لايتجاوز 12.700 سنة 1919.

ثانيا : ابتداء من 1924 عندما تمّ بناء القنطرة وغادر العمال والتقنيون المدينة، انهار النشاط الاقتصادي للمدينة بغتة، خصوصاً وأن المسافرين أصبحوا يمرون في الحافلات والسيارات على القنطرة الجديدة بدون توقف، فتعطلت المراكب وكسدت التجارة. ورغم مؤهلات المدينة السياحية، لم يبذل أي مجهود لتنشيط هذا القطاع. أضف إلى ذلك أن هذه الفترة صادفت استيراد المنتجات الأجنبية التي أخذت تنافس منتجات الصناعة التقليدية المحلية، كما أن الطبقة الميسورة الأزمورية اعتادت أن تقتني ماتحتاج إليه من الدار البيضاء . ويتجلى بوضوح هذا الانهيار من الانخفاض الذي طرأ على عدد السكان في هذه المرحلة إذ أنه هبط في 1926 إلى 8970 نسمة ليصبح 8580 في 1931 و7745 في 1936 ! .

ثالثا : في سنة 1932 ازداد تدهور أزمور عندما انخفضت أسعار الحبوب والحناء التي كانت من المنتجات الرئيسية لهذه الناحية، وتضاءل صيد الشابل الذي كان يعد من عوامل ازدهار أزمور في الماضي بسبب تشييد سد ابن معاشوعلى نهر أمّ الربيع، الذي أصبح يحول دون حركة أسماك الشابل أثناء وضع بيضها . ومازالت أزمور إلى اليوم تعاني من هذه الوضعية، ولاسيما بعد تشييد قنطرة أخرى خارج المدينة.

أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ *مدينة أزمور وضواحيها*، سلسلة "مدن وقبائل المغرب " (ترجمة محمد الشياظمي).

J. Dutheil, *Azemmour* ; Ch. Lecoeur, *Métiers et classes sociales d'Azemmour* in Bulletin économique du Maroc, Vol. 4 nº 16 Avril 1937, pp. 166-169.

محمد الشياظمي

إزَمُّورَنْ، في الأمازيغية جمع، مفرده أزمور، ويعني شجر الزيتون. اختصت بحمل هذا الاسم فرقة من قبيلة إبْقُّويْنْ (بقوية)، من الريف الأوسط، تحتل موقعاً جغرافياً واقعاً بشمال شرق القبيلة وتشرف أراضي الفرقة على خليج الحسيمة، ابتداء من ساحل "تيزرين" (الجزيرات) المقابل لصخرة النكور المحتلة. وإلى أراضي الفرقة ينتمي ساحل بقُّوية الممتد من رأس العبيد الى قمة إمسيَنْ غرباً يحيط بها من الفرق البقِّيوية : فرقة أزغال بجنوبها الغربي، بينما تحد أراضيها الجنوبية والجنوبية الشرقية على التوالي فرقتا : أولاد عبد الله وأيت يوسف من فرق بني ورياغل.

ويطلق هذا الاسم أصلاً على أهم مداشر الفرقة ، وهو واقع بالقسم الجنوبي الأوسط بين إزَفْزَافَنْ وجبل عزاً .

وبالفرقة تقع مدينة الحسيمة عند قدم رأس العبيد في أقصى الشمال الشرقي. وتبعا لذلك فان للفرقة مكانة في الاقتصاد الاقليمي ، خاصة في مجال الصيد البحري.

ضابط القبائل لنيابة الأمور الوطنية، ص. 85، تطوان 1952؛ *خريطة المصلحة الطبوغرافية*، الرباط، 1972.

حسن الفيكيكي

الأزمُّوري ← **الزموري**

الأزَمي، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث توجد عدة أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Aceme. وقد كان منهم عدة فقهاء وعدول، مثل عبدالله بن مصطفى الأزَمي الذي كان حيا سنة 1262 / 1846، والهاشمي بن ميمون الأزمي الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1296 / 1879، وعلال بن عبدالله الأزمي الذي كان يزاول خطة الفتوى سنة 1304 / 1887، ولازالت هذه الأسرة بتطوان كما توجد أسرة أخرى اسمها اليزمي ولا علاقة بينهما.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abotengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* (A); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأزَمي، أسرة فاسية يَنتسب جدودها ـ جغرافياً ـ إلى أولاد أزَام بقبيلة صنهاجة، ومن حيث السلالة إلى إدريس الأزهر مؤسس مدينة فاس عن طريق ابنه عبد الله بصفتهم من الشرفاء السباعيين. اشتهرمنهم :

الأزمي، عبد السلام بن الطيب الحسني الإدريسي الفاسي . تخرج على يد كبار شيوخ عصره كالتاودي ابن سودة، وعمر الفاسي، والشريف القسنطيني. ثم تصدر للتدريس بالقرويين متفرغاً له ، يبتدئ القراءة قرب شروق الشمس ويستمر إلى الزوال، ثم يجلس للدرس مباشرة بعد الصلاة ويستمر إلى العصر. وقد "أحيى الله به الفقه في المغرب في زمانه، ونفع به الجم الغفير من أهل دهره وأوانه " (*سلوة*، 15:3).

عمّر عبد السلام الأزمي طويلا وكثر تلامذته فعُدَّ شيخ الجماعة بفاس. ولم يذكر له في التأليف إلاّ شرح *للأربعين النووية*.

توفي عشية الأحد 13 شعبان 1240 / 20 مارس 1826، ودفن يوم الإثنين الموالي بروضة أولاد بنيس بالقباب.

م. الكتاني، *سلوة*، 3 :15 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

محمد حجي

إزْناسن ← **بني ازناسن**

أزْنَاگ، أو أصْناك. وكتبه الإفراني في *النزهة* بما يشبه أزيك، هو علي بن أبي بكر الحاحي أحد الرجال الأقوياء الذين خاضوا إلى جانب الشرفاءالسعديين غمار الجهاد، وأخلصوا لهم العمل في المراحل الطويلة التى قطعها تأسيس الدولة السعدية منذ أن كانت في أفوغال إلى أن استقرت بمراكش ثم وحدت المغرب كله. ونظراً للمزكر الهام الذي كان يحتله علي بن أبي بكر لدى محمد الشيخ وابنه عبد الله الغالب فإن بعضهم عدّه وزيراً، وبعضهم سماه حاجباً بينما ذكر مارمول أنه رقي إلى درجة «وليّ الدولة أو وكيلها وهي الرتبة المقابلة لرتبة رئيس الوزراء في بلدان أخرى، أو رئيس الحكومة، ويدخل في اختصاصه تعيين خلف الملك بعد وفاته» (افريقيا ، ا : 493) والواقع أنه كان أقرب الناس إلى محمد الشيخ المهدي بعد أبنائه، يشاركه في قيادة الجشي عند تكوين الكتائب وتوزيع المهام في الوقائع الكبرى، ويستخلفه أحيانا في حاضرة ملكه.

ولما خرج محمد الشيخ المهدي للمرة الأخيرة من مراكش لإخضاع قبائل الأطلس الكبير الثائرة عليه، استخلف على حاضرة ملكه ابنه عبد المومن. وجعل معه علي بن أبي بكر كخليفة له . فلما اغتيل الشيخ بأگلاگل من قبل حرسه الأتراك، يوم 26 محرم 964 / 29 نونبر 1556 وبلغ خبر الاغتيال إلى العاصمة خرج عبد المومن لاقتفاء أثر القتلة الأتراك، وبقيت مراكش تحت إمرة علي بن أبي بكر أزناكَ الذي بادر بإخراج أحمد الأعرج من السجن وقتله مع أهله،

ومن بينهم ولدان لزيدان بن أحمد الأعرج من زوجته مريم بنت محمد الشيخ المهدي، خشية أن يبايع المراكشيون أحدهم في غيبة وليٍّ العهد عبد الله الغالب الذي كان آنذاك بفاس.

وينفرد مارمول وديگو دي طريس بذكر قصة طويلة تبين ظروف مقتل علي بن أبي بكر بمراكش من طرف عبد الله الغالب سنة 966 / 1559 بمكيدة من أخته مريم انتقاماً لابنيها اللذين قُتلا مع أحمد الأعرج.

م.الإفراني، *نزهة*، 36 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 5 : 37 ؛ ك. مارمول، *إفريقيا*، 1 492 ـ 494 ؛ د. دي طويس، *تاريخ الشرفاء*، 219 ـ 229.

محمد حجي

أزْنَاگْ، عمر بن علي الصنهاجي، أحد أعضاء الجماعة الموحدية التي تضم أصحاب المهدي بن تومرت العشرة المقربين. ويذكره البيذق في كتاب الأنساب في المرتبة الثانية بعد عبد المومن عند استعراضه لأصحاب المهدي، نقلا عن الشيخ أبي سعيد يخلف بن الحسن الذي كان من قادة الموحدين وأشياخهم المعدودين.

وترجع علاقته بالمهدي إلى بداية دعوته، إذ هو حسب رواية البيذق، أحد الرجال الثلاثة الأولين الذين سبقوا إلى بيعة المهدي تحت شجرة الخروب إلى جانب عبد المومن وأبي إبراهيم الهزرجي، ثم تلاهم الآخرون، فهو، إذن، شخصية ذات منزلة ممتازة في الهرمية الموحدية. فكانت له أدوار سياسية وأخرى عسكرية فنجده، مثلا، إلى جانب عبد المومن يقود جيش الموحدين في حملة ثالثة على المرابطين انتهت بهزيمه هؤلاء أمام أبواب مراكش واعتصامهم بالمدينة حيث ضرب عليهم الموحدون الحصار طوال أربعين يوما، واستمروا في مناوشتهم. وكانت تلك المعارك مقدمة لمعركة البحيرة المشهورة 538 / 1130.

وعندما مرض المهدي مرضه الذي سينتهي به إلى الموت كان عمر أزناگ أحد أصحابه الخمسة الذين أذن لهم بالجلوس معه بعد أن قرر أن يعتزل الناس وينزوي إلى بيته. ودام هذا الأمر ثلاث سنين إلى حين وفاته عام 524.

عندئذ وضعت قضية بيعة عبد المؤمن التي لم تكن سهلة، بل أثارت مشاكل. ويذكر *المعجب* أن عمر أزناگ كان ضمن ثلاث شخصيات رئيسية بادرت إلى بيعته وقدمت المثال من المصامدة، هم عمرأزناگ وعمر إينتى وعبد الله بن سليمان. سواء في قضية بيعة المهدي أو بيعة عبد المومن يتضح لنا أنه كان مسموع الرأي ومشاركا في القرارات الحاسمة التي كان لها انعكاس على مصير الدولة الموحدية : اختاره عبد المومن وزيرا له في الوقت الذي كان فيه مازال يواجه المشاكل، أي الفترة الأولى من عهده. ثم أجلاه عن الوزاره "وربأ بقدره عنها"، حسب تعبير *المعجب* الذي يضيق أنه "كان عندهم فوق ذلك" واستوزر مكانه أبا جعفر أحمد بن عطية، وهي إشارة كافية لتبين لنا مكانة الرجل عند الموحدين. والمصادر، لسوء الحظ، لا تقدم لنا مايكفى من التفاصيل عن هذا الموضوع.

ومن الدلائل على ذلك ماحظى به أولاد عمر أزناگ من الأولوية عند العرض العسكري الذي كان يقوم به الموحدون قبل أهل الجماعة. ولاشك أن تلك المنزلة التي حظي بها ترجع إلى إخلاصه في خدمة الدولة ووفائه لعبد المؤمن. ويكفى أن نورد ما ذكره البيذق عن الكيفية التي مات بها، إذ يقول إنه مرض بناحية الريف وهو سائر في جيش عبد المومن عند مطاردته لتاشفين بن علي اللمتوني. ولما أحس بدنو أجله أراد أن يعظ الموحدين فحاذاه عبد المومن من يمينه وأبو إبراهيم من يساره ليساعداه على الوقوف ويسانداه." فكان يعظ الموحدين. وكانت وصيته من ضحوة النهار إلى الظهر. وكان يأمر بالطاعة للخليفة، ومات في ليلته تلك. ويمكن تحديد تاريخ الوفاه فيما بين عام 536، عام 538 هـ .

البيذق، *أخبار المهدي* ؛ المراكشي، *المعجب* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

أزَنْكُوط، أسرة يهودية عاشت في مراكش وطنجة، حيث إن مختلف تراجمة السفارات كانوا منهم في القرن التاسع عشر أمثال حايم أزنكوط وابنه داڤيد، في السفارة الفرنسية، وابنه الأخر ساسون، كعون قنصلي للولايات المتحدة بالرباط والعرائش، الخ ... ومنهم يهودا أزنكوط، الذي كان حبرا أعظم بطنجة في عهد النظام الدولي، وموسى أزنكوط الذي كان يتيما فرباه الآباءالفرنسيسكان، وحمل إلى إسبانيا حيث عُمد تحت اسم فيرناندو ازنكوط حوالي 1820. وربما زاول بعض المهام في حاشية بابيل الثاني، فرجع بصفته هذه إلى المغرب مع المتفاوضين في معاهدة 1860.

أزَنْكوط موسيس ابن حايم. ولد بطنجة، وهاجر وعمره أحد عشر عاما إلى ڤينزويلا، حيث قام بدراسات وعين أمينا عاما لإقيلم ماراكايبو. ولدى عودته إلى طنجة، اشتغل بمسائل عمومية وكان المؤسس ورئيس الغرفة التجارة الدولية، ونائب رئيس الجماعة الاسرائيلية بطنجة، وعضوا في المجلس التشريعي، ومحاضرا، وصحفيا. وألف كتبا باللغة الاسبانية، منها : *حوار ديني للدفاع عن اليهود؛ في الاساليب المتوسطية المستعملة من طرف النازيين الألمان*. مجريط، 1931 الخ ...

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص 249 ـ 260.

شمعون ليڤي

أزْنيط، أسرة علمية أصلها من سكسيوة، استوطنت مراكش وأنجبت عدداً من العلماء والأدباء، منهم :

أزنيط، أحمد بن محمد بن أحمد المراكشي. كان والده محمد بن أحمد أزنيط مدرسا مفتيا من صدور علماء

الحضرة، اختاره المولى عبد الرحمان لمناظرة أحد علماء شنقيط الوافدين على المدينة، فأفحمه ونال بذلك رضى الخليفة وجائزته. أخذ أحمد أزنيط عن والده المذكور، وعن غيره، واشتهر بالاستظهار الكامل *لشرح الخرشي على المختصر* واطلاعه الواسع على مسائله . حج عام ثمانين ومائتين وألف ، وتوفي حوالي سنة 1290 هـ / 1873 - 1874م .

ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 2 : 417 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 41:1

أزنيط، مَحمد بن محمد بن أحمد المراكشي، أحد علماء مراكش ومفتيها المشاهير . أصله قبيلة سكسيوة .

ولد في أواسط القرن 13 هـ / 19 م. ودرس بمراكش على علمائها، منهم : والده محمد، وشقيقه الأكبر أحمد بن محمد، وأحمد ابن الطاهر المراكشي، وهاشم بن محمد المدغري، وشيخ الجماعة محمد گنون، وعبد الله الضرير، وسعيد جيمي. وكان يحتفظ بإجازات أشياخ هذا الاخير.

حج ثلاث مرات : الأولى مع والده قبل سنة 1273هـ / 1856م، والثانية سنة 1276 هـ / 1859 م، حيث أخذ عن بعض مشايخ الحرمين ومصر كإبراهيم الباجوري، والشيخ عليلش، وكانت حجته الثالثة في آخر عمره.

اتفقت المصادر على وصفه بأوصاف مثل : حسن الخلق والخلق، والتواضع، وحسن المذاكرة والذكاء ، والفصاحة ، وركزت كثيراً على علمه وتفوقه في التدريس، فهو (أعجوبة الزمان في صناعة التدريس، وحسن الالقاء والتفهيم) (الإعلام، 7 : 12)

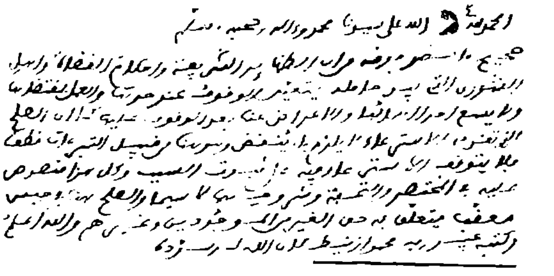

فتوي بخط محمد أزنيط
(من الوثائق البوعمرية)

وقال صاحب *الإعلام* أيضا إن تلامذته كانوا يفهمون دروسه كيفما كان مستواهم الفكري، لانفراده بمنهج خاص متميز، لم يكن متبعا من طرف سائر العلماء ويقوم على :

- تقرير الرأي بعبارات واضحة (مسلك البيان والتصريح والإطناب)
- ثم تقريره ثانيا محصلا له (مسلك المساواة أو الإيجاز)
- ثم إجماله ثالثا بحيث لايفهمه إلاّ نقّاد الطلبة (مسلك الإلغاز)

ابتدأ التدريس في شبابه سنة 1273 هـ / 1856 م ولازمه أزيد من أربعين سنة، ما تركه قط (الاعلام 7 / 115). وكان يدرس علم الكلام والفقه والنحو والمنطق بمسجد ابن يوسف. ودرس بمسجد تامصلوحت في عشرة الثمانية من القرن 13 / 19.

أخذ عنه طلبة العلم بمراكش، من أشهرهم : أبومحمد عبد الله وقاص ومحمد بن محمد الماسي ومحمد بن المهدي بن شقرون المراكشي وعباس بن إبراهيم المراكشي والهاشمي بن أحمد بوعبولة وعلى بن مبارك الروداني وعبد القادر بن قاسم. أورد صاحب *الاعلام* بتفصيل أسانيد ابن ازنيط :

- في *مختصر خليل* عن سعيد جيمي متسلسلا إلى مؤلفه.
- في *صحيح البخاري ومسلم*، *وشفا عياض* عن الشريف مولاي عبد الملك.
- ودلائل *الخيرات* عن الحسن بن الشاذ العلوي إلى مؤلفه.

أما مؤلفاته فهي : *تقاييد وأجوبة* و ختمة سيدي خليل و ختمة الألفية وحاشية *على المرشد المعين / شرح عقيدة* سيدي عبد القادر الفاسي.

قال صاحب *الاعلام* (7 / 115) "وقفت على ذلك كله".

بالإضافة إلى التدريس، كان ابن أزنيط إماما وخطيبا بجامع الشيخ الجزولي، يخطب خطبا مختصرة، تدور حول ثلاثة احاديث نبوية. كما كان له إسهام في الافتاء بمراكش.

وقد وقفت على نماذج من فتاويه : نمثل لها بالنازلة البوعمرية التي أفتى فيها إلى جانب محمد بن إبراهيم السباعي ومحمد الجرناوي وغيرهما وهي في موضوع النزاع بين حفدة أبي عمرو القسطلي *المراكشي وحفدة أخيه* الوالي دفين زعير، حول المستفادات والمداخيل (*الوثائق البوعمرية بمراكش*) .

انتسب أزنيط للطريقة الناصرية، وأخذ عن أبي بكر الناصري. ولازم مسجد الجزولي في آخر عمره. توفي عند ظهر يوم الثلاثاء 12 شوال عام 1317 / 13 فبراير 1899 م. ودفن 1899 م. ودفن بضريح الجزولي على يسار الداخل من باب السقاية.

الوثائق البوعمرية القسطلية بمراكش، ظهائر ورسائل وفتاوى وكنانيش (تواريخها من 970 - 1361 / 1562 - 1942) ؛ م.ابن الموقت، *السعادة الأبدية* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 : 111 - 119؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* (مخطوط) ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 40.

حسن جلاب

الأزهر، أحد مساجد الأحياء المرينية بفاس الجديد، بناه السطان أبو عنان سنة 759 هـ / 1357 م، قبالة سور القصر. هذا المسجد هو الوحيد بفاس الذي يتوفر على مدخل رئيسي مشيد بالحجر المنجور والمنقوش؛ وتجعل منه زخرفته الداخلية، أحد أجمل مساجد المدينة على الاطلاق.

قسمت المساحة الداخلية، وهي مربعة الشكل، إلى رواقين رئيسيين موازيين لجدار القبلة، وثلاثة أروقة عمودية

متجهه نحوه. واحتل الصحن المكشوف المربع الشكل كذلك (6.60 متر X 6.60) أول قسم من أوسط هذه الأروقة، وعليه يفتح الباب الرئيسي. واختيرت لتغطية أرضية قاعة الصلاة، التي تقع بما يناهز السبعين سنتمتر تحت مستوي أرضية الشارع، قطع من المزَهْري المثمنة، وهو نوع من الزليج غير المطلي، بينما كسيت أرضية الصحن بقطع الزليج الصغيرة المربعة المختلفة الالوان، تتوسطها نافورة ماء من مرمر ناصع، نُحتت على شكل صدَفة.

وتحيط بالمحراب زخَرفة جصّية جميلة جمعت عناصرها مابين فن التوريق، والاشكال الهندسية المتداخلة، والكتابة. كما يتكئ قوس هذا المحراب على عمودين من المرمر لا قاعدة لهما، يعلوهما تاجان زُيِّنابنبات الأقَنْتة. ويرى «مَاسْلُوُف» أن شكل هذين التاجين ينحدر مباشرة من التاج المركب الكلاسيكي.

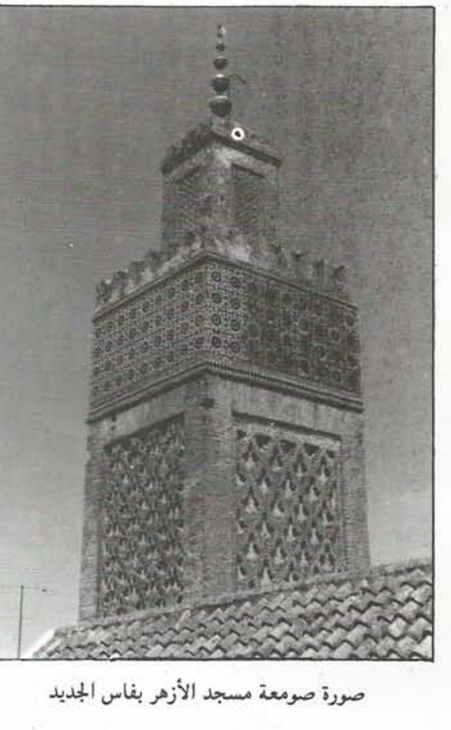

صورة صومعة مسجد الأزهر بفاس الجديد

يشمل مسجد الأزهر، على صغره، على المرافق التي نجدها عادة في المساجد الكبرى، وهِي على وجه الخصوص، الكتاب والصومعة وبيت المؤذن وبيت للوضوء. فأما الصومعة فمربعة الشكل يساوي كل ضلع منها 3.50 أمتار، ويصل علوها الى16.86 متراً. وأهم مافي هذه الصومعة زخرفتها الجميلة التي تكسو واجهاتها الأربع، وهي زخرفة هندسية قوامها المعَيِّنات المتشابكة؛ على أن الواجهتين الغربية والشرقية تحملان التشكيلة المعروفة عند الحرفيين بدَرْج ـ و ـ كْتَفْ مُزدَوِج البُجَات بالورْدَة، بينما نجد على الواجهتين الشمالية والجنوبية التشكيلة التي يطلق عليها اسم دَرْج ـ وْـ كْتَفْ مغرغَرْ.

أما بيت الوضوء، فنجد بها سقاية جدارية مزينة كما هي العادة، بقطع الزليج الصغيرة المختلفة الالوان. ويعلو بيت الوضوء هذا كل من الكتاب الذي كان حفظة القرآن يَأوون إليه، وبيت المؤذن.

B. Maslow, *Les mosquées de Fès et du Nord du Maroc* ; Paris 1937 ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris 1954.

عبد العزيز توري

أزْوَافيطْ، بمنطقة وادي نون حيث تستقر اتحادية قبائل تكنةَ تعتبر كلمة أزوافيط اسماً يطلقه أبناء إحدى أهم القبائل على أنفسهم. على أن الناطقين بالأمازيغية يعوضونه بكلمة إزفاضن. وهي تسمية يَرُدُّ النص الشفوي مفردها إلى زطٌ بدل زفاطي أو أزَفَاط. وتضيف الرواية الشفوية بأن كلَمة زط تفيد جيلا من العرب عرفوا بمميزاتهم العسكرية المتفوقة غير أن رواية محلية أخرى تعيد أصل التسمية إلى جد أسمى قادم من كندة ببلاد فارس. وبذلك يقترب الانتماء من مدينة صَفَد حيث يقيم الصفديون. على أن الصورة المستبدة بالرواية المحلية تفسر معنى التسمية بصيغة ُ تزطيطُ القوافل كمرتكز دلالي. لقد حاولت جاهداً أن أحلل المعنى الدلالي للتسمية الزاخرة بممكنات كثيرة. ولكن الرؤية الواضحة لايمكنها أن تحدد إلا من خلال الدوافع الموضوعية. وهنا لابد من الوقوف عند استنتاج مفاده أن البنية العميقة لمختلف التفسيرات اللغوية مرتبطة أشد مايكون الارتباط بالتجربة العسكرية للقبيلة. فمختلف الأغراض تدور حول هذه التجربة كمحور يتكرر ويعلن عن نفسه بشكل لافت للملاحظة لا على المستوى الدلالي وحده، بل على مستوى الصورة والمعجم. أخلُصُ بذلك إلى عدة أبعاد متشابكة تشكل في مجموعها رؤية ذاتية خالصة. فلا أكون مغاليا إذا استنتجت أن هذا التصور مبتوت الصلة بالبواعث والغاية والقول بوحدة الصورة التي هي وحدة الإحساس والعاطفة. يبقى بذلك أن الصورة بكل أشكالها المجازية وبمعناها الجزئي والكلي وسيلة لتحليل تطور القبيلة.

في المحور التجاري الرابط بين منطقة شنقيط ومدينة مراكش شكلت الوحدات العسكرية المتخصصة في حماية " تجار كل قبيلة " نواة أزوافيط خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي. وتضيف الرواية الشفوية بأن مولد القبيلة قد تم على يد أبي الوليد بن رشد قاضي القضاة بأمر من أحد الملوك الذي قد يكون هو علي بن يوسف بن تاشفين. فيتجلى بذلك الدور العسكري على واجهة الأحداث كعامل استراتيجي في بلورة المعطيات السياسية والإثنية التي لم تسمح الرواية الشفوية بتحديد معالمها. على أن من شأن أي تراكم للنصوص الشفوية في غياب المقروء أن يحدد بصورة موضوعية الأجوبة التي تطرحها أبعد الاشكالات وأكثرها تعقيدا. وتجدر الإشارة إلى إمكانية الربط بين دورهذه الوحدات كقوات مساعدة والدور الإداري والعسكري لعثمان بن مندي عامل المرابطين على نول لمطة عاصمة وادي نون اذاك. هل من قبيل المصادفة أن يكون عثمان بن مندي هو الجد الأسمى للف أيت عثمان

الذي يمثل أزوافيط ركيزته الأساسية بنفس المكان المجسد لبقايا نول لمطة ؟ مهما يكن فإننا نجد أسماء مشابهة كأيت عثمان وأيت صفادت متوزعة بقبيلة گدميوة الجبل خلال هذه الفترة (البيدق : *المقتبس* : 45). ونجد قبيلة گندافة حيث إنصفاتن ونجد زناتة تيفسرن ودكالة حيث يجاورون بني صفادة (*المقتبس*، 47).

ويمكن للمدقق الذي لايمكنه استيعاب الاستراتيجيات التحالفية المزامنة، أن يدرك لماذا لم يكن الانحدارالأبوي المثالي يشكل قبل الغزو المعقلي اختياراً إجبارياً يتم على أنه الاختيار المثالي. ذلك أن القبيلةَ على أهميتها المتميزة وإرادتها القوية في فرض هذا التمييز ستحتضن بعد سيطرة بني حسان جعفر بن الطيار وحسان ين معقل جدين اسميين متنافيين كما هو شأن باقي القبائل المحلية. إلا أن هذه الإباحة تظل محدودة إذا ماتتبعنا مراحل تطور القبيلة حسب مقولتها الشفوية. يجب أن نعطي هنا لبلّة ما يستحقه من الأهمية . ذلك أن أيت بلة تعتبر أهم تجزئة في لف أيت عثمان وثاني اسم لقبيلة أزوافيط. فهل يمكن اعتبار بلة جداً اسميا أم حقيقيا ؟ تفيد الرواية الشفوية أن المقيم التي حددت أهميته تتجلى من خلال ممارساته التاريخية. ويمكن إجمال هذه الممارسات حسب المقولة المحلية في سلوكه الحربي تجاه الجماعات النسبية الموجودة قبل وصوله بعين المكان. فقد وصل على رأس مجموعة نجهل أهميتها إلى تامدولت قادما إليها من توات. وقد مكنه تحالفه مع القائد بن صاكَ جد القائد الجزولي التمنارتي من الوصول إلى تكَجكَالت وتغاجيجت. هنا نتساءل عما إذا كان القائد بن صاكَ هو نفسه أمنصاكَ شيخ قبيلة مجاط تيزلمي الذي هدم ميدنة تامدولت أقا خلال القرن الرابع عشر الميلادي (Justinard : 79 ـ 80) فيتبين لنا أن خلاف بلة مع أبي حسون السملالي حول مراقبة المجال بتغاجيجت يدفع بالأحداث إلى بداية ظهور أبي حسون بتكَجكَالت قبل استقراره بإليغ عاصمته الجديدة خلال القرن السابع عشر. فقد انتهى الخلاف بإخراج جند أبي حسون من تغاجيجت عنوة. ولعل هذا ما يؤكد أن أبا حسون قد يكون فعلا وراء فكرة تأسيس أمكَار موسم جديد بتراب أيت لحسن لمنافسة موسمي گويرة السوق وخميس تغمرت وأسرير بتراب أزوافيط. هذه الفترة كانت تعرف من بين شيوخ وادي نون شيخي مدشر وعرون الشيخ ميليد والشيخ بًا يحيا محمد. لعل هذين الأخيرين قد باعا المدشر إليغ كما تؤكد ذلك الرواية الشفوية. مهما يكن فإن أحد العقود المثبتة بكناش أبي حسون تفيد أن الشيخ يحيا بن احماد الوعروني قد باع جميع ممتلكاته لصاحب الكناش سنة 1043 / 1633 م. (P. Pascon, *La Maison* : 22) من هنا نتأكد من أن القوة التوسعية لأيت بلة تعتبر ساعتها وسيلتهم الوحيدة للإستقرار والتكيف مع الحياة الزراعية. على أن الرواية الشفوية لاتوفي هذا الجانب الهام حقه من الإيضاح مكتفية بربط الفصائل الأساسية بشخص بلة دونما أي اعتبار للتفاوت البين في أسماء الأجداد الحقيقيين. وهكذا فإن التحالفات الحمائية تبدو المحدد المحوري لتسرب "أبناء " بلة نحو تملك الأرض والساقية. نستسيغ كون قواعد المعاملات السياسية تعكس محليا وقواعد الاندماج الفعلي بين الحامين والمحميين. هذا النسق القيمي لايكفي في حد ذاته لتحديد العلاقات القرابية بقدر ما يجملها كما وكيفاً. يبقى إذن أن نتبين استحالة أي جرد تاريخي لتبلور العلاقات الإثنية مكتفين بمنغرافية القبيلة حاليا، تعتبر فصيلة آيت احماد أو على أكبر فصائل القبيلة حجما وأهمها سياسيا وعسكريا. وتعتبر عائلة أهل المعطي سيدة الفصيلة منذ القرن الماضي على الأقل حتى مقدم القوات الفرنسية سنة 1934 (*طاقة ريحان* : 28، 96 ـ 95 ؛ P. Marty, 68 ; La Chappelle) إلا أن القيم التي تحدد أهمية شيخ الفصيلة القبلية لا تتجاوز عند أزوافيط حدودها إلى ماعداها من الفصائل. وهكذا فإن لأهل حايين وأيت لخنوس وأيت محند ألحسن وأولاد بلحويلات وأيت مسعود شيوخا تقاس أهميتهم بأهمية فصائلهم. أما إذا سلمنا بعمومية هذا القانون الوظيفي، فإن تطبيقه كان سائدا بالخصوص لدى قبائل الرحل ذوي النجعات الصغيرة واللامحدودة. أما قبيلة أزوافيط فتعد حضرية مستقرة في وبين مداشرها حيث تبرز أهيمة موقعها وحجمها السياسي والعسكري داخل اتحاديتها.

لقد بلغ الشيخ الكوري رئيس فصيلة أيت الخنوس خلال حقبة يصعب اليوم تحديدها من السلطات العسكرية والاقتصادية ما أهله لتصدر الأحداث بتغمرت. فلا يزال ذكر قلعته المحمية يثبت حجم وأهمية تجارته مع بلاد شنقيط. فالرواية الشفوية بموريطانيا ماتزال تعتبره أول تكني مارس التجارة بالمنطقة. وهو أمر يذكر بالدور الذي لعبته تغمرت في نفس المكان الذي ماتزال تجثم فيه مآثر نول لمطة. فإذا كانت استعدادات الشيخ الأولية لم تمهد لبنية سياسية متميزة، فإن دور استقلالية الفصائل تعد شروط قيام علاقة محلية ثابتة.

لقد أثبتت إحدى الوثائق المتعلقة بأسرير أن عملية السطو المنظم على أهم الأراضي قد كان جاريا إلى سنة 1142 / 1729 على الأقل. كما أن الرواية الشفوية تفيد بأن احماد أُمسعود إتصان (الضحاك) هو أول من حكم أراضي تغاط الفلاحية حيث ماتزال أحجار داره تدعى أزَكُ سلّيف (عرف الحلاب). وقد أظهر فيما بعد حفيده علي أعبد الله بن احماد للسطان إسماعيل العلوي وثيقة تثبتط ملكية الأرض. هكذا تكون حساسية تملك الأرض كمشكل آني قد فرضت التحكم في تقنيات التوثيق وأساليب الاستغلال. لم يكن انخراط علي أعبد الله في سلك الجيش المخزني إلا أحد الأسباب المدعمة لموقفه أمام السلطة. وهي فترة صادقت تطور ظاهرة غزو وتملك الأراضي (A. Hammoudi : *Sainteté* : 622) إن المتأمل لتراب أزوافيط يلاحظ أنها من الناحية الشمالية الغربية

إلى أزدار ـ مْكيطع الصفا ـ قبر أوجانا الدويلالي ـ تاوعرونت (كَليب الكانية). وأنها تتجاوز من الناحية الجنوبية خنيك السدر ـ اعريف أوكسة ـ تامسوغت ـ فريكَ بواللابدة ـ حويسى اللكَاح. ويتضح من مالكية وعرون التي اشترى بموجبها أبو الحسن السملالي هذا المدشر أن الحدود الشرقية تمتد إلى ما وراء آوكسة وگويرة السوكَ. عندما ينتسب أزوافيط جزءا من ترابهم إلى البكم المعاصرين لأبي حسون السملالي، فإنما يفرضون على المحلل اعتماد القرن السابع عشر كمرحلة حاسمة في بلورة الشكل النهائي لقبائل تكنة جملة وعموما. وهي ضرورة تقتضي التأريخ لأساليب التحكم في المياه والأراضي والخبرة الميدانية في بسط النفوذ. فتظهر بذلك الصرامة في تطبيق الصبغة الإلزامية لهذا التقليد.

لعل أول ما يستلفت الانتباه عندما نراجع الواقع التاريخي والاجتماعي لهذه القبيلة سمة الاختلاط السكاني في ظل الروابط القرابية. فسمة الاستقرار داخل وحوالي مداشر وعرون، أسرير، تغمرت، دوبيان، أيت احماد، أيت بكو، تالمكَيست، أوزرولت، زريويلة، سركس قد طبعت التطور على مدى ثلاثة قرون. لقد تصدرت لدى أزوافيط المحددات الجغرافية والأيكولوجية وجسدت تبعا لذلك نموذجا معيشا متعارضا إلى حد بعيد وما ارتكزت عليه الحياة القبلية جنوبي وادي درعة. على أن هذه الحقيقة المحورية يجب ألاَّ تنسينا سيادة الطابع الحربي وحركية أزوافيط الواسعة النطاق وممارستها العسكرية التي كانت تكتسي بدون شك طابعا اقتصاديا وسياسيا. لقد كان عليها كركيزة أساسية في لفها وكجارة مباشرة لأيت لحسن غريمتها الأولى في اللف المقابل، خلق الترابطات الضرورية لحفظ النظام وضمان الاستمرار الاجتماعي. من هنا تجلت أهميتها الحربية كوسيلة محورية تستهدف إعادة إنتاج العلاقات القرابية السائدة وتكريس الولاءات الرمزية والاجتماعية وتوطيد التحالفات السياسية. علي أن أهم مشكل بنيوي يميزها هو عدم انتمائها إلى لف المحور الساحلي الذي يحتكر تجارة الصحراء عبر مدينة كَليميم، ذلك أنه بالرغم عن حفاظ القبيلة على مؤسساتها التجارية الأساسية بوادي نون بسوق خميس تيغمرت وسوق أسرير الموسمي يقوم اقتصادها أساسا على تربية الأغنام والأبقار والفلاحة وتنظيم العلف كوسيلة لإعادة توزيع الإبل. فإذا كانت أراضي القبيلة تعد بالإضافة إلى مداشرها الاستراتيجية الهامة مؤشرا للقوة، فإن لف أيت الجمل قد استمد تسميته من احتكار جانب تربية الإبل والماشية الأخرى. وقد تسبب اقتران ملكية الماء بالارض في الحد من الرؤيا التجارية للقبيلة. وحتى يمكن أن نتصور حجم الصراعات القائمة حول عنصري الماء والتربية يكفي أن نوضح بأن القبيلة قد عملت جاهدة على إبعاد السوق الموسمية والأسبوعية عن مجالها خوفا من التسلط المنتظم على حقولها المسقية . فلم يجد عبيد الله أسالم شيخ قبيلة أيت موسى في نهاية القرن الثامن عشر أية صعوبة في تأسيس سوق كليميم مكان كَويرة السوق علي تراب أزوافيط. فكلما طرحت مسألة الموسم على تراب أزوافيط إلا وتصدي لها هؤلاء أنفسهم موظفين سلطاتهم الحربية في تسهيل مأمورية أيت موسى أعلي بكَليميم. على أن ما كان يرفض من طرف القبيلة هو تجمع السلع بالسوق الجديد معتدين بذلك مرات متكررة على أمان السوق. ولايمكن التأكد من هذا التصور إلا بإرجاعه إلى غياب التقاليد التجارية لدى أزوافيط بعد وفاة الشيخ الكوري الخنوسي. فالعائلات القليلة التي بقيت متمسكة بهذا المجال الحيوي تربطه بالمجال الفلاحي والرعوي دونما سند لها في واقعها المحلي.

إن اعتبار الجانب الاستقراري يقودنا كما نرى إلى تحليل دور مراقبة الماء والأرض في بلورة الجانب الحربي للقبيلة. هذا ماتؤكده معارك حصن كَيوارة المحادي لقرية وعرون الأثرية . بل إن المتتبع للأحداث كما توردها الرواية الشفوية، يستخلص أن المقدرة الحربية تعتبر القناة الأولى المجسدة لسلطة أزوافيط على حساب استراتيجية اقتصادية أو سياسية موحدة. لقد مارست فصائل القبيلة سلطاتها في فرض حرمة الأماكن التي اقتلعتها من بعض الفصائل التكنية الأخرى. لذلك فقد عمل "البارود" علي تقييم مسألة المشروعية منذ تأسس الاتحادية. فلا نفاجأ أنه باستثناء السواعد وأولاد موسى، فإن باقي فصائل اتحادية الركَيبات تعتبر محمية من طرف أزوافيط بالإضافة إلى لميار وأولاد تيدرارين. لقد ركز الطالب أحمد المصطفى بن طوير الجنة في مخطوطه *رحلة المنى والمنة* خلال بداية القرن التاسع عشرعلى دور أزوافيط في القيام بتزطيط (بخفر) القوافل عبر الساقية الحمراء إلى حدود أرض أولاد دليم بوادي الذهب. وهذه الحقيقة تنفي بشكل تام اقتصارالقبيلة على مجالها شمال وادي درعة. ذلك أنها مطالبة لحماية مكانتها بين القبائل، بالحضور المستمر داخل لعبدة التنافس السياسي بالصحراء. هذا ماتشهد عليه طبيعة العلاقات بين القبيلة وأولاد بو السبع. فقد سبق لأزوافيط أن طردوا هذه القبيلة من ديارهم لدى عودتها منهزمة أمام جيش السلطان محمد بن عبد الله العلوي (*إليغ*، 7، *الضعيف*، 10 ـ 222). وكان سبب هذا الطرد هو محاولة أولاد بوسبع التنكر لحفاوة وكرم أزوافيط بالسيطرة على أسرير. وبعد أزيد من قرن على هذه الأحداث دخلت قبائل الزوايا الممنوعة من حمل السلاح والمحمية من طرف تكنه في صراع سببه نزوح هؤلاء إلى ناحية وادي درعة بعد أن تفككت البنيات التجارية من جراء سيطرة التجارة الأوروبية. وكان أن ظهرت اتحادية الركَيبات كقوة عسكرية جديدة استطاعت القضاء على غريمتها من أولاد بو سبع والعروسيين وتجكانت. وصلت قبيلة أولاد بو السبع ساعتئذ مطرودة من الصحراء إلى وادي نون فلم تجد إلا أزوافيط كحلفاء. وبذلك عادت إلى أسرير تحت حماية أزوافيط الذين وفروا

لها شروط الاستقرار رغم مافي ذلك من مشاكل مع الرگيبات. فلم يتوان هؤلاء عن تهديد أزوافيط الذين علموا يومها بما في المعطيات الجديدة من خطر على وجودهم الأمني. فكان بديهيا أن يعترفوا بميزان القوى الجديد عندما قرروا التخلي عن حمايتهم لأولاد بو السبع حوالي سنة 1921 م. ونستخلص من ذلك أن لهذا الحضور العسكري للقبيلة انعكاسات بنيوية تتجلى في العلاقات السياسية والاجتماعيةالسائدة بين الحامين والمحميين. أريد هنا أن أؤكد على أهمية هذا التغير البنيوي في صياغة مفهوم الاتحادية ككل متكامل. ذلك أن ميزان القوى الجديدة لم يكن يعني غياب حضور أزوافيط دون غيرهم من القبائل التكنية . فإن كانت المعطيات السياسية الجديدة تفيد تطور اتحادية الرگيبات، فذلك على حساب مجمل القابائل التكنية دون أي استثناء. وهي حقيقة تاريخية تبلور مايمكن أن تُطلق عليه تكييف الهياكل المحلية مع قانون التطور. فلا شك أن للبنيات القبلية من مرونة التكيفية ما يدعوها للوجود باستمرار على ساحَة الأحداث السياسية بشكل قابل للتطور والنماء. ماتزال القبيلة رغم تطورها تحافظ على مؤسساتها وممارساتها ولوبصفة متوثرة. فهي تعزز باستمرار ترابطاتها العشائرية حيث تطرح كجهاز سياسي متمايز ومشتمل في طياته على تعارضات جعل منها الاستعمار لوهلة وجيزة أداته الأولى، وقد مكنت الفترة الاستعمارية من إبراز التطلعات الزفاطية إلى الميدان التجاري، فأصبحت بذلك جالية بمورطانيا تعد في الوقت الراهن أقوى الجاليات التكنية. كما أن الهجرة إلى الخارج قد أطرت خلال الستينات والسبعينات والثمانينات المعطيات الإحصائية حول واقع الأسر.

أ.البيدق، *المقتبس من كتاب الأنساب* ؛ م . المختار السوسي، *إيليغ قديما وحديثا* ؛ *طاقة ريحان من روضة الأفنان*، الرباط، 1984 ؛ م . الضعيف، *تاريخ الضعيف*، الرباط ، 1986 ؛ م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة ؛ تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

P. Marty, *Les Tekna du oued Noun* in *Les Tribus de la Haute Mauritanie* Publications du comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915-91 ; F.C. de la Chappelle, *esquise d'une histoire du Sahara occidental*, *Etudes, notes et documents sur le Sahara occidental*, VIIe congrés de l'IHEM, Hesperis, XI, 35-96, Rabat-Paris, 1930 ; *Les Tekna du S.O Marocain, Etude geographique, historique et sociologique*, l'Afrique Française, Bulletin du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, 1934, 109 p; Cl. Justinard, Archives Marocaines, Vol. XXIX, Paris Champion, 1933 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna*, I.H.E.M, notes et documents, III, 1948, 59 p, Larose, Paris ; A. Hammoudi, *Sainteté, pouvoir et société*, *Tamgrout aux XVII et XVIIIe siècles*, Annales E.S.C, nº 3-4, Aout 1980, 615-641 ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh et l'Histoire sociale du Tazerwalt*, SMER, Rabat, 1984, 223 p.

مصطفى ناعمي

أزْواگ، خروج الرجل من بين ظهراني أهله وعشيرته متغربا لائذا بغيرهم، سواء كان خروجه إراديا أو حكمت عليه الجماعة بذلك عقابا له على جريمة ارتكبها. ولبعض القبائل أعراف تقضي بالنفي من الأرض عقابا. ويستعمل فعل هذا المصدر الأمازيغي وهو : زُوگْ في معنى طلب الرجل الحماية من الآخر أو طلب الدخول في كنفه استعطافا له وطلبا لعفوه، وبهذا المعنى دخلت هذه المادة إلى العربية العامية في مثل عبارة : "أنامْزَاوگْ" أي أنا لائذبك، طالب الدخول في كنفك، في موقف التذلل والضعف الذي يكون فيه المغترب عن أهله طالب الحماية من ضامن يُقبل عن طريقه في عيشرة، وليس لدينا ما يؤكد أن أزواگْ كان يقتضي نوعا من التبعية أو درجة من الرقية وإن كانت العبارة توحي بذلك، وإنما المعروف هو أن الغريب لم يكن يندمج بسهولة في القبيلة التي يلوذ بها، ويكون دخوله من باب حماية بعض أعيانها، الشيء الذي يفترض عمليا المرور بمرحلة انتقالية تقترن في الغالب بخدمة المغترب مدة معينة، ومن آفاق البحث في هذه المادة النظر في علاقة جذر الفعل "زكْ" بصفة : إزوغْ التي تعني "أحمر" على مذهب من يرى أن إزْوغْنْ تعني حمير، لما كانوا قد تغربوا إلى المغرب فقد اشتق من صفتهم وصف كل لاجيء أو متغرب وإزواگن عامة هم اللاجئون، ومنهم زواغة الغرناطيون الذين كانوا في جهات فاس حتى حل محلهم بنومطير.

أحمد التوفيق

أزُوكا، أو عَرْعَر أو عَرْعَر بربري (= أمَلْزِي = تَازُّوت) أو العرعر، يطلق عامة على نوع نباتي وهو تيتْرَاكْلِينيسْ أرْتيكُولاَتَا Tetraclinis articulata أو على أنواع جَنَس يُونيپِيرُوسْ Juniperus. والجنسان ينتميان إلى فصيلة السرويات Cupressaceac.

الصفات النباتية : أزوكا أو العرعر البربري شجرة متوسطة القامة لا يتعدى علوها 15 مترا. تاجها كثير الأغصان لكنه لا يعطي ظلا كثيفا. جذعها غير مستقيم ومشقق طولانيا. براعمها مخبأة بواسطة أوراقها. وهذه الأخيرة حرشفية متراكبة فوق بعضها ومتقابلة مثنى مثنى. أزهارها وحيدة الجنس ووحيدة المسكن وتظهر في الخريف على هيأة إزهرارات هرية. ثمارها مخروطية شبه مكعبة وتحتوي كل واحدة منها على 4 حراشف متخشبة. بذورها مجنحة.

التوزيع البيوجغرافي : العرعر البربري شجرة من المخروطيات القلائل التي إذا قطع ساقها أعطت فسائل من أرومتها. وهذه الميزة هي التي ساعدته على عدم الانقراض وعلى البقاء في مناطق شاسعة من شمال إفريقيا. فإذا استثنينا محطتين للعرعر البربري، الأولى في جزيرة مالطا، والثانية في جنوب شرقي إيبريا، وجدنا أن هذه الشجرة تنظم تشكيلات منتشرة على 30.000 هكتار في تونس، و160.000 هكتار في الجزائر و950.000 هكتار في المغرب أي أن هذا النوع النباتي يبقى مرتبطا بالناحية الجنوبية للشطر الغربي من المنطقة المتوسطية. ففي المغرب وهو البلد الأكثر ملاءمة للعرعر نجد هذا الأخير يشكل ثلاث كتل من

غاباته، الأولى تكسو قسطا وافرا من شمال المغرب الشرقي والريف الشرقي، والثانية تمتد على مساحات واسعة من الهضبة الوسطى، والأخيرة توجد في مجال أرگان مابين الصويرة وإفني على واجهات الأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير.

يعيش العرعر البربري في البيومناخين شبه الجاف وشبه الرطب السفلي، الحارين والمعتدلين أي أنه لا يتحمل البرودة. وهو يصادف مابين سطح البحر و1.000 متر في الشمال و1.500 متر في الجنوب، أي أنه يقع في الطابق المتوسطي الدافئ واستثنائيا في الطابق ما تحت المتوسطي.

إنه يوجد على أنواع مختلفة من الأتربة كيفما كان سمكها أو صخرتها الأم ماعدا المالحة منها. لكن أحسن غاباته تعيش فوق التربة الحمراء المتحدلسة.

إن هذه الظروف البيئية التي يتطلبها العرعر البربري تجعله ينظم عدة عشائر نبتية أوجية.

الاستعمالات : يعطي جذع العرعر البربري خشبا متوسط الجودة لكن خشب أرومة أشجاره المعمرة ثمين جدا إذ يستعمل في صناعة كثير من أدوات الزينة وأثاث المنزل مثل الموائد والعلب التي يمكنها أن ترصع بخشب الليمون. ونجارة خشب العرعر هذه تكاد أن تكون مصدر الشغل الوحيد للصناع التقليديين في مدينة الصويرة.

كما يستخرج من قشرة الجذع مادة راتنجية، ومن الأشجار الحية مادة أخرى تسمى محليا الصَّلَبَان تصدر للخارج ليصنع منها برنق رفيع.

ومن بين المنافع الأخرى للعرعر البربري التي تستحق الذكر هنا، الفحم ذو الجودة المتوسطة، والقطران، وأوراقه التي تستعمل في التطبيب التقليدي.

L. Emberger, *Les Arbres du Maroc et comment les reconnaître*, Paris 1938 ; R. Maire, *Flore de l'Afrique du Nord*, Paris 1952 ; A. Benabid, *Les Ecosystèmes forestiers, préforestiers et présteppiques du Maroc*, Forêt méditerranéenne, t. VIII, 1, 1985 : 53-64.

أزُوكْنِّي، أو الزعتر (إيزُوشّنْ = إيزُوشَنِّي = تيزُوكّنْت = تَازُوكّنْت = أزُوكَنُّو = أزْوِي = أزْوِيرْ = زْعيتْرَة = سَعْتَرْ = صَعْتَرْ.) تطلق على كل الأنواع النَباتية المنتمية إلى جِنسي أورِيگانُوم Origanum وتِيمُوسْ Thymus وهما من فصيلة الشفويات Lamiaceae.

يحتوي جنس أوريگانُوم على خمسة أنواع برية بالمغرب منها المحلية ومنها الموجودة أيضا في بلدان أخرى من المنطقة المتوسطية. ونجد نوعا سادسا دخيلا يزرع لأجل صناعة بعض الأدوية. إن كل هذه الأنواع أعشاب معمرة ذات أوراق صغيرة وقلبية الشكل، وأزهار بيضاء أو وردية.

تعيش هذه الأنواع البرية في بيومناخات وطوابق مختلفة وعلى أراض جد متنوعة لكنها تصادف بكثرة فوق أتربة صخرية وفقيرة.

أما جنس تِيمُوس فهو ممثل في المغرب بحوالي أربعة وعشرين نوعا بريا موزعة على جميع أرجاء البلاد. أوراقها أصغر من أوراق الجنس السابق. ولهذا فإضافة إلى اسم الزعتر سميت أنواع عديدة من تيموس بزْعيترة لأن أوراقها صغيرة جدا. وأزهار تيموس إما بيضاء وإما وردية.

الموطن الأصلي لهذين الجنسين هو منطقة البحر الأبيض المتوسط. وقد عرف الإنسان مزايا أنواعهما منذ أقدم العصور، ولازال يستعملها كبخور أو نقيع مطبوخ أو في بعض المأكولات أو في العطور أو في كثير من الأدوية لعلاج الزكام والربو...الخ

ويعتبر عسل النحل الذي يعيش على أزهار الزعتر من أهم الأدوية في التطبيب التقليدي مع العلم أن هذا العسل رفيع جدا.

بحث ميداني.

E. Jahandiez et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Paris, 1934.

عبد المالك بنعبيد

أزُولاَيْ، أسرة يهودية كثيرة العدد، برز منها في المغرب العديد من الأحبار ذوي الكتابات والمؤلفات الأدبية اليهودية. وقد هاجر بعض هؤلاء إلى المغرب من إسبانيا على إثر النكبة الأندلسية سنة 1492. واستوطنوا مدينة فاس وشغلوا فيها مناصب دينية عليا، ونذكر من بينهم : أبراهام أزُولاي وابنه مردخاي وحفيده أبراهام بن مردخاي الذي ولد بفاس وتوفي بفلسطين وهو من أكبر القبلانيين. كان له عدد من الأولاد والأحفاد، اشتهر منهم ولده إسحاق، صاحب كتاب في القبلانية وحفيده زراع بن اسحاق، والحاخام اليسع بن زارع بن إسحاق الذي وافاه الأجل بالقدس سنة 1732. ونزح إلى فلسطين من هذه الأسرة أحبار آخرون من فاس أمثال مسعود أزولاي الذين سكن الصفدية خلال القرن 17، وميمون أزولاي الفاسي أصلا، الذين رجع إلى فاس عام 1691، لجمع التبرعات لفائدة " المغاريبيم " أي اليهود المغاربة الذين أوقفوا حياتهم على الدراسة والتعبد في ربوع الأرض المقدسة (راجع بناحيم، صاحب كتاب ملوك الربيين).

وحوالي عام 1724، وُلد بالقدس حيون يوسف داود أزولاي أحد حفدة أبراهام أزولاي، كان مشهورا باسم الربي حيدا، وهو لفظ يتركب من الحروف الأولى لاسمه الطويل. جال عبر أقطار أوربا ثم زار المغرب ومصر وغيرهما، وترك مؤلفات أدبية هامة عددها واحد وسبعون، يوجد من بينها قاموس لترجمة وبيليوغرافية بعض مشاهير الأسماء. ومن بين مولفاته : شم باجيدوليم (أسماءالعظماء) الذي نُشرمراراً (في ليفورن 1774، وفارسوفيا 1876، وفيينا 1853).

وفي صفرو : تفرع عن اليهود الحاملين اسم أزُولاي سلالة من الأحبار، منهم : يهودا، وابنه إيشُّوشواع (القرن 18) وحفيده شمعون (القرن 18 والقرن 19) وحفيد إيشُّوشواع، الياهو (القرن 19) وشلوم أزولاي (1851-

1932) الحاخام الأكبر بصفرو، كان شاعرا واعتُبرت آثاره جديرة بالنشر، وفي سلا ، صامويل أزولاي (القرن 18 والقرن 19). وفي مراكش : إسرائيل وأبراهام أزولاي، حاخامان عاشا أواخر القرن 18 وأوائل القرن 19. وقد كان أبراهام أزولاي أشهر حاخامات المدينة حتى إنه مضى يحمل لقب حاقادوش، أي القديس القبلاني، مؤلف كتاب *مقداش الملخ* (زواية الملك) وله كتاب يحمل عنوان *شرح الزهار*، اي كتاب الجلال الذي يعد المرجع الأساس في القبلانية. ويقال عن هذا الحاخام إنه أتى ببعض الخوارق. كانت وفاته سنة 1745. وفي بوگلماد وهي قرية تقع جنوب مراكش، يوجد قبر عوباديا أُزُولاي الذي يحج إليه عدد هام من الزوار اليهود من مختلف الجهات.

أزولاي أبراهام بن مردخاي. ولد بفاس حوالي سنة 1570 وانتقل إلى فلسطين حوالي سنة 1600 بعد مصاعب ومحن في الطريق رواها في مقدمة ترجمته ب ـ *أور. ها ـ حمًا*، التي تعرض فيها الى الحياة الثقافية اليهودية والمؤسسات التعليمية والأدبية بمدينة فاس المجيدة. وقد أنهى كتابه هذا سنة 1618، وضمّنه المراحل التي يقطعها القبلاني وضرورة تخطي العالم المحدود الذي تشكله القوانين المكتوبة (التوارة) وغير المكتوبة (المشنة والتلمود)، وذلك قصد إدراك عالم القبلانية اللامتناهي، عالم الحكمة والحقيقة، عن طريق التصوف.

عاش هذا الحاخام حياته في الأرض المقدسة منغمسا في التصوف، وعرض نظريته في مولفاته المطبوعة تحت عنوان قرية أربع (الجزء الاول : *أور. ها ـ لبناه* ، أي نور القمر، برزميسل 1898 ؛ الجزء الثاني : *أور .ها ـ حمّاَ*، أي نور الشمس ـ القدس 1876. برزمسيل 1898 ؛ *أور ها ـ كنوز*، غير مطبوع بل مفقود. وهو عبارة عن شرح مطول لكتاب الزهار الذي اعتبره المثقفون اليهود عملا أساسيًا للتصوف عندهم (سولزباخ 1695، امستردام 1685، فالنا 1887) ويتضمن تأملات في القبلانية، تتمحور حول مفهوم شامل للتناسل والعلاقات الزوجية الخاصة : *زها حمّا*، " جلال الشمس " (البندقية 1654، برزمسيل 1882 ـ 1883 ـ 1896). وفيه يختم المؤلف آراءه الصوفية، بعال بروت أبرام أي أنصار الطريقة الإبراهيمية، ألفه سنة 1620. نشر بفالنا سنة 1873 ـ 1874، يتضمن شرحا للتوراة، على ضوء تعاليم القبلانيين المغاربة كورديفيرو وحريا وسليمان أوحنًا.

مات أبراهام أزولاي سنة 1643 وبقيت بعض أعماله مخطوطة وحسب ماأورده لاريدو (ص 214) فإن هذه المخطوطات آلت إلى اليسع بن زراع بن اسحاق، ابن حفيده الملقب بـ الربِّي حيدا، وقد تكون هذه المخطوطات مبعثرة بين مختلف الخزانات.

لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص 243 ـ 245 ؛ حييم الزعفراني، *القبلانية*، باريز 1986 ص 212، 234 ـ 238 ؛ مالكه ربان، *يهود المهجر* ؛ *الموسوعة اليهودية*، ج 2 ص 875.

أزْويلُوص، اسم تحمله أسر يهودية متفرعة عن اليهود النازحين من إسبانيا، ومنهم :

أزويلوص أبراهام من أحبار الطائفة اليهودية بإقليم قشتالة (مغراشيم أو عجميون) استوطن مدينة فاس وهو الذي وقّع على بعض المرسومات عام 1543، وخلال عام 1556 إلى جانب بعض الأحبار.

وخلال القرن السابع عشر، كان أحد القادة الدينيين اليهود بفاس يدعى أزويلوص يعقوب.

يـ . بناحيم، *مالخ ربنان* ؛ طوليدانو، *حما عراب*.

شمعون ليفي

أزِيرْ، أو يَزِير (= إكليل الجبل = حصالبان) اسم أمازيغي يطلق على جنس نباتي يسمى بالعربية بالحصالبان أو بإكليل الجبل وذلك لكثرة أزهاره في فصل الربيع. واسمه العلمي هو رُوسْمَرِينُوسْ Rosmarinus وهو ينتمي إلى فصيلة الشفويات Lamiaceae. إنه جنيبة دائمة الخضرة لا يزيد ارتفاعها عن المتر ونصف المتر، وذات أوراق شريطية وأزهار زرقاء.

يحتوي هذا الجنس على نوعين وهما إكليل الجبل الطبي أو رُوسْمَرِينُوسْ أُفِّيسِينالِيسْ Rosmarinus officinalis وإكليل الجبل الوبري أو رُوسْمَرِينوس تُورْنْفُورْتِيي Rosmarinus tournefortii

إن إكليل الجبل الوبري ينتشر في منطقة تشمل الشمال الشرقي من المغرب والشمال الغربي من الجزائر. أما إكليل الجبل الطبي فهو يصادف في أغلب أنحاء البلدان المتوسطية، وخاصة في مجالات الصنوبر الحلبي أو العرعر البربري. يعيش النوعان في بيومناخات شبه رطبة وشبه جافة ذات الشكل الحار والمعتدل والبارد، وفوق أراض كلسية.

عرفت مزايا أزير منذ أقدم العصور. فأوراقه تستعمل في الطبخ أو كدواء تقليدي. وبتقطير أوراقه يستخلص زيت ذو رائحة قوية مستعملة في كثير من الأدوية. كما يعتبر أزير من أهم الأزهار في تربية النحل إذ أنه يعطي عسلا رفيعا.

ولكون أزير يتحمل التقليم فقد يستعمل بكثرة للزينة في الحدائق على شكل سياج حي قصير القامة، وذلك بجانب الممرات.

E. Jahandiez et R. Maire, *Catalogue des plantes du Maroc*, Paris 1931-1934.

بحث ميداني.

عبد المالك بنعبيد

أزيك ← تكنة

أزيلالْ، ـ جغرافيا ـ مكان يدل في مفهومه التداولي المحلي وفي منطقة جبلية على جزء هضبي مرتفع ومنبسط يشرف على كل ماحوله. ونادراً ما يستعمل هذا الاسم بمفرده، تبعاً لتقليد كان يدفع المجموعات البشرية في

الأرياف المغربية إلى إطلاق أسمائها دوما على الأمكنة التي تريد التملك بها. ويتعلق الأمر في حالة هذه المدينة بأزيلال آيت مساض، نسبة إلى القبيلة التي تقطن هذه الهضبة والتي تَتَفَرَّعُ إلى خمس فخذات : أيت خليفت وإباراغن وأيت أوفزا وأيت بركا وأيت عبد الله.

لقد شهدت أزيلال حدثا فريداً من نوعه في المغرب بتاريخ 23 أبريل 1975، لما تحوّلت وضيعتها من مرتبة دوار إلى مرتبة مدينة، وقفزت بذلك إلى صف عاصمة إقليم، وهذا التغيير القانوني الإداري مرتبط ولاشك بالتغيرات الطارئة على سهل تادلا الكبير وتقدم الري به وخروج أزيلال عن وصاية إقيلم بني ملال السابق. ويمكن تأويل حدث إنشاء هذا الإقيلم الجبلي الصرف، الذي توافق حدوده في الدّير حدود قطاع تادلا المسقي بخطة ترمي إلي إنعاش وتنمية منطقة الأطلس الكبير الأوسط المرتكزة على نظام زراعي ورعوي من النوع التقليدي، وفي نفس الوقت يمكن تأويل ذلك بإرادة عزل هذه المنطقة عن السهل الذي يمكن رؤياه من مطل بين الويدان، الذي يشهد منظره الزراعي على عصرنة متقدمة به. وفي كلتا الحالتين تظهر مدى أهمية تدعيم التركيز الإداري الموكول لمدينة أزيلال .

فضلا عن ذلك، تعدّ حيوية مركز أزيلال حقيقة ملموسة. لقد عرف المركز تطورا ديمغرافيا ملحوظا بالمقارنة مع تطور مجموع الإقليم، إذ تضاعف عدد سكانه5،7 مرات بين 1936 و 1982 مقابل 1،58 مرة بالنسبة للإقيلم .

وقد تحقق هذا النمو على مرحلتين : بين 1961 و1971 حيث سجل المركز نسبة جدّ عالية في نموه الديمغرافي السنوي13،1 ٪ وبين 1971 و1982 حيث ظلت تلك النسبة مرتفعة رغم تراجعها النسبي لعدة أسباب 10،3 ٪ وبالتالي انتقل عدد سكان مدينة أزيلال من 2686 نسمة سنة 1971 (حيث كان مجرد مركز قروي) إلى 7849 نسمة سنة 1982. وكان لتوافد الموظفين عليها كمقر دائرة أو إقليم الدور الأول بدون شك في تفسير هذه الوتيرة السريعة من النمو الديمغرافي، إلا أنه يخشى الآن من أن تكون مدينة أزيلال قد بلغت حد الإشباع في تلقّيها لمجموعة من التجهيزات العمومية ولأفواج من الموظفين بدون أية مسايرة من حيث التجهيزات الإنتاجية أو التحويلية للمنتجات الزراعية والرعوية الواردة من باقي مناطق الإقيلم.

يمكن قياس درجة وزن مدينة أزيلال داخل الشبكة الحضرية الإقيليمية باستحواذها على معظم التجهيزات العمومية الإقليمية من جهة وبتنويعها لنسبي لهذه التجهيزات من جهة أخرى. ذلك أن المدينة تحتضن ملحقات غالبية المصالح الوزارية التي يبلغ عددها 38 مؤسسة. وتشغل 870 موظفا سنة 1985، كما تتوفر المدينة على 50 نوعا من وحدات الخدمات والتجارة الحرة، إلا أن حيوية المركز مرتبطة أكثر بنشاط سوق الخميس الأسبوعي الذي يتدفق عليه التجار والفلاحون من كل حدب وصوب منذ يوم الأربعاء لترتيب الإجراءات المتعلقة بتجارة الجملة حتى ساعة متأخرة من الليل. أما تجارة التقسيط فتترك لليوم اللاحق، أي ليوم السوق الرسمي، حيث تتحول بالفعل مدينة أزيلال إلى مركز قروي حقيقي يحتكر فيه السوق وبدون منازع كل الصفقات الأساسية تقريبا. أما في باقي أيام الأسبوع فتفتصر تجارة وخدمات المدينة على تلبية الحاجيات اليومية للسكان المرتبطين أساسًا بقطاع الإدارة.

إن النشاط المزدوج لمدينة أزيلال والمتمثل في الدور الاقتصادي والإداري ينعكس إلى حد كبير في مرفلوجيتها. يشرف الحي الإداري، حول المقر الأصلي للدائرة، على باقي أجزاء المدينة حتى أعلى التل الذي يبلغ ارتفاعه 1430 م. ويخترق مركز المدينة شارع ثنائي الاتجاه تصطف على طوله إدارات (نيابة التعليم والقرض الفلاحي والمكتب الوطني للماء الصالح للشرب) ومتاجر ومقرات خدمات حرة وكذا بعض العمارات للإيجار. وأخيرا في منتهى الشارع نحو الجنوب الغربي نجد سوق الخميس على علو 1320 م. يفصل الشارع الرئيسي عن السوق سور قديم جعله يولي ظهره لمنطقة التمدين الحالي، غير أن السوق يوفر لزبنائه المتكونين غالبا من الفلاحين عدة مطاعم ومقاهي متواضعة وبيوتا مفروشة بالحُصر، تستعمل للطعام والمبيت ليلتي الأربعاء والخميس.

إن عملية التمدين بمركز أزيلال تنمو بصفة خاصة حول العناصر الثلاثة السابقة التي تعمل على هيكلة المدينة، لكن دون أن تتمكن من حل مشكل الشغل والتجهيز الاجتماعي والثقافي الذي يتخبط فيه عدد كبير من مقرات الدوائر والأقاليم المغربية، إذ أن مدينة أزيلال تشكل في نفس الوقت نقطة اجتذاب المواد الفلاحية ونقطة توزيع المنتجات الصناعية أما الدور الاقتصادي لتحويل المواد المحلية وتنشيط التنمية فهو جد ضعيف إن لم يكن منعدما، بل حتى مدّ المدينة بقنوات الماء الصالح للشرب وبشبكة الواد الحار أصبح أمراً مستعصيا. زد على ذلك غلاء الكراء في مركز المدينة، بالنظر إلى مستوى الراحة الذي يمكن للمنازل الحديثة أن توفره. وفي الخلاصة، يمكن القول إن الدينامية القانونية التي عرفتها موخراً أزيلال لاتكفي وحدها لتحقيق ما كان متوخى بإلحاح للنهوض باقتصاد المدينة وبتنمية مظاهرها الاجتماعية والثقافية .

دراسة ميدانية.

محمد تميم (ترجمة مصطفى عياد)

أزِيلالْ - تاريخ - أو أَزَيْلاَلْ : يجمع على إِزِيلاَلَنْ، لفظة بربرية من معانيها : المر بين خيمتين. وبهذا المعنى كانت تستعمل إلى زمن قريب، لدى رُحل الهضبة الوسطى وما حواليها. وترادف لفظة الفايجة. ومن ثم أطلقت على الممرات الفاصلة بين جبل باني وسلسلة جبال الأطلس الصغير. وفي نواحي فيگيگ تعني المر الخالي من الرمال، الفاصل بين الكثبان. أما في الأطلس الكبير فأزيلال تعني الهضبة الطولية المرتفعة بمثابة مطل

بـيـن جبلـيـن، ينسـرح منـه النظـر إلـى مسـافـات بعيـدة (E. Laoust, 32).

وبما أن كثيرا من القبائل والفخدات قد اقتبست أسماءها من خصوصيات البيئة ـ كالتضاريس والنبات أو الحيوان ـ فإن إطلاق لفظة أزيلال قد تردد عدة مرات في المناطق الجبلية، حتى أصبح يشمل فخدات مثل أيت أزيلال (J. Meunié, 357)، وقبيلة أيت أزيلال الواقعة غربي جبل سرْوا، بالأطلس الصغير (J. Meunié, 386) وينطبق هذا المَعنى على موضع أزيلال القديم المقصود في هذا التعريف، حيث يوجد في غربي المدينة الحالية عرف طولي، يدعوه بعضهم "الدراع" ماتزال فوقه بعض الأطلال المندرسة لقصر قديم (إِغْرَمْ). لعله قصر أيت خليفت، قبل هبوطهم إلى السهل المجاور، حيث استقروا حوالي زاوية سيدي عبد الله الخليفتي. هذا لايعني أن القصر قد اعتوره بعض الإهمال، بسبب ظهور نواة سكنية جديدة، تمثلت في الزواية . بل لقد ظل قائما، كما تفيد إشارة وردت في كتاب *الدرة الجليلة*، حيث انتقل يوسف الناصري ذات مرة ليلا من زاوية عبد الله الخليفتي إلى أزيلال من أجل المبيت هنالك، *الدرة الجليلة* (1 : 144) أي أن العلاقة ظلت قائمة بين "القصر" والزاوية ولعل "القصر" الحصين قد أضحى أحيانا مخزنا جماعيا لسكان الزاوية ومَن إليهم. وبسبب مناعته قد يسهل الدفاع عنه أثناء هجوم الرحل على المنطقة.

وعلى الرغم من وقوع أزيلال على مقربة من طريق كانت مطروقة بكثافة منذ القديم، فإن المصادر التاريخية لاتذكرها إلا نادرا. لذلك يبقى كتاب *الدرة الجليلة*، حتى الآن أهم مصدر لبعض الاشارات حول أزيلال، من خلاله نستطيع أن نميز بين الزاوية وبين القصر. فهما يقعان معا وسط فرقة أيت خليفت ـ وهي إحدى فرق قبيلة أيت مَسَّاضْ ـ فهناك زاوية أيت خليفت وقصر أيت خليفت. (*الدرة الجليلة* 1 : 143، 2 : 267) ويطلق على هذا الأخير أحيانا أزيلال. ولم تخل العلاقات بين الجانبين من توتر، كما يفهم من رسالة وجهها يوسف الناصري إلى أيت خليفت يدعوهم "إلى توقير" عبدالله الخليفتي صاحب الزاوية". *الدرة الجليلة* (2 : 293 ـ 302).

وفي نهاية المطاف يختفي لفظ أزيلال ـ فيما هو مكتوب على الأقل ـ ليحل محله اسم الزاوية. لعل هذا راجع إلى المكانة التي أصبحت تتبوأها الزاوية في تلك المنطقة، خلال القرن الثاني عشر / 18.

لكن لما مر شارل دو فوكو بالمنطقة لم يتحدث لاعن الزواية ولاعن أزيلال، بل ذكر "سوق خميس أيت خليفت من بين أسواق أيت مساض" (*Reconnaissance*, 265). ولعل اسم أزيلال لم يسد من جديـد إلا بعد احتلال الفرنسيين للمنطقة سنـة 1916، على إثر حملة الجنـرال (De Lamothe, Drague, 176) ومن المحتمل أن الفرنسيين بعدما احتلوا المنطقة شيدوا إحدى قلاعهم فوق العرف (أزيلال) الواقع غربي المدينة، على أنقاض القصر القديم، لأنه بمثابة مرصد. ولعل تلك القلعة كانت منطلقا للدولة الحامية من أجل تطويع قبائل المنطقة مثل أيت عطا وأيت بويكنيفن، وأُمْسَمْرِيرْ، وأيت بُوكَمَّاز وإحنصالن وغيرهم. .

تحتل أزيلال موقعا هاما في منطقة الاتصال بين الأطلس الكبير الأوسط ومؤخرة الأطلس المتوسط . لايتعدى ارتفاع الأعراف القريبة منها 2000 م. ومن الناحية البشرية تعتبر منطقة انتقالية من مجال تاشلحيت، في الغرب إلى مجال تمزيغت في الشرق والشمال الشرقي. (*إينولتان* : 96).

وقد وفرت المنطقة المحيطية بأزيلال للسكان، إمكانيات للاستقرار ولممارسة الأنشطة الفلاحية، بسبب وفرة بعض المساحات المنزرعة، كما تحيط بها غابة هي عبارة عن أحراج غير كثيفة، تمنح إمكانيات لتربية المواشي، وتقع غير بعيد عن طريقين تجاريين معروفين منذ القديم : طريق مراكش ـ فاس، عبر الدير، والطريق الرابط بين الجنوب والشمال (درعة أو تدغة ـ فاس) عبر ممر دادس ـ أحنصال، كما كانت أحد أكبر أ سواق المنطقة.

كانت هذه الوضعية الممتازة التي احتلتها بلدة أزيلال ـ بالنسبة لمحيطها ـ من بين الأسباب التي ساعدت على تعميرها مبكرا. بالإضافة إلى الوضعية الاقتصادية، كانت لأزيلال أهمية استراتيجية فهي تشكل قلب كتلة بشرية، ولم يكن بها حضور المخزن حضورا كثيفا، في غالب الأحيان (*إينولتان* 588) من هذا المنطلق أولاها الفرنسيون أهمية خاصة، واتخذوها قاعدة لتطويع القبائل المحيطة بها.

م.الخليفتي، *الدرة لجليلة* ؛ أ. التوفيق، *إينولتان*.
Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, 1883-1884 ; E. Laoust, *Contribution* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; D. J. Meunié, *Le Maroc saharien*.

أحمد عمالك

أزيلال ـ إقيلم ـ من النادر جدا أن نعثر في المغرب على إقليم واسع ينحصر كله في منطقة جبلية مرتفعة كما هو الشأن بالنسبة لإقليم أزيلال الذي أسس سنة 1975. لقد كان عزله عن إقليم بني ملال يبشر بإرادة الدفع بالاقتصاد الجبلي والسماح للإقليم الآخر بالانصراف إلى تسيير منطقته السهلية المسقية. لكن اليوم لازال اقليم أزيلال يعتبر أكبر إقيلم في الجهة الوسطى بحوالي 9600 كلم مربع. وأفقر واحد بها. لذلك تم في أواسط الثمانينات القيام بتحضير مشروع أزيلال الدراسي بتمويل من المنظمة العالمية للتغذية وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية، قصد وضع برنامج عمل وملفات حول الاستثمارات المختلفة، لجعل الإقليم نموذجا للتنمية المنذمجة في المناطق الجبلية المعتمدة في اقتصادها على استغلال الثروات الطبيعية بالأساس.

يتاخم إقليم أزيلال أقاليم ورزازات والرشيدية وبني ملال وقلعة السراغنة ويضم حاليا ستة مراكز حضرية، منها واحد مستقل (دمنات)، وأربعة دوائر و28 جماعة قروية

منبثقة عن قبائل تحمل اسمها (أيت عتاب وآيت امحمد وإحنصالن وفطواكة)، أو قبائل تتخذ أسماء اخرى مع تغيير طفيف إلى كبير في رسم الحدود (قبائل أيت بوزيد وأيت عطا - ن - أمالوا وأيت حمزة وأيت أوتفركال وأيت بوگماز وأيت بو إكنيفن وأيت عباس) وقبائل كبيرة قسمت إلى عدة جماعات (نتيفة و ولتانة وفطواكة).

المواشي وحدها 2،9 ٪ في الغابة. كما أن الإقليم يعرف أضعف كثافة سكانية ريفية في الجهة الوسطى (37 نسمة في كلم م)، حيث تنزل كثيرا في المناطق الجبلية الداخلية إلى حدود 6،6 ن/ كلم م (إنرگي) بينما ترتفع بشكل ملموس في الدير والأحواض إلى مستوى 131 ن / كلم م في إمليل دمنات. ويتوزع السكن في المناطق الأخيرة على

دائرة	جماعة	مساحة كلم م	كثافة 1982 ن / كلم م	عدد السكان (ألف) 1960	1971	1982	التزايد السنوي (٪) 71-60	82-71
أزيلال	أيت محمد	526	29	9،3	13،17	15،26	1	1،3
	سقاط	267	23،9	4،1	5،37	6،38	2،4	1،7
	تابانت	353	24،2	6،8	7،41	8،55	0،7	1،3
	أباشكو	397	14،5	4،2	4،95	5،77	1،5	1،9
	أزيلال	418	39،8	12،7	17،87	16،64	3،07	0،6
	زاوية احنصال	900	8،1	5،7	6،18	7،26	0،73	1،5
بزو	آيت عتاب	402	8،3	27،7	31،09	33،2	2،48	0،6
	تزگيت	148	116	9،2	14،2	17،17	3،88	1،7
	بزو	240	50،8	13،2	14،15	12،18	0،63	1،4
	رفالة	274	41،3	8	10،39	11،31	2،36	0،9
	فم الجمعة	169	93،6	14،2	17،34	15،81	1،8	0،8
	تابية	305	41،4	9،8	11،89	12،63	1،75	0،8
	تانانت	203	67،1	11،3	13،61	13،63	1،6	0،01
دمنات	أربعاء واَوْلاَ	370	50،9	11،8	14،43	18،82	1،5	2،4
	خميس ماحطن	177	68،7	9،1	10،72	12،16	1	0،9
	تيفني	393	43،6	11،8	14،49	17،12	1،5	1،5
	إمليل	88	131	8،6	9،9	11،53	1،1	1،4
	أيت تامليل	948	25،1	14،9	18،48	23،82	1،8	2،3
	تيديلى فطواكة	396	81	20،1	24،64	32،08	1،8	2،4
واويزغت	أفورار	103	73،4	6	9،07	7،56	3،7	1،7
	اثنين تيمولت	78	65،9	3،6	4،52	5،14	2،06	1،2
	أنرگي	541	6،6	2،6	3،2	3،57	1،87	1
	بين الويدان	204	85	6،6	7،99	8،59	1،7	0،7
	فم أودي	112	73،2	6،8	8،19	10،65	1،3	2،4
	واويزغت	103	73،2	4	5،39	7،54	2،7	3
	أربعاء أقبلي	371	11،1	2،8	3،47	4،13	1،94	1،6
	تاگلفت	369	21،7	5	6،63	8،01	2،5	1،7
	تلوگيت	843	14،8	8،7	10،88	12،45	2	1،2
المجموع	28	9600	37	258،447	319،573	354،776	1،92	0،094

لقد شهدت ساكنة الإقيلم تزايدا ضئيلا في العدد أثناء العقود الأخيرة، وبصفة خاصة بين 1971 و1982 حيث اضطر جزء من السكان إلى الهجرة المؤقتة أو التهائية إلى أقاليم مراكش وبني ملال وخريبگة والدار البيضا، وخارج المغرب. وتم ذلك بسبب الموارد الاقتصادية المتواضعة التي توظف 67،3 ٪ من النشيطين المشغلين في الفلاحة ثم 13،3 ٪ في الخدمات و7،8 ٪ في الصناعة التقليدية و6،7 ٪ في تربية

شكل دواوير متجمعة كبيرة، خلافا لمناطق التلال والهضاب التي يتفرق فيها السكن ولباقي المناطق التي تعرف توازنا بين السكن المتجمع في دواوير صغيرة والسكن المقحم.

يلاحظ في هذا الجدول أن بعض الجماعات قد عرفت نموا سلبيا بين 1971 و 1982، ويرجع ذلك بالأساس إلى ارتفاع بعض القرى إلى صف المراكز الحضرية (واويزغت وأزيلال وبزو وفم الجمعة وأفورار)، أما دمنات فيعد أقدم

مركز حضري والمركز المستقل الوحيد بالإقليم، إلا أن نسبة التمدين الاجمالية لازالت جد ضعيفة في الإقليم (8.35 ٪) وتعرف وتيرة للتزايد بنسبة ضعيفة إلى جد ضعيفة، كما يظهر من خلال الجدول الآتي.

مراكز	السكان			النمو الإجمالي		النمو السنوي (٪)		النزوح الإجمالي		النزوح السنوي (٪)	
	1960	1971	1982	71.60	82.71	71.60	82.71	71.60	82.71	71.60	82.71
دمنات	6222	7140	9339	918	2199	1.24	2.4	786	366	1.06	0.4
أزيلال	1340	5727	7849	4387	2122	11.2	2.8	3486	612	8.9	0.81
أفورار	2405	3618	5018	1213	1400	6.63	2.91	445	439	1.33	0.91
واويزغت	1305	2978	4164	1673	1186	7.05	2.99	1127	392	4.45	0.99
فم الجمعة	2521	3068	3399	547	331	1.77	0.92	166	388	0.53	1.08
بزو	2295	2466	2570	171	104	0.65	0.37	436	456	1.65	1.63
مجموع	16088	24997	32339	8904	7342	3.91	2.3	3670	965	1.61	0.3

إن المرد الرئيسي للتزايد الديمغرافي الضعيف هو الارتباط الاقتصادي والاجتماعي الوثيق بأرضية طبيعية محلية قاسية، حيث تحصر كل المنطقة في مؤخرة الأطلس المتوسط الجنوبي الغربي (في الشمال) والأطلس الكبير الأوسط في باقي الأجزاء. ويتكون الإقيلم أساسا من جبال كلسية وكلسية ـ طفلية جوراسية وكريتاسية ملتوية يانتظام وفي اتجاه شمالي شرقي ـ جنوبي غربي لمحاور الالتواء التي تخترقها المجاري المائية علي شكل أفاجيج، لاتبرز التكوينات الأولية والصخور البركانية إلا في البهرات الجنوبية الغربية (كونغلوميرا وحيث وطفل وشيست). إن الجبال المتوسطة (1000 ـ 2000 متر) تغطي 50 ٪ من المساحة الإجمالية، تشكل الجبال الوعرة المتقطعة الموجودة في الجنوب والشرق والتي تتجاوز ارتفاع 2000م حوالي 25 ٪ من المساحة، مع وجود أحد أعلى الجبال المغربية بها (أزوركي : 3690 م) بين مركزي أحنصال وتابانت. أما الربع الأخير فيشمل مجموع المخاريط والحادورات الهامشية ومنخفضات الردم والأحواض النباتية ذات القعور المنبسطة والتلال المتوسطة والأودية التي لا يتعدى ارتفاعها 1000 متر. ومن أهم العوائق الطبيعية التي تعرفها المنطقة حدة التعرية القوية على 40 ٪ من الأراضي واعتدالها على 35 ٪ من المساحة الإجمالية. وبقدر ما يزداد اجتثاث الغابة وتدهورها بسبب الرعي وقطع الأخشاب للتدفئة بقدر ما يزداد الانجراف.

يتواصل استغلال الغابة دوما لأنها تشكل المورد الرئيسي في إقليم أزيلال الذي يغطي 49.8 ٪ من المساحة الغابوية بالجهة الوسطى، ذلك بمساحة350667 م، منها 5700هـ مشجرة و 224000 هـ من البلوط الاخضر، والباقي يتكون أساسا من العرعر والصنوبر والشنط ثم الأنواع الأخرى المختلفة ما عدا الأرز والفلين. وتنتشر الغابة في كل المنطقة بنوع من التقطع في السفوح الجنوبية الشرقية، هذه السفوح التي تشكو من موقعها القاري والأدنى من حيث العروض كما تعاني قوة الارتفاعات بالمقارنة مع السفوح الشمالية الغربية الأوفر تساقطات والأكثف غابات والأكثر اعتدالا في الشتاء،رغم ذلك، تظل الحرارة الدنيا المطلقة جد ضعيفة (2°- إلى 5°) والقصوى جد مرتفعة (43°. 45°) تستقبل الهضاب والأودية والمنخفضات الهامشية مابين 450 و600 ملم سنويا، بينما تسقط على الجبال المتوسطة والعليا 600 ـ 900 ملم (جزء منها ثلوج) ماعدا في بعض الأحواض والأودية الداخلية التي ينزل فيها المستوى إلى 250 ملم (واويزغت وتاكَلفت وتيلوكَيت وتابانت). غير أن الطبيعة الصخور وحجم التضاريس يجعلان من المنطقة خزانا من أهم الخزانات المائية بالمغرب، حيث يتراكب الإقيلم على ثلاثة أحواض فرعية لحوض أم الربيع : حوض وادي العبيد الذي يبلغ صبيبه 35.8 م مكعب / ثانية وتبلغ مساحته 520990 هـ ، (بما فيه واد أحنصال وأسيف الغازي وأسيف اغدو وأسيف إكاسن)، وحوض واد الأخضر (بصبيب 9.05 م مكعب ومساحة 261000 هـ) مع روافده (برنات وسرست وأباشكو وبوكَماز وحوض تاساوت (بصبيب 10.7 م مكعب / ث ومساحة 149100 هـ) إلا أن جل المياه الواردة محليا تُسْتغل خارجيا في الري وإنتاج الكهرباء، وأينما يتوفر الماء والتربة تكون الزراعة منتشرة وجزئياً مسقية. تكون التربة غنية نسبيا في مخاريط الانصباب وحادورات وأقدام الجبال، ومختلفة الأنواع والمؤهلات في الهضاب وهيكلية ومضطربة في السفوح الوعرة.

وسط هذه الأرضية الطبيعية العسيرة يقوم استعمال التربة على استغلال أدنى المساحات المنبسطة والقابلة للزراعة في إطار الملك الخاص أو الجماعي. ونظرا لتقلصها، فإن الحيازات تتفتت ويضيق معدل حجمها بالنسبة للعائلة الفلاحية (4.04 هـ). ولا يبلغ معدل المساحة المزروعة الصافية سوى 3.09 ولكل عائلة، مع تفاوت بارز في البنيات الزراعية حسب مختلف الفئات، كما يظهر ذلك على الجدول التالي، حيث يملك 22 ٪ من الفلاحين 56 ٪ من مجموع الأراضي ويحتكرون قطعان الماشية.

البنيات العقارية ومعدل القطعان	فئات الفلاحين			
	2.0 هـ	5.2 هـ	20.5 هـ	+ 20 هـ
نسبة الفلاحين (٪)	40	38	21	1
نسبة المساحة المستغلة (٪)	11	33	49	7
نسبة المساحة المسقية (٪)	16	34.5	42	7.5
معدل قطيع الأغنام	7	12	18	60
معدل قطيع الماعز	9	14	19	35
معدل قطيع الأبقار	1	1	2	5

وهذا التفاوت ينعكس أيضا في خصائص الإنتاج الفلاحي من العالية إلى السافلة. إضافة إلى ذلك تتميز الفلاحة على العموم من حيث البنيات التقنية بقلة استعمال وسائل الإنتاج وهشاشة أسلوب الإنتاج وضعف التأطير، لقد أنشأت مديرية إقليمية للفلاحة سنة 1979 لأن هناك جماعتين فقط تنتميان إلى المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي بتادلا وتتفرع المديرية إلى خمس مراكز للأشغال الفلاحية (واويزغت وأزيلال، ودمنات وأيت عتاب وتنانت). إلا أن التدخلات العمومية متواضعة بالإقليم، وتوجه أهم المساعدات التقنية والمالية إلي الزراعات الشجرية. ويهم القرض الفلاحي 21700 زبون موزعين على الصندوق الجهوي بأزيلال رالصناديق المحلية الأربعة (أزيلال وبزو ودمنات وواويزغت) والشبابيك الموسمية الأربعة (دار الشاوي، أيت عتاب، وتانانت وتيديلي فطواكة). أما تنظيم العمل فلم يستطع تأسيس أكثر من 12 تعاونية تضم حوالي 500 فلاح فقط، أغلبها تابع لمكتب تادلا (6 للخدمات و3 لجمع الحليب و 2 لاستعمال الالآت الفلاحية وواحدة لتربية النحل).

لذلك تحتفظ بنيات التدخل التقليدية في تسيير المجال الزراعي والرعوي بكل فعاليتها على جميع المستويات الاجتماعية المجالية المتداخلة (القبلية والفخذة والمجموعة الصغيرة والدوار .... والأسرة)، وتعتمد للتحكم في هزالة الموارد على تنويعها طبقا لمبدأ تكامل الرساتيق حيث تشغل المجموعة البشرية الواحدة أو الشخص الواحد في آن واحد رساتيق الزراعة البعلية والزراعة المسقية والمنتجعات والمراعي والأراضي الجرداء 40 ٪، والباقي مخصص للزراعة والأراضي المستريحة، أما الأراضي المزروعة سنة 1986 فبلغت 170000 هـ موزعة على المغارس 21757 هـ والقطاني 1808 هـ والبقليات هـ 1606 والشمندر السكري الذي أدخل مؤخرا في الأراضي المسقية في دير واويزغت وبزو. ماتبقى من المساحة المزروعة مخصص بتوازن بين الحبوب (الشعير) والعلفيات (الفصة). وضمن المغارس، وتجدر الإشارة إلى سيادة مغارس اللوز (3.1 مليون قدم) ثم الزيتون (1.35 مليون) فالتين والجوز (0.1 مليون) والأنواع المختلفة الأخرى، لكن المردود يبقى ضعيفا بالنسبة لكل المزروعات، وبالتالي يكون الإنتاج ضعيفا وغير كاف لسد الحاجيات المحلية. يقدر معدل مردود الهكتارالواحد المزروع بحوالي 3042 دهـ سنويا ،ويقدرمعدل مردود الأسرة الواحدة بحوالي 9400 د هـ سنويا. لذلك تعتبر الزراعة أحيانا الركيزة الأساسية لتربية المواشي وأحيانا أخرى مجرد مورد تكميلي له، اذ يمارس تربية الماشية 75 ٪ من مجموعة المزارعين ويتوفر الإقليم على قطيع متوسط من الأغنام (508717 رأس) والأبقار (49265 رأس) وأول قطيع إقليمي للماعز في المغرب (545950) إذ يمثل 40.35٪ من مجموع رؤوس الماعز بالمغرب و 75 ٪ من مجموع رؤوس الماعز بالجهة الوسطى.

انطلاقا من شروط الإنتاج والمساحات الفلاحية يمكن تقسيم إقليم أزيلال إلى ثلاث مجموعات من الوحدات المتجانسة الرئيسية : المنخفضات والهضاب (والتلال) والجبال، تنتشر المجموعة الأولى في أقدام الجبال، حتى تسود الزراعة والرعي (إمليل وتيدلي وفطواكة وفم الجمعة) وفي دير بزو ورفالة وتزگيت وأفورار حيث تسود الزراعة على المخاريط (حبوب وعلف تحت مغارس الزيتون) في اشتراك مع رعي الماعز والأغنام **التي تنتقل** بين الدير والجبل. ويعرف حوض واويزغت زراعة الحبوب مع قليل من الزيتون واللوز في السفوح السفلى الجنوبية ورعي خفيف في الغابة المتدهورة، في حين أن الغابة والمراعي تاخذ أهميتها الكبيرة في حوض ناگلفت مع زراعة محدودة للشعير. أما المجموعة الثانية فتشمل هضابا وتلالا فقيرة وأخرى متوسطة إلى غنية نسبيا. يمثل الوحدة الأولى الجزء الأوسط الغربي من الإقليم (تنانت وأزيلان واربعاء واولا،.....) حيث يظهر المشهد الزراعي خفيفا يعكس بالأساس زراعة الشعير وقليلا من اللوز والزيتون ورعيا مستقرا على مراعي صخرية يكثر فيها العناب مقابل تلك المناطق، وخارج التلال التي تعمل عليه التعرية بشدة، تتسع أراضي هضبية شاسعة (خصوصا في أيت عتاب) محملة بغابات كثيفة في السفوح الشمالية الغربية وبزراعات وافرة للحبوب واللوز والزيتون في أقدام التلال، وأخيرا في المجموعة الثالثة تكون الجبال المتوسطة أكثر قابلية للزراعة (أيت محمد) وللري في الأودية (مغارس وعلف) مع قليل من الغابات وكثير من المراعي، أما الجبال العالية التي تحيط بالاقليم في الجنوب والشرق (أيت تامليل وأباشكو وتانانت وزاويةأحنصال وأنزگي) فتتعمق فيها الأودية جدا، حيث يتعمم الري والزراعة المتنوعة، وتتدهور فيها الغابات نظرا لأهميتها البالغة في النظام الرعوي الجماعي للأغنام .

تشكل الغابة والشهب أيضا المادة الأولى لستة معامل للألياف النباتية الجافة تشغل حوالي 1500 عامل، تتوزع اهم هذه المعامل على أزيلال (إنتاج 430 طن سنويا) وتامدة (400 طن) وتاودانوست (دائرة دمنات : 180 طن). لكن الخشب يتحول خارج الإقليم في الدار البيضاء، وبني ملال، ومراكش، ولا يوجد سوى مصنع واحد بتيلوگيت، أما باقي الوحدات الصناعية الفلاحية فتتمثل في معاصر الزيتون التقليدية وذات إنتاج الزيت للاستهلاك المحلى بالدرجة الأولى. في حين أن الإقليم يمتاز - بإنتاجه 43,5 ٪ من

الطاقة الكهربائية المائية على الصعيد الوطني، أي 246.1 مليون كلواط / ساعة، بواسطة سدي واد العبيد ومعملي أفورار (209.6 مليون) وبين الويدان (35.9 مليون) ومولاي يوسف (على تاساوت : 0.6 مليون سيرتفع هذا الإنتاج بعد إنجاز ثلاثة مشاريع لبناء محطات كهربائية بأموگز على سد سيدي إدريس وتيلوگيت على سد مستفران وتامدة في سافلة واد أحنصال. لكن جل المنتوج الكهربائي يحول خارج الإقليم.

إذا استثنينا معامل الألياف النباتية والمحطات الكهربائية، ليس هناك صناعات تذكر إطلاقا بل حتى في قطاع استخراج المعادن، توقفت بعض المناجم الصغيرة لعدم مسايرتها السوق العالمية ونظرا للصعوبة القصوى للمواصلات، أهمها منجم الحديد بانسريفت (دائرة واويزغت) الذي أغلق أبوابه سنة 1979. في المقابل، فتح منجم صغير للرصاص أبوابه سنة 83 ـ 1982 بأباشكو، إلا أن إنتاجه رغم العوائق المحلية، أهمها منجم الملح بتيزغت (دائرة دمنات) الذي يشغل 170 عاملا وينتج 5700 طن سنويا ، ومنجم صغير للباريتين بأيت شيتاشن بنفس الدائرة، ومنجم ثانوي للرصاص وقليل من الزنك باگرضن نتازولت (دائرة واويزغت) الذي يشغل 60 إلى 100 عامل ويتمكن من انتاج 12000 ط سنويا من الرصاص.

لوتوفرت جميع الشروط التحتية لإنعاش القطاع السياحي لكان من الممكن استغلال جميع المؤهلات الطبيعية التي يمتاز بها الاقليم كشلالات أُوزُوضْ والأودية المتعمقة (أيت بوگماز والعبيد) وبحيرة سد بين الويدان والقنطرة الطبيعية في إمي ـ نْ ـ إفري (بدمنات) وصخرة "الكاتدرائية" بتامگا في تيلوگيت، غير أن مجموع الليالي السياحية المقضية بالاقيلم (7700 ليلة سنويا) جد ضعيف ويعبر عن تجهيز فندقي هزيل (74 غرفة و148 سرير) بفندق تازركونت بأفورار (نجمة واحدة) وبنزل بين الويدان (3 نجوم)، يمكن أن تتحسن الوضعية السياحية بالإقليم في المستقبل القريب مع الانتهاء من إنجاز المركب السياحي بجانب بحيرة بين الويدان.

وفي الأخير، يمكن استنتاج أن إقليم أزيلال يتوفر على موارد اقتصادية ضعيفة من جهة، يحتاج لكل تهيئة عمومية حقيقية وملائمة تهوِّن العوائق وتؤمن السكان وتدعم المؤهلات. وتعد التجهيزات التحتية والجماعية الضعيفة أهم هذه العوائق والمحددة بشكل حاسم لكل عملية تنظيمية داخل الإقليم. تمر الطريق الرئيسية رقم 24 (التي تربط مراكش وفاس) بشمال الإقليم على مسافة 27 كلم فقط لاتخلف أيْ مفعول في النقل مثلما تخلفه الطريق الثانوية رقم 508 التي تربط مراكش وقلعة السراغنة وبني ملال والتي تقطع كل الإقليم على مسافة 144 كلم. أما الطريق الثلاثية فهي عبارة عن 825 كلم من المسالك غير المعبدة، ثلاثة أرباعها صعبة الاستعمال وبالتالي، خارج جماعات تامليل (دمنات) وتيموليلت وأفورار، وفي درجة ثانية باقي الجماعات الشمالية التي تتجمع بمراكز أهم الخدمات والأسواق، تبقى المناطق الداخلية، وخصوصا الجبلية المرتفعة منها في عزلة كبيرة وشبه تامة في فصل الشتاء. وخير دليل على تدني مستوى النقل بالإقليم هو ندرة وسائل النقل المسجلة بالمركز الوحيد للتسجيل (أزيلال في السنوات الأخيرة، إذ تم تسجيل 131 وحدة فقط سنة 1986 (58 سيارة خاصة و48 شاحنة و25 جرارا) .

من جهة أُخرى، يحصل تزحزح كبير بين المؤهلات الهائلة من الماء والكهرباء بالإقليم من جهة واقتصاده للتجهيزات الأساسية لاستخدامها من جهة أخرى. حيث لايستفيد من شبكة الماء الصالح للشرب سوى 4 ٪ من مجموع السكان، أما الباقي فيستعمل الحنفيات العمومية (10 ٪) أو الآبار والمنابع والمجاري المائية والخزانات المنزلية. كما لم يستهلك الإقليم سنة 1986 في قطاع الكهرباء، إلا 25.8 مليون كيلواط في الساعة، أى أكثر بقليل من أصغر إقليم بالجهة الوسطى (بنسليمان : 16.9 مليون) التي تستهلك مليارين ونصف كيلواط. ولايزود إلا حوالي 12 مركزا بالكهرباء، يوجد أغلبها في شمال الإقليم. تلجأ بعض المراكز الجبلية الداخلية إلى استعمال مولدات كهربائية، كما هو الشأن بالنسبة لتانانت وتاگلفت وتيلوگيت وزاوية أحنصال.

ويشهد القطاعان الاجتماعيان الأساسيان أيضا ضعفا في التجهيز ونسبة الاستفادة منها. يتعلق الأمر بالقطاع الصحي الذي تمكن من بناء مستشفى إقيلمي بمدينة أزيلال سنة 1988 (186 سرير) . وكانت التجهيزات من قبل تشتمل فقط على صيدليتين و28 مستوصفا ريفيا و7 مراكز صحية تضم 186 سرير موزعة على واويزغت ودمنات وأزيلال. ويشرف على تلك المؤسسات 15 طبيبا عمومي وطبيبان خاصان و35 ممرضا و 1666 عونا صحيا. كما يتعلق الأمر بقطاع التعليم الذي يأتي في المرتبة الأخيرة داخل أقاليم الجهة الوسطى من حيث عدد التجهيزات والتلاميذ، حيث ينعدم التعليم الحر في الإقليم، وتنزل فيه نسبة الاطفال (5 و19 سنة) إلى أقل مستوى 32.9 ٪ عند الذكور و11 ٪ عند الانات) ويشمل التعليم 390 تلميذا في مؤسسات التكوين المهني و9124 تلميذ في المؤسسات الثانوية : أربع ثانويات في واويزغت وأزيلال ودمنات وأفورار، وسبع إعداديات : في أزيلال (اثنتان) وبزو وفم الجمعة وواويزغت وافورار ودمنات.

قسم الخرائط، *خريطة إدارية لإقليم أزيلال*، 1/250.000، الرباط 1978 ؛ مديرية الاحصاء، *السكان القانونيون بالمغرب حسب الإحصاء العالم للسكان والسكن*، الرباط، 1960، 1971، 1982 ؛ مديرية الإحصاء، *النشرة الاحصائية السنوية للمغرب*، الرباط، 1987.

M. Ayad, A. Sijilmassi et A. Benabdeljalil, *Etudes des architectures régionales, région du centre*, M.H.A.T, Rabat, 1985, 2t. ronéo ; C.E.R.F, M.U.H.E, *Schéma d'armature rurale, région du centre*, Rabat, 1972 ; J. Dresch, *Migrations pastorales dans le Haut Atlas calcaire (Régions de Demnate et d'Ouaouizarht), in Mélanges géographiques Arbos* t. II, 1953 ; D. Noin, *La population rurale du Maroc*, 2t ; *Projet Azilal*, Rapport intérimaire, M.A.P.A, F.A.O, PNUD, Rabat, 1986, 2t. ronéo.

مصطفى عياد

أزيّات، محمد بن عبد الله بن موسى، يدعى الفقيه قاضي القصر الكبير. كل ما نعرف عنه هو ما أخذه صاحب *نشر المثاني* عن كتاب *مرآة المحاسن* لمحمد العربي الفاسي، أو عن *ابتهاج القلوب*.

ويظهر أن الفقيه محمد أزيات من أسرة الزيّاتيين الذين جاؤوا من تلمسان أواخر القرن السابع وبداية الثامن للهجرة. ولو أنه من الصعب ضبط ذلك. لأن الزياتيين يحملون التسمية بصيغتها العربية (الزياتي) بينما يحمل صاحب الترجمة نفس التسمية على الصيغة البربرية. لكن ما هو معروف هو أنه عاش بالقصر حيث كان قاضيا لمدة طويلة، ورافق الشيخ أبا المحاسن الفاسي عندما كان هذا الأخير بالقصر. وتذكر المصادر التاريخية أن أبا المحاسن هذا كان قد زوج ابنته لأحد الزياتيين وهو أبو الطيب الحسن والد عبد العزيز صاحب كتاب *الجواهر المختارة*. وقد جاء في *مرآة المحاسن* أنه كان يحضر، رفقة أبي العباس أحمد بن العالم الصالح أبي الحسن علي، عند شيخهما معا أبي الطيب الحسن بنمهدي، وحسب شهادة أبي العباس فإن أبا عبد الله كان يستقبل «القواد أهل الدولة» وكانوا يحضرون بكثرة في مجلسه، حتى إن أحمد بن علي هذا، أي صاحب الشهادة، كان لا يحبذ السلام عليه... حتى كشف صاحب الترجمة عن سبب علاقاته بأهل الدولة والقواد. وقد جاء في *المرآة* نص كلامه :" لا تَعُدْ إلى البعد منا فإن لك حقا وأولئك الذين رأيت أهل بعد عن الحق، فإن قابلتهم بالغلظة انفضوا وزادوا شروداً عن جانب الله... ».

وقد عايش صاحب الترجمة حادثة تمكين محمد الشيخ حصن العرائش للنصارى، ولم تذكر المصادر موقفه آنذاك. لكن الواضح من القصيدة الطويلة التي تركها (130 بيتا) حول فقدان مدينة العرائش يبين عدم رضاه عما وقع. وحسب صاحب *ابتهاج القلوب*، فإن له تآليفا في السير والتاريخ «بلغ في جزء منه إلى أخبار بني أمية والشرفاء بعد انتهاء مدة الحسن رضي الله عنه، قال في آخره «وكان الفراغ من نظمه وتأليفه عشية يوم الجمعة السادس والعشرين من المحرم فاتح ستة وعشرين بعد الألف. والغالب أنه لم يكمل وأنه مات بالقرب من تاريخه». لكن هذا يناقض ما جاء في *المرآة* من أن فقيه القصر توفي في الواحد والعشرين وألف 1021 حسب ما عثر عليه في إحدى التقاليد وهذا أصح.

م. ع. الفاسي، *مرآة المحاسن* ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. القادري، *نشر المثاني*.

محمد مزين

أزيّات محمد المفضل بن الحسن بن عبد الله ابن الحاج أحمد الخرشفي الحسني . أصله من بني جافن بقبيلة الأخماس، انتقل جده إلى شفشاون، وبها ولد محمد المفضل عام 1270 / 1860 بحومة الصبانين، وقد توفي والده وعمره بضعة أشهر، فلما كبر أرسلته والدته إلى أخواله أولاد المقدم بالأخماس حيث بدأ تعلمه، ثم انتقل إلى مدشر أغبالو، وثمة حفظ القرآن وأتقن رسمه وضبطه، تم عاد إلى مسقط رأسه شفشاون، فصادف خروج الشيخ عبد القادر بن عجيبة ـ في إحدى جولاته ـ إلى قبائل غمارة، فاصطحبه وتتلمذ له وكان من مريديه المخلصين. أخذ عنه ـ إلى جانب علم التصوف ـ العربية والفقه وسواهما، وتذكر بعض الروايات أنه قرأ عليه ألفية ابن مالك، ولما وصل إلى " النائب عن الفاعل " ـ قال له : يكفيك هذا، أنت نائب عن الفاعل . فكان له باع طويل في علوم العربية، وعلوم اللسان بعامة.

ولما توفي الشيخ ابن عجيبة سنة 1313 / 1895 تتلمذ لولده أحمد الأكبر وكان عالما عاملا، شهد له أهل عصره بالفضل والصلاح، ختم عليه تفسير البحر المديد لابن عجيبة الجد، وكان ينوب عنه في تسيير شئون الزاوية وفي أموره كلها، وعندما توفي سنة 1333 / 1914 خلفه في المشيخة، وأصبح له تلاميذ ومريدون بشفشاون وغمارة وسواهما.

يعد محمد أزيات خاتمة شيوخ التصوف بهذه الجبال، وكان إلى ذلك عالما أديبا فقيها مفتيا، وأُجبر على ولاية القضاء بقبيلة بني سعيد بإيعاز من الصدر الأعظم ابن عزوز التطواني، وكان يقدره ويعرف فضله وعلمه ... ومن غرائب الصدف أن نجد شيخا متصرفا يتولى خطة القضاء، ولذا كان يضرع إلى الله أن يدفع عنه البلاء، ولم يلبث أن استعفى فأعفي، على أنه لم يكن يرى نفسه أهلا لذلك، ومن شعره في هذا الصدد قوله:

لعمر أبيك ما افتقر القضاء
إلى مثلي وفي الدنيا بصير
ولكن الفهاهة حيث غالت
عقول القوم قادهم الضرير

وخلف آثارا علمية وأدبية، منها : *الكوكب النوري، في تنقيح الجمع الحقيقي والصوري* تحدث فيه عن الجمع بين الصلاتين على كلا المذهبين : مذهب أهل الظاهر، و مذهب أهل الباطن، ولعله أول تأليف له فرغ من كتابته عام 1298. وقفت على نسخة منه وعليها تقريظ ابن عجيبة ؛ *لبابة العقائد*، وهي منظومة في العقيدة الأشعرية؛ *رسالة في حقيقة الإنسان وأطواره* ؛ *رسالة في المشاهدات الربانية والتجليات الشيطانية*، رد فيها على بعض متفقرة العصر الذين خلطوا بينهما، فوقعوا في مهاوي الزندقة وحبائل الشيطان ؛ *مصة من التصوف*، حلّل فيها حديث : أين كان ربك قبل أن يخلق الخلق. توجد نسخة منها عند بعض تلاميذه بشفشاون ؛ *رسالة في السماع*، أورد فيها أذلة الإباحة وما ورد في ذلك من آثار وأقوال السلف ؛ *الزجر والاقماع، والنصح لذوي الاستماع، لمن استرعى حقوق الأمة فأضاع*، قصيدة على غرار منظومة ابن الوردي، ضمنها نصائح وحكما وإرشادات لمن ولاه الله أمر العباد ؛ مجموعة *رسائل* كان يوجهها من حين لآخر لتلاميذه بشفشاون يدعوهم فيها إلى الله ويشرح لهم آداب السلوك

وكيف يجب أن يكون الفقير مع الله ومع العباد.

توفي عام 1360 / 1941 عن سن تناهز التسعين.

م. أزيات نفسه، *كناش*، مخطوط، مؤلفاته ورسائله. ع. الكتاني، *فهرس الفهارس* ؛ أ. ابن الصديق، *التصوير والتصديق*، مخطوط؛ م. القلالوسي التطواني، *كناش*، مخطوط.

سعيد أعراب

أيت أسا، من خصوصيات تاريخ المنطقة التي ستنشأ أيت بها قبيلة أيت أَسَا أن الرواية الشفوية تتسع لتربط الحبشيين بالفنيقيين. هذا ماتدل عليه أنقاض فنيقس بتزگي سلام وأگادير ـ ن ـ فنيقس بفم الحصن. وتوكل الرواية إلى هذا الغور السكاني بالإضافة إلى إداوقيس مهمة شرب وتبادل الخمور التي كانت تنتجها كرومهم حول أنقاض إدألن. مهما يكن فإنه اعتباراً لمحتوى النصوص القديمة يغلب على الظن أن العنصر الحبشي هو أصل الغور المسمى حاليا بالحراطين. أما تحديد هوية إداوقيس الذين مازالت تشهد عليهم أنقاض أدروم (حوالي 2 كلم شمال أسا) وتيزگي الرمث حول وادي أسا، فيدعو إلى ربطهم بقبيلة إلميضن (لمطة) الصنهاجية. ولعل مما يدعو إلى تقبل هذه الفرضية أن المنطقة لم تعرف من الأسماء سوى ما معناه بالصنهاجية جبل النحاس ثم الثغرة (أسا) (V. Monteil, *Notes*, 17 ; *Chronique*, 82) نخلص من ذلك إلى أهمية المعطيات الشفوية على قلتها في استنطاق المعطى الخارجي للأحداث.

ننتقل بعد ذلك مرغمين مباشرة إلى سنة 130 هـ / 748 م حيث تسجل مدونة زاوية أسا وصول مؤسسها أحمد الشبكي كأول علم إسلامي. فقد استقر بتكردات على أمل استجابة إداوْقيس لندائه بدخول الدين الجديد. فهل نجحت الزاوية على قدَمها في إدْخال الإسلام إلى المنطقة ؟ الواضح خلال هذه الفترة أن المنطقة كانت استراتيجية من حيث موقعها التجاري بين مسالك الصحراء المتطورة يومئذ والمسالك الأطلسية.

لقد قام عبد الرحمان بن حبيب عامل إفريقيا ثلاث سنوات قبل وصول أحمد الشبكي من أرض الحجاز بحفر مجموعة من الآبار لعل أقربها إلى أسا هوبئر الجمالين كما سماه البكري. وهو يقع بمنطقة جبلية تسمي أزور تبعد عن تامدولت بمسافة يوم واحد (البكري : 165 ـ 296). ولعل من أهم الإشارات إلى أهمية الموقع هو وصول سيدي جعفر سليل أبي بكر الصديق إلى أسا صحبة زوجته وأبنائه وقطيعه من الإبل المتكون من 180 رأسا. على أن تدخل الكوارث الطبيعية في الحد من نجاح مأمورية الزاوية يبدو من بين تلميحات المدونة الكثيرة إلى ترادف الإبهامات. كما أن تغطية الأحداث بهذا الشكل لن تلبث أن تتضح مع هدم المسلمين قرى ومداشر إداوقيس سنة 500 هـ / 1107 م. وهو تعاطف واضح مع الموحدين على حساب المرابطين. فنحن نعلم أن بداية الحملات الموحدية قد انطلقت في هذه الفترة لتنتهي بأكبر حملة على يد أبي حفص القائد الأعلى للقوات الموحدية سنة 548 / 1153 (البيدق، *أخبار* : ...). وإذا علمنا بأن الجد الاسمي لتكنة بما فيها قبيلة أيت ... عثمان بن مندي عامل المرابطين على المنطقة. فإن موقف المدونة يظل مدعاة للاستغراب ما لم نستوعب العلاقة بين المدونة وظروف كتابتها.

تعد هذه المدونة من بين النماذج التي ظهرت مع زمن الموحدين. فمن خلال معالجة النص تتضح التحولات الانتقالية الكبرى التي ستعرفها الفترة. لقد تجلى دور تعريب أسماء القبائل والأشخاص والمصطلحات في أوجه الاقتباس المختلفة والمتشعبة. وهو جانب أساسي لفهم الفارق بين هذا النموذج ومصدر انطلاقه. لقد كتبها إعَزَّى ويهْدَى المؤسس الحقيقي لزاوية أسا والمؤطر لبنياتها سياسيا وحضاريا. بل أكثر من هذا، يعتبر إعَزَّى ويهْدَى الجد الأسمى لقبيلة أيت أسا والمصلح الديني الأَسمى الأول بالمنطقة.

إننا هنا أبعد من أن نقصد إلى التركيز على الأبعاد التاريخية لهذه المدونة. ولكننا نكتفي بذكر أهميتها كشهادة ميلاد قبيلة انبثقت من صميم التفاعلات الإثنية المحلية. فانطلاقا من وفاة إيعَزِّي ويهدى يوم فاتح ربيع الأول 726 / 1326، تقرر اعتبار الثاني عشر من نفس الشهر موسم رباطه وملتقى أتباعه (*المعسول*، 10 : 172). وتتجلى أهمية هذه النقطة في التركيز على الدور السياسي والتاريخي لأيت إعزَّى ويهدَى. ذلك أن تطورهم يفضي بنا حتما إلى تطور القبيلة. إن الأهمية التي تكتسيها حتى اليوم فصيلة إداومليل الأساسية لا تبرزعلى حقيقتها إلا من خلال تفصيل تجزءاتها. فأيت واعيان ينتمون تلقائيا إلى إداوقيس في حين تردها الرواية الشفوية إلى الحبشيين القدماء. هذا ما يمكن ملاحظته بخصوص أيت إدير من حراطين إيمي أوگادير. أما إيمگلاي وأنفاليس فينتمي الأولون إلى كنته والأخيرون إلى إلميضن (لمطة). حتى إذا صح أن إداوتيان من أصل معقلي كما تضيف الرواية الشفوية. فإن مجمل تجزءات الفصيلة يرتبطون بالماضي القديم.

ندرك بذلك دورهم كنواة تاريخية تجسد الثأر من الضغوط التي ولدها الامتزاج الإثني الذي سببته هجرة بني معقل والتفاعلات التي ولدها المد المسيحي. لقد طمع أيت إعَزَّى ويهدَى إلى التمتع بالسلطان الديني والدنيوي مبلورين بنيات القبيلة التي لن تأخذ صيغتها النهائية إلا خلال القرن السابع عشر.

غير بعيد عن زاوية أسا بنى أهل حمو أوعلي مسجد أسا لدى مقدمهم من تونس عبر إفران وتخاجيجت في بداية القرن السابع عشر. وقد أدخلوا معظم تجزءات إداومستر تحت حمايتهم. وللمزيد من التوضيح تؤكد الرواية الشفوية بأن أهل مسعيد أو سعيد ـ لغزونة يعتبرون فرعا من أهل بوجمعة أو مسعود القادمين أصلا من اكتاوة. أما فصيلة إداونگيت فتعتبر من جهتها تجسيدا لتحالف عدة وحدات

صنهاجية بالأساس خلال بداية القرن الثامن عشر. لقد تحالف أجواكين المتفرعون عن قبيلة تجكانت وأگوارير القادمون من مزهارة بتينيمون في منطقة الگورارة الجزائرية وأهل بوجمعة أو مسعود المتفرعون أصلا عن قبيلة مجاط ذات الفصائل والوحدات الموزعة بين قبائل الأطلس الصغير والساقية الحمراء.

من أهم خصوصيات هذه القبيلة أنها تمثل عصبة من التحالفات تحدد الصلات بين الوحدات المنشقة عن قبائل أخرى. ولايمكننا التأكد من هذه الميزة إلا إذا ركزنا على وحدة ترابها الفلاحي ومجالها الرعوي كأساس مادي يقوم عليه التحام تجزءات فضائلها أمام أي خطر خارجي. ففي إطار اتحادية تكنة التي تتكون من أيت الجمل وأيت عثمان تعتبر هذه القبيلة أكبرقبائل الاتحادية عددا وأهمها حجما وأبعدها توغلا في الصحراء. وتتميز أهميتها العسكرية بعدد محمييها من أولاد تيدرارين ولميار وتوبالت ولفيكات ومجاط وأولاد بوعطية وَتُرُكُزْ علاوة على بعض فصائل قبيلة الرگيبات كالقواسم وبعض الوحدات المرابطية الأخرى. ولا يستعصي لمس هذه الأهمية الاستراتيجية عن المدقق. ذلك أن انتقالها من لف إلى اللف الآخر يعتبر عملية تدعيمية هامة للمتحالفين معها. وتثبت إحدى وثائق أيت بلة أن انتماء أيت أسا إلى لف أيت عثمان قد وقع سنة 1299 / 1879. فقد جاءت خلافات القبيلة مع أيت لحسن الأساسية بلف أيت الجمل عامل دعم للف الآخر الذي وجد بذلك سنده الصحراوي المفتقد . وبالرغم من محاولات أبناء بيروك شيوخ قبيلة أيت موسى أو علي لاستدراك الموقف، فإن انفصام تحالف أيت أسا بلفها الأسبق يعد نتيجة لتناقض وظيفي فرضته الحتمية المكانية للحد من اختلال التوازن القائم قبل ذلك. هذا ما يمكن أن نلمحه من خلال اشتداد الصراع بين أيت أوسا وأيت لحسن وإزرگيين عبر المحور الساحلي.ويزيد من الدور العسكري والاستراتيجي لقبيلة أيت أسا انتصارها المتواصل على مجمل قبائل لفها الأول حتى سنة 1910. لقد تدخل الوجود الإسباني على المحور الساحلي للحد من هذه الهيمنة مضيفا بذلك إلى أهمية التحالفات المحورية بين الشرق والغرب. لقد أدى انفصال أيت أسا عن لف أيت الجمل إلى نزوحها التدريجي نحو الجهة الشرقية حيث عرفت علاقتها العدائية مع عريب وأيت عطا نوعا من التحسن.

ولا شك أن من بين الاشارات الدالة على أهمية أيت أسا العسكرية كون قبيلة الرگيبات بالرغم من تطور قوتها الحربية بشكل حاسم، اعتبرت من باب الصواب الالتزام بدفع الهدايا التقليدية لضيوفها من فصائل أيت أسا وتجزئاتها. كما أن من بين هذه الإشارات الدالة استمرارية الطابع العدائي بين القبيلة وأولاد دليم بوادي الذهب وأيت أمريبط كدليل على حساسية الصراع حول مراقبة المجال. على أننا لا ندري بالضبط ما هو السبب الذي جعل Furst يؤكد علي أن التطور العسكري للقبيلة لم يتم بصورة حاسمة إلا منذ تحالفها مع لف أيت عثمان (*Etude*, 2). فلربما كان الطابع الانعزالي للقبيلة بعيدا عن حليفاتها الجديدات المستقرات بمداشر وادي نون سببا في ضرورة الاعتماد على النفس.

على أن الطابع الترحالي المتميز لهذه القبيلة في إطار لفها لا يتناقض مع وجود بعض وحداتها بمدشري أُسا وعوينة أيت أُسا. لقد حدّد F. C. De La Chappelle مواطن ترحالها عموما في البطانة والساقية الحمراء جنوبا والفايجة الفاصلة بين سلسلة جبال باني والأطلس الصغير شرقا. فقطعان أيت أُسا توجد عادة في الإگيدي واصلة أحيانا إلى ما وراء وادي درعة. أما من الناحية الغربية فقد أدى انفصالها عن المحور الساحلي إلى اقتصار إبلها على الگعدة. ومما يدل على أن نمط العيش الترحالي يعتبر المقياس الأساسي لا الكلي، كون معدل حجم كل قطيع إبل يصل 100 رأس. هذا العامل لا يمنع حجم قطيع القبيلة من أن يكون أكبر قطعان قبائل تكنة الساحلية بمنطقة الحمادة. نرى إذن أيت أُسا لا ينتمون إلى كبار الرحل بالرغم من أن عدد خيامهم قد وصل حسب إحصائيات La Chappelle سنة 1934 إلى 1500 (*Les tekna* 97 ـ 8) وهنا لابد من الإشارة إلى أن الأراضي الفلاحية للقبيلة تحد في منطقة وادي درعة بمدشري أسا والعوينة. أما بمنطقة زيني فإن معادر أفرا حتى معدر كارا. أحد روافد الساقية الحمراء تظل مخصبة طول السنة. وتتعدد نقط استجمامهم بواحات أكناري بإموگاي وجنوب وادي درعة (100 ـ 99 La Chappelle) كما أن من بين الإشارات التي تميزهم عن كبار الرحل كالرگيبات مثلا هي عدم اقتصارهم الغذائي على منتجات تربية الإبل وغيرها من المواشي. فهم ملزمون دوما بتحصيل ما لا توفره فلاحتهم من حبوب بأسواق ومواسم وادي نون. ولاشك أن استغلال سبختي وادي درعة وتندوف كانت توفر لهم فائضاً في مادة المقايضة مضيفة إلى أهمية موقعهم الاستراتيجي فإذا كان ثلثا القبيلة يمارسون النجعات المحدودة، فإن أهمية مجالهم القروي تميز أهمية الثلث المتبقي حول عوينة أيت أُسا ووادي درعة ووادي نون. ففي مسار أفرا وغانيم وواد درعة تمتد الأراضي الصالحة للزراعة مضيفة إلى مميزات واحة أسا . هذه الأخيرة تتوفر حسب La Chappelle على 30000 نخلة (*Les tekna*, 54) وهكذا يكون بإمكان إداومليل وإداونگيت الانتشار نحو الجنوب بالنسبة للأوائل والشرق بالنسبة للأواخر. ولا ينبغي أن يفهم من هذه النقطة أن ما استأثر باهتمامنا هو جعل أيت أُسا قبيلة ذات خصوصيات متميزة على باقي قبائل الاتحادية. إذ من الإنصاف التذكيربأن الخصوصيات تختلف بين قبيلة وأخرى حسب عدة مؤشرات تتحكم في مقدرات القبائل وتحدد خصوصياتها المميزة.

م. المختار السنوسي، *المعسول*، 10 : 166 ـ 211 ؛ البكري، *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب* ؛ البيدق، *أخبار المهدي* ؛ م.

ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة : تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

P. Marty, *Les tekna du oued Noun in les tribus de la haute Mauritanie*, publications du comité de l'Afrique occidentale Française, 1915, 60-91 ; F.C. De La Chappelle, *Esquisse d'une histoire du sahara occidental* ; *Etudes, notes et documents sur le sahara occidental*, VIIe congrés de l'IHM, Hesperis, XI, 35-96, Paris 1930 ; Id, *Les tekna du S.O.Marocain, Etude geographique, historique et sociologique*, L'Afrique Française Bulletin du comité de l'Afrique Française et du comité du Maroc, 1934, p. 109 ; Le Capitain de Furst, *Etude sur la tribu des Aït Oussa*, Archives du service historique de l'Armée, 1939, 47 p. ; V. Monteil, *Notes sur les tekna*, IHEM, Notes et documents III, 1948, 59 p., Larose, Paris ; *Chronique de la zaouia d'Assa*, in *Melanges Mohammed El Fassi*, Université Mohammed V, 1967, 81-90.

مصطفى ناعمي

إسابيل الأولى، Isabel I وُلدت هذه الملكة الإسباينة المعروفة بإسابيل الكاثوليكية بمدينة مادريغال دي لاس طوريس يوم 22 أبريل 145 وتربت في أحضان والدها ملك قشتالة (Castilla) خوان الثاني (Juan II) المتوفى يوم 20 يوليوز 1454، وفي يوم 19 أكتوبر 1469 تزوجت بملك أراغون (Aragon) دون فيرناندو (Don Fernando) المعروف بالكاثوليكي. واعتلت عرش قشتالة على إثر وفاة أخيها من أبيها الملك أنْريكي الرابع (Enrique IV) يوم 12 ديسمبر، وهي التي استولت يوم ثاني يناير 1492 على آخر معقل للإسلام ببلاد الأندلس مدينة غرناطة، وفي يوم 31 مارس من نفس السنة أمرت بنفي جميع اليهود المقيمين ببلادها. وهي التي أعانت البحّار كريسطوفال كلومب (Cristobal Colon) على اكتشاف أمريكا، وفي عهدها استولى دوق مدينة سيدونيا على مدينة مليلة يوم 17 سبتمبر 1497.

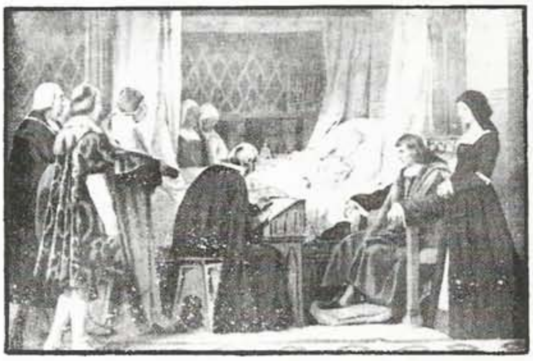

إسابيلا الكاثوليكية تملي وصيتها المشهورة على فراش الموت

وقد اشتهرت صاحبة الترجمة بعدائها للإسلام والمسلمين، ومن أجل القضاء على الوجود الإسلامي بالاندلس أنشأت محاكم التفتيش(Inquisiciòn) بإسبانيا سنة 1480. وذلك بعد أن حصلت على صك الباب سيكْسْطو الرابع (Sixto IV) يوم فاتح نوفمبر 1478.

ولم تكتف بذلك بل إنها أرادت أن تتعدى حملتها ضد الإسلام حدود بلادها، ومن أجل ذلك أصدرت يوم 12 أكتوبر 1504 وصيتها المشهورة التي أوصت فيها بنتها خوانا الحمقاء (Juana la loca) بمتابعة الحرب ضد المسلمين بالمغرب والعمل على احتلال الأراضي المغربية وتنصير سكانها.

وكانت وفاتها بمدينة ديل كامبو يوم 26 نوفمبر 1505، وتنفيذا لوصيتها دفنت بمدينة غرناطة.

J.B.H. Raymond, *Isabelle de Castille*, Paris 1869 ; E. Martinez de Velasco, *Isabel la Catolica*, Madrid 1883 ; I. Pluncket, *Isabel of Castile*, N York 1915 ; Juana Dieulafoy, *Isabelle la Grande*, Paris 1921 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, Tomo 28 ; Cesar Silio Cortes, *Isabel la Catolica*, valladolid 1938.

إسابيل الثانية Isabel II ولدت بمدريد يوم 10 أكتوبر 1830 واعتلت العرش الإسباني يوم 8 نوفبمر 1843 على إثر وفاة والدها الملك فيرناندو السابع Fernando VII وتزوجت بابن عمها الامير فرانتيسكو يوم 10 أكتوبر 1846.

وقد امتاز ملكها بكثرة الانقلابات العسكرية التي جرت بإسبانيا في عهدها لدرجة أنه على إثر أحد الانقلابات تم خلعها ونفيها من بلادها يوم 26 سبتمبر 1868 فتوجهت إلى باريس وأقامت هناك تطالب بعرشها إلى أن أُرغمت على التنازل عنه لصالح ولدها الملك ألفونصو الثاني عشر Alfonso XII يوم 26 يونيو 1870.

إسابيلا الثانية ملكة اسبانيا
في عهدها أعلنت إسبانيا الحرب على المغرب .

هذه الملكة هي التي جعلها الجنرال أودونيل O'donell تعلن الحرب ضد المغرب يوم 22 أكتوبر 1859 حيث قيل عنها إن القدر أراد أن يجعل منها أداة فعالة لتنفيذ وصية نظيرتها الملكة إيسابيل الأولى Isabel I التي أوصت بمحاربة المغرب واحتلال اراضيه وتنصير سكانه.

ولم تتردد صاحبة الترجمة في وضع مجوهراتها بيد الحكومة العسكرية لتُصرف قيمتها في مآرب الحرب المغرب. واعترافاً لها بالجميل قرر الجنرال المذكور أن يتم غزو المغرب انطلاقا من سبتة في اليوم الذي تحتفل فيه الكنيسة بيوم القديسة إيسابيل Santa Isabel وهو يوم 19 نوفنبر.

توفيت صاحبة الترجمة بباريس يوم 9 أبريل 1904.

Castillo, *la guerra de Africa*, Madrid 1861 ; P. A. Alarcon *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid 1860 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, tomo 28, Servicio Historico militar, *Historia de la Campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981.

محمد ابن عزوز حكيم

أَسَاره ـ تُوراه، يبدو أن تأسيس منظمة تدعى " أساره ـ توراه"، بمدينة نيويورك بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بقليل يرجع إلى الاهتمام بإعطاء جماهير اليهود السفرديين، أي الذين يرجع أصلهم إلى بلدان البحر المتوسط، تكويناً دينيا متينا قائما على معرفة الشريعة المكتوبة والشفوية. ترأس المنظمة المذكورة، بمجرد تأسيسها، سفري سوري الأصل، اسمه إسحاق شلوم. وبعدها أنشأت منظمة "أساره ـ تُوراه" مدارس تابعة لها في بلدان الشرق الأوسط شرعت في أنشطتها بالمغرب، وذلك عام 1947.

إن اليهود الأرتودوكسيين الأمريكيين الذين أحسوا بحزن عميق بعد تدمير المراكز اليهودية في أوروبا الوسطى عامة، وبولونيا وليتيانيا بالخصوص، سعوا في الأواسط اليهودية المغربية التي نجت من النازية وباتت متشبثة أكثر من غيرها بالديانة اليهودية وبالتقاليد العتيقة ليعيدوا إنشاء مركز لاشعاع التعليم اليهودي الذي تقلص ظله في جهات أخرى من المعمور.

إلا أن مدرسة أساره ـ توراه أضحت مضطرة، شأنها شأن مدارس "التلموذ ـ تواره" الخاصة بالطوائف اليهويدية ومدارس إم ـ حابنيم، إلى تخصيص قسم من برامجها للمواد الغير الدينية مع تزايد مستمر في حصص هذه المواد والاستعانة بالتجربة والمساعدة الفعلية للرابطة الاسرائلية العالمية التي كانت مع ذلك تضمر لها عداء بينا (...).

بلغ عدد التلاميذ اليهود الذين كانوا يترددون عام 1951 على مدرسة أساره ـ توراه بالدار البيضاء، 650 تلميذاً موزعين على 15 فصلا، و4000 تلميذ مسجلين بـ 47 مؤسسة بالقرى. وكان التعليم الملقن في هذه المؤسسات الأخيرة، عبريا ودينيا لاغير.

أخذت أنشطة "أساره ـ توراه" تنمو بسرعة في المغرب وتشمل جميع مناطقه. مضت هذه المدارس في بدايتها تلقن تعليما يهوديا وعاما من المستوى الابتدائي ثم فُتحت أقسام دراسية فيما بعد لتلاميذ الطور الثانوي. وفي عام 1955، شرع بطنجة في تنظيم حلقات دراسية مستمرة لتكوين المعلمات وتأهيلهن لتدريس الدين اليهودي. وهكذا شهد المغرب لأول مرة في تاريخه، فتيات يهوديات يقمن بدراسة النصوص التوراتية والرِّبية ويكتسبن معرفة جيدة في اللغة العبرية.

تأسس كذلك بطنجة، سنة 1957، "كوليل" (أي مدرسة عليا تلمودية) الهدف منه تكوين أطر "أساره ـ توراه" حتى يمكن تأهيلهم لقيادة أنشطة هذه المؤسسة في المدن المغربية الأخرى التي كانت توجد بها مدارس ابتدائية وثانوية تهيء تلاميذها إلى شهادة دراسات الطور الأول وإلى البكالوريا مع تلقيهم تكوينا دينيا تقليديا.

يبلغ اليوم عدد تلاميذ المدارس اليهودية 600 بالدار البيضاء، و150 بين مراكش وفاس، ويدخل في هذه الأعداد، تلاميذ، "اتحاد ـ المغرب".

وكلما تقلص عدد التلاميذ في مركز من المراكز، تأسست فيه جمعية ادارية وتربوية لتسيير المدارس، وهي الجمعيات التي أنشأها " اتحاد ـ المغرب " و"أتزار حبرة ". هكذا تزاول اليوم مدارس مكناس وفاس ومراكش أنشطتها تحت هذه الرعاية المزدوجة.

كلود سلطان

إسافَنْ، معناها : الأودية. قبيلة كبرى على السفح الجنوبي للأطلس الصغير شرقي أيت عبد الله، موطنهم على واد أقّا وهم في شمال شرقي قرى أقا، ويسمى ذلك الوادي عندهم واد إسافّن. وهم بأعلاه تربطهم ممرات طبيعية بواحات باني وبتارودانت ووادي سوس، ويقام سوق إسافّن قريباً من قمة الأطلس الصغير .

تذكر روايات تاريخ أهل إسافّن أن أحد أنبياء بني إسرائيل وهو حزقيال نزل عندهم بعد طرد اليهود على يد بوختنصر، ويذكرون كذلك أن أصل عدد من سكان القبيلة هاجروا من تامدولت بعد خرابها.

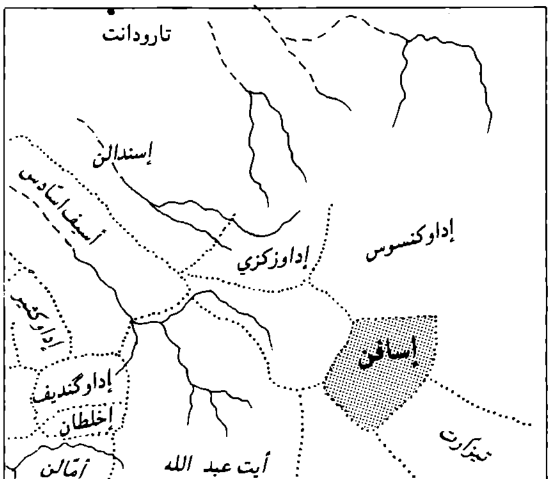

موقع إسافن

أيت **إسافّنْ**، كانوا في عهد السلطان مولاي الحسن يعد مجندوهم بأربعمائة بندقية، وكانوا من لف تاگيزولت، وبلدهم هضاب بين واد أولْغاس وواد تازروالت وهم على غير وفاق مع رؤساء تازروالت، وكان مجلسهم الأعلى يتكون من عشرة من إنفلاس لكل أفوس (يد) أو فرقة. وهم فرقتان أيت جرود وأيت تسليتن، وكانت لهم خدمة

لسيدي مسعود البونعماني من قبيل أيت إبراهيم، ويعطون أعشار غلاتهم لطلبة مدرسة هذا الأستاذ.

D. J. Meunié, *Le Maroc Saharien*. A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest Marocain*, Paris 1891.

أسَاكا، وادٍ بالصحراء المغربية، عنده وقعت معركة رد فيها المغاربة محاولة إسبانية غازية تستهدف إقامة تحصينات عند مصب أساكا قادها على رأس أربعمائة جندي من جزر كناريا الحاكم العام لإفريقيا ألونثو فيرنانديث دي لوگو Alonso Fernandez de Lugo وذلك عام 1500. وكان الإسبانيون قد خططوا لإقامة ثلاثة من المراكز المحصنة في الشاطئ المغربي المقابل لجزر كناريا تعزيزاً لمركز سانطاكروز. وقد تصدى له سكان القبائل فترك في قتالهم ثلاثمائة من رجاله ونجا مع مائة آخرين لان أهل بوعيدة من تگاوست ساعدوه إلى أن ركب سفنه في

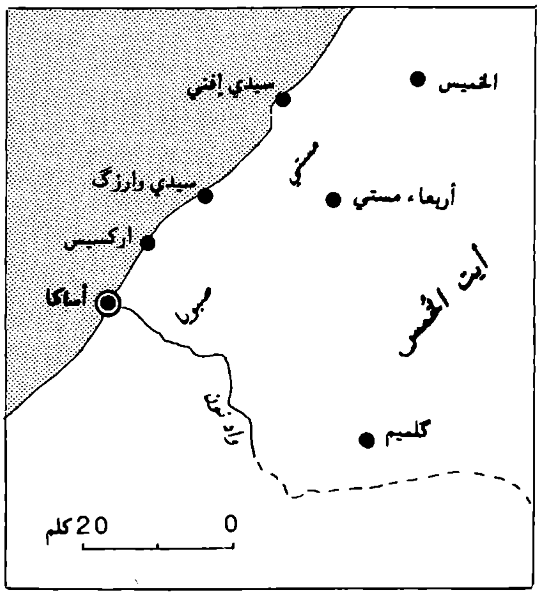

سانطا كروز والتحق بكناريا، وقد رفض التاج الإسباني تعويضه عن الخسائر وترتب عليه دين كبير بعد هزيمته النكراء.

T. Hodges, *Historical Dictionary*.

أحمد التوفيق

إساگنْ - جغرافيا - اسم يطلق في السلسلة الوسطى لجبال الريف على عدد من المنخفضات العالية، يتعدى ارتفاعها ألف متر، وكثيرا ما تكون شاخصة فوق مستوى المجاري المائية المتعمقة. أكبرها وأهمها إساگنْ مركز كتامة الممتد على مسافة 4 كم من الشرق إلى الغرب و1،5 كم من الشمال إلى الجنوب، على ارتفاع متوسطه 1500 م. وتشرف على هذا السطيح سفوح جبلي دحدوح، إموفراغ غربا وجنوبا، بينما لا تتعدى القمم الشرقية 1600 م. شمالا ينتهي السطيح بأجراف تطل على أودية متعمقة تكون المجاري العالية لواد إورنگة، ويصل تعمق هذه المجاري إلى عدة مئات من الأمتار، أما السطيح نفسه فهو مستوى لا تعلوه إلا بعض التلال الصغرى المنعزلة ببضع عشرات الأمتار. والانبساط يفسر رداءة تصريف المياه، حيث يتحول إساگن في فصل الشتاء إلى مجال مغموربالمياه الراقدة.

هذا السطيح الشاخص فوق مستوى الشبكة المائية يعتبر تركة مرفولوجية دالة على سطح تحاتي جزئي قديم، تكون تحت مستوى أعلى القمم، في وقت لم تكن فيه المجاري متعمقة. هذه الطبغرافية القديمة نلاقي منها في ناحية كتامة عدة شواهد متناثرة على طول الطريق الرئيسية الشاون - الحسيمة، كلها على ارتفاع متقارب (1500 إلى 1600 م) جلها لم يحتفظ بأي بقايا رسوبية. لكن ارتفاعها بالنسبة لسيلان المجاري جعل المؤلفين (Maurer, *Les montagnes du Rif Central*) يخلصون إلى فكرة قدم هذه السطوح، بحيث اعتبروها تنتمي الى نهاية الميوسين، أي بعد الأزمة التكتونية المسؤولة عن التواء السلسلة، وقبل الحركات الانتهاضية العمودية التي عرفتها في نهاية الثلاثي وخلال الرباعي. ويعتبرون بأن هذه الحركات العمودية هي السبب في تعمق الشبكة المائية وبالتالي شخوص هذه السطوح في المجالات التي لم تمسها التعرية. إساگن اذن درجة تضاريسية انتقالية، بين القمم العليا وسيلان الأودية، أصلها تسطيح جزئي تم خلال الميوسين الأعلى، ثم تعمق للأودية فيما بعد ذلك.

لكن بخلاف السطوح الجزئية الصغرى، تمتاز إساگن كتامة بحفاظها على مجموعة من التوضعات، فانبساط السطح وامتداده جعلا منه مجال تراكم لمواد سفحية، ومواد نشر سيلية، وذلك عبر مراحل تطورية متعددة.

- أول مرحلة امتازت بتوضع عناصر حصوية وجلموذية مد ملكة نسبيا، داخل لياط أحمر أو مسمر، ترتفع فيه نسبة الطين، بينما تظهر فيه لطخات فاتحة مبيضة .هذا التوضع يغمر طبغرافية متموجة، تبرز وسطها بعض الاكمات الصغرى. ودملكة العناصر دليل على نقلها من طرف سيول هامة نازلة من سفوح جبل دحدوح. لكن قصر المسافة يعني أن الدملكة اكتسبت خاصة بسبب تطورات كيماوية فسخية أفقدت الحصى زواياه الحادة. كما أن المقاطع المتطينة يظهر فيها الحصى متآكلا، محاطا بهالة مبيضة. ويعتبر المؤلف (Maurer) أن هذه المواد حصيلة نشر تم على إثر تفسيخ طويل استمر خلال نهاية الثلاثي وبداية الرباعي، كانت الظروف فيه تتسم بالعدوانية.

- المرحلة الثانية تم خلالها إرساب مواد فتاتية حادة تدل على تعرية عنيفة تقع فوق السفوح المشرقة. وتوضع هذه المواد كتلي بدون ترتيب وسط لياط احمر .

- أما المواد الحديثة فتمتاز بدقتها، وبتداخلها على شكل جيلين اقدمهما أحمر والأخر رمادي.

تراكم هذه المواد الرباعية المختلفة، يفسر عدم بروز الركيزة الصخرية ما عدا في الاكمات الناتئة. وهذا مايفسر

امتداد وكثافة الغطاء العشبي فوق السطيح، بينما السفوح تغطيها الغابة. وهذا كذلك ما يفسر أهمية الاستقرار البشري رغم قسوة الظروف المناخية.

G. Maurer, *Les montagnes du Rif Central, étude géomophologique*, Thèse d'Etat, Univ. de Paris, 1968.

عبد الله العوينة

إساڭن - تاريخ - يقع بقبيلة بني سدات، وإن كان البعض يظن أنه يوجد بقبيلة كتامة، وقد أطلق عليه الإسبان اسم يانو أماربيوLano Amarillo (السهل الأصفر) منذ أن بدأوا ينظمون به مناورات جيوشهم السنوية.

وبمناسبة المناورات التي جرت به في صيف سنة 1935 اتفق الضباط الاسبان على القيام بالانقلاب العسكري الذي أطاح بالجمهورية الإسبانية يوم 17 يوليوز 1936. ولتخليد تلك المؤامرة شيدوا بأساگن نصباً تدكارياأظل قائما هناك إلى أن استقل المغرب، وحينئذ تم فسخه ونقله إلى مدينة سبتة حيث أعيد تركيبه بأعلى جبل الميناء، ويعرف بنصب الحركة الوطنية.

ويوجد باساگن فندق سياحي يعرف بفندق كتامة.

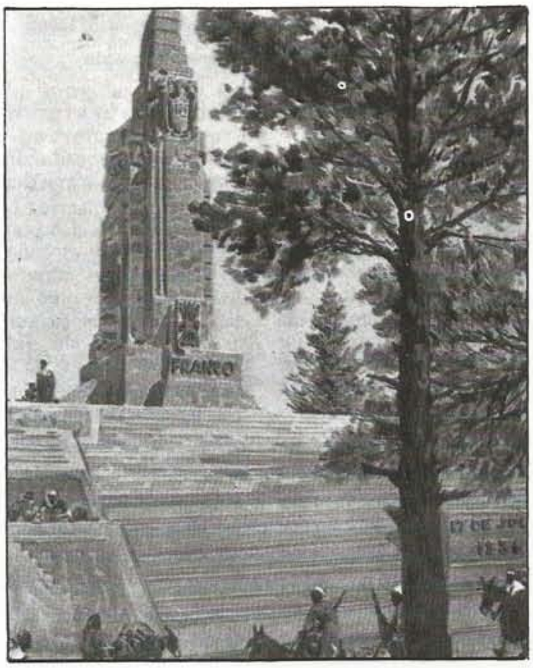

تمثال في سهل إساگن يذكِّر بانقلاب فرانكو

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* 1930 (G) p. 70 ; Domenech Lafuente (Angel), *Geografia de la zona Norte del Protectorado de Espana en Marruecos* 1942 p. 66 ; Cabello Alcaraz (J), *apuntes de geografia de Marruecos* 1951, p. 55.

محمد ابن عزوز حكيم

أسانا ← أناتيس

أسْبَاتي، عبد الله بن علال. ولد سنة 1925 بقصبة تادلا، وانضم الى المقاولة السرية بالدار البيضاء وعمل ضمن الفرقة التي كانت تحت مسؤولية المهدي الهرموشي مقدم المقاطعة السابعة. وقد كافح بكل اخلاص، وأنجز عدة عمليات فدائية من بينها وضع القنابل ونقلها بين تادلا وبني ملال ووادي زم إلى أن ألقي عليه القبض واستشهد تحت التعذيب سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

إسبانيا والمغرب، كان للمعركة التي انتصرت فيها قوات قشتالة (Castilla) على القوات المغربية بوادي الملح (Rio Salado) بالقرب من مدينة طريف (tarifa) الأندلسية يوم 8 جمادى الأولى 741 / 30 أكتوبر 1340 أثر فعال في العلاقات التي كان من المفروض أن تكون قائمة بين الدولة المغربية والدولة الإسبانية بعد أن تتمكن قشتالة من استكمال وحدتها الترابية بالقضاء على مملكة غرناطة المسلمة، بعد أن تخلت الدولة المغربية عن آخر معقل كانت تحتفظ به في أرض الأندلس وهو مدينة جبل طارق.

ومما لاشك فيه أنه بانسحاب القوات المغربية عن جبل طارق سنة 775 / 1374 أصبحت أرض المغرب عرضة للأطماع المسيحية، الإسبانية منها والبرتغالية، إلا أن الدولة الإسبانية لم تكن قادرة آنذاك على غزو المغرب بحكم خوضها غمار الحرب ضد المسلمين بالأندلس، فتولت هذه المهمة الدولة البرتغالية التي كانت قد استكملت وحدتها الترابية على إثر انتصارها على قشتالة في معركة الخوباروطا (Aljubarrota) يوم 7 رجب 787 / 14 غشت 1385.

انتظرت البرتغال إلى أن أصبحت الدولة المرينية تلفظ أنفاسها الأخيرة لتعمل على تنفيذ مخططها الرامي للقضاء على المغرب، حيث قام الملك البرتغالي خوان الأول (Juan I) بتنظيم أول حملة صليبية استهدفت أرض المغرب وانتهت هذه الحملة بسقوط مدينة سبتة بيده يوم 14 جمادى الثانية 818 / 21 غشت 1415.

وقد تلت هذه الحملة الصليبية حملة ثانية مكنت البرتغال أيضا من الاستيلاء على مدينة القصر الصغير يوم 14 ذي الحجة 862 / 23 أكتوبر 1458 ثم كانت الحملة الثالثة التي انتهت باحتلال مدينتي أصيلا وطنجة في يومي 7 و 11 ربيع الأول 876 / 24 و28 غشت 1471 في الوقت الذي كانت فيه الدولة المرينية قد انتهى أمرها .

لم تستطع الدولة الوطاسية الفتية أن تحول دون تنفيذ المخطط المسيحي بأرض المغرب خصوصا بعد أن أصبحت الدولة الإسبانية تشارك جارتها البرتغال في تنفيذه لما قضت على مملكة غرناطة المسلمة يوم فاتح ربيع الأول 897 / 2 يناير 1492، وكانت أول بقعة احتلها إسبانيا بأرض المغرب هي الأرض الواقعة بقرب مصب وادي الشبيكة بشاطئ المحيط الأطلسي والتي شيد بهاالإسبانيون سنة 881 / 1476 برجا أطلقوا عليه اسم سانطاكروث ذي ماربيكينيا (Santa Cruz de Mar Pequenã) أي الصليب المقدس للبحر الصغير، وبعد 21 سنة تمكنت من الاستيلاء

على خرائب مدينة مليلية في ليلية 19 محرم 903 / 17 سبتمبر 1497. هذا الاعتداء الإسباني على التراب المغربي الذي تقول عنه جميع المصادر الإسبانية إن سببه يرجع إلى أمرين : الأمر الأول الانتقام من العمل الذي قام به القائد المغربي طارق بن زياد عند احتلاله لأرض إسبانيا سنة 92 / 711، والأمر الثاني القضاء على القرصنة التي بدأ يستفحل أمرها بعد أن لجأ إلى الشاطئ المغربي الموالي لإسبانيا آلاف المسلمين الذين فروا بدينهم من أرض الأندلس وصاروا ينتقمون ممن طرودهم من ديارهم .

ومما يؤكد ذلك الوصية المشهورة التي أملتها الملكة الإسبانية إسابيل الكاثوليكية (Isabel la Catolica) يوم 3 جمادى الأولى 910 / 12 أكتوبر 1504 وقد جاء فيها :

"وصيتي إلى الأميرة ابنتي وزوجها الأمير وإلى من يأتي بعدهما أن يعملوا على متابعة الجهاد المقدس ضد الكفار بأرض إفريقيا (أي المغرب) ونشر ديننا الحنيف بين سكانها ".

وتعترف جميع المصادر الإسبانية أنه قد أصبح أمر تنفيذ الوصية المذكورة من أهم مهمات زوج إيسابيل الكاثوليكية الملك فيرناندو الكاثوليكي (Fernando el Catolico) وبنته خوانا الحمقاء (Juana la loca) وكذلك جميع الملوك الإسبانيين الذين تعاقبوا على عرش إسبانيا واعتبروا الوصية أمانة في عنقهم يجب عليهم تنفيذها، بدليل أنه إلى عهد قريب كان رئيس الدولة الإسبانية الجنرال فرانكو (Franco) ينادى هو الآخر بوجوب تنفيذ تلك الوصية إلى آخر يوم في حياته .

وهذا ما جعل علاقات إسبانيا بالمغرب منذ بداية القرن السادس عشر الميلادي إلى يومنا هذا يهيمن عليها شبح الوصية المشؤومة، والسبب في ذلك هو الاحتلال الإسباني للجيوب التي لازالت تحتلها بشمال المغرب، هذا الاحتلال الذي ظل طيلة خمسة قرون يكوِّن حجرة عثرة تحول دون أن تكون تلك العلاقات على نمط العلاقات التي يجب أن تكون بين دولتين وشعبين متجاورين، خصوصا وأن الاعتداء الإسباني على أرض المغرب لم يكن يستهدف فقط الاستيلاء على الأرض بل إن الأمر كان يعني كذلك تنصير المغاربة والقضاء على دينهم ولغتهم وشريعتهم .

هذه الغاية التي كانت إسبانيا تتوخاها من احتلالها لمدينة غساسة يوم 24 ربيع الثاني 912 / 13 سبتمبر 1506 وجزيرة بادس والقلعة المجاورة لها يوم 24 ربيع الأول 914 / 23 يوليوز 1508، وإن لم تستطع إسبانيا الاستيلاء على مدن وجزر مغربية أخرى فذلك لأن البرتغال كانت لها بالمرصاد بدعوى أن "حق" احتلال المملكة المغربية كان البابا قد اعترف لها به في عدة صكوك أصدرها لصالح البرتغال دون غيرها من الدول المسيحية، بما في ذلك دولة إسبانيا .

على أن هناك شيئا آخر حال دون تمكن الإسبانيين من تنفيذ وصية إيسابيل الكاثوليكية وهو أنه في الوقت الذي أصبحت فيه إسبانيا قادرة نوعا ما على تحقيق فكرة إيسابيل حلت بالمغرب محل الدولة الوطاسية دولة جديدة هي الدولة السعدية التي برهنت على عظمتها وقوتها باسترجاعها جل الجيوب التي كانت تحتلها البرتغال بالشاطئ المغربي الموالي للمحيط الأطلسي، حيث لم يبق بيد البرتغال هناك سوى مدينة ما زاگان (الجديدة)، كما برهنت على قوتها عندما قضت على أحلام الملك البرتغالي دون سيباستيان (Don Sebastian) في معركة وادي المخازن يوم 30 جمادى الأولى 986 / 4 غشت 1578.

وكان في استطاعة المغرب آنذاك أن يصفي حساباته مع اسبانيا لو أعار السلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي الجيوب المحتلة من طرفها قليلا من الاهتمام، لكنه أهملها وأتاح لإسبانيا فرصة ضم كل من سبتة وطنجة إلى الجيوب الأخرى التي كانت تحتلها في شمال المملكة.

صحيح أن المنصور الذهبي كان مشغول البال بالخطر العثماني الذي كان يهدد مملكته وكان يسعى إلى أن تكون علاقته مع جاره الملك الإسباني فيليب الثاني Felipe II علاقة ودية إن لم نقل أنه كان يفكر في التحالف معه ضد الأتراك في حالة ما إذا تعرضت بلاده إلى هجوم عثماني. وصحيح كذلك أنه في نفس الوقت كان المنصور الذهبي يتفاوض أيضا بصفة سرية مع ملكة بريطانيا العظمى الملكة إليزابيت (Elisabet) على أساس إبرام حلف ضد إسبانيا، ومن أجل ذلك كان العاهل المغربي يساعد في الخفاء الأمير البرتغالي دون أنطونيو (Don Antonio) على استرجاع عرش بلاده والذي كانت الملكة البريطانية تناصره هي الأخرى ضد الملك الإسباني الذي استولى علي عرش البرتغال بالقوة.

ولم يكن ملك إسبانيا بغافل عن ذلك الأمر حيث نجده هو الآخر بتفاوض مع المنصور الذهبي ويحتفظ في بلاده بالأمير المغربي مولاي الناصر أخ السلطان المتوكل الذي لقي حتفه بمعركة وادي المخازن بجانب دون سيباستيان، والدليل على ذلك هو أنه عندما تيقن فيليب الثاني من عدم صدق علاقة المنصور الذهبي معه، ساعد مولاي الناصر على إشعال نار الفتنة بالشمال الشرقي من المملكة انطلاقا من مدينة مليلية .

وانتهت هذه المرحلة بوفاة فيليب الثاني سنة 1006 / 1598 وبوفاة المنصور الذهبي سنة 1012 / 1603 حيث حل محل العاهل الإسباني ولده فيليب الثالث (Felipe III) في حين تنازع أبناء المنصور على الملك وكان من بينهم محمد الشيخ المامون الذي انتهى به الأمر إلى اللجوء إلى فيليب الثالث يطلب منه مساعدته ضد أخيه زيدان، ومن أجل ذلك توجه الشيخ إلى إسبانيا وهناك وقَّع مع العاهل الإسباني يوم 9 جمادى الثانية 1018 / 9 سبتمبر 1609 اتفاقية تعهَّد فيها بتسليم مدينة العرائش مقابل إمداده بالسلاح والمال، وعاد الشيخ إلى شمال المغرب حيث سلم المدينة المذكورة إلى رئيس الأسطول الإسباني يوم 4 رمضان 1019 / 20 نوفمبر 1610 وكان ذلك سبب مقتله بالمكان المعروف بفج الفرس.

كان هذا الاعتداء الاسباني الجديد على التراب المغربي سببا في الموقف العدائي الذي اتخذه السلطان مولاي زيدان من الدولة الإسبانية حيث نجده يحث القراصنة المغاربة على الجهاد البحري ضد السفن الإسبانية والشواطئ الواقعة بجنوب إسبانيا، وذلك من أجل مساعدة الموريسكوس (Moriscos) على الثورة ضد فيليب الثالث الذي اضطر إلى إقامة مايزيد عن أربعين برجا للمراقبة على طول الشاطئ الجنوبي من بلاده، بل إنه تمكن من الاستيلاء على مدينة المعمورة (المهدية) يوم 29 جمادى الثانية 1023 / 6 غشت 1614.

وظلت العلاقات المغربية الإسبانية على هذا الحال إلى أن حلت الدولة العلوية محل الدولة السعدية واعتلى عرش المغرب السلطان مولاي إسماعيل سنة 1082 / 1672، هذا يعني أنه لم يكن هناك أي اتصال تجاري أو غيره بين الشعبين الإسباني والمغربي بدليل أنه لم يكن مسموحا لأي مغربي أن يطأ أرض إسبانيا دون تعرضه للأسر أو القتل. وأما بخصوص الإسبانيين فقد كان البعض منهم يلتحق بأرض المغرب (خصوصا الفارين منهم من الجيوب المحتلة) معلنين اعتناقهم لدين الإسلام، كما كان يسمح للقسيسين الإسبان بدخول أرض المغرب بحجة الاعتناء بشؤون الآلاف من الأسرى الإسبانيين الموجودين في البلاد وخاصة في تطوان وسلا ومكناس.

وازدادت هذه الحالة تفاقما عندما اعتلى عرش المغرب السلطان مولاي إسماعيل واحتلت إسبانيا جزيرة النكور يوم 15 جمادى الأولى 1084 / 28 غشت 1673 حيث أمر العاهل المغربي بإنشاء جيش المجاهدين من رجال الريف وعهد إليهم بأمر محاصرة الجيوب التي كانت بيد إسبانيا (المهدية والعرائش وسبتة وجزيرة بادس والقلعة المجاورة لها وجزيرة النكور ومدينة مليلية) ومدينة طنجة التي كانت تحتلها إنكلترا ومدينة مازاكان (الجديدة) التي كانت بيد البرتغال.

وتمكن الجيش المذكور من استرجاع مدينة المعمورة يوم 11 ربيع الثاني 1092 / 30 أبريل 1681 ومدينة طنجة يوم 18 صفر 1095 / 5 فبراير 1689 ومدينة العرائش يوم 28 محرم 1101 / 11 نوفمبر 1689 وقلعة بادس يوم 3 رمضان 1113 / فاتح فبراير 1702، كما قام بمحاصرة مدينة سبتة للمرة الأولى من سنة 1084 / 1673 إلى 1100 / 1689 وللمرة الثانية من يوم 3 ربيع الأول 1106 / 22 أكتوبر 1694 إلى يوم 14 رجب 1139 / 7 مارس 1727.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من عدم وجود أي اتصال بين الشعبين المغربي والإسباني خلال هذه الفترة فقد كانت هناك مراسلات ودية ، بل وسفارات بين مولاي إسماعيل والملك الإسباني كارلوس الأول Carlos I، وسبب ذلك يرجع إلى أمر تحرير الأسرى الإسبانيين (الذين تكاثر عددهم بالمغرب على إثر استرجاع المعمورة والعرائش) والأسرى المسلمين (بعضهم مغاربة) الذين كانوا بإسبانيا، ومن أجل ذلك توجه سنة 1102 / 1690 إلى مدريد أول سفير مغربي وطئ أرض إسبانيا هو محمد الغساني، كما جاءت إلى المغرب عدة سفارات إسبانية تمكنت من تحرير عدد كبير من الأسرى.

وباعتلاء السلطان محمد بن عبد الله عرش المغرب سنة 1171 / 1757 أصبحت العلاقات المغربية الإسبانية تكتسي صبغة سلمية لم يسبق أن عرفتها من قبل أي منذ أربعة قرون، حيث فتحت أبواب المغرب وإسبانيا في وجه التجارة والملاحة بين الشعبين، خصوصا بعد أن استقبل الملك كارلوس الثالث Carlos III السفير المغربي أحمد الغزال واستقبل سيدي محمد بن عبد الله السفير الإسباني خورخي خوان (Jorge Juan) فيما بين سنة 1178 و1180 / 1765 و 1767 وكانت النتيجة أن أبرمت أول معاهد صلح وتجارة وملاحة بين البلدين وذلك بمراكش يوم فاتح محرم 1181 / 28 ماي 1767 وبمقتضاها فتحت إسبانيا أول قنصلية عامة لها بالمغرب وكانت بالعرائش والقنصل طوماس بريموند Tomas Bremond هو الذي أشرف على تنفيذ الاتفاق الذي بمقتضاه أصبحت إسبانيا تحتكر صادارت الحبوب من ميناء الدار البيضاء إلى الخارج.

غير أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان يرى بحق أن السلم بين المغرب وإسبانيا لايمكن أن تكون على حساب الجيوب المغربية المحتلة من طرف إسبانيا لأنها تكوِّن جزءاً لايتجزأ من التراب المغربي، وحيث إنها أُخذت بالقوة فللمغرب الحق الكامل في استرجاعها كذلك بالقوة دون أن يعتبر عمله هذا مناقضا للسلم المتفق عليه في معاهدة مراكش.

وبناء على ذلك قرر العاهل المغربي القيام بعملية تصفية الحساب مع الاستعمار البرتغالي المتمثل في آخر معقل كانت تحتله البرتغال بأرض المغرب وهي مدينة مازاكان (الجديدة) وتم له ذلك باسترجاعها يوم 3 ذي القعدة 1182 / 11 مارس 1769.

وفي يوم 15 رجب 1188 / 21 سبتمبر 1774 وجه إلى الملك الإسباني كارلوس الثالث رسالة يخبره فيها يعزمه الأكيد على استرجاع الجيوب المحتلة من طرفه بشمال المملكة، وكان رد فعل العاهل الإسباني أنه أعلن الحرب على المغرب يوم 17 شعبان 1188 / 23 أكتوبر 1774، الشئ الذي لم يحل دون أن يقوم سيدي محمد بن عبد الله بمحاصرة مدينة مليلية بنفسه من يوم 5 شوال 1188 / 9 ديسمبر 1774 إلى يوم 13 محرم 1189 / 16 مارس 1775. غير أن هذا الحصار لم يأت بأية نتيجة لسببين :

الأول الأسطول المحمدي لم يشارك في الحصار لأسباب نجهلها، في حين أنه لو شارك لتمكن من الحيلولة دون تمكن الأسطول الإسباني من مدِّ يد المساعدة للمدينة المحاصرة التي استطاعت المدفعية المغربية أن تدكها دكا.

والسبب الثاني هو عدم وفاء داي الجزائر بالوعد الذي كان قد قطعه على نفسه بمحاصرة الإسبانيين بمدينة وهران

في نفس الوقت الذي كان السلطان يحاصر مدينة مليلية.

واضطر سيدي محمد بن عبد الله إلى التخلي عن مشروعه إلى حين حيث سعى إلى استئناف علاقته الودية مع الملك كارلوس الثالث فارسل إليه السفير محمدابن عثمان الذي وقع بأرانخويث (Aranjuez) معاهدة الصداقة ليوم 26 جمادى الأولى 1194 / 30 ماي 1780. وبعد سنتين حل بالمغرب السفيرالإسباني ساليناس (Salinas) فعادت التجارة والملاحة بين البلدين إلى ماكانت عليه منذ سنة 1178 / 1765.

وعندما اعتلى عرش المغرب مولاي اليزيد وتربع على عرش إسبانيا الملك كارلوس الرابع توترت من جديد العلاقات بين البلدين وذلك على إثر الموقف الذي اتخذه السلطان من الاحتلال الإسباني للجيوب المغربية، حيث إنه جعل من تصفية الاستعمار بها شرطا أساسيا لتجديد معاهدة الصلح المبرمة سنة 1181 / 1767 وليبرهن عن عزمه الأكيد في استرجاع الجيوب المذكورة قام بمحاصرة مدينة سبتة طيلة المدة القصيرة التي قضاها على العرش ، وكان رد فعل العاهل الإسباني أنه أعلن الحرب ضد المغرب يوم 19 ذي الحجة 1205 / 19 غشت 1791. ورغم أن حالة الحرب دامت تسع سنوات فإنها لم تحل دون استمرار التجارة والملاحة بين البلدين، بدليل أن الجالية الإسبانية المقيمة بالموانئ المغربية ظلت تتجر بها في الوقت الذي غادر القنصل العام الإسباني مدينة طنجة، كما استمرت الجالية المغربية المقيمة بالموانئ الإسبانية كما كانت من قبل، بل صادف الحال عند إعلان الحرب وجود السفير المغربي محمد ابن عثمان بمدريد فظل هناك مدة طويلة إلى أن قتل مولاي اليزيد وبويع أخوه مولاي سليمان سلطانا على المغرب.

كان أول عمل قام به مولاي سليمان هو تصفيه جو العلاقات مع إسبانيا حيث بعث له الملك كارلوس الرابع سفيره خوان مانويل كونثا ليث سالمون (Juan Manuel Gonzalez Salmon) وأبرمت معاهدة مكناس ليوم 24 رمضان 1213 / فاتح مارس 1799. والتي اعتبرتها الدبلوماسية الإسبانية بمثابة "أكبر معلمة في تاريخ العلاقات الإنسانية".

ولم تمر على المعاهدة المذكورة سوى ثلاث سنوات حتى عاد البلاط الإسباني إلى التفكير في بسط نفوذه على أرض المغرب، ومن أجل ذلك أرسل إلى طنجة المغامر الإسباني دومينكو باديا (Domingo Badia) الذي جاء متنكرا في صفة أمير عثماني اسمه بديع ابن عثمان العباسي، وكانت مأموريته تستهدف الاتصال بالعناصر المغربية المعادية للسطان مولاي سليمان والاتفاق معها على مدّ يد المساعدة لها في ثورتها ضد السلطان على أساس أن تلتزم بمساعدة إسبانيا على احتلال الجزء الشمالي من المملكة، غير أن المغامر انكشف أمره واضطر إلى مغادرة المغرب قبل أن يلقى عليه القبض، وذلك سنة 1218 / 1803.

وبالرغم من أن العاهل المغربي كان على علم تام بما كانت الحكومة الإسبانية قدْ فكرت فيه عند إرسالها للمغامر باديا، فإن مولاي سليمان فضل الوقوف بجانب العرش الإسباني عندما احتلت الجيوش الفرنسية أرض إسبانيا سنة 1223 / 1808 ثم تنصيب أخ نابليون (Napoleon) على عرش مدريد،حيث بعث الأمبراطور الفرنسي القبطان بوريل (Burel) إلى مكناس ليعرض على السلطان فكرة تسليمه الجيوب المحتلة من طرف إسبانيا مقابل الاعتراف بأخيه ملكا على إسبانيا، وكان جواب مولاي سليمان أنه من المستحسن أن ينتظر إلى أن يصفو الجو السائد بإسبانيا.

وفي عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام تميزت العلاقات المغربية الإسبانية بتعدد وتشعب المشاكل بين البلدين نتيجة للحوادث اليومية التي كانت تقع بين القبائل المجاورة وحاميات الجيوب المغتصبة التي أصبحت لاتطيق الحصار المضروب عليها منذ قرون، في الوقت الذي كانت ترى كيف أن الجيوش الفرنسية بمجرد ما احتلت عاصمة الجزائر في منتصف سنة 1830 تمكنت من توسيع رقعة احتلالاتها بالقطر الجزائري، فكيف يعقل أن تظل إسبانيا مكتوفة الأيدي وقواتها محاصرة داخل أسوار سبتة ومليلية طيلة مئات السنين وهي ترى الأسطول الفرنسي يقنبل مدينتي طنجة والصويرة والجيوش الفرنسية تنتصر على القوات المغربية في معركة إسلي سنة 1260 / 1844 في حين أن اسبانيا هي التي "لها وحدها حقوق تاريخية" للسيطرة على المغرب !.

هذا ما كان يفكر فيه المستبد بالحكم في إسبانيا الجنرال نارفايث (Narvaez) الذي أراد أن تستغل الحوادث العديدة التي تقع على الحدود الوهمية للجيوب المحتلة، فوجه إلى سلطان المغرب إنذارا في شهر ربيع الثاني 1260 / ماي 1844 يطالب بجعل حد لتلك المشاكل، وذلك بالموافقة على توسيع رقعة الأرض المحتلة في كل من سبتة ومليلية، ويهدد في الإنذار بأنه سوف يستعمل "لغة المدافع" في حالة ما إذا رفض السلطان طلبه.

وكان جواب مولاي عبد الرحمان الرفض بالرغم من أن الظروف الصعبة التي كانت تجتازها البلاد لم تكن تساعده على اتخاذ مثل ذلك الموقف، حيث إن الحكومة الإسبانية بدأت غداة توصلها بالجواب تقوم باستعدادات عسكرية هائلة وحشد قواتها بالموانئ الجنوبية بمقاطعة أندلسيا (Andalucia) غير أن بريطانيا العظمى لم تكن ترى بعين الرضى نشوب حرب في منطقة البوغاز حيث توجد قاعدتها بجبل طارق، وهذا ماجعلها تتدخل في النزاع القائم بين إسبانيا والمغرب وتفرض على المغرب أن يستجيب لبعض طلبات إسبانيا حيث وقعت يوم 10 شعبان 1260 / 25 غشت 1844 الاتفاقية التى بمقتضاها حصلت إسبانيا على توسيع رقعة الأرض المجاورة لمدينة سبتة والتي تم تحديدها يوم 24 رمضان / 7 أكتوبر وعلى إثرها أبرمت الاتفاقية النهائية ليوم 28 ربيع الثاني 1261 / 6 ماي 1845.

لم تضع هذه الاتفاقية حدا للمشاكل المترتبة على الوجود الإسباني بالجيوب المذكورة، خصوصا بعد أن قامت إسبانيا باعتداء جديد على التراب المغربي باحتلالها جزر كبدانه والبرهان يومي 29 محرم وفاتح صفر 1264 / 8 و6 يناير 1848.

وقد احتج السلطان على هذا الاعتداء السافر على حوزة الوطن حيث طالب بانسحاب القوات الإسبانية من الجزر المذكورة، ولكن الحكومة الاسبانية لم تكثف بعدم الاستجابة لذلك الطلب بل إنها عندما رأت فرنسا تنال مبتغاها على إثر قنبلة أسطولها لمدينة سلا في شهر محرم 1268 / نوفمبر 1851 قامت يوم 6 ربيع الأول / 30 ديسمبر بإعداد مخطط يستهدف غزو المغرب واحتلال أراضيه على غرار ما فعلته فرنسا بأرض الجزائر غير أن الحوادث الخطيرة التي وقعت بالشرق الأوسط عل إثر إعلان روسيا الحرب ضد تركيا حالت دون تمكن الحكومة الإسبانية من تنفيذ مخططها مؤقتا. ونقول مؤقتا لأننا نجدها تفكر في تنفيذه من جديد بعد ثلاث سنوات حيث بدأت تحشد قواتها بالموانئ الجنوبية من بلادها في شهر شعبان 1260 / ماي 1854، وجيمع القرائن تدل على أنها كانت عازمة على تنفيذ مخططها لولا وقوع الحركة الانقلابية التي جرت بمدريد يوم 2 شوال / 28 يونيو برئاسة الجنرالين أودونيل O'donnell ودولثي Dolci واستمر جو التوتر يسود العلاقات المغربية ـ الإسبانية طوال أربع سنوات أي إلى أن تمكن الجنرال أودونيل من السيطرة على الحكم في بلاده يوم 18 ذي القعدة 1274 / 30 يونيو 1858 في عهد الملكة إيسابيل الثانية Isabel II وفي الوقت الذي كانت فيه الحالة الداخلية بإسبانيا جد مضطربة حيث لم يكن في استطاعة الجنرال المستبد أن يسطير على الحالة الراهنة في بلاده إلا بصرف اهتمام الشعب الإسباني وشغله بحرب خارج الوطن وهذا مايفسر الإنذار الذي وجهه إلى السلطان يوم 14 ربيع الأول 1275 / 22 أكتوبر 1858 يطالب فيه بجعل حد للمشاكل القائمة على الحدود المصطنعة بمدينة مليلية وذلك بتوسيع رقعة الأرض المحتلة هناك على غرار ما حصل عليه الجنرال نارفايث Navarez بخصوص سبتة سنة 1261 / 1845.

ولم تكن حالة المغرب آنذاك تسمح للسطان مولاي عبد الرحمان بالوقوف في وجه إسبانيا، وهذا ما جعله يريد أن يوفر على مملكته هزيمة مماثلة لهزيمة إسلي في حالة ما إذا قامت إسبانيا بغزو التراب المغربي انطلاقا من مليلية أو سبتة، الشيء الذي يفسر إبرام المعاهدة الإسبانية المغربية ليوم 25 محرم 1276 / 24 غشت 1859 التي بمقتضاها تمت الموافقة على توسيع الأرض المحتلة بمليلية.

وأخطأت التقديرات لأنه تبين من بعد أن الجنرال أودونيل لم يكن يسعى من وراء إنذاره ليوم 14 ربيع الأول 1275 / 22 أكتوبر 1858 الحصول على ما حصل عليه في المعاهدة المذكورة، بل إنه كان يحتاج إلى سبب يخوله حق إعلان حرب يشغل بها الرأي العام في بلاده، والدليل على ذلك هو أنه في الوقت الذي كان فيه ممثله بطنجة يتفاوض بخصوص المعاهدة كانت وزارة الدفاع الإسبانية تقوم بحشد قواتها بمقاطعة أندلسيا (Andalucia) وتعمل على كراء السفن من بعض الدول لنقل تلك القوات الهائة إلى أرض المغرب.

ودليل آخر على ذلك هو أن حكومة أودونيل قد استغلت حادثا بسيطا وقع على حدود سبتة على إثر بناء مخفر هناك لتُوجِّه إلى السلطان ابتداء من شهر محرم 1276 / غشت 1859 إنذرات وتهديدات بالحرب في حالة ما إذا لم يوافق على مزيد من التوسع في الأرض المحتلة بضواحي المدينة المذكورة.

ومرت عدة أسابيع في القيل والقال إلى أن توفي مولاي عبد الرحمان فاستغلت حكومة مدريد ذلك لإعلان الحرب ضد المغرب يوم 25 ربيع الثاني 1276 / 22 أكتوبر، هذه الحرب التي اعتبرتها الأبواق الاستعمارية الإسبانية حربا صليبية جديدة حيث قيل للملكة إيسابيل الثانية إنها هي التي قُدر لها أن تكون المنفذة لوصية إيسابيل الأولى التي كان قد مر عليها أكثر من ثلاثة قرون ونصف.

وفي يوم 23 ربيع الثاني 1276 / 19 نوفمبر 1859 غزت القوات الإسبانية أرض المغرب انطلاقا من مدينة سبتة، بعد وقوع عدة معارك انهزمت فيها القوات المغربية احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان يوم 6 رجب 1276 / 6 فبراير 1860.

وكان في استطاعة إسبانيا أن تحتل كذلك مدينة طنجة لولا وقوف بريطانيا العظمى في وجهها وإرغامها على إبرام الصلح مع المغرب يوم 4 رمضان 1276 / 26 أبريل 1860. تم التوقيع على معاهدة كانت تتضمن شروطا مملاة من دولة منتصرة على دولة منهزمة، لأن إسبانيا نالت بمقتضى المعاهدة المذكورة مالم تنله قط من قبل، وقد تلت هذه المعاهدة معاهدتان أخريَان وقَّعهما الأمير مولاي العباس أثناء سفارته بمدريد يومي 25 ربيع الثاني / 30 أكتوبر و17 جمادى الأولى 1278 / 20 نوفمبر 1861، هذا بالإضافة إلى أن الحرب المذكورة كلفت خزينة المغرب عشرين مليون من الريالات التزم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بادائها كتعويض لخسائر الحرب الإسبانية.

ونشأت إثر تطبيق هذه المعاهدات الثلاث مشاكل جديدة بين الدولتين لأن الفصل الثامن من المعاهدة الأولى جعل المشاكل القائمة، بين إسبانيا والمغرب تمتد إلى المناطق الصحراوية المغربية بسبب تعهد السلطان بمنح إسبانيا قطعة أرض هناك بالمكان الذي كان يوجد به البرج المعروف بسانطا كروث ذي مار بيكينيا Santa Cruz de Mar Pequenā أي الصليب المقدس للبحر الصغير.

وليس من المبالغة أن نقول إن قضية هذا البرج كانت هي محور العلاقات المغربية الإسبانية في عهد السلطان مولاي الحسن الأول، خصوصا بعد أن أقدمت الحكومة

الإسبانية على القيام باعتداء جديد على التراب المغربي عندما أصدرت يوم 8 ربيع الأول 1302 / 26 ديسمبر 1884 مرسوما يقضي ببسط حماية إسبانيا على جزء من الصحراء المغربية الممتد من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض.

ومما يدل على أن إسبانيا كانت تخطط لغزو المغرب في أول فرصة تراها مناسبة، أنها عندما علمت بمرض السطان مولاي الحسن الأول أخذت تحشد قواتها في الموانئ الجنوبية من ترابها خلال شهري ذي الحجة 1304 ومحرم 1305 / سبتمبر وأكتوبر 1887. وفي شهر ربيع الأول (نوفمبر) قامت باحتلال جزيرة الثورة المعروفة بجزيرة المعدنوس، غير أن القوات المغربية أرغمت القوات الإسبانية على الانسحاب .

وبعد ثلاث سنوات وقعت حوادث مليلية الأولى التي كانت بداية الحرب التي اندلعت هناك من شهر ربيع الأول إلى شهر رجب 1311 / من سبتمبر 1893 إلى يناير 1894 بسبب المحاولة التي قامت بها إسبانيا من أجل إحداث تغيير في الحدود المصطنعة. ومما يدل على أن الحكومة الإسبانية كانت تريد غزو المغرب انطلاقا من مليلية (كما فعلت سنة 1276 / 1860 انطلاقا من سبتة) أنها أخبرت الدول الأوربية بعزمها على أخذ "حقها" بالقوة فأرسلت إلى المدينة المذكورة عشرين ألفا من الجنود برئاسة الجنرال مارطينبث كامبوس Martinez Campos.

لم يكن الوضع في المغرب يسمح بخوض حرب جديدة مع إسبانيا، فكان على مولاي الحسن الأول أن يسلك الليونة حيث انتهى الأمر بإبرام معاهدة مراكش ليوم 27 شعبان 1311 / 5 مارس 1894 والتي التزم فيها السلطان بأداء تعويض مالي قدره أربعة ملايين من الريال. ولم تتمكن الخزينة المغربية من أداء المبلغ المذكور في عهد السلطان مولاي الحسن ولذلك ما إن خلفه مولاي عبد العزيز حتى وجهت له الحكومة الإسبانية إنذاراً تطالب فيه بأداء المبلغ وتنفيذ مااتفق عليه في معاهدة مراكش بخصوص تعديل الحدود المصطنعة بكل من مليلية وسبتة، ومن أجل الوصول إلى حل سلمي للمشكل بعث السلطان إلى مدريد في شهر شعبان 1312 / فبراير 1895 سفيره الحاج عبد الكريم بريشة الذي لم يستطع أن يحصل على تخفيض في قيمة التعويض الحربي إلا بعد أن لطمه جنرال إسباني عندما كان يتوجه إلى ملاقاة الملكة الإسبانية ماريا كريسطينة (Maria Cristina)

وفي سنة 1313 / 1896 كان الجميع يتوقَّعُ حدوث حرب أوربية بسبب النزاعات القائمة بين فرنسا وألمانيا وبين فرنسا وبريطانيا العظمى وبين فرنسا وإيطاليا وبين روسيا وبريطانيا، وحيث إنه كان من المنتظر أن تظل إسبانيا في الحياد فقد اقترحت الحكومة الإسبانية على كل من فرنسا وبريطانيا أن تقوم هي باحتلال مدينة طنجة لتضمن حرية الملاحة عبر البوغاز، ظناً منها بأن هذه الحيلة ستتيح لها فرصة تحقيق نواياها التوسعية بأرض المغرب برضى الدولتين اللتين كانتا تتنازعانها في ذلك. وفي هذه الأثناء كانت إسبانيا تتفاوض مع فرنسا من أجل اقتسام الصحراء المغربية فيما بينهما، وبعد أربع سنوات توصلا إلى حل المشكل القائم بينهما بإبرام معاهدة باريس ليوم 28 صفر 1318 / 27 يونيو 1900 والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ "حق" إسبانيا في بسط نفوذها على مقاطعة وادي الذهب الممتدة من رأس بوجدور إلى الرأس الأبيض، فكانت هذه هي المعاهدة الأولى المبرمة بين الدولتين المذكورتين بخصوص اقتسام المغرب، تلتها محادثات جرت في سنة 1320 / 1902 من أجل إبرام معاهدة ثانية لم تتجرأ إسبانيا على توقيعها خوفا من انكلترا.

وهذا التقهقر لم يمنع الحكومة الإسبانية من مدٍّ يد المساعدة للثائر بو حمارة عندما ثار بالناحية الشرقية من المملكة، والدليل على تواطؤ حاكم مليلية معه هو أن بو حمارة اختار في آخر مطافه قصبة سلوان القريبة من مليلية ليجعلها مقرا له يسهل عليه فيه الحصول على ما كان يحتاج إليه من سلاح وعتاد لمحاربة القوات المخزنية من سنة 1322 / 1904 إلى سنة 1326 / 1908.

وفي يوم 23 رجب 1322 / 3 أكتوبر 1904 أبرمت المعاهدة الإسبانية الفرنسية الثانية بخصوص اقتسام المغرب بين الدولتين والتي بمقتضاها اعترفت فرنسا بـ "حق" إسبانيا في بسط نفوذها على شمال المغرب من وادي ملوية إلى وادي لوكس وعلى المنطقة الجنوبية الممتدة من رأس غير (أگادير) إلى رأس بوجدور حيث أصبح من "حق" إسبانيا احتلال الأراضي المغربية الممتدة من أگادير إلى الگويرة.

وعندما فكرت الدول الأروبية في عقد مؤتمر يقرر فيه التدخل الأجنبي في شؤون المغرب الداخلية، وقع الاختيار على مدينة الجزيرة الخضراء لينعقد فيها ذلك المؤتمر الثاني حول القضية المغربية، وذلك لأن المؤتمر الأول الخاص بقضية الحماية القنصلية بالمغرب كان قد انعقد هو الآخر بالتراب الإسباني بمدريد سنة 1297 / 1880.

انعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء من يوم 20 ذي القعدة 1323 / 16 يناير إلى يوم 12 صفر 1324 / 7 أبريل 1906 حيث وقع الاتفاق على احترام الوحدة الترابية المغربية تحت سيادة السلطان، وهذا لم يمنع الحكومة الإسبانية من الاشتراك مع الحكومة الفرنسية في الاعتداء على مدينة الدار البيضاء في شهر جمادى الثانية 1325 / غشت 1907 ومن احتلال جزيرة بوعرگ بالقرب من مليلية يوم 11 محرم 1326 / 14 فبراير 1908، ومن الاستيلاء على رأس سيدي البشير بالقرب من مصب وادي ملوية يوم 8 صفر / 12 مارس من نفس السنة، ومن غزو التراب المغربي انطلاقا من مليلية في شهر جمادى الثانية 1327 / يوليوز 1909 ومن احتلال مدينتي العرائش والقصر الكبير يومي 10 و12 جمادى الثانية 1329 / 8 و10 يونيو 1911.

نتج عن هذه الاعتداءات المتوالية على حوزة الوطن إبرام المعاهدة الثالثة بخصوص اقتسام المغرب بين فرنسا

وإسبانيا والتي وقعت بمدريد يوم 17 ذي الحجة 1330 / 27 نوفمبر 1912.

وخلاصة القول أن العلاقات بين إسبانيا والمغرب طيلة أربعة قرون ونيف كانت علاقات توتر وحرب سببها الأطماع التوسعية الإسبانية بأرض المغرب الناتجة عن إصرار إسبانيا على تنفيذ وصية الملكة إيسابيل الكاثوليكية المشؤومة، في حين كان المغرب مصراً هو الآخر على عدم السماح بتنفيذها مهما كلفه ذلك من متاعب وتضحيات وخسائر، ففي المدة المتراوحة بين سنة 897 / 1492 وسنة 1330 / 1912 لم تكتس تلك العلاقات طابعا سلميا نوعا ما إلا من سنة 1181 / 1767 إلى سنة 1188 / 1774 ومن سنة 1205 / 1791 إلى سنة 1276 / 1859.

والغريب هو أنه بعد انتهاء عهد الحماية سنة 1956 واعتراف إسبانيا باستقلال المغرب وتعهدها باحترام الوحدة الترابية المغربية يوم 25 شعبان 1375 / 7 أبريل 1956 عادت إسبانيا إلى سيرتها القديمة في معاكسة المغرب على استكمال وحدته الترابية حيث إنها لم تسلم له منطقة طرفاية إلا يوم 20 رمضان 1377 / 10 أبريل 1958 وذلك بعد إرغامه على توقيع اتفاقية سينطرا (Cintra) ليوم 11 رمضان / فاتح أبريل من نفس السنة، ولم تسلم له منطقة إفني إلا يوم 14 ربيع الثاني 1389 / 30 يونيو 1969 وذلك على إثر معاهدة فاس ليوم 14 ذي القعدة 1388 / 4 يناير 1969، كما أنها لم تعترف بمغربية الصحراء الغربية (الساقية الحمراء ووادي الذهب) إلا يوم 10 ذي القعدة 1395 / 14 نوفمبر 1975 حيث وقعت اتفاقية مدريد.

وأما الجيوب الواقعة بشمال المغرب وهي مدينتا سبتة ومليلية وجزر كبدانة وبادس والنكور والبرهان فإن إسبانيا مازالت مصرة على الاحتفاظ بها ترفض إعادتها إلى الوطن الأم بدعوى أنها تكون جزءا لايتجزأ من التراب الوطني الإسباني، في حين أنها هي التي كانت تعترف بمغربيتها عندما كانت تحتل شمال المغرب في عهد الحماية.

م.ابن عزوز حكيم، *لماذا نطالب باسترجاع مدينتي سبتة ومليلية ؟* تطوان 1979 ؛ *سبتة ومليلية في عهد الحماية*، الرباط 1988 ؛ تراجع البيبلوغرافيا المفصلة في آخر الكتابين المذكورين.

محمد ابن عزوز حكيم

استعمار، إن المغرب نظرا لموقعه الجيو ـ استراتيجي بين جميع القارات، ونظرا لاندماجيته المحتومة بين شعوب وبلدان العالم القديم (المتوسطي)، وما تتبطنه جباله وأراضيه من معادن وخيرات وما يمتاز به، فضلا عن كل ذلك، من تعددية المناخ واعتداله عموما، وما له من إمكانات ومجالات فلاحية... كان دائما ومنذ القدم، محط الأطماع الخارجية والتكالبات الهيمنية. إنه مسرح للمد والجزر بين شمال البحر المتوسط وتأثيرات الشرق، وكانت بذلك سياسته وتاريخه وثقافته بوجه أشمل مصبوغة ومطبوعة بهذا القدر المتكرر، إن نشاطه الدبلوماسي والسياسي، وتبادلاته الثقافية والتثاقفية تُلخص بناء على هذا، في اتجاهين رئيسيين تكون جوهر تفاعلاته وانفعالاته وأفعاله : اتجاه عمودي يخرق إفريقيا وأوروبا، واتجاه أفقي عابر لشمال إفريقيا نحو البلاد المشرقية. إن المغرب بذلك شجرة متجدرة في إفريقيا، تلفها تأثيرات المشرق (الإسلام ...) وعواصف أوروبا (الاستعمارات المثاقفة). وإن تقاطع الاتجاهين في الهوية المغربية هو ما يشكل اليوم واقعا له مكانته داخل الذات المغربية.

ليس همنا، أن نقوم بجرد تاريخي لكل الاستعمارات القديمة التي مرت بأرض المغرب، وإنما نلمح هنا إلى أن تلك الهيمنات الخارجية لا تزال بصماتها، إلى حد ما، واضحة المعالم، وإن تم إدماجها واستيعابها من طرف هوية مغربية، وأصبحت بذلك من البديهيات التي لا تلفت الانتباه.

لقد عرف المغرب، ككل الحضارات الإنسانية، مراحل وهن اتسمت بالضعف ومراحل قوة وانتعاش، وكثيرا ما استغلت المراحل الأولى من طرف «الآخرين» لبسط نفوذهم واستغلالهم للبلاد. لقد أتى الفينيقيون إلى المغرب الأقصى وأسسوا مرافئ للتجارة، وأثروا من خلال تفاعلاتهم مع مراكز حضرية متفتحة على البحر. وتأثروا بدورهم بخصوصيات محلية، وخلفهم فيما بعد القرطاجنيون الذين مكثوا بشمال إفريقيا إلى حين انهزام قائدهم "هانيبال" أمام الرومان (146 ق.م). إن الاستعمار الروماني المؤسس على استغلال الأرض والإنسان هو أول استعمار حقيقي للمغرب، لأنه قد جعل من المغرب مخزن حبوب روما "Grenier de Rome"، وحاول أن يدمج ويحتوي السكان البرابرة ثقافيا ودينيا. ورغم كون الرومان لم يتوغلوا في داخل البلاد ما وراء "الليمس" Limes فإن تأثيرهم لم يتجاوز المناطق المطلة على البحر إلا نادرا، وذلك بتعاملهم مع زعماء محليين. لقد ساهم المغاربة الأفارقة في الحضارة الرومانية (القديس أوغسطين، أبولي Apulée، أفلوطين Plotin، زعماء عسكريين...) ؛ لكن المغاربة، مع كل ذلك لم يرتاحوا قط لكل أنواع الاستغلال، والنهب الذي خضعوا له وأرضهم.

بعد ضعف الرومان وأفول نجمهم، تعاقب على استعمار المغرب الوندال والبيزنطيون الذين ساروا على نهج الرومان؛ إلا أن الفتح الإسلامي، واندفاع البرابرة في نشر الإسلام الذي ساعد على اضمحلال وتدهور البيزنطيين والروم عموما، (وذلك مما هو في صالح البرابرة)، قد ساعدهم على إجلاء الاستعمار المسيحي من بلادهم وأحسوا من خلال تجاوبهم مع تعاليم الدين الحنيف الذي هو ثورة إنسانية في زمانهم، أن كرامتهم منسجمة مع كل ما جاء في الكتاب المقدس. وبفضل ما أمدهم الإسلام من سنن وقوانين تنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية، أصبح المغاربة، بعد مجيء المولى إدريس، يحققون كيانهم وخصوصيتهم واستقلاليتهم، وفتحوا باسم الدعوة الإسلامية نفسها، أيام قوتهم وعزتهم تخوما بعيدة عنهم، جنوب الصحراء وبلاد الأندلس.

ثم عاد التنصير الروماني مرة أخرى، كالمد، باسم الحروب الصليبية ليحتل جيوبا شواطئية بالمغرب أيام أصيب المغرب بوهن ظرفي، ولقد قام الشرفاء السعديون والعلويون فيما بعد، بمحاربة ذلك التنصير الإديولوجي بكل الأساليب الحربية والدبلوماسية رغم كون أوروبا أصبحت منذ القرن الخامس عشر تتضح قوتها ونواياها الاستعمارية بكل جلاء، إن الاستعمار الأروبي هو حلقة من حلقات الصليبية والميركانتيلية والرأسمالية التي فتحت أجواء لبروز حركة متحمسة لاحتلال بلدان ما وراء البحار مع العصر الإمبريالي (1878 ـ 1880) أفضت إلى الاستعمارات الفعلية والحمايات الحديثة (1880 ـ 1912 / 1956).

محاولة تحديد مفهوم الاستعمار (Essai de définition) : «إن الاستعمار كما يُعتقد، ليس إلا جانبا من جوانب الغزو، ويعني في الوقت ذاته الاستسلام والخضوع Soumission لقوة مسلحة. إن تأسيس وامتداد المستعمرات ليس إلا نمطا من أنماط العنف Violence الذي سنبين في مسار هذه الدراسة مظاهره وتجلياته في حالة المغرب الذي تعرض لتأثيرات الظرفية الاستعمارية من 1900 إلى 1955 / 1956. إنه من المتعذر الكلام عن الاستعمار دونما تركيز على جوانب الغزو والعنف. كيف يمكن لباحث ما أن يقارب ظاهرة التهدئة القبلية (1900 ـ 1934) مثلا بغض الطرف عن تلك الجوانب؟ ليس هناك استعمار بدون غزو عنيف يتوخى الاحتلال بجعل الحرب هدفا في حد ذاته» (René Meunié, *social*. Coll, 1932, p. 18) إن الاستعمار يعني بصريح العبارة، خدمة وإعداد الأرض من طرف المعمرين Colons الأوروبيين، وبواسطة أياد عاملة أهلية Indigéne (العبيد المستخدمون، العمال الفلاحون) ولمدة طويلة من تاريخ الاستعمار لم يتم تجاوز هذا المنظور للاستعمار نظرا لارتباطه أصلا بالاستغلال العقاري والفلاحي.

أما فيما يخص تصنيف المستعمرات ذاتها، فيرى «رونيه مونيي» (1932) أن بالإمكان تمييز نوعين من المستعمرات، من خلال تاريخ الاستعمار نفسه. هناك ما يمكن أن نسميه بمستعمرات التعمير أو الإسكان، وهي في العادة توجد بمناطق تشبه إلى حد ما، ومن حيث مناخها، مناطق أوروبية إنها مستعمرات تشجع على التعمير السكاني أي على الهجرة .

إن الاستعمار بهذه البلدان يظل دائما من بين الأعمال المنوطة بالأقليات المتْرُبُولوية، التي تشبه الخميرة "Ferments " التي تدخل بين الكتل الأهلية، إنه إنجاز الآلاف وليس الملايين(R. Meunié, 1932, *ibid*, p. 24)

إن المغرب يدخل ضمن هذا الصنف من المستعمرات لأنه بلاد متوسطية، كان موقعها الجغرافي بالنسبة لأوروبا يغري كل المستثمرين ماديا ومعنويا، وقد كان نظراً لمنافسات دولية أمبريالية آخر مسألة لم يتم معالجتها وتجاوزها بالنسبة لفرنسا إلا بعد تقديم تعويضات وتنازلات دبلوماسية واقتصادية بافريقيا (ليبيا لإيطاليا / مصر للأنجليز / الكونغو للألمان / الصحراء المغربية ومنطقة الشمال لإسبانيا).

وهناك نوع ثان من المستعمرات هو ما يسمى عادة في الأدبيات الكولونيالية بمستعمرات الاستغلال Colonies d'exploitation وهي موجودة، عادة، بمناطق استوائية ومدارية رطبة وحارة لايسمح مناخها بالهجرة الإنسانية. إنها كما يرى جورج هاردي مستعمرات للتأطير Colonies d'encadrement، يوجد بها أوربيون قليلون، يحكمونها أو يتاجرون بها إلاّ أن المُزارع يكون دائما من بين الأهالي Les indigènes. إن حياة المعمِّر Colon بهذه البلدان الأخيرة مرهونة بما يؤديه الأهلي من خدمات. ولعل جل المستعمرات الإفريقية من هذا الصنف.

الاستعمار كعنف Violence : جدلية البنية Structuration وإعادة البنية Restructuration وتحطيم البنية Destructuration.

1. العنف العسكري : استهدف العنف العسكري والإداري للاستعمار (1900 ـ 1934) القضاء على أواصر المقاومة التي تتزعمها القبائل، لذا بادر الاستعمار خلال التهدئة إلى عملية تحطيم القبيلة Détribalisation وتفكيك الأطر الاجتماعية القديمة داخلها مثل "إِخْص" "Ikhs" (العظم)، بتشجيع وغرس النزعة الفردانية individualisme المنافية كلية لكل الروح الجماعوية L'Ame communautaire والأُسس السياسية الديموقراطية لمؤسسة "الجماعة" كإطار لبلورة الشورى الاسلامية (تشويه مؤسسة الجماعة القبلية وإفراغها من محتواها التمثيلي الحقيقي...) والمنافية كذلك لكل ما تتطلبه مظاهر الاقتصاد المعتمد على التعاضد والتضامن الاجتماعيين الذين يؤطران عملية الانتاج والاستهلاك معا. إن ذلك العنف الاستعماري الذي مُورس على التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية المغربية قد اخذ مظاهر وتجليات أخرى أدت إلى زعزعة التوازنات التقليدية. واضطلع هذا العنف بعدد من الوظائف أدت كلها إلى الحركية البدائية لقوة العمل، فنشأت منذ سنة 1898، مجموعة تضم رجال المال والأعمال بغرض احتلال المغرب. وقد عبر أحد رؤساء هذه المجموعة (التجمع أو الحزب الكولونيالي) أوجين إتيين Eugène Etienne بصراحة عن رغبة المجموعة في "تونسة" Tunisification المغرب بالقوة إذا اقتضى الأمر ذلك : «إن عدم تهيئة أنفسنا لدعم نشاطنا السلمى الشرعي الذي يؤهلنا وضعنا لممارسته في المغرب عن طريق القوة، معناه جهل التاريخ». وفي ادبيات ودعايات جريدة هيئة إفريقيا الفرنسية (B.C.A.F) نجد ما يحرض على مثل هذه المبادرات، كما أن "الماركي ذي سيغونزاك" Le Marquis Segonzac في معرض مقدمة كتابه (*رحلة الى سوس* : 1901) "*Excursion au Sous*"، خاصة أثناء تناوله للمسألة المغربية Question Marocaine ينصح بضرورة غزو المغرب بالعنف والقوة. وفي 1902، نجده لايزال يلح ويشدد على

ذلك النهج التدخلي:"لكي ينهار المغرب لابد من القضاء عليه، وهذا الوضع لن يرهبنا (Cité par A. Ayache, Le Maroc, bilan..., 1956, p. 61)

إن نهاية المرحلة الامبريالية مع (1912 / 1914). كانت تستلزم تطورا جديداً في وسائل وطرق نهب الشعوب المستضعفة، وكان العنف الية من آليات إرساء دعائم الاستغلال المباشر(الاستعمار). إن روجيه هومو Roger Homo يشير إلى هذا المغزى البرجماتي مؤكدا بأن الحرب في المستعمرات "ليست هدفا بذاتها، إذ لا ينبغي للجيوش أن تكون أكثر من الوسيلة الاخيرة لفرض النظام، فكل معركة تنطوي على مغزى وغاية سياستين".

2 . العنف الإداري : لقد ارتبط هذا العنف الاداري منذ بدايته بمحاولات استقطاب القبائل الحدودية المغربية في منطقة الجنوب الوهراني ؛ ولقد أدى تأسيس مراكز عسكرية لمراقبة التحركات القبلية وتأمين تجارة القوافل وبعثات الاستكشاف إلى إرساء نوى (جمع نواة) إدارية فيما بعد، وكانت مسألة انشاء الشرطة الحدودية، ومد الطرق الحديدية من 1900 إلى 1907، التي رافقتها من الامور التي خلقت توترات بين تلك القبائل والاستعمار من جهة وبينها والمخزن، الذي لم يعد بفعل افتعال السيبة وتحريضها من طرف الاقامة الفرنسية بالجزائر يتحكم فيها. إن ذلك ما أبان عن ضعف المخزن وعجل استنزافه بتوريطه في قضايا تتطلب غرامات متكررة وعديدة، إن افتعال السيبة، بهذا الشكل، كان من بين الدواعي التي أرغمت المخزن تحت ضغوط متعددة، على قبول سياسة التعاون حوالي 1902 رغم ما نجم عن احتلال توات من توترات دبلوماسية، وإن العنف الاداري قد ادى إلى تفكيك الكيانات القبلية وبترها، بحيث كان لمسألة الحدود وطرح مشكل السيادة اثر فجائي وعنيف على تقسيم الجماعات الانسانية التقليدية على الدوائر والمراكز الادارية، بل وحتى على البلدين المجاورين المغرب والجزائر. ففي المغرب، كما حصل في افريقيا الفرنسية كلها، استفيد من أدوات السيطرة من الدوائر السياسية من أجل تسهيل إعادة توجيه البنى القديمة توجيهاً يؤدي إلى إخضاعها إخضاعًا مباشراً للرأسمالية في المتربول ؛ وكان مركزا فگيگ ووجدة بالمغرب الشرقي من 1903 إلى 1907 / 1912، ومنطقة طنجة بالشمال، والشاوية 1907 إلى 1912 قبل الحماية قد لعبت دورا حاسما في ذلك الاستقطاب الرأسمالي للقبائل، وكان ذلك، حسب دوتي (1911) إحدى الوسائل المهمة للتعجيل بتهيئ برنامج سياسي اقتصادي للتدخل السلمي، «إنه لا يمكن إدراك سيرورة تحرير قوة العمل في المغرب دونما عودة إلى التنظيم الذي فرضته الدولة الاستعمارية، إذ حل محل الدولة المركزية التي كانت ملزمة بقبول مبدأ الاستقلالية النسبية للقبائل، دولة استعمارية مطلقة، كان هدفها الرئيسي يكمن في فرض اندماج البنى القديمة (بشكل تابع ومشوه) في أسلوب إنتاج جديد ناضج قادم من الغرب" (جمال الدين التباع، *تفكك البنى*.... م. مذكور 1987، ص. 60) ألم يكن الاستعمار نفسه علاوة على ما يتضمنه من غزو وعنف منذ بدايته إلى نهايته، تحولا للحماية القانونية والإصلاحية التي ينص عليها أساسًا عقد الحماية، إلى إدارة مباشرة سرعان ما أبانت عن نيات سيئة ومجازفات لم تعد تتمشى مع مصالح الفئات التي تعاطفت مع الحماية 1912 ؟ إذا كانت الحماية هي ما اصطلح على تسميته بالإدارة الغير المباشرة واللامركزية، فإن الأمر الواقع والعمل الفعلي قد ابان منذ نهاية الحرب العالمية الأولى (1918) وخاصة مع ذهاب ليوطي (1925) عن تحول الحماية، بهذا المعنى إلى استعمار واضح توازى مع العمل العسكري التهدئوي وإرساء الدعائم الاساسية للاستعمار العقاري (1919) داخل القبائل نفسها، وعاش المغرب منذ احتلاله في حالة حصار.

3 . العنف الاقتصادي : ليس الاستعمار مقتصراً على المعمرين والعسكريين فحسب، إن بجانبهم ومن ورائهم رجال أعمال وأصحاب أبناك ومضاربين «فمع سنة 1903، أنشئت هيئة المغرب بباريس بدافع من حيوية النائب الوهراني، أوجين إتيين Eug. Etienne، شارك فيها البنوك وكبار الشركات المهتمة بالمغرب (الكبير) "Maghreb" (P.Guillen, *Les milieux d'affaires français et le Maroc à l'aube du XXe siècle*, in Rev. d'hist., Avril - Juin 1963, pp. 397-422).

ولعل أزمات 1905/1906، /1909/1911، تشكل خصوصا، تعبيراً عن مخاض ساعد على البحث والخروج باجماع محدد واضح المعالم بين البنوك العالمية، حتى تتمكن بالتالي كل منها، من المساهمة في القروض الخاصة بالاستغلال المنجمي والمزايدة Adjudication التي تهم الأشغال العمومية. بمجرد الوصول إلى الاتفاق، اصبحت مسألة تحمل المسؤوليات السياسية مسألة ثانوية، بدت على الأقل، ظرفية (A. Laroui, *Hist. du Maghreb*, T. II, p. 106, 1970) إن الديون السلطانية لسنة 1904 (62.5 مليونا) و1910 (101 مليون) قد مُنحت من طرف التجمع البنكي Consortium de Banques ؛ وفي سنة 1913 صادق البرلمان الفرنسي على منح إدارة الحماية فرصة إصدار قرض خاص لإخماد ذلك الدين. بعد ذلك تتابعت المصادقات والرخص : 1914 (170 مليون) 1916 (70 مليون إضافية)، 1920 (744 مليون) 1928 (819 مليون). كل النشاط الاقتصادي المغربي أصبح معلقا تماما بهذه الترخيصات. إن الديون المضمونة من طرف الحكومة الفرنسية والمقدمة فوائدها من طرف الميزانية المغربية ـ كانت مرصودة لتمويل الأشغال العمومية الكبرى (الموانى، والسكك الحديدية) غالبا ما تمنح للشركات الفرنسية الكبرى (Hersent, Schneider ...) ؛ رغم شروط معاهدة الجزيرة الخضراء ويقظة الأنجليزيين والأمريكيين. وبالضبط، لكي لا يضطر ليوطي Lyautey. بالاعتراف لألئك بحق

المشاركة في استغلال الفوسفاط، الذي اكتشف حوالي 1907. بمنطقة مراكش، عمد المقيم العام من 1912 إلى 1925 إلى تأسيس المكتب الشريف للفسفاط سنة 1920 ؛ ولم يكن الهدف هنا ـ كما يقال دائما ـ هو الدفاع عن حقوق الدولة المغربية (A. Ayache, *Le Maroc, Bilan*... 1956)

إن الشركات الفرنسية الكبرى، قد بسطت أياديها أيضا، خلال فترة ليوطي، وفيما بعده، على مساحات شاسعة من الأراضي، ويمكننا أن نتساءل مع عبد الله العروي : ما هو المعنى الذي يجب منحه لهذه الصدارة التي أعطيت لرجال الأموال بالمستعمرات المغاربية ؟ إن الرأسمال الضروري لتجهيز البلاد قد مُنح إما من طرف التوفيرالفرنسي وإما من طرف ميزانيات فرنسا والبلدان المغاربية ؛ ومع ذلك فهو مسيَّر بواسطة ابناك وبدون التعرض لأي خطر، إن الفائدة intérêt تدفع من طرف الميزانيات المغاربية، في حين يُضمن السلف من طرف الدولة الفرنسية (المتربول)، لكن كلفة Coût الاشغال ليست دائما مضبوطة لأن المنافسة بين المتنازلين المحتملين Concessionnaires potentiels لا تؤدي علميا أي دور، نظرا للتأثير المحدد لبعض الشركات الفرنسية الكبيرة بشمال إفريقيا. وبماأن الابناك تسيطر أكثر فأكثر على القطاع الأوربي، فإن جانب المضاربات قد طغى على المناحي الإنتاجية، إن ذلك القطاع، أصبح بالتالي أكثر قابلية للعطب والتأثير السلبي ؛ وتطلب بذلك حاجة إلى دفاع وحماية الإدارة الفرنسية : الأسعار تابعة للسوق الداخلية المحلية المغاربية؛ الكلفات محفظة بواسطة الاعفاءات الضريبية والحد الادنى لمستوى الأجور، الذي احتفظ به عن طريق ممارسة العنف(A. Laroui, *ibid*, 1976, p.107) ففي الوقت الذي أصبح فيه هذا الجانب المالي اساسيا، كان القطاع الاقتصادي، الذي يقدم على أنه قطاع عصري وناجع مدعماً أكثر فأكثر من طرف الاقتصادين الفرنسي والمغاربي، بواسطة الإعانات المالية الممنوحة، مما أعطاه صبغة الاصطناعية ذات الطابع السياسي، ويقدر ما يتضح هذا الاتجاه، تتبدل وضعية ومكانة المستعمرة الخارجية. إنه ينتقل من البوادي ليتمركز بالمدن، ويغطي بذلك القطاع الثالث : إن عدد الوسطاء والموظفين، يسحق عدد الملاكين الحقيقيين، إلا أنه في الفترة التي أحس بها هؤلاء الوسطاء والمستخدمون بأهميتهم، وبمدى ثقل السيطرة المنزلة عليهم، بدأوا يطالبون بضرورة التمتع بالسلطة السياسية التي لابد أن يحظوا بها وحدهم مع إرجاع مركز الثقل وتحويله من باريس إلى البلاد المغاربية نفسها (A. Laroui, *ibid*, 1976, p. 108). وبعد 1930 عرف الاقتصاد المغربي في ظل الاستعمار نماءً كميا، إذ توافدت الملايير من الخارج لتوظف بالمغرب، بعدما أصبحت القاعدة العقارية واسعة أكثر من ذي قبل بواسطة تشجيع النهب والتسجيل العقاري واستغلال الأراضي المشتركة للقبائل. إن كل الحظوظ التي أُعطيت للمتربول للحفاظ على وجوده بالأرض الإفريقية قد قلصت من ناحية أخرى كل إمكانية تحقيق الاستقلالية من طرف المستعمرة La Colonie لأن هدف الاستعمار كان هو النهب والابتزاز ومقاومة كل التغيرات والمتغيرات التي تلتقي مع رغبة الخروج من وضعية التبعية الشاملة.

4 . العنف السياسي : لم يكن هدف الاستعمار هو نقل القيم الديموقراطية والانسانية في حد ذاتها، الى المستعمرات والشعوب المخالفة Les pcuples différents كما كان يتبجح بذلك الخطاب الايديولوجي والدعائي المبرر للوجود الاستعماري نفسه. إن هدف الرأسمال على حد تعبير"روزا ليكسمبورغ" Rosa Luxembourg هو «ابتزاز المجتمعات البدائية من وسائل انتاجها، واخذ قوى العمل منها، وتحويلها إلى زبناء إنتاجاته (Cité par Med. Salahdine, *Le Maroc* 1985, p. 129) إن ما يسمى عادة بالرسالة الحضارية والانسانية لأوربا كان فقط وسيلة من وسائل المبررات التي رافقت عمل الغزو، وساعدت على تمويه الجوانب اللا منطقية واللا إنسانية فيه، في أعين الأهالي والرأي الدولي المتربولي. إن العنف السياسي للاستعمار كان يتحمور أساسا حول القمع والردع وذلك ماكان يستجيب له عمل المراقبة Contrôle والضبط الاجتماعي Régulation sociale اللذين كان ليوطي دائما يلح عليهما باستمرار.

الأساس العقاري للاستعمار الفرنسي بالمغرب : إن الاستنفاع بتراكمات التجربة الاستعمارية «المتروبولية» والكونية ضرورية بالنسبة للإقامة العامة الفرنسية بالمغرب، وقد حملتها معها شخصيات لها اضطلاع بالمسائل الكولونيالية بآسيا وافريقيا والشرق الاوسط، وكانت التجربة التونسية والجزائرية خصوصا، سنداً جوهريا واساسيا بالنسبة للادراة الاستعمارية بالمغرب الاقصى فيما يخص تنظيم الحماية واستثمار الارض.لقد تم نقل تجربة قانون "وارنيي" Loi Warnier التي تم التصويت عليها 1873 وتعديلها على التوالي سنة 1887 و1897 بالجزائر إلى بلاد المغرب (A. Laroui, *Hist. du Maghreb*, T. II, 1970 et 1976, p. 102) وكان قانون "وارنيي" تعبيراً حقيقياً على نوايا النزعة الاستعمارية التي يجسدها ويفصح عنها بكل جلاء انتزاع الاراضي بالقوة من الأشخاص والقبائل. «ويتعلق أحد الظهائر التي أصدرت تحت ضغوط الإدارة الجديدة (الاستعمارية) بالمغرب (بمسألة) التسجيل العقاري 12 غشت 1913 ؛ الذي فتح المجال للتصديق على تملك 30000 هكتار بنواحي وجدة والدار البيضاء خلال 1907 ـ 1912، عندما فر أصحابها الشرعيون أمام زحف الجنود الفرنسيين. وفي سنة 1916 تم إنشاء هيئة الاستعمار Comité de Colonisation تلتها في سنة 1919 لجنة تكلفت بالبحث في (قضية) الأراضي "الدومينية" العمومية : كانت الغاية منها ابتداع وسيلة ملتوية لأخذ الأراضي المزروعة منذ أجيال من طرف الجماعات

Communautés التي ساعدت المخزن. لقد ساعد ظهير 27 أبريل 1919 على تحديد الأراضي الجماعية Terres collectives لأجل كرائها بعد ذلك للمعمرين، وبما أن الأمر يقتضي السير بسرعة لتجاوز واستدراك التأخر الحاصل بالنسبة للقطرين المغربيين المتجاورين، فإنه قد تم أخذ إجراءات لتشجيع الاستعمار الفلاحي Colonisation agraire : مساعدة من أجل استصلاح للأرض غالبا ما يكون نظريا، إعفاء ضريبي ومالي، قرض عقاري، تعاونيات التجهيز الخ...إن هذه الإجراءات كانت تقصد منع تكرار الازمات الظرفية التي ضربت الاستعمار (سابقا) بالجزائر. وكانت نتيجة ذلك: التطور السريع (المسلسل) الملكية العقارية الاوربية : فمنذ 1932، شمل الاستعمار (أو التعمير) الحر والاستعمار الرسمي (ما يناهز) تقريباً 837000 هكتار، ويمكن أن نلاحظ علاوة على ذلك، كما هو الشأن بالنسبة للجزائر، مساسا بالملكية الخاصة، إذ مع 1927 ستصبح مساحات أراضي "الملك" الخاص منزوعة من أصحابها الأصليين لتمنح للأوربيين كما وقع مثلا بمنطقة "تادلا" التي صدرت بها وحدها خلال مدة سنتين فقط ما يعادل 62000 هكتار، ولقد كان منطق الكبت هنا ـ كذلك منذ البداية عنيدا وقاسيا. وحوالي 1930 مرتحت مراقبة سكان يشكلون أقل من سُبع (1/7) السكان المحليين، ما يعادل 3800000 هكتار في مجموع الأقطار المغاربية الثلاثة (المغرب ـ الجزائر ـ تونس) وتشكل هذه المساحات العقارية، تقريبا ثلث الأراضي المزروعة حقيقة.

إن هذه الركيزة العقارية كانت تعتبر، كما لو أنها ضرورة سياسية، ومن تم كانت تتلافى مع الايديولوجيا الرومانية القديمة ؛ التي لاتزال مؤثرة على الأذهان رغم الدعاية السانسونية وسياسة "المملكة العربية" Royaume Arabe (A. Laroui, T. II, *ibid*, pp. 103-104) ورغم محاولة جعل برنامج الحماية اصلاحيا وسياسة محافظة عبر عنها البحث باستمرار عن توازنات لا إخلالية. هذا مايبدو كله واضحا في تصريح ليوطي : «نحن لانسعى إطلاقا للاحتلال والتوسع (...)، فنحن نريد احتلال المغرب النافع (المفيد)، وهذه المناطق التي يعتبر الحصول عليها ضروريا لتهيئة المغرب الاقتصادي وتجهيزه تجهيزا كاملا بسبب ماتزخرُ به (هذه البلاد) من موارد طبيعية وقوى مائية وغابات ومواش ومراع" (تصريح 1 يناير 1922 لليوطي ورد في (*Rennaissance du Maroc*, R.R.F.M) إن المشروع الأخير، كان في الحقيقة، منذ 1900 إلى 1912 مشروعا يجمع بين معطيات السياسة القبلية وسياسة التعاون مع المخزن. كان من دعاة الاولى الحزب الاشتراكي، في حين يتمسك الحزب اليميني، بزعامة "إتيين"Eug. Etienne وبعض معمري الجزائر بالسياسة التعاونية. وكانت كلتا السياستين نتيجة تساؤل جوهري طرح في أوساط الرأسماليين المتربوليين من بين رجال الاعمال والشركات والاموال. وكان محط نقاش وجدل برلماني حاد بباريس :

« هل سنحتل المغرب انطلاقا من تعاملنا مع القبائل ام انطلاقا من استعمال المخزن كأداة ؟ » للاستنفاع بخيراته. إن ليوطي، هو الذي حصل له كرجل ملائم مع 1912، تطبيق بعض افكار "غالييني" Galliéni، "ألفريد لوشاتوليي" Alfred Lechatelier ، كفكرة رقعة الزيت Tache d'huile وسياسة القبيلة بواسطة سياسة المخزن "Politique tribale par la politique makhzanienne" وقد نجم المنطق العدواني للنظام العقاري، إبان المرحلة الاستعمارية عن الضرورتين التاليتين.

ـ وضع الصيغ القانونية التي تسمح بتدعيم الاستعمار، مع ضمان سلامة الملكية الاستعمارية.

ـ تبني نظام ملكية عقارية يسمح بنمو الاستثمارات الرأسمالية (التباع 1987 م.م. ص 60 ـ 61) لقد كانت سيطرة القيمة الاستعمالية للأرض في المغرب خلال حقبة ما قبل الاستعمار، تشكل عائقا سميكا أمام التملك الخاص والتمركز العقاري الناجمين عن علاقات التبادل. وكان التركيز العقاري يتم قبل ذلك، بفعل عوامل ما فوق ـ اقتصادية Supra - économique ولم تكن عملية التداول تلعب دورها في التملك الخاص للأراضي في القرن التاسع عشر إلا في المناطق المجاورة للمدن (الأحواز)، ويشكل محدد جداً، أما أراضي "الملك" فإنها لم تكن أكثر من "أراضي ملك تصرف" أي أنها لم تكن ملكية خاصة بالمعنى الرأسمالي. ولم يتم فرض منطق إعادة انتاج جديد قائم على حرية الصفقات العقارية، وعلى ضمان سلامتها بما يسمح بتوسيع الملكية الرأسمالية، إلا بعد اصدار ظهير 1913، الخاص بتسجيل العقارات، وكذا النص الخاص بخلق مصلحة خاصة بالصيانة العقارية (كما أسلفنا). ويعترف "بانكيك" Y. Banquec وهو كاتب استعماري أن "الوضع القانوني للأملاك الريفية المستند إلى الشريعة القرآنية، ظل غامضا حتى تاريخ فرض الحماية على المغرب. وقد ادى نظام تسجيل الاراضي إلى الغموض وسهل نقل الملكية الريفية إلى الأوربيين (Y. Banquec, *La propriété rurale et la colonisation dans la zone française du Maroc* in BESM, nº 26, Juillet 1945)

لقد ساهم نظام التسجيل، في خلق مفهومين جديدين يتعارضان كليا مع منطق إعادة إنتاج النظام القبلي / المخزني، ساعد على قلب البنى "التقليدية" القائمة خلال مراحل طويلة.لقد برز بذلك ، مفهوم الحدود Bornes ومفهوم حقوق الحيازة Droits possessoires، تزامنا مع اختلالات جديدة ـ كانت بمثابة التناقضات البدائية لحركية الملكية العقارية السريعة ـ اهمها الربا والمضاربات الفاحشة (P. Montfert, BCAF / RC, 1934, pp. 150-152)

من ناحية أخرى "بدأت الإصلاحات" العقارية الاستعمارية تؤثر على المجال المشترك للجماعات القبلية سلبا، بحيث إن الملكية وتركيزها قد ساهما في تقليص المجال الرعوي والتوازنات الايكولوجية والديموغرافية

التقليدية بين القبائل من جهة وبين الحواضر والقرى القبلية من جهة أخرى .ففي الوقت الذي تنكب رؤوس الأموال على أراضي القبائل المشتركة والخاصة معا، بدأنا نلاحظ، توازيا مع ذلك، انكبابا ديموغرافيا للبدويين في الحواضر، هم أصلا من الذين لم يستطيعوا بعد فقدان ممتلكاتهم أن يعيشوا إلا ببيع قوة عملهم، على أن الآثار المترتبة عن التسجيل لم تكن آنية؛ إذ كان الفلاحون يصرون على عدم بيع أراضيهم كما اعترف بذلك احد الكتاب في عام 1918 :« إن من الصعب الحصول على أراضي الملك ... ففي كل مناطق المغرب تقريبا، كان الأهالي يرفضون البيع» (C. Ancey, *Nos intérêts économiques au Maroc*, Paris 1918, p. 43) وقد نجم من ناحية أخرى عن هذا الاستحواذ المرافق للتنظيم العقاري الاستعماري تحطيم توازنات اخرى أساسية، مما ساهم وعجل بتدمير البنية القبلية ؛ وهذا ما ولد الحركة البدائية لقوة العمل (التباع، م مذكور ، ص 63).

ظاهرة التبعية والاستعمار الجديدة : «إن العلاقات بين الأمم من خلال موازين القوى التي تحدد، بالدرجة الأولى، العلاقات الدولية، قد زكرت داخل عديد من الأمم التأثيرات الخارجية، وسببت حسب تعبير ك.بوردي C. Bourdet (1951)، نوعا من انتشارية وامتداد الحدث الكولونيالي" حسب "جورج بلانديي" (G. Balandier, *Sens et puissance*, éd. P.U.F., Paris 1951, pp. 151-152) قد تكون لفظة التبعية dépendance، التي يحاول البعض أن يشرح بها جزءا من أوضاع الاستعمار ومخلفاته الراهنة، ناقصة، لما تحتوية من شحنات انفعالية، ذاتية، لا تجدي موضوعيا لنقد أوضاع ما بعد الاستعمار بالبلدان المستعمرة سابقاً. لذا فإنه من الأفضل، إيجاد وصياغة جواب لسؤال مهم : كيف يمكننا أن نعرف ونحدد وضعية التبعية Situation de dépendance وكيف يمكن تشخيصها موضوعيا ؟ (G. Balandier, ibid, p. 152)، لأنه إذا كان صحيحا أن كل حرية انسانية هي حرية مواقفية Liberté située، مقيدة، و"مؤطرة في الواقع" Encadrée dans le réel و"تحت شروط"، و"نسبية" (ج. گورفيتش 1951)، فإن علينا ان نعترف بأن درجة معينة من الخضوع لحتميات اجتماعية وشكل من اشكال التبعية، كلاهما يكونان خصوصية واساس كل وجود اجتماعي، كما يتعين ذلك على مستوى التربية داخل العائلة، من خلال بنية العلافات التي تربط الاطفال بالوالدين، حسب أنواع التربية المعمول بها. إن هاته العلاقات "الاولية" تعكس في كل المجتمعات (حسب منظور التحليل النفسي) نوعا من التبعية البدائية Dépendance primaire. علينا أن نتساءل عن العلاقة بين هذه "التبيعة الأبوية البدائية" والنموذج العلائقي الذي يفرضه المعمرون إزاء الأهالي. أليست الإيديولوجية الاستعمارية، من خلال ما يسميه جورج هاردي (1929) بالغزو المعنوي والأخلاقي Conquête morale تثبيثا وتكريسا لتفوق الأوربي على الأهلي الذي لازال في أمس الحاجة إلى من ينقده من البدائية والتوحش؟ وبنينة وعي ألفئات الأهلية المغربة والمدمجة في إطار مسلسل التعاون الحمائي، وفق مستلزمات لا تمس بمصالح المتربول الأساسية؟!

ن، بودربالة، *من أجل رؤية هادئة حول الاستعمار* (إدراك الاستعمار في حقل الفكر المتخلص من الاستعمار) حالة المغرب. تعريب : محمد شقرون ؛ ح. التباع، *تفكك البنى ما قبل الرأسمالية، وحركية قوة العمل في المغرب* (1900 ـ 1980)- مجلة الاقتصاد والمجتمع ،3، 1987 ؛ م. الكير، *القبلية والاستعمار* (من 1900 إلى 1934) بحث في اطار د.د.ع. (في طور الانجاز).

E. Doutté, *Des moyens de développer l'influence française au Maroc. 1er Partie, Analyse des moyens généraux d'influence*, Rapport à Mr. Le Gouverneur général d'Alger, F. Levé, Paris 1900, 120 p + 2 cartes ; H. Lyautey, *Paroles d'action* ; J. Célerier, *Les mouvements migratoires indigènes au Maroc*. Bull. écon. et social du Maroc 1934 ; J. Célerier, *Chez les berbères du Maroc : de la collectivité patriarcale à la coopérative*. Annales d'Hist. économique et sociale nº 39, mai 1936, pp. 217-273 ; A. Ayache, *Le Maroc* ; P. Guillen, *Les milieux d'affaires français et le Maroc à l'aube du XXe siècle*. Revue d'Hist., Avril-Juin 1963, pp. 397-422 ; D. Rivet, *Ethnographie et conquête du moyen Atlas*, pp. 159-178 ; J. Tebbaa, *La pénétration commerciale et financiére au Maroc 1850-1912*, Mémoire D.E.S en Science Eco., Grenoble 1976 ; Belguendouz, *La colonisation agraire au Maroc et ses méthodes de pénétration*. R.J.P., Nº 4, 1978.

محمد الكير

الاستقلال، حزب برز بإعلان وثيقة 11 يناير 1944 وقد انضمت فيه شخصيات حرة الى اعضاء الحزب الوطني الذي سبق تأسيسه في أبريل 1937. والراجح أن اسم "الاستقلال" سبق اختياره من لدن اللجنة التنفيذية للحزب الوطني والشخصيات الحرة قبل ذلك حين كانوا يحضرون الوثيقة. وحزب الاستقلال هو الحزب الذي طالب باستقلال المغرب ثم قاد مع بقية الحركات الوطنية في ظل جلالة محمد الخامس كفاح الشعب المغربي في سبيل هذا المطلب. وواصل العمل السياسي ولازال إلى يومنا هذا.

أول عمل قام به حزب الاستقلال هو تقديم وثيقة 11 يناير 1944 الشهيرة الى جلالة محمد الخامس ومقيم فرنسا العام بالمغرب و ممثلي الدول الكبرى : الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفياتي. وتنص الفقرات العامة من هذه الوثيقة على مايلي :

أ ـ فيما يرجع للسياسة العامة. أولاً : يطالب باستقلال المغرب ووحدة ترابه تحت ظل صاحب الجلالة ملك البلاد المفدى سيدنا محمد بن يوسف نصره الله وأيده. ثانيا : يلتمس من جلالته السعي لدى الدول التي يهمها الاعتراف بهذا الاستقلال وضمانه، ولوضع اتفاقيات تحدد ضمن السيادة المغربية ما للأجانب من مصالح مشروعة. ثالثاً : يطلب انضمام المغرب للدول الموافقة على وثيقة الأطلنتي، والمشاركة في مؤتمر الصلح.

ب ـ فيما يرجع للسياسة الداخلية ـ رابعاً يلتمس من جلالته أن يشمل برعايته حركة الإصلاح الذي يتوقف عليه المغرب في داخله، ويكل لنظره السديد إحداث نظام سياسي شوري شبيه بنظام الحكم في البلاد العربية الإسلامية في

الشرق تحفظ فيه حقوق سائر عناصر الشعب المغربي وسائر طبقاته وتحدد فيه واجبات الجميع.

وقع هذه الوثيقة ستة وستون شخصاً منهم تجار وصناع وفلاحون وموظفون وعلماء وأساتذة ومعلمون ومهنيون أحرار، فبينوا في ديبجاتها أن المغرب تمتع دائما بحريته وسيادته الوطنية إلى أن فرض عليه نظام الحماية الذي تعهد لتبرير وجوده بإدخال الإصلاحات دون مساس بالسيادة المغربية وبنفود جلالة الملك. ثم أوضح الموقعون على الوثيقة أن الحماية بَدلت النظام الشرعي بنظام مبني على الحكم المباشر الذي توصلت بمقتضاه إلى الاستحواذ على مقاليد السلطة واحتكار موارد البلاد، وحاولت تحطيم الوحدة المغربية . وذكروا بتغير الظروف التي أسست فيها الحماية وبمشاركة المغرب في الحروب العالمية في سبيل الحرية إلى جانب الحلفاء، واعتراف هؤلاء في ميثاق الأطلسي بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها وخلصوا إلى أن الأمة المغربية تكون وحدة متناسقة الأجزاء تشعر بحقوقها وواجباتها وتقدر الحريات الديموقراطية حق قدرها. ولهذا تطالب بالاستقلال.

مما لاشك فيه أن الحرب العالمية الثانية كان لها أثر بالغ في زيادة تعميق الوعي الوطني في المغرب، وكان لإعلان مبادىء الحلفاء من وراء محاربتهم لدول المحور، ودستور الأطلسي ثم لتأسيس هيئة الأمم المتحدة وانعقاد دورتها الأولى في سان فرانسيسكو صدى عميق في النفوس مما أمل القيادة الوطنية في تحرير البلاد من قبضة فرنسا التي

صورة وثيقة المطالبة بالاستقلال ـ يناير 1944

سبق أن هزمت في بداية الحرب فمن العبث أن ينكر تأثير أجواء الحرب... ونزول الحلفاء بالمغرب واستقلال سوريا ولبنان، ومن العبث أن ننكر ما أحدثه ذلك من تفاعل في نفوس الوطنيين شجعهم على اتخاذ السياسة الصريحة في مطالبهم.

جاء حزب الاستقلال بديلا للحزب الوطني لتحقيق المطالب المغربية الذي سبق في أعقاب الانشقاق الذي طرأ على "كتلة العمل الوطني" في يناير 1937 والتي كانت تضم جميع العاملين وتفرع عنه " الحزب القومي "كذلك . وكان للكتلة وللحزب الوطني ماض طويل في النضال منذ سنة 1930 حين صدر ظهير 11 ماي المعروف بالظهير البربري الذي كانت الحماية تهدف من ورائه إلى "فرنسة المغرب لغويا وسياسيا وقضائيا وتتخذ لذلك وسائل التفرقة بين عنصرين كبيرين في البلاد فتعمد الى من نظنه أقرب إليها فتحول بينه وبين الثقافة الإسلامية والعربية" وبذلك يكون حزب الاستقلال امتداداً طبيعيا للحركتين اللتين تقدمتاه. وقد سبق أن تعرضتا إلى قمع شديد على فترات متعددة حيث نفي قادتهما واعتقل كثير من أعضائهما في الحواضر والأرياف احتجاجا على السياسة البربرية وغيرها من الأعمال التعسفية وسعياً لتحقيق الإصلاحات. خاصة منها دفتر المطالب المغربية المقدم من لدن كتلة العمل الوطني للسلعات المغربية والفرنسية في الرباط وباريس في ديسمبر 1934، ثم المطالب المغربية والمطالب المستعجلة المقدمة من لدن الحزب الوطني في 1936.

من الملاحظ أن الحركات السياسية قامت في المغرب بعدما نفد زاد المقاومة المسلحة وكادت تلفظ نفسها الأخير بعد معارك طاحنة جرت في الأطلس الكبير والاطلس المتوسط وبعد الحرب الريفية التي قادها محمد بن عبد الكريم من سنة 1921 إلى 1926 وضعت كل من فرنسا وإسبانيا ثقلهما العسكري للقضاء عليها. وبذلك جاء النضال السياسي بديلا واستمراراً للمقاومة المسلحة.

ومهما اختلفت وسائل التعبير والممارسة في المقاومة المسلحة وفي النضال السياسي الذي تمثل في الحركات الوطنية، فإن أهدافهما تبقى واحدة. "إن الحزب الوطني وكتلة العمل الوطني من قبله لم تكن حركة إصلاحية تستهدف تطور المغرب في ظل الحماية، ولكنها كانت حركة استقلالية منذ البداية، وما كانت تتقدم به من مطالب إصلاحية إنما هي لتبرير الوجود الرسمي من جهة، ولتعجيز الإدارة الفرنسية من جهة أخرى" فاستجاب المغربي ولم يفتأ يحن إلى استرجاع حريته واستقلاله. والمطالبة بالإصلاحات التي كان يعرب عنها قادة الحركات السياسية، إنما كانت وسيلة لبلوغ تلك الغاية. فلئن كانوا يلجأون إليها لأسباب ظرفية، فإن الهدف لم يكن يخفى حتى على سلطات الحماية حيث كان يطفو على سطح الأحداث فتضطر تلك السلطات إلى استعمال العنف الذي يؤدي الى ردود الفعل من وسط الضحايا. وذلك ما جعل الوطنيين ييأسون في النهاية من كل مطالبة بالإصلاح. وهكذا فـ "إن تجارب السنين الطويلة الماضية في نظام الحماية وتجارب رجال الحركة الوطنية في سياسة المراحل بعثت كلها في نفوس الوطنيين في الداخل والخارج شعوراً بالحاجة الى عمل حاسم ومصارحة ظاهرة بحقائق الاشياء ... إن المغاربة لم يعودوا يرون في اسلوب الحماية الا الاستعباد الواضح البين".

في سنة 1942 بدأ انحسار المد النازي وظهرت المؤشرات الأولى لهزيمة دول المحور، فأخذت الأفكار في المغرب تتبلور في اتجاه التحرير لدى فئات المغاربة، والنفوس تتهيأ لما بعد الحرب والاستفادة من الأهداف التي نادى بها الحلفاء في حربهم ضد النازية. فما كادت القوات الأمريكية تنزل بالدار البيضاء يوم 8 نوفمبر 1942 حتى كانت النفوس متطلعة لما قد سيحدث. كانت تتطلع بالخصوص لعاهل المغرب جلالة محمد الخامس وللقادة الوطنيين.

انعقد مؤتمر في يناير 1943 حضره رئيس الولايات المتحدة فرانكلان روزفلت ورئيس الحكومة البريطانية ونسطن تشرشيل وأعلن الحلفاء خلاله استمرار الحرب إلى أن "تستسلم دول المحور بدون قيد ولا شرط". وتمت خلال المؤتمر مقابلة بين رئيس الولايات المتحدة ومحمد الخامس الذي كان يرافقه سمو ولى العهد مولاي الحسن. وجرى حديث مهم بين رجلي الدولة، فكان اللقاء منعطفاً مهماً فيما أعقبه من أحداث في المغرب، وفي طليعتها تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال على النحو الذي أسلفنا.

ما كاد وفد من حزب الاستقلال يقدم الوثيقة يوم 11 يناير إلى محمد الخامس حتى استدعى جلالته مجلساً وزارياً موسعاً حضره بالإضافة إلى رجال الحكومة المغربية بعض كبار شخصيات الدولة وأعيانها عرض عليهم الوثيقة مستمزجاً رأيهم فيها. وقد تبين بعد ذلك أن توقيت وثيقة الاستقلال قد تم باتفاق مسبق بين العاهل وقيادة الاستقلال

لتكون متزامنة مع الزيارة الأسبوعية التي يؤديها المستشار الفرنسي لجلالة الملك، وانها هيئت من لدن الطرفين في عدة جلسات سرية. وكان لمحمد الخامس دور كبير في ما امتازت به الوثيقة من وضوح في الرؤية والاتزان والواقعية. نفذ الاتفاق على تقديم الوثيقة للجهات الرسمية بين الملك وحزب الاستقلال بمنتهى الدقة والضّبط . فأخذ ممثل الإقامة العامة علماً بمضمونها، وتحدث المجلس الوزاري ثم قرر تشكيل لجنة تتألف من وزيري العدلية والمعارف ورئيس التشريفات الملكية للإبقاء على الاتصال باللجنة التنفيدية للحزب والتباحث معها في أنجع السبل لإقناع الإقامة العامة الفرنسية بتنفيذ محتوى الوثيقة.

أجريت محادثات مع الإقامة العامة مدة ثلاثة أيام فيما كانت الوفود تتوارد إلى العاصمة المغربية من أقصى جهات البلاد والبرقيات والخطابات تنهال على القصر الملكي واللجنة التنفيدية لحزب الاستقلال معبرة عن التأييد والدعم. لكن المتحدثين باسم الإقامة العامة ظلوا على

موقفهم من رفض أي تغيير في معاهدة الحماية مكتفين بإبداء الاستعداد لإنجاز "إصلاحات" سياسية واجتماعية مبيتين النية على تحييد الحلفاء في المشكلة الناشئة مع حزب الاستقلال تمهيداً للاجهاز عليه. وتحسباً لذلك وجه الأمين العام للحزب الحاج أحمد بلافريج خطابا لجلالة يوم 11 يناير 1944 معلنا تشبثه بمضمون الوثيقة ورفضه التفاوض في أي برنامج للإصلاحات مع الإقامة العامة إلا إذا قبلت بمبدأ الاستقلال.

بعد مضي ثمانية أيام على تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، قابل المقيم العام الفرنسي السيد غابريال بيو جلالة الملك وأبلغه عدم موافقة لجنة التحرير الوطني الفرنسية التي كان يرأسها الجنرال دوگول على محادثات تستهدف تغيير وضع الحماية وإن من حق فرنسا وحدها اقتراح الإصلاحات التي ترى ضرورة اتخاذها. وأعلن ممثل فرنسا ان كلمة استقلال ينبغي أن تحذف من الألسنة بل وتنتزع من القلوب كذلك. وشرعت إدارة الحماية بعد ذلك في أخذ العدة لقمع الحركة الاستقلالية بادئة بمطاردة الوفود التي تواردت على العاصمة ثم بإنزال قوات عسكرية مكثفة في أهم المدن، خاصة منه فيالق الجنرال لوكير التي سبق لها أن خاضت معارك في طرابلس الغرب وتونس إلى جانب القوات البريطانية ضد الجيش الالماني. وفعلاً قام هؤلاء الجنود بقمع شديد في الرباط وسلا بوجه خاص.

وفي يوم 20 يناير 1944 ألقت السلطات الفرنسية القبض بتهمة ملفقة - تهمة الاتصال بالسلطات الألمانية - على الأمين العام لحزب الاستقلال الحاج أحمد بلا فريج، وكذلك على السيد محمد اليزيدي، فقامت تظاهرات شعبية عنيفة في كثير من الحواضر، خاصة منها الرباط وسلا وفاس، دامت عدة ايام وزهقت فيها أرواح كثيرة من المتظاهرين وبعض أعوان السلطة فرنسيين وأهالي. وانتظمت أكبر مظاهرة في الرباط كان ابتداؤها في المدينة الأهلية وآخرها في المشور. واضطرت السلطات الفرنسية إلى إطلاق سراح السيد محمد اليزيدي لتهدئة الخواطر. وبعد ذلك سيق آلاف الوطنيين إلى السجون والمنافي وصدرت أحكام بالإعدام نفذت في الحين على سبيل الزجر وأخرى بالأشغال الشاقة وعقوبات متفاوتة فعانت الحركة الوطنية محنة قاسية دامت أزيد من سنتين.

وبرز المقيم العلم الفرنسي ببرنامج "إصلاحات" وألف أربع لجان لدراستها، ثم عرضها على جلالة الملك لاستصدارها. لكن رفض محمد الخامس تذييلها بطابعه أحبطها، وظلت الحالة متأزمة في المغرب، وكانت لجنة التحرير الوطني الفرنسية بالجزائر منشغلة بتعبئة الجنود للمساهمة في الشوط الأخير من الحرب، وخاصة في تحرير فرنسا لضمان عودة مركزها بين الحلفاء.

وبعد تحرير فرنسا واستسلام ألمانيا وتأليف الحكومة الفرنسية الموقتة برئاسة الجنرال دوگول واستقرارها في باريس، استدعى هذا الأخير جلالة محمد الخامس لزيارة فرنسا، فأسفرت المحادثات التي جرت بينهما على انفراج في الأزمة السياسية، وتقرر نقل المقيم العام غابريال بيو من المغرب، وحل محله في مارس 1946 إيريك لابون. تجلى الانفراج في عودة القادة الوطنيين من المنافي وتسريح المعتقلين، والتخفيف من التضييق على الحريات العامة بما فيها حرية الصحافة وحرية الاجتماع، وانتهز حزب الاستقلال كبقية الأحزاب الأخرى هذه الفرصة لتنظيم صفوفه.

وهكذا أقر الحزب في سنة 1946 نظامه الأساسي الذي نص على تحديد الغايات والشروط التي يجب توفرها في أعضائه، وهيآت الحزب من القاعدة إلى القمة : الخلايا، ثم الفروع والمؤتمر العام الذي يتألف لمدة سنتين من أعضاء منتخبين من الفروع، والمجلس الأعلى الذي ينتخب لمدة سنتين من لدن المؤتمر العام، ثم اللجنة التنفيدية وتنبثق عنها الامانة العامة التي اسندت منذ البداية الى السيد بلا فريج بينما احتفظ السيد علال الفاسي بزعامة الحزب على الدوام، وبعد الانشقاق الذي حدث سنة 1959 أصبح رئيس الحزب إلى أن وافاه الأجل في ماي 1974.

حين برز المقيم العام الجديد إيريك لابون ببرنامج إصلاحاته أمام القسم الفرنسي لمجلس شوري الحكومة في يوليوز 1946 وهو المجلس الذي كان يستشيره ممثلو فرنسا في شتى القضايا خاصة القضايا الاقتصادية والاجتماعية أثار زوبعة من المعارضة سواء من طرف الحركة الوطنية خارج المجلس أو ممثلي الجالية الفرنسية في داخل المجلس : الأولى لانها اعتبرت برنامج إيريك لابون لا يختلف عما سبقه حيث يدخل في نطاق الحماية، بينما المغرب يطالب بالاستقلال "إذ أن جميع الأفكار التي أعرب عنها تدل انه ما يزال يفكر في دائرة نظام الحماية الذي أثبتت تجربة ثلث قرن أنه بما يشتمل عليه من أوضاع وظروف هو السبب الرئيسي في مشكلة الإدارة المغربية وفي خيبة الشعب الذي لم يجد في ذلك النظام أمناً اجتماعيًا ... وحماية مخلصة لحرية هذه البلاد واستقلالها " وقام الحزب بحملة تشهير ومقاطعة لبرنامج ايريك لابون داخل المغرب، وفي فرنسا بواسطة الصحف والتجمعات. أما ممثلو الجالية الفرنسية فقد رأوا البرامج مساً خطيراً بما لهم من المصالح والامتيازات. "لكن الفضل الأكبر يرجع لجلالة الملك الذي رفض رفضاً باتاً المصادقة على مشروعات الظهائر ..".

ولما بدأت الدعوة في فرنسا على عهد رئيس الجمهورية إذ ذاك فانسان أوريول للاتحاد الفرنسي واقحام المنطقة المشمولة بالحماية في هذا الاتحاد. أصر جلالة محمد الخامس على أن يقوم برحلة إلى طنجة عبر المنطقة الخليفية الواقعة تحت الحماية الاسبانية . وذلك للإعلان على الملأ أن المغرب يكوّن وحدة إقليمية على اختلاف مناطقه تحت سيادة مشروعة واحدة . وقد أدت هذه الرحلة التاريخية التي تمت في الأسبوع الأول من أبريل 1947 والمواقف التي اتخذها العاهل وولي عهده في خطبهما وتصريحاتهما

مطالبين بإلغاء نظام الحماية والتفاوض من أجل الاستقلال إلى استبدال إيريك لابون بالجنرال جوان، فدخلت العلاقات المغربية ـ الفرنسية في أزمة بتصدي المقيم العام الجديد الى العاهل المغربي وحزب الاستقلال معاً. وبلغت الأزمة أوجها بطرد أعضاء حزب الاستقلال في مجلس شورى الحكومة من لدن الجنرال جوان في ديسمبر 1950، واثارة بعض العملاء وعلى رأسهم باشا مراكش التهامي الأگلاوي ضد محمد الخامس . ثم طلب المقيم العام من العاهل أن يتبرأ من الحزب، وإذا كان الجنرال جوان لم يصل إلى مبتغاه رغم افتعاله لأزمة 26 فبراير 1951 حيث حاصر القصر الملكي وأرغم العاهل على إمضاء بروتوكول اتفاق. فقد خلفه الجنرال گيوم في خطته عندما عين مقيماً عاماً في اكتوبر 1951. وسرعان ماصرح أنه " سيطعم التبن لحزب الاستقلال" وبدأ بمناوشته . ثم نفّذ خطة سلفه على مرحلتين : الأولى بقمع الحزب ابتداء من يوم 8 دسمبر 1952 في أعقاب الإضراب الذي قامت به هذه الحركة، بمناسبة اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحت حشاد. والمرحلة الثانية بخلع جلالة محمد الخامس في 20 أغسطس سنة 1953 ونفيه إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر. بهذا الاعتداء الأخير على المشروعية، لم يعد سبيل للشعب المغربي سوى الثورة مطالباً بعودة محمد الخامس إلى عرشه. وبقي صامداً في المقاومة والفداء إلى أن عاد العاهل مظفراً في 16 نوفمبر 1955.

جمهور المواطنين يستقبلون جلالة محمد الخامس عند رجوعه مبشراً بالحرية والاستقلال

عانى حزب الاستقلال بقيادته وجميع أطره محنة المنافي و المحاكمات والسجون والمعتقلات بشتى أنواعها ، ولقى كثير من العاملين في صفوفه أشد أنواع العقوبات من أعمال شاقة وغيرها . بينما نشأت حركة المقاومة والفداء واستفحل أمرها حتى عجزت إدارة الحماية عن إخمادها. وتصدت هذه المقاومة إلى كبار المسئولين في الإدارة وعملائهم ابتداء من ابن عرفة الدعي الذي نصبوه على العرش والتهامي الأگلاوي. وعجزت هذه الإدارة على مواجهتها رغم توالي أربعة مقيمين، ورغم ما بذلته من محاولات في سبيل التهدئة . وظلت الحركات الوطنية على كلمة واحدة : إعادة المشروعية وعودة صاحبها.

لم تر الحكومة الفرنسية بداً من دعوة حزب الاستقلال وبقية الأحزاب وشخصيات مغربية أخرى إلى عقد مؤتمر في ايكس لي بان يوم 4 أغسطس 1955 للبحث عن حل مشكلة العرش، فكانت بداية حل الازمة المغربية ـ الفرنسية التي انتهت بعودة محمد الخامس إلى باريس وإجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية أفضت إلى صدور بيان مغربى ـ فرنسي يوم 2 مارس 1956 اعترف باستقلال المغرب، تلته مفاوضات مع الحكومة الإسبانية صدر في أعقابها بيان مشترك يعترف باستقلال ووحدة الجزء الشمالي الذي كان تحت حمايتها.

وشارك حزب الاستقلال في الحكومة الائتلافية التي ألفها السيد مبارك البكاي عقب عودة، محمد الخامس في نوفمبر 1955 إلى عرشه. وأسهم في المفاوضات السابقة. ثم ألف السيد الحاج أحمد بلا فريج الأمين العام للحزب حكومة منسجمة، بعد الأزمة الوزارية التي نشبت بتاريخ 16 أبريل 1958 ، قدم على أثرها اعضاء حزب الاستقلال السبعة استقالتهم لكن سرعان ما أخذت بوادر الانشقاق تبدو في صفوف حزب الاستقلال. ولما سقطت حكومة بلا فريج تولى الوزارة الأولى السيد عبد الله إبراهيم من قادة الحزب المنشقين. تم الانشقاق في فبراير 1959 حيث نشأ حزب جديد بقيادة عبد الرحيم بوعبيد والمهدي بن بركة والفقيه محمد البصري (عن المقاومة وجيش التحرير) والمحجوب بن الصديق (عن الاتحاد المغربي للشغل).

وظل حزب الاستقلال بالتنظيمات والأطر التي لم تنشق في ميدان العمل السياسي. وقد أسهم بحظ وافر في إقرار مشروع الدستور الأول سنة 1962. ثم أصدر وثيقته المعروفة بالتعادلية يوم 11 يناير 1963 بمناسبة الذكرى التاسعة عشرة للمطالبة بالاستقلال. وشارك عدة مرات في الحكومة المغربية. وكانت آخرها سنة 1977 لفترة طويلة. كما أن له تمثيلا في البرلمان المغربي.

الحكومة المغربية الأولى بعد الاستقلال 1956

في 13 ماي 1974 توفي زعيم حزب الاستقلال السيد علال الفاسي، وعاد الحزب إلى نظامه القديم بانتخاب أمين عام يرأس لجنة تنفيذية هي أيضاً منتخبة من لدن المجلس الوطني. والأمين العام الحالي هو السيد محمد بوستة.

الاستقلال واسترجاع المناطق المحتلة، غداة إعلان البيان المغربي ـ الفرنسي المشترك يوم 2 مارس 1956 وابرام الاتفاق المغربي ـ الإسباني يوم 7 أبريل من نفس السنة هاتين الوثيقتين اللتين ثم بموجبهما الاعتراف باستقلال المغرب، ورثت الدولة المغربية أرضاً ممزقة ووجدت نفسها أمام إصرار الاستعمار على إبقاء سيطرته على بعض أجزاء البلاد، فتوجب عليها أن تسعى بكل الوسائل لاسترجاعها.

باختصار لما استتب الأمر للحماية ضمت فرنسا تندوف إلى ما كانت تسميه بالتخوم الجزائرية المغربية " التي كان يرجع أمرها إلى والي الجزائر العام. وبعد حصول الجزائر على استقلالها سنة 1962 سلمت فرنسا كل هذه المناطق للسطلة الجزائرية.

أما في الشمال، فقد احتفظت إسبانيا ومازالت بمدينتي سبتة ومليلية والجزر الجعفرية التي احتلتها منذ القرن الخامس عشر وكافح المغرب لاسترجاعها.

واما في الجنوب فقد بقي الوجود الفرنسي في مورتيانيا، بينما تشبثت اسبانيا بمقاطعتي طرفاية وإفني والصحراء الغربية.

وإذا كانت مورتيانيا حصلت على استقلالها في 28 نوفمبر 1960، ووقع تطبيع العلاقات بينها وبين المغرب عند انعقاد القمة الاسلامية الاولى في سبتمبر 1969، فقد بقي النزاع قائماً بين المغرب واسبانيا على المناطق المغربية الأخرى التي كانت تحت الاحتلال الإسباني مع أن الدولتين اجرتا مفاوضات منذ شهر سبتمبر 1957 لاسترجاع تلك المناطق. وبذل جلالة الملك الحسن الثاني كثيراً من الجهد عن طريق التفاوض والحوار من جهة، والاحتكام إلى هيئة الامم المتحدة من جهة أخرى لاستعادتها.

وقد أدت المفاوضات المغربية. الاسبانية التي جرت بالبرتغال إلى معاهدة " سينترا" في 12 ابريل 1958 استعاد المغرب بموجبها مقاطعة طرفاية. وأكد وزير خارجية المغرب وهو يوقع على هذه المعاهدة أن عودة طرفاية لاتعتبر حداً فاصلاً لمطالبة المغرب ببقية أراضيه التي ماتزال تحت الاحتلال، واضعاً بذلك مشكلتي إفني والصحراء المغربية على بساط التباحث.

لقد شهدت العلاقات المغربية الإسباينة بعد ذلك أطواراً كثيرة من التوتر كان العاهل المغربي يسعى بكل ماعرف عنه من حنكة سياسية ورغبة في الحوار أن يعالج الخلاف بطريق التفاوض. فبعد عرض قضيتي إفني والصحراء الغربية على هيئة الامم المتحدة التي اتخذت في شأنها عدة ملتمسات أهمها الملتمس رقم 2072 في 1965 والذي طالب بإجراء مفاوضات بشأن المقاطعتين، وبعدما أبدت إسبانيا استعدادها للتفاوض حول إفني، أجريت مفاوضات بفاس أفضت إلى معاهدة 1969 بتحرير هذه المنطقة.

لكن النزاع على الصحراء الغربية شكّل بعد ذلك أكبر خلاف بين المغرب وإسبانيا. وقد بذل المغرب ـ ملكا وشعبا ـ جهداً متواصلاً في سبيل استرجاعها، وأبان العاهل المغربي بالخصوص كثيراً من الدهاء السياسي في تسوية المشكلة. هذه المشكلة التي نشأت في الحقيقة منذ إبرام اتفاقية 7 أبريل 1956 التي اعترفت إسبانيا بموجبها باستقلال المغرب ووحدة ترابه. لكنه لم يحتدم ويشهد تطورات شتى، متوترة أحياناً وأقل حدة أحياناً أخرى، إلا منذ 1966 حين عرض المغرب قضية الصحراء على أنظار هيئة الأمم المتحدة.

فاتخذت الجمعية العامة ملتمساً مهماً دعت فيه إسبانيا لإجراء استفتاء في الصحراء بالاتفاق مع الأطراف المعنية، وحددت الظروف التي ينبغي أن يتم الاستفتاء في ظلها، وذلك : بخلق جو سياسي يسمح بإجرائه على قواعد ديموقراطية حرة وبدون تحيز، وألا يشارك في الاستفتاء إلا سكان المنطقة، وأن تمتنع اسبانيا عن كل ما من شأنه أن يؤخر تحرير الصحراء، وتمنح كل المساعدات الضرورية لوفد هيئة الأمم المتحدة من أجل تنظيم الاستفتاء وتنفيذه.

وحيث سبق للجزائر أن أعلنت نفسها طرفاً معنياً بحل النزاع لاعتبارات جغرافية. سياسية وبحكم جوارها للصحراء، وبما أن موريتانيا كانت تطالب بهذا الاقليم، فقد وجدت اسبانيا مبرراً للمماطلة في تنفيذ قرار الأمم المتحدة. فأصبح من الضروري إحباط اللعبة الاسبانية بالدعوة لاتخاذ موقف موحد من لدن الدول الثلاث : المغرب والجزائر وموريتانيا. فبذل المغرب مساعي حثيثة في هذا السبيل.

في يوم 15 يناير 1969 انعقد اجتماع مغربي ـ جزائري بمدينة إفران وبحضور جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس هواري بوميدن وتم التوقيع على معاهدة أخوة وحسن جوار وتعاون.

وفي 14 سبتمبر 1970 تم لقاء بين رؤساء الدول الثلاثة : جلالة الملك الحسن الثاني، والرئيس هوراي بومدين، والرئيس المختار ولد دادة في نواديبو على حدود وادي الذهب من الصحراء المغربية، واتفقوا على تكثيف تعاونهم لتحرير الصحراء طبقاً لقرارات الامم المتحدة.

لكن هذه الجهود ذهبت سدى حيث بقيت موريتانيا تصر على المطالبة بالصحراء لنفسها، بينما كانت الجزائر تؤمل وتسعى لقيام دولة صحراوية مستقلة. فاستغلت اسبانيا الخلاف وشرعت تنشئ مؤسسات سياسية إدارية لتخويلها السلطة عند الحاجة. في ماي 1967 أسست "الجماعة" من الأعيان ومنحتها اختصاصات محدودة بحيث تبقى المنطقة تدور في الفلك الإسباني في حال ما إذا حصل تغيير في

نظامها السياسي. ثم قررت الحكومة الاسبانية أن تقوم منفردة بالاستفتاء وأخبرت الأطراف المعنية بذلك.

حينذاك قام المغرب برد فعل قوي، منددا بالمبادرة الإسبانية التي تتنافر مع قرارات هيئة الأمم المتحدة ولا تعير اعتباراً للأطراف المعنية. وفي نفس الوقت ولإحباط هذه المبادرة رفع المغرب طلباً إلى محكمة العدل الدولية لتبدي رأيها في إقليم الصحراء الغربية هل كان أرصا خلاءً أو كان تابعاً لدولة ما عندما احتله الاستعمار الإسباني.

ثم صدر عن الجمعية العامة للامم المتحدة ملتمس يحمل رقم 3292 في ديسمبر 1974 يطلب من إسبانيا تأخير استفتائها إلى صدور قرار محكمة العدل وبت الأمم المتحدة في شأن مصير الصحراء بمقتضاه.

وفي 16 اكتوبر 1975 أصدرت محكمة العدل الدولية حكمها مؤكدة أن علاقات قانونية بين المغرب والصحراء الغربية كانت موجودة حين أقدمت إسبانيا على احتلال هذا الإقليم، وذلك بوجود روابط البيعة بين سلطان المغرب إذ ذاك والقبائل التي كانت تعيش في الصحراء الغربية (الفقرة 162 من الرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية).

أصبح موقف المغرب معززاً بهذه الحجة التاريخية فقرر جلالة الملك الحسن الثاني في نفس اليوم القيام بمسيرة شعبية سلمية أطلق عليها « المسيرة الخضراء» تتألف من 350000 شخص للدخول إلى الصحراء. وتم ذلك وفق خطة محكمة.

اضطرت الحكومة الإسبانية تحت ضغط التأثير المعنوي لهذه المسيرة أن تجري مفاوضات مع كل من المغرب وموريتانيا أفضت إلى إبرام اتفاقية يوم 14 نوفمبر 1975 بمدريد، ونصت هذه الاتفاقية من جهة على إنشاء إدارة ثلاثية موقتة مغربية ـ اسبانية ـ مورتيانية يعهد لها بتسيير الصحراء إلى انسحاب إسبانيا منها في 28 فبراير 1976، ومن جهة أخرى إلى استشارة الشعب الصحراوي بواسطة "الجماعة".

اختصت موريتانيا بالقطاع المسمى بوادي الذهب بينما اختص المغرب ببقية الإقليم الصحراوي لكنه عاد فضم وادي الذهب بعد البيعة التي عقدها سكانه لجلالة الملك الحسن الثاني. لكن قضية الصحراء بقيت مسجلة في جدول أعمال هيئة الامم المتحدة بعد اتخاذ الجزائر موقفاً معارضاً للمغرب ومساندتها لجبهة " بوليساريو" التى نشأت بتشجيع منها فأخذت تطالب بالأقاليم الصحراوية.

استعانت هيئة الأمم المتحدة بمنظمة الوحدة الإفريقية لإيجاد تسوية هذه القضية بعدما عجزت بمفردها عن العثور عن حل. وقد تعاون المغرب مع هذه المنظمة وقبل في النهاية مبدأ الاستفتاء على لسان جلالة الملك الحسن الثاني في مؤتمر القمة الافريقية بنايروبي في شهر يونيو 1981.

لكن بعدما أعلنت جبهة بوليساريو عن إنشاء «الجمهورية العربية الصحراوية الديموقراطية » وبعد المناورات التي قام بها أمين منظمة الوحدة الافريقية السابق إذيم كودجو لقبولها في هذه المنظمة في فبراير 1982 انسحب المغرب من عضويتها بحجة خرق ميثاق المنظمة وتجاوز الصلاحيات وظل مع ذلك متشبثا بمبدأ الاستفتاء وبالشرعية الدولية المتمثلة في هيئة الأمم المتحدة وأمينها العام.

وقد قام السيد خافير دوكويلار بعدة مساع لإيجاد تسوية عن طريق الاستفتاء. وانتهت مخابراته بوضع برنامج نال مصادقة المغرب وموافقة جبهة بوليساريو.

وفي تلك الأثناء تم تطبيع العلاقات المغربية ـ الجزائرية في أعقاب اجتماع القمة العربية بالجزائر في ربيع 1988 وقد حضر عاهل المغرب في هذه القمة. وتم الاتفاق بين رؤساء الدول الخمس : المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا على القيام بالخطوات الأولى لبناء المغرب العربي والفكرة سائرة بخطى شاسعة إلى الأمام.

بينما مسألة الاستفتاء في قضية الصحراء المسترجعة مازالت موضوعة على بساط البحث.

وثيقة 11 يناير 1944 للمطالبة بالاستقلال ؛ ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي*، ص 245 ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركات الوطنية بالمغرب*، 1 : 219 ؛ *الأزمة الوزارية أسبابها ونتائجها* : مطبوعات دار "العلم" ؛ ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*.

Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux imperialismes* ; A. Ayache , *La Grande Encyclopédie du maroc, histoire*, p 220 ; *institutions*, p. 175.

قاسم الزهيري

اسْتيتُو، محمد ولد سنة 1924 بالريف بدوار تمركيست تيلوين. انخرط في صفوف جيش التحرير وأبلى البلاء الحسن في الكفاح المسلح ضمن الفرقة 13 بقيادة المجاهد ابن المختار حتى سقط في ساحة الشرف خلال معركة أيت باعمران بجبل بوجريفن يوم 2 دجنبر 1957.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أيت إسحاق، أو زاوية أيت إسحاق، قرية واقعة عند قدم الأطلس المتوسط على الطريق الرابطة بين خنيفرة

وقصبة تادلا، تبعد عن الأولى بنحو 35 كلم وعن الثانية بنحو 64 كلم. كانت في منتصف القرن الحادي عشر / 17 حاضرة الإمارة الدلائية، أسسها محمد الحاج الدلائي لتكون عاصمة إمارته الناشئة بعد أن ضاقت الزاوية الدلائية القديمة الجبلية بالسكان وامتلأت السبل المؤدية إليها على وعورتها بالواردين والصادرين. فشرع في بناء المدينة الجديدة يوم الأحد 16 ربيع الأول عام 1048 / 28 يوليوز 1638، وأحاطها بأسوارعالية مسنَّنة كأسوار فاس، واتخذ لنفسه قصراً وديوانا عظيمين داخل المدينة الجديدة أحاطهما بسور داخلي ما يزال بعضه ماثلا للعيان حتى اليوم، أجرى المياه إلى القصر والدور والمساجد في قنوات تحت الأرض على نحو مايوجد بفاس .

أسكن محمد الحاج معه في عاصمته الجديدة خمس قبائل بربرية من أكثر سكان الأطلس المتوسط عصبية وحمية، وهي قبيلته مجاط، وأيت يمور، وأيت نضير، وگروان، وأيت إسحاق. وبذلك استكمل محمد الحاج الدلائي مظاهر الأبهة والسلطان، وتكونت لديه أهم قوة حربية بالبلاد صال بها وجال وامتلك أهم أقاليم المغرب مدة تنيف عن ثلث قرن.

وقد اتخذت مدينة أيت إسحاق عند تأسيسها أسماء متعددة، فدعاها بعض المؤرخين قصبة الدلاء أو مدينة الدلاء، وسماها بعضهم مدينة أزغار أو الزاوية البكرية لانتقال الدلائيين آل الشيخ أبي بكر إلى السكنى بها. لكن هذه الأسماء كلها اختفت بعد سقوط إمارة الدلائيين وتحطيم المولى الرشيد بن الشريف الزاويتين القديمة والحديثة عام 1079 / 1668. وأصبحت القرية التي قامت على أنقاض مدينة محمد الحاج أو الزاوية الدلائية الحديثة تدعى زاوية أيت إسحاق باسم القبيلة التي تمتد مواطنها في ذلك المنبسط من الأرض.

وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت أسوار مدينة محمد الدلائي المسننة كأسوارفاس ماتزال قائمة في زاوية أيت إسحاق، وكذلك المسجد الأعظم ومناره الشامخ وباب مجاط الكبير المُطل على وادي أهل زمور (أسيف نايت زمور) وقنطرته، لكن جنود الاحتلال الفرنسي حطموا خلال سنوات 1941 - 1944 هذه الآثار واستخدموا أنقاضها في بناء الثكنات العسكرية والمكاتب الإدارية. وقد اكتشفوا أثناء حفر الأسس قنوات المياه التي كانت توزع المياه على مرافق المدينة فطمسوها. ولما زرت زاوية إسحاق في ربيع 1381 / 1962 لم أجد من بقايا المدينة القديمة إلا آثار أسوار عظيمة كانت تحيط بالمدينة الدلائية ممتدة على مسافات شاسعة، ترتفع أحيانا عن سطح الأرض وتساويه أخرى أو تختفي تحت ركام التراب، إضافة إلى بقايا أسوار داخلية ماتزال قائمة بأبراجها كانت تحيط بالقصر، ومسجد جدد سقفه أخيراً وبقايا أقواس الديوان.

ع. العياشي، *الإحيا والانتعاش*، مخطوط ؛ م. القادري ، نشر 1 : 376 . س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ أ. الزياني، *البستان*، مخطوط. أ. الناصري، *الاستقصا* ج 6 ؛ أ. المنصوري الزياني، *تاريخ زيان* ، مخطوط ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية* (ط 2) ص 36 - 41 و 165 - 166.

R. Henry, Hespéris, T 36, 1944, p 49.

محمد حجي

إسحاق بن **علي** بن يوسف بن تاشفين. لما سقط تاشفين بن علي بن يوسف صريعا في وهران سنة 539 إثر الحرب الطويلة التي شنها عليه عبد المومن بن علي انطلاقا من المغرب ، بادر المرابطون بمراكش إلى مبايعة ابنه إبراهيم خلفا له. لكن سرعان ماتبين لهم أن الخلف لم يكن في مستوى الظرف العصيب الذي كانت تجتاز منه الدولة بل ظهر منه ضعف وتخاذل.

وهذا ما حدا بعمه إسحاق بن علي إلى الخلاف عليه ونقض بيعته والدعوة لنفسه. وهنا نجد اختلافا بين المصادر. فبينما يذكر ابن خلدون مامعناه أن المرابطين نحوا إبراهيم بالمرّة وبايعوا إسحاق، يشير ابن عذاري وصاحب *الحلل الموشية* إلي استمرار "الخلاف والتدابر بينهم إلى انقطاع دولتهم ودخول الموحدين عليهم".

ومهما يكن فالشخص الذي برز في ساحة الأحداث عند استيلاء الموحدين على مراكش وكان بيده الأمر والنهي هو إسحاق . ولعل الصراع الذي قام بسبب هاته القضية لم يكن بين المرشحين لخلافة تاشفين لأنهما كانا صغيري السن آنذاك، بل بين فئتين من كبار المرابطين. ولاشك أن الفئة التي ناصرت إسحاق اعتبرت أن والده عليا رشحه في أواخر أيامه لولاية عهده، إذ خاب ظنه في تاشفين الذي كان أسند إليه ولاية العهد و"جاءت الأيام بخلاف ما أمل فيه فتشاءم به وعزم على خلعه وصرف عهده إلى ولده الأصغر إسحاق" (ابن عذاري، *البيان*، 4 : 99) واتخذ كل التدابير الضرورية لإنقاذ أمره فاستدعى ولده تاشفين للعودة بجيشه إلى مراكش، واستدعى عامله إلى إشبيلية عمر ليجعله شيخ ابنه إسحاق ومدير أمره لكن حدثت أحداث مروعة لتاشفين وهوعائد في طريقه، إذ صادف أمطارا غزيرة وهو مخيم بظاهر فاس، وكثر السيل والوحل، فمات كثيرمن الناس والدواب وفشا البرد والجوع في جيشه لانقطاع الطريق عنهم، فلم يستطع أن ينفذ ما عزم عليه إذ أدركه الموت بعد ذلك بقليل. ويظهر من رواية ابن خلكان أن المرابطين، بعد وفاته، أخذوا بحل وسط إذ جعلوا إسحاق "نائب أخيه تاشفين على مراكش".

هاته الاختلافات البسيطة التي نعثر عليها في المصادر تدل، قبل كل شيء، على أن المعكسر المرابطي كان منقسما على نفسه وأن أنصار إسحاق تمكنوا من فرض مرشحهم بعد مقتل تاشفين بوهران الذي جرى بالضبط في ليلة 27 رمضان 539 / 22 فبراير 1145، وكان إسحاق آنذاك لايتجاوز أربع عشرة سنة. ولم يستمتع حقيقة بالملك ولاصادف حظا سعيدا في أي يوم من حكمه، إذ كانت الدولة المرابطية في النزع الأخير تتكبد هزيمة إثر أخرى في

كل المعارك التي دارت بينها وبين الموحدين، وهكذا استولى عبد المومن على وهران ثم تقدم نحو تلمسان فنكّل بأهل تاگرارت وعفا عن أهل تلمسان وظل بها سبعة أشهر ثم استأنف طريقه نحو المغرب ، فتلقى بيعة سجلماسة . وقصد فاس واستولي عليها بعد مقاومة من المرابطين ، دامت سبعة شهور ، في أواخر سنة 540 ثم استولى علي مكناسة فسلا وتقدم في طريقة نحو مراكش التي ظلت هي المعقل الأخيرللمرابطين.

وضرب الموحدون حصارهم لمراكش ابتداء من فاتح محرم سنة 541 / 13 يونيو 1146 وبنوا مدينة أو محلة حول جبل إيجليز إيذانا باستعدادهم لعملية حصار طويلة. وأصبح المرابطون داخل عاصمتهم في وضع حرج لايراودهم أمل كبير في اجتناب الكارثة. ومع ذلك فقد صمدوا صمودا يدل على استماتة ورجولة.وحاولوا القيام بمعركة حاسمة مع الموحدين لكنهم لم يوفقوا وتكبدوا خسائر لوقوعهم في كمائن أعدائهم.

ويظهر أن إسحاق كان له دور فعال في تصميم المرابطين على المقاومة، إذ طارد كل من ظهر منه ضعف وتخاذل من المرابطين مثل عمر بن ينتان الذي اضطر إلى الفرار والالتحاق بمعسكر الموحدين. ويذكر ابن عذاري مامضمنه أن اللمتونيين كانوا بمراكش "في عدة من كبارهم وبقية من أحشادهم وأميرهم إسحاق بن يوسف، وكان صبيا صغيرا، فأمرهم بالخروج إلى حزب النازلين عليهم" (*البيان*، 3 : 27)، طال الحصار تسعة أشهر وثمانية عشر يوما حتى هلك المرابطون بالجوع وانعدمت الأقوات. فتمكن الموحدون من الدخول إلى المدينة في تاريخ 18 شوال541 / 24 مارس 1147. وحاول إسحاق أن يواصل هو وصحبه مقاومتهم داخل القصبة المدعوة "قصر الحجر" لكن سرعان مااقتحم الموحدون عليهم المكان. وهكذا وقع إسحاق آخر ملوك المرابطين في قبضتهم. ورق له عبد المومن لما رأى صغر سنه وحاول أن ينقذه من الموت، لكن أحد شيوخ الموحدين "من أهل خمسين، أبا الحسن بن واجاح، اعترض بشدة على موقف عبد المومن الذي غادر المكان مغضبا فقام حينئذ بقتل "الصبي" إسحاق، وهو مايزال في السادسة عشرة من عمره بمحضر الشيخ الهنتاتي.

وكان لابد من القضاء على آخر رمز لدولة المرابطين، سيما إذا اعتبرنا مبلغ قساوة الموحدين عند اقتحامهم لمدينة مراكش إذ قتلوا بها على ماتذكر بعض المصادر ما لا يقل عن نيف وسبعين ألف رجل وهلك من الجوع أزيد من مائة وعشرين ألفا من سكانها.

البيذق أ، *أخبار المهدي* ؛ ع. ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن خلدون، *كتاب العبر* ؛ ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ابن الأبار، *الحلة السيراء* ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*.

محمد زنيبر

إسحاق بن ويعزان، أبو إبراهيم، ذكره التادلي في *التشوف* وعده من الأولياء الأخفياء، من أهل رباط تاسماطت، تُطوي له المسافات فيحج في أيام قليلة. وهو من أهل القرن السادس الهجري، مات بأغمات وريكة.

التادلي *التشوف*، 235.

أحمد التوفيق

إسحاق بن يوسف بن عبد المومن، أحد أولاد يوسف بن عبد المؤمن الثمانية عشر وهو، حسب *روض القرطاس*، شقيق ليعقوب المنصور. لا تتحدث عنه المصادر كثيرا. وكل ما نعلم أنه كان واليا على غرناطة. وقد أشار إليه ابن الخطيب في *الإحاطة* كأحد ولاتها. وأثناء ولايته حدثت وفاة والده بالأندلس سنة 580 / 1184 وبيعة أخيه يعقوب المنصور بالأندلس الذي رجع إلى المغرب في موكب فخم وهيئة حافلة. وحضر السادة إسحاق وأبو زيد وأبو يحيى لوداعه في شاطئ البحر عند صعوده للسفينة العائدة إلى عدوة المغرب. مما يدل دلالة كافية على أنه كان ملحوظا وأن منزلته كانت عالية بين رجال الدولة الموحدية.

والظاهر أن ولايته على غرناطة امتد أمدها زمانا طويلا من عهد أبيه إلى عهد المستنصر الذي نقله من الولاية على غرناطة إلى الولاية على فاس واستبد له في غرناطة بعمه إبراهيم بن يعقوب المنصور. وتعيينه الجديد يدل على أنه كان موفقا كرجل سلطة إذ أن فاس وإقليمها تعد من أصعب الولايات، سيما في ذلك الظرف الدقيق الذي بدأت فيه الدولة الموحدية تنزل في منحدر التدهور.

ولعله عاد مرة أخرى إلى الولاية على غرناطة إذ نجده يتوج ولايته في آخر عهد المستنصر بمنشآت عمرانية رفيعة، من بينها القصر الذي شيده خارج غرناطة قرب نهر شنيل المعروف باسم قصر السيد، الذي تصفه *الحلل الموشية* "بالقصر الكبير الذي على نهر شنيل" وتضيف بأنه بنى رابطة أمامه سنة 615. ولا أدل على جمال هذا القصر من كون ابن الخطيب يذكر أن الأمير أبا عبد الله الغالب بالله ابن نصر اتخذ من قصر السيد "دار ضيافته خارج حضرته وهو آثر قصوره لديه" (*الإحاطة* 1 : 324). ومازالت بقايا هذا القصر قائمة إلى اليوم، ويدعوه الإسبان قصر شنيل Alcazar Cynil.

وهكذا يكون هذا الأمير يتحلى بنفس الصفات التي وجدت عند شقيقه الكبير يعقوب المنصور. فهو، في آن واحد، رجل سياسة وإدارة وصاحب ذوق كبير في المنشآت المعمارية.

ولا ننس، في الأخير، أن نذكر أن عبد الواحد المراكشي كان متصلا به ويروي عنه أخبار أبيه. كما أنه هو والد الخليفة المرتضى الذي يأتي في قائمة الخلفاء الموحدين هو الخليفة ما قبل الأخير أي أبي دبوس.

ع. المراكشي : *المعجب* ؛ مجهول، *الحلل الموشية* ؛ أ. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ م. ع عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زبير

الإسحاقيّ، أبو محمد عبد القادر أو *الجيلالي* الشرقي أو عبد القادر بن محمد اختلفت المصادر التاريخية في الاسم الشخصي المركب للفقيه الإسحاقي كاتب السلطان المولى إسماعيل ووزير ابنه السلطان المولى عبد الله، غير أن الاسم المشهور مع كنيته هو أبو محمد عبد القادر بن محمد الشرقي الإسحاقي، ويزداد تساؤل الباحث عندما أضاف إليه محمد القادرى في *نشر المثاني*، اسم الجيلالي ليصبح عبد القادر الجيلالي، لعل ذلك تيمنا بغوث بغداد، وانتشار الطريقة القادرية بالمغرب، إلى جانب الشاذلية ذات الرواج الواسع، يؤكد هذا الافتراض اهتمام الإسحاقي بالطرق الصوفية سواء منها الباعلوية أو القادرية أوالشادلية ، وحضوره مجالس الأذكار خلال رحتله الحجازية، حيث تلقى الذكر ولبس الخرقة على طريقة القادرية الجيلالية ووقف على اتصال الباعلاوية بمولاى بوعزة.

وأما اسم الشرقي، فغالبا ما يكون تكميليا وخاصة في منطقة تادلا تيمنا بالعارف بالله أبي عبيد محمد الشرقي (×) دفين أبي الجعد، وإذا تتبعنا البحث لتوضيح الإسم الحقيقي لهذه الشخصية التي عرفت في مجال الدولة أكثر من مجالس العلم، نلاحظ اختلافا بسيطا في اسمها، فالمشارقة يسمونه محمد الشرقي في حين ورد اسمه في *رحلته الحجازية* : أبو محمد سيدي الشرقي بن محمد الإسحاقي، وحتى في النسخة الزيدانية لم يعط النقيب عبد الرحمان بن زيدان من خلال ماكتبه على ظهرها الاسم الكامل المتعارف عليه واقتصر على تسمية : الوزير الإسحاقي. وأما المدني بن الحسني الرباطي فأشار إليه مرتين في نفس الصفحة من كتابه *مقدمة الفتوحات الإلهية الكبرى*، بالكاتب الوزير الشرقي الإسحاقي ومرة أخرى قال بأن السلطان المولى عبد الله أمر كاتبه الإسحاقي بتدوين الرحلة.

وإذا بحثنا عن اسمه في الإجازات التي منحها له علماء المشرق، نجد الشيخ محمد عقيلة يسميه محمد الشرقي، ونفس الاسم ورد كذلك في إجازة الشيخ محمد بن تاج الدين الحنفي له.

ويظل هذا الإبهام ملازما لترجمته حتى في المراسلة التي وجهها له صديقه محمد المسناوي الدلائي للتوسط في قضاء بعض الأغراض الشخصية وذلك عام 1122 / 1710، فاكتفى بدوره بتسميته سيدي الشرقي الإسحاقي، وهذه المراسلة تشهد على استمرار روابط المودة بينه وبين أبناء منطقته وعلى دوره ومكانته كموظف سام، أنجبته قبيلة أيت إسحاق الواقعة بعمالة خنيفرة وعلى بعد كلمترات من مركزها.

وبعد هذا البحث في اسمه ونسبه، نقف على مكانته العلمية ومهامه في الدولة ؛ غير أن الكتب التي ترجمت له لا تتجاوز في التعريف به بضعة سطور ولا تقدم لنا معلومات كافية عن حياته العلمية بالمغرب وتبقى *رحلته* المصدر الأساسي للتعرف على معارفه واتجاهاته وميوله، كما تعتبر من جملة مصادر تاريخ المغرب، خصوصا في مجالي التاريخ والدراسات الإسلامية مع غلبة طابع السرد. وهي في نفس الوقت، تبين مدى مشاركته العلمية وحصيلته من كل فن، غير أن معلوماتنا قليلة عن مسيرته في طلب العلم بالمغرب، فلم يحدثنا عن المراحل التي قطعها في هذا الشأن ولا عن شيوخه ولا عن ترجمته الذاتية. ولعله سلك هذا الاتجاه في كتابة رحلته لكونه مأموراً بتدوين أخبار رحلة الأميرة خناتة، ولهذا لم يخصص حيزاً مناسباً في الكتابة عن نفسه باستثناء ما تعلق باتصاله بعلماء المشرق أثناء سفره، غير أننا نلاحظ من خلالها أنه تتلمذ على الشيخ اليوسي الذي ورد ذكره عند وصفه لمستوى الحركة العلمية بهذه الديار، وهو مستوى لم يكن متوقعا لما أصابها من نقص وضعف في رأيه. وقد اعتبر عبد الهادى التازي أن الشرقي الاسحاقي من جملة المتخرجين من القرويين، غير أننا لانقف له على شيوخ ولاتلاميذ ولامؤلفات من غير الرحلة ، ذلك أنه قضى فترة طويلة من حياته في خدمة الدولة التي التحق بها سنة 1104 / 1691 عقب الحملة التأديبية التي قام بها السلطان المولى إسماعيل إلى جبال فازاز.

وبعد وفاة السلطان المولى إسماعيل انحاز إلى ابنه السلطان المولى عبد الله فاستوزره وظل في مهامه الى أن توفي بعد سنة 1150 / 1727.

ونظراً لمكانته عنده فقد اختاره لمرافقة والدته الأميرة خناتة بنت بكار وولده الأمير محمد، الذي كان دون الحُلم لأداء فريضة الحج، وذلك سنة 1143 / 1731. وعهد إليه بتدوين الرحلة، فانتهز الإسحاقي هذه المناسبة للتعبير عن عواطفه والكشف عن مذاكره العلمية وسلوكه الروحي والاعتزاز بمغربيته والإشادة بمقومات البلاد، من مذهبها المالكي وعقيدتها الاشعرية ونقاء تصوفها الشادلي ووحدتها السياسية. واعتباراً لمهامه في الحكومة فقد عرف بالشرفاء العلويين وقصة قدومهم من الينبع إلى تافيلالت وأشار إلى دور الأميرة خناتة بنت بكار في السياسة ومكانتها العلمية إلى جانب عطاياها وهداياها بالمشرق، وسعى في كتابته ليكون رحالة واصفا وملاحظاً وناقدا بأسلوب مرسل.

وتحدث عن الحفاوة التي استقبل بها الموكب الأميري في مختلف الأقطار العربية وما قيل في هذه المناسبة من قصائد وما قدم من مؤلفات هدية لسلطان المغرب وما حصل عليه من لقاء العلماء واستجازته نخبة منهم ومن ضمنهم عمر البار الباعلوي الحسني وزين العابدين المنوفي مفتي الشافعية وعبد الله السكندراني الضرير ومحمد بن أحمد عقيلة المكي ومحمد الطبري امام المقام الخليلي وتاج الدين الحنفي وعبد الله بن يحيى فندي بن جعفر الواعظ.

ومما يلاحظ في رحلته كونه انتقد واقع المجتمعات العربية نظرا لتفشي الظلم والبدع والتخلف بها، فتصدى

للرد عليه من ليبيا أحمد بن عبد الدائم الأنصاري في قصيدة له، والمؤرخ ابن غلبون الطرابلسي.

ومن الملاحظ أن *رحلة* الإسحاقي لازالت مخطوطة وفي خزانة القرويين النسخة الأصيلة التي حبسها السلطان المولى عبد الله سنة 1156 / 1743 وهي تحت رقم 253، والنسخة الزيدانية وهي منقولة ومبثورة الأخير وهي بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 1428.

ع . الإسحاقي، *الرحلة الحجازية*، مخطوط ؛ م القادري *نشر المثاني* ؛ أ. الناصري ، *الرحلة الحجازية* ، مخطوط ؛ س. الحوات، *البدور الضاوية*، مخطوط ؛ المدني بن الحسني، *مقدمة الفتوحات الإلهية الكبرى* ، ص 3 ، دار النشر السلطانية سنة 1945 ؛ ع. التازي، *جامع القروين*، 3 : 801.

محمد مكامان

أسَد، أو سبع، وإزَم بالبربرية من الحيوانات اللاحمة المنتمية إلى فصيلة السِّنوْريات والمسمى باللاتينية (Linné) Panthera (Leo)leo. يبلغَ طوله مترين ونصفاً بدون ذيل وعلوه عند الغارب متر. يتراوح وزنه ما بين 125 و 130 كلغ.

يكسوه شعر قصير رمادي وبُنّي داكن جهة الرأس وفاتح جهة البطن. ذيله طويل وينتهي بخُصلة شعر سوداء تُميزه عن باقي أصناف السنوريات.

تسمى الأنثى اللبُؤَة، وهي منعدمة اللبدة وصغيرة الحجم بالنسبة للذكر. يميل لون شعرها إلى البياض جهة البطن . يطلق على الصغار اسم أشبال، وهي مرقطة ومخططة أحيانا. شعرها كثير الصوف بالنسبة للكبار. تندثر الخطوط تدريجيا مع تقدم السن ولا يبقى منها إلا البعض على الجانب والقوائم عند الأنثى بالخصوص.

تظهر اللبدة عند ذكور الأشبال في سن متقدمة وتصير قوية بعد 4 أو 5 سنوات.

لوحظ أن الأسود التي تعيش في مناطق مرتفعة تحت مناخ بارد تمتاز بقامة كبيرة ولبدة مكثفة وداكنة.

صيغة أسنانه كالتالي :

3 / 3 وقوارض، 1 / 1 أنياب، 3 / 2 أضراس أمامية ، 1 / 1 أضراس = 30 سنا.

يعتبر الأسد من الحيوانات المُخَالطة ولا يعيش وحيداً إلا نادراً. تتكون المجموعات العائلية عمّا يزيد عن 30 فرداً منها عدة إناث وأشبال يترأسها ذكر واحدٌ أو أكثر. تتنقل كُلٌّ مجموعة في مساحات شاسعة حيث بإمكان الأسد أن يقطع 30 كلم في الليلة الواحدة. كثيرا ما تقتنص المجموعة فريستها ليلا إلاّ أن الأسد يُعد من أكثر السِّنوريات نشاطا خلال النهار.

يقضي الأسد أوقات حرارة النهار تحت الأدغال والأشجار وهو معروف بكسله وخاصة بعد شبعه ويبدو أن الحيوانات التي تكوِّن فريسته تحس بهذا فترعى بجوار المجموعات بدون خوف.

يتمتع الأسد بحواس قوية وخاصة منها الشم والسمع والبصر. تسمع صيحته على بعد 8 كلم ويصيح غالباً قبل شروق الشمس وعند الغروب. يتكون غذاؤه من جميع الثدييات العاشبة والتماسيح والأفاعي. كثيراً ما تصاد الفريسة بواسطة مجموعة من الأسود التي تحيط بأماكن الشرب بكيفية منتظمة. فهي تقترب من الواحات زاحفة على بطونها حتى تفاجىء القطيعات وتنقض على ظهر الفريسة وتكسر عنقها بقوائمها الأمامية القوية أوتخنقها. أحياناً تختبىء اللبؤة في مكمن وتنتظر من أفراد مجموعتها أن تسوق الفريسة نحوها جارية وراءها. لوحظ في أغلب الحالات أن الأنثى هي التي تقتل الضحية. الصيد لايتم كل يوم والمعدلَ السنوي لايزيد عن 20 فريسة لكل فرد.

الأسد متعدد الزوجات وتدوم مدة الحمل 105 ـ 119 يوما، وتستأنف اللبؤة حرراتها الحيوانية بعد بضعة أسابيع من وضع صغارها الذي يتراوح عددها ما بين 2 و4 ونادراً 7. توضع الأشبال فوق الأعشاب اليابسة في أماكن محمية. يزن الصغير بعد الولادة كلغ واحداً وتهتم الأم بتربيته وحمايته، ويتم فطامه بعد عشرة أسابيع. يصير الشبل حرا بعد سنة ولا يغادر أمه إلا بعد 18 شهراً.

يَرتفع عدد الوفيات عند الأسد في الأعمار المتراوحة بين سنة وسنتين وخاصة عند الذكور. 3 سنوات هي سن الرشد عند الأسد ويمكنه أن يعمر 30 سنة بمعدل يتراوح ما بين 15 و25 سنة.

يعتبر الأسد من أقوى الحيوانات اللحمية ويوضع في قمة سلسلة التغذية وعدوه الوحيد هو الإنسان.

يعيش الأسد في السهول الكثيرة العشب والمرتفعات التي لايفوق علوها 3000 مترا.

أصبح أسد الأطلس، الذي يُفتخر به في معارض الوحوش، مجرد ذكريات تُذكر في الكتب وفي الفلكور البربري والعربي حيث يشكل هذا الحيوان بطل معظم الحكايات والأساطير نظرا لشجاعته وإقدامه. وجد الأسد في بلاد المغرب بيئته الملائمة لمعيشته مما أدى إلى تعميره طويلا في هذه البلاد. يقول (1932) CABRERA (1957) PANOUSE إن هذا الحيوان تكاثر في جميع أنحاء المغرب خلال العصر الروماني، وقد تم انقراضه على السواحل في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، ولوحظ قبل 80 سنة أنّ عدة مجموعات كانت تعيش في الأطلسين المتوسط والكبير، إلا أن تطور رعي الماشية ومتطلباته من حماية من طرف الرعاة جعلت هذا الحيوان غير مرغوب فيه، وكذلك تطور الأسلحة النارية جعلت منه غنيمة للصياد الأوروبي. وهكذا يرجع تاريخ آخر أسدٍ بالمغرب إلى سنة 1920 أو 1925.

تضم حديقة الحيوان بتمارة حاليا 3 ذكور و8 إناث أصيلة، وذكرين و11 أنثى هجينة مع أسود أفريقيا الوسطى.

A. Cabrera, (1932), *Los Mamîferos de Marruecos*. Trabajos Mus. nac. Ciencias Ser. Zool., 57 : 1 - 361 ; J. Dorst et Dandelot, P. (1972), *Guide des grands Mammifères d'Afrique*. édit. Delachaux et Niestle, Neuchatel, Paris, 286 pp. ; J. B. Panouse, *Les Mammifères du Maroc*. trav. Inst. Sc. Chérifien, Ser. Zool., nº 5 : 206 p.

محمد رمضاني

أسْدْرْمْ، معناه الفج والمر الجبلي الذي بين جهتين أو قبيلتين، وتسمى به قرى عديدة كالتي بفرقة أيت نهاريت إغْرْمْ من عمالة تارودانت والتي بفرقة مسناكة بإداولتيت والتي بفرقة إنفلاسْ بناحية الصويرة الخ. وقد أورد البيذق في *تاريخ الموحدين* (ص. 77 من النص العربي من طبعة ليفي بروفنسال) ذكر أسْدْرْم انْ الغزى، أي فج الغزو، وعنده كان اللقاء بين الموحدين الطامعين في الخروج إلى السهل وبين جيوش المرابطين والقبائل الموالية لهم كأهل كيكْ أي أهل الهضبة الخصبة التي ما تزال تعرف بهذا الإسم وتقع وراء القرية التي بها ضريح مولاي إبراهيم الأمغاري بناحية مراكش، فيكون الموقع المقصود بأسدرم هو المر الذي بين تاگموت (إيماريغن) وبين كيك، وهو الجبل الذي على يمين القاصد إلى سوس على الطريق 501 من مراكش عندما يكون على مسافة 58 كلم من هذه المدينة.

البيذق *أخبار المهدي* ؛ *تحريات ميدانية*.

E. Laoust, *Contribution*, p 74 ; *Repertoire alphabetique*, p.305.

أحمد التوفيق

أسديف ← **ورزازات** (إقليم ـ)

الأسْرَى في المغرب، مشكلة الأسرى مرتبطة ارتباطا وثيقا بمسألة الاسترقاق التي كانت عند ظهور الإسلام قد انتشرت انتشارا فاحشا في الدولتين العظميين آنذاك، وهما فارس وبيزانس، كما استفحلت في بقية أنحاء العالم وخاصة جزيرة العرب. وقد تدرج الإسلام في تشريعاته للتقليص من لأواء الرق واعتبر العتق من أوليات التكفير عن بعض المخالفات الشرعية، بل وحتى هفوات طفيفة ضد عبيد وإماء. وقد ورد أن الرسول عليه السلام ـ دعا عبدالله بن عمر إلى التكفير عن تعنيفه الكلامي لأحد عبيده بعتقه كشرط وحيد للتخلص من الذنب. وقد جاء الإسلام بمبدإ أساسي هو أن الإنسان يولد حراً. واستنكر الخليفة عمر بن الخطاب أعمال الجاهلية عندما تساءل في غضب قائلا : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟».

فالاسترقاق في الإسلام لا يعدو أسر غير المسلمين في الحرب، وما سوى ذلك كله لا يعتبر استرقاقا. ولذلك نص كثير من الفقهاء وفي طليعتهم أئمَة الإسلام في المغرب العربي أمثال شيخ الإسلام إبراهيم الرياحي التونسي على عدم حلية نكاح المستولدات بدون صداق إذا كن قد صرن ملك يمين بالاسترقاق غير المشروع ، ويكون الإسلام قد سبق ما ادعته أوروبا في العصر الحديث من إبطال العمل بالاسترقاق.

وقد منع السلطان مولاي سليمان استرقاق من لا يحل تملكه شرعا، وهو سبي بلاد العدو ولو أسلم بعد ذلك بخلاف من سبي في بلاد الإسلام فلا يصح تملكه. (*سلوة*، 3 : 231)

ومازال العالم يعرف إلى اليوم استرقاقا حربيا يدخل في سياسة الأسر المعترف بها في القانون الدولي حيث مازال أسرى الحرب العالمية الثانية يرزحون في قيود الأسر في أقطار أوروبية.

على أن أوروبا قد شجعت الاسترقاق في مستعمراتها الإفريقية، كما خلقت استرقاقا جديدا في حركاتها القرصنية في البحار وخاصة البحر المتوسط. وقد حاول سلطان المغرب الخليفة الموحدي عبد المومن بن علي تشكيل ميليشية بحرية لمحاربة هذه القرصنة منذ القرن السادس الهجري، حيث كان «لصوص البحار» يجدون في ذلك تجارة مربحة انضافت إلى أسواق النخاسة في القارة السمراء، بل و أسواق النخاسة البيضاء التي مازالت مستمرة إلى اليوم. وقد تحدث كايي في كتابه حول *أوفاق ومعاهدات السلطان سيدي محمد بن عبد الله* عن الجهود التي بذلها محمد الثالث هذا لفرض معاهدات واتفاقيات على أقطار أوروبية من أجل التقليص من الاسترقاق القرصني غير المشروع سابقا بذلك أوروبا ـ كما يلاحظ كايي ـ بتشريعاته الحكيمة التي شكلت قسطًا جوهريا من (التشريع الدولي في القرن العشرين).

ومع ذلك فإن دولا مسيحية ظلت طوال قرون تمد مستعمراتها في أمريكا بزنوج أفارقة معظمهم مسلمون وخاصة في البرازيل حيث قاموا بثورات مابين عام 1807 ـ 1835 (E.I,1:34).

كما استمر القرصان المسيحيون والمسلمون معا في ممارسة الأسر في البحر المتوسط حيث اعتقلوا مآت الأحرار من الديانتين، وقد باعت هيئة فرسان مالطة المسيحية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر للملاحة الفرنسية رجالا استعملتهم هذه الملاحة لتجديف مراكبها. وقد تمرد بجزيرة مالطة عام 1749 أزيد من عشرة آلاف من العبيد المسلمين حرر منهم بونابارط عام 1798 نحو الألفين، وكذلك بالنسبة للمسحيين الذين استرقهم المسلمون في إفريقيا وغيره، ومعلوم أن جنوة هاجمت طرابلس الغرب في منتصف القرن الثامن الهجري وأسرت نحو سبعة آلاف مسلم ما بين رجال ونساء وأطفال حرر الكثير منهم سلطان المغرب أبو عنان كما افتك طرابلس نفسها بفدية مالية ضخمة. ويتحمل مسؤولية هذه العمليات اللاإنسانية المسلمون والمسيحيون معًا. وقد أسهم القرصان الأفارقة في تشجيع هذا الصنف من الاستعباد الذي ـ إن كان يبرره أحيانا الانتقام ورد الفعل ضد حركة الغزو الإيبيرية Reconquista بعد سقوط غرناطة ـ فهو مع ذلك مناف للفضيلة الإنسانية ولمبادئ الإسلام. على أن البعض من عامة المسلمين قد خالفوا في تصرفاتهم نصوص الشريعة الإسلامية فاستعبدوا الأحرار وفتحوا أسواق النخاسة

وسموها في المغرب العربي (بركة) وهي في الأصل مكان تبرك فيه الجمال الحاملة للزنوج الذين كانوا يُختطفون من بين أحضان أمهاتهم من السودان وبُرنو والتكرور وغيرها ليباعوا علانية في أسواق رسمية في كثير من أقطار العالم الإسلامي.

ومعنى هذا أن العالم الحديث قد لطخ أيديه شرقا وغربا بهذا الاسترقاق الخسيس الذي أبطلته حرفية النصوص التشريعيةَ الإسلامية والقوانين الحديثة، ولكن رعته المصالح الخاصة والروح الاستعمارية التي كانت تدعي إصدار قوانين لإلغائه. وإذا كَانت القارة السمراء هي أولى ضحايا هذا الشذوذ الأثيم فإن النخاسة البيضاء ظلت مفتوحة في أوروبا وأمريكا بالإضافة إلى النخاسة السوداء.

وقد انطلقت الحركة الهادفة إلى إلغاء الرق منذ قرن تقريبا حيث حرر الخليفة العثماني منذ عام 1246 / 1830 كل العبيد البيض الذين هم من أصل مسيحي، كما أصدرت تونس عام 1263 / 1846 قراراً بتحرير العبيد. وأصدر سلطان المغرب المولى سليمان قبل ذلك بعقود من السنين القرار الذي ندد بالاسترقاق غير المشروع، وتجدد في المغرب هذا القرار عام 1341 / 1922.

وقد كابد المغرب الأمرَّين من هذا الاسترقاق الأبيض الذي نكب به من جراء تعسفات الاستعمار الناشئ منذ القرن العاشر الهجري أي منذ العهد السعدي، حيث كان للمغرب أسرى في الخارج، كما كان أجانب يعيشون في الأسر داخل المغرب بسبب القرصنة البحرية، فلم يسع ملوكنا وخاصة العلويين وفي طليعتهم المولى إسماعيل إلا السعي لافتكاك هؤلاء الأسرى أو استبدالهم. وكانت اتصالات أمير سلا عبد الله بن عائشة مع لويس الرابع عشر ملك فرنسا لهذه الغاية. وأنفق المولى محمد بن عبد الله أموالا طائلة لفكاك الأسرى من «بلد الكفار» حتى لم يبق بها أسير من المسلمين لا من أهل المغرب ولا من أهل المشرق ولا من الترك، وقد بلغ عددهم عام 1200 / 1785 ثمانية وأربعين ألف أسير (*الجيش*، 1 : 176).

ونشر دوكاستر (*مصادر*، الدولة الفيلالة، السلسلة 2 : 6 :53) لائحة الأسرى المغاربة الذين كانوا بفرنسا ما بين 1700 و 1727 م ومعظهم من عائلات عريقة بالمغرب. ولاتخلو أعداد أخرى من نفس المصادر من لوائح إضافية (سلسلة العلويين ـ فرنسا 5 : 53 ـ 84). وفي عام 1213 / 1798 كان تاجران تطوانيان هما عبد السلام عمار وعبد الغفار إسماعيل أسيرين بباريس في الوقت الذي كان مجلس الإدارة Directoire يشرف على الحكم بفرنسا. وقد توجه التاجران من تطوان في نونبر 1797 واعتقلا في ليفورن Livourne في 19 يناير 1798. (Hespéris,1960, vol. I. Fasc III, 552) وكان المولى إسماعيل يطالب بمائتي دوكا (مثقال ذهبي) الذي كان يساوي حوالي نصف دينار، والدينار يعادل أقل من خمسة گرامات ذهب، وأسير مغربي عن كل أسير فرنسي.

ولعل هذا النوع من الأسر في المغرب لم يكن في غالب الأحيان سوى رد فعل لما كانت تقوم به آنذاك دول أوروبية مثل : فرنسا، وإسبانيا، والبرتغال، وهولندا (*مصادر* هولندا، 7 : 50) وكان المغرب يعاملهم بالحسنى ولايكلفهم ما لا يطيقون، ويتلقون خبزتين اثنتين كل يوم.

وقد لاحظ گودار (*وصَف*، 1 :20) أن استرقاق المسيحيين ألغي في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله أيام ملك فرنسا لويس السادس عشر، ثم أكثر من ذاك في عهد نجله السلطان المولى سليمان معاصر لويس الثامن عشر. ومهما يكن فقد لاحظ رينو (ص 22) أن الأسرى المسيحيين كانوا يحترمون وأن مراسيم دفن موتاهم لم تتعرض قط لأي اضطراب وقبورهم لم تدنس. وقد نقل گودار (*وصف* 2 : 505) ما أحصاه الأب دان (Pére Dan) الذي كان مكلفا بالأسرى المسيحيين بالمغرب فأوصل عددهم إلى ما بين ثلاثة وأربعة آلاف في تطوان وخمسة إلى ستة آلاف بفاس ومثلها بمراكش وألف وخمسمائة إلى ألفين في سلا. وقلما كان ملوكنا يقتصون من مرتكبي الجرائم من بين هؤلاء الأسرى المسيحيين. فقد لوحظ (*استقصا* 3 : 24) أنه كان بقصبة مراكش مسيحيون منذ عهد السلطان السعدي أحمد الأعرج وأخيه محمد الشيخ فحاكوا مكيدة ضد المصلين بملء حفرة بالبارود تحت الجامع ربطوها بفتيل تسري فيه النار على مهل فنفطت الميناء وانهدت قبة المسجد وانشق المنار وذلك عام 981 / 1573 وقد ظلت الصومعة مائلة إلى أوائل هذا القرن. وقد وصف هذا الحادث عن مشاهدة دييگو دي طريس في كتابه *تاريخ الشرفاء*، وكان هو مكلفا من قبل ملكي إسبانيا والبرتغال بافتداء الأسرى المسيحيين ومفاوضة الشرفاء السعديين في ذلك. وفي موضوع الأسرى أساسا ألف كتابه المذكور. كما كان بسلا ومراكش أسرى هولنديون تم تحريرهم عام 1621 من طرف المولى زيدان بن المنصور السعدي وكان قد وعد بتحرير أسرى تطوان (دوكاستر السلسلة الأولى ـ السعديون، 3 : 177) وعندما ورد الكونط دوبرونيون Comte de Breugnont عام 1767 إلى المغرب للتفاوض من أجل إمضاء معاهدة 28 ماي 1767 دفع مبلغا قدره 1.077.533 ليرة أي أزيد من 407 مليون بصرف عام 1952 لافتكاك الأسرى.

وفي عام 1156 / 1751 ورد على المولى عبد الله بن إسماعيل بفاس السفير الإسباني صحبة وفد تطواني ومعه ألف ريال وما يناسبها من الحرير والملف والكتان بقصد فكاك الأسرى الإسبان فطالب السلطان كمقابل بإطلاق سراح المسلمين المعتقلين في إسبانيا (*الجيش* 1 : 125 ؛ *الاستقصا*، 4 : 185 ؛ *إتحاف* ابن زيدان 4 : 453). وقد بلغ عدد الأسرى الإنجليز بالمغرب ثلاثمائة، عام 1133 / 1720 (*رحلة* وندوس Windus)

والواقع أن هذه الصفقات إنما كانت لتصفية الواقع المر الذي ذهب ضحيته أفارقة مسلمون وأوروبيون مسيحيون

بسبب القرصنة الملاحية الأثيمة بعد أيام المنصور السعدي الذي انتصر على البرتغاليين في معركة وادي المخازن. وقد وجه ابنه زيدان رسالة إلى ملك فرنسا لويس الثالث عشر بخصوص الأسرى الفرنسيين (دوكاستر ج 2 7 : 109، فرنسا ص 141 2 ف 1 : 597) وكذلك الأسرى البرتغاليون (دكاستري ج 1 ف 2 فرنسا ص 567) أما بخصوص الأسرى الألمان بالمغرب فيوجد كتاب نشرته Hachette في الموضوع بباريس عام 1917 كما أن الأسارى الأتراك بالمغرب قد أشير إليهم في وثائق دوكاستري (السلسلة الأولى - السعديون - 3 : 249 - 675).

م. أكنسوس، *الجيش* ؛ م. الكتاني، *سلوة*، ج3.

Caillé, *Les Accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed ben Abdellah* ; Godard, *Description et Histoire du Maroc* T 1. p 20 ; Renaud, *Etude sur l'hygiène et la Médecine du Maroc*, Alger, 1902 ; Bompard, *Législation de la Tunisie*, texte arabe ; Le père Nolasque Néant, *Rédemption de la congrègation de Paris*, Paris, 1724. *Relation de la captivité de sieur Mouette* ; Ch Penz, *les captifs français de Maroc au XVIIe (1577 - 1699)* Rabat, 1944 ; *Lettres inédites sur la captivité de Bidé de Maurville à Marrakech, 1785 - 1767*, Hesperis, 1 - 2 Trim 1949. Hesperis, 1956 ; Chénier, *Journal du consulat de France* ; J. Windus, *Journey to Mequinez*, London, 1725 ; *E. I2 ; S. I. H. M*, série Saadienne, *Bibliothèques de France, Bibliothèques des Pays-Bas* ; D. de Torres, *Histoire des Cherifs*.

عبدالعزيز بنعبدالله

الإسرائليون ← اليهود

الأسرة المغربية، تعني كلمة "أسرة" لغويا أهل الرجل وعشيرته. ويعطي هذا المفهوم من الناحية السوسيولوجية ثلاثة أبعاد تعكس نوعا من العلاقات بين أفرادها أكثر مما تعكس طبيعة روابطهم القرابية. لهذا فإن الأسرة الممتدة هي تلك الجماعة المنزلية التي هي في نفس الوقت، وحدة إنتاج ووحدة ملكية ووحدة لإعادة الإنتاج الاقتصادي والبيولوجي والرمزي. وتتميز هذه الجماعة يالتراتب تحت سلطة زعيم الأسرة وتنتظم بكيفية تسمح بضمان إعادة الإنتاج ونقل التراث الأسري (الاقتصادي والرمزي والاجتماعي والثقافي). ويتحقق داخل هذه الأسرة من هذا النوع الوحدة بين ملكية تراث منتج (اقتصادي أو رمزي)واستعمال هذا التراث عبر ممارسات الإنتاج وممارسات إعادة الإنتاج والطقوس العملية المرتبطة بهما والعلاقات التي تنتج عنها.

- الأنماط القرابية في الأسر المغربية : إذا انطلقنا من فرد وهمي يمكن استخراج المستويات المختلفة للقرابة للأسرة المغربية كما يتبين مما يلي :

أ - القرابة المنزلية : نجد في القرابة المنزلية مستويين :

* مستوى القرابة الأولية : بالنسبة للفرد هناك الأسرتان الأوليان اللتان ينتمي لهما : أسرة يكون فيها ابناً وأخاً، وأسرة يكون زوجاً وأباً.

* مستوي القرابة الثانوية : يوضع الفرد هنا بالنسبة لعمه وخاله.

وسوف يتعلم من خلال الممارسات التربوية الاعتراف بأولوية القرابة العصبية على القرابة الأمومية (الخال). ويعتبر هذا أساسيا في التمييز الاجتماعي بين المتناسبين.

ب - القرابة الأمومية : تتشكل القرابة الأمومية من أفراد أسرة المرأة (الخال، الخالة، الجد أو الأب للمرأة، الخ.....) ويتم إبعاد هذه القرابة عندما تكون المرأة / الأم/ الزوجة من نسب آخر . ويتم تقليص العلاقة إلى الأب والأم والأخ والأخت للمرأة / الزوجة / الأم .

جـ - القرابة النسبية : وتتشكل من المنحدرين من جد واحد ويعتبر أعضاؤها الورثة الشرعيين لأسرة دون خلف ذكر.

د - بنو العم : وهم الأعضاء الموجودون في الجماعات النسبية المكونة للعشيرة والذين يعتبرون أنفسهم منتمين إلى جد واحد.

2 - أهم نماذج العلاقات داخل الأسرة المغربية : بعد هذا الوضع السريع للأسرة داخل نظام القرابة سوف نمر الآن إلى توضيح القواعد والأعراف والسلوكات الأكثر أهمية في تحديد العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة مع الإشارة إلى أهم التغيرات التي طرأت على هذه العلاقات الناتجة عن دخول نمط الإنتاج الرأسمالي الذي كسر توازن الوحدات القرابية خصوصا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

لقد سبق أن أشرنا إلى أن طبيعة العلاقات بين الأعضاء هي التي تحدد التجمع المنزلي وبالتالي فإنها تعبر عن الظروف المعاشية للاسرة على المستوى الديموغرافي والاقتصادي والسوسيو - ثقافي والإيديولوجي. ويجب على المغربي البالغ، الذي يحظى بمركز داخل القرابة، أن يعترف ضمنيا بالقيم الأسرية، وأن يسلك حسب تعاليمها لكي يبقى داخل الجماعة. إن الصف داخل القرابة شرط ضروري ولكنه غير كاف للانتماء إلى الجماعة المنزلية، أما المركز القانوني فيضمن إمكانية الابتعاد عن الجماعة والتفرد بالحق من الملكية الجماعية ولايلزم البقاء داخل الجماعة. لهذا فإن التحليل القانوني مثله مثل التحليل الإيكولوجي أو اللفاظي، لايسمح بتحديد مدى وطبيعة العلاقات الأسرية.

إن التشريع الإسلامي يعطي مكانة هامة للأسرة. لكن عددا من الباحثين لاحظ أن هناك تعارضا بين التقاليد والفقه الإسلامي وإن كانا ينتسبان كلاهما إلى الشريعة الإسلامية (بيرك، 1955، ماهر، 1974). زيادة على هذا، يجب التذكير بأنه كان بالإمكان تعريف العلاقات الأسرية انطلاقا من الحقوق والواجبات، فإن جزءا من هذه العلاقات فقط يمكن كشفها من خلال القانون العرفي والتشريعي. إن هذه القوانين تشير فقط للعناصر التي تستحق العقوبات المشروعة. في حين أن الأسرة المغربية غالبا ما تحل بنفسها الخلافات والمشاكل الداخلية. لذا فإنه غير كاف الاعتماد على مقاربة قانونية لفهم الواقع الأسري. إن القانون أو الشريعة لا تهم إلا العلاقات الشكلية والمعيارية بين الأقارب ولا تفسر إلا جزئيا أسس الأسرة.

أ - تمييز العلاقات حسب السن والجنس : تحدد العلاقات

داخل الأسرة انطلاقا من القرابة والسن والجنس. إن الموقع داخل القرابة يشير مسبقا إلى جيل الانتماء وكذا إلى اختلاف السن. وعلى العكس فإن المركز سوف يختلف حسب الجنس إذا تعلق الأمر بروابط قرابية مشابهة. ولذا وجب التعرض أولاً وقبل كل شيء إلى طبيعة العلاقة بين الرجال والنساء داخل الأسرة.

تقتضي التقاليد أن تكون العلاقة بين الرجال والنساء داخل الأسرة مقتصرة على ماهو ضروري. وتحقيقاً لهذا المبدأ، فإن التفرقة بين الجنسين هي أول ما يمكن ملاحظته : لا يمكن للرجل أن يجتمع بنساء الأسرة أو يتحدث إليهن. ولازالت وجبات الأكل ، في أغلب الأوساط القروية، تؤخذ على افتراق ، لأنه ليس من اللائق أن تتناول المرأة البالغة الطعام في حضور رجال الأسرة ما عدا ابنها. وبصفة عامة يجب على النساء أن يتخذن موقفا متحفظا من الرجال وأن يتجنبن كل سلوك أومظهر أو لفظة يمكن أن تدل على نوع من الألفة في عين أقارب أزواجهن.

هناك إذن صراع خفي يميز العلاقات بين الرجال والنساء في الأسرة المغربية. إن مصير الأسرة مرتبط بالأشكال التي يتخذها هذا الصراع. ويتم إرجاع أغلب الخلافات الأسرية الى انعدام التفاهم بين النساء (الزوجة وأم زوجها مثلا). ويتم اعتبار الرجل الذي يصغي لزوجته بأنه قليل الرجولة.

ويعتبر من اللائق أيضا أن لا يميز الطفل بين نساء الأسرة : الأم، العمة، أم الأب، بنات العم، زوجات العم. وهذا لايعني أن هناك تمييزا في العلاقات مع مختلف أقاربه من النساء. هناك بعض الاختلافات الطفيفة التي تؤدي به إلى أن يتعامل معهن حسب سن كل واحدة منهن.

أما فيما يتعلق بالأقارب النساء من نفس الجيل (الأخت وبنت العم) فلا يمكن للطفل الذكر الاستئناس إليهن. وتتمُ تفرقة الأخ عن الأخت في سن مبكر. ويهتم الرجال بالأطفال الذكور. في حين ينتمي الأطفال الإناث إلى مجموعة النساء. ويتم تفريق الإناث عن الذكور بواسطة المهام المخصصة لكل جنس على حدة داخل الأسرة: تتعلم الإناث الأشغال المنزلية في سن لازال يعتبر سنا للعب بالنسبة للولد. ومازال حتى الآن في أغلب الفئات الاجتماعية يتم التعبير العاطفي بين الأخ والأخت بعد زواج كل منهما، إذا لم يبعد الزواج الأخت عن الأسرة.

ولكن إذا تزوجت بابن عمها، فيسمح لها بإقامة نوع من الألفة مع أخيها وذلك لاعتبار أن تربيتها قد انتهت.و بالتالي لم يبق هناك خطر في أن تبعد الأخت عن الجماعة الأسرية .

إن التربية الأسرية تعد الشاب المغربي منذ سن مبكر للالتزام بأنواع السلوك الصادرة عن الأسرة تجاه النساء خصوصا تلك التي يجب أن ينهجها أمام العامة عندما مايصبح زوجا. ولايوجد هناك اختلاف في سلوك الزوج نحو زوجته ولا سلوكه نحو نساء الأسرة الأخريات.

تتميز العلاقة بين أعضاء الأسرة المغربية بصفة عامة بنوع من الاحترام والخوف : احترام تام لأنماط السلوك المعترف بها من طرف الجماعة الأسرية. والخوف الدائم من لوم عندما لاتحترم هذه القواعد والدور المخصص حسب السن والجنس والوظيفة. يشكل تعلم هذا النوع من العلاقة أساس التربية كلها. إن المشاعر الفردية ليست غائبة ولكنها يجب أن تبقى خفية . يجب أن يبقى كل سلوك متعلم خارج الأسرة غريبا عن الأسرة (بورديو، 1974).

وتعتبر علاقة الأب بابنه نموذجية بالنسبة لعلاقات انعدام التكافؤ : يجب على الابن أن يحترم أباه ويطيعه وأن يقبل رأي أبيه وأوامره مهما كان سنه دون نقاش. ويجب على الأب أن يظهر الشدة نحو ابنه وليس الحنان.

أما الأم فنظراً لوضعيتها فإن سلطتها أقل من زوجها وتابعة له، ولا تعبر عن هذه السلطة إلا بكيفية عاطفية. إنها لا تتوفر في جزء كبير من حياتها إلا على مركز أدنى من مركز زوجها. ويمكن لوضعيتها أن تختلف شيئاما حسب الفئة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة (الراضي، 1977). إن للأم الحق الأولي في رعاية أطفالها حتى زواج البنت وبلوغ الولد، في حالة ما إذا توفي زوجها أو طلقها.وتبين الحضانة التأثير الذي يمكن أن تمارسه الأم داخل الجماعة الأسرية. زيادة على هذا فإنها تلعب دورا كبيرا في اختيار الزوجة لابنها. وتحظى بمركز عال في وسط زيجات أبنائها إذ أنها تراقب أفعالهن ولسانهن وتشرف على تقسيم العمل فيما بينهن.

إن أثر المرأة الخفي في الأسرة وفي علاقتها بالرجل كزوجة أو أم أو أخت أو جدة هو أثر عميق ولكن لم يعترف به نظراً للميل العفوي إلى الإفراط في تضخيم دور الرجل والتقليل من أثر المرأة (شرابي، 1980). وهذه ميزة من مميزات المجتمع القائم على سيطرة الرجل. إن سلطة الوالدين داخل الأسرة لا يمكن تفسيرها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار السلطة المعنوية ذات الركيزة الدينية التي توجه سلوك الأطفال.إن سخط الوالدين يمكن أن يتم في الدنيا قبل الآخرة في اعتقاد المغربي.

لقد أشار عدد من الباحثين وخصوصا باسكون والراضي والمرنيسي إلى الطابع البطريركي للأسرة المغربية ووقفوا عند هذا الحد، دون أن يأخذوا بعين الاعتبار الشروط التاريخية والاجتماعية لتكوِّن هذا المفهوم.

إن مركز الأب كما وصفه هؤلاء الباحثون يستحضر بطبيعة الحال الأسرة البطريركية، وتوحي بهذه المقارنة الشكلية سيادة مركزه والجمع المتكرر لدوري الأب وزعيم الأسرة. عندما تكون الأسرة المقتصرة على الجد الحي وأولاده وأحفاده فإن التشابه يزيد بين الأسرة المغربية والأسرة البطريركية. ولكنه رغم هذا لا يمكن أن يعتبر النظام الأسري المغربي على أنه بطريركي لأنه من الوجهة الشرعية يعتبر الإسلام الأب كوالد أي منجب وليس كزعيم مالك لشيء مًا متمتع بالقداسة. لقد أعطت الشريعة الإسلامية الأب بعض السلطات التي كان يتمتع بها زعيم

الجماعة النسبية على أطفال الجماعة الأسرية في المرحلة الماقبل الإسلامية. وحتى إن بقيت هذه السلطات كما هي فإن طبيعتها قد تغيرت. إن سلطة الأب سلطة معنوية وليست سلطة زعيمية. إن البطريق هو مالك وزعيم وتتشكل هذه العلاقة على أساس قانوني/ قدسي. بينما الأب في الأسرة المغربية هو منجب أي أن العلاقة تتشكل هنا أساسا على المستوى البيولوجي والنسبي. إن سلطة الأب مهما كبرت فإنها تعتبر غير مطلقة وتبقى معدلة من طرف التعاليم الشرعية. وليست سلطة سيد أو مالك ولكنها سلطة الحماية والوصاية .

إن التغييرات التي عرفها المجتمع المغربي إثر احتكاكه بالنظام الاقتصادي والاجتماعي العصري كان لها أكبر الأثر على الأسرة المنظمة بهذا الشكل. لقد تم اقتلاع أغلب الجماعات الأسرية من جذورها وقطعها عن أسسها الاقتصادية التي كانت تشكل أساس التنظيم العام للعلاقات السائدة داخلها وأصبحت ممارسة السلطة من طرف الأب أو ممثليه عملية صعبة. ومن أهم النتائج التي ترتبت عن تفكك هذا النظام الأسري هو أن المرأة ـ الأم أصبحت متحررة في أغلب الحالات من سيطرة أم زوجها ومن ضغط الجماعة العصبية. وأصبح جل أعضاء الأسرة تابعين لسوق العمل الخارج عن الأسرة ولم يبق الأب وحده هو الكفيل بأن يعول وأن يحمي الأسرة. وأصبح هو بدوره متحررا من سلطة أب أوأخ أكبر أو عم كان بفرض سلطته على أعضاء الأسرة الموسعة كلها. إلا أنه أصبح يحس أكثر من أي وقت مضى بعقم محاولاته في السهر على التشبث بالعلاقات كما كانت سائدة من قبل حسب السن والجنس، وأصبح وجوده في البيت يتميز بسكوت يرد عليه الأطفال والزوجة بالسكوت. وأصبحت الزوجة والابن الأكبر العنصرين الذين يستحملان التناقضات الناتجة عن الأوضاع الأسرية التي تعيشها الأسرة حاليا.

وقد أصبح عدم الانقسام الذي كان سائدا في الماضي يعرف تراجعا. وأصبح من بإمكانه تقديم أكبر مساهمة نقدية لميزانية الأسرة هو رب الأسرة مهما كان سنه. ويبين لنا تحليل الأوضاع الملموسة تعدد أشكال العلاقات الممكنة المتعلقة بالمحافظة على سلطة الأب التقليدية وبالقلب الشامل للعلاقة العرفية القديمة. وقد ترتب عن هذا عدة نتائج أهمها : ظهور تعددية المداخيل النقدية المقاسة والمحسوبة التي تتضمن بالقوة قطيعة وتهديدا لسلطة رب الأسرة. ومن جهة أخرى تقل تبعية الشباب للآباء بمجرد ما يبدؤون في الحصول على دخل نقدي خصوصا إذا كانوا أكثر تكيفا مع العالم الاقتصادي الجديد بسبب تمدرسهم . ولا توجد هناك أسرة في المغرب لا تعرف صراعا حضاريا يتمثل في الصراع بين جيل الاباء وجيل الأبناء.

محمد شقرون، 1987. *نظام القرابة والعائلة في المجتمع المغربي*، مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية، الرباط، ص. 59 ـ 86 ؛ هشام شرابي، 1980. *مقدمات لدراسة المجتمع العربي*، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت.

A. Radi, 1977. *Adaptation de la famille au changement*, in B. E. S. M., nº 135, P. J. Berque, 1974. *Structures sociales du Haut-Atlas*, P. U. F., Paris. V. Maher, 1974. *Woman and property in Morroco*, Cambridge University Press, London. P. Bourdieu, 1974. *Sociologie de l'Algérie*, "Que Sais-je ?", P. U. F., Paris.

محمد شقرون

أَسْرْدُونْ، (عين) توجد بمدينة بني ملال، ويرجع أصل تسميتها حسب رواية شفهية مشهورة إلى أن المنطقة التي توجد بها العين حاليا، كان يرعى بها أحد الرعاة الذي اكتشف المنبع الأصلي للمياه وظل يحتفظ به لنفسه. وذات يوم قامت مشاجرة بينه وبين إحدى القبائل، بشأن عدم الرعي بالمنطقة، إثرها إلتجأ ذلك الراعي إلى المنبع الأصلي للمياه والذي لا تعرفه القبائل وحبس الماء عنهم. يقال إنه وضع في مكان بروز الماء كمية مهمة من الصوف، فانقطع الماء في المنطقة وتضررت القبائل من جراء الجفاف، عندما طلب الراعي من القبائل، أن تقدم إليه أسردون أي بغلا محملا بالذهب والفضة وهناك من يقول بالنقود الحسنية، ليدلهم على مصدر الماء الذي كان يجري بالمنطقة وهددهم بأنه هو الوحيدالذي يعرفذلك، فلبتالقابئل طلبه وانتزعت الصوف التي كانت بمثابة الحاجز ورجعت الحياة بالمنطقة.

عين أسردون

بعض المعطيات الطبيعية : يمكن إرجاع مميزات هذه العين الى خاصتين.تركزها في المنطقة الجبلية، خصوصا في قدم الاجراف الصخرية.وظهورها على ارتفاع متباين في التكونات اللياسية. وارتفاع صبيبها، يتضح أن معدل الصبيب السنوي سجل 1460 ل / ث.

ترتبط خصائص وظروف تكوين عين أسردون أساسا بعوامل مناخية وبنيوية تسمح بتغذية وتصريف المياه الجوفية.

تتمثل العوامل المناخية في دور التساقطات (ثلوج وأمطار) في تغذية الفرشات المائية. وفعلا فالمنطقة الجبلية تتلقى كميات مهمة من التساقطات 650 ملم في الدير. إلا أن كمية التساقطات لوحدها غير كافية لتغذية الخزانات الباطنية وبالتالي تفسير اختلاف صبيب العين، بل ترتبط أيضا بخصائص الصخارة والبنائية .

إجمالا تتكون المنطقة من صخور دولوميتية وكلسية، تتميز بنفاذيتها المرتفعة، الشيء الذي يسمح بتسرب المياه نحو الاعماق. ومن صخور طينية وصلصالية تلعب دور الركيزة للمياه المتسربة، كما أن المنطقة عرفت حركات تكتونية (التواءات وانكسارات)لعبت دورا مهما في تكوين الخزانات وتوجيه الجريان الباطني.

تظافرت هذه العوامل جميعها لتفسير هذا الينبوع الذي ارجعناه إما لسبب تطابقي (الاتصال بين طبقة صخرية منفذة وأخرى غير منفذة)وإما لسبب بنيوي (انكسار).

وظيفة عين أسردون : هذه العين تقوم بدور أساسي من الناحية البشرية والاقتصادية، فهي تمد مدينة بني ملال والمناطق المجاورة بالماء الصالح للشرب، وبفضل هذه العين تسقى كذلك المغروسات الشجرية (الزياتين) التي توجد بضاحية بني ملال. والدور الثاني الذي تقوم به عين أسردون هو دور ترفيهي، فهذه العين لم تبق على حالتها الطبيعية بل تدخلت السلطات في المنطقة وأقامت عليها مجموعة من الشلالات الاصطناعية والحدائق والمقاهي، مما أضفى على عين أسردون طابعا سياحيا.

بحث ميداني.

عبد الرحيم بنعلي

أسْرِيرْ . فركلة . ومؤنثه تَاسْرِيرْتْ، اسم أمازيغي يطلق على عدة أماكن في المجال المعنى باللغة الأمازيغية. والكلمة تطلق الآن عند التوارگ على "كل بسيط كبير أو صغير مكون من أرض صلبة خالية من الأحجار والنباتات" ويعتقد أن الجذر في الكلمة هو ر. و. ر. وهو الذي أعطى فعل رو. يعني جرى، مما يعطى لكلمة أسرير، وهو صيغة اشتقاق، معنى ميدان الجري. ونجد أن هذا المعنى ينطبق

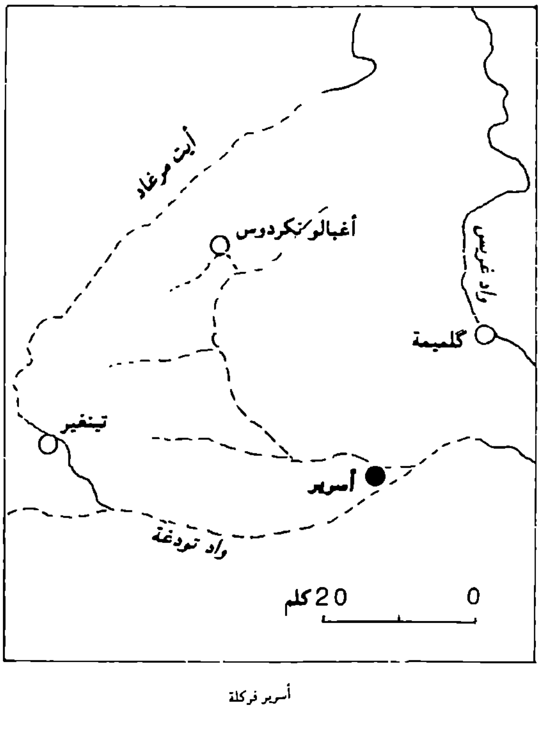

أسرير فركلة

فعلا على كل من موقع أسرير وهو اسم قصر من قصور واحة فركلة في حوض وادي غريس ومنطقة تاسريرت عند أيت باعمران.

وقد اشتهر من بين هذه الأماكن كلها قصر أسرير فركلة الذي يعد المركز الرئيسي لواحة فركلة الخصيبة التي تسكنها قبيلة أَيْتْ مْرْغَادْ.

وأول إشارة لهذا القصر في النصوص التاريخية نجدها في وثيقة الصلح الذي عقد بين العلويين والدلائيين بعد معركة الگارة سنة 1056 / 1646 وقد نص هذا الحكم على إبقاء هذا القصر تحت النفوذ الدلائي نظراً لأهميته الاستراتيجية

أ. الناصري *الاستقصا*، ج 7.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg-Français*, IV ; 1856.

العربي مزين

أسرير، . سوس . على بعد حوالي عشرة كلمترات مدينة گليميم جنوب الأطلس الصغير يجسد مدشر أسرير عاصمة المداشر الأثرية القديمة. وتفيد الكلمة السهل الذي يتوسط مجموعة هضاب أو الملازم لواد كبير الحجم. إلا أن اسم الموقع هذا يخالف هيئة المدشر الممتد على أسفل الهضاب الموازية لوارگ النون أحد أكبر روافد وادي نون، إذا كان أسرير غير محاط بسور فذلك يجسد مجموعة قصبات صغيرة تتميز كل واحدة بحجم سورها وباستقلالية مسجدها. ولعل أقدم هذه القصبات بالترتيب قصبة أمازيغ وقصبة أيت بلقاسم ثم قصبتا أيت مسعود.

تؤكد التحريات الميدانية التي قام بها العسكريون الفرنسيون خلال النصف الأول من هذا القرن على أن مآثر نول لمطة (مدينة لمطاطة) يرقد جزء منها تحت أنقاض أسرير وتيشيشت بتغمرت المجاورة (*NOTES* : 21).

وبالرغم من أننا نجهل تاريخ بناء مدينة نول المنصوص عليها في مدونات الجغرافيين العرب، إلا أنها تبدو مرتبطة بأهمية نظام السقي، إن أسلوب التحكم في المياه عبر الخطارات يربط زراعة هذه المناطق الشبه صحراوية باستيطان الفينيقيين. هذا الاحتمال يقتضي الحديث عن أساليب التحكم الفينيقية واستعراض العناصر المكونة بين تغمرت وأسرير ووعرون وتگاوصت وتسگنان لشبكة تقليدية من حجم كبير جدا. وما من شك في أنه باستطاعة البحث الميداني والتنقيب أن يجيب على هذه الاحتمالات . لقد تجلت مدينة نول لمطة خلال العصر الوسيط من بين أهم مدن ضفة الصحراء الشمالية، وقد بلغت ازدهارا كبيرا مع وصول المرابطين إليها. هذا ما يؤكده تأسيس معمل سك الدينار المرابطي الذي جعل من نول ثالثة مدينة بعد سجلماسة وفاس من حيث عدد الدنانير الموجودة حاليا بمتاحف باريس ولندن والجزائر والرباط (J. Devisse : I : 68 - Bréthes, 282 . 284). على أن ما يهمنا هنا هو الحيز المجالي المخصص من المدينة لما سمي

بمدشر أسرير، فقد ورد هذا الاسم لأول مرة على مانعلم في كتاب *التشوف* (344). فقد أشار منذ بداية القرن السابع الهجري إلى وجود زاوية سيدي محمد بن عمرو اللمطي بأسرير. وإذا كانت هذه الزاوية من أقدم المساجد ببلاد لمطة، فإن الرواية الشفوية تثير الانتباه إلى مسجد قصبة أگويدير أسرير حيث تتلاشى بشكل ملحوظ قصبة عسكرية من حجم هام وموقع أهم. وهنا لابد من الوقوف عند أهمية الموقع الدفاعي لتأكيد الصعوبات التي واجهت الموحدين حتى سنة 550 / 1155 م. لقد عمل أبو حفص حسب كتاب *البيان المغرب* على غزو المنطقة مستعملا في ذلك ثلاثة جيوش . وقد كان ساعتها أهگار اللمتوني أميرا على وادي نون. فما كان منه إلا أن توجه بطلب المساعدة إلى القائد اللمتوني يحيى الصحراوي الذي عاد من الصحراء ملبيا النداء. فلم ثلبث قبيلتا جزولة ولمطة في غزو المناطق المجاورة حيث استقر اللمطيون بين سوس الأعلى ووادي درعة (L. Provencal : 193 - Huici - Miranda : 168) وبظهور بوادر تطور مدينة تگاوصت بالمحور الساحلي، يكون القرن الثالث عشر قد أطل ومعه جموع المعقليين. وقد جاءت تنمية الموارد التجارية للمدينة خير منافس لازدهار نول لمطة ومداشرها المجاورة (33 : La Chappelle).

ونجهل حتى سر علاقة مجاهدي أيت إعزّى ويهدي بالهلاليين ولاسبب وجود قبور هؤلاء بأسرير. على أننا نعلم مدى ما سببته الحرب المرينية المعقلية من خراب للمجال القروي زاد من حدة الكوارث الطبيعية التي تكالبت على المنطقة خلال القرن الرابع عشر. فالأوضاع ستظل على ما هي عليه من تدهور إلى قيام السعديين الذين جسدوا دولة حلف إگزولن التاريخي. فقد اتخذوا جيشهم المركزي وحكامهم وقضاتهم من أهل سوس (*الاستقصا*، 4 : De Castries : I : 110 ; *Chronique Anonyme* : 25 - 105, 554 - 201 : II : 635).

وتدل بعض الوثائق المحلية على توفر عائلة بوشبوك اللمطية على ما كان يتمتع به حملة الكتاب من ظهائر توقير واحترام . الواقع أن هذه العائلة المرابطية لم تكن تمثل يومها إلا امتدادا للتقليد العلمي القديم بأسرير. فالرواية الشفوية تنسب مولد وگاگ بن زلو اللمطي منظر دولة المرابطين وأستاذ عبد الله بن ياسين إلى عين المكان. وهو أمر يبدو غير مستبعد خاصة إذا علمنا أن مقر هذه الشخصية التاريخية الأول قد كان بتزروالت وأن الازدهار الاقتصادي للمنطقة قد أهلها أيضا لنشر المعرفة الدينية، فجاء بذلك من بين أبناء أسرير عدد وافر من ألمع فقهاء سوس . وهكذا يمكن أن نذكر الشيخ أبا سليمان بن داود علي الحيحائي، وهو عالم اضطلع محليا بتدريس مادتي الحساب والفرائض بطريقة موسعة على ما أفاد به الأستاذ المنوني (*إمارة* : 140 ـ 141). ففي سنة 663 / 1264 كان عبد الله بن أبي بكر بن يحيى الجذميوي الصودي تلميذه في الحساب وكتاب *الكافي* والفرائض، فهو يشير بوضوح إلى أن الشيخ أبا سليمان يعتبر أستاذه الأول والأهم (المنوني، *دليل* 38 ـ 39 ـ 40) وقد تضلع التلميذ في الدراسة لحد تأليف ثلاثة كتب في الفرائض يحمل أكبرها اسم *نهاية الرائض في خلاصة الفرائض* (مخطوط بتمگروت أول مجموع رقم 1647).

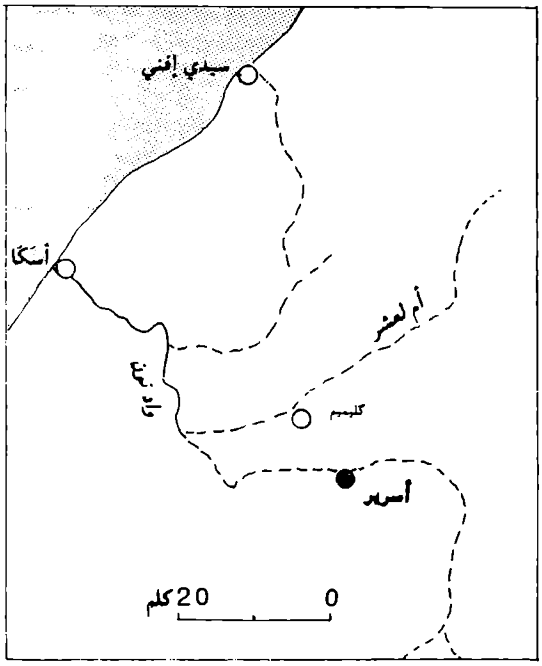

أسرير (گليميم)

ولاشك أن ارتباط هذه المنطقة بالحساب مرده إلى علاقته الوثيقة بعلم الفرائض المتعلقة بقسمة التركات التي هي من وظائف الفقهاء. نذكر من هنا أهمية هذا الجانب الذي يقود إلى تحليل دور الفقيه .ومن بين الفقهاء الكبار الذين عرفهم مدشر أسرير فيما بعد عبد الواحد بن الحسين الرگراگي الوادنوني. فقد كان من بين القلائل الذين يتعاطون في سوس لدراسة وتطبيق الأصول (*سوس العالمة* : 43 ـ 50). وله شرح على *المدونة وأرجوزة* في زهاء مائتي بيت معروفة *برسالة في ترحيل الشمس* (*سوس العالمة*، 178).

ي.التادلي، التشوف ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ م. المنوني، *المؤسسات التعليمية الأولى بسوس وخصائص المدارس العتيقة بالمنطقة*، المناهل، ع. 34، يوليوز 1986، 35 ـ 52 ؛ *دليل مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمگروت*، الرباط 1985 ؛ م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

L. Provençal, *Documents inédits d'histoire almohade*, Coll. de textes. ar. relatifs à l'occident musulman, I, Paris, 1928 ; Frederic De La Chappelle, *Les Tekna Du Sud-Ouest Marocain, Etude Géographique, Historique et Sociologique*, A. F, 1934, 109 p ; G. S. Colin, *Chronique anonyme de la dynastie Saadienne*, Rabat, 1934, déjà traduit par Fagnan, *Extraits inédits relatifs au Maghreb*, 360 - 457 ; J. P Brethes, *Contribution de l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques. Monnaies Inédites ou très rares de notre collection*, in fol., 275 p., Ann.

Mar., Casablanca, 1939 ; H. De Castries, *Les Saadiens, A. n* ; vol I, 110 - 635 ; II, 201 - 554 ; V. Monteil, *Notes sur les Tekna du Sud Marocain*, IHEM, Notes et Doc. III, 1948, 59 p, Larose, Paris ;D. Eustache, *les ateliers monétaires du Maroc*, H. T, 1970, fasc. Unique ; J. Devisse, *"Routes de Commerce et Echanges en Afrique Occidentale en relation avec la Mediterranée. Essai sur le commerce africain medieval du IX au XVIe siècles"*, R. H. E. S. L. Vol année, 1972, nº 1.

مصطفى ناعمي

أسرير مدرسة في قرية على بعد حوالي عشرة كيلومترات من مدينة گليميم جنوب الأطلس الصغير ؛ وهي في أرض فلاحية خصبة يقام بها موسم تجاري سنوي ؛ ومعناها بالبربرية الفناء والباحة. أهلها عرب صحراويون على ضفاف وادي نون وكانت نشيطة خلال القرنين 9 ـ 10 / 15 ـ 16 وقد درس بها فقهاء من أسرة آل عمرو وغيرهم ؛ كما عرفت أسرير بالعلم والصلاح منذ القرن 7 / 13.

وأسرة آل عمرو هذه بكرية عند بعض النسابين، وعلوية عند آخرين (*المعسول* 12 : 189 ـ 190) تنسب إلى محمد بن عمرو الأسريري أبي عبد الله بدر الدين حوالي القرن 6 / 12 وهو يذكر في *التشوف* وعند الحضيگي موصوفا بأنه الإمام العابد الناسك المقصود إليه بالتبرك حيا وميتا ؛ وقد زاره صاحب *الطبقات* بسبب خلاف بين أهل بلدته رجاء الدعاء لهم فاستجيب الدعاء ؛ كما وصف ابن عمرو بالتهجد وختم القرآن كل ليلة مع أهل تلك الجهة من شهر رمضان ؛ وقد أجيز من شيوخه ؛ كما دفن داخل مقبرة أسرير وبقيت زاويته بعد وفاته هناك ؛ مع وجود ظهائرسعدية في احترام هذه الأسرة الشريفة التي تمت بصلة إلى أسرة أخرى موفرة في سوس هي أسرة (إِعَزّى ويهدى) البكرية الصديقية (*المعسول* 12 / 189).

وقد تفرع حفدة ابن عمرو فرعين، أحدهما في أسرير والآخر في گليميم كما اتخذ على مقبرة الشيخ ابن عمرو مشهد يزار ويقام عليه موسم سنوي ؛ وممن ذُكر بعد الشيخ ابن عمرو بهذه الناحية : عبد الواحد بن الحسن الرگراگي (ادرك أوائل القرن 10 / 16) واعتبر شيخ الجماعة بوادي نول لما درس عليه السوسيون والصحراويون من علوم القرآءات، والفلك، والتوقيت ؛ وألف كتابا غريبا في الصرف والأصوات والتجويد حول طاءات القرآن وظاءاته وذالاته، كما ألف *أرجوزة* في الفلك (حجي 2 : 621).

غير أن التعليم تقهقر بعد عبد الواحد بن الحسن الرگراگي بمدرسة أسرير، لذلك قام الشيخ عبد الله بن يعقوب السملالي (ت 1025 / 1643) جد الأسرة الأدوزية الشهيرة بالعلم والصلاح والتآليف في سوس، قام بتوجيه عناية خاصة إلى ناحية أسرير إحياء للنشاط العلمي والتربوي بها، وذلك بارسال نخبة من طلبته المخلصين، وهو بتازموت بقبيلة سملالة الأطلس الصغير، إلى مدرسة أسرير؛ ومن هؤلاء المبعوثين :

محمد إبراهيم الأسريري (1049 ـ 1639) وهو تلميذ ابن يعقوب، وتخرج على يده في تازموت بسملالة ؛ فصار بذلك فقيها متمكنا ؛ فلما عين بمدرسة أسرير قام بالتدريس والإفتاء إلى أن أدركته الوفاة (*المعسول* 5 : 31) وقد ذكر في مكان آخر باسم محمد بن أحمد ابن إبراهيم (*المعسول* 5 : 31) ونسبه الحضيگي إلى جده إبراهيم.

ومن تلاميذ ابن يعقوب الذين وجههم إلى مدرسة أسرير : أحمد بن سعيد التملي الودنوني (ت 1052 / 1652) وهو من المتخرجين في (تازموت) أيضا، وقد صحب شيخه ابن يعقوب نحو ثمانية عشرعاماً لايفهم ولايحفظ شيئا ولايكاد يرفع بصره للسقف ولا للسماء حياءً وهيبة وخشوعا إلى أن عمد الشيخ مرة إلى نزع اللوح الذي يكتب عليه من بين يديه داعيا له، فبسبب هذا رجع اليه كل ماسمع حفظا وفهما ؛ وحينذاك شيعة مودعا إلى أسرير (حجي 2 : 622) حيث اجتهد فيها بالقيام بالتدريس وأداء الأمانة على نحو ما تربى عليه عند شيخه ابن يعقوب.

ومن الذين درسوا بمدرسة أسرير بحسب التسلسل التاريخي لوفياتهم أحمد بن علي المصلوحي الوادنوني (ت نحو 1062 / 1652) ؛ وقد وصف بالفقه والمشاركة في مختلف العلوم، مع توليته منصب القضاء في وادي نون : إلى نشاط في التدريس بجامع أسرير كنشاطه في الأحكام والفتوى (حجي 2 : 622).

ومن بين من يذكرون من علماء الأسرة البنعمرية الأسريرية في هذه الفترة أحمد بن محمد بن عبد الله (كان حيا عام 1152 / 1739) وقد وصف بالفقيه الأجل في رسائل رسمية مؤرخة بالتاريخ المشار إليه أعلاه (*المعسول* 12 : 190).

ومن العلماء الأسريرين عبد الرحمان بن علي وقد وصف بالقاضي الفقيه وباسمه وباسم أفراد هذه الأسرة صدر ظهيران سليمانيان علويان سنة 1112 / 1700 وسنة 1217 / 1802 وآخران رحمانيان : نسبة إلى المولى عبد الرحمان العلوي عام 1242 / 1826 وعام 1261 / 1845 لذلك ربما تكون وفاته قد تأخرت إلى ما بعد 1261 / 1845 ؛ كما أن محررات بخط يده في أمور المعاملات والقضاء متداولة بكثرة في وادي نون.

ومن علماء الأسرة الأسريرية : المسمى عبد الواسع بن محمد بن عبد الله أخو أحمد المتقدم (امتد به العمر إلى 1172 / 1758) وقد وصف بالفقيه الأكمل ؛ كما أذن له ولأخيه أحمد من قبل السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل في القضاء ؛ كما ذكر اسمه في ظهير صادر من السلطان محمد بن عبد الله العلوي سنة 1172 / 1758.

ومن علماء هذه الأسرة محمد أگليد = السلطان (كان حيا سنة 1261 / 1845 ؛ وقد وصف بالفقر في مشجر بأنساب الأسرة ولقب بأبي الشبوك (12 / 191).

ومنهم علي بن محمد أگليد ولد المتقدم قبله وقد وصف بالفقر في مشجر أنساب الأسرة (المتقدم) (*المعسول* 12 : 191).

ومنهم أيضا عبد الرحمان بن علي ولد المتقدم وقد وصف بالقضاء والفقه (تقدمت ترجمته).

أما محمد بن عبد الرحمان ولده فمات قبل 1261 / 1845. وقد وصف بأنه فقيه صالح ؛ وقد انتقل من أسرير إلى ناحية الشياظمة فدفن بـ (مسكالة) وعليه مشهد هناك (*المعسول*، 12 : 191).

وأما محمود بن عبد الرحمان أخو المتقدم كما يظهر من تسلسل النسب في هذه اللائحة فامتد به العمر طويلا حتى استوفى 118 سنة فمات سنة 1333 / 1914 ؛ لذلك أتيحت له الفرصة للتعليم والإفتاء والإرشاد بعد أن تخرج بالشريف الكثيري ؛ ثم أقبل على الزاوية الأسريرية ؛ فملأ الفراغ بعلمه وفضله وديانته ؛ وقد ترك محررات ورسوما بخط يده مما تمتلىء به تلك الناحية لدى الأسر الوادنونية ؛ وكان ثقة عدلا، يعتمد خطه في الرسوم التي حررها ؛ كما اعتمدت أحكامه في القضاء أيضا.

اما ولده أحمد بن محمود (ت. 1367 / 1947) فقد تخرج من بعض مدارس سوس والتحق بعد ذلك بفاس ؛ ولما رجع منها خلف والده المتقدم، واشتهر كثيرا بسبب اتصاله السياسي بأحد قواد تلك الناحية المسمى دحمان بن يبورك ؛ حيث كتب له، كما اتخذ حكما في النوازل عنده إلى حين مجيء الاحتلال الفرنسي إلى تلك الناحية عام 1352 / 1933 فاضطر إلى الاعتزال بالزاوية الأسريرية (*المعسول*، 12 : 191).

ويذكر من أولاد عبد الرحمان المتقدم، المسمى عبد العزيز بن عبد الرحمان، وصف بالفقه والتحصيل ؛ كما أنه التحق بالصحراء (توفي صدر القرن 14 / 19). كما يذكر من أحفاد عبد الواسع المتقدم الذكر حفيده المسمى أحمد بن محمد بن عبد الواسع بن محمد بن عبد الله ؛ وقد وصف بأنه فقيه منشيء خطاط، كتب شجرة أنساب أسرته (*المعسول*، 12 : 192).

أما أخوه عبد القادر بن محمد بن عبد الواسع (ت. 1369 / 1949) فدرس وتعلم بزاوية (بونعمان) القريبة من تزنيت ؛ ويظهر انه بقي بها طويلا بعد أن أخذ القرآن عن الحسن الباعقيلي، أرسله والده مع ثلة من أبناء عمه إلى بونعمان فدخلوا إليها وعلى رؤوسهم قلانس طويلة من الشعر على عادة بلدهم وذلك حوالي 1300 / 1882 وقد قدر له البقاء هناك إلى حين وفاته حيث أصبح محور المستفيدين من الطلبة، وذلك قبل أن ينقبض عن الناس قبل سنة 1361 هـ وكان قد حبب إليه شرب الشاي مع نزعة إلى التصوف الدرقاوي الإلغي مع ممازحة لمن يثق بهم.

ولم يعد يسمع اليوم عن هذه المدرسة شيء يستحق أن يذكر باستثناء بعض الطلبة الأسريريين الذين ذكروا من بين تلامذة الحاج مسعود الوفقاوي (*المعسول*، 12 : 192) كما يذكر أحد الأسريريين بالفقه والصلاح واسمه محمد الغزال، درس بسوس وفاس وتوفي بمراكش (المعسول، 12 : 192).

م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

محمد البا يك

الأسريريُون (علماء) ← **أسرير** (مدرسة)

أسّا، تردُّ الرواية الشفوية أصل كلمة أسا إلى تيسيت التي تفيد المنخفض الجبلي وهنا لا يمكن فصل تاريخ القصبة البعيد عن أهمية موقعها التجاري والمجالي بين المحيط ومشارف الصحراء. فالجانب الغربي من سلسلة جبال باني حيث تجثم القصبة يعتبر إحدى المعالم البارزة لضفة الصحراء الأطلسية جنوب سوس الأقصى. ويحد السلسلة جنوبا وادي درعة الذي لا يبعد عن القصبة إلا بحوالي 121 كلم. فبإعلان هذا الوادي عن بداية الصحراء تكون القصبة أقرب محطة إلى طرق القوافل المحلية. فالمجال عبارة عن أحواض سهلية محاصرة بين تجاعيد تضاريسية لا تعبرها إلا فائجات ضيقة بينها بحيرات تسقي أفواهها الضيقة الأراضي المحيطة بأسّا في نهاية المنعرجات الجبلية المطلة على الصحراء. هذا ما يُبرزه فم تيسينت وفم طاطا حيث يشج الفج العميق لوادي أسّا فجأه حقلا رمليا صحراويا للتصفية، وهو واد ضيق يمتد على أزيد من كلمترين ونصف من الأراضي المسقية والبورية التي تظللها حوالي 30.000 نخلة بالإضافة إلى أشجار الزيتون والرمان والحناء. وهنا تجدر الإشارة إلى انه في وقت لم تعرف فيه المنطقة أوراق النعناع أو التبغ كانت غابات الزيتون السبب في تسمية درعة الزيتون. ولا شك أن دور هذه الغابات التي كانت تغطي سهولا صحراوية شاسعة قد أسهم بشكل كبير في ظهور القصبة. ذلك أنه سواء كان السكان الأولون للقصبة هم الفرع الغربي لأبناء كوش بن حام بن نوح أم لا، فإن الملامح المعمارية للقصبة تعلن عن طابع اليمن وحضرموت. ذلك أن استعمال الحجارة كمادة أساسية في البناء يزيد من انسجام الأشكال الفرعية لهيئة القصبة الخارجية. لقد أكسب التنضيد الدقيق لهذه الحجارة إفريزها المدعم وجلياتها المزينة شكلا متناسق الأبعاد. هذا علاوة على أن الأهمية الإستراتيجية للموقع تبرز بجلاء كبير من خلال هيئة برجها الدفاعية. هذه الميزات التي تخص أُسّا كقصبة صحراوية عما عداها شمالا تجعل منها أقدم بناء أثري بمجمل الضفة الشمالية الغربية للصحراء على الأقل.

في انتظار ما ستأتي به الحفريات في هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أن مما يزيد من صلاحية هذه الاحتمالات هو ربط الرواية الشفوية أصول السكان الأقدمين للقصبة بالأكاديين والكنعانيين (*المعسول*، 9 : 13). وتفيد بعض المخطوطات اليهودية الهامة التي نشرها جان كاطفوسي J. Gattefossé بأن مقدم اليهود إلى درعة الزيتون خلال القرن الثامن قبل الميلاد قد صادف امتلاء المنطقة من الحبشيين (الحراطين) والأمازيغيين. على أن محاولة تشخيص هذا التقسيم الإِثْنِي عن طريق أدلة البقايا الأثرية هي حاليا على درجة مفرَطَة من الحدسية بحيث لا يمكن الإعتماد عليها. كما أنه ليس بإمكاننا أن نستخلص

استنتاجات معينة عن الحضارات القديمة من مقارنة للمعطيات اللغوية. فهذا العامل يبرز إلى أي مدى اندمج الحراطين والصنهاجيون المسيطرون لغويا في تيار مشترك. كما أن التعابير القرابية المحلية تحيل الباحث مباشرة على مفهوم المؤسسات القبلية الأميسية. ومهما يكن فإن الوجود الهام ودور الحراطين في تركيب المجتمع وتطوير القصبة كان أساسيا. ذلك أنه من الواضح الجلي أن الحبشيين الدراتيت الذين أشارت إليهم الكتابات الأروبية قبل المسيح كانوا يتوفرون على برنامج سياسي يتعلق بالتطورات الاقتصادية والاجتماعية سهل عليهم مأمورية التبادل عبر الساحل الأطلسي مع أقربائهم القرطاجنيين. فقد كان بأسا وقتئذ موسم دوري يسمى ‹‹عيد الأكيال›› تصل إليه قوارب الفينيقيين عبر وادي درعة. وكان الحبشيون يبادلونهم جلود الحيوانات الأليفة وكذا أنياب الفيلة والخمور مقابل المرمر والفخار المصري والأواني الخزفية والأكيال. على أن الرواية الشفوية لم تحتفظ من تاريخ العلاقات مع الفينيقيين إلا بكلمة ‹‹فنيقس›› التي ما تزال تشهد على انتشار هؤلاء عبر مختلف أرجاء سوس الأقصى. هذا الاستقرار يدعو إلى إعادة تركيب صورة أصل الأعراف الشفوية التي لن تلبث أن تضيف قبائل صنهاجة إلى حضارة الشرق الأوسط. ذلك ما أكده من جهته السواد الأعظم من الجغرافيين ومدوني الأحداث العرب منذ وصول عقبة بن نافع إلى مشارف المنطقة. نرى إذن أن مجمل المراجع الشفوية والأروبية والعربية تصب في اتجاه الأصل المشرقي لسكان أسا حبشيين كانوا أم صنهاجيين. لقد تمكن الحبشيون كما هو معلوم من تمسيح جزء من اليهود المحليين خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين معتمدين في ذلك على كنيسة روما وجماعات مسيحية وافدة على المنطقة من المحيط. ومن جهة أخرى فقد مر على دخول الدين الإسلامي أزيد من خمسة قرون قبل التمكن من تغيير البنية الدينية والاجتماعية للمنطقة. لقد وصل يحيى بن إدريس الأصغر بعد وفاة أبيه كمرشد ديني، لكن تشبث المحليين بنظامهم القرابي ومبادئهم الدينية حد من نجاح مهمته. وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه ليس من الغريب أن يغيبَ اسم أسا عن مدوني الأحداث والجغرافيين خلال القرنين الحادي والثاني عشر الميلاديين. ذلك أن المنطقة ظلت مجهولة من طرفهم جميعا بالرغم من ازدهارها الاقتصادي. لذلك فإنه من الضروري انتظار القرن الثالث عشر ليتغير وجه القصبة مع الغزو المعقلي وظهور رجل مبجل هو يِعْزّوِهْدَى مؤسس زاوية أسا.

لقد اكتسح المرابطون كما نعلم مدن تامدلوت وإِفران وتمنارت وتغاجيجت ونول لمطة، فهل لعبت الطَبيعة والتضاريس دورا ما في عزل أسا عن مسرح الأحداث؟ لا يمكننا هنا إلا أن نضيف إلى هذا السؤال سؤالا آخر حول دور الطابع المغلق لطبقات الحراطين في عزل القصبة. فإذا كان ظهور نول لمطة في فترة نجهلها وتامدولت وسجلماسة قد حد من أهمية أسا الاستراتيجية، فإن حجمها التجاري والحضاري سيختفي مؤقتا كذلك خلف الدور التاريخي لنول قاعدة اللمطيين وملوكهم اللمتونيين بوادي نون. لقد اندحرت تغاجيجت أمام الجيش الموحدي سنة 548 / 1153، كما أخفقت مساعدة يحيى اللمتوني العائد من الصحراء في حماية نول وملكها أهكَار اللمتوني سنتين بعد ذلك. وكل ما نعلمه عن أسا يومها هو قيام قبيلة لمطة بغزو المنطقة الواقعة بين سوس الأعلى ووادي درعة. فانضاف هذا العامل إلى الإبادة الجماعية الموحدية والغزو المعقلي ابتداءا من سنة 614 / 1218 لتكون أهم الأحداث المحلية التي ستبرز معالم تسرب التصوف الشعبي كظاهرة استقرائية للأحداث. ولئن استطاعت الجيوش الموحدية بيع نساء لمطة وجزولة وأطفالهم بأبواب مراكش، فقد أعلنت القبيلتان بداية مرحلة استقرارية سوف يكون من شأنها تهميش نهائي للغور السكاني المحلي الأقدم.

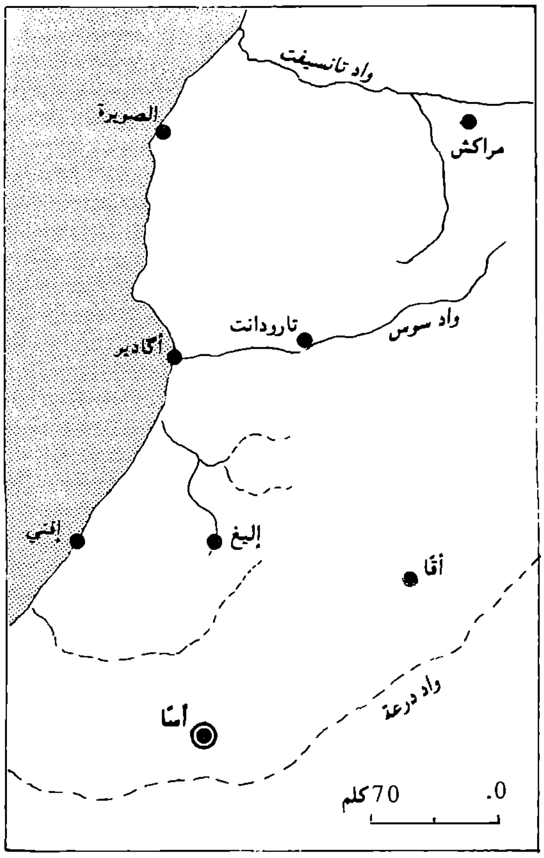

أسّا

في هذا السياق ولتوضيح الواقع البنيوي القرابي والديني فإن ظهور المصلح الصوفي إِعَزّى ويهدَى سيبرز بوضوح حدود الإصلاحات المرابطية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر. وقد أورد المختار السوسي بهذا الشأن نصا هاما (*المعسول*، 10 : 166 ـ 167) على لسان إِعَزّى ويهدَى نفسه. لقد كانت ولادة الشيخ 646 / 1249 بين عشيرتين محليتين تحتل فيهما المرأة، على ما يبدو، المكانة

الأساسية من حيث دورها في التسمية والتربية وتوزيع الميراث. كما أن تعابير القرابة المستعملة تورد مصطلحات يستهدف منها التعبير عن العلاقات المميزة لمجتمع تنتسب فيه العشائر إلى الأمهات. من هنا فإن الأهمية المطلقة لهذا النص تتجلى في مقدرته على إبراز بعض ملامح الصراع بين المحاولات الإصلاحية للمرابطين، أصحاب الزوايا ومقاومة البنيات الاجتماعية القديمة. ولا شك أن المد الأعرابي المعقلي الذي سبق مولد إِعَزِّى ويهدَى بثلاثين سنة قد شكل يومها عاملا أساسيا آخر لشحذ حملة هذا الشيخ وأتباعه على كل من اعتبروه خارجا عن العقيدة الحقة. من هنا وانطلاقا من شعار الإصلاح الديني المسلح سوف يمتزج اسم إِعَزِّى ويهدَى بأسًّا سابغا بذلك على استيطان الأتباع صفته المميزة.

هذا الاستيطان يتجلى بوضوح من بقايا المسجد والحي الملاصق له وطابعهما الديني المميز. فالمنازل مبنية من الحجر العاري الغامق اللون حيث يتجلى الطابع الصوفي من بساطة التكوين وغياب الزخرفة. وتقسم الأزقة الضيقة أسا إلى قسمين أسفل وأعلى محاطين بسور يشهد على تماسكه الوزان الإفريقي سنة 1510. (*وصف*، 1956، II : 209 ـ 210). ففي هذه المرحلة بالذات شكل عنصر أصحاب الربط أداة لتعزيز الموقف الموحد حول الشيخ إِعَزِّى ويهدَى رمز المقاومة المسلحة. ومنذئذ أصبح من المستحيل مقاومة المد الصوفي الذي جعل من وفاة الشيخ سنة 746 / 1346 خلال المولد النبوي ذكرى تجعل منه جدا اسميا لقبيلة أيت أُوَسًّا. ذلك أن شخصيته التاريخية ترمز إلى القوه المولدة لسمات التحالفات القبلية بعد اشتداد القمع الموحدي والمعقلي. إن من شأن انغراس أسلوب الجهاد وما يرافقه من متطلبات دينية تستجيب لحاجيات الغور السكاني الأقدم، أن تؤدي لا إلى السيطرة النسبية على الصيرورة التاريخية فحسب، بل حتى إلى مقاومة مختلف أنواع الهيمنة الخارجية لأي سيرورة مغايرة كميا ونوعيا.

من هذه البوثقة الحركية تتبلور زاوية أسا كقاعدة أولى للتقاليد الجهادية بمجمل منطقة سوس والساقية الحمراء. على أن هذا التطور لا بد أن يكون قد استغرق من الوقت والجهد ما يكفي لتحقيق صياغته بالشكل الذي سيراه الوزان الإفريقي وكما ستبرزه مستندات المختار السوسي ومدونة زاوية أسا الهامة. لقد قدر الوزان عدد منازل أسًّا في بداية القرن السادس عشر بأربعمائة في وقت غطت فيه الأهمية الإقتصادية والروحية للموسم خلال المولد النبوي بأسًّا على باقي المواسم المحلية. ذلك أنه بالإضافة إلى امتداد فترة الموسم عبر شهرين صار لزاوية أسا خطها الروحي الذي يميزها عن باقي الزوايا بما فيها تمنارت وأسرير وتازروالت. فالشكل الذي غطى به أتباع الشيخ ـ أيت إِعَزِّى ويهدَى ـ قصة الجهاد ضد المد المسيحي وتحالفاته المحلية جعل من الزاوية الأرضية الأولى لرابطة إِيكُزُولْنْ (جزولة) الدينية. وهي وضعية لن تتغير إلا بظهور سيدي احماد وموسى بتازروالت الذي قضى حفيده ابو حسون السملالي (بودميعة) آخر أيامه مع أيت أوسا بعد أن فشلت إمارته.

إن تسارع وتيرة انتصار تجارة السواحل الأروبية قد زاد بالطبع من حدة الأزمة المتجذرة في المنطقة. فكان من نتائج اختلال تجارة المسالك أن تضاعفت وتيرة دفوقات النازحين من المنطقة خلال مدة لم تكن ظرفا عابرا. وإذا كان فانسان مونتاي V. Monteil قد عد سنة 1948 م حوالي 100 منزل آهل بأسًّا، فإن هذا العدد يظهر كتعبير عن العلاقة بين الماضي والمستقبل. إن الحجم القديم الذي تشهد عليه وفرة الأنقاض يبرهن على أن أزمة المجتمع خلال أربعة قرون قد بلغت من التناقض درجة أضحت معها الكوابح التي كان يضعها التنظيم الاجتماعي التقليدي عاجزة على أن تلعب دورها المعتاد. على أن استقرار الرحل وظاهرة الهجرة إلى أوربا منذ الاستقلال قد أسهما في الانتعاش النسبي الذي تعرفه حاليا. فنجد بالقسم الأعلى إِذَاوْمْليلْ حول المسجد والزاوية وأيت أُونْـگيتْ بالقسم الأسفل. ويعتبر الرحل عموما من ذوي صغار النجعات حيث إن لكل فرع منهم مقرا سواء بأسًّا أوبالعوينة. وقد تحول الكل إلى معربين رغم عدم انقراض لغتهم الأم تماما.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20. 1962.

Marmol, *L'Afrique*, t. III, p. 6 ; J. Gattel, *Ouad Noun et la Takna*, B. S. G, Paris, Mars - avril, 1871, pp. 85 - 89 ; P. Marty, *Les Tekna (oued Noun)*, in *Les tribus de la Haute Mauritanie*, Publications du Comité de l'Afrique Occidentale Française, 1915, p. 65 ; L. Gentil, *A travers l'Anti Atlas et les Deserts du Drà*, *A. F.* mars, 1924 ; L. Provençal, *Documents Inédits*, p. 193 ; F. C. De La Chappelle, *Les Tekna du Sud Ouest marocain*, *A. F*, 1934, pp. 29 - 30 ; J. Gattefossé, *Juifs et Chrétiens du Drà avant l'Islam*, B. S. P. M, nº 3 - 4, 3 et 4ème trim., 1935, 1936 ; O. du Puigaudeau - Sénonnes. *Peintures rupestres du Tagant*, J. Soc. Afr., 1939, t IX, fasc. I ; A. Ruhlmann, *Les recherches de préhistoires dans l'extême Sud marocain*, P. S. A. M, 1939, fasc. 5, pp. 58 - 60 et 88 - 89 ' R. Mauny, *Note sur les grands voyages de Léon l'Africain*, Hesp. 1954, 3 - 4 trim., pp. 380 - 394 ; J. L. L'Africain, *Description de l'Afrique*, t. I, pp. 209 - 210, t. II, pp. 419 - 420 ; J. Meunié, *Hiérarchie Sociale au Maroc présaharien*, Hesp. 1958, 3 - 4 trim., pp. 239 - 269 ; O. Puigaudeau, *Arts et Coutumes des Maures (II)*, H.T, Vol. IX, fasc. 3, 1968, pp. 329 - 458 ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*.

مصطفى ناعمي

أسَّامَر، اسم سفح الجبل المقابل لجهة شروق الشمس، يقابله أنامَرْ، وأسَّامَر اسم لعدة قرى في جبال الأطلس أما أسَّامَرْ بني سنان الذي يذكره البيذق (ص 90) فيقع في جهات تدغة.

أحمد التوفيق

الأسطرلاب بالمغرب، آلة فلكية قديمة اختلف في مخترعيها أهم الصينيون أم الإغريق. وكلمة أسطرلاب Astrolabe أطلقت على أصناف مختلفة من الالآت الفلكية بحسب ماتمثله من مسقط الكرة السماوية على سطح مستوٍ أو كروي وقد نقل العرب الأسطرلاب في جملة ما نقلوا من علوم الإغريق أثناء حركة الترجمة الشهيرة على عهد العباسيين وسموه أيضا بميزان الشمس وميزان الكواكب وألفوا فيه منذ أواخر القرن الثاني الهجري / 8 م. أيام أبي جعفر المنصور وشرحوه وطوروه عبر القرون في مختلف المراكز العلمية الاسلامية. وأهم تحوير عرفه الأسطرلاب في

المغرب الإسلامي هو تحويله من عامّ إلى خاصّ في الأندلس أيام ملوك الطوائف على يد الفلكي إبراهيم بن يحيى النقاش الطليطلي المعروف بابن الزرقالة (ت 493 / 1100) ويدعوه اللاتينيون Azarquiel، فعرفت آلته بالصفيحة الزرقالية والشكازية، كما دعيت بالعبّادية نسبة إلى ابن عباد ملك إشبيلية. وعرف الأسطرلاب بعد ذلك أنواعا من التبسيط والتركيب بحسب مايستعمل له من استخراج حساب النجوم والعروض، فكانت هنالك أسطرلابات ذوات صفيحة، وأخرى ذوات صفائح، تداولها علماء المغرب كلها وألفوا فيها واستعملوها فيما وضعوه من أرياج واخترعوه من آلات لمعرفة ارتفاع النجوم وما انقضى من ساعات الليل والنهار.

وربما كانت مدينة سبتة، بحكم قربها من الأندلس، سباقة الحواضر المغربية إلى الدراسات الفلكية والأسطرلابية ، غير أن خطوب الزمن عفّت عن معظم آثارها العلمية. ولايذكر الآن من الأعمال الفلكية للسبتيين القدامى إلاصورة القبة السماوية التي صنعها الشريف الإدريسي (473 - 560 / 1080 - 1164) لروجار ملك صقلية قبل أن يرسم له الخريطة الأرضية.

وتاتي بعد سبتة في هذا المضمار مدينة مراكش حاضرة المرابطين والموحدين التي عاش في رحابها خلال القرن السادس الهجري / 12 م كبار علماء المغرب والأندلس من مختلف التخصصات، واشتهرت فيها مخترعات فلكية مما يدخل في نطاق الأسطرلاب، مثل المجانة الشمسية العظيمة التي كانت على باب جامع الكتبيين" ارتفاعها في الهواء خمسون دراعاً تنزل فيها عند انقضاء كل ساعة صنجة وزنها مائة درهم تتحرك بنزولها أجراس يسمع وقعها من بعد " - *مسالك الابصار*، غير أن أقدم المؤلفات الفلكية الأسطرلابية الباقية لعلماء مراكش لايرقى تاريخها إلي ماقبل القرن السابع / 13، مثل كتاب :

جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكية، ومنها الأسطرلاب، للحسن بن علي المراكشي (تـ 660 / 262) قال عنه حاجي خليفة في *كشف الظنون* (1 : 572) :" وهو أعظم ما صنف في هذا الفن " وذكر أنه رتبه علي أربعة فنون الأول في الحساب، والثاني في وضع الالآت الفلكية، والثالث في العمل بهذه الالآت الفلكية، والرابع في مطارحات تحصل بها الدراية والقوة عن الاستنباط. ولم يبق من هذا الكتاب إلا نتف متفرقة، نشر المستشرق الفرنسي سيديو L. P. Sédillot بباريز ماوقف عليه منها في جزءين سنة 1834 - 1835 (النص العربي والترجمة الفرنسية).

رسالة في أصول علم الأسطرلاب، لابن الشاط المغربي ولم يذكر اسم المؤلف كاملا في المخطوط، وربما كان هو قاسم بن عبد الله ابن الشاط السبتي (تـ 723 / 323) أشهر من عرف بهذه الكنية في المغرب، ولو أن مترجميه لم ينصوا على هذ ا الكتاب في مسرد مؤلفاته. وقد ترجم إلى الاسبانية، ونشر بغرناطة سنة 1884، النص العربي والترجمة.

مقالة في علم الأسطرلاب، لأحمد بن محمد ابن البناء المراكشي (654 - 721 / 1256 - 1321) ولهذا العالم الرياضي الكبير غير هذه المقالة مؤلفات فلكية عديدة في ميدان الرصد والأسطرلاب، منها : *رسالة في العمل بالصفيحة المشتركة على الآلة الشكازية الزرقالية*. وأخرى *على الكرة*، *واختصار رسالة أبي القاسم ابن الصفار في آلة الاسطرلاب والأسماء الواقعة عليها*. *والمستطيل واليسارة في تعديل السيارة*، *منهاج الطالب في تعديل الكواكب*. وهذا الكتاب الأخير اعتمد فيه اساسا على :

كراريس في الحركات والتعاديل، لأحمد بن علي التميمي التونسي المراكشي الذي عاش بحاضرة الموحدين أواسط القرن السادس / 12، وخلّف أبحاثا فلكية شخصية مبعثرة في أوراق رتبها أحمد بن البنا وأخرجها في ثلاثة كراريس إضافة إلى الجداول، وانطلق منها في وضع زيجه *المنهاج* الذي نسخ الأزياج السابقة كلها.

وقد كثر تلاميذ الإمام ابن البنا المراكشي في الفلكْ وتفرقوا في مختلف جهات المغرب بسوس وأسفي وسلا ومكناس ويلاد الهبط وغيرها. وكان حظ مدينة فاس من ذلك عظيما مع أشهر تلاميذ ابن البنا عبد الرحمان بن سليمان اللجاني (تـ 771 / 69 - 1370) شيخ الجماعة في الفلك بها، قصده الطلبة حتى من أقطار المغرب الأخرى. ومن أغرب أعماله الفلكية " أنه اخترع أسطرلابا ملصقا في جدار والماء يدير شبكته على الصفيحة فياتي الناظر فينظر إلى ارتفاع الشمس كم هو وكم مضى من النهار، وكذلك ينظر ارتفاع الكواكب بالليل". - *أنس الفقير*، 68 - وقد وقف ابن الخطيب القسنطيني زمان قراءته على اللجائي بفاس على هذا الأسطرلاب المائي وقال عنه "إنه من الأعمال الغريبة"، ولابن الخطيب هذا *أرجوزة في الأسطرلاب* وكتبٌ فلكية أخرى. وقد تعطلت هذه الآلة في وقت غير محدد وماتزال صفيحة الأسطرلاب قائمة حتى اليوم في مربع من 71 سم، عليها شبكة تدور حول محور يبلغ قطرها 42 سم. وذلك في حجيرة بالركن الجنوبي الغربي من الغرفة الصغيرة المطلة على صحن جامع القرويين المخصصة للموقتين والمؤذنين. وإلى جانبها في الغرفة بقايا ساعة مائية أخرى علقت تحتها ورقة تقول :" صنعت هذه المنجانة مع أسطرلابها الذي هو من تمامها عن أمر مولانا السلطان أبي سالم بن مولانا أبي الحسن بن مولانا أبي سعيد بن مولانا أبي يوسف بن عبد الحق المريني. وكان تمام صنعها وتركيبها في الواحد والعشرين من محرم الحرام فاتح 763 هجرية (20 نونبر 1361) - *مذكرات* ، 3 : 67 - 68 -.

وإذا كان عدد الساعات المائية المبتكرة في فاس على عهد المرينيين كثيراً فإن أعظمها ساعة المدرسة البوعنانية الشهيرة بين الطالعتين الكبرى والصغرى، التي باشر صنعها الفلكي علي بن أحمد التلمساني الملقب بابن الفحام سنة 758 / 1357 "بطيقان وطسوس من نحاس مقابلة لباب المدرسة ... وجعل شعار كل ساعة أن تسقط صنجه في

طاس وتنفتح طاق، وذلك في أيام آخرها الرابع عشر لجمادى الأولى عام ثمانية وخمسين وسبعمائة" ـ زهرة الآس، ص 40 من ط.الجزائر ـ ومازال زوار فاس يشاهدون حتى اليوم هذه الطيقان والطسوس النحاسية والدعامات والمساند والأفاريز الخشبية المزخرقة، التي تكوّن ـ رغم قدمها وتعطيلها ـ لوحة فنية رائعة ويقوم الآن أحد أبناء فاس، هو المهندس ع. الحلو، بمحاولة إعادة استخدام هذه الآلة بطريقة تقنية حديثة.

وإذا وصلنا إلى عهد الشرفاء السعديين والعلويين الذي انتعشت فيه العلوم العقلية وتطعمت بهجرات الأندلسيين والتلمسانيين وغيرهم إلى فاس ومراكش ومراكز علمية أخرى ألفينا مزيد عناية بالفلك عموما وبالأسطرلاب على الخصوص، تدريساً وتأليفا. ومن أشهر المؤلفين في الأسطرلاب ومختلف الالآت المعدنية المتفرعة عنه لهذا العهد : أحمد بن حميدة المطرفي المراكشي (تـ 1001 / 1592)، صاحب *رسالة في آلة الأسطرلاب*؛ وعبد الرحمان بن عمر البعقيلي السوسي المعروف بابن المفتي (تـ 1020 / 1611) وأحمد بن قاسم ابن معيوب الأندلسي المراكشي (تـ 1022 / 1613) الذين شرحوا آثار أحمد ابن البنا في تعديل الكواكب السيارة. وبلغ من اهتمام أحمد المنصور الذهبي أنه كلف سفيره إلى انجترا عبدالواحد بن مسعود عنون الأصيلي (تـ بعد 1009 / 1601)، وكان رياضياً فلكيا، أن يقوم بمهمة ثقافية إلى جانب مهمته السياسية، وأمره أن يتصل بالعالم الانجليزي ادوارد ـ وريعت Edward Wricht وهو رياضي فلكي أيضا اشتهر بتآليفه العلمية وآلاته التطبيقية، ليحصل منه على كرات فلكية وساعات ومزاول وأسطرلابات، وطُلب من وريغت أن يُطلع السفير المغربي على جميع مالديه ويصنع له كل الالآت التي يطلبها من نحاس أو فضة على أن يترك موضع الكتابة والأرقام فيها فارغا لينقش بعد بالعربية. وقد مكث عنون في انجلترا سنة أشهر لتحقيق مرغوب مخدومه المنصور .

وقد اخترع العالم المغربي محمد بن سليمان الروداني (ت ـ 1094 / 1683) آلة فلكية كروية تيسر وتبسط ما يمكن أن يقوم به الأسطرلاب المسطح. وقف عليها الرحالة أبو سالم العياشي ووصفها بأنها " مستديرة الشكل منعمة الصقل، مغشاة ببياض الوجه المموّه بدهن الكتان .... مسطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج وغيرها، مستديرة كالتي تحتها مصقلة مصبوغة بلون أخضر ، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق، ومخبر فائق. وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة، مع سهولة المدرك لكون الأشياء فيها محسوسة، والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مُشاهد فيها، وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها". ـ *الرحلة العياشية* 2 : 38 ـ.

وألف محمد بن سليمان الروداني رسالة في كيفية العمل بهذه الكرة سماها *النافعة على الآلة الجامعة* في مقدمة وخمسة وأربعين بابا وعشرة فصول وخاتمة، حققها وترجمها إلى الفرنسية الأستاذ شارل بيلا من جامعة السربون، ونشر النص العربي والترجمة في مجلة الدراسات الشرقية بدمشق(ج 27 و28، سنة 73 ـ 1975) وقارن الاستاذ محمد الأخضر في *الحياة الأدبية* (ص 108 ـ 109) بين محمد بن سليمان الروداني في ذهنيته العلمية واختراعه العجيب بمعاصريه العالمين الأوربيين، الرياضي الفرنسي باسكال مخترع الآلة الحاسبة، والفيزيائي الأنجليزي نيوتن مكتشف الجاذبية الأرضية .

وعرفت فاس بدورها عالما موسوعيا أربت مؤلفاته على مائة وتسعين كتاباً، هو عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي (تـ ـ 1096 / 1685) منها *المنتقى من علم الاسطرلاب* لخّص به نظماً *تحفة الطلاب في عمل الأسطرلاب* لأبي القاسم بن الصفار القرطبي (ت ـ 426 / 34 ـ 1035) إضافة إلى تناوله جميع المطالب الفلكية التي يتوصل إليها بالأسطرلاب في معلمته الكبرى *الأقنوم في مبادئ العلوم*. وقد شرح *المنتقى* محمد بن عبد السلام بناني (ت ـ 1136 / 1750) بشرحين كبير فصّل فيه القول في مهمات علم الاسطرلاب، ومختصر اقتصر فيه تلبية لرغبة بعض الطلبة ـ كما جاء في المقدمة ـ على أهم المسائل الأسطرلابية.

كما اشتهر من المؤلفين الفلكيين الحسن بن عيسى المجاصى صاحب *تذكرة الألباب في عمل صناعة الأسطرلاب*. وصالح بن محمد المعطى الشرقي البجعدي (ت 1139 / 1726) مؤلف *تحفة الطلاب في كشف ماخفي من الأسطرلاب*. وسليمان بن أحمد الفشتالي الفاسي (ت 1208 / 1794) صاحب *النبذة اللامعة فيما يتعلق بالصفيحة الجامعة*. ومحمد العربي بن عبد الرحمان مفرج الشفشاوني(ت . بعد 1143 / 1730) صاحب *رسالة في العمل بآلة الاسطرلاب*. ومحمد بن علي الحميدي (تـ 1179 / 1765) صاحب *رسالة في آلة الرصد ذات الكرسي*. ومحمد بن الطيب سكيرج (ت ـ 1194 / 1780) مؤلف *معينة الطلاب على التوصل للأسطرلاب*.

وكان هذا الشيخ يولي اهتماما خاصاً لكتب ابن الصفار القرطبي وابن البنّا المراكشي في الأسطرلاب فألّف أحد تلاميذه (لم يذكر اسمه) *مفتاح غوامض الأسرار في تهذيب رسالة ابن الصفار*، أتمه عام 1189 / 1775، *والنجم الوهاج في حل عقدة المنهاج*، كما ألف معاصره أحمد بن علي البلغيتي الفاسي (ت . 1208 / 1794) *شرح منهاج الطالب في تعديل الكواكب*. وممّنْ برع في ميدان الأسطرلاب في القرن الثالث عشر/ 19 أحمد بن العربي عاشور الرشاي الرباطي (ت ـ 1250 / 1834) صاحب *الرسالة الكافية في كيفية العمل بالآلة الشكازية* وهي الزرقالية التي طورت العمل بالأسطرلاب وهذبته كما تقدم.

أما أشهر الفلكيين المتأخرين بمدينة فاس فياتي في طليعتهم عبد السلام بن إدريس الأوديِّي (ت ـ بعد 1288 / 1871) صاحب *الرسالة في عمل الاسطرلاب* المسماة *نزهة الزمن وهدية لمولانا الخليفة سيدي الحسن*. ومحمد بن علي الأغصاوي (ت ـ 1340 / 1922) صاحب *الدرة المختارة في تقويم الكواكب السيارة*. *والزيج المستوفي* وغيرهما من المؤلفات التعديلية، ومحمد بن محمد بن إبراهيم العلمي (ت ـ 1373 / 1954) صاحب كرسي التوقيت والتعديل بجامع القرويين وشيخ جماعة الفلكيين الذي ناهزت مؤلفاته الفلكية خمسة عشر كتاباً بين مطول ومختصر. منها : *منحة الوهاب في رسم الأسطرلاب*. وقد وضع شبه تاريخ للعلوم العقلية سماه *إنهاض الهمم العالية للاستطلاع علي بعض الكتب الرياضية، في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*، استعرض فيه مآت المؤلفات الفلكية وضمنها كتب الاسطرلاب مما وضعه علماء المغرب وغيرهم. وانتهى من تحريره عام 1354 / 1935.

هكذا يتجلى اهتمام الفلكيين المغاربة بالأسطرلاب عبر العصور وإسهامهم في تطويره والتأليف فيه واختراع آلات زمنية بواسطته. وهو اهتمام نال من عناية الدولة ودعمها منذ عهدالموحدين والمرينيين والسعديين كما رأينا. وتضاعف اهتمام الملوك العلويين بالالآت الفلكية المتطورة والمؤلفات الأوربية المستجدة كما يتجلى من عمل السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان (1276 ـ 1290 / 1859 ـ 1873) الذي أشرف على تعريب موسوعة فلكية فرنسية في ثلاثة أجزاء ضخام بعنوان : *الجامع المقرب النافع المعرب* ذكر مؤلفها أنها ثمرة عمل دام أربعين سنة، حاوية لما تحصل من علم الفلك منذ 2500 سنة . وكان الكتاب قد طبع بفرنسا سنة 1764 ثم 1771. وكتب السلطان نفسه مقدمة الترجمة مبيناً الداعي إلى نقل الكتاب إلى العربية وهو التطور الذي حصل في الرصد الفلكي بسبب تقدم العلوم في أوربا.

ونشير في الختام إلي أن الخزائن العلمية بالمغرب، سواء منها العامة والخاصة، مازالت تضم عدداً من آلات الأسطرلاب النحاسية والفضية من مختلف العصور لم يوفق بعدُ أحد من الباحثين إلى الكشف عنها وتصنيفها وتحديد تواريخها باستثناء محاولات محدودة لبعض الفرنسيين، مثل رينو H. P. J. Renaud الذي عرّف بأحد الأسطرلابات التي عثر عليها أيام الحماية في جامع الأندلس بفاس. وهو يحمل تاريخ 1789 وتوقيع لونوار Lenoir مهندس الملك لويس السادس عشر Louis XVI. وقد تبين للباحث من خلال المراسلات المتبادلة بين وزير البحرية الفرنسية وقنصل فرنسا بسلا والتاجر سيكار J. Sicard ممثل مصالح فرنسا بالصويرة أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله سلّم سنة 1200 / 1786 أسطرلابا إلى نائب القنصل مور H. N. Mure قبل سفره إلى فرنسا كنموذج ليُصنع أسطرلابان آخران على شكله، فأنجز العمل بإتقان في باريز وأعيدت الأسطرلابات الثلاثة إلى السلطان بعد ثلاث سنوات. ولاشك أن سيدي محمد بن عبد الله وزع هذه الآلات على المراكز التعليمية فكان من حظ جامع الأندلس هذا الأسطرلاب.

أ. العمري ، *الاستبصار*، مخطوط ؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ع. الجزناني، جني زهرة *الآس*، ط. الجزائر ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ م. العلمي ، *إنهاض الهمم العالية للاستطلاع على بعض الكتب الرياضية في التوقيت والتعديل والهيئة والجغرافية*. مخطوط ؛ كوركيس عواد، *الأسطرلاب وما ألف فيه من كتب ورسائل*، بغداد. 1955 ؛ علوش والرجراجي، *فهرس المخطوطات العربية بالرباط*، ج 2 ؛ م، المنوني، *العلوم والآداب والفنون* ؛ دليل *مخطوطات دار الكتب الناصرية بتمكروت* ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية للاعلام البشرية والحضارية*، 4 ؛ م. حجي ، *الحركة الفكرية* ؛ *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*، *صلة الخلف* للروداني ؛ ر.لوطورنو، *فاس قبل الحماية*، ج 1 ؛ م. العربي الخطابي ، *فهارس الخزانة الحسنية*، المجلد 3 ؛ ع. التازي ، *الساعات المائية بالمغرب*، *مذكرات من التراث المغربي*، ج. 3 ؛ ع. الحلو، *اقتراح مشروع لاستخدام الساعة المائية بالمدرسة البوعنانية بفاس*، مجلة الجواهر، ع 13، مارس ـ أبريل 1989، ص 24 ـ 26.

X. Hartner, *Asturlabe*, E. I[2] ; H. De Castries, *Les Sources inédites*, Angleterre, T. 2, pp. 159 - 168 ; H. P. J. Renaud, *Astronomie et astrologie marocaines*, Hesp. 1942, pp 41 - 63 ; *Le Mouvement Scientifique au Maroc*, in *Initiation au Maroc*, pp 185 - 188 ; H. P. J. Renaud, *Identification des astrolabes de la mosquée des Andalous*, Hesp. 1957, 1 - 2, pp 128.

محمد حجي

الأسطول المغربي، ظل أسطول بيزانس أول أسطول في البحر الأبيض المتوسط إلى أن ظهر الإسلام. وقد دشن العرب فتوحهم البحرية عام 21 / 641 باحتلال الإسكندرية، فانفتح بذلك عهد جديد في المتوسط حدا الفاتح العربي الكبير عمرو بن العاص إلى اعتبار هذه المنطقة الملاحية بمثابة حظيرة دفاعية زحزح عن مينائها الكبير (الإسكندرية) عملاق (الاستانة) البيزنطي بعد أربع سنوات من الزحف العربي. وفي عام 128 / 648 زحفت 1700 وحدة بحرية عربية فاحتلت قبرص وإفريقية، وما لبث الأمويون أن استولوا على مجموع الشمال الإفريقي في انتصار ساحق عام 76 / 695، وخاصة مدينة قرطاج، فكلف موسى بن نصير بإقامة قاعدة بحرية أو دار صناعة في

المكان الحالي لعاصمة تونس حيث زج في الورشة الجديدة بنحو مائة قطعة بحرية، فأمست هذه المنطقة الإفريقية الشمالية عام 85 / 704 ثالثة المناطق الأمامية في هذا البحر الدولي بعد منطقتي مصر والشام، مما فسح لابن نصير مجال اكتساح سردينية والبليار عام 90 / 708 حيث حاصر ثلثي الشواطئ.

كان الأسطول العربي آنذاك ثلاث مجموعات مستقلة بعضها عن بعض ضمن وحدة خاضعة للأسطول المصري في البحر الأحمر وتحت إمرة موحدة لأميرال الكنانة تكفل تنسيقا رائعا بين القوات العربية التي واصلت تصاعدها بقيام مملكة أموية بالأندلس عام 139 / 756، وانبثاق أخرى إدريسية بالمغرب سنة 172 / 788، ومملكة الأغالبة بإفريقية عام 184 / 800. وبعد نحو العشرين سنة استكمل الأسطول العربي احتلال صقلية عام 209 / 820 بقطع بلغت وحداتها المائة والسبعين بانضمام أسطول الأندلس. وفي هذا الخضم المتكامل فرض الشمال الإفريقي تفوقه الاقتصادي بظهور أول درهم كعملة مستقلة عام 185 / 801 هو الدرهم المغربي الذي سك بمدينة فاس ومازال نموذج منه مودعاً في متحف كاركوفKarkov بالاتحاد السوفياتي. وقد استطاع المغاربة وضع اليد بسهولة على جزيرة إقريطس منذ عام 224 / 838 فقضوا على الأسطول البيزنطي بعد سنتين، ورابطت قواتهم عام 257 / 870 في مالطة ثم إيطاليا الغربية عام 290 / 902 وأمسى أسطول الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث مالكا لزمام المنطقة بأكملها فاحتل عام 319 / 931 مجموع القواعد البحرية على طول سواحل فرنسا الجنوبية، وبذلك انهارت أعشاش القرصنة الأوروبية لا سيما بعد الهزيمة المنكرة التي مني بها أسطول روسي عارم ضم ألف قطعة انبرى لتحرير جزيرة اقريطس عام 338 / 949.

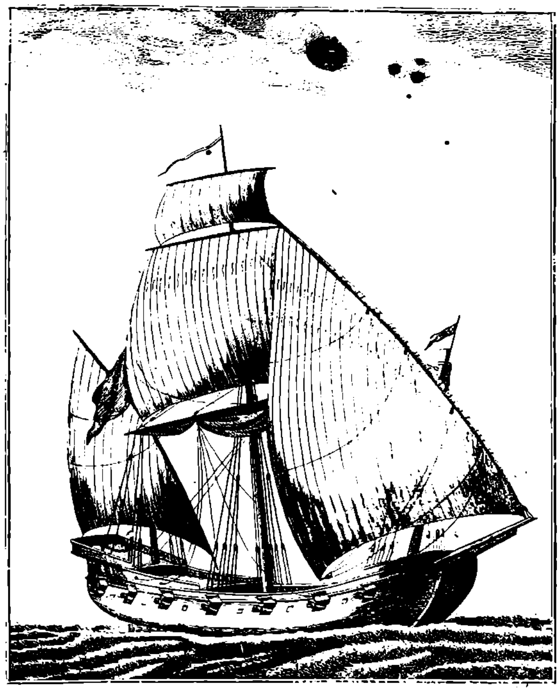

سفينة شراعية مغربية من القرن الثامن عشر (عن كتاب Hö st)

وقد استمر الأسطول الإسلامي في تصاعد طوال أزيد من مائة سنة فرض خلالها الغرب الإسلامي في البحر المتوسط سياسة اقتصادية جديدة بلورها (الدينار العربي) منذ عام 335 / 950. فكان هذا الجهاز الجديد رائداً لتطور اقتصادي متصاعد تكلل في العدوتين (الأندلس والمغرب) بظهور المرابطين وانتصارهم في الزلاقة ووصول أسطولهم إلى ساحل الشام خلال فترات من الحروب الصليبية. وسيطر الإسلام آنذاك بأسطول كان الأول في البحر المتوسط على شبكة التبادل بين شقي العروبة والإسلام (الشرق والغرب) حيث أمسى العيار النقدي هو الدينار العربي بقيمة تتراوح بين 4.25 و 4.79 غرامات للدينار، وقد ازدوج هذا المسار اقتصاديا وعسكريا رغم تهديدات النورمانديين لصقلية. وقد زجت إمارة مهدية عام 418 / 1027 بأربعمائة قطعة لإنقاذ الجزيرة التي تغلغلت في رحابها معالم الحضارة الإسلامية عزز إشعاعها أسطول أمير الأندلس مجاهد العامري المتوفى عام 436 / 1044، وتكتلت آنذاك قطع إغريقية مع حراقات جنوة وبيزة ومجموع الساحل الشمالي الغربي لإيطاليا، غير أن الأسطول الإسلامي ما لبث أن التحق في انهيارات متوالية بالأسطول البيزنطي المنهزم، فتساقطت عام 494 / 1100 جزر كرسيكة وسردينية وصقلية وسواحل إيطاليا وحتى الشام. وزاد هذه الهزيمة شناعة زحف أعراب بني هلال وبني سليم على المنطقة ناشرين الدمار الذي وصف بعض ويلاته ابن خلدون في *مقدمته*، فاضطرت إمارة مهدية بإفريقية إلى الاستسلام لملك صقلية روجر ROGER عام 468 / 1075.

وكان من عناية الله أن ظهر على مسرح المنطقة يوسف بن تاشفين للحد من هذا التدهور منذ عام 479 / 1086 تحت ضربات بيزة عام 480 / 1087 وملك قشتالة الذي احتل قرطبة عام 478 / 1085 وأخضع لسلطانه المعتمد بن عباد وتتابعت ثلاثة أرباع القرن مظلمة قاتمة استرجع الأسطول العجمي بعدها صقلية عام 483 / 1090 واستعرت أول حرب صليبية عام 490 / 1096.

وفي هذه الغضون السوداء برز يوسف بن تاشفين من الصحراء المغربية فأطلق العنان لأسطول فتي مخر عباب الشق الشرقي المتوسطي الذي احتله الصليبيون فكان لهذا الأسطول الصحراوي المغربي جولة وصولة حدثنا عن روائعها خصمه ألفونس السابع ملك قشتالة، واتحدت أقاليم المغرب الكبير منذ عام 479 / 1086 بانتصار ابن تاشفين في معركة الزلاقة على ألفونس السادس. وقد خلدت أغاني رولان Chansons de Roland ما حققه أسطول ابن تاشفين من أمجاد في البحر المتوسط بقيادة الأميرال عبد الله بن ميمون بن الأميرال على بن ميمون. وحدثنا ابن جبير في *رحلته* (ترجمتها، ص 66، طبعة عام 1949) عن الملاحم التي خاض غمارها البحارون المغاربة في بطولة نادرة ضمن أسطول صلاح الدين الأيوبي. وظل الأسطول المرابطي يصول ويجول إلى عام 537 / 1142 حيث انبرى عبد المومن بن علي

الموحدي فعزز هذا الأسطول بأربعمائة قطعة، رابطت مائة وعشرون منها في مرسى المعمورة (المهدية في مصب نهر سبو) ومائة في طنجة وسبتة وبادس وباقي الريف، ومائة في تونس ووهران، وثمانون في الأندلس (*القرطاس*، ص 28) وهكذا ظهر أسطول مغربي جديد ليواصل الكفاح تحت ظل الوحدة الإسلامية ماخراً عباب هذا البحر الدولي بين أقطار المغرب الثلاثة وجاعلا من جبل طارق في سنة الأخماس 555 هـ أول قاعدة استراتيجية متوسطة جهزها بأقوى عتاد دفاعي في ممر حيوي بين المتوسط والمحيط الأطلنطيكي.

ما لبث هذا الأسطول أن أمسى كما يقول المؤرخ أندري جوليان الأول في البحر المتوسط مما حدا الزعيم المسلم الأمير صلاح الدين الأيوبي إلى الاستنجاد به لإيقاف الزحف الصليبي على طريق الشام، وأصبح المغرب آنذاك بقوته وثروته وذيوع صيت جيشه وأسطوله رائداً اشرأب المسلمون في القاهرة والإسكندرية إلى الاحتماء به (حسب *رحلة ابن جبير*)، وأصبح لمراسي المغرب دور طلائعي في النشاط الاقتصادي الذي انطلقت روافده بين بيزة وجنوة والبندقية ومرسيلية، لأن الموحدين عرفوا - كما يقول أندري جوليان - كيف يتخذون المبادرة لخلق أشكال جديدة للشبكة التجارية طبقا لمقتضيات المبادلات الدولية مع تحديث أساليب استلهمت أوروبا الناشئة روائعها التي ازدوج بها التسامح والأمن وحسن التنسيق مع السهر على رعاية أقصى نقطة في الشواطئ العربية من البحر المتوسط ولهذا قفز عبد المومن بن علي مرة إلى شاطئ عاصمة تونس حيث كان الأميرال الموحدي ينتظره بسبعين سفينة حربية، وكانت مرسى سلا هي المركز العام لأسطول عبد المومن يعمل ورشها المبدع تحت حماية الحاجز الطبيعي Barre الذي أولاها الله إياه (*الموحدون*. ص 80 - ميليي Millet).

غير أن هذا الأسطول المغربي بدأ يفقد قواه تدريجيا بعد قيام بني مرين بالرغم من استمرار الإشعاع الفكري والحضاري في ربوع الشمال الإفريقي الذي ظل خاضعا لنفوذهم فترة تزامنت نهايتها مع بداية سقوط معاقل الفردوس المفقود.

وإزاء هذا الخطر الداهم اضطر المغرب إلى دعم قواه العسكرية براً وبحراً لإيقاف الزحف الإيبيري "Reconquista" خاصة في عهد أبي الحسن الذي بلغ ذروة القوة المرينية، فكان - كما يقول أندري جوليان - "أقوى ملك في القرن الرابع عشر" بلغت قطعه البحرية التي دافعت عن شواطئ تونس أزيد من خمسمائة وحدة، وامتدت معالم حصونه من أسفي إلى الجزائر العاصمة، توقد النار في أعلامها للإيذان خلال ليلة واحدة بالخطر في مراكز تقطعها القوافل في ظرف شهرين (*المسند لابن مرزوق*، هسبريس عام 1926).

غير أن الاقتصاد الإسلامي الذي ظل الأسطول المغربي يرعاه على طول سواحل المتوسط بدأ يذبل تحت ضربات المغير الذي احتل الموانئ الكبرى مثل أنفا وأصيلا ثم مليلية وحجرة بادس، لكن الشعب المغربي الذي لم يعرف خلال تاريخه الطويل أنه أقام على ضيم هبّ في طفرة عارمة من أقصى الجنوب لخلق مغرب جديد بزعامة السعديين الذين أوقفوا التيار البرتغالي في معركة وادي المخازن التي انهزم فيها أسطول رابطت ألفان من قطعه في ميناء العرائش، وبذلك انهزم أعظم أسطول أوروبي هو الأسطول البرتغالي الذي كانت قطعه تحتل آنذاك الخليج العربي. فحرر المغرب هذا الخليج بكيفية غير مباشرة عندما قضى على استقلال البرتغال التي اندمجت في المملكة الإسبانية طوال أزيد من ستين سنة، ودخل المغرب في زمرة الدول الكبرى التي بدأت أوروبا تخطب ودها. ومع ذلك فإن قوة المغرب البحرية تضاءلت بالرغم عن هذه الانتصارات التحريرية التي شملت أگادير وجنوب المغرب.

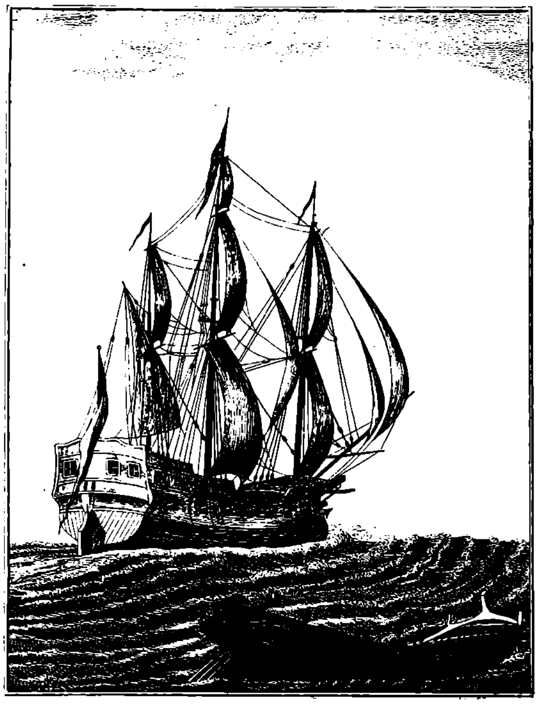

سفينة شراعية مغربية من القرن الثامن عشر (عن كتاب Hëst)

ولعل الاستراتيجية المغربية عرفت لمدينة سلا مناعتها فأقام السلطان السعدي مولاي عبد المالك دار صناعة في كل من سلا والعرائش، وأصبح مصب أبي رقراق منذ عام 1614 م الميناء الإسلامي الوحيد في المغرب الأطلنتيكي الأقرب إلى أوروبا (*تويريخ الرباط* - ص 92 - كايي Caillé)، وظل ميناء سلا طوال قرن كامل أنشط مركز بحري بعد أن تمتعت بالزعامة كقواعد ملاحية مراسي أسفي وأگادير وماسة.

وفي إطار هذا النشاط الدفاعي عن حوزة المغرب وفي بحبوحة الدسائس الأوروبية - التي تكتلت للتقليص من قوة المغرب البرية والبحرية - اضطلع المولى إسماعيل، وهو العاهل العلوي الفذ، بمهمة تحرير المراكز الملاحية التي

احتلها الخصم وتأطير حامياتها بأبطال عرفوا كيف يدافعون عن شواطئ المغرب كمجموعة وطنية متحمسة شكلت كتيبة مومنة حررت المعمورة عام 1681، وطنجة عام 1684، والعرائش عام 1689، وأصيلا عام 1691. ولم تمر بضع عقود من السنين حتى انبرى حفيده محمد الثالث وهو محمد بن عبد الله ليحرر الصويرة ويتخذ منها منطلقا لمسار اقتصادي جديد وتعزيز عسكري يشمل المحيط الأطلنطيكي قضاء على حركة التهريب الأوروبي على شواطئ بحر الظلمات. واتجه إلى الدول الأوروبية البروتستانية لمدافعة دسائس بعض أوروبا اللاتينية المستعمرة، فأقام ـ دعما لأسطوله وجيشه كعاملين جوهريين لحماية البلاد ـ علاقات مع انجلترا والسويد والدانمارك وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي عقد معها معاهدة تجارة وملاحة لخمسين سنة في يوليوز 1786 تجددت عام 1836. وقد وجه السلطان محمد بن عبد الله ثلّة من رعاياه الأوفياء إلى كل من انجلترا والسويد للتضلع في تقنيات صناعة السفن (*تويريخ الرباط*، 132 كايبي)، وكان المواطنون الذي اختارهم لهذا التأهيل من قلب الصحراء المغربية، من بينهم ستمائة شاب من أيت عطة وأربعمائة من عبيد تافيلالت الذي أرسلوا إلى طنجة للتدرب في أوراشها على المناورات البحرية (*المؤسسات*، ص85، سوردون ... *Institutions* - Surdon)، وفي نفس الفترة وردت على المغرب بعثة من الخبراء الأتراك لتكوين طائفة من الرماة المحنكين.

هذا العمل المتئد هو الذي ساعد المولى محمد بن عبد الله على تكوين أسطول بلغت وحداته الخمسين، منها ثلاثون حراقة فرگاطة جاعلا على رأسه ستين من كبار الضباط الرياس معززين بخمسة آلاف بحار وألفين من الرماة.

والواقع أن نجله المولى سليمان استطاع أن يحتفظ بقوة هذا الأسطول رغم الدسائس، فكان له عشر حراقات وخمس وثلاثون سفينة وزورقا حربيا مدعومة بستة آلاف بحار مختص (*تاريخ ووصف المغرب*، ص 156 ـ گودار Godard).

وازداد الأسطول المغربي تضاؤلا تحت ضربات الحلف المقدس الأوروبي لانكباب المولى الحسن الأول على دعم الوحدة الداخلية وتجديد الجهاز العسكري، فوجه طلبة لدراسة الهندسة العسكرية في مونبليي (Montpellier) وحواضر أوروبية أخرى، بل أنشأ سكرتارية للأشغال العمومية وما يشبهها من أجهزة. لذلك تزايد تقليص قطع الأسطول حتى أصبح عددها لا يتجاوز عام 1902 وحدات محدودة حملت أسماء عربية هي "الحسنى" و "سيدي التركي" و "التريكي" و "البشير".

وبينما كان الأسطول المغربي يتولى ضمان سيرورة المبادلات مع أوروبا أصبحت الأساطيل الأوروبية هي التي تضطلع بهذه المهمة حيث وصل عام 1911 (أي سنة قبل الحماية الفرنسية) إلى ميناء الصويرة وحدها لنقل الصادرات المغربية إلى الخارج 463 سفينة كانت صادراتها إلى الخارج عن طريقها تشكل ثلاثة أضعاف الواردات.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن جبير، *الرحلة* (الترجمة)، طبع 1949 ؛ م. ابن مرزوق، *المسند* ؛ ابن خلدون، *المقدمة* ؛ هسبريس 1926، ص 61 .

Godard, *Histoire et description du Maroc* ; Caillé, *La Petite Histoire de Rabat* ; Surdon, *Institutions* ; Millet, *Les Almohades*: André Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*.

عبد العزيز بنعبد الله

أسْغَرْكِيسْ (مدرسة) تقع هذه المدرسة في قرية أَسْغَرْكِيسْ في منطقة شتوكة الجبل بالأطلس الصغير، كما أن هناك مكانا بهذا الاسم في قبيلة أيت صواب. وقد أسست بهذه القرية مدرسة علم وإرشاد منذ أواخر القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي (*سوس*، 163 ـ 173) كما اشتهرت بخزانتها العلمية.

الأسغركيسي، إبورك بن حسين مؤسس هذه المدرسة وخزانتها (ت. 953 / 1575) اشتهر بالإرشاد والتدريس والرحلة في طلب العلم ؛ وهو من أصحاب الولي الصالح أحمد بن موسى الجزولي (ت. 983 / 1575) دفين تازروالت. فبعد أن أتقن القرآن ببلدته بالروايات المتداولة أخذ عن القطب أحمد بن موسى المذكور وعن الصوفي أحمد السائح وعن ابن عبد الواحد المسگرادي، وتصدر للتدريس والإرشاد فأخذ عنه ولده وخلائق لم تذكر أسماؤهم، مع شهرته بالكرامة حتى تبرك الناس به في حياته وبعد موته (*المعسول* : 278) ويذكر من أحفاده الذين درسوا في مدرسة أسغركيس :

الأسغركيسي، أحمد بن إبراهيم بن إبُورك (ت. 1073 / 1662) الذي عرف بالمشيخة والإفتاء والتدريس بمدرسة جده آنف الذكر (*المعسول* 14 : 279) ومن علماء هذه الأسرة : محمد بن الطيفور (ت. 1267 / 1850) ويظهر أنه انتقل بخزانتهم إلى مدينة تزنيت، حيث بقي بها إلى وفاته تاركا خزانته لولده الآتي الذكر وهو : محمد بن محمد بن الطيفور (ت. 1297 / 1879) الذي ترك له والده هناك بتزنيت بعد انتقاله إليها خزانة عامرة مشهورة، ولحسن الحظ فقد حبّس ووقف وتصدق بطرف منها على جامع تزنيت، وكان والده محمد بن الطيفور قد نقل كثيرا من هذه الكتب ونسخها بخطه. وقد أشاد بذكرها أحد علماء سوس معتبرا إياها من بين الخزانات الشهيرة بسوس حيث جمعها علماؤهم الأولون حتى بلغت في القرن الحادي عشر / السابع عشر مالم تبلغه إلا القلائل من إخواتها بسوس (*المعسول* 3 / 322) كما أشاد بها المختار السوسي نفسه في محل آخر مشيرا إلى ما نالها بعد ذلك من ضياع غير أن في خزانته سجلاً مبتور الأول يشتمل على جملة مما كان فيها في عهد صاحب هذه الترجمة سنة 1266 (*خلال جزولة* 4 : 196) كما سرد قائمة أخرى بمحتويات خزانة جامع تزنيت مما يعتبر نموذجا من بقية ما حبسه المذكور (*خلال جزولة* 4 : 195 ـ 196) وقد ذكر المانوزي محمد بن أحمد (1336 / 1945)

في *رحلته* بسوس وسيرته الذاتية أنه لفت نظره عند زيارته للخزانة الأسغركيسية بتزنيت سنة 1345 / 1926 ماتشتمل عليه من كتب عتيقة وخطوط شرقية قديمة من بينها خط الإمام علي وان استبعد ذلك بعد مقارنة الخط المزعوم بغيره (*المعسول* 3 : 322).

ويذكر أن الشيخ أحمد الصوابي كان يأتي إلى المدرسة الأسغركيسية لتدريس *صحيح البخاري* بها (*سوس*، 163).

كما يذكر أن من الذين غادروا هذه الزاوية - المدرسة - فرع الوالياضيين الذين ينتمي إليهم العلامة المشهور عبد الله بن إبراهيم اليوفتارگائي (ت.1314 / 1896) شيخ الجماعة في عصره (*المعسول* 14 : 310) وهو الذي أخذ عنه جملة وافرة من علماء سوس ذكر منهم صاحب *المعسول* قائمة تحتوي على نحو الأربعين (14 : 310 - 32). ومن الذين أخذوا عن اليوفتارگائي هذا أحد علماء الأسرة الأسغركيسية واسمه عبد الرحمن بن عمر، توفي بعد عام 1345 / 1926، وقد عرف عنه العبادة والصلاح ومعاناة التعليم والمشارطة في بعض مدارس سوس (*المعسول*، 14 / 287).

كما أن من بين من ذكروا أنهم علّموا بمدرسة أسغركيس المسمى أحمد بن محمد من بني الطالب الإسگيني التملي الفقيه النوازلي ؛ وقد أخذ عن العلامة الإيديكلي التملي وعن عبد الله بن عبد الرحمن الجشتمي (*المعسول* 17 : 21) وتوفي سنة 1335 / 1916.

م . المختار السوس ، *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة*، 4 ؛ *المعسول*،14 و 17.

محمد البايك

الأسْغركيسِي، الحسين بن محمد، فقيه أخذ عن والده ثم عن أخَيه محمد ثم عن الشيخ العربي الأدوزي، ديدنه التدريس ومزاولة الإفتاء. له مشاركة في العلوم الشرعية واللغوية خاصة الأدب والعربية، درس في مدرسة إرْسْ نْكَارْفْ وفي مدرسة تيزي ن الأولياء وفي مدرسة أُخْريب. مذكور بين المؤلفين السوسيين بشرحه *للقصيدة الدريدية والوتريات البغدادية*، وله إجازة ذكر فيها أشياخه. توفي عام 1321 / 1903.

الأسْغَركيسي، محمد بن الطيفور، من الفقهاء السوسيين المرموقين بعد الصدر الأول من القرن الثالث عشر إلى مبدأ الربع الأخير منه. من مشايخه محمد بن عبد السلام الناصري وعبد الله الطاطائي البرحيلي. مذكور بين المؤلفين السوسيين بفهرس إجازات أشياخه *وبشرح للأجرومية*.

توفي تقديراً قبل عام 1267 / 1800.

الأسْغركيسِي، محمد بن عمر، فقيه أديب منكب على التعليم، مشهور بالصلاح، من مشايخه الكبار الإمام الحضيكي والشيخ محمد بن الحسين الأسْغركيسي، مذكور بين المؤلفين السوسيين *بفهرس* حسن بيّن فيه حياته و *إجازات أشياخه وديوان شعر*.

أ.الجشتيمي، *الحضيكيون*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 198 ؛ *المعسول*، 14 : 283، *رجالات العالم العربي بسوس*.

عبد الله درقاوي

إسفنجيات، قد يجهل الإنسان أن الإسفنجيات الطبيعية التي يستعملها من أجل نظافته ماهي إلا هياكل حيوانات بحرية ظلت ولمدة طويلة تعتبر كأنها نباتات، إلا أن الدراسات العلمية، أثبتت أن خصائص الإسفنجيات هي خصائص حيوان نمط رغم أنها الأقل تطورا من كل متعددات الخلايا، وبالفعل توجد الإسفنجيات في قاعدة سلم التطور مباشرة بعد أُحاديات الخلية.

ظهرت الإسفنجيات قبل الزمن الأول، ويبلغ حجمها ما بين بضعة ملمترات وأكثر من متر تقريبا، كما يبلغ وزن بعضها أكثر من خمسين كيلو غراما.

الشكل الخارجي : تتخذ الإسفنجيات لنفسها أشكالا عديدة وذلك حسب الأنواع حيث إن هناك أشكالا قصبية، كروية، كيسية، قشرية أو على شكل شجيرات، إلا أن الإسفنجيات بالمقارنة مع متعددات الخلايا الأخرى، فقدت كل فرديتها أو "شخصيتها" وبعبارة أخرى، إنه إذا أخذنا فردين اثنين من نوع واحد في طور النمو ووضعناهما جنبا إلى جنب، قد يمكنهما التلاحم الكلي دون أن نعرف فيما بعد حدود أولهما من الآخر.

للتعريف بهاته الفصيلة من الحيوانات نتخذ كشكل نمط الشكل الكيسي وهو الأكثر تبسيطا : يتوفر الإسفنج على طرفين، طرف قاعدي من حيث يثبت على الدعامة وطرف ثان بعيد يحمل ثقبا مركزيا يصل جوف الحيوان (وهو ما يسمى بالجوف المعدى) بالعالم الخارجي ، يلعب هذا الثقب عند الإسفنجيات دور الشرج لادور الفم. أما دور الفم فتلعبه تلك الأعداد الكبيرة من الفتيحات التي تُرى على الجدار الخارجي للكيس من حيث يُمْتَصُّ الماء فيدخل إلى الجوف المعدي ليخرج فيما بعد من الثقب المركزي.

البنية الداخلية : يتكون الجسم عند الإسفنجيات من ثلاث طبقات : أدمة داخلية، أدمة خارجية، ونسيج حشوي .تتكون الأدمة الداخلية من طبقة واحدة من الخلايا تغطي من الداخل الجوف المعدي وتحمل كل خلية بضعة سياط لها دور في إنشاء تيار مائي داخل الجوف المعدي. أما الأدمة الخارجية فهي كذلك عبارة عن طبقة واحدة من الخلايا الفطساء تغطي الإسفنج من الخارج. أما في ما يخص النسيج الحشوي فهو عبارة عن سائل يحمل عدة أنواع من الخلايا تختص كل واحدة منها بمهمة داخل الجسم كالخلايا المفرزة للأشواك، والخلايا الصانعة للفتيحات، والخلايا المَنسية، والخلايا العضلية، والخلايا العصبية.

ومن خلال هذا الوصف يتضح أن الإسفنجيات لا تتوفر على أجهزة منفردة فليس للإسفنج جهاز هضمي ولاجهاز

تنفسي ولاجهاز دموي ولاجهاز عصبي ولاجهاز تناسلي حيث تتم كل الوظائف بطريقة بدائية.

يتم الهضم عند الإسفنجيات مباشرة عن طريق خلايا الأدمة الداخلية ذات القدرة البلعمية العالية يساعدها في جلب المياه والتقاط مواد التغذية منها، حركات السياط والتي كما ذكرنا، تخلق داخل الجوف المعدي تيارا مائيا . أما عن الوظيفة التنفسية، يتم امتصاص الأكسجين مباشرة عن طريق خلايا الجسم كله. يتخلص الجهاز العصبي في عدة خلايا متفرقة داخل النسيج الحشوي. أما فيما يخص الوظيفة التناسلية فالإسفنجيات إما أن تكون أحاديات الجنس أو تكون خناثا. يتم التلقيح داخل الطبقة الوسطى لجسم الأنثى حيث توجد البويضات وذلك عن طريق إحدى خلايا الأدمة الداخلية التي يتحول شكلها فتفقد سياطها وتحمل بعد ذلك حيوانا منويا واحدا من الخارج أي من الجوف المعدي حتى مُلامسة البويضة، يجب التذكير فقط بأن هناك طرقاً نسلية أخرى كالتعضية والتبرعم.

التصنيف : فيما يخص الإسفنجيات البحرية يقدر عدد الأنواع المكتسبة حتى الآن بحوالي أربعة آلاف نوع، اكتشفت على شواطئ المغرب حتى الآن حوالي مائة وأربعين نوعا منها. أما أكثر الأنواع انتشارا في المغرب فيمكن أن نذكر على سبيل المثال Crambe crambe من الإسفنجات الصوئية و Cycon Ciliatum من الاسفنجلت الكلسية التي يمكن العثور عليها على طول الشواطئ المغربية.

يعتمد هذا التصنيف أساسا على البنية الداخلية وخاصة على طبيعة ونوعية وشكل الأشواك، هكذا تنقسم الإسفنجيات إلى ثلاث مجموعات : 1 ـ الإسفنجيات الكلسية تتميز بأشواك ثلاثية الشكل عموما ذات طبيعة كلسية. 2 ـ الإسفنجيات الصونية ذات أشواك في أغلب الأحيان ثلاثية الشكل إلا أنها صونية الطبيعة . 3 ـ الإسفنجيات سداسيات الأشواك ذات أشواك صونية إلاّ أن كل شوكة تحمل ستة رؤوس.

تنتمي أغلب أنواع الإسفنجيات المكتشفة حتى الآن على الشواطئ المغربية إلى المجموعتين الأوليين أي الكلسية والصونية بخلاف المجموعة الثالثة التي تعيش في أعماق كبيرة يصعب الوصول إليهاوالحصول على عينات منها.

البيئة : حيوانات بحرية بالأساس إلا أن القليل منها يعيش في المياه القارية. في البحر تتغذى الإسفنجيات ببعض الحيوانات الصغيرة وتعيش على أعماق تمتد من منطقة المد والجزر الى عمق 8600 متر تقريبا.

الاستعمالات : بالإضافة إلى استعمالاتها في النظافة المنزلية والتي بدأت تتعرض إلى منافسة حادة من طرف الإسفنجيات الاصطناعية ، تعتبر الإسفنجيات ذات أهمية كبيرة في الميدان الطبي وذلك اعتمادا على قدرة هيكلها الهائلة على تجميع وحبس الماء. فهي تستعمل في ميدان الجراحة الطبية كما تستعمل للتداوي في حالة الإصابة بحرق جلدي. أما عن أماكن استخراجها فهي تكثر وتستغل بكثرة في البحر المتوسط (تونس) وفي البحر الكرايبب.

R. Bitar (1987) *Etude de peuplements benthiques littoraux des côtes atlantiques et méditerraneennes du Maroc ; Impact de la pollution - comparaisons biogéographiques*. Thèse d'Etat Univ. Marseille II. 286 p ; H. Boue, R. Chanton (1962) *Biologie animale, zoologie, I, invertébrés Tome I. Doin et Cie edit ; Brien P. Tuze: O. Sara M. Vacelet J et Livi Cie (1974) Spongiaires in Grasse P.P. Traité de zoologie* ,tome III, Masson.

محمد منيوي

أيت **إسْفُولْ**، أو أيت **سْفُولْ** تكوّن من مجموعة من القبائل الصحراوية بالموطن والمحتد، إذ لا يعرف لهذه القبائل أي تجمع فرعي بمناطق الأطلس المتوسط أو الأطلس الكبير الشرقي، كما هو الحال بالنسبة لبعض قبائل أُيت عطا. وتجتمع قبائل أيت إسفُولْ في خمس واحد مع قبائل أَيْتْ عَلْوَانْ ضمن الإطار التنظيمي لاتحادية أيت عطا، كما تجمعها بقبائل أيت أونيرْ اتفاقية تَفَرْگانْتْ الأمر الذي كان يسمح لهذه القبائل بمؤازرة بعضها البعض إبان الأزمات الاجتماعية بمناطق وادي درعة وتازرين وصاغرو.

بالرغم من أن صنهاجيــة قبائــل أيـت إسْفُول واضحة لا غبار عليها، كما تدل عـلى ذلـك عاداتـهـا وتقـاليدها وطبيعة حياتها، فإن الأصـول التـاريخيـة لهـذه القبائل غامضة ومبهمــة، وهنــاك مـن يعتقــد أنهـا تنسـب إلى جـد علـواني تـرعرع وتربَّى في خيام قبائل أَيْتْ عَلْوَانْ (*Les Ait Atta du Sahara* : 85)، ورغم أننا لا نتوفر على من يسمح لنا بتأكيد هذا الزعم أو نفيه، فليس من المستبعد أن يكون التشكيل الأول لقبائل أَيْتْ إسْفُولْ، المتكونة أساسا من قبائل مترحلة، كما يوحي بذلك اسمها (أَيْتْ سْفُولْ = أَيْتْ الرحيل)، قد تم بمباركة أحد الأشراف.

كانت قبائل أَيْتْ إسْفُولْ من بين أوائل القبائل التي ساهمت في وضع الأسس الأولى لتشكيل إتحادية أَيْتْ عَطّا، وذلك بمشاركتها إلى جانب قبائل خمس أَيْتْ وَاحْلِيمْ في بناء حصن إغْرَمْ أَمَزْدَارْ لتخزين الأقوات بجبل صاغرو (*Le TAFILALT* : 276). وفي أواخر القرن 17 م، شرعت قبائل أَيْتْ عَطّا في الانطلاق من المواطن الأولى لتشكيل الاتحادية، فاندفعت في عمليات غزو وانتشار بالمناطق المجاورة بجبل صاغرو، خاصة مناطق الواحات الخصبة بأودية تودغة، وتافيلالت، ودرعة، وتازرين وغيرها. ولا مشاحة إذا قلنا أن قبائل أيت إسفول، التي كان مركز ثقلها بالسفوح الجنوبية لكتلة وگنات (منطقة أم سيسي)، كانت من القبائل الأولى من أيت عطا التي اندلقت كالسيل الجارف في اتجاه الواحات بالأودية الخصبة، وقد تمت عمليات الانتشار هذه، التي عرفت أوجها خلال القرنين 18 و 19 م، عبر محورين أساسين :

1 ـ المحور الأول : تمت عمليات انتشار قبائل أيت إسفول عبر هذا المحور في اتجاه أفقي من جبل بغداد في السفوح الجنوبية لكتلة جبل صاغرو نحو بلاد تافيلالت عبر منطقة ألنِّفْ، ليغطي واد أم سيسي حتى معمر أيت خبش ومن هناك إلى المناطق الجنوبية لواحات تافيلالت [illegible]

ذراعي واد غريس ونهر زيز. وقد وصلت قبائل أيت إسفول في أقصى انتشار لها عبر هذا المحور إلى ما وراء الضفة الشرقية لنهر زيز في الأراضي الممتدة بين مركز الراشدية شمالا والتخوم الصحراوية جنوب بلاد تافيلالت.

انطلق المحور الثاني من السفوح لكتلة وكّنات في اتجاه واحات درعة عبر واد الرگ، وواد حْصيَّة، فبلاد تازرين وتاغبالت ليأخذ نهايته بالواحات الجنوبيةَ من درعة وخاصة واحتي فزواطة ولكتاوة. أما فيما يتعلق بالظروف التي كانت وراء وصول قبائل أيت إسْفُولْ إلى وادي درعة، فلا تزال الرواية الشفوية تحتفظ ببعضها أخبار هذه القبائل، فقد كانت الواحات الجنوبية من درعة تتعرض باستمرار لهجومات القبائل الصحراوية من بقايا بني معقل مثل الغنَانْمَة وبني مَحمد، وكانت هذه القبائل تلحق أضرارا كبيرة بالمنتجات الزراعية بواحتي محاميد الغزلان واكتاوة، فسافر الشيخ عْمَامُو، من شيوخ اكتاوة إلى جبل صاغرو، وتعاقد مع قبائل أيْتْ عَطًّا على حماية المدخل الشمالي لواحة اكتاوة ورد هجومات قبائل الغنائمة وبني مَحمد، وبعد القرعة أرسلت قبائل أيت عيسى وأبراهيم من خمس أيت واصْلِيمْ إلى درعة، ولما عجزت قبائل أيت عيسى وأَبراهيم عن توفير ظروف الحماية لواحة اكتاوة، وقعت القرعة على قبائل أيت إسفول (*Les cités rurales du ktawa* : 8). كان نزول أيت إسْفُولْ بعد وصولهم إلى درعة بقصر أولاد إبراهيم بالمدخل الجنوبي من واحة فزواطة، ونستشف من بعض الإشارات أن وصول هذه القبائل إلى فزواطة كان في بداية القرن 18 م.

وتدل كل القرائن على أن قبائل أيت إسْفُولْ، قد نجحت في التصدي لهجومات القبائل الصحراوية، خاصة أن قبائل أيت علوان قد هبت لمناصرة أيت إسفول التي يجمعها وإياها خمس واحد كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وبعد هذا النجاح الذي حققته قبائل أيت إسفول على الأرض، تحولت بعض عناصرها إلى الاستقرار والارتباط بالأرض، فظهرت لها قصبات خاصة بالمدخل الجنوبي لفزواطة وشمال واحة اكتاوة.

ومن أهم قصور قبائل أيت إسفول بدرعة قصرا أولاد إبراهيم ولَمْكَاربَة بفزواطة، وقصبة أيت إسْفُولْ وقصبة عمامو وقصور البْليدَة وأولاد عمر وأولاد يوسف، إضافة إلى مجموعة من القَصور المحسوبة على أيت إسفول بواحة اكتاوة.

وبالرغم من تحول بعض عناصر أيت إسْفُولْ إلى الاستقرار والارتباط بالأرض بمجالات انتشارها، بتُدغة وتازرين وأم سيسي ووادي درعة، فإن جل هذه القبائل ظلت تمارس الرعي في مجال يمتد من وادي درعة غربا إلى واد الداورة شرقا، ومن السفوح الجنوبية لجبل صاغرو إلى التخوم الصحراوية، ولا تزال أقلية منها على طبيعتها الرعوية إلى اليوم.

وتتداخل مواطن قبائل آيت إسْفُولْ بوادي درعة وتازرين وأم سيسي، مع مواطن قبائل أيت علوان، وأيت أُونير، وأيت واحْليمْ وأيت يُعَزى ثم أيت خباش.

وتنقسم قبائلَ أيت إسْفُولْ إلى أربع فرق كبرى وهي : أيْتْ حَمِّي وأيت بابا غيفْ وأيت يَشو ثم أيت إبراهيم أُحمي. وكل فرقة من هذه الفرق تنقسم بدورها إلى مجموعة من الفروع. وكعادة قبائل أيت عطا بالجنوب المغربي، فإن كل فرقة من هذه الفرق موزعة على مختلف مواطن انتشار قبائل أيت إسْفُولْ في المجالات التي حددناها، وعندما تتكاثر عناصر فرقة من هذه الفرق فإنها قد ترقى إلى مستوى القبيلة، خاصة عندما يتعلق الأمر بعقد اتفاقية بين إحدى هذه الفرق وإحدى قبائل القصور بدرعة أو تازرين.

BIBLIOTHEQUE

الناصري، *نعت الغطريس*، مخطوط ؛ التقي العلوي، دور *الاتحاديات الأطلسية*، البحث العلمي، عدد 23، 1974.

G. Spillmann, *Districts et tribus de la haute vallée du Draa*, A. M., Volume 9, Tome II, Paris, 1931 ; G. Spillmann, *Les Ait Atta du Sahara et la pacification du haute Draa*, Rabat, 1936 ; *Repertoire Alphabetique des confédérations des tribus* ; Pierre Azam, *Les cités rurales du Ktawa*, C. H. E. A. M., Paris, 1964 ; Pierre Azam, *La Structure Politique et Sociale de l'Oued Draa*, C. H. E. A. M., Paris, 1947 ; D. J. Meunié, *Les Oasis des Lektawa et des Mehamid*, Hesp. nº 27, 1947 ; L. Mezzine, *Le Tafilalt*, Casablanca, 1987.

أحمد البوزيدي

أسْفِي، ـ جغرافيا ـ يعتقد أن كلمة أسفي من الكلمة البربرية أَسِيفْ التي تعني "الوادي" أو "النهر" وقد يكون هو ذلك المَجرى المائي الذي يعبر المدينة من الشرق نحو الغرب والذي يدعى حاليا "واد شعبة" .

إن انفتاح أسفي على البحر جعلها تتأثر بشكل عميق اقتصاديا ومجاليا بموقعها عبر كل مراحل تطورها، ولازالت هويتها البحرية تسيطر على أنشطتها وتوجه نموها. ومما ساعد على إبراز هذه الهوية فقر أريافها وضعف وقعها الاقتصادي على المدينة، إذ تتميز أرياف أسْفي بضعف ملاءمتها الفلاحية. ويرجع السبب في ذلك إلى تفاعل عدة عوامل طبيعية وبشرية. فالتربة هزيلة والموارد المائية نادرة حيث التساقطات طبيعية ولاتصل إلى 100 مم إلا على مستوى الشريط الساحلي، أما في الداخل فهي تقل عن 300 مم، كما أن ملكية الأرض تتميز بتفاوتات كبيرة وأساليب إنتاج عتيقة، ومن المعلوم أن الأنشطة الفلاحية بقيت إثر ذلك تعتمد أساسا على زراعة الحبوب (الشعير) وعلى تربية الماشية بصفة ثانوية. وتتأثر هذه الأنشطة بتقلبات الأمطار وبعدم انتظامها، ويعتبر متوسط الإنتاج بها من أضعف المعدلات الوطنية مما يصنف المنطقة ضمن المناطق الفقيرة بالمغرب، هذا في الوقت الذي تعرف فيه ضغطا بشريا هائلا يتمثل في كثافة سكانية : بين 20 و 40 ن / كلم 2، وقد تصل إلى 100 ن / كلم.

لقد بقيت أرياف أسفي في معزل عن أهم المنجزات التنموية الفلاحية التي عرفتها البلاد منذ بداية القرن

وخاصة في عهد الاستقلال. (نذكر على سبيل المثال الإنجازات السنوية الكبرى التي استفادت منها السهول المغربية . دكالة والحوز والسراغنة وتادلا وسوس والغرب وملوية السفلى والتي أدت إلى خلق أقطاب فلاحية دينامية ذات إنتاجية عالية). إلا أن تقهقر الأوضاع ووطأة الجفاف الذي عانت منه في بداية الثمانينات مجموع الأقاليم الفلاحية البورية وعلى وجه الخصوص إقليم أسفي دفع بالمصالح المختصة إلى القيام ب"مشروع تنمية سهول عبدة" (1987)، يهدف إلى تنشيط المنطقة وإخراجها من عزلتها الاقتصادية عن طريق تطوير الأساليب التقنية الفلاحية وتنويع الإنتاج وإدخال بعض التجهيزات الاجتماعية من طرق وصحة وتعليم (لا يتدخل المشروع في مسألة البنيات العقارية التي تطرح مشكل الملاكين الصغار الذين يشكون أغلبية المنتخبين والذين لا يتوفرون على المساحة الأدنى التي تمكن من رفع الإنتاجية (78 ٪ من الفلاحين يملكون 40 ٪ من الأراضي) وبرفع مستوى الإنتاج الفلاحي يرمي المشروع إلى تعزيز وتكثيف علاقة التبادل بين المدينة وأريافها والتخفيف من تبعية أسفي لمناطق فلاحية أخرى فيما يخص تزويدها.

صورة جوية لمدينة أسفي

إن ما يميز أسفي هو كونها تتسم بطابع يطغى على مشاهدها ويخص أغلبية الشغيلة بها، (أزيد من 45 ٪ من اليد العاملة النشيطة تشتغل بالصناعة في الوقت الذي لايتعدى فيه المعدل العصري للمغرب 28 ٪. ويركز هذا النشاط على قطاعين أساسيين.

- صناعة تصبير السمك .

تأسست الصناعة التصبيرية في عهد الحماية إبان الثلاثينات وعرفت ازدهارا مدهشا لما وفرته لها المدينة من ظروف ملائمة تمكن في غزارة الثروة السمكية التي تزخر بها سواحلها وفي وفرة يد عاملة بأجور بخسة ، بالإضافة إلى عامل الإعفاء من الضرائب الجمركية الخاصة بالتصدير (تتميز سواحل أسفي بالخصوص بوفرة السردين الذي جعل من المغرب أول منتج لهذا النوع من السمك). فاهتم العديد من الرأسماليين الأجانب بالاستثمار في صناعة الصيد البحري وصناعة تصبير السمك. وتعددت المصانع إلى أن وصلت أزيد من ثمانين مؤسسة في بداية الخمسينات تزود منتوجاتها جزءا مهما من صادرات المغرب الموجهة نحو السوق العالمية وخاصة الأروبية بالإضافة إلى مايوزع على السوق الداخلية ، إلا انه سرعان مابدأت تلوح بوادر أزمة تهدد مصير الصناعة السمكية بأسفي وترجع أسبابها إلى الانخفاض المستمرللإنتاج السمكي الناتج عن هجرة السمك نحو السواحل الجنوبية الغربية (الصويرة وأگادير).

فبعد ما كان ميناء أسفي يمثل أول ميناء مصدر للسردين في العالم، وأول ميناء للصيد البحري بالمغرب أصبح حاليا يشغل المكانة الثالثة بعد ميناء أگادير (147095 طن في السنة والصويرة 43315 طن في السنة) ويصل حجم إنتاجه إلى 29378 طنا. ويرتقب أن ينزل هذا الرقم إلى أقل من ذلك باعتبار التحولات التيارية التي يعرفها الساحل المغربي ، كما أن تقلبات السوق العالمية وظروف الصيد غير المتطورة (ضعف التجهيز والتأطير) تعتبر من العوامل التي ساهمت في خلق هذه الأزمة التي أدت الى إفلاس أزيد من 50 مؤسسة (حسب تصريحات بعض المسؤولين انخفض عدد المعامل إلى حوالي 20 سنة 1986).

بالرغم من الصعوبات التي يعيشها هذا القطاع فإنه لازال يعتبر المشغِّل الأول بالمدينة حيث يشغل ما يقرب من 10000 شخص يعلمون في أنشطة مرتبطة بالصيد وصناعة السمك. إلا أن ما يقرب من 90 ٪ من اليد العاملة تشتغل بصفة موسمية ومتقطعة بالصناعة بارتباط مع تقلبات الإنتاج السمكي الذي يعرف مرحلة انتاج عال من ماي إلى اكتوبر، ومرحلة إنتاج منخفض من نونبر إلى ابريل، وأغلبية الشغيلة مكونة من النساء. كما أن البحارة يعانون من نفس المشكل بنسبة تعادل 40 ٪.

بقي معدن الفوسفاط إلى نهاية عهد الحماية موجها إلى السوق الخارجية حيث يصدر كله كمادة خام، وبعد الحصول على الاستقلال جاء أول تصميم خماسي 1961 / 1964 عرفه المغرب بتوجيهات اقتصادية تهدف إلى بناء صناعة وطنية تعتمد على تقويم وتحويل الموارد المعدنية الطبيعية التي تزخر بها البلاد من بينها الفسفاط ومعلوم أن أهم المدخرات العالمية للفوسفاط توجد بالمغرب وتقدر ب 24 مليار م 3).

ففي هذا الإطار أُنشئ المركب الصناعي لتحويل الفوسفاط وهوأضخم مشروع صناعي عرفه المغرب الجديد. وكان لمدينة أسفي الحظ في احتضان هذا المركب الكيماوي الهام نظرا لما لها من إمكانات لاستقبال المشروع ومنها:

- وفرة الفوسفاط والبيريت (le pyrite) على مقربة من المدينة، الأول باليوسفية، والثاني بقطارة .

- وفرة الغاز بإقليم الصويرة .

- إمكانية استعمال مياه البحر للتبريد ووفرة الماء الشروب عن طريق سد إمفوت، كل هذه العوامل ساهمت

في إقامة الصناعة الكيماوية بهذه المدينة وتأسست الوحدات الأربع، مغرب كيمياء I ومغرب كيمياء II ومغرب فوسفور I ومغرب فوسفور II، ولو تم إنجاز المشروع الأول للمركب لكان المغرب أول منتج للأسمدة على الصعيد العالمي .) لقد شرع منذ 1965 في إنتاج الحامض السولفوري (acide sulfurique) والحامض الفوسفوري (Acide phos-phorique) قصد تصدير الجزء الأوفر. يهدف الإنتاج إلى تحويل ما يقرب من 6،5 مليون طن من الفوسفاط عند استغلال الطاقة التقنية الكاملة للمركب.

تشغل هذه الصناعة ما يزيد عن 400 شخص وبذلك تحتل المرتبة الثانية من حيث توفير فرص الشغل (إلا أن هذا العدد يظل متواضعا باعتبار ضخامة المركب وارتفاع قدر الاستثمارات التي تطلبها، غير أن مثل هذه الصناعات تعتمد على أساليب تكنولوجية جد متطورة ولا تحتاج إلى يد عاملة وافرة. وتجدر الإشارة إلى كون آفاق توسعها بمدينة أسفي غير مضمونة وغير مرتقبة بعد إنجاز مغرب فوسفور III ومغرب فوسفور I بالجرف الأصفر جنوبي مدينة الجديدة.

تتوفر مدينة أسفي على صناعات أخرى مثل النسيج والصناعات الغذائية (إنتاج الزيوت والمشروبات الغازية والطحين) وصناعة الفخار. وبفضل وجود مؤسستين هامتين (معمل الخيوط "أسافيل" والشركة الشريفة للنسيج) تحتل صناعة النسيج مكانة مرموقة حيث توفر ما يقرب من 750 منصب شغل، غير إن إمكانية نموها بالمدينة جد محدودة نظرا لكون المستثمرين بهذا القطاع يفضلون مدنا أُخرى حيث النسيج متطور مثل الدار البيضاء وفاس والرباط وطنجة.

أما صناعة الفخار التي اشتهرت بها المدينة منذ القديم فقد بقيت تتميز بطابع تقليدي في أساليبها التقنية، ولمواجهة غلاء أثمنة المواد الأولية عمل أغلبية الصناع على تأسيس تعاونيات تساعدهم على تفادي هذا المشكل. أما التسويق فقد بقي غير منظم ويفرض ظروف بيع قاهرة على الصناع خاصة الصغار منهم، هذا في الوقت الذي انتعشت فيه وازدهرت منتجات هذا القطاع "تجارة طرقية" في مختلف أقاليم المغرب. هناك فئة من المنتجين الذين يتعاطون الفخار الفني وهو عبارة عن منتجات ثمينة ونادرة من إبداع فنانين مرموقين ولا تتوفر إلا في الأسواق الممتازة.

تلعب التجارة والخدمات رغم ثقل الصناعة دورا هاما في تنشيط اقتصاد أسفي. وأهمية هذه الأنشطة ترجع إلى كون هذه المدينة تشكل أهم قطب ديمغرافي وحضري بالإقليم تستثمر فيها أهم المؤسسات التجارية والخدمية من إدارة وتعليم وصحة وتربية .... ويشغل هذا القطاع ما يقرب من 44 ٪ من النشطين في أسفي وهي نسبة محدودة بالمقارنة مع المتوسط الحضري المغربي والذي يصل إلى 56 ٪.

تحتل التجارة الخارجية دورا أساسيا في النظام الاقتصادي بأسفي ويعتبر التبادل من الأنشطة التقليدية للمدينة، إذ مثلت عبر تاريخها الطويل مركز تبادل بين الداخل والخارج واعتمد هذا النشاط على الميناء وهو من أقدم الموانيء المغربية، ويحتل حاليا المرتبة الثانية بعد ميناء الدار البيضاء الذي يحتفظ بالصدارة. ويقوم الرواج التجاري على تصدير معدن الفوسفاط والباريت والجبص والرصاص والزنك ومصبرات السمك والحوامض الكيماوية وكذا على استيراد الحبوب والكبريت والورق ومادة القنب (le jute) لصناعة الأحبال والأكياس، ويمثل تصدير الفوسفاط الوارد من اليوسفية أزيد من 60 ٪ من حجم الصادارات، إلا أنه قد لوحظ تراجع ملموس في تصدير هذه المادة منذ 1974 حيث تم بيع مايقرب من 4،8 مليون طن وهو أعلى حجم وصل إليه الميناء، ويرتقب أن يستقر حجم الفوسفاط المصدر في رقم 3 مليون طن في الوقت الذي سيرتفع فيه هذا العدد بميناء الجرف الأصفر إلى 20 مليون طن، وبالرغم من هذا الانخفاض فإن بعض الصادرات تعرف نوعا من الارتفاع مثل الباريث والجبس، إذ سجل تزايد في استهلاكهما في السوق الخارجية وصدر ما يقرب من 450.000 طن من الجبص و 220.000 طن من الباريت سنة 1983.

تستفيد مدينة أسفي من بنيات إدارية واجتماعية عمومية وشبه عمومية وخاصة، جديرة بمكانتها الإقليمية فهي منذ 1965 عاصمة لإقليم يصل حسب إحصاء 1982 عدد سكانه إلى 706.618 نسمة أغلبيتهم يقطنون بالأرياف (439.456 نسمة) ولذلك نجدها تستقطب أهم المؤسسات التعليمية والصحية والترفيهية مما يُوفر فيها دون غيرها من المراكز الحضرية الأخرى، مثل اليوسفية (10.848 نسمة) ظروف عيش أفضل، الشيء الذي جعلها مركز اجتذاب لفئة واسعة من المهاجرين من قبائل عبدة واحمر وغيرها.

لم تستثن حركة التمدين السريع التي نشطت بالمغرب منذ فجر هذا القرن مدينة أسفي، فعزلتها عن الأقطاب الاقتصادية الكبرى وموقعها شبه الهامشي داخل التراب الوطني منحاها خصوصية بارزة طبعت سيرورة نموها الحضري وامتدادها المجالي.

لم تسجل مدينة أسفي، على عكس ما عرفته أغلبية المدن والمراكز الحضرية ، في السنوات الأولى من عهد الاستعمار، تزايدا لساكنتها، فحسب إحصاء 1962 كان عدد سكان المدينة يصل إلى 26.914 نسمة (21.347 مغاربة مسلمون و 4.172 مغاربة يهود و 1.395 من الأجانب). وبعد عشر سنوات سجل إحصاء 1936 تراجعا لساكنة أسفي حيث انخفض العدد الإجمالي إلى 26.533 نسمة (19.694 من المسلمين و3.634 من الأجانب) فإلى نهاية الثلاثينات تميزت الساكنة المحلية بنوع من التراجع الملموس. فطيلة هذه المرحلة لم تعرف المدينة إقامة أنشطة من شأنها أن تساعد على استقرار السكان بها وجلب الوافدين من الأرياف على غرار ما حدث بمدن الساحل الاطلسي : الدار البيضاء

والمحمدية والرباط والقنيطرة...... ولم تنته أشغال بالميناء التي انطلقت منذ 1923 إلا في سنة 1938. كما أن الأنشطة الاقتصادية بقيت تعتمد على التجارة والصناعة التقليدية والخدمات الجديدة، لم تنطلق حركة تصنيع أسفي إلا في نهاية الثلاثينات، وخاصة في بداية الأربعينات حيث دفعت الحرب العالمية الثانية المدمرة بالكثير من الرأسماليين الأجانب إلى البحث عن مجالات استمارات مربحة بعيدا عن بلدان أوروبا.

وتشكل بذلك مرحلة الحرب وما بعدها انطلاق ازدهار صناعي ارتكز أساسا على المذخرات السمكية الوافرة، فتوسعت أنشطة الصيد البحري وتعددت معامل التصبير السمكي نحو الخارج. وانتشار الصيد والتصبير بالاعتماد على ميناء عصري أصبح يحتل المكانة الأولى على الصعيد الوطني، كان من شأنه أن يخلق دينامية جديدة عززت سوق التشغيل وخلقت فرصا متزايدة للعمل. وسجل بذلك تكاثر ديمغرافي بين 1936 و1952 حيث وصل عدد سكان المدينة إلى 56.751 نسمة من بينهم 49.404 من المغاربة المسلمين و 3.469 من اليهود و 3876 من الأجانب.

وتميزت مرحلة الاستقلال باستمرار في وفرة التزايد للساكنة الحضرية مماجعل أسفي تقتحم صف كبريات المدن المغربية منذ 1971.

الأصل / السنة	1960	1971	1982
المغاربة المسلمون	76.871	127.863	196.521(*)
المغاربة اليهود	1.996	200	
الأجانب	2.605	1.050	786
المجموع	81.472	129.113	197.307

(*) لم يتم التمييز بين المسلمين واليهود في الإحصاء الأخير.

وتساهم الهجرة بقسط وافر من ارتفاع الساكنة حيث إن مايقرب من ثلث السكان ينتمون إلى مناطق أخرى وخاصة مثل التي تنتمي اليها قبائل عبدة واحمر والشياظمة. وترتفع هذه النسبة في الأحياء الفقيرة التي تشكل في بعض الحالات نوى شبه حضرية على هوامش المدينة في اتجاه الجنوب الشرقي .

والجدير بالذكر أن البنيات الاقتصادية لم تأخذ نفسا جديدا منذ إنشاء المركب الكيماوي، فحتى المنشآت الصناعية التي ظهرت لاتكون نسيجا مترابطا ومتفاعلا وقادرا على تعميق وتقوية مسلسل التصنيع بالمدينة. ومن مشاكل المدينة إيجاد الشغل للشباب الذين يتعاطون أكثر فأكثر شبه أنشطة في ا لتجارة الصغرى والخدمات.

عرفت أسفي منذ بداية هذا القرن توسعا حضريا هائلا جعلها تمتد بسرعة كبيرة في اتجاهات مختلفة وخاصة نحو الجنوب والشرق حيث انتشرت التجزئات وتعددت الأحياء شبه الحضرية.

ويتميز شكلها العام بكونه إشعاعيا انطلاقا من الساحل تتخلله فراغات ناتجة عن الحواجز الطبيعية وآليات المضاربة العقارية، هذا ما جعله يطبع بالتشتت وعدم الترابط بين المجالات الوطنية والقطاعات الحضرية وتبرز ثمة القطاعات التالية :

ـ المدنية العتيقة التي تتموضع فوق مصب واد شعبة وهي النواة الماقبل استعمارية وتمثل تراثا معماريا وحضريا متميزا عن باقي الأحياء، تعرف حاليا تشبعا ديموغرافيا وتكدسا بشريا، وتكون الرباط والتراب الصيني في الجنوب أهم مركز تجاري بأسفي.

ـ المدينة الحديثة، تمتد فوق الهضبة المشرفة على المدينة العتيقة من الواجهة الشرقية : بنيت على نموذج المدن الاستعمارية لتستقبل البنيات الاقتصادية التسييرية للنظام الجديد. تختلف عن النواة الأصيلة من حيث مبادىء تنظيمها ووظائفها حيث تتسم بهندسة تصميمها واتساع شوارعها وخضرة مجالاتها، وتتمركز فيها أهم الخدمات الإدارية والاجتماعية المحلية والإقليمية من عمالة وبلدية ومؤسسات تعليمية وصحية.

ـ قطاع بياضة وسيدي عبد الكريم في الشمال الشرقي والجريفات وسيدي واصل في الجنوب، وهوعبارة عن تجزئات اقتصادية انطلقت سيرورة توسعها منذ بداية هذا القرن ولازالت مستمرة إلى عهدنا . تتميز هذه الأحياء برتابة مجالية ومعمارية وبضعف التجهيزات والترفيهية .

ـ أحياء السكنى الهزيلة التي ظهرت على وجه الخصوص بالهوامش الجنوبية الشرقية بالقرب من منطقة التشغيل أي المنطقة الصناعية، هي عبارة عن تمركزات للكادحين الذين هاجرت أغلبيتهم من الأرياف المجاورة واستقروا في ظروف سكنية قد تنعدم فيها التجهيزات الضرورية والاجتماعية.

ـ المنطقة الصناعية تمتد على طول الساحل في اتجاه الجنوب. تتجمع فيها أهم المعامل والمؤسسات الصناعية المقامة بأسفي نظرا لما يوفره هذا الموضع من إمكانية تصريف النفايات نحو البحر واستغلال مياه المحيط وسهولة الاتصال بالخط الحديدي والميناء. وتظهر هذه المنطقة على شكل متقطع لكون المركب الكيماوي استقر بعيدا عن الأحياء السكنية (3 كلم نحو الجنوب) نظرا لكونه جد ملوث. إلا أن ابتعاده هذا عن المدينة يحميها من خطر التلوث والتسمم الناتج عن تسرب بعض الغازات المضرة بالحياة بجميع أصنافها في الهواء. ومما يزيد من خطورة الوضع هو قلة المجالات الخضراء بهذه المدنية التي شهدت توسع العديد من أحيائها في غياب التنظيم المجالي الشمولي وقصور التسيير الحضري، هذا في الوقت الذي تعاني فيه أسفي منافسة شديدة على المستوى الجيواقتصادي إثر ازدهار الصيد بأكدير وإقامة الصناعة الكيماوية بالجرف الأصفر وتشييد ميناء فوسفاطي به.

Plan Urbain de Safi, 1977 ; Zones Industrielles au Maroc, O D I, 1980 ; Recensement Géréral de la Population et de l'Habitat, 1960 - 1982. Schèma directeur d'aménagement urbain de Safi, Ministère de l'Habitat et de l'Aménagement, Aout 1983.

عائشة البلغيتي العلوي

أسْفِي، ـ تاريخ ـ يقدم شكل تسمية المدينة بثلاث صيغ: بفتح ثانيه (أسَفي) أو تسكينه (أسْفي) وبمد أوله (آسْفي). والمتداول هو الشكل الثاني (أسْفي). وأصل التسمية فيما يرجح بربري، مرتبط بمعنى المصب أو حوض الناعورة أو بمعنى المنار، ولا أساس لما ذهب إليه من ربط الاسم بمادة "أسف" العربية (*نزهة المشتاق*، 87). ونرجح أن يكون اسم المدينة مرتبطاً بالوادي الذي يخترقها ويصب في المحيط الأطلسي.

لا يعرف بشكل أكيد أصل بناء المدينة : فقد أرجع البعض بناءها إلى القرطاجي حانون (Marmol.3،78). وحاول البعض ربطها بمركز قديم هو Mysocaras، في تمحل غير مقنع (Roger,36). والمرجح أنها من بناء البربر. ويظهر أنها كانت مركزا بسيطا لم يحتك بالحضارات الأجنبية التي اتصلت بالمغرب، ولم نعثر في الكتابات القديمة على ما يمكّن من تتبع أطوار تاريخها القديم. وترتبط أقدم إشارة إلى مدينة أسفي في الفترة الإسلامية بعقبة بن نافع قائد الجيوش الإسلامية التي فتحت المغرب سنة 62 هـ/ 681 م. فقد وصل إلى ساحل المدينة وأدخل قوائم فرسه في ماء المحيط في قصة معروفة، (*استقصا*، 1 : 82) ويظهر أن المدينة عرفت مضايقة كبيرة من قبل مصامدة برغواطة حيث خربت في عهدهم. وظلت مع ذلك مطروقة خلال القرن الخامس الهجري / 11 م، حيث كانت تشكل محطة ومرسى، وإن كان بناؤها بسيطا ؛ حيث لم تسور ولم تكن تقام بها صلاة الجمعة دليلا على قلة ساكنيها طيلة أيام المرابطين.

وبدأت المدينة تعرف بعض الحركة ابتداء من القرن 7 هـ/ 13 م واهتم بها الموحدون وبنوا عليها سورا، كانت بعض بقاياه ظاهرة للعيان في بداية القرن الحالي، حسبما تدل على ذلك شهادة الكانوني (أسفي، 79) ويظهر من خلال نفس الشهادة أن دائرة السور كانت أوسع بكثير من السور البرتغالي الذي لازال قائما إلى اليوم، مما يدل على تزايد عدد سكان المدينة وازدهار نشاطها، سواء منه التجاري المرتبط بالمرسى أو الديني والفكري المرتبط باستقرار الشيخ أبي محمد صالح الماگري (ت 631 / 1233) بالمدينة. حيث اتخذ رباطا والتف حوله الأتباع والمريدون، وكان لرباطه وطائفته صيت وشهرة.

وقد اهتم المرينيون بالمدينة وشيدوا بها مدرسة ومارستانا، وبنيت بها دور واسعة محصنة وقصور، وجمعت في نشاطها بين فلاحة المنطقة وصناعة أهم عناصرها نسج الصوف وحياكته. حتى اعتبرها ابن خلدون حاضرة البحر المحيط.

بدأ البرتغاليون يهتمون بمدينة أسفي من بداية العقد الثامن من القرن 15 م. ومن بين أسباب ذلك الاهتمام وجود صناعة نسيج نشيطة في المدينة تنتج الحنبل الصوفي، وهو إنتاج يدخل في لائحة المواد التي تستعملها التجارة البرتغالية مع إفريقيا الواقعة جنوب الصحراء.

وهكذا استقر بالمدينة عدد من التجار والوسطاء والوكلاء، واتخذوا بها الدور الحصينة. وقد استغل البرتغاليون بعض مشاكل المدينة، فأوعزوا إلى بعض عملائهم أن يطلبوا حماية الملك البرتغالي ألفونصو الخامس (ت 885 / 1481). وعرفت المدينة بعد هذا التاريخ اضطرابات كثيرة بين سكان المدينة وبين البرتغاليين، وبين عدد من الطوائف الممالئة للبرتغاليين أو المناهضة لهم، إلى أن احتلت عسكريا سنة 913 / 1508. ولم تنقطع مقاومة المغاربة للوجود البرتغالي في أسفي، خصوصا بعد أن تصدى السعديون لقيادة عمليات الجهاد، إلى أن خرج البرتغاليون من المدينة سنة 948 / 1541. ومن الآثار البرتغالية بالمدينة السور وعدد من الأبراج وكنيسة لا تزال قائمة إلى اليوم. (3 : 4).

منظر عام لأسفي في القرن الثامن عشر (عن كتاب Host)

اهتم السعديون بعد تحرير المدينة بتعميرها، وهكذا رجع سكان المدينة النازحون عنها هروبا من البرتغال، وأسس السلطان محمد الشيخ السعدي قصبة أسفي ومسجدها الكبير، وغدت المدينة في عهد السعديين مرفأ مهما حصلوا من خلاله على الأسلحة ولوازم السفن، واتسعت تجارة المدينة عبد المحيط إلى أن غدت هي وأگادير من أهم موانئ البلاد في آخر القرن العاشر / 16، وزادت تلك الأهمية مع القرن الحادي عشر / 17 عندما غدت المدينة المنفذ الوحيد للسلطة السعدية بمراكش، ترسو بها سفن أنجليزية وفرنسية وهولندية.

ثم عرفت المدينة في عهد السلطان العلوي سيدي محمد بن عبد الله (ت 1204 / 1790) كثيرا من الحيوية بعد أن ناصرته بعض قبائل عبدة وآزره قائدها عبد الرحمن بن ناصر العبدي (ت 1214 / 1799) فبنيت بالمدينة عدة مآثر (القصبة والقصر السلطاني والمسجد) ونشطت حركة التجارة بعد أن استعان السلطان بالتجار الأروبيين في الحصول على مواد بناء السفن وجعل بقصبة المدينة حامية مكونة من مائتين من الطبجية ومثلهم من البحرية. وابتداء من القرن 13 / 19 م استقرت بالمدينة شركات تجارية وأبناك فرنسية وأنجليزية وألمانية. وأخذت المدينة شكلها الجديد

ابتداء من سنة 1904، بإقامة نشاط اقتصادي معتمد على البحر والصيد والتصبير وتصدير المواد المعدنية وبالخصوص منها الفوسفاط.

أ. البكري، *المغرب* ؛ م. ش. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ خ. الوزان، *وصف أفريقيا* ؛ الكانوني، *أسفي وما إليه* ؛ الصبيحي، *باكورة الزبدة*، مخطوط.

Marmol, *De l'Afrique* ; R. Montagne, *Colonie berbère ancienne : Safi*, Hes. 1923 ; J. Bouquerel, *le Port de Safi de l'Antiquité aux Temps Modernes*, Revue de La Chambre de Commerce, nº 35, Janvier 1969.

عبد اللطيف الشادلي

أسفي، ـ إقليم ـ ينتمي إلى الجهة الاقتصادية الكبرى "تانسيفت" تأسس كوحدة إدارية استقلت عن إقليم مراكش سنة 1965، وهي السنة التي سجلت إقلاع المركب الكيماوي بمدينة أسفي. وامتدت حدوده منذ ذلك الحين من جنوب دكالة إلى جبال الأطلس ألكبير الغربي شاملا بذلك الهضاب الساحلية من عبدة والشياظمة وحاحا إلى أن انعزل عنه بدوره إقليم الصويرة سنة 1975 في إطار تطبيق سياسة اللأمركزية ومتابعتها.

يشغل إقليم أسفي مساحة 7285 كلم2 على مجموع 38.445 كلم2 التي تشكل مساحة مجموع تانسيفت، ويضم إلى حظيرته ثلاث دوائر هي : دائرة أسفي، ودائرة عبدة، ودائرة احمر، وسبع عشرة جماعة قروية.

مؤهلات فلاحية ضعيفة : يمثل إقيلم أسفي وسطا جغرافيا تظافرت في تحديد ملامحه عوامل متعددة. ويمكن اعتبار أن للطبيعة دوراً أساسيًا في رسم هويته بالرغم من كونه يتميز بتضاريس هضبية متوسطة الارتفاع من (0 إلى 500 م) وقليلة التقطع فإن الظروف البيومناخية والبيدولوجية المميزة له تبقى قاسية وغير ملائمة للقيام بنشاط فلاحي مكثف. فالتربة فقيرة وهيكلية (سيادة الرمل والحمري على الساحل وفي اتجاه الشرق ووجود بعض أراضي الترس في الشمال) ولاتساعد التساقطات على تطورها حيث نجد هذه الأخيرة تتراوح كميتها بين 350 و400 مم في السنوات العادية في المناطق الأكثر أمطاراً وهي الواقعة عن قرب من الساحل، وقد ينزل هذا الحجم كلما اتجهنا نحو الداخل وفي فترات الجفاف حيث لم يتعد الرقم الاجمالي المسجل سنة 1981، مقدار 136 مم. أما المجاري المائية فهي هزيلة وموسمية بما فيها واد تانسيفت المنطلق من الأطلس الكبير والذي يصب جنوب مدينة أسفي بما يجعل هذا الإقليم يعاني من ضعف الموارد المائية. ويشكل هذا العجز القائم العائق الاساسي في وجه التنمية الفلاحية وتكثيف الإنتاج وتتأثر منه الساكنة الريفية إلى حد أنها تلجأ لتغطية حاجياتها الضرورية إلى تجميع مياه الأمطار داخل خزانات باطنية.

وإضافة إلى قساوة الوسط الطبيعي وعدم ملائمته تعتبر العوامل البشرية حاجزا آخر يحول دون تطوير الفلاحة والرفع من مستواها الإنتاجي، فالبنيات العقارية متباينة ومعقدة، ويتجلى ذلك في تنوع الأنظمة القانونية لتملك الأرض وتمركز الملكية : 58 ٪ من الأراضي فقط يخضع إلى الملك الخاص والباقي ينتمي إلى أنواع أخرى مثل الملك الجماعي 35 ٪ وملك الدولة وملك الحبس، كما أن توزيع الملكية الخاصة يتسم بفوارق كبيرة إذ نجد أن 78 ٪ من الملاكين لايستغلون إلا 38 ٪ من مجموع الأراضي الفلاحية في اطار استغلاليات صغيرة تتراوح بين 0 و 10 هـ في الوقت الذي يستفيد فيه 1،2 ٪ من الملاكين 15،5 ٪ من مجموع الأراضي تفوق فيها الملكية الواحدة 50 هـ . وتزيد أساليب الإنتاج المتأخرة الشائعة لدى أغلبية الفلاحين تعقيداً لهذا الوضع.

ونتيجة لما سبق وبالرغم من أهمية مساحة الاراضي الصالحة للزراعة (ما يقرب 400.000 هـ) بقيت الإنتاجية هزيلة والمردودية مرتبطة بالتقلبات المناخية لكون الزراعات السائدة هي زراعات بورية مثل الحبوب (القمح الصلب والقمح الطري خاصة الشعير) والقطاني. كما أن تربية الماشية لازالت خاضعة لنفس المؤثرات ويتناولها معظم المستغلين كنشاط تكميلي للزراعة، الشيء الذي يعبر عن مدى هشاشة القاعدة الاقتصادية والمادية لفئات واسعة من الساكنة الريفية بهذا الإقيلم.

وللحد من مخاطر الأوضاع بهذه المناطق التي عانت من الإهمال والتهميش كسائر الأراضي البورية في الوقت الذي احتكرت فيه الدوائر السقوية معظم الاستثمارات التنموية، انكبت المصالح المعنية بوزارة الفلاحة على برمجة عدة تدخلات تهدف إلى إدخال تغييرات تقنية وتنظيمية تساعد على تنشيط هذا القطاع :

ـ خلق دائرة سقوية بجمعة سحيم بشمال الإقليم عن طريق استعمال مياه واد أم الربيع كامتداد للقطاع السقوي المنتمي لدكالة.

ـ انجاز مشروع التنمية الفلاحية بسهل عبدة. يعتبر هذا المشروع من أهم التدخلات الفلاحية التي تقوم بها الدولة في الإقليم، شرع في تطبيقها سنة 1987 بمعنى أنه حديث العهد يشمل مجاله سهل عبدة الذي يستفيد نسبيا بظروف طبيعية من شأنها أن تساعد على ضمان النجاح له. ويهدف البرنامج الذي جاء به المشروع الرفع من مستوى الإنتاجية الفلاحية بما فيها الزراعية والرعوية عن طريق تحديث وتحسين أساليب الإنتاج التقنية والتسييرية والتمويلية... إلا أن تحقيق مساعي هذه التدخلات يبقى رهينًا بالوضع العقاري المتباين . هذا في الوقت الذي يعرف فيه هذا الاقليم كثافة سكانية مرتفعة نسبيا باعتبار مؤهلاته المحدودة : 40 نسمة في كلم م الواحد بالنسبة للساكنة الريفية وأزيد من 100 نسمة إذا ما اعتبرنا الساكنة الحضرية وهو أعلى رقم يسجل داخل جهة تانسيفت. واستمرار الأوضاع الفلاحية على ماهي عليه بأرياف هذا الإقيلم لمن شأنه أن يعزز تيارات الهجرة نحو مناطق أو مراكز أكثر حيوية ودينامية.

ثروات معدنية مهمة ومتنوعة : فإذا كان لقساوة الوسط الطبيعي أثر عميق على النشاط الفلاحي بإقليم أسفي فمن جانب آخر نجد أن هذه الطبيعة منحته ثروات باطنية هائلة تتمثل في وجود الفوسفاط والباريت Baryte والملح والجبس.

اكتشف معدن الفوسفاط في العشرينات بهضبة الگنتور الواقعة على بعد 70 كلم شرق مدينة أسفي. وشرع في استغلاله سنة 1931 عن طريق المكتب الشريف للفوسفاط. وقد أدى استخراج هذا المعدن إلى خلق أنشطة شكلت مركزا جيداً ليد عاملة وافرة لم تعد الفلاحة إثر التزايد الديمغرافي السريع قادرة على تشغيلها (أزيد من 4000 عامل) وقد وصل حجم استخراج الفوفسفاط بمنطقة اليوسفية سنة 1986 إلى مايفوق أربعة مليون طن على مجموع وطني يصل إلى 24 مليون طن.

المكان / السنة	1982	1984	1986
المغرب	* 21.621	21.517	24.028
اليوسفية	600	5.212	4.389

(*) الانتاج بالمليون طن.

والملاحظ أن هذا الإنتاج غير مستقر وقد تجاوز الستة ملايين في بداية الثمانينات. ويرجع سبب هذا التراجع الملموس إلى صعوبة تصريف مادة الفوسفاط ومشتقاتها نحو السوق الخارجية. والجدير بالذكر أن جزءاً وافراً من إنتاج اليوسفية يخضع لعملية التحويل إلى حامض فوسفوري وحامض كلوريدري بالمركب الكيماوي بأسفي.

يتوفر إقليم أسفي كذلك على معدن الباريت وهو معدن يستعمل في عمليات التنقيب على النفط ويستخرج من جبل إغود من طرف الشركة المغربية للباريت التي تنتج ما يقرب من ثلث إنتاج المغرب. ويعكس تقلص حجم الإنتاج منذ بداية الثمانينات، الأزمة العالمية للنفط.

المكان / السنة	1982	1984	1986
المغرب	515.672	561.321	179.881
اليوسفية	186.923	128.412	61.080

الإنتاج بالطن

كما يحتوي إقليم أسفي على موارد هامة من الجبس تصل مذخراته إلى ما يقرب من 5 مليارات من الاطنان يستخرج منها سنويا مايقرب من 300 إلى 400.000 طن ـ يستخدم الجبس لإنتاج الاسمنت وبعض المواد الصيدلية وكذا في صناعة الخزف البديع، ويصدر جزء منه نحو دول مختلفة مثل اليابان والبرتغال والكنگو.

أما مادة الملح المستخرجة من بحيرة زيما على يد الشركة الشريفة للملح فتعرف تزايدا في حجم انتاجها على عكس ماعرفته مادتا الفوسفاط والباريت حيث ارتفع من 7.493 طن سنة 1982 إلى 19.400 طن سنة 1986 على مجموع إنتاج وطني يعادل حاليا 118.814 طن.

فالحديث عن أهمية الثروات المعدنية التي يزخر بها إقليم أسفي يرمي إلى إبراز مدى تأهله حاليا أو مستقبلاً للتشييد الصناعي ليس فقط على أساس تحويل أولي لمعدن الفوسفاط بل بناءً على إعادة تقييم محلي لمجموع الموارد الطبيعية.

ـ إقيلم لازالت ملامحه ريفية : فبالرغم من كون إقليم أسفي لايمثل منطقة فلاحية غنية وبالرغم كذلك من كونه يتمتع بموارد معدنية متنوعة وهامة أدت إلى خلق أنشطة استخراجية بارزة بقي يحتفظ بطابع ريفي واضح ويتجلى ذلك في كون أغلبية ساكنته لازالت تقيم بالأرياف حيث إن أزيد من 60 ٪ من السكان ينتمون إلى الوسط الريفي وهي نسبة تفوق المتوسط الوطني الذي لايتعدى 57،3 ٪ في الإحصاء الأخير.

السنة	1960		1971		1982	
الساكنة	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
الريفية	347702	79.14	392462	70.77	439492	62.2
الحضرية	91693	20.86	162083	29.23	267161	37.8
المجموع	439395	100	554545	100	706653	100

ويعطينا الجدول رقم 4 لمحة مفصلة عن توزيع هذه الساكنة وتطورها داخل الدوائر والجماعات القروية المنتمية لاقليم اسفي، حيث يظهر جليا من خلال هذه الأرقام أن أغلبية المناطق تعرف تزايدا ديموغرافيا بطيئا يرجع أصله إلى انتشار الهجرة بين صفوف الريفيين.

الساكنة الريفية بإقيلم أسفي حسب الدوائر والجماعات.

الدوائر الجماعات	عدد السكان			نسبة التزايد العام (٪)	
	1960	1971	1982	1971 ـ 1960	1982 ـ 1971
دائرة احمر					
ـ الشماعية	5.560	6.548	6.736	17.8	2.9
ـ رأس العين	22.717	26.446	30.445	16.4	15.1
ـ سيدي أحمد	29.036	31.382	27.953	8.1	10.9
ـ سيدي شيكر	18.232	23.375	29.397	28.2	25.8
ـ ثلاثاء أويغود	18.680	23.423	27.678	25.4	18.2
ـ اثنين جنان بوية	22.876	26.379	29.883	15.3	13.3
مجموع الدائرة	117.101	137.553	152.902	17.5	10.6
دائرة أسفي					
ـ أربعاء ازكاون	20.790	22.301	27.103	7.3	21.5
ـ احد حرارة	17.336	19.326	21.416	11.5	10.8
ـ أحد توابت	16.358	18.851	21.467	15.2	13.9
ـ سبت كزولة	17.706	16.284	17.453	8.0	7.2
ـ سوق ابر	14.585	17.203	21.573	17.9	25.4
ـ اثنين غيات	18.494	20.249	22.323	9.5	10.2
مجموع الدائرة	105.269	114.214	131.335	8.5	15.0
دائرة عبدة					
ـ حد بخاتي	20.394	22.504	23.660	10.3	5.1
ـ خميس نگ	22.520	25.293	29.046	12.3	14.8
ـ مول البركة	19.817	20.403	22.057	3.0	8.1
ـ سيدي عيسى	8.161	13.733	14.603	68.3	6.3
ـ سيدي كور	15.953	18.164	20.528	13.9	13.0
ـ سيدي يحيى	20.702	22.914	26.528	10.7	15.8
ـ ثلاثاء سيدي بوگدرة	17.104	17.684	19.643	3.4	11.1
مجموع الدائرة	124.651	140.695	156.065	12.9	10.9
مجموع الإقليم	347.702	392.462	439.492	12.87	11.98

وتمثل المجموعات الحضرية مراكز استقطاب لقسم مهم من المهاجرين الذين أصبحوا يمثلون نسبة مهمة من الساكنة. ويعرف بذلك إقليم أسفي زحفا سريعا لظاهرة التمدين خاصة منذ بداية الاستقلال إذ نلاحظ أن نسبة سكان الحواضر تتزايد باستمرار ارتفعت من 20.8 ٪ في 1960 إلى 67.8 ٪ في 1982 كما أن وتيرة التكاثر العام رغم التراجع الحاصل تبقى مرتفعة إذ تفوق 76.8 بين 60 ـ 1971 و64.8 بين 71 ـ 1982. تلعب مدينة أسفي في جلب الوافدين من الأرياف دوراً رئيسيًا باعتبار أنها تشكل قطبا اقتصاديًا وصناعيًا ذا أهمية إقليمية ووطنية، كما أن اليوسفية المدينة المعدنية تساهم في خلق دينامية اقتصادية وتساعد على توفير الشغل لفئة واسعة من اليد العاملة المهاجرة . أما باقي المراكز الحضرية (انظر جدول 5) فتمدينها حديث ووقعها الاقتصادي والاجتماعي محدود لكونها تعتمد على أنشطة التبادل التجاري والخدمات الإدارية والاجتماعية الأساسية من تعليم وصحة وغيرها.

تطور الساكنة الحضرية بإقليم أسفي.

المراكز الحضرية	عدد السكان			التزايد العام	
	1960	1971	1982	1971.60	1982.71
أسفي	81072	129113	197309	59.3	52.8
اليوسفية	8302	22435	42195	170.2	88.1
الشماعية	2319	5611	10848	141.9	93.3
جمعة سحيم	-	2482	5157	-	107.8
سيدي أحمد	-	-	7098	-	-
سبت جزولة	-	2442	4554	-	86.5
المجموع	91693	162083	267161	76.8	64.8

فرغم كون ظاهرة التمدين لازالت مستمرة في زحفها السريع تبقى نسبة الساكنة الحضرية باقيلم أسفي ضعيفة بالمقارنة مع المتوسط الوطني 37.8 ٪ مقابل 42.7 ٪ حسب إحصاء 1982. تعتبر العزلة الطويلة للإقليم رغم انفتاحه على البحر والتهميش الفلاحي الذي عانى منه من الأسباب التي حَدت من أهمية سيرورة توسع المدن خاصة الصغرى منها.

Schéma Directeur d'Aménagement Urbain de Safi. Document nº 2, Analyse Economique. M. H. A. T 1982 Safi et sa région ; Recensement de la Population Légale du Maroc, 1960 - 1971 - 1982 ; Annuaire Statistique, Direction de la Statistique 1987; Carte Topographique de Safi 1/100.000.

عائشة العلوي البلغيثي

اسقالة، أصل الكلمة طلياني، كما في المعاجم الاسبانية والتركية، فهي "SCALA" تدل على معان كثيرة. ولعل المغرب أخذ الكلمة من التركية، التي كانت تكتبها "اسكالة" و"إسقالة"، غير أن قاموس شمس الدين، وهو من القواميس المعتمدة، يفرق بينهما في المعنى، فالمكتوبة بالقاف، آلة موسيقية، والمكتوبة بالكاف عبارة عن قصبة تواجه البحر، تعدّ للحرب كما تعد للجمرك والأعمال التجارية، ومدخلا ومخرجا للبحر. ويبدو أن هذه التفرقة جاءت متأخرة، وإلاَّ فإن الاسقالة التطوانية، أنشئت أو جددت في عهد مولاي عبد الرحمان بن هشام، لمهمة حربية، حينما زار تطوان، فاهتم بإصلاح الأبراج أو إنشائها، وكان من ذلك الإسقالة المذكورة، تم انجازها عام 1246، كما في الرخامة المثبتة فوق باب الاسقالة، حيث كتب ما يلي :"بسم الله الرحمان الرحيم النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا عبد الرحمان أمير المومنين. بُني هذا البرج المبارك على يد خديمه ولي نعمته محمد أشعاش سنة 1246".

فاسقالة هنا مذكورة بالبرج والبناء، إنشاء وهو المتبادر، أو إصلاحاً، كان بأمر عبد الرحمان الذي زار تطوان وأمر بذلك عام 1243، فيكون العمل قد استغرق ثلاث سنوات أُصلح خلالها البرج المقابل له والمطل عليه من الجبل (جبل درسة). وكان قد بُني أواخر أيام المولى عبد الله، وكان حاكم تطوان "امحمد لوقاش" ابن عمر المستبد بتطوان. وقد كانت لتطوان عناية خاصة بالأبراج، لدرجة أن ريع الأوقاف كان مخصصاً لها. ولا شك أن الإسبان كان لهم ضلع فيما حدث بعد المولى يزيد، فإنهم، وقد ضيق عليهم الخناق في حصار سبتة، صاروا يدسون له، فخرج عليه أخوه هشام في مراكش، وخلعت بيعته في تلك الجهات، فترك هو الحصار، وخف في إخماد هذه الفتنة وكان ذلك بعد مبايعته بسنتين، فقتل مجروحا بعيار فى المعركة سنة 1206. ونشير إلى وجود اسقالات كثيرة منتشرة في ثغور المغرب كالعرائش وسلا وأسفي.

إسقالة في أسفي

ومنذ بويع المولى عبد الرحمن بن هشام أخذ يأمر بالتحصينات، استعداداً لمواجهة الفرنسيين الجاثمين على الجزائر. وتوفي وهو يحض على الاستعداد لملاقاة الكفار الإسبان، الذين أعلنوها حربا إثر تولية أبيه، فكان احتلال

تطوان سنة 1276، ودخولهم إلى تطوان من باب العقلة، التي أسموها باب الملكة.، وهي الملكة ڤكتوريا، بعد أن تصدت للجيش الزاحف لقصبة إسقالة ببطرياتها، كما نجد ذكرها في الاطلس مرقمة بـ 1184، وهي عن يمين الداخل إلى المدينة. ويبدو من الأطلس المذكور أنه كانت هناك تحصينات في الناحية المقابلة لها يمينا قضت عليها الجيوش الزاحفة أو أبطلتها، كما نجد ذلك في التعليق المرقم بـ 31، من نفس اللوحة.

م. داود، *تاريخ تطوان* ؛ م. بنتاويت، *تاريخ سبتة* ؛ *وثيقة تاريخية عن تطوان*، والتعليق عليها وعلى ظروفها، مجلة تطوان العدد 3 سنة 1960 ؛ س. شمس الدين، *قاموس عثمان* ؛ *الأطلس الذي ألف في تطوان ووقائعها خلال الاحتلال الإسباني لها سنة 1960*.

Diccionario Salvat y Caen C. Editores (Barcelona), Dictionnaire Français - Italien, Italien - Français (Collins, Gallimard) (London and Glasgow) ; R. Dozy, *supplement aux dictionnaires arabes*, Beyrouth, 1981.

محمد ابن تاويت

أسقمري (كاباڽلا) ← **سمك**

إسـگْ ← **أگادير** (إقليم ـ)

الأسكاري ← **الهشتوكي** موسى بن إبورك

أسكاليس (Ascalis) تقتصر معلوماتنا عن هذه الشخصية على مصدر واحد من مؤلف بلوتارخوس (Plutarqus) المعنون تحت اسم : *تراجم مشاهير الرجال* (*Les vies des Hommes illustres*) ولكن بلوتارخوس لم يفرد كتابا خاصا بالشخص، فهو يتعرض له بالذكر بصفة غير مباشرة عندما يترجم للقائد الرماني سرطوريوس (Sertorius) قائد ماريوس الذي كان يحارب بإسبانيا بين سنتي 81 ـ 372 م.

يقول بلوتارخوس (Sertorius 7،4) "لقد قطع البحر ووصل إلى إفريقيا عند الموروزيين ..." لقد كان هذا أول اتصال له بالأرض الإفريقية فقد انطلقت من قرطاجنة وبالتالي كان بإمكانه الرسو في سيگا (Siga) العاصمة القديمة لسفاكس (Syphax) أو بالساحل الريفي. وكيفما كان الحال فإن هذه العملية فشلت لأن الأهالي قاموا بطرد قواته وأفلح سرطوريوس في العودة إلى إسبانيا بمساعدة قراصنة سليسيين (Ciliciens).

يقول بلوتارخوس في فقرة أخرى(الفقرة 912 Sertorius) إنه عاد مع القراصنة السليسيين إلى إفريقيا. وسبب اتجاه القراصنة السليين إلى إفريقيا هو رغبتهم في إعادة ملك المورأسكاليس ابن إفطاس (Iphtas) إلى عرشه والذي تمت الإطاحة به في ظروف نجهلها.

وربما كانت لهذه الفرق السليسية قواعد بإفريقيا اغتصبوها من ملك المور الشرعي بوخوس الأول، وساعدهم في عملهم هذا الثائر أسكاليس.

ويضيف بلوتارخوس (Sertorius 9،2) بإن سرطوريوس مال إلى جانب الثوار الذين استقبلوه بحفاوة .وهزم سرطوريوس أسكاليس وحاصره بالمدينة التي كان قد تراجع إليهامع فلول جيشه. وقد أرسل القائد الروماني سيلا (Sylla) فرقة عسكرية لمساعدة أسكاليس يتزعمها القائد (Paccianus) ولكن سرطوريوس قضى عليه وأخضع باقي جيشه، ثم إنه تمكن من الاستيلاء على طنجة التي كان أسكاليس قد احتمى بداخلها.

يثير نص بلوتارخوس العديد من التساؤلات حاول بعض الباحثين الإجابة عنها. ومن هذه التساؤلات سبب انقلاب سرطوريوس ضد القراصنة السليسيين. ويحلله أندري جودان A. Jodin باتجاه سرطوريوس المارياني (Marianiste) فيما أنه من أتباع القائد الروماني ماريوس (Marius). لذا كان من البديهي أن يرفض مساندة مغتصب العرش أسكاليس بدل صاحبه الشرعي بوخوس الأول. ولنتذكر بأن هذه الأحداث تدور ببلاد المور (المغرب القديم) خلال الربع الأول من القرن الأول قبل الميلاد. وهذه المرحلة توافق حكم بوخوس الأول الذي ابتدأ حكمه سنة 105 ق ـ م . واستمر إلى حدود سنة 70 ق ـ م.

والتساؤل الثاني الذي يثيره النص يتعلق بالسبب الذي دفع القائد الروماني سيلا (Sylla) لإرسال دعم عسكري لأسكاليس وأصدقائه السليسيين تحت زعامة (Paccianus) ونحن نعرف أنه سبق أن بعث سنة 79 ق ـ م. القنصل سرفليوس Servilius إلى ولاية سليسيا (Cilicie) لمهاجمة هؤلاء القراصنة أنفسهم في معاقلهم. وفسر أندري جودان سبب مساعدة سيلا لأسكاليس والسليسيين برغبته في القضاء على القائد الماريانى سرطوريوس.

أما النقطة الخاصة باحتفاء الأهالي بسرطوريوس، فنعتبرها تعبيرا عن الخلاص من ضغط أسكاليس فيكون سرطوريوس بالنسبة للأهالي بمثابة المنقذ.

أما كاركوبينو (Carcopino) الذي استوقفته قضية الحكم ببلاد المور خلال ثلاثة الأرباع الأولى من القرن الأول قبل الميلاد فقد ذكر بدوره أن هذه المرحلة توافق حكم بوخوس الأول وأضاف أن هناك عدة دلائل ثابتة تؤكد استمراريته على العرش ببلاد المور، خلال سنة 70 ق. م. عندما انفصلت الموريطانيتان أصبح بوخوس الثاني (Bocchus II) ملكا على القسم الشرقي من موريطانيا وأصبح بوغود (Bogud) ملكا على قسمها الغربي ـ وفي اعتقاد كاركوبينو قد يكون بلوتارخوس ومعه سالوست (Salluste) حوّلا أميرا محليا إلى ملك أو خلطا بين مصطلحي أمير (Regulus) وملك (Rex) وبذلك يكون أسكاليس قد حكم طنجة إما بصفة أمير مستقل أو تابع بصفة اسمية لبوخوس الأول، فتكون طنجة لوضعيتها البحرية مدينة مستقلة عن باقي المناطق التابعة للتاج الموريطاني.

Carcopino, *Le Maroc antique*, Gallimard, Paris 1943 ; S. Gsell, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, VII, Hachette, Paris 1928 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Jubae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc préclaudien*, Paris, 1987 ; Plutarque, *Les Vies des Hommes illustres vie de sertorius*, texte établi et traduit par G. Walter, Gallimard, Paris, 1951. Tome II : Plutarque, *Vie paralleles*, ed. R. Flacelière et E. Chaubry, VIII. Paris 1957 - 1983.

عبد العزيز بلفايدة البيضاويه بلكامل

إسكتان ← سكتانة

أَسْكُور، أحمد. ولد سنة 1907 بقبيلة أيت بنعيسى. انخرط في صفوف جيش التحرير بالشمال بتاريخ 2 أكتوبر 1955 وقد شارك مشاركة فعالة إلى أن استشهد بإحدى المعارك التي خاضها جيش التحرير بإموزار مرموشة سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير ـ الرباط.

عز الدين العلام

أسكور (فندق سلا) ← **مارستان أبي عنان**

أَسْكُونْتي، زايد من أيت عيسى إِزم. أبرز قواد معركة جبل بادو المطل على أغبالو نْكردوس جنوب إقليم الرشيدية (قصر السوق سابقا) حيث تجمّع المجاهدون من أيت حديدو وأيت مرغاد وأيت عيسى إزم بعد انتهاء معارك جبل صاغرو وبُوگافر، وانضم إليهم مجاهدون من مناطق أخرى، وقد استعد الفرنسيون لهذه المعركة الحاسمة استعداداً خاصاً، وقادها منهم أربعة جنرالات جيرو، وكاترو، ولوسطال، وكودو، بإشراف الجنرال هيرو الذي جعل مقر قيادته في تينغير.

دامت المعركة حوالي شهر أظهر فيها زايد أسكونتي بطولة نادرة، ولم يستسلم آخر المقاومين هناك إلاّ يوم 29 غشت 1933.

الذكرى الأولى لمعتقل أغْبالو نكردوس، 22 ـ 24.

محمد حجي

أَسْكيَا أو (سُكْية) وكتبها بعضهم بالقاف (أسْقِيا) ويجمع جمَعا سالما ومكسرا فيقال أسكيون وأساكي. لَقب تشريفي يعنى المَلكَ عند السراكوليين التكروريين حكَام دولة سنغاي الذين خَلفوا آل سنِّي أواخر القرن التاسع / 15. والسراكوليون سودانيـون أقحاح كانـوا مستقريـن في حوض السينغال إلى أن أجلاهم المرابطون في منتصف القرن الخامس / 11 م أثناء حركتهم الشهيرة للدعوة إلى الاسلام بقيادة عبد الله بن ياسين ويحيى الگدالي، فتفرق السراكوليون طرائق قِدداً، واستقر معظمهم حول نهر النيجر مختلطين بقبائله.

ولما استقل آل سني من أسرة ضياء الليبية بدولة سنغاي وانفصلوا عن إمبواطورية مالي عام 735 / 1335 انخرط بعض السراكوليين في جيشهم، واشتهر منهم في عهد سني علي بير قائد شجاع يدعى محمد تورى، أبلى البلاء الحسن في جميع المهام العسكرية التي أنيطت به، لكنه ثار حينما مات مخدومه سني علي، حارب ابنه سني بارو وهزمه في معركة (أنكو) الفاصلة، ودخل منتصرا إلى العاصمة "كاغو" عام 898 / 1493 وبذلك أصبح الملك الأول في دولة الأسكيين، ولُقب بمحمد الكبير، ثم حج فصار يدعى أسكيا الحاج محمد الكبير. وقد أصبحت امبراطورية سنغاي في عهده تضاهي في عظمتها أو تفوق امبراطوريتي مالي وغانا القديمتين، ودام سلطانها 102 سنة، تعاقب على الحكم خلالها تسعة ملوك.

احتك الأسكيون بالشرفاء السعديين منذ الطور الاول لنشأة دولتهم وهم ما يزالون في سوس، وكانت ممالح تَغَازَي وتاوَدْني في وسط الصحراء نقطة الالتقاء يرغب كل من الجانبين في استغلالها لما تُدره من مداخيل مهمة. وذلك بعد أن أخذت القوافل التجارية الصحراوية تـسلك من جديد الطريق الغربي المفضي إلى أقّا فتيدْسي وتارودانت أو المحمدية على إثر عودة الاستقرار والأمن إلى هذه المناطق مع الشرفاء منذ مُطلع القرن العاشر / 16 م.

تأرجحت العلاقات بين الأسكيين والسعديين فكانت تحتد أحيانا وتصفو أخرى، ولم يُعرف ـ لحد الآن ـ من المراسلات بين الفريقين إلا ما أثبته منها عبد العزيز الفشتالي في *مناهل الصفا*، أو أشار إليه عبد الرحمان السعدي في *تاريخ السودان*، ومحمود كعت في *تاريخ الفتاش*. وقد تبودلت الرسائل بين أحمد الأعرج بن محمد القائم بأمر الله والأسكيا إسحاق الاول (946 / 1539 ـ 955 / 1549)، وبين أحمد المنصور الذهبي والأسكيا داود بن الحاج محمد الكبير (955 / 1549 ـ 990 / 1582) والأسكيا محمد بن داود (990 / 1582 ـ 994 / 1586)، ثم الأسكيا إسحاق بن داود أو إسحاق الثاني الذي انتهت دولة الأسكيين الأولى بانهزامه أمام جيش أحمد المنصور بقيادة جوذر باشا في معركة "تونديبي" الحاسمة شمال العاصمة كاغو، وذلك في 17 جمادى الاولى عام 999 / 12 مارس 1591.

ثم كان للأسكيين دولة ثانية أطول عمراً وأكثر عدداً من الأولى دامت أزيد من مائة وستين عاماً، تعاقب فيها على الإمارة ستة عشر أسكيا، معظمهم من حفدة أسكيا الحاج محمد الكبير، لكنهم كانوا جميعا تحت نظر الباشوات المغاربة. وقد فصل القول في هؤلاء الأسكيين وحدّد تواريخ توليتهم أو عزلهم القاضي محمود كعت في كتابه *تذكرة النسيان* (ص 180 ـ 185). وترك الباشوات المغاربة للأسكيين عاصمتهم كاغو، واستقروا هم في تنبكتو.

كان أول الأساكي في المرحلة الثانية سليمان بن داود بن الحاج محمد الكبير، ولاّه الباشا محمود زرقون عام 1000 / 1592 على إثر مقتل أخيه أسكيا إسحاق، واستمر سليمان في منصبه إلي أن توفي في صفر عام 1013 / يوليوز 1604 فخلفه ابن أخيه أسكيا هارون بن أسكيا الحاج بتولية من الباشا محمود بن زرقون، ومكث في منصبه أربعة أعوام ثار عليه بعدها أهل سنغاي فعزله الباشا محمود بن زرقون، وولّى أسكيا آخر من أقاربه ... كان آخر الأسكيين الذين أرخ لهم محمود كعت هو أسكيا الحاج بن أسكيا أبي بكر حفيد أسكيا الحاج محمد الكبير، ولاه الباشا عبد الله بن الحاج العمراني أواخر عام 1142 / 1730 وبقي في الإمارة تسعة عشر عاما إلى أن عزل عام 1161 / 1748 واستبدل به الباشا أبو بكر بن منصور الدرعي أسكيا محمود بن كن فاري عمار أواخر هذا العام، قال عنه كعت (ص 185): "وهو الذي فيها اليوم في البراري لكن سمعنا أنهم عزلوه"

ولم نقف بعد *تاريخ الفتاش* الذي انتهى في 25 شعبان 1164 / 1751 على ذكر للأسكيين، ولعلهم بقوا يتوارثون إمارة كاغو إلى حين سقوط دولة الباشوات علي إثر دخول الجيوش الفرنسية إلى تنبكتو عام 1311 / 1894. عندما لم يتمكن الحسن الأول من إنجادهم بسبب المشاكل الداخلية والدولية العويصة التي كانت تواجهه.

ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. كعت. *تاريخ الفتاش* ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ج. فيج .دي. *تاريخ غرب افريقيا*، ترجمة ي. نصر. بوفيل، *الممالك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب*، ترجمة : زاهر رياض ؛ ع. زيادة ، *مملكة سنغاي في عهد الأسقيين* ؛م. الغربي، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي* ؛ *موريطانيا ومشاغل المغرب الافريقية في القرن السادس عشر*.

M. de Lafosse, *Les relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges*, Hespéris, 1924, pp. 153 - 174. Unesco, *Histoire Générale de l'Afrique*, t. 5, chapitre.

أسْكيا، إسحاق بن داود بن الحاج محمد الكبير. تولى ملكَ سنغاي على إثر مصرع أخيه أسكيا محمد باني في 3 جمادى الاولى عام 996 / 10 أبريل 1588، وكان حادَّ المزاج سيئ الطالع، لم يلبث أن ثارت عليه تنبكتو وبايعت أسكيا آخر اضطر إسحاق إلى محاربته طوال سنة. كما ثار عليه أخوه أسكيا علي بن داود ـ حسب *مناهل الصفا* ـ فحاربه إسحاق أيضا إلى أن تمكن من القبض عليه وسجنه. فتدخل في شأنه منصور بن الفلالي، وهو شيخ أولاد سالم من عرب القفر كان أحمد المنصور بعث به إلى كاغو ليكون عيناً له فيها، فمكث ثلاث سنين، سُجن أثناءها حين استرابوابه، ثم أطلقوا سراجه وقربوه لما أبدى لهم من تزلف وإخلاص.

نصح ابن الفيلالي أسكيا إسحاق بإبعاد أخيه الثائر إلى المغرب "حسماً لداء الفتنة ودفعاً لما يحذر من مغبته" فقبل إسحاق ووكل أمر تغريب علي إلى ابن الفيلالي الذي سلمه إلى من أوصله مقيداً إلى حاكم تغازى، ومن ثم نُقل فورا إلى مراكش، فوصلها في جمادى الاولى عام 997 / أبريل 1589 والمنصور يومئذ بفاس فسر بخبر مقدم هذا (العيص من أبناء سكية)، ويسمى السعدي في *تاريخ السودان* (ص 137) هذا الواصل إلى مراكش :" ولد كرنفل من خدام أمراء سغي" غضب عليه أسكيا إسحاق وبعث به سجيناً إلى تغازى فهرب إلى مراكش وكتب إلى المنصور الذي كان يومئذ بمراكش يغريه بفتح السودان. ولم يشر السعدى إلى ثورة أسكيا بن داود. ولعل الرجلين معا وصلا إلى مراكش. وكتبا إلى المنصور في نفس الموضوع.

وجه أسكيا على إلى المنصور خطابا يطلب منه المساعدة بالمقاتلة والسلاح للإجلاب على أخيه حاكم كاغو. فكتب المنصور حينئذ رسالتين إلى أسكيا إسحاق، من إنشاء الكاتبين عبد الواحد الحسني وعبدا العزيز الفشتالي، (*مناهل الصفا*، 122 ـ 125) ألاَنَ له القولَ في الأولى طالبا منه أن يمتثل لما أمر به من توظيف مثقال تبراً على كل حمل جمل يصدر عن مملحة تغازى، وأصحب هذه الرسالة فتاوى فقهاء المغرب بإسناد الشرع حكم المعادن إلى الإمام لاستغلالها في الصالح العام، خاصة ما كان المنصور بصدده من جهاد الكفار في البر والبحر. وأغلظ له القول في *الرسالة الثانية* التي يخبره فيها بطلب أخيه عليّ الإمداد للإجهاز عليه في عقر داره.

اختار المنصور من رجاله المحنكين رسولاً لم تفصح المصادر عن اسمه وسلمه الرسالتين مع الخطاب الذي حرره الأسكيا علي، وطلب من الرسول أن يقدم أولاً إلى إسحاق الرسالة الليِّنة، فإن استجاب وإلا قدَّم اليه الرسالة الثانية، فإن استكبر قدَّم له رسالة أخيه علي. غضب أسكيا إسحاق للرسائل التي سلمها إليه رسول المنصور، وأجاب عنها بخطاب غير لائق أرفقه بزُبَرٍ من حديد إشارة إلى استعداده للحرب. فكان رد فعل المنصور أن وجَّه حملة عسكرية بقيادة جوذر باشا التقت بجموع أسكيا إسحاق في تَنكُنْدُبُعُ القريب من تُنْدبي شماليَّ كاغو. وذكر السعدي أن جيش أسكيا إسحاق كان " اثني عشر ألفاً وخمسمائة من الخيل (= الفرسان) وثلاثين ألفا من أرباب الرجل (= الراجلين) وجرت المعركة يوم الثلاثاء 17 جمادى الاولى عام 999 / 12 مارس 1591 "فكسروا جيش أسكيا طرفة عين".

فر إسحاق إلى ما وراء النيجر بعد أن أمر قومه بالهروب مثله، ودخل جودر إلى كاغو فتلقاه خطيبها محمود دْرَامي والطلبة والتجار بالترحيب "واضافهم ـ الخطيب ـ ضيافة فاخرة كبيرة " ولما دخل دار إسحاق لم يجد فيها شيئا يذكر.ثم تلقى جوذر من أسكيا إسحاق طلب الصلح على أن يؤدي للمنصور مائة خديم، فأبلغ جوذر ذلك إلى المنصور الذي عزله بمحمود زرقون. وجرت معركة ثانية بين هذا القائد وأسكيا إسحاق وراء النيجر في مكان يدعي زَرْزَنْ في 25 ذي الحجة عام 999 / 14 اكتوبر 1591 فانهزم إسحاق وفر موغلا في الجنوب، وتعقبه محمود زرقون إلى أن وصل إلى كوكيا العاصمة القديمة لدولة سنغاي. ولم يلبث القواد المهزومون أن عزلوا أسكيا إسحاق أوائل محرم عام 1000 اكتوبر 1591. وولوا مكانه أسكيا محمد كاغ، لكن هذا لم يمكث سوى أربعين يوماً حتى ألقى عليه القبض محمود زرقون ونحّاه عن السلطنة. أما أسكيا إسحاق فضاقت به السبل والتجأ إلى تَنْفَني عند خصوصه كُرم الوثنيين، فقتلوه في جمادى الآخيرة عام 1000 / مارس ـ أبريل 1592.

ع.الفشتالي، *مناهل الصفا*، ص 136 ـ 139 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان*، البابان العشرون والواحد والعشرون ؛ م . الإفراني ، *نزهة* ؛ م. كعت، *تذكرة النسيان* ؛ أ.الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. زيادية، *مملكة سنغاي* ؛ م. الغربي، *موريطانيا ومشاغل المغرب الإفريقية*، *بداية الحكم المغربي في السودان الغربي*.

محمد حجي

اسكيرج ← سكيرج

الإسلام، ـ في المغرب ـ . المراد بالإسلام في المغرب الكلام على حياته وقيامه في هذا الجناح الغربي من العالم

الإسلامي المسمى بالمغرب الأقصى لبعده عن بلاد المشرق، موطن تنزل الإسلام، ومبعث نبيه عليه السلام.

وقد دخل الإسلام رسميا إلى المغرب، مع عقبة بن نافع عام 62 للهجرة عندما ولاه يزيد بن معاوية على الشمال الإفريقي الذي كان قد فتح من قبل، وهي ولايته الثانية التي بنى فيها مدينة القيروان، وجعلها عاصمة المغرب الكبير، ومنها زحف إلى المغرب ومضى يحتل مواقعه، الواحد بعد الآخر، من طنجة إلى سوس، واستنزل كبراءه وزعماءه على طاعته والدخول في دولة الخلافة الإسلامية تبعية وحكما... وهذا لا يعني أن المغرب لم يعرف الإسلام إلا في هذا التاريخ، فمن غير المعقول أن يصل الفاتحون الأولون إلى المغرب الأدنى ثم إلى المغرب الأوسط أعني تونس والجزائر في خلافة عثمان (ض) وولاية عمرو بن العاص على مصر، ولايكون لذلك صدى في المغرب الأقصى ولا اهتمام بهذا الحدث الكبير وتطلع إلى ما أتى به أولئك الفاتحون من ملة ودين، ورغبة في اعتناقه واستعداد لقبوله... وفعلا فقد جاء في *كتاب الجمان في أخبار الزمان* للشطيبي أن نفرا من البربر قدموا على عمر (ض) بالمدينة بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص فسألهم من هم وما الذي جاء بهم؟ فقالوا نحن أبناء مازيغ، وهو الاسم الذي يعرف البربر به أنفسهم، وجئنا رغبة في الإسلام الدين الحق الذي أوصانا به آباؤنا وأجدادنا، فعجب عمر منهم، والحكايات من هذا القبيل تدور على الألسنة كثيرا، والشطيبي ما سجل إلا ما سمع أو رأى في بعض المراجع التي لم تصلنا.

وبعد أن أنهى عقبة فتح المغرب عطف على ساحل البحر المحيط، وفي مدينة أسفي وقف وقفة تأمل بشاطئها وأدخل قوائم فرسه في الماء وقال : "اللهم اشهد أني بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت أقاتل في سبيلك حتى لا يعبد في الأرض أحد سواك".

وكان سكان المغرب آنذاك ليسوا على دين، إلا القليل منهم كانوا على المجوسية، وما يزعمه بعض المؤرخين الأجانب من أنهم كانوا على المسيحية لم يصح ونعني بالمغرب هنا المغرب الأقصى. ويمكن أن يقال إنه كان لليهود وجود في المغرب، وخاصة في بعض القبائل التي يأتي ذمها في الشعر بأصلها اليهودي. نعم كان يوليان الغماري والي سبتة وطنجة مسيحيا ولكنه خضع لعقبة وأظهر الطاعة للحكم الإسلامي وبه انتهت السيطرة المسيحية على المغرب التي كان يوليان يستمدها من ملوك القوط الإسبانيين.

وبعد عقبة توالى على تدبير شؤون المغرب العربي ولاة متعددون طوال العهد الأموي ثم من العهد العباسي إلى أيام هارون الرشيد، والإسلام يهيمن على البلاد، ومدينة القيروان التي بناها عقبة هي العاصمة التي يستقر بها الولاة العامون ويبعثون منها نوابا عنهم وقوادا يشرفون على الحكم والإدارة وحفظ الأمن، ولكن هذا لم يمنع من ظهور بعض الحركات المناوئة للنظام العام كالشيعة والخوارج وهما من المذاهب السياسية الواردة من المشرق، إذ كان للخوارج والشيعة هناك تنظيمات قوية، طالما واجهوا بها الخلافتين الأموية والعباسية ونشبت بينهما وبين الدولة حروب ومصادمات كان أتباعها يتسربون إلى المغرب عند انهزامهم محاولين بذلك إيجاد أنصار وإقامة عصبية مغربية يستندون إليها في توثباتهم على الخلفاء، وقد بلغ الأمر إلى تأسيس دولة خارجية صُفرية بسجلماسة وهي دولة بني مدرار التي استمرت إلى أوائل القرن الرابع، حين قيام دولة الفاطميين الشيعية. وإلى هذه النحل التي ينتمي أهلها إلى الإسلام، كانت تظهر بعض المذاهب الضالة المناهضة للدعوة الإسلامية من الأساس كالبرغواطية، وهي دين انتحله صالح بن طريف الذي ادعى النبوة بتامسنا من المغرب الأقصى على ساحل المحيط فيما بين سلا وأسفي، وبرغواطة بطن من المصامدة، وكان صالح هذا من أهل العلم والخير كما قال ابن خلدون : " ثم انسلخ من آيات الله وشرع لأتباعه الديانة التي عرفت به، وهي تشتمل على مخرقات تضاد تعاليم الإسلام وتمسخ تشريعاته من صلاة وصيام وغيرهما ووضع لهم قرآنا زعم أنه وحي نزل عليه وقال إنه صالح المومنين المذكور في *القرآن* "(6/207) واستمرت هذه الضلالة منتشرة في المغرب إلى قيام الدولة الإدريسية التي قاتلت أصحابها ولم تنقرض إلا في أيام المرابطين الذين قضوا عليها نهائيا.

ولعل هذه البدع والضلالات هي التي عنى ابن أبي زيد القيرواني بمقولته الشهيرة :"ارتدت البربر اثنتى عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر إسلامهم حتى عبر موسى بن نصير البحر إلى الأندلس وأجاز معه كثيرا من رجالات البربر برسم الجهاد فاستقروا هنالك، فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه وتناسوا الردة" وما ينبغي أن يحمل عليه هذا الكلام هو الردة الجهوية والجُزئية التي لم تعم البلاد كلها، وأنها لا تختص بالمَغرب الأقصى، لاسيما وان ابن أبي زيد كان من أهل القيروان فهو إنما يتحدث عن إقليمه وجُوار مدينته، ثم إن ذلك كان قبل ولاية عمر ابن عبد العزيز للخلافة، لأنا نجده قد بعث للمغرب عشرة من فقهاء التابعين لتعليم المغاربة وتفقيههم في دينهم حين بلغه صدى هذا الارتداد مع ما يعلم من أن الولاة مشتغلون بتأمين البلاد وتوطيد أركان الدولة، فربما كانت هناك نواح لم تصلها الدعوة ولم تتفهم رسالة الإسلام، فمن السهل على أهلها أن يراجعوا جاهليتهم ويتمسكوا بمظاهر الوثنية التي كانوا عليها. ويؤيد ذلك قوله إنه لما عبر موسى بن نصير البحر إلى الأندلس استقر الإسلام بالمغرب وتناسوا الردة. وإذا كان هذا في المغرب الذي هو أقصى نقطة فى هذه الأرض المفتوحة فبالأحرى أن يكون المغرب الأدنى والأوسط قد استقر الإسلام فيهما قبل ذلك.

ونحن نعلم أن حملة طارق بن زياد مولى ابن نصير على الأندلس كانت تتكون من اثنى عشر ألف مقاتل أغلبيتهم من المغاربة، ولم يكن بينها وبين فتح المغرب الأقصى إلا

نحو ثلاثين سنة، وهي مدة قليلة بالنظر إلى استقطاب هذا العدد الكبير من المسلمين المغاربة الذين فتحوا الأندلس ومكنوا فيها للإسلام مما يجعلنا نعتقد أن الإسلام توطد في المغرب بعد فتح عقبة وصار هو الدين الغالب على أهله، ولاسيما مع ما قدمناه من أن المغاربة لم يكونوا في غيبة عن زحف الإسلام على المغربين المجاورين الأوسط والأدنى ولا بد أن الكثيرين منهم دخلوا فيه تلقائيا بحكم الاحتكاك القبَلي والجِوار.

نخلص من هذا إلى أن الإسلام غطى الشمال الإفريقي بجميع أقطاره حتى آخر نقطة فيه بسوس، في القرن الاول الهجري، فماذا عن المذهب الذي كان متبعا من أهله ؟

جاء في *الاستقصا* (1 : 60) كان المغاربة في صدر الإسلام على مذهب جمهور السلف من الأمة واعتقادهم وهو المذهب الحق... وهذا طبيعي إذ لم تتقرر المذاهب المعروفة حينذاك ولا كان هناك أتباع لغير بعض النزعات السياسية من شيعية وخروج على ما ألمعنا إليه سابقا. وفي أيام الخلافة العباسية أخذ المغاربة بمذهب أهل العراق في الأصول والفروع لأن ذلك المذهب يومئذ هو مذهب الخلفاء بالمشرق والناس على قدم إمامهم. واستشهد الناصري بقول القاضي عياض في *المدارك* :"ظهر مذهب أبي حنيفة بإفريقية (تونس وما والاها) ظهورا كثيرا إلى قرب أربع مائة سنة فانقطع منها ودخل منه شيء إلى ما وراءها من المغرب قديما بمدينة فاس والأندلس، وكذا ظهر بالأندلس مذهب الإمام الاوزاعي فقيه أهل الشام، وكان ذلك عند قيام الخلافة الأموية بها، ولا شك أنه تسرب أيضا إلى المغرب، ثم تحول الأندلسيون والمغاربة إلى مذهب الإمام مالك أولاً على يد بعض الفقهاء من أتباعه كأسد بن الفرات وسحنون من الأفارقة وزياد بن عبد الرحمان المعروف بشبطون الذي كان أول من أدخل كتاب *الموطأ* إلى المغرب والأندلس وأخذه عنه يحيى بن يحيى الليثي الطنجي إلا أبوابا، منه فرحل إلى المدينة وسمعه كاملا من الإمام مالك ورجع وحدث به الناس، وكان بمنزلة كريمة عند السلطان فكان يستشيره في ولاية القضاء فيشير عليه بقضاء من تلامذته وأتباع المذهب المالكي فتوطد هذا المذهب حينئذ في الأندلس واختفى ما سواه.

أما في المغرب الأقصى فعند قيام الدولة الإدريسية به، وبناء إدريس الثاني لمدينة فاس وتنظيمه لمصالح الدولة، كان يعين في مناصبها فقهاء من أتباع المذهب المالكي في الوزارة والقضاء وغيرهما، وكان الأدارسة في أصلهم من الحجاز، ومالك هو فقيه الحجاز وعالم المدينة، وناصر الدعوة العلوية على الدولة العباسية، وبسبب هذه المناصرة امتحن وضرب من أجل قوله بأن طلاق المكره لا يجوز، وهو يعني بذلك أن البيعة بالإكراه باطلة وهي التي قامت عليها الخلافة العباسية أولا، فكانت هذه الدواعي مجتمعة باعثة على انتشار المذهب المالكي بالمغرب واعتماد الدولة له وقطع النظر عن غيره.

واستمر الأمر على هذا الاتجاه في الأصول والفروع إلى قيام الدولة الموحدية التي أنشأها المهدي بن تومرت في القرن السادس الهجري، وكان قد رحل في طلب العلم إلى المشرق ووافق انتشار المذهب الأشعري في العقيدة واعتناق أئمة من أهل العلم له والدفاع عنه كالغزالي والطرطوشي وابن فورك وتلك الطبقة، فتلقاه عن أهله وتمذهب به، وعاد إلى المغرب ولما أنشأ دولته كان قد اتخذ شعارا لها الطعن في دولة المرابطين ووصفهم بالتجسيم اذ كانوا على مذهب السلف من عدم تأويل المتشابه من النصوص القرآنية والحديثية كالوجه واليد والعين والاستواء والنزول وما إلى ذلك، فيعتقدون اتصاف الباري بها ويفوضون في كيفيتها كما قال الإمام مالك لما سئل عن استواء الله على العرش كيف هو فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة. أما الأشاعرة فكانوا يقولون إن المراد بالوجه الذات وباليد القدرة وبالعين البصر وما إلى ذلك، فيؤولون، والتأويل عند السلف مرفوض لأنه يخرج النصوص عن مدلولها، وكان يسمي أصحابه بالموحدين ويسمي المرابطين بالمجسمين ويكفرهم لذلك، وحين تمت السيطرة للموحدين على المغرب حملوا الناس بالقوة على المذهب الأشعري وقربوا من التزمه ودعا إليه، فتحول المغرب حينئذ إلى هذا المذهب.

كما حاول الموحدون أن يحملوا الناس على الأخذ بمذهب أهل الحديث والإعراض عن مذهب مالك وأحرقوا كتب المالكية واعتسفوا في ذلك اعتسافا كبيرا (*المعجب* للمراكشي) ولكن هذا الأمر لم يتم، إذ رجع الناس إلى مذهب مالك ولاسيما عند قيام الدولة المرينية، وعادت كتب المذهب إلى الانتشار والتأليف فيه والاقتصار على دراسته في جامعة القرويين وغيرها إلى وقتنا هذا.

أما العقيدة الأشعرية فقد وقع التمسك بها والتأليف فيها من المغاربة ودراستها في المعاهد الدينية. وإن كان السلطان محمد بن عبدالله العلوي جنح إلى عقيدة السلف وكان يؤيدها ويدعو للرجوع إليها، وفي تآليفه كان يصف نفسه بالحنبلي عقيدة المالكي مذهبا، ولكن من أتى بعده من ملوك العلويين لم يأخذوا برأيه هذا وبقي الأمر على ما كان قبل وبعد.

والكلام على الإسلام في المغرب يدعونا للإشارة إلى ما كان للدولة المغربية من الحرص على شعائر الإسلام وإظهارها والحكم بشريعته والتزامها في الشؤون العامة والخاصة، ولا ننسى اليد البيضاء التي كانت للأدارسة في مقاومة ضلال البرغواطيين وللمرابطين في نشر الإسلام بالقارة الإفريقية وحماية الأندلس من السقوط في القرن الخامس الهجري، والحروب الطاحنة التي واجهوا بها الحملات الصليبية على مختلف الجبهات في المغرب كمعركة وادي المخازن وفي الأندلس كوقعة الزلاقة والأرك وغيرهما.

أما دور المعاهد الدينية وعلى رأسها جامعة القرويين

التي تعد اليوم أقدم جامعة في العالم، فإن جهود علمائها في نشر العلم ورفع رايته جعلتها كعبة القصاد من أقاصي البلاد. كان عدة علماء مغاربة من أساتذة جامعة القرويين وغيرها من المعاهد العلمية المغربية في مراكش وسبتة ينشرون العلم ويؤخذ عنهم بمثل ما كان علماء الأندلس يفعلون في المغرب، ومنهم يحيى بن يحيى الليثي راوي *موطأ* الإمام مالك مباشرة عن الإمام. والأمر بالنسبة إلى إفريقيا الغربية بالخصوص أكبر وأشهر، فبواسطة بعثاتها الطلابية إلى القرويين انتشر مذهب مالك فيها وعلوم العربية والخط المغربي وقراءة القرآن برواية ورش عن نافع.

وكذلك الطرق الصوفية التي نشأت في المغرب لها أتباع كثيرون في هذه الأقطار، وتقوم بربط علاقات متينة بين السكان هنا وهناك، وكثيرا ما تكون حافزا لتبادل الزيارات وشد الرحلة إلى مقامات أصحابها للتبرك وتجديد العهد. فالمغرب المسلم له دور رائد في القارة الإفريقية دينيا وعلميا وسياسيا كذلك، وهكذا لما ظهرت حركة المقاومة للاستعمار والمطالبة بالاستقلال في المغرب كان لها صدى بعيد في أقطار إفريقيا وارتجت شعوبها وتراخت العلاقة التي كانت تربطها بفرنسا وما كان يسمى بفرنسا وما وراء البحار، والوزارة المختصة به أصابها الوهن وانحلت تلقائيا، لأن المغرب وهو القدوة المتبعة فيها ثار على التبعية لفرنسا وضرب بعقد الحماية عرض الحائط، وكان استقلاله إيذانا باستقلال إفريقيا فتتابع الاعتراف بحرية تلك الشعوب. وخروجها من ربقة الرق التي ترزح تحتها زمانا طويلا.

ولا جدال في أن هذه الريادة الإسلامية التي يتمتع بها المغرب في الوسط الإفريقي، هي التي كانت تجلب له عدة مشاكل وتعرضه للمؤامرات التي ترمي إلى إضعافه وكسر شوكته والتقليل من مكانته الدولية، ففي المجال الديني كانت مؤامرة السياسة البربرية وما تهدف إليه من فصل البربر عن الحكم بالشريعة الإسلامية ومنع تعليم العربية في المدارس المنشأة بالأقاليم البربرية إنما يراد بها تقسيم المغرب إلى مناطق عربية وأخرى بربرية والتضريب بين العنصرين عملا بقاعدة فرق تسد، وقد كان التصميم الذي وضع لتلك السياسة يمهد لجعل البربر خاضعين للحكم الفرنسي المباشر ويحارب في نفس الوقت الدين الإسلامي ويعمل للقضاء عليه، وقد فوتت الحملة العارمة التي شنت على هذه السياسة وأفشلتها، فرصة لقيام حرب صليبية في القرن العشرين تشهرها فرنسا اللائيكية، وكان فشلها دليلا على أن الإسلام مهما كان الحال ما يزال يملأ الساحة برغم الاستعمار وسيطرته على إفريقيا.

وفي المجال الديني أيضا فشلت حملات التنصير التي كانت تعمل في كل مكان من مجاهل إفريقيا وتنفق بلا حساب على تكوين مراكز التبشير بالنصرانية مما يمولها به أغنياء أوروبا والمنشآت الإدارية والمالية في عواصم الغرب، مدعين أنهم يقومون بإنقاذ الوثنيين ونشر المسيحية بينهم، وهم لا يقصرون حركتهم على الوثنيين، ففي المغرب الرائد الإسلامي وموطن جامعة القرويين، كان لهم نشاط ملحوظ في المدن والقرى ومراكز في صميم بلاد البربر وجبال الأطلس يستضيفون فيها الطلبة ويمكنونهم من الإقامة بها للمطالعة والمذاكرة وتلقين العقيدة المسيحية والطعن في الإسلام، ولكن بعد الاستقلال تمكنت الحكومة المغربية من إغلاق هذه المراكز وطرد أصحابها إلى حيث لارجعة، وكان لهذا العمل أثره في خمود الحركة التنصيرية أو توقفها بالمرة، لاسيما لما ظهر أن أولئك القائمين بها كانوا يستغلون الإعانات المالية المتدفقة عليهم لأنفسهم ولمصالحهم الخاصة، فافتضحوا ونضبت موارد التبرعات.

وفي المجال السياسي عامل الاستعمار الأوروبي المغرب بما لم يعامل به أي قطر آخر، إذ قسم المغرب إلى ثلاث مناطق : منطقة تخضع لحماية فرنسا وهي المغرب الكبير الذي يضم عواصم فاس ومراكش والرباط التي يقيم بها الملك ولم تكن عاصمة من قبل، ومنطقة تخضع للحماية الإسبانية وهي تقع في الشمال وتشمل تطوان والعرائش والقصر الكبير وبلاد الريف إضافة إلى منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب في أقصى الجنوب. ومنطقة دولية وهي مدينة طنجة..

لقد تمكن المغرب والحمد لله من القضاء على هذه العوامل التي كادت تفضي إلى محو كيانه الدولي وإسدال الستار على وجوده السياسي، وفي ذلك إنهاء لدوره الحضاري وإطفاء لإشعاعه الإسلامي وما كان يقوم به في إفريقيا من ريادة علمية ودينية طالما سدت في وجه دعوات التغريب والتنصير الأبواب.

... والآن يحسم المغرب المستقل الموقف سواء في الميدان الروحي أو الزمني ويحصن المجتمع المسلم في القارة بإعلان الاسلام دينا رسميا للدولة والتزام مذهب أهل السنة والجماعة ومد يده الى مختلف البلاد الإسلامية معززا وحدتها وصحوتها بالمؤتمرات العامة التي دعا إليها، وبإنشاء المؤسسات العلمية والاقتصادية والاجتماعية ووضع القوانين والتشريعات لحمايتها وحسن استثمارها. وما المجلس الإسلامي الأعلى الذي يترأسه جلالة الملك بنفسه ويضم عدة مجالس إقليمية للعمل الدؤوب الدائم إلا واحد من هذه المؤسسات التي تعلق عليها أكبر الآمال بتوفيق الله عز وجل.

القاضي عياض، *المدارك*، ترجمة شبطون، ويحيى بن يحيى الليثي، وعبدالله بن أبي زيد ـ ط. بيروت ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، ط. مصر الأولى. ج. 2، ص 37 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*. ط. مصر، ص : 245 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، ط. فاس الحجرية ؛ ع. ابن خلدون، كتاب *العبر*، ج 6. ط. المصرية القديمة ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 51 .55 .50 . الطبعة الاولى، مصر.

عبد الله گنون

الإسلامي، عبدالحق بن سعيد بن محمد المكناسي،أبو محمد، فقيه مالكي متمكن أخذ الفقه بتلمسان عن عالميها الكبيرين أبي موسي وأبي زيد ابني الإمام، وتصدر لتدريسه في مسقط رأسه " وكان من أهل المعرفة والفصاحة قائما على كتاب ابن الحاجب ممتازاً به " (*الروض الهتون*). أخذ عنه لسان الدين بن الخطيب وأجازه. ولي قضاء مدينة مكناس وألّف كتباً منها : *الجازمة على الرسالة الحاكمة* لأبي بكر ابن العربي المعافري في الفتاوى، *والسيف الممدود في الرد على أحبار اليهود*، وقد طبع هذا الأخير على الحجر بفاس دون تاريخ. ويرد في بعض المصادر بعنوان مغاير قليلا : *الحسام المحدود في الرد على اليهود*.

توفي بعد عام 761 / 59 ـ 1360.

م.ابن غازي، *الروض الهتون* ؛ أ. باب السوداني، *نيل*، 185 ؛ إ.باشا البغدادي، *إيضاح المكنون*، 1 : 348 ـ 349 ؛ *هدية العارفين*، 1 : 502 ؛ ي. سركيس، *معجم المطبوعات*، 1272 ؛ ع. رضى كحالة، *معجم المؤلفين*، 5 : 91 ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *معجم المطبوعات المغربية*، 19.

الإسلامي يوسف بن عبد الله الروداني، كان هذا الرجل من أحبار اليهود فأسلم وحسن إسلامه، وألّف في منتصف القرن الحادى عشر/ 17 م كتابا في الرد على اليهود ومآخذهم على الإسلام سماه : *النور الباهر في نصرة الدين الطاهر*، ولم تكن عربيته سليمة فراجع الكتاب وهذّب أسلوبه قاضي تارودانت عبد الرحمان التمنارتي (ت حوالي 1060 / 1650).

ع.التمنارتي، *الفوائد الجمة*، مخطوط ؛ حجي، *الحركة الفكرية*،
محمد حجي

الإسلاميون ← البلديون

الأسلحة القديمة، إذا صنّفنا الأسلحة المغربية إلى أسلحة بيضاء وأخرى نارية فإننا نجد أن الأولى تتكون من الخناجر والسيوف في حين تتكون الثانية بالخصوص من البنادق.

تمكّن صناعة الأسلحة التقليدية المغربية من استنباط العناية التي وجهها الصناع التقليديون لفن الزخرفة عبر العصور. فبإلقاء نظرة تاريخية على تطور هذه الصناعة في المغرب، نجد أن المغاربة تمكنوا منذ القرن السادس عشر من إنتاج مدافع متطورة بعد أن كان البحث عن الأسلحة النارية يتم عن طريق الاستيراد من المدن الإيطالية على الخصوص (البندقية).

اشتهرت مدينة فاس بصناعة الدروع والخناجر والسيوف والقاذفات، وتطورت هذه الصناعة في أواخر القرن التاسع عشر حين أمر السلطان الحسن الأول بتشييد "ماكينة" لصنع الأسلحة وإصلاحها بفاس الجديد قرب قصره، مكّنت من إنتاج بنادق ذات مؤخرات خشبية مرصعة بالأصداف عُرفت ببنادق الشمال، وسيوف ذات أغماد مرصعة بالفولاذ ومزودة بثلاث عارضات منحنية جهة الشفرة.

أ ـ الأسلحة البيضاء : الخناجر، بإمعان النظر في الخناجر رغم تشابهها نستطيع إدراك الفرق الذي يطرأ على أصنافها وهي " السُّبُولَة"، "الكُمِّية" و"الخنْجر".

" فالسبولة " خاصة المصنوعة بمنطقَة الريف أو جبال الأطلس المتوسط تُعرف باستقامة شفرتها ورقتها، كما تعرف في مكناس بشفرتها العريضة والقصيرة.

أما سبولة جهة دمنات فتتغير شيئا مّا لتصير ذات شفرة مقوسة ومقبض مصنوع من العظم أو الخشب، قد يصنع في بعض الأحيان من العاج أومن قرن وحيد القرن، كما تزين بغمد فضي مرصع بالأحجار الكريمة.

أما الكُمِّية، فتنتشر صناعتها في جنوب المغرب خاصة مناطق الأطلس الكبير والصغير ومنطقة سوس، باعتبارها زينة رجالية يتفنن الصانعون في تحلية مقبضها وغمدها بالنحاس المنقوش بسبائك فضية أو ذهبية تزيّن بالأحجار الكريمة كالزمرد، كما يعمدون لتزيين الوجه الخارجي للغمد بنسبة أكثر من الوجه الداخلي.

هذا ويمكن التمييز بين العديد من أصناف الكميات

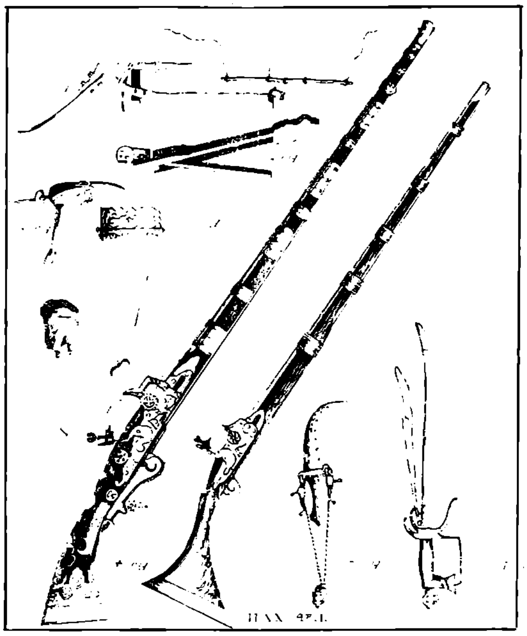

أسلحة مغربية من القرن الثامن عشر
(عن كتاب Hösl)

فهناك النوع الذي كان منتشراً في منطقة إغْرم ووادي نفيس والمعروف بمؤخّر مقبضه الذي يشبه "قبعة الدركي" الذي قد يزين بأحجار كريمة وبغمده ذي المسامير الفضية الذي يغير شكل وسطه، فيستبدل بحجر كريم أو كتابة منقوشة لآية قرآنية مثلا.

أما النوع الثاني من الكميات فهو ذاك النوع الذي عرف في منطقة الأطلس الكبير الغربي، وبالضبط عند قبائل مسفيوة وتوگانا، وهو صنف أطول من سابقه يتوفر

غمده الشديد الانحناء على حلقات كبيرة تُستعمل لتعليقه، وكذا على زر كبير في مؤخرته.

ويتميز النوع الثالث المنتشر في الجهة الشرقية والجنوبية للمناطق الآنفة الذكر خاصة عند الأگلاويين والغجداميين ومنطقة ورزازات بشكله الدقيق والقصير، كما يزين غمده بصفائح نحاسية محلاة برصائع فضية. ورغم قلة أهمية هذا النوع، فإن دقة صنعه تُكسبه تفوقا عن باقي الكميات .

الخنجر، يختلف الخنجر عن الكمية ابتداءً من غمده المركب من قطعتين خشبيتين مغلّفتين إما بالجلد أو الحرير أو القطيفة، ومن قبضته الكبيرة التي تحلى بترصيعات فضية دقيقة.

السيف، كانت صناعة السيوف في المغرب منتشرة في فاس وتطوان ومكناس ومراكش وكذا جنوب المغرب، وتعرف السيوف المغربية بقبضتها المصنوعة من الخشب أو من قرن وحيد القرن، هذه القبضة تكون غالبا ذات عوارض ثلاث منحنية جهة الشفرة.

أما غمد السيوف المغربية فغالبا ما يكون مصنوعا من الفضة المرصعة أو من الخشب المغشى بالقطيفة والفضة أو بالجلد فقط. هذا حتى زمن قريب، كان المغربي فخوراً بحمله لكمية أو سيف فوق الجلباب مربوط بضفيرة حريرية تدعى "الحراف" وكانت هذه العادة تعبر عن الرجولة، إذ كان أول ما يقتنيه الشاب هو الكمية التي كانت تعد لازمة للظهور في حفلات الزواج، ونفس التصرف تبديه النساء في أحزمتهن، إذ الحزام كان رمزاً للأنوثة.

ب . الأسلحة النارية : البنادق، يميز في المغرب بين ثلاثة أنواع من البنادق :

بندقية الشمال، وهي المعروفة في مجموع البلاد، وخاصة في المناطق الشمالية، بمؤخرتها الخشبية السميكة التي قد تحلى ببعض الترصيعات والكتابات.

بندقية إداوْلتيت (الأطلس الصغير) المعروفة في جنوب المغرب ذات المؤخرة الخفيفة التي تكاد تكون أسطوانية الشكل والمتميزة بدقة صنعها، إذ ترصع بالعاج أو العظام أو الصدف وتزين بالفضة المنقوشة أو المطلية.

وأخيرا، البندقية المصنوعة في جنوب المغرب ذات المؤخرة العريضة المغلفة في أغلب الأحيان بسبائك من الفضة المرصعة بالعاج، كما ترتبط بين الفوهة والخشب حلقات فضية مزخرفة.

هذا ولم تكتف صناعة الأسلحة في المغرب بما سبق ذكره، بل تعدتها لصناعة المسدسات والمدافع . وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى القطعة النادرة التي يحتضنها متحف الأسلحة بفاس، وهي مدفع طوله خمسة أمتار، يزن حوالي عشرة أطنان، نقش عليه اسم صانعه الحاج أحمد الغمقي واسم السلطان الذي أمر بصنعه وهو "أمير المومنين أبو محمد عبد الله الغالب بالله" وكذا تاريخ صنعه 978 / 1570.

أخيرا يمكن القول إن الأسلحة المغربية رغم اهتمام المختصين بها، فهي لازالت مجهولة عند عامة الناس، مع أنها تعكس جانبا من التنوع الإقليمي للبلاد ووحدتها العميقة.

علي أمهان

إسْلي - جغرافيا - أحد المجاري المائية بالمغرب الشرقي، يصرف سلسلة جرادة التي تشرف على مدينة وجدة، وسهل أنگاد، قبل أن يتصل بنهر تافنا، أحد المجاري الكبرى في الناحية الوهرانية. ويتم هذا الالتقاء مباشرة شرق الحدود المغربية - الجزائرية . وبذلك يكون إسلي النهر الكبير الوحيد في المغرب الشرقي الذي لايدخل ضمن حوض تصريف ملوية. أما موارده المائية التي يمد بها حوض تافنا فهي هزيلة إذا اعتبرنا أنه يفقد جل مياهه عند اجتيازه لسهل أنگاد، جزء منها يستعمل للسقي والباقي يضيع بسبب قوة التبخر.

صبيب إسلي المعدل، حوالي 0،80 متر مكعب في الثانية، وذلك بمحطة گنفودة قبيل مخرجه من السلسلة الجبلية. لكن النظام الجرياني يمتاز بشدة التغير. فصبيب الشح ينزل إلى 0،12 م 3، بينما يرتفع الصبيب خلال الفيضانات ليتعدى معدل الفيض والذي يقدر بستمائة متر مكعب في الثانية. ذلك أنه سجلت في شهر ماي 1963 قياسات ظرفية واستثنائية اقتربت من 1100 م 3 /ث. هذه التغايرية الحادة تدل على أن الموارد الأساسية للجريان، أصلها التهاطلات، ومعدل هاته 300 مم في السهل و50 في الجبل. وهي أمطار ميزتها الأساسية عدم الانتظام من سنة إلى أخرى ومن فصل لآخر، تنزل خصوصا على شكل رخات عنيفة. كما أن نوعية الحوض تفسر هذه التغايرية في الصبيب. فهو حوض متراص، متشعب الروافد لكن مع تناسب في امتداد كل منها. لذا فالمحور الرئيسي يتلقى مياه كل الروافد في وقت وجيز، ليرتفع صبيبه بسرعة وبنسبة فائقة. ويتدخل أخيراً التركيب الصخارى والبنيوي لمجال التصريف ليفسر عدم الانتظام في الجريان. فالظهورات الكربوناتية السميكة محدودة الامتداد، وبالتالي يتضاءل دور العيون في تزويد النهر بالمياه، بينما الظهورات الأولية غير المنفذة واسعة.

ينطلق المجرى المحوري لإسلي من السفح الشمالي لمحدب جرادة الذي تبرز فيه القاعدة القديمة الشستية لعهد الفحمي. ثم يقطع مجموعة من الأحواض المفرغة والأعراف البارزة، مشكلاً وادياً ممتدا عند اجتيازه للأُولى، وخانقا ضيقا عند قطعة للثانية. ويتلقى بعض روافده من الهضاب الكلسحثية الجوراسية المكونة للمرتفعات الانكسارية الممتدة جوار الحدود مع الجزائر، وعلى مقربة من مخرجه من الجبل، غرب عرف متسيلة، يتعمق وسط طفوح بركانية تنتمي لنهاية الثلاثي، بعضها يتبع مجراه وسط السهل مما

يدل على قدم هذا الوادي. في سهل بني وكيل تستعمل جل مياه إسلي لسقي قطاعات ري، ممتدة علي الضفتين، انطلاقاً من قنوات عصرية مشيدة عند سافلة سدود صغيرة. وهكذا يصل إسلي ناحية وجدة وقد فقد جل مياهه، ولم يصر جريانه متيسراً إلا في أوقات الفيض، أي على إثر حدوث التهاطلات الحادة والمستمرة. وشمال وجدة، يحمل إسلي اسم واد بونعيم، ويصبح المصب الرئيسي للفائض من مياه الفرشة الباطنية. لكنه يبقى مجرى مؤقتا حتى وصوله إلى الحدود مع الجزائر حيث يتحول من جديد إلى مجرى دائم، وفي نفس الوقت متعمق، يحمل اسم واد مويلح.

عبد الله العوينة

إسلي، ـ تاريخ ـ اسم بسيط قرب مدينة وجدة، دخل التاريخ واشتهر اسمه فيه، مثلما اشتهر اسم "الخزيرات" جنوب إسبانيا، لاقترانه بحدث عسكري كما اقترنت الخزيرات بحدث سياسيّ (المؤتمر) فاشتهر الحدث بالمكان واشتهر المكان بالحدث. ولابد من التمييز هنا بين ثلاث مسميات : إسلي الوادي، وإسلي المنطقة، وإسلي المعركة.

أ ـ إسلي الوادي. يمر وادي إسلي قرب مدينة وجدة شمال شرق المغرب الأقصى، على الحدود المغربية الجزائرية، فهو يطوق وجدة من جهة الغرب والشمال فالشمال الشرقي، حيث يمر في هذا الجزء بمنطقة سهلية تقريبا، بينما يدخل في منطقة متموجة شمال مغنية وشرقها، إلى أن يتصل بوادي تافنا شرقا قرب تلمسان. ومجراه بالمنطقة السهلية الغربية غير عميق، بل يكاد يكون مستويا مع السطح. وهيدروغرافيا فإن مجراه ناشف في هذا المقطع الغربي خلال معظم الأوقات باستثناء وقت نزول المطر.

ورغم قصر طوله فمجراه يحمل أسماء متعددة، بحسب الروافد التي تصب فيه، أو بحسب الأماكن التي يمر بها : فهو واد (إسلي) حول وجدة، وواد (بورايا) حول مغنية. وأما شمال شرق مغنية فهو وادي (المويلح) الذي سجل اسمه في وثائق المفاوضات التي دارت بين الإدارة العسكرية المغربية والإدارة العسكرية الفرنسية قرب الحدود قبل معركة إسلي ببضعة أسابيع.

تتصل بإسلي كذلك عدة روافد صغيرة على ضفتيه اليمنى واليسرى، عبارة عن مسيلات ناشفة في معظم الأحيان، بحيث لاتجري إلا في موسم الأمطار، أهمها وادي (كيس)، الذي قررت فرنسا أن تسير الحدود مع مجراه حتى مصبه في البحر المتوسط قرب قرية السعيدية، ورغم قصر هذا الوادي فإن مجراه الداخلي يحمل اسم واد كيس، ومجراه الساحلي عند مصبه في البحر المتوسط يحمل إسم واد (عجرود)، وقد ورد الاسمان معًا في اتفاقية مغنية للحدود سنة 1845 م. وهكذا يتضح أنّ إسلي (الوادي) بكل أسمائه وفروعه، دخل في الاستراتيجية العسكرية والسياسية الفرنسية، ومن ثم دخل التاريخ.

ب ـ إسلي المنطقة. يمر وادي إسلي عبر منطقة تاريخية جد مهمة، هي منطقة الشريط المعتدل الواقع بين الصحراء جهة الجنوب والبحر المتوسط جهة الشمال. ولكونه محصوراً بين الصحراء والبحر، فقد أصبح هذا الشريط بمثابة قنطرة للعبور من جهة الشرق إلى جهة الغرب، أو العكس، وظل عبر التاريخ، وحتى الآن، يمثل الممر الأساسي الذي يربط بين المغرب الأقصى، والجهات الشرقية من بقية المغرب أو المشرق. وعبر هذا الممر (القنطرة)؛ مرت المجموعات البشرية التي توجهت نحو المغرب الأقصى، أو منه نحو بقية بلدان المغرب والمشرق، فمن هذا الممر عبرت مجموعات السلم والحرب : الفينيقيون، والرومان، والوندال، والبزنطيون، والفاتحون المسلمون نحو المغرب والأندلس، ومنه دخل الأتراك، ومنه عبر الفرنسيون من الجزائر الى المغرب الأقصى بعد ما فتحوا بابه بالقوة في موقعة إسلي. فإسلي اذن يقع ضمن المدخل الاستراتيجي التاريخي للمغرب لذلك شهد معارك كثيرة في التاريخ.

ج ـ إسلي المعركة. هناك ثلاث معارك في تاريخ المغرب تحمل كلها اسم معركة إسلي، اشتهرت من بينها معركة 1260 هـ / 1844 م لأنها أحدثت انقلابا حقيقيا في مجراه التاريخي. ونستعرض تعريفا بهذه المعارك حسب تسلسلها التاريخي.

1. معركة إسْلي التي دارت بين يعقوب بن عبد الحق المريني ويغمراسن بن زيان عام 670 هـ / 1272 م، وهي واحدة من المعارك التي قادها المرينيون، دفاعًا عن وحدة المغرب الكبير، ضد الانفصال الذي تزعمته إمارة بني عبد الواد الزيانية بتلمسان.

2 ـ معركة إسْلي التي دارت بين الجيش المغربي والجيش الفرنسي خلال 1260 هـ / 1844 م وهي التي اشتهرت بهذا الاسم في تاريخ المغرب، نظراً للتغييرات والعواقب التي ترتبت عنها. ورغم أن الأسباب العامة لهذه المعركة يختزلها مضمون واحد هو الخلفية الاستعمارية، إلا أن داخل هذا المضمون، يمكن تحديد أسباب منهجية مباشرة تتلخص كما يلي :

ـ اهتمام فرنسا الكبير بتوقيف العمل بعقيدتي الوحدة والجهاد في الموقف المغربي : لأن الاحتلال الفرنسي للجزائر عمل على إبعاد السلطة التركية، كما جعل الشعب الجزائري يتجه نحو سلطان المغرب ويبايعه، فجسدت هذه البيعة عقيدة الوحدة. وكونت هذه الوحدة قوة سياسية عسكرية أصبحت تهدد الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا، فظهر كأن الاحتلال الفرنسي للجزائر، مثّل حافزاً ايجابيا في تاريخ المغرب الكبير، مما جعل فرنسا ـ وهي التي وقفت ضد محاولة الأتراك لتوحيد المغرب الكبير في القرن السادس عشر الميلادي ـ وصرحت خلال محاصرتها لمدينة الجزائر سنة 1830 م، بأنها تنوب عن بلدان الجامعة الأوربية في تدمير وغزو مركز عقيدة الجهاد بالمغرب.. مما جعلها تهدد المغرب الأقصى إذا لم يسحب جيشه وإدارته من المغرب الأوسط،

ويلغي سلطان المغرب العمل بنص البيعة التي قدمها له الشعب الجزائري، ويتخلى عن الجزائر. وقد فشلت سفارة الضابط (أوڤراي Ouvrey) في نقل هذا التهديد أولا، لكن سفارة الضابط (شارل دومورناي Ch. de Morney) إلى مكناس (مارس 1832 م) حققت نتيجتها عندما تمكن من إرغام سلطان المغرب على سحب جيشه وإدارته من المغرب الأوسط، وحقق بذلك توقيف العمل بعقيدة الوحدة بين المغربين الأقصى والأوسط، وكان هذا أول تنازل مغربي تحت التهديد الفرنسي.

غير أن توقف العمل بعقيدة الوحدة أدى إلى ظهور العمل بعقيدة الجهاد، فالجهاد الذي تزعمه عبد القادر الجزائري، يرجع قيامه ودعمه إلى تدبير الإدارة المغربية، "فهذه الإدارة، قبل خروجها من غرب الجزائر سنة 1832 م، رشحت عبد القادر ابن محيي الدين، ودعمته لقيادة الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي" (كور : A. Cour : 41) "فعبدالقادر لا يمكن فصله عن المغرب، ولا يمكن دراسة حركته الجهادية، إلا في إطار الموقف المغربي من الاحتلال الفرنسي، ومن زاوية عقيدة الجهاد عند الشعب والسلطة المغربية"، (برنارد A. Bernard : 41).

وهكذا تبين لفرنسا أن توقيفها العمل بعقيدة الوحدة يعتبر سياسة فاشلة، إذا لم يتحقق معها توقيف العمل بعقيدة الجهاد ـ التي تحمل في بعدها عقيدة الوحدة أيضا ـ لما يترتب عن العمل بعقيدة الجهاد من نتائج خطيرة على الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا. وهذا ما جعلها تبعث بسفارة جديدة برآسة الضابط (دولارو De la Rue) إلى مكناس سنة 1836 م، حيث انتزع من السلطان المغربي اتفاقية تنص بنودها على توقيف العمل بعقيدة الجهاد : (التخلي عن عبدالقادر، والاعتراف بالسيطرة الفرنسية على الجزائر)، وتؤكد على احترام بنود اتفاقية 1832م. غير أن المغرب استمر في دعمه لعبد القادر، مما أكد لفرنسا أن توقيف العمل بعقيدة الجهاد لا يمكن تحقيقه عن طريق الاتفاقيات والضغوط الديبلوماسية، خصوصًا وأن سياسة الأرض المحروقة التي شرعت فيها فرنسا منذ 1840 ضد عبد القادر، حركت العلماء بالدعوة للجهاد من جديد، وأخذت القبائل تضغط على السلطان وتطلب منه السماح لها بالدخول إلى جانب حركة الجهاد الجزائرية. فقررت فرنسا أن تقوم بغزوة عسكرية قوية وحاسمة، ترغم المغاربة على التخلي عن عقيدة الجهاد، وتقنعهم بعجز القوة العسكرية التي يستندون إليها، كما ترغم العلماء على تغيير أحكامهم حول الجهاد، وتلطيفها، وبالتالي تغيير موقفهم من الغزو الفرنسي لبلدان المغرب.

ـ إرغام فرنسا للمغرب على نهج سياسة التنازلات في علاقته معها، كبعد سياسي لاحتوائه بالوسائل الديبلوماسية في النهاية : ففي الوقت الذي شرعت فرنسا في ممارسة سياسة الأرض المحروقة ضد عبدالقادر سنة 1840 م، تجاوز الجيش الفرنسي خط الحدود المغربية الجزائرية بوادي تافنا، وامتد إلى أسوار مدينة وجدة غربا على عمق 60 كلم داخل الأراضي المغربية وتركز ما بين 1842 ـ 1843 في حصني للامغنية، والغزوات، باعتبار أن الحصن الأول يوجد على أبواب وجدة، ويسمح بالدفاع عن تلمسان من موقع بعيد عنها، كما يسمح بمراقبة التحركات العسكرية بمنطقة وجدة حتى الخط المتصل بالمناطق المتصحرة نحو الجنوب. وباعتبار أن حصن الغزوات يوجد على البحر المتوسط، بحيث يراقب المنطقة الساحلية حتى مدينة مليلية غربا، ومدينة الجزائر شرقا.

فلما رفضت فرنسا التراجع عن التراب المغربي إلى وادي تافنا، تأكد للمغاربة بأن المغرب هو الهدف في السياسة الفرنسية بعد الجزائر، كما اكده العلامة التسولي (ت 1258 هـ / 1842 م) في رسالته المفتوحة إلى السلطان بقوله :"فأيقظوا أنفسكم من وسن الغفلة، فإنكم إن لم تستعدوا فهم لكم بصدد الاستعداد، والوقوف لكم بالمرصاد، ولاتتكلوا على ما يخبركم به ضعفاء العقول، من وفائهم باستمرار العهود، وعدم نقضهم للميثاق المعقود، فان ذلك كله مردود، إذ لاميثاق ولاعهد لأعداء الدين وأهل الفساد."، مما جعل السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام يرفض التنازل عن حصني مغنية والغزوات، فقررت فرنسا سحق جيشه في معركة حاسمة، لأن فرنسا أدركت أن مسلسل سياسة التنازلات في الموقف المغربي أصبح مهدداً، خصوصا في هذه الظروف بالذات التي أصبح فيها عبدالقادر لاجئا مع قوته داخل المغرب، مما جعلها تصرح لبريطانيا بأنها أصبحت في حاجة شديدة إلى معركة حاسمة وسريعة مع المغرب لإنهاء مشاكلها معه.

ـ الخلاف حول موقع الحدود : بمجرد ما تركزت فرنسا بحصني مغنية والغزوات، رفعت للمغرب مذكرة تطالبه فيها بتعيين الحدود معها غرب مغنية، فأجاب المغرب بأن الحدود معروفة بوادي تافنا منذ قرون، وبذلك توترت المشكلة بين البلدين، ونجحت فرنسا في خلقها كمشكلة تستطيع أن تتجاوز بها جميع الحقوق التي يمكن أن يواجهها بها المغرب، ففكرة الحدود في السياسة الفرنسية كانت تختزل مجموع الحقوق المغربية وتشطب عليها آليا : لأن الحدود الجديدة بوادي كيس غرب مغنية، تلغي تلقائيا مطالب المغرب بمغنية والغزوات، وتجعل الجيش الفرنسي بمغنية يرابط عند أبواب وجدة، بدل أن يكون الجيش المغربي بواد تافنا يرابط عند أبواب تلمسان. كما أن الاتفاق على الحدود يجعل عبدالقادر لاجئا عسكريا بالمغرب، ويجعل الدعم المغربي لعبدالقادر تعديا على السيادة الفرنسية بالجزائر. كما أن قانون الحدود يشطب آليا ونهائيا على حقوق بيعة الشعب الجزائري لسلطان المغرب، ويلغي العمل بعقيدة الوحدة بينهما، ويلغي كذلك حقوق العمل بعقيدة الجهاد، وبذلك تبين لفرنسا أن مشكل الحدود، مشكل استراتيجي هام جدا، باعتباره لاغياً لمجموعة هامة من العقائد والواجبات في الموقف المغربي تجاه فرنسا، ويظهر

أن السلطان المغربي أدرك خطورة الأبعاد السياسية التي ينطوي عليها مشكل الحدود، مما جعله في النهاية يرفض فكرة الحدود نهائيا، فاستغلت فرنسا هذا الرفض، وبه أقنعت بريطانيا بعداء المغرب لها، وتهديده لمصالحها، واستعداده للحرب ضدها، فوافقت بريطانيا على غزوه.

فعلا مع شروق يوم 14 غشت 1844 م، فاجأ الجيش الفرنسي برآسة المارشال بيجو Bugeaud، الجيش المغربي الذي كان يقوده الأمير سيدي محمد بن السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، ورغم أن عدد الجيش الفرنسي كان لايتجاوز ثلث الجيش المغربي، إلا أن التنظيم الذي كان عليه، والأسلحة المتطورة، والطرق العلمية التي مارسها في القتال، إلى جانب خطة المفاجأة، كل ذلك جعله يشتت الجيش المغربي ويحقق انتصاراً حاسمًا عليه في أقل من يوم واحد. ورغم الاعتبارات التقنية والتنظيمية التي كان عليها الفرنسيون، إلا أن رئيس الجيش المغربي في رسالته إلى (بيجو)، اعتبر خطة المفاجأة من الأسباب الحاسمة في انهزام جيشه، في حين اعتبرت المصادر المغربية الأسباب الفوضوية، المرتبطة بالانقسامية الطائفية (القبلية)، إلى جانب الأسلحة العتيقة، وطرق القتال التقليدية من أهم أسباب هذا الانهزام.

من نتائج معركة إسلي : أن المغرب أدرك بالممارسة لأول مرة التفوق التقني والعسكري الأوربي، وفشل هياكله العسكرية التقليدية وضعف جدواها، وأخذ يعيد النظر في المعطيات التقنية والتنظيمات العسكرية التقليدية، وبالتالي أخذ يفكر في الاقتباس من أوربا.

أما النتائج بالنسبة لفرنسا، فكانت أهم وأخطر، وتلخصها معاهدة طنجة (10 شتنبر 1844 م) واتفاقية مغنية (18 مارس 1845 م)، بحيث تختزل بنودهما جميع الحقوق والواجبات التي كانت للمغرب تجاه شقيقته الجزائر : فقد شطبت على حق العمل بعقيدة الوحدة، وحقوق البيعة، وحقوق العمل بعقيدة الجهاد، وألغت دور عبدالقادر كحركة جهادية، وألغت حقوق المغرب الترابية غرب وادي تافنا، وأعطت لفرنسا نوعا من السلطة والنفوذ على المغرب، وجعلت الحدود بوادي كيس على أبواب وجدة التي أصبحت تحت مراقبة الجيش الفرنسي، بحيث حققت معركة إسلي نتائج سياسية وترابية، إلى جانب البعد الإيديلوجي والحضاري لهذه النتائج السياسية، كما توضحها هذه الفقرة من رسالة الجنرال (دولارو) رئيس الوفد الفرنسي في مفاوضات الحدود بمغنية، كتبها إلى وزير الخارجية الفرنسي (گيزو) بتاريخ 22 ماي 1845، يقول فيها :".. يمكن أن نبتهج بالنتائج التي حققناها في هذه الاتفاقية : فقد استطعت أن أجر المفاوضيْن المغربييْن إلى حصن للامغنية ليكونوا تحت أفواه المدافع الفرنسية، حتى يوقعوا على اتفاقية تقسم لأول مرة في التاريخ ترابا إسلاميا، وأكثر من ذلك شعبا مسلمًا واحداً." (Faujas : 33)، هذا بالنسبة لأهم النتائج العاجلة.

أما نتائجها الآجلة فكانت أخطر، وقد ارتبط تحقيق هذه النتائج الآجلة بسياسة الحدود، ومعناها : أن فرنسا أصبحت تسخر الضغط العسكري على الحدود لتحقيق هدفين هما :

- التغلغل العسكري البطئ نحو الجنوب تجاه توات التي وصلتها في نهاية القرن التاسع عشر، وسيطرت عليها نهائيا في مطلع القرن العشرين (1902)، وبذلك ربطت بين مستعمراتها الشمالية في الجزائر، ومستعمراتها الجنوبية في السودان الغربي، وتمكنت بذلك من تطويق المغرب وتصغير حجمه، في إطار البعد الذي كانت تهدف اليه من هذا التصغير، وهو جعل المغرب حجما جيو - سياسيا صغيراً، ليكون قوة صغيرة، حتى لايعود إلى دوره التاريخي في الحوض الغربي للبحر المتوسط، أو تجاه السودان الغربي وغرب إفريقيا عموما.

- التغلغل السياسي والتجاري والمالي داخل المغرب، في إطار احتوائه النهائي نتيجة التنازلات التي كان يقدمها المخزن المغربي بسبب معاناته من الضغط العسكري على الحدود، كما جاء ذلك مفصلا في المذكرة التي بعثتها فرنسا إلى ألمانيا قبيل انعقاد مؤتمر الخزيرات سنة 1906 م. وهكذا نجد أن البعد السياسي لإِسْلِي يمتد إلى تاريخ عقد الحماية على المغرب سنة 1912 م. كما أنه في عمقه يتجاوز الأهداف الاقتصادية والاستراتيجية للحركة الاستعمارية، إلى الأهداف التاريخية والحضارية والإيديلوجية - التي لم تنته إلى الآن. - لهذه الأسباب كلها، تكون معركة إِسلي (1844 م) أكثر خطورة وشهرة في تاريخ المغرب من غيرها.

3 - إِسْلِي الثالثة. وهناك معركة ثالثة تحمل اسم (إسلي)، وقعت سنة 1859م، بين الجيش الفرنسي، وقبائل المغرب بدائرة وجدة، قادها أربعة ضباط تحت قيادة الجنرال (مارتيمبري Martimprey)، وشارك فيها 25.000 جندي فرنسي، أي حوالي ثلاثة أضعاف عدد الجيش الفرنسي المشارك في معركة 1844 م. ويرجع العنف الذي تميزت به هذه المعركة، إلى شعار الجهاد الذي رفعته القبائل المغربية، واستطاعت أن تحرك به مجموع قبائل المغرب الأوسط تقريبا ضد فرنسا، بحيث لو توفرت الزعامة الملائمة لتحقق تحت شعارالجهاد حلف من جميع قبائل شمال افريقيا، إلى درجة أن عدداً من القبائل الصحراوية شاركت في هذا الجهاد. كما يرجع عنفها إلى كونها تزامنت مع حرب تطوان (1859 - 1860 م).

انقسم الجيش الفرنسي في هذه المعركة إلى أربعة أقسام، وطوق دائرة وجدة من جميع الجهات ثم قام بمسح شامل لقبائل المنطقة انتهى فيه إلى موقع معركة إِسلي الشهيرة، حيث جمع في هذا الموقع مئات من رؤوس زعماء القبائل، بناها على شكل هرم، واحتفل عليها بذكرى معركة إسلي الشهيرة، وردد أشعاراً تمجد بطولة المارشال (بيجو). والعجب أن هذه المعركة رغم هولها، فإن المصادر المغربية لم تذكر عنها شيئا، وربما يرجع ذلك إلى طغيان

أحداث تطوان على الرأي العام المغربي، فلم تنتبه المصادر إلى ما كان يجري بمنطقة وجدة، خصوصا وأنها تزامنت مع وفاة السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام.

إدريس، *الابتسام*، مخطوط ؛ أ. الناصري : *الاستقصا* ـ الجزء التاسع ؛ م. المشرفي : *الحلل البهية*، مخطوط ؛ م. أكنسوس، الجيش العرمرم... الجزء الثاني ؛ ع. بن زيدان : *إتحاف*، الجزء الخامس ؛ ع. التسولي : *الجواب البسيط* ـ طبعة حجرية بفاس ـ الملزمة 8 ؛ أ. العماري : *مشكلة الحدود الشرقية*، رسالة السلك الثالث، كلية الآداب بالرباط ؛ *مجلة الوثائق* التي تصدرها مديرية الوثائق الملكية _ بالرباط العددان الاول والثاني. *وثائق مخطوطة تتعلق بإسلي* (50 وثيقة بالعربية والفرنسة) عن المكتبة الوطنية بباريس.

Anonyme, *La Bataille d'Isly*, Paris, 1844 ; G. Azan, *Bugeaud et l'Algérie*, [s. d] ; J. Hess, *La Question du Maroc*, Paris, 1903 ; M. Faugas, *La Frontière Algero-Marocaine*, Thèse, Grenoble, 1906 ; A. Bernard, *Les Confins Algero-Marocains* Paris, 1911 ; L. Voinot, *Le Developpement et les résultats de la crise de 1859 dans les confins algero-marocains*, Alger, 1918 ; *Oujda et l'Amalat*, Oran, 1912 ; Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique contemporaine*, Paris, 1964.

أحمد العماري

اسْلِيم بن اسْويدي بن عمر. من مواليد سنة 1926 بالساقيةَ الحمراء، انخرط في صفوف جيش التحرير منذ أوائل ماي 1956 إلى غاية 15 دجنبر 1957.

وشارك في عدة عمليات فدائية ضمن فرقة تيرش بالمقاطعة الثامنة تحت قيادة الهاشمي بن عثمان، وتابع كفاحه المسلح إلى أن استشهد في معركة العرگوب يوم 15 فبراير 1957 قرب واد الذهب.

وثائق المندوبية السامية للمقاومة وجيش التحرير.

عز الدين العلام

اسماتن ← **تطوان** (إقليم ـ)

اسْمَارَة، مدينة مغربية صحراوية أسسها الشيخ محمد المصطفى بن الشيخ محمد فاضل ولد مامين المعروف بالشيخ ماء العينين، وذلك في الوقت الذي كان يقوم مقام الخليفة السلطاني بالصحراء الغربية المغربية، حين اضطر إلى الاستقرار بناحية الساقية الحمراء ليتمكن من مقاومة الغزو الأجنبي الذي كان يقوم به الاسبانيون انطلاقا من الجزر الخالدات والفرنسيون انطلاقا من السنغال.

ـ صورة جوية لمدينة اسمارة في عهد الاستعمار

كان الشيخ ماء العينين قد اختار في أول الامر المكان الذي شيد فيه سنة 1288 / 1871 زاويته الأولى المعروفة بالدارالحمراء القريبة من ضريح الولي سيدي أحمد العروسي، غير أن عدم وجود الماء الصالح للشرب الكافي للعدد الهائل ممن استقر بجانب الشيخ هناك من المجاهدين والأتباع جعله يبحث عن مكان يوجد فيه بكثرة نبات الأسل المعروف عند المغاربة بـ " اسمارة" الذي لايوجد إلا بالأماكن ذات المياه الجوفية الغزيرة، فوجده بالقرب من واد سلوان أحد روافد الساقية الحمراء، حيث شرع في بناء المدينة التي أطلق عليها اسم "اسمارة" وذلك سنة 1316 / 1898.

شرع الشيخ في بناء مدينته اعتمادا على وسائله وامكانيته المحدودة، الشيء الذي جعله يشعر بأن العمل الذي أراد القيام به يفوق طاقته ويتطلب مساعدة ملك البلاد السلطان مولاي عبد العزيز، وهذا ماجعله يتوجه إلى عاصمة مراكش سنة 1317 / 1899، حيث منحه السلطان إعانة مالية مهمة وأمر بأن يزوَّد بكمية هائلة من معدات البناء وأدواته كانت ترسل اليه بحراً إلى ميناء طرفاية ومنها تنقل إلى اسمارة على متن 1200 جمل.

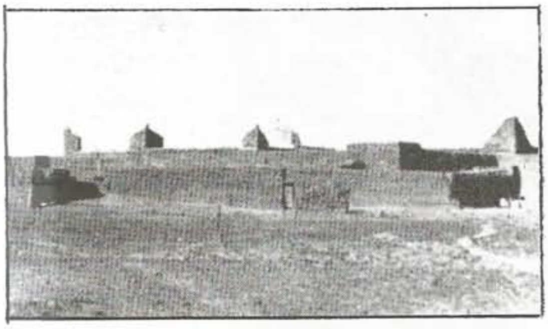

ـ سور مدينة اسمارة

تتفق جميع المصادر على أن البنائين الذين اعتمد عليهم الشيخ كان جلهم من مدن شمال المغرب مثل طنجة وتطوان وفاس مراكش، ورأسهم المعلم الحاج علي الوجدي والمعلم حماد بن علي الفاسي والمعلم الحسين الواد نوني والمعلم عبد القادر الفكيگي.

وفي السنة التالية (1318 / 1900) توجه الشيخ ماء العينين مرة أخرى إلى عاصمة مراكش حيث حصل على مزيد من الدعم المالي والمادي لإتمام بناء المدينة التي كلفته أكثر من عشر سنوات من العمل المستمر .

وأما القصبة الرئيسية فقد تم بناؤها في سنتين حيث جعلها الشيخ مقرا لسكناه وسكنى ذويه، وكانت تحتوي على عدة دور ومسجد وزاوية وحمّام وإصطبلات وكانت عبارة عن مربع يحيط به سور حصين طوله شمالا 54،67 متراً وشرقا 60،13 متراً وغربا 57،60 متراً.

وكان للقصبة خمسة أبواب تحمل الباب الرئيسية منها الواقعة بالجنوب اسم الهجن، والواقعة بالسور الشرقي

تسمى بباب الشرق، والواقعة بالسور الغربي تعرف بباب الساحل. واما السور الشمالي فقد كان به بابان هما الباب الكبير وباب الزاوية.

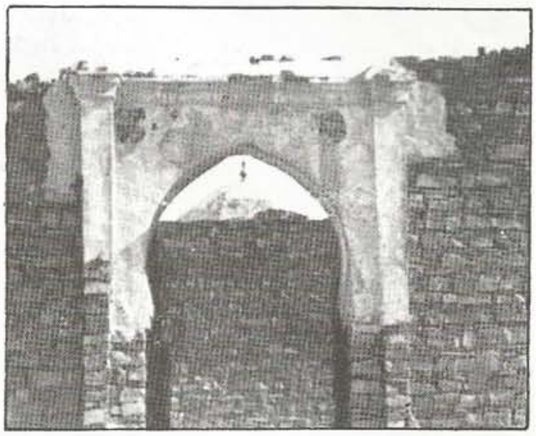

ـ الباب الرئيسي لاسمارة

وقد بُنِي خارج القصبة 28 دارا لسكنى أبناء الشيخ وأتباعه، وفندق كبير وسوق ومخازن عديدة، كل ذلك يوجد وصفه الدقيق عند دومينيش Domenech (ص 38.41) وطيراس Terrasse (ص 289 ـ 292).

كانت المدينة لازالت في طريق البناء عندما بدأ المجاهدون ينطلقون منها لمقاومة الغزو الفرنسي ـ الإسباني للصحراء الغربية، حيث تمكنوا من إرغام الإسبانيين على عدم مغادرة المركز الوحيد الذي استطاعوا احتلاله بشبه جزيرة الداخلة، كما تمكنوا من جعل حد للزحف الفرنسي بموريطانيا، وذلك على إثر اغتيال المتصرف الفرنسي كوبولاني Coppolani في الاشتباك الذي جري بينه وبين مجاهدي اسمارة يوم 12 ماي 1905.

وفي مدينة اسمارة استقر الامير مولاي ادريس عندما بعثه ابن عمه السلطان مولاي عبد العزيز إلى الصحراء سنة 1323 / 1905 من أجل تسليم ظهائر تعيين قواد جدد بالصحراء.

ـ قصبة اسمارة

وفي السنة التالية توجه الشيخ ماء العينين من جديد الى عاصمة فاس حيث استقبله السلطان وزوده هذه المرة بالمال والسلاح الذي مكن المجاهدين المنطلقين من اسمارة من هزم القوات الفرنسية بناحية المروان يوم 13 أبريل 1907 وبناحية الدمان يوم 5 أبريل 1908. وظل الشيخ ماء العينين بمدينة اسمارة إلى أن احتلت القوات الفرنسية برآسة الجنرال گورو Gouraud ناحية ايجيل في اكتوبر سنة 1909 حيث اضطر الشيخ إلى مغادرة مدينته متوجها إلى تزنيت حيث وافته المنية يوم 23 شوال 1328 / 28 أكتوبر 1910.

وبعد موت الشيخ انطلقت جماعة من المجاهدين من قبيلة الرگيبات من مدينة اسمارة فقضوا على كتيبة فرنسية بناحية البويرات يوم 2 يناير 1913، وكان رد فعل رئيس جيش الاحتلال الفرنسي لموريطانيا أنه أرسل كتيبة أخرى بقيادة الكولونيل موري Mouret الذي وصل إلى اسمارة يوم 28 فبراير من نفس السنة وقام بنسف القصبة وتحطيم جزء من سورها.

ومما يدل على أن اسمارة تعد مدينة فريدة من نوعها في الصحراء أنها كانت تتمتع بشهرة كبيرة في أوربا لدرجة أن شاعرا فرنسيا شابا اسمه ميشل فيوشانج Michel Vieuchange أراد زيارتها حيث غادر بلاده وتوجه إلى أگادير ومنها إلى اسمارة التي دخلها متنكرا في زي امرأة صحراوية في الساعة الثانية عشرة زوال يوم فاتح نوفمبر 1930 وغادرها في الساعة الثالثة مساء من نفس اليوم عائدا إلى اگادير حيث توفي يوم 30 من الشهر المذكور فتحققت أمنيته التي كان يعبر عنها بقوله :" مرحى بالموت بعد مشاهدة اسمارة".

ويبدو أن اسمارة ظلت مهجورة إلى أن احتلتها الكتيبة العسكرية الإسبانية التي كان يرأسها گاندارا Gandara يوم 15 يوليوز 1934، ولم يهتم الإسبانيون كثيراً بالمدينة طيلة مدة احتلالهم لها إلى أن عادت إلى حظيرة الوطن الأم يوم 26 فبراير 1976.

م. ابن عزوز حكيم، *السيادة المغربية بالأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية*، الدار البيضاء 1981.

Gatell, Joaquin - *Viajes por Marruecos, El Sus Uad Nun y Takna* - Memorias Sociedad Geografica de Madrid, y. I año 1977 ; Cervera, Julio - *Expedicion al Sahara : de Rio de Oro a Iyil* - Revista de Geografia Commercial Madrid t. II num. 25 - 30, julio - sept. 1886 ; Al-Moutabassir - *Ma El Ainin Ech Chenguity* - R. M. M, t I (1907) p. 343 - 351 ; Almonte, Enrique d'- *ensayo de una breve descripcion del Sahara Español* - Boletin Real Sociedad Geografica Madrid t. 56 (1914) p. 129 - 347 ; Marty, Paul - *Les Fedalia* - R. M. M t. 31 (1915 - 16) p. 135 - 219 ; La Chappelle, F. de - *Esquisse d'une histoire du Sahara Occidental* - Hesperis, t. 11 (1930) p. 35 - 95 ; Vieuchange, Michel - *Chez les dissidents du Sud Marocain et du Rio de Oro, Smara. Carnets de route.* Paris 1932 ; Mahmadou Ahmadou Ba -

A propos de Smara - A. F, 2 (fev. 1934) p. 95 - 97 ; Garcia Figueras, Tomas - *Santa Cruz de Mar Pequeña, Ifni, Sahara Madrid* 1941 ; Domenech Lafuente, Angel - *Algo sobre Rio de Oro* - Madrid 1946 ;Flores, Angel - *El Sahara Español* - Madrid 1946 ; Gobierno del Sahara - *Breve reseña historica del Territorio.* Ayun, 1949 ; Carnero, Ismael - *Vocabulario geografico Sahariano.* Madrid 1955 ; Caro Baroja, Julio - *Estudios Saharianos.* Madrid 1955 ; Gaudio, Attilio - *Sahara Espagnol. Fin d'un mythe colonial.* Rabat 1975 ; Terrasse, Henri - *Note sur les monuments de Smara.*

إسماعيل، أسرة تطوانية أصلها من الجزائر، ومن أفرادها نجد الفقيه أحمد بن محمد إسماعيل الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1190 / 1776 إلى سنة 1207 / 1793، كما نجد محمد قائد المخزنية بحامية تطوان الذي كان من بين الموقعين على وثيقة بيعة مولاي سعيد ابن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821. ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، عمدة الراوين ، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 299. 7 : 242. 259 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*. Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (I). *Vademecum de Intervenciones (ano 1931)* (I). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* (I).

ابن **إسماعيل، أحمد** بن سعيد. ولد سنة 1898 بدوار دولاسن ـ أيت النص أيت باعمران ـ دائرة إفني إقليم تزنيت. شارك في صفوف جيش التحرير حتى استشهد في معركة تبلكوكت وهو حامل سلاحه دفاعا عن حوزة الوطن في 23 / 11 / 1957، وهو اشتعال ثورة قبائل أيت باعمران للاستيلاء على المركز الإسباني بسيدي إفني حيث كانت تعسكر قواته.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 34.

عز الدين العلام

إسماعيل بن الشريف العلوي، إن كان المولى محمد بن الشريف هو الذي وضع الحجر الأساس للصرح العلوي وكان المولى الرشيد بن الشريف هو الذي مهد البلاد لإقامته، فإن الذي شيده وأرسى معالمه للأجيال هو السلطان الأعظم أبو النصر المولى إسماعيل بن الشريف، ثالث الإخوة الأمجاد الأفذاذ، الذي منه تنسل سلاطين الدولة إلى يومنا، فاستحق أن يضاف اسمه نعتاً لها فهي الدولة العلوية بالنسبة إلى الجد العربي، الإسماعيلية بالنسبة إلى الجد المغربي.

كان المولى إسماعيل أعظم رجالات دار الإسلام في عصره يعلو الجميع بما كان يتحلى به من بعد الهمة وخصال الأمير المسلم، وآية من عظمته أنه ما أن دخل التاريخ حتى تجاوزه إلى ميدان الأساطير بحيث باتت حركاته وسكناته لاتنقل إلا بصيغة الإجلال والإكبار وتهافت على بلاطه سفراء أوربا ومراسيلها واعتنوا بذكر أوصافه العامة ورسم ملامحه على طول عهده بما يخلص منه المؤرخ بصورة لاتخلو من الدقة. فلقد وصفه مويط Mouette الفرنسي الذي كان أسيرا لديه إلى سنة 1682 قائلا :"يبلغ المولى إسماعين (كذا) ملك فاس ومراكش وتافيلالت سبعا وثلاثين سنة وهو إلى الطول شيئا ما، رشيق القد بالرغم مما يبدو عليه من البدانة بسبب لباسه، لونه أسمر مفتوح ومحياه إلى الطول مليح التقاطيع وله لحية طويلة مفروقة ". ووصفه السفير الفرنسي دي سانتولون (Pidou de Saint-Olon) سنة 1693 قائلا: "إنه بين الثامنة والأربعين والخمسين من العمر، أسمر البشرة أسود الشعر بدا عليه الشيب، متوسط القامة مستطيل المحيا، غائر الوجنتين غائر العينين أسودهما، تبرق منهما النار، صغير الأنف أقنى الذقن في حدة، غليظ الشفتين جميل شكل الفم". وكان الأنجليزي "جون ويندس" John Windus كاتب السفارة البريطانية إلى مكناس سنة 1721 هو آخر من وصفه من الأوربيين، قال :"يناهز الأمبراطور السابعة والثمانين من العمر، لكنه مازال خفيف الحركة بالرغم من تقدم السن به، قامته متوسطة ومازالت ملامحه تحمل بقايا الحسن والدقة، ولاأثر فيها من أوصاف الزنوج وإن كانت والدته سمراء، له أنف أقنى ملحوظة بين حاجبيه بألطف صورة، ولقد سقطت جميع أسنانه وقصر تنفسه كأن رئتيه في حالة غير جيدة، فهو يسعل ويبصق بكثرة، لكن بصاقة لايصل أبداً إلى الأرض اذ يتلقفه في المناديل باستمرار رجال معدون لذلك، لحيته دقيقة شديدة البياض ويبدو أن عينيه كانتا متعودتين على إبراق النار، لكن شدة برقهما أصابها الفتور من جراء السنين وغارت بشكل مدهش [...] أما لباسه فلم يكن بمخالف على العموم لما يلبسه باشاواته في غير حضوره، قوامه حائك دقيق الصنع ورأسه معمم بعمامة مركبة من عدة دورات من الموصلي تغطي الجزء الأكبر من جبينه".مما يخرج منه المؤرخ بصورة رجل متوسط القامة بارق النظر، غير جسيم، شديد التوثب ممتلئ الشفتين عربي السحنة، صورة أحد أبناء الصحراء المغربية من جهة الأبوين حيث كانت والدته من بنات الأوداية، قبيلة الساقية الحمراء آنذاك، كان أبو حسون السملالي أهداها للمولى الشريف يوم كان مقيما لديه بالغلبة، ولقد نقل المؤرخون أنه وُلد سنة 1646 ميلادية، مما يدل على أنه كان لايتجاوز السادسة والعشرين من العمر يوم انعقدت له البيعة .

آراؤه السياسية : لم يَسْعَ المولى إسماعيل في الملك، لكن الفاجعة التي أودت بحياة أخيه السلطان المولى الرشيد ووقوع الإجماع على مبايعته دون الأمراء الآخرين، كانا أمرين يوحيان باتفاق مشيئة الخالق ورغبة المخلوق، بحيث أيقن المولى إسماعيل أن ما أنيط بعنقه من الأمانة الكبرى كان من المكاتيب وأن ما كتبه الله له من أسباب الملك لايمكن لأحد أن ينتزعه منه، ولما اطمأن كل الاطمئنان إلى

قدسية مهامه، فإن الرعية انقادت له بشكل من الطاعة لم يسبق له مثيل في تاريخ المغرب الكلاسيكي.لقد قال عنه الكاهن الفرنسي بوسنو Busnot : إنه لايستشير إلا مع نفسه [...] ولاينطق بما يختلج في صدره إلا بصيغة الأحكام المقررة وعندئذ ينحصر رأي تلك الحاشية في كلمتين : نعم سيدي". وكان المُلْكُ في القرن السابع عشر لا يتصوره الناس، بالمغرب وخارج المغرب، إلا بشكله المطلق، ولقد كان المولى إسماعيل ينوه بحكم لويس الرابع عشر الفرنسي، يستصغر حكم غيره من ملوك أوربا الذين كانوا لا يمارسون شؤون الحكم بأنفسهم، نقل السفير الفرنسي "دي سانتمان" عنه أنه قال: : في علمي أن إمبراطور فرنسا أعظم وأقوى إمبراطور في أوربا وأنه منفرد بحكم مملكته وأنه يقود جنوده بنفسه لمحاربة أعدائه وأنه يكون هو السباق إلى ساحة القتال، وفي علمي أن ملك إنجلترا على غير هذه السيرة وأنه يترك البرلمان يقوده كأنه امرأة عجوز، وأن امرأة هي التي تتولى حكم إسبانيا".

وتلك آراء كانت تعكس واقع المجتمع المغربي في ذلك العهد، حيث كانت الأوضاع العامة مازالت تحت سيطرة الفطرة والجبلة الأولى، وكانت القبيلة هي الهيئة التركيبية الأساسية فكانت الماشية هي أساس الثورة وكان المجتمع في حركة دائبة وكانت القبائل مسلحة أو بوسعها أن تحمل السلاح، فكانت السلطة حتما على الرماح .

لكن المولى إسماعيل كان يعلم أن العنف المجرد مع ضرورته لايكفي فكان لايحرك ساكنا إلا بمقتضى الشريعة، لأن الشريعة هي وسيلة الدولة وغايتها في الإسلام، ولأن واجب السلطان هو صيانتها وحماية النطاق الترابي لنفوذها ، وما الشريعة إلا جهاد مستمر لإماطة أسباب الظلم والضلال في الداخل وهي في الخارج جهاد النصارى المتغلبين على بعض الثغور وحماية شواطئ البلاد من غزواتهم، ولقد جاء في إحدى رسائله لولده المأمون قوله : "وهذه مسائل الدين وأمور المسلمين قلدها الله لنا فضلا منه وامتنانا، والله والله حتى أعض عليها بنواجذي ولا وليت أحدا منها شيئا إلا الذي يعيننا على حق من حقوق الله ويقوم لنا بوظيف كبير نثق به فيه".

وسائل الحكومة الإسماعلية :

ـ الجيش : لعل أوضح ما يصور آراء المولى اسماعيل في السياسة عنايته بإقامة جيش نظامى من عبيد المخزن، وكانت الدولة إلى ذلك الحين لاتجند إلا باستنفار عند الاقتضاء أو بالاعتماد على القبلية، علما بأن تلك العصبية كانت تحتاج مع ذلك إلى شعار ديني يقوي التحامها، لكن الاستنفار والشعارات مهما بلغ صداها كانت من الأمور المعرضة للزوال، وكانت الأسرة العلوية الفتية في حاجة إلى جيش مخلص ثابت. ولذلك فكر المولى إسماعيل في توسيع نطاق عبيد السلطان إلى مستوى جيش الدولة، وهدف بذلك إلى ثلاث غايات، إذ كان جيش العبيد قائما على عصبية عسكرية لاعلاقة لها بخصومات القبائل، وكان الجيش الجديد ملزما بأوثق طاعة للسلطان لأنه صَنيع إرادته، وكان إلى ذلك كله معبأ روحيا بما كان يؤديه أفراده من قسم الإخلاص على *صحيح البخاري*. وكان ذلك القسم يلزم الجنود حيال السلطان ويلزم السلطان حيال الجيش ويلزم الجميع حيال الشريعة.

المولى اسماعيل بن الشريف

ولقد أمر المولى إسماعيل بحشد جميع العبيد الذين وجدت أسماؤهم مدرجة بسجل خاص كان تاريخه يعود إلى عهد السلطان أحمد المنصور، فاجتمع لديه منهم أو من ذريتهم حشود وافرة من الذكور والإناث، فأمر بزواجهم فصاروا ينجبون لفائدة المخزن شباباً متكاثرا طيعا مرنا نشأ على الولاء والإخلاص، وكانت الفتيات يلتحقن بالقصور السلطانية ليتعلمن الأشغال المنزلية وكانت بعضهن يدربن على العزف والغناء، وأما الذكور فإنهم كانوا يتعلمون أول الأمر بعض الحرف، ثم عند بلوغ العاشرة. كانوا يدربون على سياسة الدواب لينتقلوا بعدها إلى سياسة الخيول، ثم في السادسة عشر من العمر كانوا يشرعون في التمرين على السلاح فيتخرج منهم حرس سلطاني يتحول بعد اكتمال البلوغ جنودا بواسل يأمر المولى إسماعيل بزواجهم وتوجيههم إلى حيث حاجة الدولة بهم. ولقد بلغ عددهم في نهاية العهد مائة وخمسين ألف جندي.

ولم يفرط هذا السلطان مع ذلك في وسائل الاستنفار القبلي فإنه استقدم قبائل الأوداية من الساقية الحمراء وكان يعتبرهم أخواله وجعلهم من الجيش المخزني الرسمي.

ـ بيت المال : كان المولى إسماعيل يحتاج إلى بيت مال وافر لإقامة صرح الدولة الفتية على أسس متينة، وإنه نهج في هذا الصدد نهجا شرعيا خالصا مع مراعاة الطوارئ والمستجدات. فكانت أولى المداخيل مما فرضته الشريعة من زكوات وأعشار، تأتي بعدها الجزية التي كان على الطائفة اليهودية المغربية المتعددة الأفراد المتنوعة النشاط أن تؤديها لبيت المال مقابل حماية الدولة لها سيما وأن بعض الأعمال المربحة مثل الصرافة وسك النقود كانت حكراعليهم.

لكن حاجيات الدولة المغربية كانت تتجاوز هذه المداخيل، وذلك لتفاقم النفقات بسبب ضرورة اقتناء الأسلحة النارية من أوربا، فغدا من اللازم جعل ما كان استثنائيا من الجبايات أمرا ثابتا مستمرا، وجرى هذا على المكوس بوجه خاص، تلك الضريبة التي كانت جبايتها مقياس ميزان القوى السياسي بين الدولة والرعية وكان استخلاصها في العهد الإسماعيلي دليلا عن رجحان كفة الدولة آنذاك.

وارتفع مستوى الرسوم على التجارة الخارجية ابتداء من ذلك العصر ووضعت من يومئذ بعض القواعد للنظام الجمركي المغربي سارت عليها الدولة إلى منتصف القرن التاسع عشر، مفادها أن البضائع تعشر في الصدور والورود، نقدا أو عينا، بحسب إرادة السلطان ووفرة السوق وميزان العرض والطلب وحالة العلاقات الديبلوماسية مع الدول المعنية، وأن بعض المواد مثل الشموع كان يؤدي عليها لدى تصديرها في عهد هذا السلطان 25 ٪ من قيمتها، وتَعَوَّدَ المخزن أن يُشارك مباشرة في الأعمال التجارية لأسباب مالية وسياسية، إذكان احتكار الدولة لبعض المواد أحسن وسيلة لملء بيت المال وكان من واجب السلطان أن يتتبع أحوال التجارة الخارجية بعد أن أضحت تدور في معظمها مع تجار النصارى الذين لم تخف لا أطماعهم ولاما يتوفورون عليه من الوسائل.

وأخيرا كان فيْء الجهاد في البحر من أهم مداخيل بيت المال حيث بادر المولى إسماعيل إلى احتكار ماكان يقع بيد المجاهدين لفائدته، وبخاصة أسرى النصارى، ليستفيد المخزن من خبرتهم إن كانت لهم خبرة أو ليفتدي بواسطتهم أسرى المسلمين كلما وقعوا في أسر قرصان النصارى، ولقد ظل الإنسان في حوض البحر الأبيض المتوسط إلى نهاية القرن الثامن عشر بضاعة متداولة، وكانت كل ملة تسعى في فداء أبنائها.

خدام المخزن الإسماعيلي : كانت طبيعة الحكم في ذلك العصر تجعل من علاقات المخدوم بخدامه علاقات ولاء وتبعية مطلقة، بل كانت صلات المالك بملكه أو السيد بعبده، ولذلك كان كبار القواد والخدام ـ من ذوي الحظوة العليا لا ينتخبون إلا من عبيد البلاد المقربين، وكان منهم مرجان الكبير قائد عبيد الدار الذي كان مكلفا إلى جانب ذلك بمسك سجلات الجبايات، وكان عامل الرباط سنة 1688 عبدا بخاريا، اسمه سعد الله بولعوان.

وكان الباشا علي بن عبد الله الحمامي الذي انفرد بحكم شمال المغرب سنين عديدة متصلا بالمولى إسماعيل بروابط شخصية، وكان ينتسب إلى قبيلة تمسمان، وربما كان يشتغل بالنقل على البغال في أول أمره، وتوثقت صلات الولاء بينه وبين السلطان حتى أصبح من أمس خدامه صلة به، يدخل عليه ولاتصيبه دهشة، ولم يواخذه السلطان بفشله في حصار سبتة، وبعد وفاته خلفه ولده أحمد بن علي بنفس الرتبة وبنفس المهام.

ويذكر أيضا من الخدام المقربين الأخوان أحمد وعمر ابنا حدو وكانا أيضا من تمسمان وكان لهما الفضل في استرجاع المعمورة وطنجة والعرائش إلى حظيرة السيادة المغربية.

واحتكرت أسرة آل الروسي على امتداد ثلاثة أجيال، عمالة فاس وكان رئيسها الأول حمدون الروسي من أصول متواضعة، عينه المولى إسماعيل، أول الأمر على توات، ثم حظي لديه ولده عبد الله بن حمدون الذي عينه السلطان عاملا على فاس سنة 1677، وناب عنه بها مدة حياته ولده عبد الخالق وخلفه ولداه أبو علي ومسعود.

وكان الباشا بلشقر قائدا على زرهون ومكلفا بأعشار قبائل المغرب من بني حسن وسفيان، وكان القائد على بن يشو لايفارق البلاط والسلطان مع أن عمالته كانت، على حد قول السفير دي سانتولون :"توجد بين مكناس وتلمسان وهي إلى شساعتها وافرة الريع" فكان هذا القائد لايعرف شؤون عمالته إلا بإنابة بعض القواد ينوبون عنه في عين المكان.

وكان أحمد بن حدو العطار، من أسفي، من أكبر حجاب المولى إسماعيل، لقد مارس كذلك مسؤولية عمالة السهول الأطلسية جنوب سلا، وبعث به السلطان سفيرا إلى أنجترا سنة 1682، فعاد ناقما على دولة الانجليز بما ألزموه به من تعرية رأسه لدى مثوله بين يدي الملك شارل الثاني، وانتقاما من جانبهم مما كان سفيرهم قد أرغم عليه سنة 1680 من نزع أحذيته قبل المثول بين يدي المولى إسماعيل.

وكان القائد عبد الله بن عائشة أمير البحر وقائد الأسطول ومن أشهر رجالات السيف في عصره وذاع صيته على إثر سفارته لدى لويس الرابع عشر حيث احتفى به الفرنسيون بكثير العناية وشديد الفضول.

أما وظائف القلم فإنها كانت على العموم من نصيب الأدباء والفقهاء من أبناء الأسر الأندلسية، وباستثناء رئيس الكتاب وأول وزراء المولى إسماعيل الفقيه أحمد اليحمدي الذي كان من قبيلة غمارة، لكن محمد تميم السفير إلى فرنسا سنة 1982 كان أندلسي الأصل، وكذلك كان الشأن بالنسبة لمحمد بن عبد الوهاب الغساني السفير إلى مدريد سنة 1690، وكان معظم الوظائف الدينية والتوثيقية بيد أبناء بعض الأسر التي ذاع من يومئذ صيتها مثل آل الفاسي وآل بني سودة وغريط وبلقاضي وملين ولوقاش.

القصر السلطاني بمكناس : لم يفت المولى إسماعيل، بما جُبل عليه من الدهاء السياسي وما تربى فيه من سيرة الملوك، أن عظمة الدولة تتصور في عظمة ما تقيم من البناء الفاخر، وكانت هذه الضرورة السياسية تتفق وما كان لديه من شديد العناية بشؤون البناء، حيث كان البناء من هواياته المفضلة، وكانت الدولة العلوية الفتية في حاجة إلى تشييد ما يثبت للأجيال أمجادها، ولذلك اختار السلطان عاصمة جديدة هي مكناس ليقيم بها مخزنه الجديد، ولقد كتب القنصل الفرنسي "اسطيل" سنة 1698 قائلا عن قصور مكناس :"إن أوصاف الكتاب الذين سيكتبون عن هذا القصر سوف تختلف بسبب مايدخل عليه من التغيير على رأس كل ست أو سبع سنوات، وذلك لأن أحب شيء لدى ملك المغرب أن يأمر بتقويض البناء بمجرد مايتم بناؤه أو حسبما يروج بين الناس هنا، أن رغبته أن لاتقف الأعمال عند أي نهاية لتظل الرعية منهكة القوى، حيث يكون عشرة إلى اثني عشر ألف عامل يعملون باستمرار ويأتون من جميع الجهات بالتناوب ولامناص في إطعامهم".

وفي اختيار مكناس عاصمة إشارة واضحة إلى ماكان يشغل بال السلطان إذ كان اللازم جعل العصمة متوسطة في البلاد، لإحكام وحدتها ومراقبة شواطئها الأطلسية والمتوسطية التي لاتبعد عن هذه المدينة بأكثر من ثلاث إلى خمس مراحل.

سياسة المولى إسماعيل في الداخل : كتبت الصحيفة الفرنسية "الميركوركالان" معلقة على نبأ وفاة المولى الرشيد قائلة :" لقد شهرت القبائل السلاح بكل ناحية، ووجد المولى إسماعيل نفسه ملزما بتجديد فتح (الأقاليم) على رأس عبيده وبعض الفرق الأخرى من الجند [...] وإن ماقام به من الأعمال البطولية أثناء هذه الفتوحات وما أبداه من إقدام كبار القبطانات وتبصرهم ليعتبر أعلى درجة مما أكسب المولى الرشيد ما أكسبه من الشهرة". وقال أبو القاسم الزياني من جهته إن المولى إسماعيل لم يقض سنة كاملة في قصره فيما بين 1672 و 1696 وأنه كان في حركة مستمرة لتمهيد البلاد بهدف إعادة الحرية الكاملة للدولة، في الداخل بقمع الشغب القبلي، وفي الخارج بردع الأطماع الأوربية.

توطيد أركان الدولة : كان للمولى إسماعيل حساسية خاصة بأمر وحدة الدولة ونفوذ سلطانها، وذهب حرصه القوي على ذلك إلى حد البطش الفظيع بكل من رام المس بهما وإن كان من أولاده. ولقد قاتل في بداية عهده ابن أخيه المولى أحمد بن محرز الذي كان قد عاد إلى مراكش بمجرد ماسمع بوفاة المولى الرشيد، مطالبا بخلافته لما كان له بحاضرة الجنوب من سابق العمل، فاندلعت بسبب ذلك بينه وبين المولى إسماعيل حرب دامت ثلاث عشرة سنة متقطعة بالكروالفر، يفر المولى أحمد من الحوز كلما زحف المولى إسماعيل إليه، وينتقل بأنصاره وثورته إلى ناحية تازة، ولما كان المولى إسماعيل يعود مسرعا إلى جهة الشمال الشرقي كان الأمير الثائر يتسلل من جديد إلى الأقاليم الجنوبية ليقيم لنفسه هناك إمارة مستقلة، حتى إن السلطان ملَّ تلك اللعبة الدموية وقبل مبدأ التخلي لابن أخيه عن إمارة سوس، ورفض المولى أحمد ذلك العرض إلى أن قتل في ظروف مجهولة بالأطلس الصغير سنة 1685.

تمهيد قبائل الأطلس : شرع المولى إسماعيل يمهد القبائل الصنهاجية وهو مازال يقاتل ابن أخيه الثائر، وكانت القبائل مستعصية بالأطلس المتوسط والأطلس الكبيرالشرقي وكانت مازالت لم تفقد شيئا من قوتها الطبيعية ولا من ضغطها وتشويشها على سفوح معاقلها، وذلك بالرغم من تصفية الزاوية الدلائية المجيدة. ولقد أمر السلطان بعدة حركات توغلت في ثنايا الجبال لإشعار رؤوس الفتنة والعصيان أن لاَ مفر لهم من العقاب، وانطلقت الجيوش المخزنية من سايس وتادلا وتافلالت ومن جهة الشرق أيضا فأرغمت القبائل الصنهاجية على الإذعان والاستسلام، ولقد كان للمدفعية النارية الحديثة دور كبير في تغلب جيش البخاري،وأقيمت سلسلة من القصبات أحاطت بالأوعار الصنهاجية إحاطة السوار بالمعصم، ابتداء من قصبة تادلا في الجنوب الغربي إلى وطاة بالشرق وتافلالت بالجنوب الشرقي مرورا بأدخسان(خنيفرة) وعين اللوح وأزرو وگيگو.

أما قبائل التلال المطلة على سهول الغرب وسايس، مثل گروان وأيت يدراسن فإن السلطان أمر بتجريدها من السلاح وبمصادرة خيولها، لكنه أمر في المقابل بأن يوزع ستون ألف رأس من الغنم مصحوبة ببعض الإعانات ليشتغلوا بريعها ويكفوا عن الشغب.

السياسة الدينية : كانت الزوايا مؤسسات تأطيرية تدعم وحدة عقيدة الشعب المغربي ووحدة مذهبه ببعض أسباب التباين الشكلي والأصالة الجهوية، فكانت مقبولة لدى الدولة المركزية كلما وقفت عند أدوار التأطير، منبوذة لديها كلما تجاوزتها إلى ما بعدها من التطلعات السياسية، وهكذا ما أن أطاح المولى الرشيد بالدلائيين والسملاليين حتى جاء المولى إسماعيل بعده للعناية بالوزانيين والشرقاويين والحنصاليين والناصريين ،بل أصدر عفوه عن الدلائيين بعد سنوات قليلة من جلوسه على العرش، لكنه على النقيض من ذلك أمر بدكٍّ رباط الحاج إبراهيم بن محمد شيخ زاوية تاسافت لمجرد امتناعه عن المثول بين يدي حضرته. وفيما عدا ذلك فإن المولى إسماعيل كان يبدي لحملة العلم الشريف وللصلحاء والفقهاء منتهى آيات الاحترام والتقدير مثلما فعل مع الشيخ عبد القادر الفاسي وابنه وخلفه محمد وكذلك مع الشيخ الحسن اليوسي.

واعتنى المولى إسماعيل عناية خاصة بالأسر الشريفة وبالأسرة الإدريسية بالدرجة الأولى، وأمر بتوسيع الضريح بفاس وبأن يتنافس الصناع في زخرفته وكان بذلك يرسم الطريق ويسعى في أن تقتدي الرعية بأعماله، قال الفرنسي

"مويط" يصفه خارجا من قصره للاستسقاء : "ويوم 17 مارس ارتدى كساء باليا وسخا وتعمم بعمامة رديئة وخرج حافيا من القصر رفقة حاشية بلاطه حفاة عراة الرأس يتبعهم جمهور المدينة على هيئة مماثلة، فزار في هذا الموكب جميع أضرحة أولياء ملته ودام ذلك من الصباح إلى الرابعة عشية !!.

السياسة الخارجية : تحرير الموانئ المحتلة : ماكان المولى إسماعيل ليتغافل عن واجب استرجاع الموانئ المغربية التي كان الأوربيون قد انتزعوهما في العهود السابقة، ولقد تم تحرير المعمورة منذ 1681، وتحرير طنجة سنة 1684 و تحرير العرائش سنة 1689، ويروى أن المغاربة عادوا من يومئذ إلى احتداء "البلاغي" الصفراء بعد أن كانوا يحتذون اللون الأسود من يوم باع الأمير السعدى ذلك الميناء من الإسبان سنة 1610.

وسنة 1694 أمر السلطان الباشا علي بن عبد الله بمحاصرة سبتة وامتد الحصار زهاء ثلاثين سنة بدون جدوى، لما أصبح للمضيق من الأهمية البالغة في الملاحة الدولية، حتى إن أنجلترا اغتنمت فرصة الحرب الأوربية التي اندلعت من أجل العرش الإسباني ابتداءمن 1700 لتحتل جبل طارق سنة 1704، فاشتد من يومئذ تمسك إسبانيا بسبتة وردت الهجومات المغربية بكل عنف.

الجهاد في البحر وافتداء أسرى المسلمين : اعتنى المولى إسماعيل بشؤون الجهاد في البحر لأسباب دينية وسياسية واقتصادية، وأما الأسباب الدينية فإنها كانت مترتبة على ضرورة حماية دار الإسلام الغربي، يوم أصبحت جرأة النصارى تزداد بفضل تفوقهم المطرد في الملاحة والمدفعية، فكان لامناص من الاستعداد لهم وكيل الضربات لهم، ولما كان كبار المجاهدين هم أبناء الأسر الأندلسية اللاجئين بالموانئ المغربية، فان الدولة العلوية الناشئة كانت في حاجة إلى مراقبة غزواتهم لما كان لها من العواقب في الداخل وفي الخارج، وحيث كان خمس الغنائم من الجهاد لبيت المال شرعا، فإن المولى إسماعيل حرص حرصا شديدا على أن تكون مقاليد الجهاد في البحر بيده، سيما وأنه كان مسؤولا بصفة كونه الإمام والقائد الأول، عن افتداء المسلمين الذين كانوا يقعون أسرى ببلد القراصين الأوربيين، سواء كانوامغاربة أو من غير المغرب ، مما نتج عنه جدل حاد بينه وبين لويس الرابع عشر الذي كان لا يقبل أن تجري المفاداة بين فرنسا والمغرب إلا بشأن رعية المولى إسماعيل فكانت الحمية الإسلامية تثور لذلك في نفسه.

العلاقات مع أوربا : تصدى المولى إسماعيل لتهافت التجار الأوربيين على شواطئ البلاد بما كان يفرضه الواجب الديني والمصالح السياسية والاقتصادية، فاحتاط منهم بجميع الوسائل وأوقفهم عند حدهم بالعنف تارة يوم انتزع منهم ماكان قد وقع بقبضتهم من الموانئ، وبالسياسة تارة أخرى بتتبع نزاعاتهم وحروبهم وضرب بعضهم ببعض، ودليل إدراكه التام للأوضاع السياسية (الأوربية) علمه بما كان لفرنسا من التفوق على باقي الدول آنذاك فكانت صداقة فرنسا مفضلة لديه، لا لصدارتها وحسب، ولكن لتحالفها مع الدولة العثمانية، مما كان يجعل التقرب منها في نظر المولى إسماعيل، والسلطان المومن الصادق، واجبا معنويا ،وذهب به الأمر إلى مد الرغبة في مصاهرة لويس الرابع عشر في إحدى بناته الأميرة دي كونتي (De Conti) ولم يتم من الأمر شيء لتنافر الطباع واصطدام الأنفتين ، فكانت العلاقات بين الأميرين محمومتين باستمرار ولكنها ظلت قائمة إلى أن توفي لويس الرابع عشر سنة 1715، وتهاون الوصي على العرش بعده بصداقة المولى إسماعيل فانقطعت الصلات الرسمية بين الدولتين ابتداء من سنة 1718 ودامت القطيعة إلى سنة 1767.

استقبال المولى إسماعيل بقصره بمكناس سفير فرنسا سنة 1693

وعلى النقيض من ذلك نشطت العلاقات المغربية الأنجليزية بما استقر من أوضاع أنجلترا الداخلية ابتداء من العقد الأخير من القرن السابع عشر، وسبب احتلال الأسطول الأنجليزي لجبل طارق سنة 1704 وحاجة أنجلترا من يومئذ إلى تزويد تلك المستعمرة من الموانئ المغربية ولتلك الغاية أبرمت معاهدة ود وصداقة بين الدولتين سنة 1721 ووضعت ضمنها واجبات كلتيهما وحقوقهما المتبادلة بكل دقة.

وأما العلاقات مع إسبانيا فلقد دخلها كثير من الفتور بسبب انهيار عظمتها منذ معاهدة وستفاليا (Westphalie) سنة 1658، وعجزها عن مسايرة التوسع الرأسمالي، وضعف شخصية ملكها كارلس الثاني (Carlos II) الذي ما إن وافاه الأجل المحتوم سنة 1700بدون خلف من صلبه، حتى قامت حرب عامة حول ولاية عهده، وفاز بالعرش في النهاية بعض أحفاد لويس الرابع عشر، وما كان ليغفر للمولى إسماعيل محاصرته لسبتة منذ 1694. ولكن سوء العلاقات بين الدولتين كان لايحول دون اتصال شواطئ

البلدين لجوارها وامتداد اتصالها عبر التاريخ ونشاط ميناء قادس على الخصوص في المبادلات التجارية العامة بين المغرب وأوربا.

وهكذا سار المولى إسماعيل مع باقي الدول، يتصدى لنوابها وتجارها كلما خرجوا من نطاق حرمة الدولة والسلطان ، ولايرى بأسا بمعاملتهم بالتي هي أحسن كلما وقفوا عند تلك الحدود.

المولى إسماعيل، *إلى ولدي المامون* ؛ م. الغساني، *رحلة الوزير في افتكاك الأسير*، حققه وترجمه إلى الإسبانية الفريدو بوستاني، طنجة 1940 ؛ م. الإفراني، *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف* ؛ م. القادري، *نشر المثاني* ؛ أ. الزياني، *الترجمان المغرب*. م. الضعيف، *التاريخ* ؛ م. أكنسوس، *الجيش العرمرم* ؛ إ.بوطالب، *العصر العلوي الأول*، ضمن مذكرات من التراث المغربي، الرباط 1985.

S. I. H. M. la dynastie filalienne (Série France, série Angleterre) ; Busnot, *Histoire du Régne de Moulay Ismail* (Rouen 1714) ; J. Windus, *A journey in Mequinez* (London 1725) ; H. De Castries, *Moulay Ismail et Jacques II, un sultan du Maroc* (Paris 1903) ; Chantal de la Veronne, *Tanger sous l'occupation anglaise en 1674*, (Paris 1972).

إبراهيم بوطالب

إسماعيل بن عبد الملك المعتصم السعدي، من أم تركية بنت باشا الجزائر مراد إدريس تزوجها عبد الملك خلال إقامته بالجزائر بعد فراره من المغرب عند تولي أخيه عبد الله الغالب عام 964 / 1558.

ولم تتحدث المصادر التي رجعنا إليها بتفصيل عن حياة هذا الأمير الذي ولد في أيام أبيه الأخيرة، حيث لم يصبح شابا يطمح إلى السلطة إلا أواسط عهد عمه المنصور (1578 ـ 1603).

كل ما يعرف عن هذا الأمير أنه لم يصحب أباه في حملته للدخول إلى المغرب عام 984 / 1576. وقد أرسل عبد الملك في طلب ابنه وزوجته (التركية) ليلتحقا به غداة انتصاره على المتوكل ابن أخيه. غير أن توقيت الطلب كان يوافق حالة من التوتر السياسي التي خيمت على علاقاته بباشوية الجزائر في إطار الصراع الثلاثي : الإيبيري / السعدي / العثماني. وحدث أن بقيت الزوجة في الجزائر بينما نقل ابنها إلى القسطنطينية قبيل وفاة عبد الملك في معركة وادي المخازن. ففي رسالة وجهها أحد متجسسي فيليب II (اسمه مورا) إلى ملكه بتاريخ 16 نوفمبر 1580 يتضح ما كان يمثله إسماعيل هذا في إطار العلاقات الصعبة بين الأطراف الثلاثة السابقة الذكر. (انظر نص الرسالة في مجلة *المناهل* عدد 14، ص 57 ـ 58). وتبين هذه الرسالة خلافا لما جاء في المصادر أن إسماعيل كان بالمغرب مباشرة بعد معركة وادي المخازن أي عام 988 / 1580، وأن الأتراك كانوا يريدون تنصيبه سلطانا بدل المنصور، ويشفع لذلك ما ذكره الفشتالي من أن ثورة عساكر النار الأندلسيين الذين ثاروا على المنصور مباشرة بعد المعركة كانت بإيعاز من الأتراك الذين كانوا يريدون تنصيب إسماعيل . قال صاحب *تاريخ السودان* إنه وقع :"الشغب بين أوساط الجند والعامة وأخذوا ينادون بأحقية الأمير الصغير إسماعيل بن المعتصم الموجود بالجزائر (؟) في الخلافة مستغلين سمعة المعتصم الملك الشهير الأمر الذي حذا بالمولى أحمد إلى الفرار..." خوفا من أن يقتلوه.

ونعرف كذلك أن الباشا حسن أغا تزوج أرملة عبد الملك وساند حق ابنها إسماعيل في وراثة الإمارة السعدية بعد أبيه، ودخل باسمه في نزاع مكشوف مع المنصور.

وتفاديا لذلك أرسل المنصور رسالة إلى ابن أخيه مؤرخة في 986 / 1578 يعترف له فيها بحبه له. وقد أرفق الرسالة بأنواع من الهدايا. يقول المنصور في تلك الرسالة :"فثق ـ حفظ الله شبابك، ويسر في أبواب الخيرات أسبابك ـ بأنك أحد أولادي وأخص من يحنّ إليه جأشي وفؤادي..." (*رسائل سعدية مخطوط* خ. ع ـ ك 278).

وكان إسماعيل قد بعث برسالة قبل ذلك، يشكره فيها على الهدايا التي أرسلها إليه مع أبي العباس أحمد بن يحيى الهوزالي. ولم نعثر في المصادر التي رجعنا إليها على تاريخ وفاته.

مجهول، *رسالة سعدية*، مخطوط، ح. ع. ك 278، ص 37 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ ح. الطاهري، *تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان*، المطبعة الحجرية بفاس، 1324 / 1906 ؛ إ. شحاتة، *وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب*. الدار البيضاء 1979.

Delphin. *Journal Asiatique*, Avril - Juin 1922 p. 201 ; Ch. De la Veronne, *ROMM*. Nº 13 - 14 p. 397.

محمد مزين

إسماعيل بن عبد المؤمن، هو احد أولاد عبدالمؤمن الثمانية عشر وأمه بنت ماكسن بن المعز فهو يجمع رفعة النسب من الجهتين ولاشك أنه تلقى تربية مناسبة وتعليما على يد أساتذة مختارين، إذ أن الخلفاءالموحدين منذ عبد المومن كانوا معتنين غاية الاعتناء بتعليم أبنا ئهم.

وفي سنة 561 عينه أخوه الخليفة يوسف بن عبد المومن واليا علي أشبيلية في إطار الحركة الإدارية الواسعة التي عزم عليها والتعيينات التي خص بها عددا من السادة إخوته. وبما أن إشبيلية كانت في الواقع هي عاصمة الأندلس لما أصاب قرطبة من انتكاسات، فإن تعيين إسماعيل بها يعني أنه كان عميد الولاة بالأندلس. ولاأدل علي منزلته من كون الخليفة لما قرر أن يقوم بتجديد البيعة له كأميرالمؤمنين سنة سنة 563 أسند إليه بكتاب رسمي أن يشرف بنفسه على أخذ البيعة من جميع جهات الأندلس. وكما ورد عند ابن صاحب الصلاة، أمره "أن يأخذ الناس بإشبلية وجميع الموحدين من الذين بها وببلاد الأندلس التي تحت طاعة التوحيد أدامه الله كقرطبة وأغرناطة ومالقة وغرب الأندلس لعقد البيعة الرضوانبة التي بها يكمل دينهم ويصدق يقينهم" (*المن* ص 339) وقام إسماعيل

بالمهمة خير قيام إذ وردت على مراكش نصوص البيعات المختلفة عن مدن الأندلس الكبرى

وفي سنة 465 استدعي إسماعيل هو وجميع ولاة الأندلس إلى حضرة مراكش حيث أقاموا بضعة شهور ثم عاد إسماعيل إلى مقر ولايته في أوائل 565 هـ. وكان الوضع آنذاك بالأندلس لايخلو من صعوبات ومخاطر. فبالإضافة إلى ثورة ابن مردنيش كانت عمليات حرب الاسترداد نشيطة من جهة النصارى سواء في الجبهة القشتالية بوسط الأندلس أو الجبهة البرتغالية بغربها. وهذا ما حذا بالخليفة يوسف إلى دعوة ولاة الأندلس وقادتها العسكريين ليدبرمعهم خطة عسكرية تكون قمينة بردع الأعداء ووضع حد لضغوطهم على الثغور الأندلسية. وعاد إسماعيل هو وأخوه إبراهيم كل إلى مقر ولايته بالأندلس في صفر 564 هـ ورافقهماأخوهما أبو الحسن علي الذي عينه يوسف واليا على سبتة وأنظارها وجبال غمارة وأقطارها، مما يدل على اهتمام الخليفة بتأمين الطريق إلى الأندلس في الوقت الذي كان يخطط فيه لحملة كبرى لمواجهة هجمات النصارى بإسبانيا.

وفي سنة 565 هـ عرفت الأندلس زلازل كثيرة تهدمت من جرائها دور ومساجد، وبلغت هجمات النصارى إلى الجزيرة الخضراء واشتد حصارهم لمدينة بطليوس. فتوجه السيد ابو حفص إلى الأندلس لمواجهة الموقف الخطير هنالك، وكانت حملاته العسكرية في تلك البلادمقدمة لحركة الخليفة يوسف بالأندلس في سنة 566.

واتجه الجند الحربي الذي بذل قبل هذا التاريخ إلى القضاء على ابن مردنيش الذي رفض الخضوع للموحدين وقاومه أشد المقاومة. لكنه أصيب بمرض خطير وهو تحت حصار الموحدين بمرسية ومات، فما كان من ابنه هلال إلا أن استسلم للموحدين سنة 567 وجاء في موكب كبير من أعيان بلده وأنصار أبيه إلى إشبيلية وذهب السيدان إسماعيل ويحيى ابنا عبد المومن مع عدد من أشياخ الموحدين لاستقباله على أميال من المدينة وتميز إسماعيل أيضا بمزاياه كقائد عسكري ورجل حرب فنجده يشارك في الحملة على الكونت خمينو المعروف في المصادر العربية بالاحدب، وهو حاكم آبلة، ومنهاتوجه بجيشه لاختراق ربوع الأندلس العربية والعيث بمدنها ومزارعها ونهب ماشيتها في سنة 568. واستطاع الموحدون أن يحققوا نصرا حاسما على خصمهم قتل فيه الكونت خمينو قائد الحملة النصرانية.

ونجد إسماعيل في معركة وبذة يقود جند قبيلة جنفيسة، إذ وقع توزيع القيادات في تلك الموقعة حسب القبائل. وكان هو وأخوه أبو زكريا بتلمسان أسرى النصارى إثر الانتصار الكبير الذي أحرزه الموحدون على الكونت خمينو، المذكور آنفا وقام بتدشين الجامع الكبير الذي بناه الخليفة يوسف بإشبيلية وخطب فيه أول خطبة يوم الجمعة 24 من ذي الحجة سنة 577 وألزم الناس الصلاة فيه وكان المسجد الجامع بإشبيلية فيما سبق هو المسَجد الذي بناه عمر بن عدبّس، الذي كان قاضيا بإشبيلية أيام عبدالرحمن بن الحكم الأموي، ولانجد بعد ذلك ذكرا لإسماعيل في المصادر فلعله قتل في إحدى المعارك الحامية التي جرت بالأندلس فيما بين 775 و 580 والتي حضر فيها الخليفة يوسف بنفسه وقتل في نهايتها. ويشير ابن عذاري إلى كثرة من مات من أعيان الموحدين في المعركة الأخيرة بقوله واستشهد في أثناء هذا الموقف جملة من أعيان الموحدين ورؤساءالأندلسيين فلعل إسماعيل كان من بين القتلى.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالإمامة* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* ؛ ابن الخطيب،*الإحاطة* ؛ م.ع. عنان ، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

الإسماعيلي، التهامي بن محمد. ولد في أواخر القرن التاسع عشر، هو من الطلبة الذين لم تساعدهم ظروفهم لإتمام دراستهم العلمية، فقد حفظ القرآن واعتنى بتلاوته وتعليمه حتى رشح لتعليم القرآن بالمدرسة العصرية الاستعمارية المعروفة بمدرسة أبناء الاعيان. وكان يميل الى التزويق والتسطير والرسم، وله ألواح رائعة في الزخرفة والتنميق، بل له إلمام حتى بصناعة النجارة اذ كانت حرفة أبيه. يضاف إلى هذا صوته الحسن بالمديح النبوي فكان يحفظ صنائع موسيقية، الشيء الذي جعله يدرب بعض تلاميذه على بعض الطبوع الموسيقية في الحفلات المدرسية .وكان منخرطا في الزاوية التجانية وعرف بسمته الحسن، وتوفي بالرباط في 24 غشت 1938.

ع .الجراري، *أعلام الفكر المعاصر*.

عبد الإله الفاسي

إسْـكِـيْن، إبُورْكْ. لغويا : إسمگِين جمع إسْمْكْ، وهو الأسود أو العبد فيكون بيبورك إسمَكين هو المكلف بالعبيد أو صاحب العبيد في حاشية ابن تومرت. ذكره البيذق من جملة الأشخاص الأولين الذين بايعوا المهدي بن تومرت تحت شجرة خروب إلى جانب عبد المومن الگومي وإسماعيل الهزوجي وعمر أصْنَاگْ والبشير الونشريشي وغيرهم. لكن لم يرد له ذكر بعد ذلك في أخبار الموحدين، ولعله كان من العبيد.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

محمد زنيبر

الإسْمَنْت، CIMENT قطاع يحتل مركزا هاما في النسيج الصناعي الوطني ويمثل جانبا أساسيا في النمو الاقتصادي والاجتماعي للمغرب. فهو يمثل أحد المؤشرات الأكثر تعبيرا عن مستوى نمو الاقتصاد وذلك من خلال استعمالاته ودوره كمنشط لمجموع القطاعات الحيوية في اقتصاد البلاد كالفلاحة (سدود ـ قنوات) والتجهيز (طرق ـ موانئ) والبناء (سكن) والصناعة. وهذا الدور يزيد عبرة في بلدان العالم الثالث حيث حاجيات التجهير أكثر أهمية. من هنا يأتي التزايد المطرد في استهلاك الإسمنت.

كان هذا حال المغرب الذي عاش هذا التزايد في وتيرة حاجياته خلال المخطط الخماسي 1973 ـ 77 وخاصة منذ 1974. فلمعالجة الخصاص، لجأ المغرب إلى استيراد كتلي (102000 طن سنة 1971 ـ مليون طن 1977). ولوضع حد لهذا الخصاص، وقصد توفير اكتفاء ذاتي من هذه المادة الأساسية، انطلقت الدولة في برنامج نشاط يسعى إلى إرساء مقدرات جديدة وذلك بتوسيع الوحدات المتوفرة وإنشاء وحدات جديدة كمصانع وجدة وتمارة وبوسكورة. وهكذا توقف تيار الاستيراد وصار السوق في وضعية توازن بل بفائض للعرض بالنسبة للطلب .

وقد ساهم في هذه الوضعية الجديدة نوع من التوقيف عرفته حركه البناء ابتداء من سنة 1984. ونورد كمثال لاستهلاك الإسمنت سنويا من طرف الفرد الواحد سنة 1986، نجد أن مقدار هذا الاستهلاك يصل إلى 523 كيلو في البرتغال، 392 في فرنسا، 350 في تونس و170 فقط بالنسبة للمغرب.

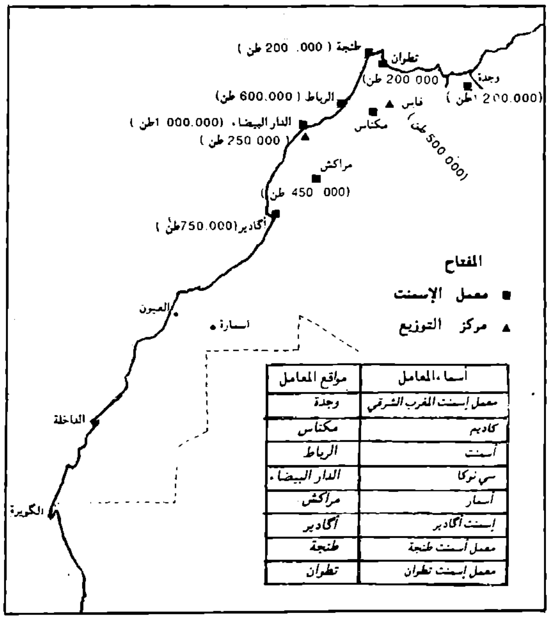

مواقع معامل الإسمنت بالمغرب

والإسمنت مادة ظهرت لأول مرة في أواسط القرن التاسع عشر حيث قبل ذلك كان الجبس والجير والخشب هي المواد القاعدية لكل تشييد. فالرومان مثلا كانوا يستعلمون في بناياتهم لحاماً هو عبارة عن خليط من الجير والرماد البركاني.

وقد اكتشف الإسمنت من طرف أنجليزي، استطاع بعد خلط الرمل والمادة المكتشفة أن يحصل على حجارة ملحومة صلبة. شبيهة بالحجارة المستخرجة من مقالع جزيرة يورطلند. ويكون الكلس والطين العناصر الأساسية لهذا الإسمنت، يخلطان ويعرضان للطهي والاحتراق. وقد أدخل الإسمنت إلى المغرب من طرف الإسبان قبيل سنة 1900، لكن استعماله لم يعمم إلا بعد 1912.

تاريخ الإسمنت في المغرب : منذ 1912 انطلق تيار استيراد هام للإسمنت قصد تشييد ميناء الدار البيضاء. وفي السنة الموالية تم إنشاء أول مصنّع في ضواحي البيضاء. طاقته 10000 طن. وفي هذا الوقت كان تحضير المادة يدوياً، بينما كان النقل يقع على ظهر الجمال، والطهي في أفران عمودية. إلا أن تزايد الحاجيات جعل المسؤولين يقدمون على توسيع هذه الوحدة سنة 1914 لتصل الطاقة الانتاجية إلى 70000 طن سنة 1930. وفي سنة 1931 قررت عصرنة المعمل وذلك بتعويض الأفران الأصلية الصغرى بفرن رحوي، وإضافة ثلاثة أفران جديدة. وهكذا ارتفعت الطاقة الإجمالية إلى 600000 طن، مما سمح بتصدير الإسمنت نحو الجزائر وتونس. وغداة الحرب العالمية الثانية، انطلق معملان جديدان، أولهما سنة 1952 بأگادير والثاني سنة 1953 بمكناس، ثم معملان آخران في الأقاليم الشمالية في طنجة وتطوان.

وهكذا صارت الطاقة الإجمالية قبيل الاستقلال تساوي 900000 طن من الإسمنت، يتم إنتاجها في 5 معامل مغربية.

في وسط الستينات وتحت ضغط حاجيات متزايدة ارتفع الاستهلاك ليصل إلى 2 مليون طن سنة 1974، وقد انطلق استيراد كتلي وصل إلى مليون طن سنة 1977 دون أن يشبع مجموع الحاجيات.

لذا ففي إطار التصميم الإسمنتي، تم توسيع الوحدات القديمة وإنشاء ثلاثة معامل جديدة (مراكش سنة 1974 بطاقة 450000 طن، تمارة سنة 1979 بطاقة 550000 طن ووجدة كذلك 1979 وبطاقة 1200000 طن). هكذا توصول المغرب سنة 1979 إلى الاكتفاء الذاتي بل تم التفكير في تصدير الفائض. وفي سنة 1983 وقع إحداث معمل بوسكوره. بطاقة مليون طن سنويا، وذلك لتعويض المعمل البيضاوي القديم، الذي أغلق لما كان يتسبب فيه من تلويث حضري، وبسبب استنفاذ المواد الأولية. حاليا، صارت الطاقة الاجمالية تساوي 5.5 مليون طن، بينما لايتعدى الاستهلاك 4.3. ويتم هذا الانتاج في 8 معامل موزعة توزيعا متوازنا داخل البلاد.

المعمل	سنة الإنطلاق	عدد الأفران	الطاقة الإنتاجية بالأطنان	طريقة الصنع
لافارج *	1913	5	950.000	الرطبة
مكناس	53	2	650.000	الجافة
أگادير	52	3	420.000	نصف الجافة
تطوان	54	2	250.000	نصف الجافة
طنجة	53	1	240.000	رطبة
مراكش	76	1	500.000	جافة
المغرب الشرقي	79	2	1.200.000	جافة
تمارة	79	1	600.000	جافة
بوسكورة	83	1	1.000.000	جافة

معامل الإسمنت المغربية

* معمل متوقف سنة 1987

تعريف الإسمنت ونموذج إنتاجه : الإسمنت عادة مصنوع من خليط من الكلس (بنسبة 80 ٪) والطين (بنسبة 20 ٪). تختلف تقلبات الصنع حسب صفاء المواد الأولية ونوعيتها. ويمكن التفريق بين ثلاث تقنيات :

ـ الطريقة الرطبة هي الأقدم، يتم التخلي عنها لأسباب طاقية. تقتضي مزج مواد المقالع في الماء بعد تهشيمها قبل تصفية وتجنيس العجين النيء.

ـ الطريقة نصف الجافة تعني تصفية العجين من الماء أو خلطه مع مسحوق جاف للحصول على نفس النتيجة.

ـ الطريقة الجافة الأبسط والأقل تكلفة، حيث يتم تجنيس المواد المسحوقة دون تبليلها.

ويتم الطهي في أفران رحوية، تختلف حسب تقنية التحضير وتتوالى عدة عمليات خلال الطهي. في البداية تبخر الماء. ثم نزع الكربون ابتداء من 750 درجة. وأخيراً بين 990 و1450 درجة تتكون مركبات حديد ـ ألمينية، المينات وسلكاتات الكلس التي تعتبر قواعد مادة "الكلنكر".

عند مخرجه من الفرن، هذا الكلنكر يمر عبر مبردات، قبل أن يتم تهشيمه إلى مادة حبيبية تنقل إلى مخازن خاصة ومنها إلى مطاحن حيث تخلط مع عناصر إضافية تدخل في تركيب الإسمنت هي الجبس بنسبة 5 إلى 7 ٪ والرماد البركاني.

وتتضمن المادة النهائية عدة أنواع، كل منها له استعمالات خاصة، وتستجيب هذه الأنواع لقوانين تصنيع مضبوطة. وقد وضع هذا التقنين سنة 1970.

حاليا الأنواع الثلاث المصنوعة هي الإسمنت 45 و35 و25. أولها يستجيب لمتطلبات صلابة عالية ويتكيف خاصة مع صنع الخرسانة المسلحة ويستعمل لبناء السدود والموانئ والعمارات الكبرى، ويستعمل النوع 35 للبنايات العادية وخاصة الدور الفردية. أما النوع 25 فهو يخصص للتغطية. كما تستورد أنواع مثل الإسمنت الأبيض.

وثائق شركة إسمنت المغرب الشرقي.

عبد الجليل الحسني

أسْمير، نهر ينبع من جبل زمزم بقبيلة الحوز قرب تطوان، ويَسقي مساحة تفوق ألف هكتار، وتصب مياهه بالبحر الأبيض شمال رأس الطرف أي بين قرية المضيق ومصب نهر النِّكرو. وقد ذكره بهذا الاسم الجغرافي البكري الذي قال إنه ينبع من جبل الدرقة (جبل درسة حاليا)، وفي حين أن الشريف الإدريسي أطلق اسم أسمير على نهر بورقراق الذي يفصل بين مدينتي سلا والرباط. وكان نهر أسمير في الماضي يكون فصل الشتاء مستنقعات هائلة، تشهد على ذلك البحيرة التي توجد بالقرب من مصبه، ومساحتها 500 هكتار، بسبب هذه المستنقعات اضطر الجيش الإسباني الذي خرج من سبتة غازيا أرض المغرب سنة 1860 أن يظل متوغلا فى أوحال الطين مدة أسبوع كامل من يوم 4 إلى يوم 11 يناير دون أن يتمكن الأسطول من مده بما كان يحتاج إليه من مؤونة ومعدات، فانتشر الطاعون في صفوف الجيش وهذا ما جعل الصحافة الإسبانية في ذلك العهد تطلق على المكان اسم معسكر الجوع.

أ. البكري ، *المغرب في ذكر إفريقية والمغرب* ؛ م. الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ م.داود، 6.47. *تاريخ تطوان*، 4. 17.

Alarcon (P. A.) *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, 1t. 1p. 238 Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* 1930, t. 2. p 49. Domenech Lafuente (Angel) *Geografia de la zone norte del protectorado de Espana en Marruecos* 1942 p 41 Cabello Alcaraz (J) *Apuntes de geografia de Marruecos.*

محمد ابن عزوز حكيم

أسْمير (كُونت ـ) Conde de Asmir أحد الألقاب الشرفية التي منحتها الملكة الإسبانية إيسابيل الثانية (Isabel II) لبعض الجنرالات الذين شاركوا في الحرب ضد المغرب يوم 22 اكتوبر 1859. وصدر المرسوم الملكي بمنح اللقب المذكور إلى الجنرال خوسي دييث إمارطينتث Jose Diez y Martinez يوم 29 يونيو 1866. ذلك أن الجيش الإسباني كان قد غزا أرض المغرب انطلاقا من سبتة يوم 19 نوفمبر من السنة المذكورة، وفي يوم 6 يناير من السنة التالية وصل الجيش إلى وادي أسمير بقبيلة حوز تطوان فلم يستطع عبور النهر المذكور لكثرة مياهه وأوحاله الناتجة عن الأمطار الطوفانية والعواصف الشديدة التي عرفتها تلك الناحية يوم وصوله إليها، لدرجة أن هذا الجيش ظل هناك محاصرا من طرف المغاربة دون أن يتمكن من الرجوع إلى الوراء ودون أن يستطيع الأسطول إمداده بما كان يحتاج إليه من مؤونة، إلى غاية يوم 13 من نفس الشهر، وهذا ما جعل الإسبانيين يطلقون على المعسكر الذي ظلوا فيه اسم معسكر الجوع، Campaments del hambre

وعندما انقطع المطر وهدأت العاصفة لم يكن من السهل على القوات الإسبانية عبور النهر لكثرة الأوحال وغزارة المياه، ورغم ذلك تطوع الجنرال صاحب الترجمة وهذا ما جعله يستحق في نظر دولته لقب كونت أسمير.

ولد صاحب اللقب سنة 1810 وتوفي يوم 24 أبريل 1871.

Castillo. *La Guerra de Africa*, Madrid 1861, Garcia Figueras (T) *Recuerdos centenarios de la guerra de Africa.* Madrid 1961.

محمد بن عزوز حكيم

اسنادة، قصبة توجد بالمدشر الذي سميت عليه بفرقة الواديين من قبيلة بني يطفت الريفية ، وكانت تعرف ب "ثران بادس" (عين بادس) وذلك لأن منها كانت تجلب المياه الصالحة للشرب إلى مدينة بادس، ووجود هذه القصبة في العهد السعدي ينفي ما يدعيه البعض أنها من القصبات التي أمر السلطان مولاي إسماعيل ببنائها، وكل ما في الأمر هو أنه في عهد السلطان المذكور تم ترميمها وإقامة حامية عسكرية بها.

وقد لعبت قصبة "ثران بادس" دورا مهما في الحرب الأهلية التي عرفها المغرب بعد موت عبد الله الغالب،

ومهاجمة محمد المتوكل من طرف عمه عبد الملك الغازي، وظل المتوكل يحارب من أجل استرجاع عرشه أكثر من سنة إلى أن اضطر إلى اللجوء إلى قصبة "ثران بادس" يوم 9 رمضان 985 / 20 نوفمبر 1577. وفي اليوم التالي وجه إلى الحاكم الإسباني بجزيرة بادس خوان دي مولينا Juan de Molina رسالة يطلب منه فيها إخبار الملك فيليب الثاني Felipe II بوصوله إلى القصبة المذكورة.

وبعد ثلاثة أيام أي في 23 نوفمبر وجه المتوكل رسالة أخرى إلى العاهل الإسباني يطلب منه مساعدته لاسترجاع عرشه ، وعلى إثر ذلك اجتمع مجلس الحربية الإسباني بمدريد يوم 13 ديسمبر 1577 وقرر منح المتوكل حق اللجوء إلى جزيرة بادس صحبة أفراد أسرته وإحاطة ملك البرتغال دون سيبستيان Don Sebastian علما بذلك .

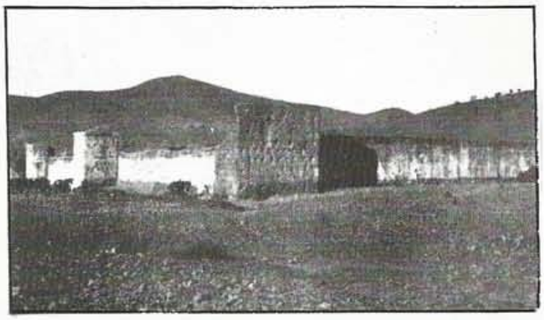

قصبة اسنادة بقبيلة بني يطفت

وبعد ستة أيام أخبر الملك فيليب الثاني سفيره بلشبونة بوجود المتوكل بقصبة "ثران بادس"، وبأنه طلب منه المساعدة، غير أنه لم يوافقه على ذلك لأن إسبانيا قد اعترفت بأن التدخل في المغرب هو من حق البرتغال وحدها.

وأجابه الملك البرتغالي يوم 30 ديسمبر قائلا إنه يجب على الحاكم الإسباني بالجزيرة المذكورة أن يعامل المتوكل معاملة الملوك ويرحب به في الجزيرة في حالة ما إذا لجأ إليها مع إشعار العاهل البرتغالي بذلك ، وهو ماأمر به عاهل إسبانيا حاكمه بالجزيرة يوم 20 يناير 1578. كان المتوكل لازال بقصبة "ثران بادس" عندما وصلت إلى جزيرة بادس ست سفن تحمل معدات حربية أرسلها ملك البرتغال إلى المتوكل، وفي القصبة المذكورة استقبل المتوكل يوم 25 يناير المبعوث البرتغالي الكومندار باسطياوُو كَونثا لفيث Bastiao Gonzalvez الذي جاء لإخبار المتوكل بأن دون سيباستيان على استعداد تام لإعانته ضد عمه مولاي عبد الملك ، وقد ظل المبعوث البرتغالي بالقصبة إلى يوم فاتح فبراير.

ومن قصبة " ثران بادس" وجه المتوكل رسالته المشهورة إلى علماء وشرفاء وأعيان المملكة يحاول فيها تبرير طلبه المعونة من العدو ضد عمه يقول فيها إنه لم يقم بطلب المعونة من النصارى إلا رغبة منه في حماية المسلمين من طغيان مولاي عبد الملك ، هذه الرسالة التي نشرها بعض الباحثين بدون تاريخ. وقد استطعنا ضبط تاريخها وهو يوم 17 ذي القعدة 985 / يناير 1578 بفضل فهرسة الشريف الحسن بن محمد بن علي ابن ريسون المتوفي سنة 1055 / 1645 التي توجد النسخة الوحيدة منها بخزانة گارثيبا فيگراس Garcia Figueras بمدينة شريش بإسبانيا.

وظل المتوكل المذكور إلى يوم 14 فبراير 1578 حيث توجه إلى الشاطىء الموالي لجزيرة بادس ليكون هناك مع ثلة من أتباعه تحت حماية المدافع الإسبانية، وذلك إلى غاية يوم 26 مارس حيث توجه بأمر من الملك البرتغالي إلى مدينة سبتة عن طريق البحر.

وقرية اسنادة مشهورة بوجود زاوية الشرفاء الوزانيين بها . وقد لعبت هذه الزاوية دوراً مهماً في تاريخ المقاومة المسلحة الريفية ضد الغزو العسكري الإسباني لشمال المغرب في أوائل عهد الحماية. وبها توجد المقبرة اليهودية الوحيدة بناحية الريف.

الحسن ابن ريسون، *فهرسة*، مخطوط.

ملف 38 و395، Archivo General de Simancas (España) guerra antigua.

محمد ابن عزوز حكيم

أسْنُوس، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر الجبلية، اشتهر أفرادها بالعلم، فكان منهم العالم المؤقت العدل عمر بن النادي، وابنه العالم الأديب الشاعر مَحمد بن عمر النادي، ولم يبق اليوم أحد من هذه الأسرة بتطوان.

ع. سيكرج ، *نزهة الاخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 و26 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo* 1929 (A). *vademecum de intervencionnes* (año 1931) 1932 (A). M. Ibn Azuz Hakim *Apellidos Tetuanies de origen español* 1949 (A).

أسنوس، عمر بن النادي. عالم وفقيه بقبيلة بني حزمر الجبيلة، ومنها انتفل إلى تطوان حيث كان مؤقتا بالمسجد الأعظم ويتعاطى في نفس الوقت العدالة من سنة 1235 / 1820 إلى سنة 1242 / 1827، ولم يخلف إلا ولداً واحداً اسمه امحمد . ولايعرف تاريخ وفاته .

م. داود، *تاريخ تطوان*، 7 : ص 248.

Vademecum de intervenciones (año 1931 (A). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen* espanol 1949 (A).

أسنوس، مَحمد بن عمر بن النادي عالم وفقيه وأديب وشاعر، ابن العالم عمر بن النادي، ولد بتطوان حيث نجده يتعاطى خطة العدالة من سنة 1271 / 1855 إلى سنة 1298 / 1881، وفي سنة 1312 / 1894 كان إماما ومدرسا بالزاوية الناصرية، وفي السنة التالية ناب عن قاضي تطوان، وعليه قرأ قاضي قضاة الشمال الفقيه احمد الرهوني.

توفي بتطوان في شهر ربيع الأول 1315 / غشت 1897 ودفن بالزاوية الحراقية.

الرهوني، عمدة *الراوين*، 2 : ص 114 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 5، ص 231 و 272، 7 : ص 252.

Delegacion de Asuntos *Indigenas, familias ilustres de Tetuan* 1921 (C) Isidro de las Cagigas *familias tetaunies de abolengo* 1929 (A). *Vademecum de intervencion (año 1931)* 1932 (A). M. Ibn Azzuz Hakim, *apellidos tetunies de origen espanol* 1949 (A).

محمد ابن عزوزحكيم

أَسْنِي، يطلق على حوض فلاحي يمتد على ضفاف وادي غيغاية بالأطلس الكبير جنوب مراكش، يخترقه الطريق الثانوي 501 الرابط بين مراكش وتارودانت عبر تيزِي نْ تَاسْتْ. كما يطلق هذا الإسم بنفس الحوض على مَركَز إداري وسوق أسبوعي، وعلى دوار كبير يعرف بقصبة أسني، ويقع بالطرف الجنوبي لهذا الحوض عند نقطة يضيق فيها ليتحول إلى واد ضيق هو وادي غيغاية الأعلى، كما يطلق على جماعة قروية تابعة لدائرة تحناوت بإقليم مراكش تبلغ مساحتها 367 كلم2 وسكانها 12.308 نسمة (1982).

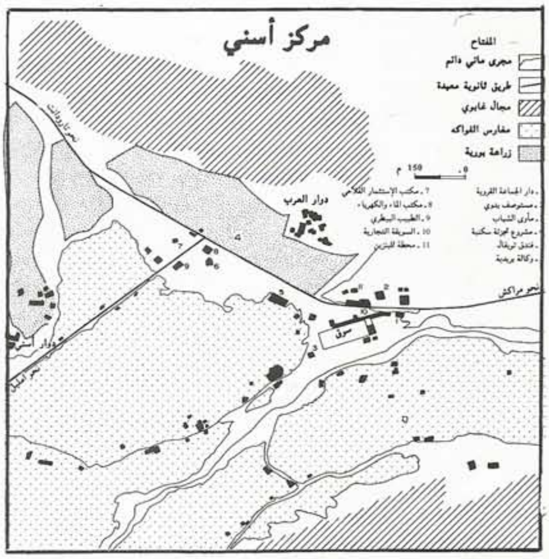

قرية أسني : يعتبر دوار أسني منطلق التسمية، وهو يقع بموضع يجمع بين ميزات فلاحية واستراتيجية ودفاعية. فهو يقع عند التقاء مجالين فلاحيين متكاملين، هما حوض أسني المسقي، الذي يمتد أسفله، وتلال مسطحة القمم ضعيفة الانحدار تقع عالية عند عاليته، تستغل في الزراعة البورية للحبوب والرعي، كما تشرف عليها جبال غنية بغاباتها، وتشرف من موضعها المرتفع على مدخل وادي غيغاية، وعلى الطريق المار أسفلها نحو إمليل وسيدي فارس بجبل إفغان، وتراقب من بعيد الممر التاريخي العابر للأطلس الكبير عبر تيزي نْ تَاسْتْ، لاتزال قرية أُسني متسمة بالطابع الريفي، إذ تتكون من سبعة تجمعات سكنية تنتشر على منحدر متموج تقطعه مسيلات وأخاديد. يتميز بينها تجمع سكني قديم يوجد بأعلى المنحدر هو القصبة، ويعتبر النواة الأصلية للقرية، لازال يطغى على جل المنازل الطابع الجبلي فهي تتكون غالبا من طابقين، يخصص الطابق الأرضي للمواشي والعلف وأدوات العمل، ويخصص الطابق العلوي لسكن الأسرة، وتتخلل القرية أزقة ملتوية، تختلف في اتساعها من جهة أخرى، ولاتحظى من وسائل التمدين الحديث سوى بالكهرباء التي وصلتها منذ سنة 1960، لكنها تتوفر على بعض مظاهر التمدين التقليدية، مثل الحمام والفران والمسجد والكتَّاب بالإضافة إلى عدد من الدكاكين (26). أما الماء الشروب فيحصل عليه السكان من الواد أو من بعض العيون.

يعمر القرية وكذلك الحوض ساكنة بربرية مصمودية متجانسة من صلب قبيلة غيغاية تتكلم لهجة "تاشليحت"، كما استوطن القرية منذ القديم بعض اليهود لما وجدوا بها من امكانيات تجارية مهمة. وقد وصل عددهم قبل هجرتهم الجماعية في بداية الخمسينات إلى 30 أسرة. ويجهل السكان المحليون دلالة التسمية، ويفسرها بعضهم بشمع النحل، كما يفسرها آخرون بالعقدة أو الرباط أو الرُكوب، باعتبار أنَّ القرية مرحلة مهمة تلتقي فيها عدة طرق ومسالك. لقد أضفت وظيفة العبور ومناعة الموضع وسعة الحوض الزارعي أهمية اقتصادية، واجتماعية على قرية أسني منذ القديم.

صورة جوية لوادي أسني

لقد كان للتحولات الاقتصادية الحديثة انعكاسات على قرية أُسني، فعرفت توسعا عمرانيا لتزايد سكانها وظهور مداخيل وأنشطة حديثة، مما جعلها تحتفظ بدورها كقرية كبيرة، رغم أن تزايد سكانها كان متوسطا، خلال العقود الثلاثة الأخيرة، 795 ن سنة 1960 و910 ن سنة 1982. وجل

السكان من أسر الفلاحين الصغار الذين يمتلكون بقعا مجهرية تقل عن نصف هكتار بالمجال المسقي بالحوض، لكنها تتسع في المجال البوري بالتلال، وينمو مسلسل رسملة الإنتاج والعلاقات بتحول عدد متزايد من السكان إلى عمال زراعيين في البساتين العصرية كما يهاجرون إلى خارج المنطقة.

حوض أسني : هو بهرة تمتد على طول واد غيغاية لمسافة 6 كلم من الشمال نحو الجنوب، تتكون من صخور هشة : طين وطفل وحث برموترياسي، حفرها الواد مستغلا وجود فالق طولي، كون منطقة ضعف صخرية، يشرف عليه من الجهة الغربية على علو 300 م إفريز هضبة كيك الكلسي. ومن جهة الشرق حافة هضبة إفغان، ويتميز الحوض بتربة سمراء غنية. تقدر مساحة الحوض بحوالي 1300 هـ، يتراوح ارتفاعه بين 1200 م بالعالية و1100 م بالسافلة يتميز باعتدال أمطاره : 486 ملم/ سنة ورطوبته النسبية وجودة مناخه، وقد فقد غطاءه الغابوي بسبب قدم الاستغلال البشري، وكان يستغل سابقا في إطار زراعة تقليدية واسعة للحبوب مع العناية بأشجار قليلة للزيتون وتربية المواشي، لكن جودة مناخه ووفرة مياهه وقربه من مراكش جعله أول هدف للاستغلال الفلاحي الاستعماري بالمجال الجبلي للأطلس الكبير، إذ حصل عدد من المعمرين على أجود الأراضي وأوسعها بضفاف الواد، وأقاموا مزارع عصرية شجرية ثمينة، أهمها التفاح الذي انتشر من هنا إلى باقي الأدوية والأحواض الجبلية بالأطلس الكبير الغربي.

وبعد الاستقلال عرف مسلسل التحولات الاقتصادية الرأسمالية دفعة قوية، فتحولت أكبر ضيعتين استعماريتين إلى مزرعتين نموذجيتين تحت إشراف شركة التنمية الفلاحية (صودية) وشركة إدارة الأراضي الفلاحية (صوجيتا) وامتلك عدد من الملاكين الحضريين وأعيان المنطقة مزارع عصرية للفواكه. كما تحول الكثير من الملكيات الصغيرة التقليدية إلى زراعة الفواكه خاصة التفاح، الذي أحدث بوادر "ثورة خضراء" بالمنطقة. ويعتبر هذا من خصوصيات حوض أسني.

ونظرا لارتفاع أثمنة الأرض الزراعية، إد تكاد تعادل أثمنة البقع المخصصة للبناء، لأن مدخولها من التفاح يعادل مدخولها من كراء السكن لو بنيت، فإن حركة دمج الأراضي تسير ببطء كبير، ولازالت البساتين الصغيرة والمجهرية منتشرة بأطراف الحوض.

المركز الإداري والتجاري الحديث لإسني : لقد عملت السلطات الإستعمارية على تحويل مركز الثّقل الاقتصادي والاجتماعي من قرية مولاي إبراهيم القريبة (5 كلم) بهضبة كيك، إلى حوض أسني خاصة بعد بناء وترصيف الطريق الثانوي 501، فأقامت عددا من المنشآت الإدارية والإقتصادية منها مركز الدرك ومستوصف ومأوى الشباب وفندق ومتاجر، كما نقلت إليه السوق الأسبوعي الذي كان يعقد سابقا بمولاي إبراهيم، وبذلك ظهر مركز أسني الحديث المرتبط بالطريق في مكان يتوسط الحوض بعيدا عن القرى القديمة التي تنتشر بهوامش الحوض. وقد تدعم هذا المركز بعد الإستقلال ببناء عدد من الإدارات والمصالح التقنية وتجديد منشآت السوق الأسبوعي الذي صار يعتبر من أنشطة الأسواق بالمنطقة، مصنف بالدرجة الثانية. كما ظهر ببابه سويقة دائمة النشاط، تتكون من 8 مقاهي شعبية وعصرية و56 دكانا، كلها مبنية بالإسمنت بطريقة عصرية ومجهزة بالكهرباء والماء الشروب.

وبدأ ينتشر حول هذا المركز سكن متفرق، إما للملاكين الحضريين أو أرباب المهن غير الفلاحية كالإداريين والفنيين أو بعض الملاكين المحليين والعمال الزراعيين.

بحوث ميدانية.

أحمد هوزالي

أسُولْ، قصر من قصور قبيلة أيت مرغاد في السفح الجنوبي للأطلس الكبير الشرقي بحوض وادي غريس، والكلمة واردة في أسماء الأماكن في صيغة الجمع إيسْوَالْ ولكن الصيغتين غير مُستعملتين الآن في التداول اليومي في اللغة الأمازيغية. ويعتقد إميل لاووست (E. Laoust و *Contribution*,16) أن الكلمة صيغة أخرى لإسلي الذي يعني الصخر. وينطبق هذا التفسير بشكل كبير على موقع قصر أُسُولْ الصخري وكذلك على موضع آخر يحمل اسم إيسوال صيغة الجمع لأسول والذي يوجد بالسفح الشمالي للأطلس المتوسط شمال غربي قرية عين اللوح.

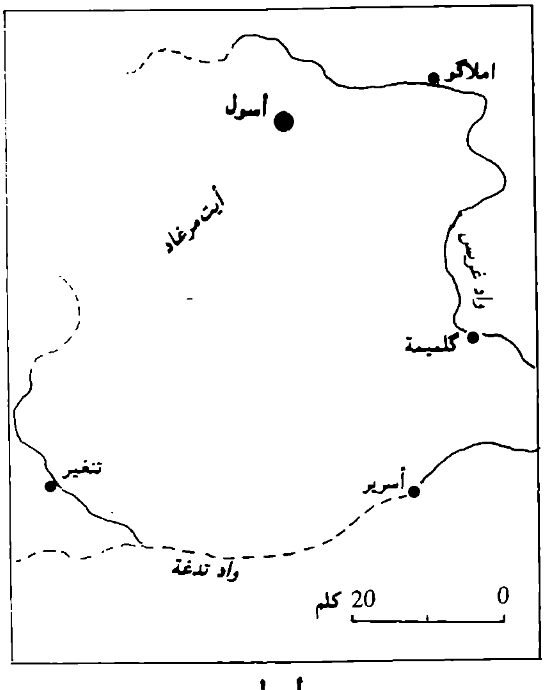

أسول

وقد اشتهر قصر أسول بكونه مقر ضريح الشيخ سيدي أبي يعقوب وزاويته، وهو أحد أبناء مولاي عبد الله أمغار

الصغير الذي هو بدوره أحد حفدة مولاي عبد الله أمغار الشريف الإدريسي الذي أسس رباط تيط بمنطقة دكالة في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. وقد بلغ تأثير هذا الشيخ في المنطقة إلى حد ظهور فخدة تحمل اسمه بالمنطقة وتشتهر بقداستها في حوض غريس كله. ومولاي عبد الله أمغار الصغير والد أبي يعقوب هو شيخ سيدي مَحمد بن سليمان الجزولي مؤسس الطريقة الجزولية في المغرب في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وهذا ما يجعلنا نحدد تاريخ تأسيس زاوية سيدي بويعقوب التي اشتهر بها قصر أسول في نهاية القرن 15 أو بداية القرن 16 الميلاديين وبهذا تكون الزاوية قد أُسست في فترة اتسمت بانتشار الحركة الصوفية بالمغرب. ولكن الشهرة التي اكتسبها أبناء الشيخ سيدي أبي يعقوب في المنطقة لا تفهم إذا لم نأخذ بعين الاعتبار الوضعية التي يقوم بها الشيخ الصوفي والسلالة المقدسة المنحدرة عنه في تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان. وقد عظم نفوذ سلالة شيخ أسول في هذا المجتمع حتى إن كل القوات السياسية المغربية في القرون 17 و18 و 19 م تعتمده في سياستها التهديئية لدى قبائل هذه المناطق. وقد ظهر هذا الأمر بصفة جلية لما بسط أهل الدلاء نفوذهم في منطقة غريس في القرن 17 م وفي سياسة المولى إسماعيل تجاه كتلة أيت أومالو في نهاية القرن 17 وبداية القرن 18 الميلاديين.

De la Chappelle, *Moulay Ismail et les Sanhaja du Moyen Atlas* ; L. Reynier, *Le Document de Sidi Brahim* ; C. Henry, *Les Ait Sidi Bouyagoub*, C. H. E. A. M. ; *Les Ait Morghad* ; E. Laoust, *Contribution* ; L. Mezzine, *Le Tafilalet.*

العربي مزين

أَسُول، مُعتقل من المعتقلات الصحراوية التي حشر فيها الفرنسيون الوطنيين المغاربة إبان الأزمة السياسية لسنة 1953. يَقع شمال أَغْبَالُو نْكردوس ويَبعد عن أَمَلاَگُو بنحو ثلاثين كيلوميترا. يسقط فيه الثلج بغزارة أيام الشتاء. وقد نُفي إليه محمد الرشيد ملين رئيس حزب الأحرار في أوائل سنة 1953، حيث حُبس في بيت ضيق لا هواء فيه ولا نور، ولم يكن قد استعدَّ لمثل لذلك الطقس البارد، على ضعف بنيته واختلال صحته فقاسى من أهوال البرد والجوع وسوء المعالمة ما سجله في كتاب *فصل الشتاء في أسول* أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار.

كانت أسول ـ حسب مشاهدة المؤلف ملين ـ تحتوي على سوق تحيط به دكاكين وقليل من المنازل، ومدرسة صغيرة يقصدها بعض الأطفال ومستوصف لم يره المؤلف يوماً مفتوحا، ومحكمة بربرية يأتي إليها أعضاء الجماعة يوم الجلسة في ثياب فضفاضة بهيجة. إضافة إلى دار الحاكم العسكري الفرنسي ومكتبه وإصطبله، .ومعسكر وكنيسة وسجن. وكان من الوطنيين المنفيين بأسول آنذاك أيضا مصطفى نحوسة الخنيفري من عائلة موحا وحمو الزياني.

م. الرشيد ملين، *فصل الشتاء في أسول* أو الكفاح السياسي لحزب الأحرار، (القسم الأول) الرباط (د.ت) ؛ م. المختار السوسي، *معتقل الصحراء*، 25.

محمد حجي

أسولين أبراهام، كبير أحبار مراكش (القرن 18 ـ 19).

أسولين ليڤي، حبر بسلا، ثم بالقسطنطينة، مؤلف *سفر ربحي إلهيم*، حول قواعد الاضحيات (طبع بتونس) ومواعظ (يـ . بنايم، مالخي ربانان) توفي عام 1903.

أسولين، موشي، حبر عاش بفاس وتارودانت في القرن السادس عشر. مؤلف *سيفير ديراشوط*، وهو مجموعة مواعظ (انظر يـ . مالخي ربانان)

أسولين، موشي، متصرف جمارك طنجة، في عهد مولاي سليمان.

أسُولين ميمون، حبر بمراكش (القرن 18 و 19).

شمعون ليڤي

أسيفاغ ← سمك

أسيف أدودو واد ينبع من جهة الأخصاص جنوبا ويمر جنوب غربي تزنيت ثم يمر بعد ذلك بأگلو حيث يصب في المحيط عند ضريح سيدي موسى. وصل إلى جهاته وجهات واد والغاس كل من السلطان مولاي إسماعيل، ومولاي الحسن، ومولاي يوسف (نونبر 1926)

أحمد التوفيق

أسيف المال، أحدُ أودية السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي في الحوض الهيدروغرافي لواد تانسيفت، وتعرف باسمه فرقة من قبيلة گدميوة ودوار منها وجماعة قروية. ومجال هذا الوادي مجاور لمجال سكساوة ولكنه تابع إدارياً لدائرة أخرى هي أمزميز. ويمتد أسيف المال على حوالي أربعين كلمتراً في مناطق جبلية متباينة المعطيات. وينبني اقتصاد السكان فيه على الزراعة وتربية الماشية كما هو الشأن بالنسبة لجميع أودية جبل درن.

وفي هذه المنطقة توجد إين ماغوس التي ذكرها البكري أو بلاد ماغوس كما عند البيذق. وفيه أيضا أماكن ذكرت في تواريخ الموحدين مثل أيت عثمان وأيت تبكاوْ، وذكر الوزان ومارمول أسيف المال وذكرا معاً أنه أسيف نوال أي واد الضوضاء، وهذا التأويل المبني على وضع النون مكان الميم غير مؤكد. والأكيد أن بهذا المجال آثاراً لرؤسائه الهنتاتيين مثل الجمعة الجديدة التي بناها إدريس الهنتاتي وبه أيضا مدينة تينزا وهي قديمة، وأسيف نوال عند ليون الإفريقي هو نفس أسيف المال وليس واد إمينْتانوت. والأصل في اسمه كما عند الزرهوني في *رحلة الوافد* هو أسيف مال على نحو أزْرومال أحد دواوير فخذة أيت گاير بعالية هذا الوادي نفسه. وفي هذا المعنى قد يكون ألْ أو ألاً هو العمق بمعنى واد الأعماق الداخل في الجبل. وقد

يكون "أسيف المال" أي وادي المال إذا كانت تستخرج منه فيما مضى معادن تصلح لسك النقود.

وبالمقارنة بين تعداد 1936 واحصاء 1971 نجد أن عدداً من دواوير أسيف المال أصبحت تابعة إدارياً لفخذة سيدي بوعثمان. ومركزها زاوية ذات إشعاع علمي وديني، زاد من أهميتها اكتشاف معدن الزنك والرصاص واستغلاله في هذه المنطقة.

أ. البكري، *المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب* ؛ أ.البيذق، *المقتبس من كتاب الأنساب* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ ح. *الوزان، وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفرقيا* ؛ ع. الزرهوني، *رحلة الوافد* ؛ أ. بلاوي، *بلدان أدرارن درن، دراسة جغرافية للأطلس الكبير جنوبي مراكش*، دكتوراه الدولة، جامعة تور، فرنسا.

M. Quedenfeldt, *Division et répartition de la population berbère au Maroc*. S. A. R. *Tensift*, MHAT -DAT-DEE, Rabat, 1981.

أحمد بلاوي

الإسيكي، على بن أحمد. ولد عام 1288 / 1871 بقرية تاگضيشت من إساگنْ بكاف معقودة، من قبيلة أيت صواب، أخذ القرآن عن والده المعدود من القراء المعلمين في المساجد، وعن أستاذ مقرىء بهوارة. وحين أتم مراده من ذلك توجه لأخذ العلم عن أساتذة عصره، فافتتح عند العالم الشهير بالحاج عابد (عبد الرحمان) التيفراسني البوشواري (ت. 1350 / 1932) المبادئ الضرورية لكل مبتدئ، ثم استكمل مرغوبه عن الفقيه الحسين الأسغركيسي، والعلامة الحاج علي التوفلعزتي والشيخ المنقطع النظير الحاج احمد بن عبد الرحمان الجشتيمى والعلامة الكريم الرباني الحاج الحسين الإفراني. وكل واحد من هؤلاء الأعلام كان في مدرسة خاصة تحيط به فيها ثلة من الطلبة العطاش للارتواء من حياض علومه وزبدة فهومه. ولما طفح للمترجم وعاؤه وامتلأ له إناؤه تصدر لنشر العلم وبذله لطالبيه في مدارس متفرقة : سيدي بومزگيدا وتوعلات وسيدي مسعود أفلوس وسيدي ابن هارون وسيدي مزال البودرقي وإساگن.

وهذه المدارس العتيقة كان أساتذتها يجمعون بين علوم الشريعة والحقيقة في الغالب إن كان بينهما فرق.

أخذ عن المترجم عدة مستفيدين صار لهم من بعد شأن كبير، منهم الأديب الكبير داوود التغاتيني الرسموكي، وللمترجم *مؤلف* حول زكاة ما هو للأحباس، ضمنه سبع ملاحظات وثلاثة مباحث، راجع فيه معاصره سيدي محمد ابن أحمد البزياوي الهشتوكي المشهور بتيفغرار. *وحاشية* على شرح السيوطي لألفية ابن مالك، *وطَرَرٌ* على مختصر السعد و*كتاب صغير* في ترجمة شيخه الإفراني الذي أذن له في التقديم لتلقين اوراد الطريقة التجانية لمريديها، كما أجازه بذلك الحاج الأحْسْن البعقيلي، وله *رحلة إلى الحج* في 4 قعدة عام 1351 رجع منها في 20 محرم فاتح 1352 محررة بخطه لم يزد فيها على ذكر ماقام به من أعمال الحج والزيارة. وحين رجع من هذه الرحلة هنأه تلميذه داوود بن عبد المنعم الرسموكي المذكور آنفا بقصيدة دالية في 31 بيتا من بحر الطويل مطلعها:

بمقدمـك الميمـون ياقمـر السعـــــد   تعطرت الارجا من الغور والنجـد
وعم الهنا والسعـد واليمـن هـــذه   البقاع بمسراك المتاح على القصـــد

ولم يزل المترجم مقبلا على مايعنيه صارفا أوقاته في الأذكار وأنواع الطاعات إلى أن أجاب داعي ربه في الساعة 9 من نهار يوم السبت 22 شوال 1364 / 2 اكتوبر 1945 بداره إساگن رحمه الله. ورثاه تليمذه المذكور بقصيدة ميمية في 51 بيتا بنفس البحر مطلعها:

أسَالَ الآسى من شان عينيٌ عندما   وأودع أحْشـائي لهيبــاً تضَرّمـا
وأظلـمــت الآفـاق واغبـر لونُـها   وعبّسَ وَجْه الكـوْن أدكـن أفحمـا
وغابت بُدُور المجد واحلو لك الهَوَا   وأوحش ربْعُ الفَضْل والدِّين مُظلمـا
غداة قضى الشيخ الأسيكي نحْبَهُ   وأقفر منْ رَسْم الهُدى ذلك المنمـا
إبو الحسنِ الرّاكي عليٌ بن أحمـدٍ   إمامٌ جليَل فضلُـه الكـوْن أفعمـا

مقيدات سوسية خاصة.

رشيد المصلوت

إسِينْ (معدن ـــ) منجم قديم كان يستخرج منه النحاس، موقعه بجهة إفران الأطلس الصغير عند قدم السفح الجنوبي لهذا الجبل. كان أهل إفران يستعملونه في بداية القرن السادس عشر لصنع أواني نحاس مطلوبة في أسواق السودان. وقد أكد مارمول بعد الوزان أن معدن النحاس المعروف عند السعديين بالصيني لجودته وصفائه كان يستخرج من هذا المكمن. وبموقعه كان للشريف السعدي محمد الشيخ حصن يسمى أفنسو (الحجر) وفيه يحصي المخزن السعدي المعدن المستخرج ويوزعه بمقادير معينة. وهذا ما يؤكد مراقبة السعديين لهذا المعدن.

ولربما كانت آثار هذا المكمن المعدني بادية اليوم في آثار بأكَجْكَال (إسَّانْ) عند أيت تكني، وتقع هذه القرية شمال غربي فم الحَصن على بعد 25 كلم شرق جنوب شرق إفران، إذ توجد بقايا معدنية للأورانيوم والنحاس وكذا آثارأشغال معدنية قديمة.

ح.الوزان، *وصف افريقيا* ؛ مارمول، *أفريقيا*.

B. Rosenberger, *Les Anciennes exploitations minières* ; D. J - Meunié, *le Maroc Saharien*, 2 : 742.

أحمد التوفيق

إشْ، كلمة أمازيغية معناها "قرن" جمعها "أشّاوَنْ"، وتطلق عادة على قمة جبل حادة، وتكتب أيضا "إيش" وتنطق محليا "ييش"، وهي واحة صغيرة في أقصى شرق المغرب على مسافة حوالي 100 كلم شرق بوعرفة عبر طريق معبدة وعلى مسافة حوالي 70 كلم شمال فگيگ عبر مسالك وعرة.

وتحتل هذه الواحة موضعا على ارتفاع 1175 مترا في وادي إش وهو أحد روافد وادي الرمال الذي يمر قرب فگيگ في اتجاه رمال العرق الغربي شرق وادي زوز فانة. ويشرف على هذه الواحة عدد من الثلال والجبال ذات القمم الحادة التي قد تكون مصدر تسميتها "إش"، وهي جبال كلسية وحثية توجد في قلب المنعطف الذي يصل بين

الأطلس الكبير الشرقي والأطلس الصحراوي. ويتميز هذا الوسط بمناخ قاحل ينعكس على غطاء نباتي هزيل لايحمي التربة من التذرية الريحية التي تحولها إلى كثبان رملية منتشرة حول الواحة.

تتكون الواحة من بساتين أقيمت على مدرجات في شكل شريطين على ضفتي الوادي، وقصر بني فوق مصطبة مشرفة على هامش الضفة اليسرى خارج المجال الزراعي. وتتميز واحة إش بوفرة المياه في شكل عيون يصرفها الواد على الدوام وبضيق المساحات المزروعة والمغروسة، ويعتمد في هذه الفلاحة على الري التقليدي بواسطة سواق تنطلق عبر البساتين من سدين تقليديين صغيرين يحجزان مياه الوادي. وقد اشتهرت هذه البساتين بجمالها وغناها، وخاصة بالأشجار المثمرة مثل التفاح والرمان والخوخ والتين والمشمش واللوز والجوز، إضافة إلى النخيل الذي تعتبر ثماره أقل جودة بحكم موقع الواحة في الحد الشمالي لنطاق التمر.

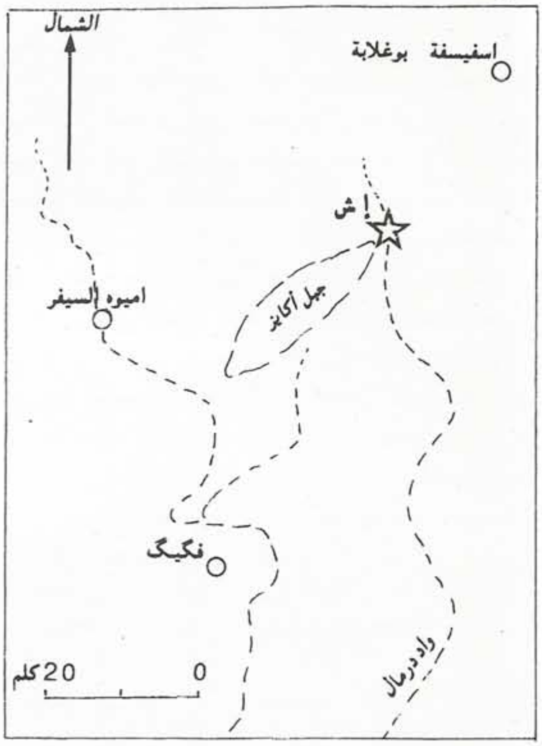

إ ش

أما سكان إش فيشكلون "جزيرة" من المستقرين، وسط بدو رحل من قبائل العمور، ويتكلمون الأمازيغية بلهجة فيگيگية، وهذا ماقد يرجح انتسابهم لبعض قصور فگيگ كما هو شائع في كثير من الروايات، وكما يتجلى ذلك أيضا في ارتباطاتهم التاريخية بأهل فگيگ.

عرف هؤلاء السكان الهجرة نحو البلاد المجاورة والبعيدة منذ القديم، وقد احتدت في العقود الأخيرة بشكل لافت للانتباه يؤكده تناقض عددهم بين الإحصاءات الرسمية : 476 ن سنة 1960 و445 ن سنة 1975 و 278 ن سنة 1982.

وقد ارتبطت هذه الهجرة أول الأمر بعلاقات اقتصادية كانت سائدة وخاصة مع فگيگ وعين الصفراء، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه بوعرفة ـ التي عرفت نموا كبيرا ـ ووجدة ومكناس والدار البيضاء، بل وحتى باريس. وتتمثل هذه العلاقات الاقتصادية في التبادل التجاري الذي كان مرتكزا على تصدير البقول والفواكه والماشية والمنتجات الصوفية، إلى جانب الاشتغال في عدد من الأوراش.

وقد عرفت اقتصاديات إش تدهورا محسوسا، نتيجة لحركة الهجرة وتقلص المنافذ والمجال مع تطورات الأحداث التي رافقت وأعقبت استقلال الجزائر.

يتميز الوسط الاجتماعي في إش بمتانة الروابط العائلية في إطار وحدة متماسكة تتجسد في قصر وحيد يتسم بالتجانس على كثير من المستويات. ويأوي هذا القصر أضرحة عدد من الأولياء : سيدي عبد القادر محمد وسيدي الشيخ وسيدي إبراهيم وسيدي بوعزة وسيدي عبد الله، كما أنه لم يخل من تأثير بعض الزوايا ولاسيما الكرزازية والقادرية.

جانب من قرية إش

يتكون قصر إش من بضع عشرات من المساكن التقليدية المتراصة، تفصل بينها أزقة ضيقة ومغطاة في أغلب الحالات بسقف يقي من الحر صيفا ومن القر شتاء. وتستعمل في البناء مواد محلية تشمل الطين والجير والطوب والحجارة وأعمدة وألواحاً من خشب الأشجار والنخيل والدفلى والقصب، وقد انضم إليها الإسمنت في الآونة الأخيرة، وتحتوي هذه المساكن عادة على فناء وعدة غرف ومرافق يخصص بعضها للدواب والماشية.

وتقتصر المنشآت والتجهيزات الجماعية في هذه الواحة على مسجد عتيق وآخر حديث في طور البناء وقسم مدرسي وحيد ومستوصف صغير ومولد كهربائي وشبكة وأنابيب الماء ومقر لخليفة القائد.

استطلاعات ميدانية. روايات شفوية.

عبد الرحمان الحرادجي

أشَّبَارْ، ويرد أحيانا بصيغة أشَّبارُو، وهو اسم لعدة قرى ومعناه : حصن المراقبة أو برج الرماية أو المكان الطبيعي المشرف الصالح للمراقبة أو الرماية. وأشبار الذي

نزل به عبد المومن بن علي الموحدي وهو يتعقب تاشفين بن علي (*البيذق*، 89) كان يقع بدون شك في دير الجبل بجهات دمنات بين وادي تاساوت والوادي المعروف اليوم بالأخضر.

البيذق، *أخبار المهدي*.

أحمد التوفيق

ابن **الإشبيلي**، علي بن محمد بن خليل اللخمي المراكشي، ويكتب في بعض المصادر "خليد" بالدال ولعله تصحيف. وأصله من الأندلس وبها درس وتخرج عالما كبيرا "وكان حافظا للفقه نافذاً في أصوله متحققا بعلم الكلام خطيباً بليغاً" (*الذيل والتكملة*) ألف كتاب *المعراج* وقدم به على عبد المومن بن علي وهو يحاصر أغمات أريكة سنة 541 / 46 ـ 1147 فأكرم وفادته وحظي عنده حظوة رفيعة إذ كان داعية للموحدين متحمسا لتعاليم المهدي ابن تومرت، يدرس كتبه *المرشدة*، *وأعز ما يطلب*، وغيرهما في مساجد مراكش إلى جانب مؤلفات المتكلمين والأصوليين المشارقة ككتاب *الإرشاد* في الكلام لإمام الحرمين، وأخذ عنه هذه العلوم عدد غير قليل من طلبة مراكش وفاس، وفي مقدمتهم عثمان السلالجي.

اتخذه عبد المومن الناطق باسمه والخطيب بين يديه عند حضور الوفود، فانهالت عليه الدنيا وملك ثروة عظيمة وجاها رفيعاً. ونال نفس الحظوة عند الخليفة أبي يعقوب يوسف بن عبد المومن إلى أن ادركته الوفاة بمراكش سنة 567 / 71 ـ 1172.

ابن صاحب الصلاة، *المن بالامامة*، طبعة الرباط. 19،228 ـ 231 ؛ الزبير، *صلة الصلة*، 101 ؛ م. ابن الابار، *تكملة الصلة*، 2 : 668 ؛ م. ابن عبد الملك، *الذيل والتكملة*، 5 : 304 ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، 200 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 479 ـ 480 ؛ ع.ابن ابراهيم ، *الإعلام*، 9 : 59.

محمد حجي

أشتوكن ← هشتوكة

أَشْجَعْ، إحدى قبائل غطفان العدنانية. وهي المقصودة هنا، إذ توجد قبيلة أخرى باسم أشجع بن عزوز بن عمرو، وهي قحطانية، كما توجد قبيلة شجع من بني عذرة.

كانت أشجع تقيم بضواحي المدينة وتبدو ضمن المجموعة الغطفانية في حركات تمرد، فانساقت مع حركة الردة ونسبت إلى الشغب في بعض الفترات اللاحقة إلى أن رافقت جموع منها عرب بني هلال ومعقل إلى مصر ثم إلى بلاد المغرب. وسهرت الدولة الموحدية منذ أوائل النصف الثاني من القرن السادس الهجري / 12 م على ترحيل أعداد كبيرة من قبائل العرب انطلاقا من أفريقية إلى المغربين الأوسط والأقصى. وأثناء الرحلة الطويلة لهذه القبائل، اختلطت أشجع الداخلة إلى المغرب مع بني معقل الذين يرجع ابن خلدون نسبهم إلى الكتلة القحطانية (اليمنية). وكانت معقل بالنظر لقلة أعدادها تعتز بهذا التحالف مع أشجع وغيرها من المجموعات العربية التي انضمت إليها. بالرغم من كثرة أعداد أشجع نسبيا، فيظهر أنها حافظت على حلفها مع معقل لفترة طويلة وأنها اختارت في غالبيتها مساكنة فرع ذوي منصور المعقلي الذي انتشرت أعقابه على مساحات شاسعة تمتد من ملوية إلى درعة. وكان منهم قسم كبير حول سجلماسة. وهكذا اختاروا نمط الحياة الواحية شأن أسلافهم حول المدينة. وبعد قرنين من قدوم أشجع ومن كان معهم من معقل، إلى أطراف الصحراء الجنونية، ينوه ابن خلدون بكونهم كانوا لا يعرضون لقوافل سجلماسة والسودان بأذى ويذكر أنهم كانوا يحظون بإقطاعات من الموحدين ثم الزناتيين. ومن الواضح أن أشجع، شأن المجموعة المعقلية الموسعة كلها تقريبا، بالجنوب قامت بدور الوساطة التجارية بين المغرب وأقطار إفريقيا الغربية، وكانت مسوفة تقوم بنفس الدور، لا سيما منذ الحكم المريني.

كان في أشجع فريق يظعن فيما بين أنگاد وضواحي تلسمان مع جماعات عربية أخرى. فلما تولى مولاي رشيد العلوي، انضم إليه هؤلاء العرب مع قبائل من البربر، وكلهم كانوا يعرفون بشراقة (أي قبائل المغرب الشرقي والمجاورة له شرقا)، فأنزلهم بأحواز فاس، فتضرر منهم سكانها كما يذكر الناصري في *الاستقصا*، ونقلهم بعد ذلك إلى منطقة تجاور صدينة وفشتالة بين سبو وورغة. وأمدهم بالمال لبناء قصبة عرفت بقصبة الخميس وجعل منهم قبيلة واحدة فانصهر بعضها في بعض. ومن تم ذابت المجموعة الأشجعية داخل هذه البوتقة التي مقرها الحالي قرية بّامحمد. لكن توجد بضواحي فاس حتى الآن قبيلة باسم "الشجع" وأخرى بنفس الاسم بـ "العيون" من المغرب الشرقي. وهذه بالأخص لا يشك في انتمائها إلى "أشجع".

الجوهري، *الصحاح* مادة (شجع) ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* 76، 3 ؛ ج. القلقشندي، *صبح الأعشى* 1 : 344 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 ؛ ع، كحالة، *معجم قبائل العرب*، المادتان : أشجع وشجع ؛ الصديق ابن العربي، *المغرب*، 142 ـ 143.

إبراهيم حركات

أشجع، اسم يطلق اليوم على ثلاث مجموعات قبلية مغربية، متباعدة الاستقرار فيما بينها بالرغم من كونها ترجع في الأصل إلى مجموعة واحدة، لأن الحركة التاريخة قسمتها إلى ثلاث مجموعات، وفرقت بينها في الاستقرار بمسافات تبلغ مئات الكيلومترات.

المجموعة الأولى هي أشجع (الأصل)، وتستقر بالمغرب الشرقي، حول عيون سيدي ملوك، على الضفة الشرقية والغربية لوادي ملوية، عند نهاية سهول أنگاد، باعتبار أشجع أصبحت، بعد الاستقرار النهائي، تمثل في الأصل قسما واحداً من التقسيمات البشرية لسهل انگاد.

المجموعة الثانية، وهي فرع من الأولى، انفصلت عنها، واندرجت ضمن قبائل اشراگة التي تستقر اليوم حول القرية

(قرية ابا محمد)، على بعد حوالي ستين كيلومتراً شمال مدينة فاس. وكان السلطان المولى الرشيد العلوي (ت : 1082 هـ / 1672 م) قد اتخذ من قبائل اشرا گة هذه، جيشا نظاميا، لما استقدمها معه من نواحي تلمسان، وكانت آذاك من أشجع وبني عامر ومديونة وهوارة وبني سنوس، فأشجع الشرگية اليوم، شمال مدينة فاس، هي فرع من أشجع الأصل، لأسباب عسكرية واستراتيجية تم استقرارها في مكانها الحالي شمالي فاس، منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري، السابع عشر الميلادي، كما تقدم.

إلى فرع أشجع شراگة هذا، ينتسب حميدة الشجعي، الذي كان رئيساً للوفد المغربي في مفاوضات مغنية للحدود، سنة 1261 هـ / 1845، ولذلك كانت الرسائل الملكية تسميه تارة حميدة الشجعي، وتارة حميدة الشرگي، نسبة إلى أشجع الشرگية.

المجموعة الثالثة، وهي فرع من الأولى أيضا، وقد انفصلت عن الفرع الثاني، واستقرت اليوم بسهل سايس، على الطريق الرابط بين فاس ومكناس. وهي عبارة عن فرع صغير جداً كان يندرج ضمن مجموعات متنوعة من قبائل الجيش.

وهكذا يتبين أن مجموعات أشجع الثلاث كانت في الأصل مجموعة واحدة، ثم انفصلت وتباعدت فيما بينها لأسباب تاريخية بالأساس. ولكن ما هو أصل مجموعة أشجع الأولى.

هي عبارة عن مجموعة قبلية عربية الأصل، ظهر اسمها في التاريخ لأول مرة خلال الفتح الإسلامي الأول : فقد كانت أشجع، تمثل مع غطفان، وفزارة، حوالي سبعمائة مجاهد، ضمن الجيش الذي قاده عبد الله بن سعد لفتح افريقية سنة 270 هـ / 649 م (*قبائل المغرب*،351)، ثم رجع هذا الجيش إثر ذلك. ثم دخل أشجع مع بني هلال إلى المغرب، لما عبروا النيل بايعاز من الوزير الفاطمي الحسين اليازوري الذي فكر في إجازة العرب إلى المغرب، لينتقم من المعز بن باديس، فكانت بطون بني هلال، أول من عبر النيل وسار اليه، وكان فيهم مع غيرهم : أشجع وفزارة، وجشم وسلول ومعقل وعمرة وبني ثور وعدوان وطرود، اندرجوا جميعا في الأثبج خاصة، وصاروا وإياهم شيئا واحداً.

ولما طلع الزناتيون من (بني مرين، وبني عبد الواد) إلى منطقة التل، وأسسوا مملكتهم بفاس وتلمسان.. تفرد عرب المعقل بالصحراء، ونموا فيها نمواً كبيراً بمن انضاف إليهم من القبائل من غير نسبهم. مثل : أشجع والعمور والشظة والمهايا والصباح وبني سليم، كونت هذه القبائل العربية بالصحراء منطقة نفوذ واسعة تمتد ما بين المحيط الأطلسي غربا وتيديكيلت شرق توات، شرقا (*قبائل المغرب*، 415). وفي إطار عملية التدافع بين مختلف المجموعات، أخذت تمتد هذه القبائل نحو الشمال، وساعدهم على الانجذاب نحو منطقتي وجدة وتلمسان، الملوك المرينيون، وملوك بني عبد الواد معا، حيث كانوا يخضعون تارة لفاس، وتارة لتلمسان، واستعان بهم هؤلاء الملوك على مراقبة غارات القبائل البربرية وحصرها في الجبال. ومع هذا التدافع، والتحالف، والتداخل الذي وقع بين مختلف المجموعات بمنطقتي وجدة وتلمسان، تكونت مجموعة قبلية جديدة، من عدة فصائل، استقرت بسهل أنگاد وأصبحت تضم : المهايا وأشجع والاحلاف وبني وكيل وهوارة .... وغيرها من البطون العربية والبربرية التي انضمت إليها واختلطت بها عبر التاريخ، وكونت مجموعات أنگاد الحالية ؛ لأن انگاد في الأصل اسم مكان، فهو حسب ياقوت الحموي (*معجم البلدان*، 1 : 323) اسم لمدينة قرب تلمسان، كانت لعلي بن أحمد قديماً، ذات سور من تراب في غاية الارتفاع وواديها يشقها نصفين، منها إلى تاهرت بالعرض مشرقا ثلاث مراحل.

يتضح من هذا أن أشجع قبيلة عربية دخلت المغرب رسميا مع بني هلال. كما يقال أيضا بأنها من عرب معقل، منهم من جعلها كبقية المعقليين، من ذرية جعفر بن أبي طالب (*العبر*، 6 / 36 وأماكن أخرى). وقد وصلت إلى المغرب الشرقي مع المجموعات التي صحبتها مابين القرنين: السادس والسابع الهجري / الثالث عشر والرابع عشر الميلادي. غير أن استقرار أشجع بعيون سيدي ملوك، على وادي ملوية، غرب سهل أنگاد، لايرجع إلى ما قبل نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، بل هناك من أرجع هذا الاستقرار إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر (A. Bernard : 17). وقد اندمج بهم في نهاية القرن (13 هـ / 19 م) فصيلة هامة من أولاد سيدي الشيخ، وبعض العناصر المختلفة التي جاءت مع الثائر بوعمامة.

ع . ابن خلدون ، *العبر*، الجزآن 7، 8 ؛ ع .بن منصور، *قبائل المغرب*، 1 ؛ أ . العماري ، *مشكلة الحدود الشرقية*،1.

H. De la Martinière et N. Lacroix, *Document sur le nord-ouest Africain*, G/G de l'Algerie ; Service des Indigénes 1894 - 1897. (Vol. I) Ch. R. Leclerc, *Les Régions Nord et Sud de la frontière Algero - Marocaine*, Tanger, 1909 ; A Bernard, *Les Confins Algero - Marocains*. Paris 1911.

أحمد العماري

الأشراف ← الشرفاء

أشرْقِي، أسرة تطوانية لم نجد في الوثائق ما يدلنا على أصلها، ويقول عنها الفقيه الرهوني إنها انقرضت بتطوان سنة 1074 / 1762، وهذا لايتفق مع الواقع، لأننا نعلم أنه في سنة 1246 / 1830 كان يعمل كمقدم بحي البلد (حي جامع القصبة) المسمى أحمد أشرقي، وفي سنة 1289 / 1872 كان هناك شخص آخر اسمه عبد المجيد بن أحمد يتعاطى خطة العدالة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 28 و 175 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 3 : 286 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Famillias Ilustres de Tetuan* 1921 (A) Isidro de las Cagigas, *familias Tetuanies de abolengo* 1929 (A) *vademecum de intervenciones* (año 1931) 1931 (CH). M. Ibn Azzuz Hakim, *apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أشرْقي، محمد بن العربي التلمساني ثم الفاسي. عالم مشارك، أخذ عن شيوخ فاس في عصره، أمثال محمد بن رشيد العراقي، ومحمد القادري، وعبد السلام الهواري وأضرابهم. درس في القرويين قبل التنظيم، ثم كان من أول المنخرطين في التدريس النظامي بها. وكان حسن الطريقة التعليمية لاسيما مع المبتدئين حيث اشتهر بتلقين *الأجرومية* وتفهيمها في يسر.

توفي في الساعة الخامسة من عشية الاثنين رابع ذي الحجة متم عام 1363 / 20 نوفمبر 1944 ودفن بروضة أولاد ابن البشير قرب سيدي علي بوغالب وجامع الأندلس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ *سل النصال*، مخطوط ؛ إ. ابن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

محمد حجي

أشرُوطة، معركة جرت بالجماعة المعروفة بهذا الاسم من فرقة بني مهرون من قبيلة بني حسان الجبلية الواقعة بين تطوان وشفشاون. كان ذلك يوم 19 نوفمبر 1924 على النحو التالي :

على إثر الانقلاب العسكري الذي جرى بإسبانيا في شهر سبتمبر من سنة 1923 حيث تقلد الحكم بها الجنرال بريمو ذي ريفيرا "Primo de Rivera" قررت القيادة العسكرية انسحاب الجيش الإسباني من بعض المراكز الأمامية المحتلة بالناحية الغربية من شمال المغرب.

وبدأت عملية الانسحاب في شهر سبتمبر من سنة 1924 م بالجلاء عن المراكز الشاطئية بناحية غمارة، ثم توبعت العلمية في عدد كبير من المراكز الأخرى بناحية جبالة والهبط.

كان أهم وأخطر هذه العمليات الجلاء عن مدينة شفشاون الذي جرى يوم 17 نوفمبر من نفس السنة قام بالعملية الجنرالان كاسطرو خيرونا Castro Girona وسيرانو أروبي Serrano uribe.

لم يكن من السهل على القوات الإسبانية مغادرة المدينة المذكورة التي كان قد احتلها الجيش الغازي يوم 14 أكتوبر 1920، وهذا ما يفسر ما قاله الكولونيل فرانكو الذي أصبح فيما بعد رئيسا للدولة الإسبانية في مذكراته أنه غادر شفشاون على رأس فرقة اللفيف الأجنبي في الصباح الباكر من اليوم المذكور في هدوء وصمت تامين حتى لا يشعر المغاربة بخروجهم، وأن جنوده صنعوا مئات من الدُّمى على شكل رجال ووضعوها فوق أسوار الثكنات العسكرية .

لم يتعرض المغاربة لمسيرة الجيش الإسباني طيلة يومي 17 و18 حيث كانوا ينتظرون وصوله إلى جماعة اشروطة، ولكنه عندما بدأ الجيش يغادر الجماعة المذكورة في الصباح الباكر من يوم 19 وجد نفسه محاصراً من طرف المجاهدين، وعندئذ حاول فك الحصار فجرت المعركة التي كانت في مستوى معركة اغريبن المعروفة بمعركة أنوال حيث قتل فيها الجنرال سيرانو وستة من الكولونيلات، وثمانية من الكومندرات، ومائة وخمسة وسبعون ضابطا وسبعة عشر ألفاً من الجنود، واثنان وعشرون من المدنيين الإسبان، كما جرح فيها نحو ستمائة من الجنود والضباط. هذا ما تعترف به الوثائق الإسبانية السرية. وأما الخسائر المعلن عنها رسميا والمنشورة بالصحف آنذاك فقد جعلت القتلى سبعة آلاف جندي فقط. وتُعرف هذه المعركة عند الإسبان بمعركة (خندق الموت)

م .ابن عزوز حكيم ، *معارك الثورة الريفية* ، الرباط 1983 ؛ *معركة تازروت*.

T. Garcia Figueras, *Marruecos*, Madrid, 1944 Goded (General) *Marruecos : las etapas de la pacificacion*, Madrid, 1932.

محمد ابن عزوز حكيم

أشْطو، عبد الله. أحد قواد قبيلة هنتيفة (إنتيفت) من العهد الحسني إلى أن فرضت الحماية. وأُشطو يعني ابن امرأة اسْمها شطو، ودار أيت أشطو بقرية تنانت الواقعة على حدود هنتيفة مع أيت مجاطن غير بعيد عن قنطرة طريق أزيلال على وادي الأخضر. وقد تمكن رؤساء هذه الدار من اجتياز أزمات الانتفاضات القبلية 1894 و 1908.

تحريات ميدانية.

أحمد التوفيق

أشعاش، أسرة تطوانية غنية نبيهة تقلدت مناصب مخزنية في القرن التاسع عشر مثل الولاية والأمانة والسفارة. وكان منها :

أشعاش، عبد الخالق (الحاج) كان سنة 1830 عاملا على الصويرة. وكان قبل ذلك أمينا ببعض المراسى مثل طنجة.

م.الصديقي، *إيقاظ السريرة*، ص 64 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 42 ؛ م.بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 3 : 1059.

مصطفى بوشعراء

أشْعَاشْ، عبد الرحمان بن عبد القادر حكم تطوان ثلاث مرات - حسب مصادر تاريخية مغربية كتاريخ الضعيف - كانت أولاها على يد مولاي اليزيد عام 1204 / 1789، ثم ولي عليها قائدا حوالي عام 1210 هـ، دامت ولايته الثانية اثني عشر عاما. وفي هذا الإطار، ذكر الفقيه أحمد الرهوني أن ولايته هذه كانت عامة على تطوان وطنجة ونواحيهما. أما ولايته الثالثة على تطوان فكانت عام 1231 هـ، وتم عزله سنة 1236 هـ.

ويتعين القول بأن الوثائق المخزنية تتحدث عن الحالة الاجتماعية للطائفة اليهودية بتطوان في عهد حكمه، مبرزة ما تمتع به اليهود المغاربة من حقوق في ظل المغرب الإسلامي. ويمكن أن نقف على ذلك من خلال الرسالة التالية الموجهة من مولاي سليمان إلى عبد الرحمان أشعاش في فاتح جمادى الأولى عام 1222، وهي تتكلم عن بناء الملاح الجديد ليهود تطوان :

"إلى خديمنا الأرضي القائد الحاج عبد الرحمان بن عبد القادر أشعاش أعانكم الله والسلام عليكم ورحمة الله، وبعد فموجبه إعلامكم أننا بهذا الظهير قد عينا الملك المعروف بالرياض من تطوان، والذي هو من أملاك المخزن بجميع حدوده، ومنحناه ليهود تطوان ليقيموا فيه الملاح ويبنوا فيه دورهم وحوانيتهم... فنأمركم بتنفيذ ذلك دون زيادة ولا نقصان، ومن خالف تنفيذ أمرنا فعاقبوه أشد العقاب، كما نأمركم أن تجمعوا جميع علماء تطوان ليشهدوا بأننا قد أنبناكم لتعيين المحل الذي يخصص لإقامة ملاح اليهود. وليعلموا أن هذا الأمر إنما هو لصالح الجميع...).

أ. الرهوين، *خلاصة عمدة الراوين*، مخطوطة المكتبة العامة بتطوان، رقم 3 / 912. 82 ـ 88 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الثاني، 180 ـ 267 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، 367.

عبد العزيز التمسماني خلوق

أشعاش، عبد القادر بن محمد، ولي على تطوان عام 1261 / 1845 بعد وفاة والده القائد محمد. كان ذا شخصية قوية. يقول عنه الفقيه أحمد الرهوني في مخطوطته *خلاصة عمدة الراوين* "سار سيرة أبيه، وأدرك مكانة عند السلطان (مولاى عبد الرحمان بن هشام) حتى وجهه سفيرا لفرنسا في مهمة من مهمات مملكته. وكان معه في الأحكام بصفة خلفاء أو شركاء إخوته الحاج عبد الله والحاج عبد الرحمان والحاج محمد، ولكل واحد أصحاب وأملاك، واستمروا على هذه الحالة إلى أن قبضهم السلطان عام 1267 عن آخرهم ووجه القباج لاستصفاء أموالهم وأملاكهم".

اختار مولاي عبد الرحمان بن هشام عبد القادر أشعاش على رأس سفارة بروتوكولوية إلى فرنسا بعد نجاحها في إزالة هيبة المغرب عسكريا في معركة إيسلي، وفرضها معاهدة للامغنية عليه. وصل عامل تطوان إلى باريس عام 28 دجنبر 1845، فقابل الملك فيليب لويس، رافقه في هذه البعثة نخبة من الموظفين، من بينهم محمد اللبادي والحاج العطار وأحمد العياط. كذلك صحب هذه السفارة محمد بن عبد الله الصفار الذي كتب عن رحلته مخطوطة هامة توجد في الخزانة الحسنية بالرباط.

ويتعين القول بأن المؤرخ محد داود أسهب في الحديث عن نكبة عبد القادر أشعاش، فقد عزل وسجن يوم الأحد 12 جمادى الأولى عام 1267 هـ.

وتشير الوثائق المخزنية إلى أنه تولى حكم تطوان، من جديد، بعد استرجاعها من يد الإسبان عام 1278 هـ. ويضيف أحمد الرهوني في مخطوطه السابق :"ولما رجعوا إليها (مدينة تطوان)، ولى عليها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان قدس سرهما الحاج عبد القادر أشعاش مرة ثانية، وأصلح هو والسكان بعض ما خرب منها وعمروها العمارة التي توجد الآن، واستمر عاملا إلى أن عزله عام 1279 وقبض عليه ثم استعمله أمينا على الصائر إلى أن توفي بمكناس عام 1282".

أ. الرهوني، *خلاصة عمدة الراوين*، مخطوط، 90 ـ 93 ؛ داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الثاني. 294 ـ 355 ؛ جاك كايي، *السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا*، مجلة تطوان 1961، العدد 6، 179 ـ 180.

عبد العزيز التمسماني خلوق

أشعاش، محمد بن عبد الرحمان ، ولي عاملا على تطوان حوالي عام 1241 / 1827. تطلع إلى حكم نافذ يعم كل الشرائح الموجودة داخل منطقة نفوذه، فضرب على أيدي المجرمين وسهر على أمن الطرق، وسعى إلى بث هيبة المخزن في النفوس، فكان الخادم الأمين للسلطة المركزية، والمدافع المخلص عن وجهة نظرها، مستعملا في ذلك وسائل الزجر والإكراه.

وفي هذا السياق، ذكر أحمد الرهوني في مخطوطه *خلاصة عمدة الراوين في تاريخ تطاوين* أن أيامه كانت:"زاهرة وأحكامه صارمة حتى عم الأمن جميع العمالة، وبلغ من أبهته ما أحفظ السلطان (مولاي عبد الرحمان بن هشام) عليه لأن جواسيسه كانوا يخبرونه بأنه سلطان في خفاء، وبأن الجيوش والخيول التي عنده ليست عند السلطان، ومع ذلك لم يقدر على مسه بسوء حتى مات".

بيد أنه عندما كانت تصدر من محمد أشعاش نزعة استبدادية لممارسة العسف الضريبي ببلاد جبالة، كان مولاي عبد الرحمان بن هشام يتدخل لوضع حد لمناهجه المتشددة، وفي رسالة وجهها السلطان في هذا الشأن إلى العامل المذكور نقرأ :"اعلم بأن قبيلة غمارة قليلة الجدوى ولا في جبايتها كبير فائدة... فساعدناهم في غرضهم القائل لأمور لا تخفى عليك، منها ضعف بلادهم وصعوبتها ولا طائل تحت ذلك، فلا تنفع في مثل هؤلاء إلا السياسة".

وفي رسالة أخرى :"فغير خاف عليك أن غمارة قبيلة قليلة الجباية.. وقد ولينا عليهم القائد أحمد بن مرزوق حيث أرادوه، فكن معه يدا واحدا ونفسا متحدة، واستمله بخفض الجناح ولين الجانب..".

وتذكر المصادر التاريخية المغربية أنه "أسس هيئة سلطانية من كثرة المخازنية والطبجبة والبحرية، وألبس الكل بلباس بهي باهر يخصه ويتميز به، وعين لكل حومة مقدما من خاصة أهلها يكون واسطة بينه وبينهم".

أدركه أجله بتطوان يوم 24 محرم 1261 هـ. ودفن بزاوية سيدي عبد الله الحاج البقال الواقعة بساحة الفدان.

أ. الرهوني، *خلاصة عمدة الراوين*، مخطوط، 89 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، المجلد الثالث، القسم الثاني، 276 ـ 294 ؛ المجلد الثامن، ص 244 و 279 ؛ *الوثائق* 1 : 454، الهامش 1.

عبد العزيز التمسماني خلوق

أشعاش، محمد بن محمد (ثلاث مرات)بن عبد الرحمان. ولد بتطوان عام 1314 / 1896 وبعد أن حفظ القرآن الكريم في الكتّاب أقبل على الفلاحة لما لم يجد قابلية لمواصلة الدراسة، فظهرت كفاءته وحزمه، وعُين محتسبا بتطوان في 22 شتمبر 1934. فنظّم الأسواق وحارب الغش والتطفيف والتدليس وراقب السلع والأسعار وقام بأعمال تذكر فتشكر.

محمد أشعاع باشا تطوان

وفي فاتح أبريل 1937 أُعفي من الحسبة، وعين يومه باشا عاصمة تطوان فظهرت نجدته، وتجلى للناس حزمه ونباهته، وتصدى للمفسدين واللصوص والفساد فقطع دابرهم وحدًّ من غُلوائهم. وكان نزيها في أحكامه صارماً في معاملته لايحابي ولايجامل ولايقبل تدخل أحد، وقد اصطدم بسبب موقفه هذا بعدد من الأعيان فلم يبال بهم، فهابه الناس جميعا. وتحاموا التعرض له. ومن إنصافه وتورعه أنه كان يختار خلفاءه من العلماء، لاستشارتهم فيما يعرض عليه من نوازل ويقع من حوادث ، واستمر في الباشوية إلي أن عزل بسبب مواقفه الوطنية التي لم تعجب الإدارة الإسبانية خصوصاً بعد أن توترت الصلاتُ بينها وبين حزب الإصلاح بسبب منعها الطريس من دخول تطوان وما أعقب ذلك من حوادث ومظاهرات وقتل وسجن ونفي، كان الباشا خلال ذلك يميل لجانب الوطنيين ويسعى للتخفيف عنهم وتبرئة ساحتهم مما يلصق بهم المتعاونون من تهم. كان عزله يوم 11 يوليوز 1951 فانطوى على نفسه ولم يعش بعد ذلك إلا ثلاثة أشهر إذ توفي يوم الثلاثاء رابع محرم 1371 / 8 / 10 / 1951م ودفن بحوشهم خارج باب المقابر من تطوان قريبا من ضريح القائد الفاتح أبي علي الحسن المنظري الغرناطي.

وثائق عائلية ومعلومات شفوية.

محمد بوخبزة

الأشعرية والمغرب، يعتبر المذهب الأشعري من أبرز المذاهب الكلامية في الإسلام وأكثرها انتشارا. ولعل مرجع ذلك أن رؤوسه يصنفون أفكارهم ضمن أفكار أهل السنة والجماعة. وهذا ما يتبين من الكتب المؤرخة للفرق، والتي من الملاحظ أن كل كتابها أشاعرة، فهي تنطلق جميعا من الرغبة في بيان "الفرقة الناجية" وتمييزها عن سائر الفرق الأخرى التي تنعت بأنها ضالة وهالكة أو ما شابه ذلك.

ويعني هذا من بين ما يعنيه، أن محاكمة الفرق الأخرى تتم انطلاقا من مرجعية أو نسق إسناد، هو الفرقة الناجية والتي هي "أهل السنة والجماعة". وهو شيء يتم انطلاقا من الحديث المأثور القائل بافتراق الأمة ثلاثا وسبعين فرقة منها واحدة ناجية.

هذا ما يؤكده مؤرخو الفرق الإسلامية مثل البغدادي في *الفرق بين الفرق*، والاسفراييني في *التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين*. والشهرستاني في *الملل والنحل*.

والحقيقة أن مفهوم أهل السنة والجماعة يطلق عامة على كل من يتمسكون بعقيدة السلف، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل والإمام مالك، وغيرهما من الأئمة المشهورين. وكانت إضافة الإمام الأشعري هي توثيق العقيدة السنية بالاستناد إلى البرهان ومناقشة أهل الكلام.

أبو الحسن علي بن إسماعيل ينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري، ولد بالبصرة سنة 260 هـ وكان شافعي المذهب في الفقه. بدأ حياته الكلامية بالاعتزال، ثم تحول عنه إلى المذهب الجديد الذي أسسه هو معارضا به مذهب المعتزلة، وثمة اختلاف في أسباب ذلك التحول الذي تمخض عن ظهور مذهب جديد، ليس هنا موضع للإسهاب فيها، وهو تحول جاء ليوفق بين تيارين متطاحنين كان هو نفسه ينتمي إلى أحدهما : المعتزلة التي تجعل العقل رائدا، وتعتبره "قبل ورود السمع"، والجنابلة وأهل الحديث عامة وأهل النص الذين يتخذون من القرآن والأثر رائدين، معتبرين "السمع قبل ورود العقل".

ونجد أن هاته الوسطية انعكست على مواقفه من كبريات القضايا الكلامية وعلى موقفه من علم الكلام نفسه. فقد ظل الأشعري ينظر إلى التزام حرفية النص وتحريم استعمال العقل علامة كسل وجهل، كما ظل يعتبر الجري وراء العقل دونما احتياط بالشرع وبخاصة في الآراء التي تتصل بالعقيدة أمرا خاطئا وخطرا على الشرع. وإن ميل الأشعري إلى الوقوف وسطا بين مذهب أهل الحديث ومذهب المعتزلة الذي تربى في أحضانه، جعلت أفكاره تعكس تيارين فكريين ظلا متعايشين في مذهبه : تيار أهل السنة والحديث، وتيار كلامي متأثر بالأسلوب الاعتزالي. من هنا إبهامية المذهب الأشعري وازدواجيته إلى حد يدفع إلى الاعتقاد بأننا أمام عقيدتين للأشعري، عقيدة تضمنها كتاب *الإبانة عن أصول الديانة* التي هي أقرب إلى عقيدة السلف وعقيدة الإمام أحمد بن حنبل الذي يشيد به الأشعري في المقدمة، وعقيدة *مقالات الإسلاميين* التي هي أقرب إلى الأساليب الكلامية الاعتزالية. وهذا ما قاد إلى مشكل هام في تاريخ الفكر العقائدي والكلامي في الإسلام وهو : ما حقيقة موقف الأشعري ؟ هل كان مجرد تابع لأهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث، أم كان صاحب موقف توسطي، كما يرى ابن خلدون في *المقدمة* ؟ إذا كان

موقفه موقفا توسطيا، فما موقع كتاب *الإبانة* من تطوره الفكري ؟.

الظاهر أن أهل الحديث لم يتقبلوا أفكار الأشعري يوم ظهر بمذهبه محاولا التوفيق فيه بين النقل والعقل، وبين أهل السنة والحديث من جهة، وأصحاب الكلام والمعتزلة من جهة أخرى. لم يتقبلوها بحماس، بل توجسوا منها خيفة نظرا لأصول الأشعري الكلامية الاعتزالية التي ظلت آثارها عالقة بأسلوبه في النظر وبعقائده، رغم تحوله، هذا فضلا عما اتسم به موقف أهل السنة والحديث من معاداة لعلم الكلام ومقت لمذاهب أصحابه ولعباراتهم وطرق معالجتهم للقضايا الدينية والعقدية. بل يذهب "ابن الجوزي"، وهو من الحنابلة المتأخرين، إلى اعتبار الأشعري أحد المسؤولين عن تلبيس العقائد "إن الأشعري ظل على مذهب المعتزلة زمانا طويلا ثم تركه وأتى بمقالة خبط بها عقائد الناس" (تلبيس إبليس ـ القاهرة 1368 هـ. ص 22).

وهذا ما يفسر لنا الخصومة الشهيرة بين الحنابلة والأشاعرة ببغداد والنفور الذي قوبل به أتباع الأشعري في القرن الرابع ثم الخامس الهجريين، وقد اتخذ كل ذلك أبعادا سياسية خطيرة، كما تحول إلى قتال دموي اضطر معه الكثير من الأشاعرة إلى ترك بغداد.

ونعتقد أن جوهر الخصومة يرجع إلى الاختلاف حول "الشرعية الدينية" لعلم الكلام، وهل هناك حاجة إليه ؟ ذلك أن الموقف الذي تبناه الأشعري، كان هو الدفاع عن تلك "الشرعية" خلافا لموقف السلف وأهل الحديث الذي وقفه الحنابلة وأهل السنة القائم على تحريم الكلام والنظر في كتب أهله وكراهية الجدال في الدين، وهذا الموقف الأخير هو الذي سار فيه ابن حزم وابن عبد البر القرطبي وجل فقهاء وأصوليي الأندلس، بل حتى مفكريه.

والملاحظ أن المغرب ظل لأسباب تاريخية، بعيدا عن الاختلافات والصراعات المذهبية والكلامية التي عرفها الشرق. بل اختار ذلك كنهج يميزه عن المشرق. وهو شيء ينطبق حتى على الأندلس، فبعد انقراض العقائد المنحرفة التي ظلت لها بعض الجيوب بالمغرب، بقيت السيادة لعقيدة السلف التي كانت في الحقيقة تمثل الوجه الآخر للمذهب المالكي وللعقيدة السنية التي عرفها الإسلام في بدايته، قبل أن يتقوى علم الكلام ويتخذ صورته وهيئته المذهبية مع المعتزلة ثم الأشاعرة.

وقد عمل الأدارسة والمرابطون على تكريس الاتجاه السني المعادي لعلم الكلام والجدال في الدين، وعلى التحصن بالمذهب الفقهي الذي يعد الترجمة الأمينة الوفية لذلك الاتجاه في الفقه والمعاملات ألا وهو المذهب المالكي.

فقد حارب الإمام مالك، بضراوة، الكلام خصوصا في مسألة الصفات وعلاقتها بالذات. إذ كان معاصراً لواصل ابن عطاء وعمرو بن عبيد أي للاعتزال في بدايته القوية. كان مالك، حسب القاضي عياض، يغلب التنزيه في الصفات، ويأمر بأن تفهم الآيات المتحدثة عن الصفات "كما جاءت"، لا بمعنى إجرائها على ظاهر النص فحسب، وبشرط ألا يؤدي ذلك إلى مشابهة الله بالمخلوقين، من هنا كان حرصه على التنزيه وفي نفس الوقت كراهيته للتأويل، إيمانا بأن "طريق النجاة" هو إمرار النصوص كما جاءت. وكان يقول "إنما أهلك الناس تأويل ما لا يعلمون". كما كان يرفض الرد العقلي على البدع، لأنه في رأيه رد بدعة ببدعة، ويرى ضرورة الرد عليها بالنقل، فإذا جاءه بعض أهل الأهواء، كان يقول :"أما أنا فعلى بينة من ربي، وأما أنت فشاك، فاذهب إلى شاك مثلك فخاصمه".

وفي هذا الصدد يحدثنا القاضي عياض عن رسالة ألفها مالك "لابن وهب" في *القدر والرد على القدرية*، وقد وصفها القاضي عياض بأنها "من خيار الكتب الدالة على سعة علم مالك".

ففيما يتعلق بالإيمان، قال مالك :"الإيمان قول وعمل يزيد وينقص وبعضه أفضل من بعض بدليل الآية :"ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم". أما العلم الإلهي، فقد قال عنه :"الله في السماء، وعلمه في كل مكان". وفيما يخص مسألة خلق القرآن : "القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس في الله شيء مخلوق... ومن قال :القرآن مخلوق فهو كافر يستتاب وإلا ضربت عنقه". وسئل عن الاستواء، فقال "الاستواء منه معلوم والكيف منه غير معقول والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالا".

قال مالك :"أهل الأهواء كلهم كفار، وأسوأهم الروافض". "سئل عن أهل القدر من طرف أحد المغاربة، أنكف عن كلامهم ؟ فقال : نعم إذا كان عارفا بما هو عليه. قال : ونأمرهم بالمعروف وننهاهم عن المنكر ونخبرهم بخلافهم ولا نواصل القول ولا يصلى عليهم وتشهد جنائزهم، ولا أرى أن يناكحوا".

قال مالك :"الفواحش كتبها الله علينا قبل أن يخلقنا". وسئل عن القدرية من هم، فقال "هم الذين يقولون إن الاستطاعة إليهم، إن شاؤوا أطاعوا وإن شاؤوا عصوا". وقيل له :"وإن أهل الأهواء يحتجون بحديث : كل مولود يولد على الفطرة، فقال احتجوا عليهم بآخره :"الله أعلم بما كانوا عاملين".

يتبن من كل هذا أن الإمام مالك بلور اتجاه عقيدة السلف القائم على مقاومة البدع وعدم الرد عليها إلا بالنقل لا الاحتجاج عليها والمجادلة فيها بالعقل.

وقد حاول ابن أبي زيد القيرواني (المتوفي سنة 386 هـ) أن يصوغ هذه العقيدة في رسالته الشهيرة التي جعلها مختصرة تجمل *"واجب أمور الديانة"* ؛ ومع أن البعد الزماني عن الإمام مالك، الذي يتعدى القرنين، فعل فعله، من حيث تسرب المصطلح الكلامي الأشعري المتأخر إلى *الرسالة* كالصفات... فإن القيرواني حاول جهد المستطاع أن يعكس عقيدة الإمام بأمانة، ويمكن إجمالها فيما يلي :

1 ـ "القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد".

2 ـ "الإيمان بالقدر خيره وشره وحلوه ومره، وكل ذلك قد قدره الله ربنا، ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه، علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره. لا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه وسبق علمه به".

3ـ "يضل من يشاء فيخذله بعدله، ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله، فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وإرادته عن شقي أو سعيد، تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنى، أو يكون خالق لشيء إلا هو".

4 ـ "الإيمان بالبعث".

5 ـ "يغفر لمن يشاء إلا للمشرك".

6 ـ "إن الله خلق الجنة فأعدها دار خلود، وأكرم فيها أولياءه بالنظر إلى وجهه وإن الله خلق النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وجعلهم محجوبين عن رؤيته. إن الله يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا لعرض الأمم".

7 ـ "الإيمان قول باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصها".

والملاحظ أن العقيدة التي شاعت بين المغاربة هي عقيدة السلف هذه، التي اقترنت بمذهب مالك الفقهي. والملاحظ كذلك أن الدولتين الإدريسية والمرابطية، شأنهما في ذلك شأن الدولة الأموية بالأندلس، تمسكتا بالاتجاه السني المتشدد المبني على تلك العقيدة الخالية من أساليب المتكلمين ومصطلحاتهم وعلى كراهية الفرقة والتشتت ؛ فإذا كان العباسيون في الشرق قد عملوا على تكريس علم الكلام ودعمه، بل وجعل أحد مذاهبه مذهبا رسميا لهم، والذي هو المذهب الاعتزالي في أول الأمر، ثم المذهب الأشعري مع المعصتم بالله، والمذهب الحنبلي المعادي لعلم الكلام في عهد القادر، صاحب البيان المعروف *بالبيان القادري* الذي يتضمن دعوة إلى عقيدة السلف... فإن دول المغرب والأندلس تشبثت بعقيدة السلف وبالمذهب المالكي وضيقت الخناق على "البدع" بما في ذلك الدولة الموحدية، فالمذهب الظاهري الذي حاولت نشره في ميدان الفقه قد يفوق في تمسكه بالسنة وتشدده المذهب المالكي، كما أن العقيدة التي سطَّرها المهدي ابن تومرت في *أعز ما يطلب* جوهرها عقيدة السلف، رغم ما يقال عادة من أنها أشعرية متأثرة بالأساليب الكلامية المتأخرة، بما فيها الأساليب الاعتزالية، لا سيما في تناوله لمسألة الصفات الإلهية،. فجل الدارسين، القدامى والمحدثين لا ينتبهون إلى أن قوله بالتنزيه جاء لأغراض السجال والرد على من اعتبرهم يوغلون في التشبيه والتجسيم، وهم في نظره المرابطون ؛ لا ينتبهون كذلك إلى أن موقفه الحقيقي من المسألة هو أن الصفات أسماء يسمي بهاالله نفسه يجب الاعتقاد فيها بلا كيف ودون السقوط في مزالق المتكلمين الذي اختلفوا حول ما إذا كانت زائدة على الذات أو هي عين الذات... هذا فضلا عن التفسير المغلوط الذي تعرض له كتاب *أعز ما يطلب* على يد الشراح الذين نسبوا إليه العديد من المفاهيم التي لا تجد مكانها الطبيعي إلا في المذهب الأشعري، مثل القول بجواز كرامات الأولياء والخوارق على أيديهم، وهذا مافعله على سبيل المثال شارح مجهول لكتاب *أعز ما يطلب* (يوجد مخطوطه بخزانة ابن يوسف بمراكش رقم ي 401 ـ ص ـ 13 ظ)، فقد قرأ الأفكار الواردة في هذا الأخير قراءة أشعرية متأخرة، هذا مع أن ابن تومرت يؤكد بالنص أن الكرامات والخوارق، الله وحده فاعلها على يد أنبيائه ؛ وربما ما جعل الكثيرين يميلون إلى مماثلة أفكاره بالأفكار الأشعرية في هذا المضمار، هو ما يروى عنه من أنه كان يأتي الخوارق ويكلم الموتى، وهي أشياء كانت وراءها اعتبارات سياسية ولا علاقة لها بمذهبه. بل إن عددا من الدارسين المعاصرين ينطلقون من أشعرية ابن تومرت وانتقائية أفكاره على أنه أمر بديهي (عبد الله العروي مثلا، *تاريخ المغرب*، باريس 1970، ص. 163).

وقد حدث نفس الشيء، مع *رسالة* ابن زيد القيرواني التي أصر الشارحون على قراءتها قراءة أشعرية متأخرة. وأشهر هؤلاء، النفزاوي المالكي (المتوفي سنة 1125 هـ) الذي أبى في تعليقه عليها إلا أن يضمنه عقائده الأشعرية الكلامية التي هي في في نظره عقيدة السلف، مثل القول بأن الأعمال لا تشكل ركنا من الإيمان، كما اشترط ذلك مالك والقيرواني، بل يعتبرها زيادة أو كما قال "شرط كمال" مع أن نص *الرسالة* واضح في هذا الصدد ولا غبار عليه. وتنطبق هذه الملاحظة أيضا على "البيجوري" الذي قام هو الآخر في "*تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد*" بقراءة أشعرية كلامية متأخرة لجوهرة *التوحيد* وشرحها في حدود كلامية أقرب إلى مذهب الباقلاني، وعلى أحمد المقري المغربي المالكي الأشعري في أرجوزته "*إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة*" (منشورة بشرح الشنقيطي، بيروت، د. ت).

كيف انتشرت الصيغة الكلامية الأشعرية المتأخرة لعقيدة السلف ؟.

يقتضي الجواب عن هذا السؤال استحضار الظرفية والتوازنات السياسية للخارطة الجيوسياسية للعالم الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري، واستحضار الاختيارات العقائدية التي فرضت نفسها على الدول الحاكمة فيه وعلى الخصوص الدولة العباسية والدولة الفاطمية والأمويين والأدارسة بالمغرب والأندلس.

فقد كان العباسيون يعملون بكل الوسائل على خلق أتباع لهم في تونس والمغرب يأخذون بالأشعرية مذهبها آنذاك، ويكونون حصنا واقيا من انتشار الاتجاه الإسماعيلي الفاطمي، لذا حدث تقارب ما بين مالكيي القيروان ثم الغرب الإسلامي عامة فيما بعد، وبين الأشعرية، وهذا ما جعل فقهاء وعلماء الأندلس الذين كانوا يتوجهون إلى القيروان ليدرسوا بها، يتلقون العلم على تلامذة مباشرين لابن أبي زيد القيرواني. وفي القرن الرابع بالذات، حدث التقارب المشار إليه، فالمعروف عن

القيرواني، ويظهر ذلك من *رسالته* في عقيدة الإمام مالك، كراهيته للكلام والجدال في الدين وميله إلى إثبات كل ما وصف الله به نفسه دون تأويل وبلا كيف ؟ إلا أنه في آخر حياته تبنى المذهب الأشعري إلى حد أن ابن عساكر في "*تبيين كذب المفتري*"، ينسب إليه أقوالا فيها إشادة بأبي الحسن الأشعري. ومما يقوي هذا التأكيد الجازم باعتناقه للصيغة الأشعرية لمذهب السنة أنه، حسب ما يرويه الدباغ، تخلى عن الكثير من الآراء التي كان يؤمن بها والتي لا تنسجم وما يقول به الأشاعرة، فقد كان في الأول يبطل جواز الكرامات على الأولياء والصالحين، وينفي خرق العادة على يدهم، لكنه رجع عن ذلك وألف كتابا في جوازها. (انظر الدباغ ـ *معالم الإيمان*، تونس ج 3. ص 140).

لم يحدث هذا التقارب صدفة ؛ إن ثمة أسبابا سياسية وراء ذلك أهمها أن الأشاعرة كانوا متصدين لنقد عدوهم وعدو الدولة العباسية : الدولة الفاطمية، صيغتها العقائدية : الإسماعيلية الباطنية، وهو شيء صفق له مالكية الغرب الإسلامي، والقيروان خاصة، لا سيما وأن من بين كبار الأشاعرة الذين ناهضوا الباطنية وكشفوا فضائحهم، شخصيات تنتمي فقهيا إلى المذهب المالكي، من أمثال الباقلاني (ت 403 هـ) الذي قاوم التشيع بضراوة مما خلق له أتباعا قيروانيين. وتجدر الإشارة بهذا الصدد إلى أن أبا عمران الفاسي المغربي رحل إليه إلى بغداد ليأخذ عنه، ودرس عليه الفقه والأصول ثم عاد إلى القيروان حيث وافته المنية.

ومن المؤكد أن ثمة أهدافا سياسية واضحة وراء نشر الأتباع في القيروان، فقد أنيط بهم كأشاعرة مالكيين بالغرب الإسلامي، دور دعاة للخلافة العباسية بالمشرق، والتي هي خلافة، كانت تسعى إلى أن تزيل من نفوس المغاربة ذلك "التصلب" النفسي الذي تركهم، حتى في ميدان أصول الدين، متمسكين بمواقف مالك المعادية لعلم الكلام، كخطوة لتخليصهم من الارتباط بمالك، حتى في مستوى الفقهيات، لأنه بالذات، ارتباط لعبت عليه الدولة الأموية بالأندلس ودولة الأدارسة بالمغرب وجعلتاه أحد دعائم وركائز دوليتهما.

والملاحظ أن جل العلماء الأندلسيين الذين رحلوا إلى الشرق، اعتنقوا المذهب الأشعري، لاحتكاكهم هناك برؤوسه، وبأهم مصنفاته، فالباجي الأندلسي من الذين درسوا على أحد كبار الشافعية والأشاعرة وهو "الخطيب البغداي" (ت 463 هـ) وعملوا على نشره بالأندلس، ومناظراته مع ابن حزم في هذا المضمار معروفة.

وقد أخذ الارتباط بين المذهب المالكي والمذهب الأشعري يتقوى، وأخذ يطرح نفسه كأمر واقع، وأصبح ارتباطا وثيقا. فنجد عبد الواحد بن عاشر الفاسي، وهو من كبار فقهاء القرن الحادي عشر / 17 م يقرن في *المرشد المعين* بين العقيدة الأشعرية، والفقه المالكي، وتصوف الجنيد، كمذاهب متجذرة في المغرب جار بها العمل :

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

غير أن محاولات هامة، عرفها التاريخ المغربي الحديث، كانت ترمي إلى فك ذلك الارتباط وإرجاع الأمور إلى نصابها، أي الرجوع بالعقيدة إلى صفائها الأصلي، ويتحدث المؤرخون عن محاولة السلطان العلوي سيدي محمد ابن عبد الله (1757 ـ 1790) الذي كان يقول بضرورة "الاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل". كما كان ميالا إلى مواقف الحنابلة في الاعتقاد :"فطريق الحنابلة في الاعتقاد سهلة المرام، منزهة عن التخيلات والأوهام، موافقة لاعتقاد الأئمة كما سبق مع السلف من الأنام، أعاشنا الله على ما عاشوا عليه وأماتنا على ما ماتوا عليه".

كما أن السلطان العلوي سليمان بن محمد (1792 ـ 1823)، ذهب أكثر من والده سيدي محمد بن عبد الله في الدفاع عن السنة الخالية من الأساليب الدخيلة، متأثراً في ذلك بالحركة الوهابية على الخصوص. وقد ضمّن مجموع أفكاره في خطبة وضعها بهدف القضاء على "البدع" ومقاومة الطرقية والصوفية والأولياء. وهذا ما جعل السلفيين المغاربة المعاصرين يعتبرون تلك الخطبة بمثابة ميلاد السلفية المغربية المعاصرة، ويعملون على نشرها سنة 1935 وتوزيعها، ومن بين من لعب دورا هاما في ذلك المرحوم علال الفاسي، والأستاذ محمد إبراهيم الكتاني...

أ. الأشعري، *الإبانة عن أصول الديانة*، نشر محب الدين الخطيب، القاهرة 1397 هـ ؛ أ. الأشعري، *رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام*، منشورة ضمن مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي ج 1، بيروت 1978 ؛ أ. الأشعري، *مقالات الإسلاميين*، نشر محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1950 ؛ أ. الاسفراييني، *التبصير في الدين*، بيروت 1983 ؛ الشهرستاني، *الملل والنحل*، بيروت 1975 ؛ ع. البغدادي، *الفرق بين الفرق*، بيروت 1977 ؛ *أصول الدين*، استانبول 1928 ؛ *الملل والنحل*، بيروت، 1970 ؛ ابن أبي زيد القيرواني، *الرسالة*، بيروت (د، ت) ؛ أ. المقري، *إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة* بشرح الشنقيطي، بيروت (د. ت) ؛ البيجوري، *تحفة المريد في شرح جوهرة التوحيد* للقاني، بيروت، 1983 ؛ القاضي عياض، *ترتيب المدارك*، ج2، الرباط 1966 ؛ الراعي الأندلسي، *انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب مالك*، بيروت 1981 ؛ ع. ابن الجوزي، *تلبيس إبليس*، القاهرة 1368 هـ ؛ ابن حنبل والبخاري والدارمي، *عقائد السلف*، جمع علي سامي النشار، الإسكندرية، 1971 ؛ ابن عبد البر القرطبي، *جامع بيان العلم وفضله*، بيروت ، (د. ت) ؛ ابن عساكر، *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري*، بيروت، 1979 ؛ مالك بن أنس، *الموطأ*، مع شرح الجلال السيوطي، بيروت (د. ت) ؛ الدباغ، *معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان*، تونس 1320 هـ. س ؛ يفوت، *ابن حزم والفكر الفلسفي بالمغرب والأندلس*، الدار البيضاء، بيروت، 1987 ؛ ج. كاني، *بعض مشاهير الحركة السلفية في المغرب*، تعريب زبيدة بورحيل، سعيد النجار، مجلة البحث العلمي، عدد 35، 1985 ؛ السلطان سليمان العلوي،

الانتصار للسنة ومحاربة بدع الطوائف الضالة، المطبة الجديدة، فاس.

H. Laoust. *la profession de foi d'Ibn Batta*, Damas 1958 ; *Essai sur les doctrines sociales et politiques d'Ibn Taimiya*, le Caire, 1939.

سالم يفوت

الأشقر، أسرة تطوانية أصلها من ناحية جبالة بالقرب من القصر الكبير، وكان منها بتطوان المسمى المصطفى المهدي الأشقر الذي كان يزاول مهنة قائد الجيش بحامية المدينة سنة 1247 / 1830. كما كان منها الفقيه العدل محمد ابن يعقوب الأشقر الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1281 / 1864، وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م، داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 300 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* 1.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921, (A) Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) *Vademecum de intervenciones* (ano 1931) (A). M. Ibm Azzuz Hakim, *apellidos tetuanies de origen espanol* (1949) (A).

محمد ابن عزوز حكيم

ابن **الأشْقَر**، أسرة صنهاجية عاشت في سبتة وتازا وفاس، وخدم بعض رجالها الدولة المرينية، عُرف منهم :

ابن **الأشْقَر، أحمد** بن محمد الصنهاجي، كان ناظراً للأحباس بمدينة فاس أيام أبي الحسن المريني. وهو الذي أشرف على بناء قبة الجبس المتقنة الصنع بالبلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين من جامع القرويين التي علقت فيها الثريا النحاسية العظيمة المصنوعة من الناقوس الكبير المستجلب من جبل الفتح (جبل طارق) حين فتحه أبو الحسن المريني عام 733 (ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* 75 ـ 76) وكان تمام بناء القبة وتعليق الثريا في منتصف شوال عام 737 هـ.

ابن **الأشْقَر، عبد الرحمان بن إبراهيم** الصنهاجي التازي، كاتب أبي الحسن المريني، أديب شاعر ناثر، لقيه إسماعيل بن الأحمر وترجم له في *نثير فرائد الجمان* وحلاّه بنعوت علمية سامية وذكر عن حَاله أنه"رُشح للعلامة، مع من وسم لها بالعلامة، لشروطها الموفرة فيه، من القدرة في أسبابها والترفيه، من أدب يقتنى،و وكتب به يعتنى إلى صباحة الشيبة، وجميل الحضور والغيبة" (ص 346) وأورد له مقتطفات من قصيدة تائية طويلة مدح بها أبا الحسن المريني مطلعها :

نوالُك مُزنٌ للغمائم باعثٌ	ووجهك خدنٌ للمنيرَيْن ثـالـثُ
وبابُك كهفٌ للأنام وملجأ	إذا ناب خَطب أو تفاقم حادثُ

ع. الجزنائي، *جني زهرة الآس*، 75 ـ 76 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 134 ـ 135.

محمد حجي

ابن **الأشْقَر، عبد الرحمان بن محمد** الفاسي أصلا وسكنى. من أدباء وشعراء الدولة المرينية، إلا أنه لم يصلنا إبداعه. قال عنه ابن مرزوق إنه صدر من الصدور، واحد كتاب أبي الحسن المريني. وكان يشارك أبا علي بن تدرارت في كتابة الكتب الملوكيّة وأشباهها، فينشئ ويجيد.

كما وصفه بأنه وقور، منقبض إلا فيما لا بد له منه، ديّن، سليم الصدر.

درس بفاس على أكبر شيوخها، وأشهرهم ابن أجروم، وإلى جانب اللغة والأدب، كان لابن الأشقر اهتمام بالتاريخ وأيام الناس. وهي العلوم الضرورية لمن رغب في تقلد منصب الكتابة.

وكان له ابن اسمه عبد العزيز شاركه في الكتابة بالبلاط المريني. توفي المترجم له بفاس. ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته.

تحدث ابن الأحمر عن أحد كتاب أبي الحسن المريني وشعرائه يدعى ابن الأشقر عبد الرحمان بن إبراهيم التازي، وليس في حديثه ما يشير إلى أنه نفس الشخص الذي نترجم له، وإن التبس الأمر على ناشر كتاب *الإعلام* (8 : 104).

م، ابن مرزوق، *المسند الصحيح الحسن* : القسم الذي نشره ليفي بروفنصال في مجلة هسبريس 1925، ص 1 ـ 82 ؛ م. ابن الأحمر، *نثير فرائد الجمان* ؛ تحقيق محمد رضوان الداية، ط. بيروت 1967 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الاعلام* 8، 103 ـ 104.

ابن **الأشقر، عبد الله** كان فقيها عالما، خطيبا. تولى قضاء عدوة القرويين بفاس مدة طويلة، وصرف بالقاضي عبد الرحيم بن إبراهيم اليزناسني.

وقد تولى اليزناسني قضاء فاس في الفترة الأخيرة من عمر الدولة المرينية على عهد عبد العزيز بن أحمد المريني المتوفى سنة 799 / 1396، وبقي في منصبه إلى عهد عبد الحق الثاني، إذ كانت وفاته سنة 834 / 1430.

وبذلك يكون ابن الأشقر قد تقلد قضاء فاس في الربع الأخير من القرن الثامن الهجري. ولا نعرف تاريخ وفاته.

أ. ابن القاضي، جذوة 2 : 417 ـ 424 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية* 1 : 41.

حسن جلاب

الأشقر، محمد السبتي، أستاذ مجود حسن الصوت نيّف على المائة سنة ولم يتغير لرؤيا صالحة رآها في منامه وهو مايزال في ابتداء الكهولة، أوردها مفصلة التميمي في *المستفاد* ونقلها ابن القاضي في *الجذوة*.

تنقل محمد الأشقر في عدة مدن يقرئ القرآن الكريم وحصل على ثروة هامة. سار من سبتة إلى القصر، ثم إلى فاس وأغمات حيث شارط نحو ثلاثة أعوام وخرج منها بسبعمائة دينار. لايُعرف تاريخ وفاة محمد الأشقر إلا أنه كان معاصراً للتميمي الذي روى عنه مشافهة .وبذلك فهو من رجال القرن السادس.

أ. القاضي، جدوة، 134 ـ 135 ؛ ع بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 69.

محمد حجي

أشقَّار ـ تاريخ قديم ـ يضمُّ مجمع أشقار ستة مواقع أثرية. قام بالبحث فيها عدد كثير من الباحثين منذ نهاية القرن الماضي إلى يومنا هذا، ويوجد هذا المجمع على بعد بعض كلمترات جنوب مدينة طنجة (انظر الرسم 1 و2)، وهو يضم ست مغارات أثرية. أطلق على ثلاثة منها اسم مغارات الخيل، وتوجد على الضفة الشمالية لنهر أشقار. وقرب رأس سبارتيل توجد مغارات هرقل، العالية، والتماثيل (idoles) (انظر الرسم رقم 2).

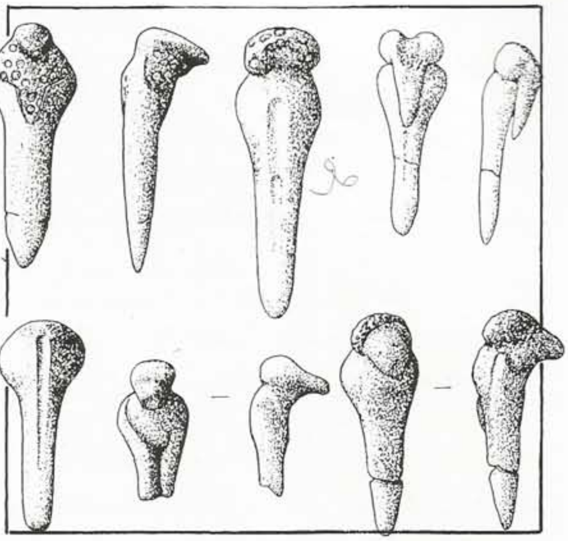

تماثيل طينية بأشقار : مغارة التماثيل (كامبس 1974)

يرجع البحث في هذه المغارات إلى أواخر القرن الماضي. لعل أهميتها العلمية بدأت منذ سنة 1875 حينما بدأ التنقيب بها على يد الباحثين بلايشير وزميله شارل تيبو (Bleicher et Ch. Tibot) كما تابع الأبحاث بوشي Buchet وكان هو أول من أطلق اسم "مغارة التماثيل" على إحدى المغارات وذلك نظراً لوفرة التماثيل "Idoles" التي تم استخراجها منها. ومن ثَم عرفت المنطقة عدة باحثين آخرين نذكر منهم بيارناي (سنة 1940) S. Biarnay وهانري كولير Henry Koehler ما بين 1922 و1927 ثم ناهون ودوليتل Nahon et Doolittle ما بين 1936 و 1939 وهيكن سنة 1947 H. Henken الذي تابع الأبحاث خاصة بالمغارة العالية. كما اهتم بالمنطقة كذلك جودان (59 ـ 1958) Jodin وخاصة مغارات الخيل، كما استأنف هذا البحث دوگا J. P. Daugas سنة 1984. ولعل اهتمام هذا العدد الكبير من الباحثين في حقل ماقبل التاريخ بهذه المواقع لأكبر دليل على أهميتها فيما يخص تاريخ المنطقة بصفة خاصة وتاريخ علاقات دول البحر المتوسط بصفة عامة.

الأدوات التي تم العثور عليها : إن أهم المخلفات الأثرية التي تم استخراجها بمختلف مغارات أشقار يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث. أما الأدوات التي تعود إلى الحضارات السالفة الابيروموروسية والعتيرية فهي جد نادرة نجتزئ منها بذكر مايلي :

مكاشط 3.6 ٪ Grattoirs. مثاقب 4.1 ٪ Perçoirs. شفرات وشظايا مظهرة 2.6 ٪ Lames et éclats à dos. مسننات 16.9 ٪ coches et denticulés جيوميتريات 3.6 ٪ Géométriques حجر مصقول 1.5٪ Haches polies قاقمة 0.5 ٪ Herminettes مختلفات 20.1 ٪ Divers تصنيف 195 قطعة أثرية : مغارات الخيل، الطبقة الجيولوجية الثالثة (كامبس 1974) أما بالنسبة لأدوات العصر الحجري الحديث فأهمها الأدوات الفخارية والعظمية والمصنوعة من طين.

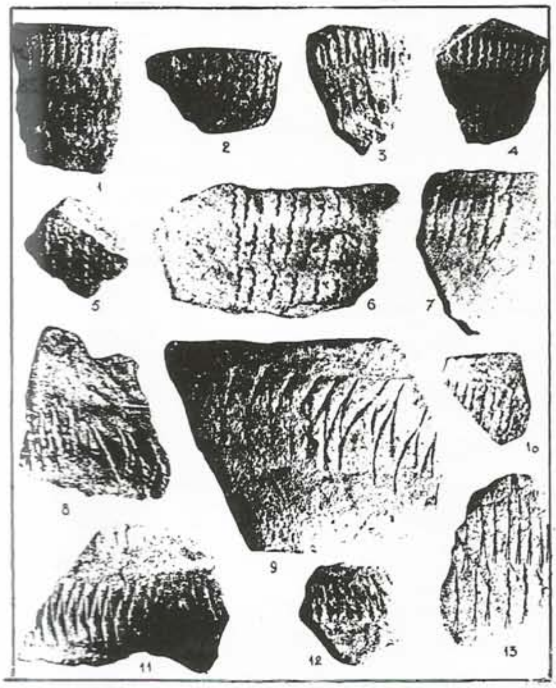

فخار الكارديال المطبوع بأشقار (جودان 58-1959)

الأدوات الفخارية : انظر الرسم (3 و4). لقد أعطت مغارات أشقار أواني فخارية عديدة وجد متنوعة، أقدمها فخار الكارديال نسبة إلى الكارديوم وهو نوع من الصدف البحرية Cardium استعمل كثيرا لزخرفة هذه الأواني. ومن مميزاتها الأقداح المخروطة الشكل، أما الزخرفة فتكون في كثير من الأحيان دائرية (Pivotant) وفي بعض الأحيان استعمل منقار هذه الصدف(Crochet de la coquille). ولعل أول محاولة لتأريخ هذا المستوى الأركيولوجي كان خلال سنة 1984 (دوگا 1985). بحيث أرجع تاريخه إلى 6050 + 120 سنة قبل الحاضر. بالإضافة إلى ذلك كان النقش إما أخدودياً Cannelé أو مطبوعا Impressionné.

الأدوات الطينية : لعل أهم الأدوات الطينية التي تم استخراجها من هذه المواقع وخاصة المغارة العالية التماثيل الطينية (انظر الصورة رقم 5).

الأدوات العظيمة : تتجلى الأدوات العظيمة خاصة في وجود عدة مثاقب ومخارز وأنابيب Poinçons, Perçoirs et Tubes.

ترجع أهمية مواقع أشقار إلى موقعها الجغرافي الهام، بحيث إنها لعبت دوراً هاما في انتقال الحضارات وخاصة

خلال العصر الحجري الحديث بين المغرب وشبه الجزيرة الإيبيرية. كما أن وفرة المواد الأركيولوجية التي تم استخراجها ساعدت على تتبع كل هذه التنقلات، وفي هذا الإطار كان يعتقد كثير من الباحثين أن حضارة الكامبانيفورم ظهرت بالجزيرة الإيبيرية ومنهاانتقلت إلى

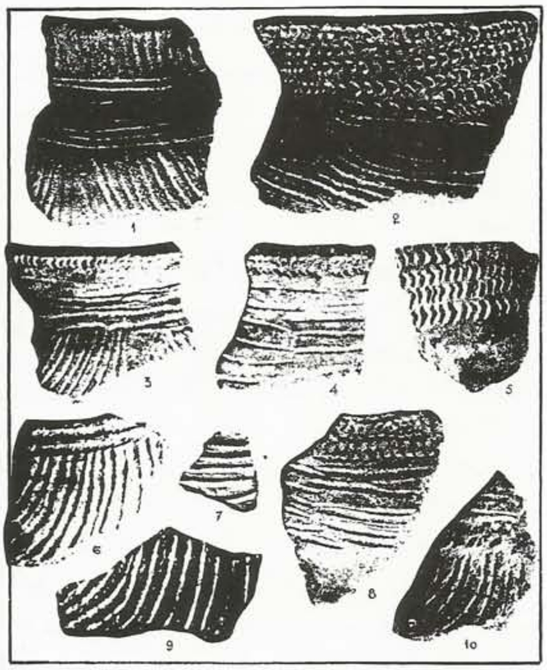

الفخار المخطوط (جودان 58 - 1959)

المغرب غير أن الأبحاث التي قام بها مؤخرا الباحث دوكا (1985) بدارسته لموقع الصخيرات الروازي ومراجعته لأدوات أشقار استنتج أن من بين أصول حضارة الكامبانيفورم نفسه موجود بالمغرب.

م.ع. الهجراوي، *أهم هجرات منطقة غرب البحر المتوسط خلال فترة ماقبل التاريخ* (مرقون).

R. P. Koehler (1929) : *Le vase néolithique de la grotte d'Achakar. B. S. P. M*, 3, nº 4, pp. 32 - 34 ; A. Jodin (1958 - 59) : *Les grottes d'Elkhils à Achkar,B. A. M*, 3 pp. 249 - 313 ; G. Camps (1974) : *Les civilisations préhistoriques de l'Afrique du Nord et du Sahara*. Paris, Doin, 366 p ; G. Souville (1984) : *Achakar (Maroc) Enc, Berb.* I, Aix en - Provence pp. 107 - 111; P. Daugas (1985) : *Eléments pour une approche du néolithique Marocain, première table ronde sur la préhistoire Marocaine à Bordeaux*. Sous presse.

محمد.ع. الهجراوي

أشقّار، رأس يقع غرب مدينة طنجة على 35 درجة 47 دقية و 14 ثانية من خط العرض، و 5 درجة 55 دقيقة و 30 ثانية من خط الطول گرينيش ويفصل مياه بوغاز جبل طارق عن مياه المحيط الأطلسي.

وهو الذي أشار إليه الجغرافيون القدامى وأطلقوا عليه اسم أمبيلوسيا (Ampelusia). وأما أبو عبيد البكري فقد سماه جبل اشبرتال وهو الاسم الذي يعرف اليوم عند الأجانب "Espartel".

ويطلق اسم أشقّار بين سكان شمال المغرب على الحجر الصلب، وذلك لأنه كان يستخرج من رأس أشقار حجر الرحى الموجودة بالناحية.

وبالقرب من الرأس توجد مغارة تعرف بمغارة هرقل، كما يوجد بأعلى الرأس منارة يرى ضوؤها على بعد 23 ميلا، وكانت أول منارة أحدثت بالمغرب على إثر تعهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ببنائها في المعاهدة التجارية المبرمة مع إسبانيا بمدريد يوم 20 نوفمبر 1861 (الفصل 43).

وبمقتضى المعاهدة الدولية المبرمة بطنجة يوم 31 ماي 1865 اتفقت دول إسبانيا وفرنسا والنمسا وبلجيكا وبريطانيا وإيطاليا والبرتغال والسويد وهولاندا والولايات المتحدة الأمريكية مع المغرب على كيفية إدارة وصيانة المنارة المذكورة، وقد انضمت ألمانيا إلى هذه المعاهدة يوم 4 مارس 1878. وفي يومي 27 و 29 يناير 1891 وقعت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا بلندن على اتفاقية خاصة بصيانة ملوّحة المنارة، ووافقت باقي الدول على ذلك فيما بعد.

وفي يوم 24 نوفمبر 1936 أصدرت إدارة طنجة الدولية قرارا برسم حدود أرض رأس أشقار بصفتها ملكا عموميا.

أبو عبيد البكري، بترجمة دوسلان :

Description de l'Afrique Septentrionale, p 113 Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* 1930 (G) p 70 Domenech Lafuente (Angel), *Geografia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos* 1942 p 63. Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos* 1951 p 43. Ibn Azzuz Hakim *Repertorio diplomatico marroqui*, Rabat, 1961.

محمد ابن عزوز حكيم

أشقّار، معركة تعرف بمعركة رأس أشقّار Espartel المعركة التي جرت بمياهه يوم 20 أكتوبر 1782 بين الأسطول الأنجليزي المكون من 34 قطعة حربية برآسة الأميرال الورد Howe وبين الأسطول الفرنسي ـ الإسباني الذي كان يتكون من 46 قطعة حربية ويرأسه الجنرال لويس دي كوردوبا Luis de Cordoba.

ودامت المعركة من الساعة السادسة مساء إلى العاشرة والنصف ليلا غير أنها لم تسفر عن أية نتيجة حيث لم يكن فيها لا غالب ولا مغلوب.

Sotomayor (Ernesto), *Nuestra marina de guerra.*

مدريد1917 ص. 218

محمد ابن عزوز حكيم

الأشقوبية، اسم لعملة مغربية لم نقف على تاريخ بداية استعمالها بالضبط غير أنها كانت مستمرة الرواج الى بداية العهد العلوي، حيث ألغيت نهائيا، أثناء الاصلاح النقدي الذي قام به السلطان مولاي رشيد سنة 1670.

ويرجع هذا الاسم إلى نتائج التأثيرات المتبادلة بين المغرب والأندلس و بشبه جزيرة إيبريا عموما في مجال العملة. فقد استعمل الإسبان مصطلحات مغربية منها مصطلح المرابطي للدلالة على عملة حسابية إسبانية من العهد المرابطي إلى القرن التاسع عشر بينما استعمل المغاربة مصطلحات إسبانية متعددة منها على الخصوص : الأشقوبية والدبلون والريال والدورو، والبليون "القرش".

اشتقت الأشقوبية من اسم مدينة أشقوبية (segoia) التي اشتهرت بضرب النقود حتى الآن، تقع في الشمال الغربي من مدريد، وكان المسلمون قد احتلوا هذه المدينة لمدة نصف قرن ولم يستول عليها الإسبان إلا بعد موت المنصور بن أبي عامر.

وباعتبار أن القطع النقدية نادرا ماتكتب عليها أسماؤها وخاصة منها الفضية والنحاسية، فقد كان من العسير أن نعثر على قطع ذاتية تحمل اسم الأشقوبية ضمن المجموعات النقدية، فأغلب القطع إنما كانت تحمل اسم المدينة أو دار السكة التي ضربت فيها وتاريخ الضرب، وأحيانا أسماء الملوك أو عبارات أخرى ذات مضامين دينية غالبا.

ومما يحمل على الظن بأن بداية استعمال الأشقوبية يعود إلى العهد الموحدي، وجود بعض القرائن خاصة "الشكل المربع" الذي يجمع بين النقود الموحدية والأشقوبية، لكن الراجح، حسب ما هو ثابت في المصادر، أن مصطلح الأشقوبية شاع استعماله في الفترة الممتدة بين عهد الدولة السعدية وبداية الدولة العلوية، وقد راجت في فاس أيام الدلائيين، وانتشر استعمالها نحو الجنوب إلى الأطلس الكبير، ولم نعثر علي مايدل على استعمال هذا المصطلح في سهل سوس والأطلس الصغير ـ كما هو الشأن في كلمة دورو ـ إلا نادرا.

ومن حيث تحديد ماإذا كانت الأشقوبية عملة فضية أو نحاسية، فان الترتيب الزمني للمعلومات حسب المصادر التي رجعنا إليها، يفيد بأن الأشقوبية كانت عملة فضية قبل القرن السابع عشر ثم تحولت إلى مجرد نقود نحاسية مربعة، فصاحب *الاقنوم* يؤكد بأنها قطعة فضية، وقد حدد وزن الدرهم الأشقوبي بعشرين حبة وأربعة أسباع الحبة أي 20،57 حبة من حبوب الشعير.

والقدر في درهمنا الأشقوبي عشرون حبة من الحبوب
وزيد أربعة أسباع بأن أردت أدنى الصدقات لزمن

وهذا الوزن يساوي حوالي 1،2 غ من الفضة وهو أقل من نصف الدرهم الشرعي، وعلى أساس هذا الوزن ضربت موزونة مولاي رشيد التي قامت مقام الأشقوبية.

وكانت الموزونة الفضية "الأشقوبية" تصرف بثمانية وأربعين فلسا نحاسيا، ولكن إصلاح مولاي رشيد جعل صرف موزونته بأربعة وعشرين فلسا فقط، أما المصادر المتأخرة التي جاءت بعد *نشر المثاني*، مثل *الجيش العرمرم*، *والاستقصا*، *والاتحاف* فانها لا تذكر سوى الأشقوبية النحاسية المربعة التي وقع الغاؤها نهائيا سنة 1670.

ع. الفاسي، *الأقنوم في مبادىءالعلوم*. مخطوط الخزانة العامة رقم 15ك، ص 424 ؛ *العمل الفاسي*، شرح الرباطي، مخطوط الخزانة الصبيحية رقم 261 / 3 ؛ م. القادري، *نشر المثاني* 2 : 86. 87 ـ 191 ؛ م.اكنسوس، *الجيش*، 91،1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 41 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 3 : 12 و3 : 55 ؛ م. السراج، *الحلل السندسية في الأخبار التونسية*، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس ، 1970، 111 : 360 ؛ م حجـي، *الزاوية الدلائية*، ص. 212 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 69 .

J. Gautier - Dalché, *Monnaie et économie dans l'Espagne du nord et du centre, VIIIe - XIIIe siècle*, H. T ; 1962, Vol. 3. P. 73 : R. S. Veoman, *catalog of modern world coin*, 1950 - 1960. USA, 1972, pp 438 - 439.

عمر أفا

إشْقيرْنْ، هي اتحادية قبلية صغرى، تشتمل على أيت إمزّاتن، وأيت بويعقوب أعيسى، وأيت عمرو أعيسى. (*البحث العلمي*، 24 : 80) ويمتد موطنهم حاليا بين وادي سبو أحد روافد أم الربيع وأعالي ملوية. وتتصدر قرية القباب مراكز نشاطهم الاقتصادي، لموقعها في ملتقى الطرق الآتية من أحواض ملوية وأم الربيع ووادي العبيد. ولانعرف بالضبط التاريخ الذي استوطن فيه الشقيريون في هذا المجال. ففي مخطوط بزاوية سيدي حمزة وردت إشارة تفيد أن قبيلة إشقيرن كانت تعيش في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. في المنحدرات الجنوبية لجبل العياشي (Reynier.94) وعندما ترجم صاحب *الإحيا والانتعاش* لجده الأعلى موسى العياشي الذي لانعرف مع الأسف تاريخ ميلاده أو وفاته، ذكر أن إشقيرن كانت تعيش أيام هذا الأخير، في تزرفت، إلى جانب قبائل زمور، وملوان، وتزد، وأيت إلياس، وأيت سادن. وأيت عياش. وغيرهم من القبائل الصنهاجية. وكانت كل قبيلة تقيم في قرية خاصة بها (*الإحيا*، 8) وقد اتفقت تلك القبائل، حسب نفس المصدر، علي إقامة صلاة الجمعة في قرية واحدة، وبنوا خزينا مشتركا لحفظ المؤن (*الإحياء*، 8) وقد ظلوا على تلك الحال، إلى أن وقع الطاعون في تلك الديار ومات بها خلق كثير (*الإحيا*، 8) ولانعرف مع الأسف تاريخ تلك الآفة التي حلت بكثير من قرى المغرب. إلا أن إشارة وردت عند صاحب *مباحث الأنوار* تذكر أن الطاعون المذكور قد حدث زمن أبي بكر الدلائي (943. 1021 هـ) وبالرغم من كوننا لا نتوفر سوى على أخبار متأخرة عن إشقيرن، إلا أنه يظهر أن القبيلة، قدمت إلى تلك المنطقة مع فصائل اتحادية أيت إدْرَاسْنْ التي خرجت من الصحراء الغربية مع أوائل الحركة المرابطية واستقرت هناك حوالي (1012. 1013 م) (*أثر التدخل الأجنبي* 12. 13) ويمكن استنتاج ذلك من خلال إشارات صاحب *الإحيا والانتعاش* الذي ذكر أن إشقيرن كانت تعيش في منطقة تازرفت السالفة الذكر في وئام تام مع قبائل هذه الاتحادية. وقد ظلت إشقيرن وغيرها من القبائل الصنهاجية في الجنوب الشرقي، تمتهن الحرف والتجارة إلى أواخر القرن العاشر الهجري / السادس الميلادي، حيث استأنفوا رحلتهم نحو الشمال الشرقي، تحت ضغوط مجموعات قبلية أخرى بدأت في هذا الوقت تتطلع إلى الهجرة نحو الشمال تحت ضغوط اقتصادية وطبيعية. فقد ورد في *مخطوط* إبراهيم الناصري الذي نشره رينيي أن إشقيرن زمن المولى إسماعيل كانت تعيش في منطقة تُونْفِتْ إلى جانب قبائل أيت

شخمان وأيت إحند (*Un document*., 38). وحسب نفس المصدر، فقد كانت هذه المنطقة موالية للمخزن وكانت تخضع لحكم القائد الشهير علي أبركة اليموري الذي عينه السلطان مولاي إسماعيل خليفة له في أغْبَالاَ (*Un document*., 38) وقد شاركت إشقيرن، إلى جانب الكثير من القبائل، في الحركات الإسماعيلية التي جردها لتطويع الأطلس المتوسط. ولعب بويعقوب الولالي دورا مًّا في تأليف قبائل المنطقة حول الحركة الإسماعيلية(38. *Un document*., 40).

إن المصادر المتأخرة، تصنف إشقيرن ضمن أيت أُمَالُو. فقد ذكر صاحب *منظومة الأقنوم* (ص. 263) وبعده أشار الضعيف الرباطي إلى أن إشقيرن تنتمي إلى نفس القبيلة (*تاريخ الضعيف* : 349) ولا نعرف تاريخ دخول إشقيرن في هذا الحلف الذي وقف طيلة تاريخه في وجه السلطة المركزية لايذعن للخضوع .

إن الإشارات الواردة في المصادر المتأخرة تتحدث عن أيت أُمالو أي القبيل الكبير الذي يضم إشقيرن وغيرها من القبائل. ولا نعثر على أخبار تتعرض لتاريخ هذه القبيلة إلا في سياق التأريخ لأيت أُمَالُو والقبائل التي تنحدر تحت لوائها. لذا نرى أنه من الأنسب إدراج تاريخ هذه القبيلة ضمن التاريخ العام لاتحادية أيت أُمَالُو منذ انضمامها إليها.

إلى جانب إشقيرن الأطلس، توجد قبيلة أخرى في الريف تحمل نفس الاسم، لا نعرف شيئا عن تاريخ زحيلها أو ترحيلها إلى هناك.

ع. الفاسي، الأقنوم ؛ ع. العياشي، *الاحيا* ؛ الضعيف ، تاريخ، العلوي التقي، *أصول المغاربة* ؛ اتحادية أيت إدراسن، *البحث العلمي* 24 ، 1975 ؛ كنينح، *آثار التدخل*.

Reyniers *Un Document sur la politique de Moulay Ismail dans l'Atlas* A. M, vol XXVIII, Paris 1931.

العربي كنينح

إشكاجن إمي ← إداومحمود

أشْكَلاَنْطْ، وتكتب أيضا بدون همز، وبالسين المهملة (شكلانط، أسكلانط، سكلانط) أسرة تطوانية، ورباطية، وسلاوية، أصلها من الأندلس حيث توجد أسر إسبانية تحمل نفس الاسم. Escalante، وكان جل أفرادها بتطوان يتعاطون الجهاد (القرصنة) في البحر المتوسط انطلاقا من وادي مرتيل، غير أن هذه الأسرة انقرضت بتطوان حوالي سنة 1194 / 1780.

وتوجد هذه الأسرة الأندلسية أيضا في سلا ورباط الفتح. ومن أشهر أفرادها :

أشكلانط عبد الله الفقيه الصوفي الرباطي المتوفي عام 1134، وكذلك :

أشكلانط الهاشمي محمد الفقيه المفتي الشاعر الرباطي السلوي.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م.الضعيف، *تاريخ الدولة السعيدة*، 52 و145 و156 ؛ م بوجندار، *الاغتباط*، ص 464 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* (تحت الطبع) ؛ م.حجي، *فهرس الخزانةالعلمية الصبيحية بسلا*، 325.

Delegacion de asuntos Indigenas, *Familias ilutres de Tetuan* 1921 (E) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1928 (E) *Vedemecum de intervenciones* (año 1931) (E). M. Ibn Azzuz Hakim, *apellidos tetuanies de origen espanol* (E).

محمد ابن عزوز حكيم

أشْكِينازي، يعقوب حبرٌ متجول وفد على المغرب أواخر القرن الثامن عشر أو أوائل التاسع عشر، وتوفي أثناء تطوافه قرب أنماي بضاحية مراكش، وأصبح قبره مزارة لليهود يحجون إليه من مختلف الجهات.

لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، ص 386.

شمعون ليفي

أشْمَاخ، أسرة تطوانية أصلها من قبيلة بني حزمر الجبلية. وكان من بين أفرادها الفقيه محمد بن علي أشماخ الذي كان يتعاطى خطة العدالة من سنة 1188 (1774) إلى سنة 1210 (1796)، ومحمد بن محمد أشماخ الذي كان يتعاطى نفس المهنة سنة 1179 / 1983، ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 24 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 2 : 299 و 300. 7 : 244 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* (تحت الطبع).

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias illustres de Tetuan* 1921 (A) Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A). *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*. 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أشْنَة، أو حَزَازَ، ولِيكْن Lichens، كائنان نباتيان مكونان من طحلب وفطرة يعيشان معا متكافلين، فالطحلب تنمو خلاياه بين هيفات الفطر. وهو بما لديه من كلوروفيل يصنع المواد العضوية بعملية التخليف الضوئي، بينما يمتص الفطر المواد الغذائية والماء ويعطي النبات شكلا محددا ويحميه من الجفاف.

الأشْنَات عديدة في المغرب، حيث تصادف على قشرة جذور الأشجار والأسوار والصخور. أما من حيث التصنيف فإن الأشنات تنقسم إلى ثلاثة أصناف :

- أشنات شجيرية : نباتات شجيرية الشكل متفرعة، تكون قائمة أو تتدلى من الأغصان التي تنمو عليها.
- أشنات ورقية : تكون أجسام النباتات على هيئة أوراق زاحفة فوق السطح الذي تنمو عليه دون أن تلتصق به.
- أشنات قشرية : تكون أجسام النباتات ملتصقة بقشرة جذوع الأشجار أو الصخور، ويصعب نزعها من هذه الأخيرة.

وتعتبر جميع أنواع الأشنات أشد تحملا من أي نوع

آخر من النباتات، فهي قادرة على النمو على الصخور، وفي ظروف بيئية جد قاسية مثل تلك التي تصادف في قمم الجبال الشاهقة.

إنها تأخذ غذاءها من الماء والهواء وغبار الجو، غير أنها لا تتحمل تلوث الجو. ولهذا فإن أحياء المدن الملوثة بالغازات السامة والأدخنة تكاد تخلو من الأشنات. وكانت لهذه الملاحظة تطبيقات جد هامة ومنها القيام ببلورة خرائط حالات تلوث أجواء المدن، إذ أن الغازات السامة تقتل الأشنات، كما هو الحال في وسط مدينة كبيرة.

خليل، *النبات*، كتاب المعرفة (3). الجزء الأول، كلية العلوم، جامعة القاهرة ؛ *بحث ميداني*.

عبد المالك بنعبيد

أشهبار، الحاج علال بن قدور. ولد سنة 1915 بدوار ويسلي بالمنطقة الشمالية . التحق بصفوف جيش التحرير يوم 2 أكتوبر 1955، وحمل السلاح بجانب إخوانه المجاهدين ضمن الوحدة التي كان يرأسها مسعود أقجوج، إلى أن ألقي عليه القبض من طرف قوات العدو التي نفذت في حقه حكم الإعدام بجبل المرج.

وثائق المندوبية السامية للمقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

الأشولية. ـ حضارة قديمة ـ تنتمي الحضارة الأشولية إلى فترة العصر الحجري القديم، وتعتبر ثاني حضارة عرفها المغرب بعد حضارة الحصى. وسميت بالأشولية نسبة إلى موقع سانت أشول الموجود بفرنسا حيث اكتشفت لأول مرة.

1) مميزات الفترة الأشولية : تشكل الفترة الأشولية محطة هامة في تاريخ الإنسانية، بحيث إن الإنسان أصبح يتقن أكثر فأكثر طريقة نحت أدواته ويتحكم في الشكل النهائي للأداة، وبذلك يمكن له أن يصور ويحدد الشكل والحجم في ذهنه قبل بداية النحت. كما أصبح قادرا على نحت الحجر من جهتين وبصفة كاملة، مما أدى إلى ظهور الأدوات المسماة بالمحفر "Bifaces" وذلك عكس ما كان متداولا في الحضارات السابقة، حيث كان الإنسان يكتفي بإزالة بعض الشظايا فقط من جهة واحدة ليعطينا "الحجر المعدل" "Chopper" أو من جهتين وبصفة غير كاملة ليصبح الحجر المعدل "حجرا قاطعا" "Copping - tools". ويعتبر هذا التطور تقدما كبيرا في تقنية طريقة النحت، وهذا ما أدى إلى ظهور الأدوات المميزة لهذه الفترة وهي "المحافر" "Bifaces" بالنسبة لأوروبا وإفريقيا وجنوب إسبانيا. كما عرفت هذه الحضارة الأدوات فوق الشظايا والعظام.

وقد تبين من خلال بعض الأبحاث الحديثة أن قبائل عايشت الإنسان الأشولي، كانت في غنى عن المحافر، أولم تستعملها إلا نادرا كالقبائل التي تم العثور على بقاياها بموقع سيدي عبد الرحمان امتداد ناحية الدار البيضاء (A. Debenath,1982) وموقع الضاية الحمراء قرب مدينة تفلت (الهجراوي، 1985)، وقد تكون هذه المواقع عبارة عن "مصانع" للنحت. ولعل الأبحاث المستقبلية ستزودنا مما لا شك فيه بمعلومات جديدة تقربنا من الحقيقة. ومثل هذه القبائل كمثل المسؤولين عن حضارة اللوفالوازيان والطايسيان بأوروبا.

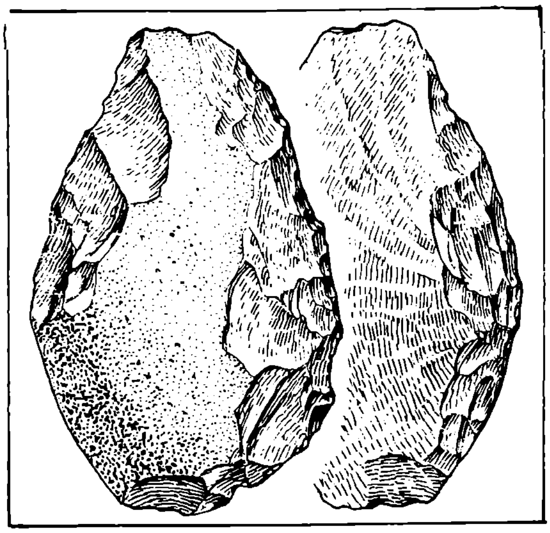

الحضارة الأشولية : محك عثر عليه بموقع الضاية الحمراء.

ومن مميزات الحضارة الأشولية كذلك، استعمال الإنسان لأودات نحت رطبة "كالخشب وقرون بعض الحيوانات" عكس ماكان سائدا في الحضارات السالفة، وهذا الاكتشاف مهم أيضا، لأن استعمال أدوات نحت رطبة، من شأنه أن يسهل على الناحت التحكم أكثر فأكثر في الشكل والحجم الذي ينوي الوصول إليه، كما أنه في هذه الحالة يكون النحت جد مستقيم ومنظم.

2) الحضارة الآشولية بالمغرب : لقد عرف المغرب الإنسان الأشولي خلال الفترة الممتدة ما بين 1000000 إلى 80000 سنة تقريبا، وتوجد مخلفاته بعدة مواقع أهمها مواقع سيدي عبد الرحمان، مقلع طوماس، الضاية الحمراء، ترسبات وادي بهت، ووادي ملوية. وأهم البقايا العظمية للإنسان الأشولي التي تم اكتشافها : فك عثر عليه بموقع سيدي عبد الرحمان (200000 سنة) فك إنسان الرباط (165000 سنة). ولعل تشابه الأدوات الأشولية الموجودة بالمغرب وكذا التي تم العثور عليها بإسبانيا وخاصة بموقع طورالبا، 100 كلم شرق مدريد ليعتبر خير دليل على انتقال هذه الحضارة بمميزاتها الإفريقية إلى إسبانيا عبر المغرب وخاصة خلال الفترات الجليدية بحيث كان مستوى البحر المتوسط ينقص عن الشكل الحالي، وبالتالي كانت عملية اجتياز مضيق جبل طارق تتم بسهولة. ومن أهم الأبحاث التي أجريت على الحضارة التي نحن بصددها، ما قام به الباحث الفرنسي (بيبيرسون P. Biberson, 1961) والذي استطاع أن يقسم هذه الحضارة إلى ثمانية مراحل، لكل واحدة منها مميزاتها الخاصة بها، وذلك اعتمادا على الترسبات البحرية وكذا تطور الأدوات.

2 ـ 1) الفترة الأشولية القديمة : تتميز المرحلة الأولى بمحافر بدائية، خشنة الشكل منحوتة بصفة غير دقيقة وغير

منظمة، مثلثة الشكل في بعض الأحيان، ومتعددة الجوانب أحيانا أخرى، هذا زيادة على الحصى المعدل والحصى القاطع المعروفين في الحضارة التي سبقت الحضارة الأشولية وكذا التي ستأتي من بعد.

أما في المرحلة الثانية والثالثة، فقد أصبحت المحافر الثلاثية الشكل أكثر عددا بالنسبة للمرحلة الأولي.

2 ـ 1 ـ 1) الفترة الأشولية الوسيطية : خلال الفترة الأشولية الوسيطية أي المرحلة الرابعة ثم الخامسة والسادسة نلاحظ تنوع شكل المحافر وتجددها مع اندثار الشكل المثلث. أما الفؤوس الحجرية فقد اتخذت أحجاما مختلفة، كما ظهرت الأدوات فوق الشظايا (محكات، مكاشط..) وتقنية النحت المسماة "بلوفالوا" والأدوات العظمية.

2 ـ 1 ـ 2) الفترة الأشولية المتطورة : مع المرحلة السابعة، ازدهرت تقنية النحت وظهرت محافر جديدة أحسن تهذيبا وأجمل شكلا، كالمحافر الرمحية أو البيضوية الشكل،. أما فيما يخص الفؤوس الحجرية، فلقد أصبح عددها جد ضئيل عكس الأدوات على الشظايا التي تنوعت وكثرت (محكات، مكاشط...)

أما في المرحلة الأخيرة أي الثانية، فقد أصبحت المحافر صغيرة الحجم، قلبية الشكل تذكرنا بمحافر الحضارة المونستيرية التي تأتي مباشرة بعد الحضارة الأشولية، كما ظهرت أدوات فرق شظايا لوفالوا.

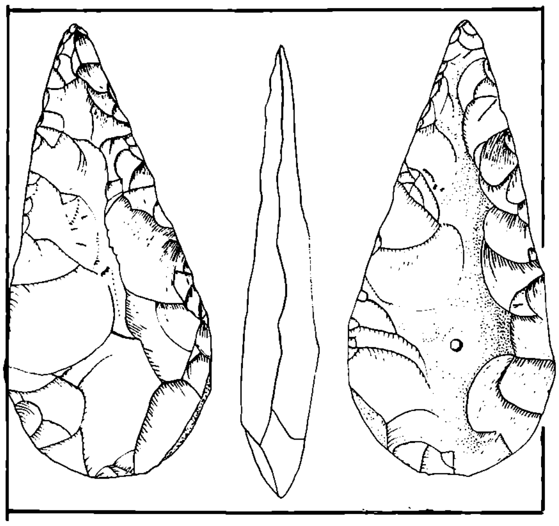

II آلات حفر عثر عليها بمقلع طوماس

ومن خلال هذه النظرة للحضارة الآشولية يتبين بأن من مميزاتها ظهور المحافر والفؤوس الحجرية وكذا تقنية لوفالوا والأدوات على الشظايا والعظام، كما استعمل الإنسان لأول مرة أدوات نحت رطبة. ويعتبر المغرب من أهم المناطق في العالم التي مكنت الباحثين من الوقوف على تطور وتسلسل الحضارة الأشولية، وذلك بفضل تعدد الترسبات البحرية بموقع سيدي عبد الرحمان، واختزانها لمختلف مراحل هذه الحضارة، هذا هو ما أعطى للموقع شهرته العالمية، كما عرف الإنسان الأشولي عدة مناطق مغربية.

Biberson, P. (1961), *Le Paléolithique inférieur du Maroc atlantique*, P. S. A. M, nº 17, Casablanca ; Bordes, F. (1968), *Le Paléolithique dans le monde*, ed. Hachette, l'univers des connaissances ' Debenath, A. et al. (1981 - 1982), *Mission préhistorique et paléontologique française au Maroc*, Rapport d'activités ; EL Hajraoui, M. A. (1985), *Les industries préhistoriques de la région de la Mamora dans leur contexte géographique et paléopedologique*, Thèse de 3 ème cycle, Université de Bordeaux I.

محمد عبد الجليل الهجراوي

الأشياخ، (جامع ـ) بناه إدريس الأزهر عام 192 / 808 في مكان كان يدعى برحبة البئر من عدوة فاس الأندلس، وهو أول ما بنى بها بعد أن أدار عليها السور، وأقام به الخطبة، فكان هو المسجد العتيق بمدينة فاس، واستمرت فيه الخطبة طول عهد الأدارسة إلى أن نقلها منه إلى جامع الأندلس حامد بن حمدان الهمذاني عامل أبي عبد الله الفاطمي الشيعي المتغلب على فاس عام 321 / 933. ويرى لوطورنو أن الأشياخ الذين ينسب إليهم الجامع هم أعيان البربر أنصار إدريس أمثال أوربة وزواغة الذين كانوا يجلسون في المساء بالمسجد يتداولون.

وقد تهدم جامع الأشياخ منذ مدة ويدعى اليوم جامع النوار، وهو واقع بأعلى عقبة الصفاح من حومة گرواوة عند مدخل زنقة سيدي بوجيدة من عدوة فاس الأندلس.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة* ؛ ر. لوطورنو، *فاس قبل الحماية* ـ ترجمتنا العربية ـ ج 1.

محمد حجي

أشيُوق، أحمد بن محمد. ولد عام 1911 بدوار تو‌داك، فرقة المرابطين، زناگة، اصبويا، كان ينتمي لعائلة معروفة بالكفاح والنضال، وقد انخرط في صفوف جيش التحرير بصحراء المغرب منذ سنة 1957، وتدرب على حمل السلاح وخاض معارك منها المعركة التي دارت رحاها بأحد قبيلة صبوية، قيادة أيت باعمران، واستشهد على إثرها بتاريخ 26 نونبر 1957.

وثائق المدوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

عز الدين العلام

أصاصاي، إبراهيم بن موسى، أبو إسحاق، واسم أصاصاي ـ بصادين مشمومتين زايا ـ ذكره صاحب *التشوف* وعده من العباد الصالحين وكان ممن تجاب دعوته على الظالمين، ويظهر من معنى لقبه أنه كان من البله لأن أصاصاي تعني الثقيل في سمعه أو فهمه، وموته بدكالة سنة 615 هـ.

التادلي، *التشوف*، ص420.

أصَّادة، هي بالتأكيد صيغة معربة لأصَّادْنْ، وهو جمع، والصاد فيه مشمومة زايا، والفعل الذي اشتق منه الاسم يعطي لأزاضن معنى أهل الأرحاء الحجرية أو أهل النسيج. ذكر البكري (ص. 114) أصادة على أنها مدينة قرب ورغة ببلاد بني مسارة، وذكر البيذق (ص 43) أن أصَّادْنْ قبيلة الموحدين، ولا شك أنه يعني بها تلك التي في عمق جبل درن في واد تحت قمة تُبكالْ، غربيها، تتكون من

عدة قرى على نهر يسمى في شطره الأسفل بنهر ويرگان. أما ابن خلدون فيرى أن أصادة لها بطون في شمال المغرب وفي جبال درن وقد لا يكون للاتفاق في الاسم معنى الارتباط بالنسب ضرورة.

أحمد التوفيق

أَصِقّال، وترد معرفة في بعض الوثائق "الصِّيقال" أسرة مكناسية، أقدم من عرف منها في القرن العاشر الهجري/16 م. أحمد الصيقال الذي نقل عنه المنجور في *فهرسه* (ص 44) تاريخ ولادة ابن غازي. وجاء عن أصل هذه الأسرة في الديوان الإسماعيلي، أولاد أصقال، سؤال. وفيه أيضا، أولاد أصقال، أهل زقاق الحجامين، من الأندلس،. وفي وثيقة تعريف بشهود (عام 1115 هـ) تعريف بالفقيه العدل الرضي على أصقال. وفي وثيقة ثالثة (18 رجب 1152 هـ) تعريف بعائشة بنت قدور أصقال ووارثها ابن عمها الحاج حدو بن عبد الرحمان أصقال.

أ. المنجور، *الفهرس* ؛ *الديوان الإسماعيلي*،مخطوط ؛ وثائق عدلية خاصة ؛ ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 : 341.

محمد المنوني

حزب **الإصلاح** الوطني، أول حزب سياسي وطني تأسس بالمغرب في عهد الحماية، وكان نشاطه بشمال المملكة الذي كان آنذاك خاضعا للحماية الإسبانية، وكان مقره بتطوان حيث أعلن عن تأسيسه يوم ثالث شوال 1355 / 18 ديسمبر 1936. اختير يوم ثالث شوال بالذات لأنه اليوم الذي توفي فيه أبو الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة سنة 1353 / 9 يناير 1935.

وحيث إن حزب الإصلاح الوطني كان هو الحزب الوطني الوحيد الذي اعترفت إدارة الحماية بمشروعية وجوده، فقد ظلت حقيقة أمره مجهولة بسبب عدم نشر الوثائق المتعلقة به، الشيء الذي جعل بعض الكتاب يصدرون أحكاما مسبقة لا سند لها لكونها مبنية على الأوهام، أو يضعونه في قفص الاتهام، لا لشيء إلا أن نشأته تزامنت مع الانقلاب العسكري الإسباني الذي أطاح بالنظام الجمهوري في إسبانيا، فقالوا عنه إن صانعه هو الجنرال فرانكو الذي تزعم الانقلاب المذكور.

يقول في هذا الصدد الطيب بنونة في كتابه *نضالنا القومي* (ص 317، تعليق 2) إن "الجماعة الوطنية في تطوان كانت تفكر في تأسيس الحزب المذكور قبل أربع سنوات من إعلانه، وليست فكرة الحزب السياسي وليدة حركة فرانكو كما يدعيه بعض الكتاب الذين يهدفون إلى التعريض بحركتنا الوطنية بالباطل والبهتان".

ويؤكد كلام بنونة هذا ما وجدناه في *مذكرات* الأستاذ عبد الخالق الطريس ليوم 18 أكتوبر 1932 حيث يقول إنه في اليوم المذكور بدأ في وضع مشروع النظام الأساسي للحزب الوطني الذي كان يفكر في تأسيسه، وهذا المشروع الذي نتوفر على نسخته الأصلية بخط يد صاحبها وتحمل تاريخ 11 نوفمبر 1932، بل إننا نتوفر على وثائق تشهد على أن الفكرة بدأت تراود الطريس وهو لازال طالبا بجامعة القاهرة حيث نجده يقول في رسالة وجهها لصديقه الطيب بنونة المذكور الذي كان يتابع دراسته بنابلس (فلسطين) يوم 7 مارس 1930 :"متى سيعلم الناس عندنا قيمة التعليم والثقافة فيمدون يد المساعدة ويقبلون على إدخال أولادهم لما ينشأ من المدارس الوطنية الحرة، وعلى إنشاء صحيفة وتأسيس جمعية وطنية تكون نواة لحزب سياسي يضم جميع العناصر الحية في وطننا".

وفي يوم 5 سبتمبر 1930 شارك الطريس مع جماعة من الوطنيين بتطوان وعلى رأسهم الحاج عبد السلام بنونة في تأليف أول هيئة وطنية سرية بناء على توصيات الأمير شكيب أرسلان الذي كان قد زار تطوان في أواسط شهر غشت من نفس السنة.

وفي يوم 23 نوفمبر قام الطريس بتأسيس أول جمعية وطنية مغربية بالخارج هي جمعية الدفاع عن القضية المغربية التي تأسست بالقاهرة. والطريس هو الذي أشرف على تأسيس هيئة وفد مطالب الأمة التي حلت محل الهيئة الوطنية الأولى، وذلك يوم 19 يونيو 1931 بتطوان، هذه الهيئة التي أصبحت ابتداء من فاتح أبريل 1932 تحمل اسم الهيئة الوطنية بشمال المغرب وكان يرأسها الأستاذ الطريس.

وفي 16 يناير 1933 تألفت بتطوان هيئة وطنية خاصة أطلق عليها اسم الهيئة التحضيرية لنظام حزب الإصلاح الوطني، وكان يترأسها الفقيه محمد الصفار، وقد سبق لي أن نشرت محاضر جلساتها في *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب* (ص 73) ومن ضمن هذه المحاضر المحضر الخاص بالجلسة الختامية ليوم 11 فبراير من نفس السنة التي اتفقت فيها الهيئة على غايات حزب الإصلاح الوطني.

وللطريس يرجع الفضل في أنه أنشأ يوم 20 نوفمبر 1933 هيئة العمل الوطني بشمال المغرب التي كان يرأسها والتي قررت في جلستها الأولى أن "تكون هيئة سرّية يمكن في وقت من الأوقات أن تعلن عن نفسها تحت اسم حزب الإصلاح". وفي جلستها ليوم 18 ديسمبر من نفس السنة ناقشت الهيئة مشروع القانون الأساسي لحزب الإصلاح الوطني ثم وافقت عليه في جلستها المنعقدة يوم 26 يوليوز 1934.

وفي 26 سبتمر 1934 قبل الأستاذ الطريس منصب مدير عام للأوقاف الإسلامية في الحكومة الخليفية شريطة أن توافق الحكومة الإسبانية على تأسيس حزب الإصلاح الوطني، وبناءً على ذلك عرض مشروع النظام الأساسي للحزب على أنظار الإقامة العامة يوم 18 ديسمبر وفي 6 يناير 1935 تمت مناقشة المشروع المذكور بين الطريس والإقامة العامة بتطوان.

وحين علم الطريس أن الحكومة الإسبانية غير مستعدة للموافقة على تأسيس الحزب حيث احتفظت بمشروع نظامه

الأساسي دون أن تتخذ في شأنه أي قرار، قدم الطريس يوم ثاني سبتمبر 1935 استقالته من منصب المدير العام للأوقاف الإسلامية، ورغم ذلك توجه إلى العاصمة الإسبانية للاتصال برجال الجمهورية في قضية الاعتراف بالحزب. وتستخلص نتيجة هذه الرحلة من مذكرات الطريس ليوم 22 نوفمبر 1935 :"إننا لم نجد فيهم أي استعداد لإرضائنا في هذا المطلب خوفاً مما يمكن أن يترتب عنه بخصوص علاقاتهم مع فرنسا".

وما إن عاد الطريس إلى تطوان حتى قررت الهيئة الوطنية أن تعلن عن نفسها كمنظمة سياسية اسمها "كتلة العمل الوطني بشمال المغرب"، وكان ذلك يوم فاتح فبراير 1936. وفي يوم 4 يونيو من نفس السنة وافقت الهيئة المذكورة على نظامها الأساسي الذي نص على أنه من غايات الكتلة "السعي لإعلان حزب سياسي وطني لخدمة الغايات السابقة بشكل قوي يناسب تطور المغرب وفناء الكتلة فيه". (المادة الأولى. الغاية الخامسة)، كما نصت المادة 47 منه على أن "هذا النظام مؤقت ريثما يتم نظام الحزب".

وشاءت الأقدار أن تتحقق أماني الوطنيين بعد وضع هذا القانون بشهرين حيث وقع الانقلاب العسكري الذي قاده الجنيرال فرانكو وأطاح بالجمهورية الإسبانية في 17 يوليوز، وفي يوم 26 من نفس الشهر اتصل الكولونيل بيكبيدير (Beygbeder) ممثل الحركة الانقلابية في تطوان بالأستاذ الطريس وأخبره بأن الجنيرال فرانكو مستعد للموافقة على تأسيس حزب الإصلاح الوطني مقابل التزام الحركة الوطنية الحياد في النزاع القائم بين العسكريين والجمهوريين الإسبان.

وفي يوم 5 غشت كتب الكولونيل المذكور يقول للطريس إنه يمكنه أن يتقدم بطلب الإذن في تأسيس الحزب لكل من الخليفة السلطاني والإقامة العامة، فقدم الطريس بالفعل الطلب وأجاب عنه بيگبيدير بالموافقة يوم 7 ديسمبر.

وفي يوم 14 من نفس الشهر تألفت اللجنة التنفيذية المؤقتة لحزب الإصلاح الوطني من السادة التهامي الوزاني (وكيل ومفتش) وعبد السلام ابن جلون (كاتب عام) وحمد طنانة (أمين) ومحمد أفيلال (حاسب) والطيب بنونة (مساعد الكاتب العام) وعبد السلام التمسماني (مساعد إداري) والأعضاء السادة : عبد الخالق الطريس وأحمد غيلان ومحمد بناني ومحمد الطنجي ومحمد الصفار.

وفي يوم 3 شوال 1355 / 18 ديسمبر 1936 تم الإعلان عن تأسيس حزب الإصلاح الوطني في بلاغ نشر بجريدة الريف وفيه نص النظام الأساسي للحزب المذكور :

المادة 1 يسمى الحزب "حزب الإصلاح الوطني".

المادة 2 مركزه الرئيسي عاصمة تطوان.

المادة 3 غايات الحزب الرئيسية :

أ) إيصال الأمة المغربية إلى جميع حرياتها وكامل استقلال أراضيها.

ب) تحقيق الوحدة المغربية سياسيا ولغويا.

ج) اكتساب سائر الحقوق الضائعة.

د) ابلاغ الأمة المغربية إلى مركز سام من الحضارة والقوة.

المادة 4 الوسائل التي يتوصل بها الحزب إلى غاياته الرئيسية هي :

أ) التعاون الشرعي مع الحكومة في سائر الاصلاحات والأعمال التي تتفق مع غايات الحزب.

ب) استغلال ملكات الشعب وثروة البلاد الطبيعية.

ج) تحرير الفكر المغربي من الرجعية في حدود الديانة الإسلامية.

د) العمل على رفع المستوى الأخلاقي في الشعب.

هـ) خلق المواطن المغربي الذي يشعر بحقوقه ويعرف واجباته.

و) محاربة الأمية ونشر التعليم على اختلاف درجاته.

المادة 5 الخطة التي يتبعها الحزب في أعماله كلها لا تخرج عن الخطط التي تتبعها الأحزاب السلمية الأخرى التي منها :

1 - نشر الدعاية بكل الوسائل.

2 - جمع الأنصار وتنظيمهم تنظيما جديا.

3 - إصدار برامج بين آن وآن لتبيين وجهة النظر في المسائل القائمة.

4 - تنظيم المؤتمرات والاجتماعات العامة.

المادة 6 تتكون اللجنة التنفيذية من رئيس ووكيل وأمين وحاسب وكاتب عام ونائب عنه ومفتش خارجي ومفتش داخلي وأربعة أعضاء، وتبين اختصاصاتهم في النظام الداخلي للحزب.

كان لحزب الإصلاح نظام داخلي ونظام الجهاز الإداري ونظام مالي ونظام الانتخابات ونظام العضوية، فكان أول حزب في المغرب اتخذ لنفسه عدة طقوس مثل : التحية برفع اليد المبسوطة مع قول : الله أكبر، والشعار المتمثل في الطربوش الأبيض والأسود، والرمز المثلث به عبارة الله أكبر، والعلم الأبيض والأسود به عبارة الله أكبر، والنشيد المعروف بـ "فتيان قومي".

وكان للحزب : 1) مجلس أعلى يتكون من اللجنة المركزية واللجان الفنية الفرعية. 2) لجنة مركزية تتألف من رئيس الحزب ووكيله وأمين عام وناظر وأمين الصندوق وحاسب وعدة أعضاء. 3) لجان فنية هي لجنة المالية ولجنة الشؤون الخارجية ولجنة الشؤون الداخلية واللجنة الاقتصادية واللجنة الثقافية ولجنة الشؤون الاجتماعية واللجنة القانونية ولجنة التنظيمات الحزبية، ولجنة الدعاية والنشر. 4) لجان فرعية تتألف من رئيس وأمين عام وأمين الصندوق وحاسب وعدة أعضاء في المدن التالية : تطوان والقصر الكبير والعرائش وأصيلا وشفشاون والحسيمة والناضور وطنجة، وهذه اللجان الفرعية كانت لها شعب، وللشعب حلقات، والحلقات هي التي كانت تتصل بالأنصار.

كما كان للحزب عدة منظمات مثل منظمة الفتيان (الكتائب) ذات النظام شبه عسكري، وجمعية الطالب المغربية، والجمعية الرياضية، والاتحاد النسائي، واتحاد الطلبة. ومنذ تأسيس الحزب كان له لسان حال يتمثل في جريدة *الحرية*. التي حلت محلها جريدة *الأمة*. وفي ثالث شوال من كل سنة الذي أطلق عليه اسم عيد الجهاد الوطني كان الحزب يعقد مؤتمرا عاما بتطوان تحضره جميع اللجان المركزية والفنية والفرعية بجميع أعضائها.

أما الأهداف والغايات التي عمل من أجلها حزب الإصلاح الوطني من سنة 1936 إلى سنة 1956 فهي :

- الإصلاح (الوطنية والحزبية والاتحاد).
- الدين الإسلامي ومحاربة الرجعية،
- اللغة العربية والعمل على استعمالها في جميع مرافق الحياة.
- الوحدة (الترابية والقومية والمغاربية والعربية والإسلامية).
- التحرير (معارضة نظام الحماية والعمل على استقلال البلاد).
- النظام (المحافظة على النظام الملكي والعمل على إيجاد دستور للبلاد مع فصل السلطات واستقلال القضاء).
- العدالة الاجتماعية (تحرير المرأة والاعتناء بالشباب والدفاع عن حقوق العمال والصناع والاهتمام بشؤون الفلاح والمحافظة على ملكيته وتعميم التعليم مع تعريبه ومغربته ومحاربة الأمية وتوفير وسائل الصحة للجميع).
- المجال الخارجي (حضور الحزب في جميع المؤتمرات العربية والإسلامية ووجوده باللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية بصفة رسمية ومشاركته في مكتب المغرب العربي وفي لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة وإنشاؤه مكتب المغرب بنيويورك ودفاعه عن القضية الفلسطينية الخ).

وقد ظل حزب الإصلاح الوطني يعمل من أجل تحقيق الأهداف والغايات المذكورة إلى أن توحد مع حزب الاستقلال في حزب واحد يحمل اسم حزب الاستقلال (الجديد) وذلك يوم 5 شعبان 1375 / 18 مارس 1956.

ع. الطريس، *مذكراته الخاصة* الموجود جزء منها بربائد مؤسسة عبد الخالق الطريس والجزء الآخر بربائد ابن عزوز حكيم ؛ م. ابن عزوز حكيم، *وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب* ج 1 : تطوان 1980 ؛ وثائق تشهد (ج 1) الرباط 1980 ؛ *وثائق سرية حول زيارة الأمير شكيب أرسلان للمغرب*، تطوان 1980 ؛ *نضال الطريس في ساحة الوحدة* (الرباط 1980) ؛ *من مذكرات الزعيم*، ج 1 الرباط 1982. ط. بنونة، *نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة* (طنجة 1980). *مجلة الوثائق الوطنية* (تطوان ع. 1 مارس 1988) ؛ ح. الصفار، *حزب الإصلاح الوطني* 1936 - 1956. (دراسة تحليلية) مذكرة لنيل دبلوم الدراسات العليا في القانون العام، نوقشت في كلية الحقوق بالرباط سنة 1988.

محمد ابن عزوز حكيم

إصلاحات، تعرض المغرب كبقية الشعوب التي لم تتمكن من إحداث ثورتها الصناعية إلى تسلط الحركة الإمبريالية الأوربية خلال القرن التاسع عشر. وتمثلت ردود فعله في إنجاز بعض المحاولات الإصلاحية. فإلى أي حد كان الجهاز المخزني ببنياته العتيقة قادرا على اتخاذ مبادرات إصلاحية فعلية، لتهيئ البلاد لمواجهة، أصبحت تبدو غير متكافئة ومستحيلة للحفاظ على مكتسباته السياسية والاقتصادية والحضارية ؟. وإذا كان مفهوم الإصلاح ينطوي في حد ذاته، على دلالات واسعة ومتداخلة في الوقت نفسه، فإن معالجة مسألة الإصلاحات في المغرب تقتضي القيام بذلك من زاويتين متعارضتين ؛ رؤية للإصلاحات من وجهة داخلية مرتبطة بالواقع المغربي الإسلامي وبجهاز المخزن، ورؤية للإصلاحات من وجهة خارجية أوروبية صرفة. فهل كان بإمكان النخبة المغربية غير المتجانسة، من كبار موظفي المخزن، وتجار وعلماء، أن تكون مؤهلة لتقديم اقتراحات إصلاحية انطلاقا من إمكانات محلية ؟ إن ما تقدمت به عناصر النخبة المغربية من دعوات إصلاحية مكتوبة في معظمها ردود فعل تميزت بطابعها الجزئي بل السطحي في بعض الأحيان. ولم تتجاوز في مجموعها مستوى الترقيات التي كان من الصعب إدخالها في مشروع إصلاحي منسجم ومتكامل.

ويبدو أن الرؤية الخارجية الأوروبية للإصلاحات قد كانت أقوى، وهي التي شكلت بداية انطلاق للمحاولات الإصلاحية للمخزن على علاتها وما انطوت عليه من مجازفات ومن مخاطر تفتيت لسيادة المخزن. ونعني بهذا مختلف التجهيزات والإجراءات التنظيمية التي قام المخزن بإحداثها وإدخالها، بعد الضغوط المتوالية من طرف قوى أجنبية كانت أنجلترا وفرنسا من أهمها.

وإذا كانت جل الكتابات التاريخية تجعل من السنوات التي تلت هزيمة إسلي في 1844 م منطلقا لعزم المخزن على الشروع في بعض الإصلاحات التي اقتصرت في بدايتها على الجانب العسكري، فإننا نميل إلى اعتبار المقترحات والدعوات الإصلاحية التي وجهتها أنجلترا إلى السلطان عبد الرحمان (1822 - 1859) ابتداء من 1853، في إطار التهيئ لإقناعه بتبني بنود اتفاقية 1856، كأول دعوة أجنبية إلى المغرب لتدشين سياسة "إصلاحية" شاملة. وكانت موافقة المخزن تحت الضغط والتهديد على بنود 1856 بمثابة اعتراف قسري وقانوني منه، بضرورة إحداث تغييرات و"إصلاحات" في سياسته التجارية. وسبق لأنجلترا أن استغلت أزمة سياسية لدى العثمانيين لتفرض عليهم اقتراحات مماثلة، من خلال اتفاقية بالطاليمان Balta liman (1254 هـ / 1838م)، فتمكنت من فتح أسواق الإمبراطورية على مصراعيها في وقت كانت تبحث فيه الصناعات الآلية الأنجليزية عن منافذ لتصريف منتجاتها. وقد نجحت بريطانيا في إرغام المخزن على نهج سياسة تجارية تستقي مبادئها من الليبرالية الغربية، حيث تخلى

عن ظاهرة الاحتكارات، وخطا خطوة هامة في طريق تحرير الصادرات والواردات واكتفى بتعرفة جمركية ثابتة لا تتجاوز 10 ٪ من قيمة البضائع. واتسعت دائرة المقترحات الإصلاحية الأنجليزية إلى مخزن السلطان محمد بن عبد الرحمان، فتجاوزت شؤون التجارة لتشمل الجهاز الإداري والعسكري ومختلف المحالات الاقتصادية. خاصة وأن الظرفية العامة التي تلت خرب تطوان قد كانت جد مواتية بالنسبة لبريطانيا لتوجيهها لتلك الدعوات، حيث عينت هذه الأخيرة قناصلة محترفين بالمراسي المغربية وزودتهم بتعليمات صارمة للسهر على تطبيق بنود 1856، وأمرت إسبانيا وكلاءها بالجلوس في المراسي لتحصيل ما تبقى من الغرامة الحربية. وكانت للمخزن رغبة ملحة في محاربة التلاعب الذي كانت تعرفه الجمارك في وقت أصبح فيه المغرب ملزما بتسديد ديون ثقيلة وتحمل عبء مصاريف الإصلاحات. فارتأت أنجلترا حث السلطان محمد بن عبد الرحمان ـ(1859 ـ 1873) على إحداث تغييرات أساسية في إدارة المراسي. وتم ذلك من خلال المذكرة التي وجهها إليه جون دريموندهاي J. D. Hay في 30 أكتوبر 1861، والتي نصت على منع الأمناء من ممارسة أي نشاط تجاري لفائدتهم، وتعيين أمينين في كل مرسى اشترط أن يكون أحدهما أجنبيا عنها، وتعيين ناظر متنقل لمراقبة جميع الأمناء، مع تحديد أجورهم، وفرض عقوبات قاسية عن كل مخالفة. وتكفي مقارنة الظهير السلطاني الصادر في رمضان 1278 هـ / 1861 م مع المقترحات الأنجليزية للتأكد من مدى اقتناع المخزن بنصيحة الأنجليز في الموضوع. وخلف ذلك التغيير الذي دخل حيز التنفيذ في كل المراسي ارتياحا في أوساط التجار الأجانب على وجه الخصوص، كما ساهم إلى حد ما في ردع الخروقات المعهودة، وتوفير الأموال الضرورية لإصلاح الأحوال العسكرية للبلاد.

اعتمد المخزن في إصلاح الجهاز العسكري قبل هزيمة إسلي على العثمانيين كدولة إسلامية ذات قاعدة عسكرية أكثر تطورا، فزودته بمدربين أمثال علي والخوجة التونسيين، وحمودة الجزائري. كما أرسل طلبة مغاربة للتدرب في صفوف الجيش المصري أيام إسماعيل باشا. إلا أن معركة إسلي أكدت فشل جهود المولى عبد الرحمان في تعزيز جيوشه التقليدية واتضح بأن اعتماده على الأتراك لم يُمَكن عساكره لا من مواجهة التفوق التكنلوجي والتنظيمي للجيوش الفرنسية برا وبحرا، ولا من السيطرة على الوضع الداخلي. وزادت هزيمة تطوان، أمام قوات إسبانيا من تأكيد نفس النتائج لدى محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873) بعد أن رسم أمامه جون دريمونديهاي صورة قاتمة عن الجهاز العسكري المغربي. واستغلت أنجلترا الشعور الذي ساد بعد فاجعة تطوان في أوساط العلماء لتدعو المخزن إلى إحداث نظم عسكرية على النمط الأوروبي. واقتصر دور الأوروبيين والأنجليز خاصة في ذلك على جلب الأسلحة بواسطة التاجر الأنجليزي فورد Ford الذي قام بالنيابة عن السلطان بالحصول على السلف من أنجلترا، وبواسطة التاجر المغربي محمد الدكالي. واستمر الاعتماد على مختلف الدول الأوروبية لتزويد الجيش المغربي بالسلاح والدخيرة رغم إنشاء دار السلاح بمراكش. كما دشن محمد بن عبد الرحمان بتوجيهه لشبان المغاربة إلى جبل طارق فكرة توجيه البعثات الطلابية إلى الخارج، هذه العملية التي شكلت أبرز اهتمامات المولى الحسن الإصلاحية.

ولم تكن إمكانيات المخزن المالية جيدة بالشكل الذي كان من الممكن معه تحقيق الإصلاحات العسكرية على النحو المطلوب. وزاد استفحال مشكل الحمايات من تقليل المداخيل الجبائية، فحاول السلطان محمد بن عبد الرحمان إعادة النظر في امتيازات المحمين والمخالطين، معتمدا في ذلك على مساندة أنجلترا، واعترفت تسوية بكلار Beclard بتاريخ 19 غشت 1863، نظريا بمساهمة المخالطين في أداء ضريبة مطابقة لحصتهم من المحاصيل والماشية. لكن صعوبة تحديد الحصة الفعلية للمخالطين وتحول العديد من الفلاحين إلى مخالطين جدد، ضاعف من خسائر المخزن. وفشلت سفارة الزبدي في 1876 إلى أوروبا في حل مشكلة الحمايات، ولم تكن الدول المشاركة في مؤتمر مدريد (1880)، على استعداد لتقديم أي تنازلات قد يكون من شأنها حرمانهم من تعزيز وسائل التغلغل في البلاد المغربية. ولما وافقوا على مبدإ تعميم الضريبة الفلاحية على الأجانب والمحميين، اشترطوا أن يتم أداؤها على يد القناصلة، وحصلوا مقابل موافقتهم تلك التي كانت نظرية فقط، على شيء ملموس وخطير هو حرية امتلاكهم للعقارات. وساهم الأجانب والقناصلة في تحريض المحميين والمخالطين على عرقلة ما سمي "بترتيب" 1881 وإفشاله. وكان هذا "الترتيب" من المحاولات الإصلاحية في ميدان الجباية. وأمام تأزم الأحوال المالية من جديد قام الأمين محمد التازي ومحمد الجباص في 1884 بتهيئ مشروع إصلاح جبائي انطلاقا من المبادئ المعترف بها من لدن الدول العظمى في سنوات 1863 و 1880 و 1881 فسمي بالترتيب الحسني، الذي كانت من بين خصوصياته استثناء الأجانب من أداء الضرائب ومطالبة المحميين وبقية المغاربة بها، وكذا العودة إلى الضرائب الشرعية التي أصبحت تفرض على أساس الإنتاج الفعلي للفلاح وليس حسب حاجيات المخزن. وكان الترتيب الحسني، في الوقت نفسه، إصلاحا إداريا وجبائيا. حيث قلل من انفراد العمال والقواد ومن استئثارهم بعملية تحصيل الضرائب، فأصبحوا يقتسمون تلك المهام مع الأمناء والعدول. ومع ذلك اعتبرت الهيئات الدبلوماسية أن ذلك الإصلاح يمس مباشرة بامتيازات المحميين والمخالطين، رغم اكتفاء المخزن بفرض الزكاة والأعشار عليهم، وإعفائهم من السخرة والخدمة العسكرية. وتدخل القناصلة باستمرار أثناء عملية الخرص وإحصاء ممتلكات المحميين، وحرضوهم على عرقلة أعمال الأمناء ورفض أداء أي ضرائب، هذا في الوقت الذي كانت

مساهمتهم، بحكم عددهم المتزايد في البوادي، ضرورية لإنجاح الإصلاح الجبائي. وشكل اعتراض بعض الزوايا على سحب المخزن لامتيازاتها القديمة عرقلة إضافية أمام الترتيب الحسني، فلم يجد السلطان بدا من التخلي عن مشروعه الإصلاحي ابتداء من 1887.

وبالرغم من العراقيل المالية التي كان المخزن الحسني ملزما بمواجهتها، فقد نالت الإصلاحات العسكرية اهتماما واضحا من طرف المولى الحسن الذي ورث عن والده مشروعية متابعة نفس النهج دونما أي عناء. وتأكد من أهمية الجيش النظامي مباشرة عند توليته، حين نجحت المدفعية في القضاء بسرعة على تمرد أهل فاس، فعمل على الرفع من عدد المنخرطين، ومن مستوى تكوينهم وتدريبهم وتزويدهم بالأسلحة المتطورة. وتم الاعتماد على خبرة الأجانب لتدريب عناصر الجيش النظامي أمثال الأنجليزي ماكلين Mac Lean، والفرنسي اركمان Erckman. وتأسست في 1888 تحت إشراف الإيطالي بريجولي Bregoli "ماكينة" بفاس ولو أن عملية الإنتاج لم تبدأ فيها إلا في سنة 1893، واكتفت بصنع 340 بندقية إلى حدود 1903. وبالإضافة إلى الشكوك التي كانت تحيط بجودة المصنوعات، فإن المقادير المصنوعة كانت بعيدة عن الوفاء بحاجيات المخزن وارتفع عدد المدافع التي جلبت من أوروبا إلى أزيد من مائة قطعة، وتم تجديد حصون المدفعية على السواحل وخاصة بالنسبة للرباط التي جهزت بمدفعين من حجم 260 ملم صنف كروب Krupp، وطنجة التي زودت بمدافع من حجم 18 طنا صنف ارمسترونغ Armstrong. وفيما بين 1873 و 1878. تلقى حوالي 500 مغربي تداريبهم العسكرية في جبل طارق. وفيما بين 1874 و 1875 توجه خمسة عشر طالبا في أول بعثة طلابية مغربية إلى أوروبا، حيث قاموا بدراسات وافية في شاتهام Chatham أنجلترا (1876 ـ 1879) وبمونبليي Montpellier في فرنسا (1885 ـ 1888)، وبالأكاديمية العسكرية في تورينو Torino بإيطاليا(1879 ـ 1898). ونذكر من بين الأسماء المشهورة محمد الجباص، والزبير سكيرج، وإدريس بن عبد الوهاب، والحسين الزعري السلاوي، والطاهر بن الحاج الأوديي وغيرهم كثير. إلا أن الهدف المنشود من تكوين هذه العناصر لم يتحقق إلا بصفة جزئية نظرا لطبيعة التكوين المتعدد الاتجاهات الذي حصل عليه الطلبة المغاربة، والذي كان من المتعذر إقحام نتائجه في إطار برنامج تطبيقي متكامل ومستجيب للحاجيات المغربية. ولم يتمكن المولى عبد العزيز (1894 ـ 1907) بالرغم من محاولاته ونياته الحسنة لا من تطوير جشيه ولا حتى من الحفاظ على ما بناه المولى الحسن طوال فترة حكمه.

ونظرا للعلاقة بين الفلاحة وتجارة تصدير الحبوب والصوف والماشية فإن أنجلترا قد أثارت انتباه المخزن إلى ضرورة النهوض بالميدان الفلاحي، ورغبت في خلق اهتمامات جديدة لدى الفلاح المغربي بالمزروعات الصناعية كالقطن والحرير وقصب السكر. فأبدى مولاي عبد الرحمان استعداده للقيام بتجارب لزراعة القطن في أراضيه، ووزع محمد بن عبد الرحمان من بعده بذورا على الفلاحين لتشجيعهم على زراعته، كما جلبت الات لتنظفيه. لكن رفض المخزن لمحاولات الأوربيين التي كانت تهدف إلى امتلاك الأراضي الواسعة قصد زراعته على مستوى واسع، قد حال دون تطوير زراعته. في حين شهدت زراعة قصب السكر تطورا نسبيا.

أصبحت التجارة الخارجية بعد 1856، المصدر الأساسي لمداخيل المخزن، وكانت التجارة هي المحرك الأساسي، إلى جانب الاهتمامات الاستراتيجية والسياسية، لاهتمام الدول الأوروبية بالمغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وإذا كان البند الخامس من اتفاقية 1856 يعطي للمخزن حق إصدار المنع على تصدير بعض المواد الأساسية كالحبوب والصوف، فإن التجار الأجانب قد رأوا في ذلك عرقلة للسير العادي لمصالحهم التجارية. فدأبت أنجلترا على توجيه دعواتها باستمرار إلى المخزن لتحرير وسق الحبوب والصوف، وجعل جون دريموندهاي سلامة المغرب رهينة بذلك فخاطب المخزن بقوله :"[...] إذا كنتم مريدين الخير لهذه الإيالة قبل هلاكها، هو التسريح في الحين لوسق الزرع والحبوب والصوف [...]". إلا أن محمد بن عبد الرحمان ظل متمسكا بحرية تصرفه في موضوع الموسوقات، ولم يكن يسمح بتصدير المنتاجات الأساسية إلا في الوقت الذي كانت تسمح فيه ظروف البلد بذلك. ورغم العواقب الوخيمة المترتبة عن تزايد حجم المبادلات المغربية الأوروبية، كتفاقم مشكل الحمايات وانهيار قيمة العملة المغربية والخلافات اليومية بين القناصلة وموظفي المخزن، وبين التجار الأجانب والرعايا المغاربة، بالرغم من كل ذلك اقترحت أنجلترا في 1879 على المولى الحسن تبني المزيد من الإجراءآت الليبرالية لفتح السوق المغربية على مصراعيها على مستوى التصدير والاستيراد، مع تخفيض إضافي للتعرفة الجمركية إلى 5 ٪ من قيمة البضاعة. وعند زيارة جون دريموندهاي لفاس في 1879 أكد للسلطان مدى أهمية تحسين علاقاته التجارية مع الدول الأوروبية، وحذره من المشاكل العديدة التي يمكن أن يثيرها فرض المخزن لإجراءات غير ليبرالية على المعاملات الاقتصادية، وتحولت تلك المقترحات في 1881 إلى مشروع لتجديد اتفاقية 1856، حين حرر هاي مسودة للاتفاقية المقترحة، وألح لدى النائب السلطاني محمد بركاش على أنه، من الأهمية بمكان "[...] عدم عرض المقترحات التي قُدِّمت من أجل تطوير الفلاحة والمبادلات التجارية على أنظار العلماء [...]"، بدعوى أنهم "[...] لا يتوفرون على أي تجربة أو معرفة بشؤون التجارة [...]" لكن المخزن رفض تهميش العلماء وأفضت استشارته لهم إلى اعتراضات صارمة، تعكس إلى حد بعيد مدى التطور الذي حصل في

تعامل المخزن مع المشاكل المستعصية التي نتجت عن التغلغل الأجنبي فأعلن رفضه لتخفيض الرسوم الجمركية إلى أقل مما كانت عليه، وتسريح صادرات الحبوب بصفة مستمرة، وإلغاء احتكار المخزن لجلب الأسلحة والبارود ومادة الكبريت، ورفض كذلك تصدير الماشية والدواب لحاجة الرعية إليها. وبذلك فشلت أنجلترا في إملاء برنامجها الإصلاحي على انفراد.

وفي أعقاب الأزمة التي احتدت بين المغرب وفرنسا، نتيجة لحماية هذه الأخيرة للشريف الوزاني سنة 1884، اقترح جون دريموندهاي على وزارة الخارجية البريطانية بذل جهودها لتحقيق إجماع الدول الأوروبية على الدفع بالمخزن إلى القيام "بالإصلاحات" فقال :"[...] أليس من اللازم على هذه الدول التي يدين لها السلطان باستقلال بلاده، أن تطالبه بلهجة ودية لا تخلو من الصرامة، وتلح على جلالته ليقوم بإصلاح للإدارة [...] وتحسين أحوال التجارة [..]" وأدت تلك الضغوط الجماعية إلى موافقة المخزن على الدخول في مفاوضات مع ممثلي أنجلترا وفرنسا وألمانيا في طنجة. وأمام تكتلهم وانفراد المخزن تم تبني المقترحات الإصلاحية الأوربية التي لم تكن في عمقها سوى ترجمة لما سبقت أنجلترا أن اقترحته على انفراد ورفضه المخزن. ومرة أخرى عرض السلطان مقترحات الأوروبيين الإصلاحية على أنظار العلماء والأمناء والعارفين بشؤون التجارة في كل من فاس وسلا، فمالت أجوبتهم على اختلاف تفاصيلها، إلى رفض كلي، فوجه المخزن إلى ممثلي تلك الدول جوابا يعبر عن موقف المغاربة بالعبارات التالية :"[...] إن الداعي لما أشرتم به [...] من الإصلاحات التجارية، هو السعي في الخير لهذه الإيالة [...] وأن تلك الإصلاحات ظهر لكم الخير فيها بالنسبة لإيالتكم. وكل من استشير من أهل هذه الإيالة في ذلك لا يستحسنه ويجيب عنه بأن فيه الضرر لإيالتهم [...]". ومما لا شك فيه أن ذلك الرفض قد ساهم بشكل من الأشكال في إذكاء مناورات الدول الأوروبية لإفشال الإصلاح الجبائي المعروف بالترتيب الحسني حيث تخلى عنه المخزن في نفس الظروف أي 1887.

وتعقدت المشاكل المالية للمخزن، فتأثرت الحركة الاقتصادية بمشاكل السكة وانهيار قيمة الصرف. وفشلت كل الإصلاحات النقدية بدون استثناء. سواء منها محاولة 1852 التي تمت بهدف تحديد صرف العملات المغربية والأجنبية، أو محاولة 1862 التي حددت سعرين رسميين للريال، أحدهما سعر البلد ب 32،5 أوقية، والثاني سعر المرسى بـ 19 أوقية للحفاظ على مداخيل جمركية عالية. أما ظهير 22 يناير 1869 فقد كان أكثر طموحا ونص على العودة إلى الدرهم الشرعي. إلا أن سعر الريال استمر في الانهيار وبلغ 50 أوقية في 1873. وفشل المولى الحسن في إصلاح 1877 الذي نص على رد صرف الريال إلى سعره الرسمي أي 32،5 أوقية، بسبب اعتراض التجار المغاربة والأجانب على السواء. فوصل سعر الريال إلى 90 أوقية، وكان من الطبيعي أن تستفحل أمور السكة في عهد المولى عبد العزيز رغم استمرار عمليات الضرب في أوروبا، وذلك نتيجة لتشديد الخناق على الاقتصاد المغربي على عدة مستويات.

وتمت العودة من طرف المخزن العزيزي إلى ترتيب 1884 على أمل ضمان مداخيل مالية لمواجهة الإصلاحات التي لم يتوقف الأنجليز عن الدعوة إليها بواسطة ماكلين Mac lean. وتم إدخال الأجانب الذين استثناهم ترتيب 1884، في الترتيب العزيزي لسنة 1901. فاتجه المهدي المنبهي إلى لندن وبرلين للحصول على مساندة الحكومتين للترتيب المرتقب. ورغم الموافقة المبدئية لأنجلترا وألمانيا على ذلك الإصلاح الجبائي، فإن المفاوض المغربي بناصر غنام وجد نفسه منعزلا خلال المفاوضات بطنجة. وانتهت تسوية 1902 بالاعتراف بضرورة تساوي الأجانب والمحميين أمام الضرائب الواجب أداؤها على الأشجار المثمرة وأراضي الحرث والدواب. وحددت نسبة الترتيب الواجب أداؤه بالعملتين العزيزية والإسبانية، وكذا تفاصيل إجراءات الأداء التي ألحت على ضرورة الاعتماد على مساعدة القناصلة في تحديد الواجبات الجبائية المفروضة على الأجانب والمحميين، إلا أن دسائس الهيئات القنصلية وتعنت المحميين والأجانب وحرص الزوايا على امتيازاتها وخاصة شرفاء وزان، دفعت جميعها بمولاي عبد العزيز في نهاية الأمر إلى التخلي عن مشروعه والعودة من جديد إلى مطالبة القواد بالضرائب دفعة واحدة وحسب حاجيات المخزن. فكان "الترتيب" العزيزي من بين الأسباب التي دفعت بالكثيرين من الرعية إلى البحث عن مزيد من الحمايات ما بين 1901 و1903، والزيادة في متاعب المخزن الداخلية والمالية، وبعد الاتفاق الودي بين فرنسا وأنجلترا في أبريل 1904، انتقلت الدعوات الإصلاحية التي لم تتوقف أنجلترا عن تقديمها إلى المخزن طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، إلى الفرنسيين، حيث ترتب عن تخلي أنجلترا كحليف تقليدي للمغرب اعتراف أنجليزي لفرنسا بإمكانية تقديم مساعداتها للمغرب للقيام "بإصلاحات" في الإدارة والاقتصاد والجيش. وفي هذا الإطار تدخل سفارة سان روني طايانديي Sain-René Taillandier إلى فاس سنة 1905 لتقديم مشروع إصلاحي فرنسي إلى مولاي عبد العزيز. إلا أن هذا الأخير ألح عند استقباله للسفير الفرنسي في 11 فبراير 1905 على ضرورة عرض مقترحاته أمام أنظار مجلس الأعيان، والذي سبق أن اجتمع المولى عبد العزيز مع أعضائه الأربعين في 20 دجنبر 1904 قبل وصول طايانديي إلى فاس، فاستشارهم قبل اتخاذ أي قرارات مصيرية، وافق السفير الفرنسي على الاجتماع بمجلس الأعيان ولو بنوع من الامتعاض، فاتضح أن المشروع الإصلاحي الفرنسي قد تضمن إصلاحات عسكرية لتنظيم جيش منظم لحماية الأمن، وإصلاحا اقتصاديا ركز على الاهتمام بأحوال المراسي وتجهيزاتها المتنوعة، وإصلاحا

لإدارتها، ووضع جهاز الشرطة، وإصلاحا ماليا نص على إيقاف ضرب النقود وإنشاء بنك لضبط صرف السكة على أساس العملة الفرنسية أو الأنجليزية، ومنح امتياز إحداث بنك المغرب إلى بنك باريس والبلاد الواطئة، وإحداث ضرائب على البنايات إلخ. وبعد مناقشات طويلة بين السفير الفرنسي ومجلس الأعيان، أعلن في 28 ماي 1905 عن رفض المغرب لأي إصلاحات من النوع الذي تقدمت به فرنسا لما كانت تنطوي عليه من مس بالسيادة، ولأنها كانت في حقيقيتها بمثابة تطبيق لحماية فرنسية على البلاد. وكانت ألمانيا من وراء دفع المخزن العزيزي إلى المطالبة بعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 الذي انتهى تحت غطاء إدخال "الإصلاحات" إلى جعل المغرب تحت الوصاية الدولية.

وبهذا تكون الدعوات التي وجهتها الدول الأوروبية إلى المغرب بصفة منفردة أو جماعية قد فشلت هي الأخرى في إحداث إصلاحات حقيقية في كل المجالات التي حاولت إصلاحها. وإن كانت في عمقها لا تهدف إلا لخدمة المصالح الاستعمارية بالدرجة الأولي. فإذا استثنيا الإصلاحات العسكرية التي كلفت مالية البلاد مصاريف باهظة، ومكنت المخزن الحسني على الأقل من تقوية سلطته داخليا فإن ما عرفته المجالات الأخرى قد ظل سطحيا وناقصا. والأهم من ذلك هو أن الدول الأوروبية التي وجهت دعواتها الإصلاحية إلى المخزن، لم تحاول قط إرشاده إلى السبيل القويم لإحداث الإصلاح الحقيقي، وقد فطن إلى ذلك محمد المشرفي حين رد على الدعوات الإصلاحية الأنجليزية للمغرب فقال :"[...] ولو أرادت (أنجلترا) النصيحة الحقيقية دون دسيسة لأشارت عليها بإدخال العلوم الرياضية لوطنها، وبناء المدارس لقراءتها وتدريسها والاجتهاد في تحصيلها وبثها في المدن والقرى، حتى يتأدب الجاهل ويستأنس المتوحش، فتكتسب الدولة حينئذ رجالا يدفعون عنها بما علموه من العلوم [...]". وهذا ما لم تشر إليه أي من الدول الأوروبية في تقديمها لدعواتها "الإصلاحية". ووصل المشرفي إلى اقتناع أكد من خلاله أنه "[...] من اتكل على غيره في القيام بأمره خاب أمله وضل عن طريق الصواب [...]".

ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. المشرفي، *الحلل البهية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج 9 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب الحديث* ؛ ن. التوزاني، *الأمناء بالمغرب* ؛ *ندوة الإصلاح المغربي في القرن 19*، كلية الآداب - الرباط ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*.

British Documents in The Public Record Office, London ; Brooks, L. A. E., *Memoir of sir John Drumond Hay*, London, 1896 ; E. Aubin, Le Maroc d'Aujourd'hui, Paris, 1904 ' Taillandier, R. S., *Les Origines du Maroc Français : Récit d'une mission 1901 - 1906*, Paris, 1930 ; F. Weisgerber, *Au seuil du Maroc moderne*, Casablanca, 1948 ; L. Arnaud, *Au temps des mehallas*, Casablanca, 1952 ; J. Caille, *Queiques renseignements sur le Capitaine Erckman*, in Hesp., vol XI - I. 1954 ; J. L. Miege, *Le Maroc et L'Europe*, 4 vol. Paris. 1961 - 1963 ; P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc de 1870 à 1905*, Paris, 1967 ; Burke III Edmund, *Prelude to Protectorate in Morocco : Precolonial Protest and Res*[illegible] - 1912, Chicago, 1976; A. Laroui, *Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830 - 1912)*, Paris, 1977 ; G. Ayache, *Etudes d'histoires marocaine*, Rabat, 1979 ; M. Kenbib, *Les protections étrangères au Maroc, 19e début 20e siècle*, Paris, 1980, (thèse inédite) ; W. J. Rollman, *The "New Order" in a Precolonial Muslim Society : Military Reform in Morocco (1844 - 1904)*, 2 Vol., University of Michigan, 1983, (thése inédite) ; Encyclopédie de l'Islam, T. IV, Articles *Imtiyazat et Islah*.

خالد بن الصغير

الأصُور، ضد إعصار، يمثل إحدى الحلقات التي يتشكل منها شريط الضغط المرتفع شبه المداري المحيط بالكرة الأرضية في الشطر الشمالي. يحمل اسم جزر الأصور البرتغالية التي تقع شرق المحيط الأطلنتيكي في عرض شبه الجزيرة الإيبيرية، نظراً لتمركزه شبه الدائم فوقها.

تعتبر هذه العالية مركزاً من مراكز الضغط الأساسية الدائمة "إحصائيا" في المكان والزمن. مجالها، نطاقيا، هو المحيط الأطلنتيكي بين عرض 30 وعرض 35 شمالا، أي بالتقريب بين جزر الأصور والجزر الخالدات. شكلها عموماً أهيليلجي، طول محورها الكبير ما بين 2500 و 4000 كلم، مائل بالنسبة لخطوط العرض واتجاهه من شرق - الشمال الشرقي إلى غرب - الجنوب الغربي، يرجع استقرارها شبه الدائم في نفس المجال إلى كون نشأتها دينامية أصلاً، أي مرتبطة بالحركات الهوائية الناتجة عن دوران الأرض حول نفسها، والاختلاف الحراري الحاصل بين جو العروض العليا وجو العروض البيمدارية. ولذلك فإنها لا تتلاشى نهائيا في أي فصل من فصول السنة كما هو الشأن بالنسبة لمراكز الضغط ذات النشأة الحرارية.

وفعلا، فإن تكدس الهواء في هذه العروض يرجع إلى كونها منطقة التقاء الكتل الهوائية المدارية الحارة المتحركة نحو الشمال بالكتل الهوائية القطبية الباردة المتجهة نحو خط الاستواء، وكذلك لكونها مسلكا للتيار السريع الغربي شبه المداري الذي يهب في الأجواء العليا لهذه العروض.

تهدل الهواء القطبي البارد القادم من الشمال والهواء المداري الدافئ القادم من الجنوب في هذا الموقع يجعل هذه العالية تدعم باستمرار طوال السنة ليبقى فيها الضغط مرتفعا (ما بين 1015 و 1025 ميليبار في المتوسط) بالرغم من انسياب الهواء من القاعدة ومغادرته إياها في شكل حلقة تدور مثل عقارب الساعة، ليعطي، شمالا، الرياح العكسية (رياح غربية) وجنوبا الرياح التجارية (رياح شرقية) وما يتفرع عنها من رياح محلية.

بالإضافة إلى العامل الدينامي المذكور، هناك أيضا عاملان حراريان يزيدان من تعميق الضغط في هذه الحجيرة، وهما تيار الكنرياس البارد الذي يطعمها من القاعدة بالهواء البارد من الناحية الجنوبية، ثم "قطرات" الهواء البارد القطبي التي تصل إليها من الناحية الشمالية.

من المعلوم أن شريطي الضغط المرتفع شبه المداري جنوبا وشمالا يعرفان تحركا فصليا تبعا لحركة الشمس الظاهرية، أي أن كلا منهما يبتعد عن العروض الاستوائية في فصل

الصيف بينما تقترب منها عاليات الشطر الآخر أي الشطر الشتوي. ولهذا فإننا نجد أن ضد إعصار الأصور يبلغ أقصى وضعياته شمالا في شهر غشت وأدناها في شهر فبراير. أما نطاقيا فإن المركز ينتقل ما بين جزر الأصور وجزر الأنتي في الكرايبي ويلاحظ أحيانا انشطار هذه العالية إلى خليتين في فصل الشتاء، إحداهما تتمركز فوق جزر الأصور والثانية فوق جزر البرمود. كما يقع كذلك أن تتوغل هذه العالية داخل القارة الأوروبية وأفريقيا الشمالية والبحر المتوسط، لكن هذه الوضعية لا تعمر طويلا نظرا للاختلاف القائم بين حرارة سطح القارة والمحيط.

علاقة ضد إعصار الأصور بمناخ المغرب : تتميز المناطق شبه المدارية عامة بجفافها، إذ أن أهم الصحاري العالمية توجد في هذه العروض. مرد ذلك إلى كون مناطق الضغوط المرتفعة تتميز باستقرار الجو وصفاء السماء في غالب الأحيان، مع مدى حراري مرتفع. قد تتدخل بعض العوامل المحلية كالتضاريس والتوجه والقرب من البحر للتقليص من أهمية هذه الظاهرة، لكن بصفة عامة يبقى الجفاف هو السائد.

ووجود مرتفع الأصور في عرض السواحل المغربية من جهته الشمالية الغربية، جعله يتحكم في مناخ البلاد بصفة مباشرة وغير مباشرة، لذلك فإنه يمكن ربط التقلبات الجوية، وأنواع الطقوس التي يعرفها المغرب بوضعية هذا المرتفع ومدى قوته حسب فصول السنة.

في فصل الصيف : يعرف ضد إعصار الأصور أقصى وضعية شمالية له، ويتحول مركزه نحو الشمال أو الشمال الغربي، الشيء الذي يجعله يصد من بعيد الإعصارات الغربية ويمنعها من الوصول إلى شرق المحيط في العروض شبه المدارية. وبما أنها هي المسؤولة عن التهاطلات فإن الفصل يبقى جافا (شكل 1).

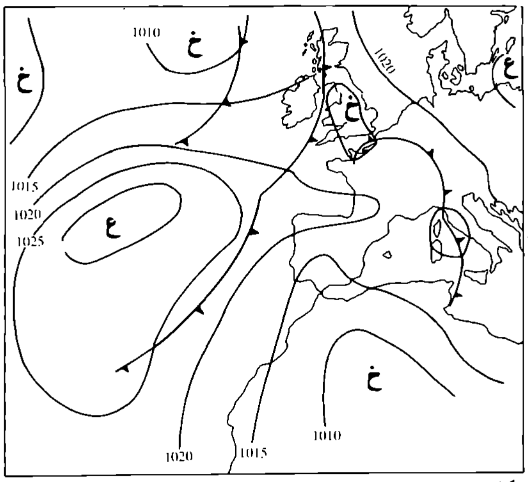

شكل 1 ـ توزيع الضغط الجوي عند سطح البحر بالميليبار ليوم 5 يوليوز 1985.
ـ مركز ضد إعصار الأصور في عروض متقدمة شمال جزر الأصور، مانعا الأعاصير الغربية من الوصول الى شبه الجزيرة الإيبيرية وإفريقيا الشمالية.
ـ المنخفضة الصحراوية تقترب من السفوح الجنوبية لسلسلة جبال الأطلس.

(عن النشرة اليومية للمعلومات الرصدية)

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ابتعاد هذا المرتفع داخل المحيط يفسح المجال أمام المنخفضات الجوية السطحية الصحراوية لتقترب من السفوح الجنوبية الشرقية لسلسة جبال الأطلس. وفي هذه الحالة تتوالى على المغرب طقوس مختلفة : إما سيادة مؤثرات المنخفضة الصحراوية، فترتفع درجات الحرارة تناقصا من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، مع هبوب الرياح الشرقية والجنوبية الشرقية الجافة، وإما يهب على البلاد هواء قطبي ملطف مستغلا الضعف النسبي للضغط في الهوامش الشرقية لعالية الأصور. عند ذلك تكون الحرارة معتدلة وتظهر بعض السحب العالية وتسود الغيوم الصباحية على الشواطئ.

في فصل الخريف : يبدأ التراجع العام والتدريجي للضغوط شبه المدارية نحو الاستواء بصفة عامة، لكن عالية الأصور تحتفظ بقوتها ولا تسمح إلا بمرور بعض الدفعات من الهواء البارد القطبي عبر الممر الذي يفصلها عن الضغط المرتفع الذي يغطي في الأجواء العليا الصحراوية، الشيء الذي ينتج عنه نشأة بعض الأعاصير محليا وتنشيط جبهة الأليزي التي تعطي أمطارا عاصفية محدودة كماً ومجالا. وفي المقابل، فإن المنخفضة الصحراوية تتراجع إلى الجنوب الشرقي ويقل تأثيرها على المغرب

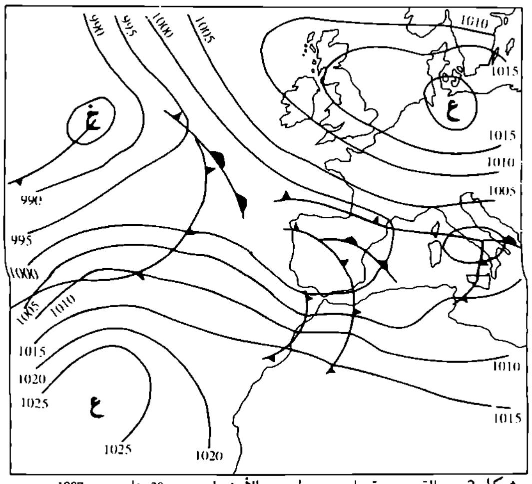

شكل 2 ـ حالة جوية على سطح الأرض ليوم 30 يناير 1987.
انسحاب ضد إعصار الأصور نحو الجنوب يسمح للأعاصير الغربية بالمرور فوق بلدان غرب البحر الأبيض المتوسط .
(النشرة اليومية للمعلومات الرصدية)

في فصل الشتاء يتحرك شريط الضغوط المرتفعة شبه المدارية نحو خط الاستواء، ويتحول مركز ضد إعصار الأصور إلى جنوب الجزر التي يحمل اسمها، فيصبح الطريق مفتوحا أمام سلسلة الاضطرابات الغربية لتصل إلى عروض المغرب، وتعطي أهم تهاطلات السنة (شكل 2). اما إذا تلقى هذا المرتفع مزيدا من الهواء القطبي الكثيف فإنه يقوى من جهته الشمالية الشرقية وتنشأ دورة ضغطية بينه وبين المرتفع الصحراوي والمرتفع الوسط. الأوروبي الفصليين

لتكون ممرا هائلا يندفع عبره الهواء القطبي البارد نحو البلاد. وبالتالي يسجل انخفاضا مهما في الحرارة، لكن مع سماء صافية في غالب الأحيان خصوصا إذا كانت الرياح الشمالية الشرقية هي السائدة. وهذا النوع من الطقوس هو الذي يعطي الأيام الصقيعية في السهول الغربية الداخلية، ويتواتر أقل في السهول الساحلية.

في فصل الربيع : مع أواخر فصل الشتاء يبدأ من جديد تحرك حجيرات الضغط المرتفع شبه المداري نحو الشمال، فتتقلص فرص وصول الأعاصير الغربية إلى المغرب، إذ تضطر إلى تجنب العالية من ناحيتها الشمالية، فلا تهم سوى أوروبا، ومن حين لآخر تمر مؤخرتها على الشمال الغربي من البلاد ولا تعطي إلا أمطارا ضعيفة.

وفي المقابل فإن جبهة الأليزي تعرف نشاطا أهم في وسط البلاد، وتتكون من حين لآخر أعاصير محلية تعطي تساقطات إما جبهية، لكن محدودة مجاليا، وإما على شكل عواصف رعدية كما هو الشأن بالنسبة لفصل الخريف.

خلاصة : يظهر أن لوجود ضد إعصار الأصور على الواجهة الشمالية الغربية للمغرب تأثيرا كبيرا على مناخه. فلكل أنواع الطقس التي تهم البلاد ارتباط بوضعيات هذا المرتفع مهما اختلفت. فابتعاده نحو الجنوب يواكبه طقس ممطر، واقترابه من الساحل يعطي طقسا معتدلا، أما ابتعاده نحو الشمال، والشمال الغربي فيفسح المجال أمام المؤثرات الصحراوية.

ويتوسط هذه الحالات الرئيسية عدد كبير من أنواع الطقس التي يمكن دائما ربطها بوضعية ضد إعصار الأصور.

ع. العوينة، *المظاهر المناخية للقحولة، الجفاف في المغرب والبلدان المجاورة للصحراء*، مجلة *جغرافية المغرب*، ع. 6 السلسلة الجديدة 1982. ص 11 ـ 34.

P. Pedelaborde, (1957) : *Le Climat du Bassin Parisien*, Ed. Génin-Paris ; A. Bellichi, (1983) , *Les Climats thermiques du Maroc Nord Occidental*. Thèse de 3cycle. Univ. d'Aix-Marseille II ; C. Calvet et Y. Legoff, (1977) *Régimes pluviométriques au Maroc. Notes d'Information Technique* N° 6. Service de la Météorologie Nationale.

أحمد لقمهري

أصوفي، أسرة تطوانية نجهل أصلها، وقد انقرضت، ويبدو أنها كانت غنية بدليل أن هناك قوساً يحمل اسمها، ويقع بالقرب من الدار المنسوبة إلى نفس الأسرة. وتوجد الدار والقوس بزنقة النيارين، والحالة هذه أن الأقواس الأخرى الموجودة بتطوان تحمل اسم الشارع الذي توجد فيه.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A); M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* . 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأصول بالمغرب. ويعبر عنها أيضا بالأصلَيْن لأنهما في الواقع علمان متميزان، أصول الدين أو "الكلام" وهو علم يبحث في الألوهية والنبوّة وسائر العقائد الدينية وطرق إثباتها بإيراد الحجج عليها ودحض الشبه عنها، وأصول الفقه الذي يبحث في أدلة الفقه الإجمالية وكيفية الاستفادة منها. وإذا كان المغرب قد أخذ المذهب المالكي ـ كسائر أقطار الغرب الإسلامي ـ من تلاميذ مالك المباشرين وتلاميذهم كمذهب فقهي وكعقيدة سنية تنبذ الرأي والتأويل في الأحكام الفقهية والمسائل الاعتقادية، فإنه مع ذلك لم يكد يتبلور علم أصول الدين أو علم الكلام بعد انفصال الأشعري عن المعتزلة وعودته إلى صفوف أهل السنة أواخر القرن الهجري الثالث حتى اعتنقه المغاربة، وأصحبوا يتدارسونه كعلم مستقل بذاته "يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعه المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف أهل السنّة والجماعة (*المقدمة*، 821). وقد أخذ المتكلمون المغاربة الأول عن أشهر شخصيات المدرسة الأشعرية، كأبي ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي (تـ 357 / 967)، الذي رحل إلى الشرق وأخذ عن تلاميذ الأشعري ؛ وعن دراس بن إسماعيل أخذ ابن أبي زيد القيرواني مؤلف *الرسالة* ومقدمتها في أصول الدين، وهي من أقدم الكتب التعليمية التي وقع الإقبال عليها بالمغرب. وكأبي عمران الفاسي (تـ 430 / 38 ـ 1039) الذي تتلمذ للقاضي أبي بكر الباقلاني (تـ 403 / 12 ـ 1013) في بغداد، وكان محط تنويه الشيخ وإعجابه. وكأبي القاسم عبد الرحمان بن محمد المعافري شيخ القاضي عياض والأصوليين في سبتة (تـ 502 / 8 ـ 1109) ومحمد المهدي ابن تومرت (تـ 524 / 1129) تلميذ أبي حامد الغزالي (تـ 505 / 1111) الذي شنها حربا شعواء على المرابطين الذين كانوا مازالوا متشبثين بظاهر النصوص معرضين عن العقل والتأويل، ورماهم بالميل إلى التجسيد، بل اتخذ من ذلك تعلة للإطاحة بدولة المرابطين وإقامة دولة جديدة على أصول الدين سماها دولة الموحدين. وألف المهدي عدة عقائد على مذهب الأشعري أهمها *أعز ما يطلب*. وهو عبارة عن مجموعة من كتب العقائد المختلفة الأحجام ألفها ابن تومرت لأصحابه وغيرهم من عامة الناس، مثل *المرشدة*، و*العقيدة الكبرى* التي استعمل فيها الاستدلالات العقلية، *ورسالة في توحيد الباري*، *ورسالة في أن التوحيد هو أساس الدين*، وكتاب في *التوحيد* باللسان البربري في سبعة أحزاب، وكتاب *القواعد* الخ.. لأنه كان يلزم أصحابه بدراسة أصول الدين إلزاماً "وكان الموحدون على العموم يعتبرون من لم يعرف العقائد على سبيل التفصيل وعلى طريقة الأشعري بالأخص يعتبرونه كافرا ليس معه من الإسلام إلا الاسم" (*النبوغ*، 1 : 121). وتجذرت الأشعرية أكثر في المغرب وبصفة نهائية على يد عثمان السلالجي آتي الترجمة دارس كتاب *الإرشاد في علم الاعتقاد* لإمام

الحرمين أبي المعالي الجويني (تـ 478 / 85 ـ 1086) ومؤلف *البرهانية*. وظل المغاربة منذ القرن السادس وإلى أيامنا هذه يؤلفون من الكتب المطولة والمختصرة في أصول الدين ما لا يكاد يحصى عدداً.

أما أصول الفقه فالشائع في تاريخ العلوم الإسلامية أنه من وضع الإمام محد بن إدريس الشافعي صاحب *الرسالة الأصولية*، لكن يبدو أن في ذلك تجاوزا للحقيقة، وأن الإمام مالك بن أنس سبق تلميذه الشافعي في وضع أسس علم الأصول ولو أنه لم يؤلف فيه كتابا خاصاً. وممن تنزل لهذه المسألة بكثير من البسط والتحليل فقيهان مغربيان نابهان هما الإمام عبد الله بن إبراهيم الأصيلي (تـ 392 / 1002) في كتابه *الآثار والدلائل* الذي شرح به *الموطأ* وتتبع أصول خلاف مالك وأبي حنيفة والشافعي ؛ والقاضي أبو بكر ابن العربي الفاسي (تـ 543 / 1148) في *كتابه القبس في شرح موطأ مالك بن أنس*.

وكان لموقف الموحدين المناهض لفقهاء المالكية ومنعهم الاشتغال بفقه الفروع وإحراق كتبه، أثر في الإقبال على أصول الفقه لاستنباط الأحكام الشرعية مباشرة من القرآن والسنة. ولابن تومرت نفسه *رسالة في أصول الفقه* تكلم في مطلعها عن العموم والخصوص والمطلق والمقيد والمجمل والمفسر والناسخ والمنسوخ.. كما ألف ابن رشد الحفيد (تـ 596 / 1199) *بداية المجتهد*. وظهر بفاس ومراكش أصوليان كبيران هما علي بن محمد بن خليل المعروف بابن الإشبيلي (تـ 567 / 1171)، ومحمد بن إبراهيم المهري المعروف بالأصولي آتي الترجمة، صاحب *التقييد على مستصفى الغزالي*.

ودخل إلى المغرب في أوائل القرن الثامن / 14 كتاب *مختصر منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل* أو *المختصر الأصلي* لابن الحاجب على يد الشيخ سليمان اللجائي الفاسي، ثم كتاب *التنقيح* لإدريس القرافي، وجمع *الجوامع* لتاج الدين السبكي، فأغنت هذه الكتب مادة أصول الفقه بالمغرب إلى جانب *ورقات* إمام الحرمين و*موافقات* الشاطبي، وأقبل عليها المغاربة يتدراسونها ويكتبون حولها شروحا وحواشي أو ينظمونها أو يختصرونها بعد أن غلب ذلك النوع من التأليف على كُتاب القرون المتأخرة. ولكثرة اشتغال بعض علماء المغرب بالأصلين اشتهروا بالأصوليين.

ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ جلال الدين المحلي، *شرح جمع الجوامع*، المطبعة الحجرية بفاس ؛ ح. خليفة، *كشف الظنون*، ج 1 ؛ ع. الفاسي، *الأقنوم*، مخطوط ؛ ع. كنون، *النبوغ المغربي*، ج 1 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 4 : 72 ؛ ع. النجار، *المهدي ابن تومرت*، بيروت،. 1983.

الأصولي، عبد الرحمان أبو القاسم الفاسي "كان من أهل الفضل والعلم والفقه شريف النفس صواماً قواماً مع أدب بارع وعقل رزين" (*جذوة*، 393). تدل نسبته على تبريزه في أصول الدين وأصول الفقه، لكن مترجميه لم يعيروا هذا الجانب العلمي اهتماما خاصاً سوى عبارات عامة مبهمة، لأنهم نقلوا ترجمته أساساً عن كتاب *المستفاد* الذي اهتم مؤلفه محمد التميمي بجمع أخبار عُباد فاس وأعمالها دون أن يعبأ بالجانب العلمي، ولو أنه أشار عرضاً إلى قيام عبد الرحمان بتدريس أصول الفقه. وقد أدركه التميمي وهو في حد الصبا، فكان إذا لقيه في الطريق قال له : تذكر يا محمد قول الله تعالى : تلك الجنةُ التي أُورثتموها، فيقول التميمي : بِمَا كُنْتُم تَعْمَلون، فيعقب الأصولي : وأين العمل ؟

كما ذكروا له ـ نقلا عن التميمي أيضا ـ كرامات في حياته وبعد مماته، ولم يتعرضوا لتاريخ وفاته لأنه لم يرد في *المستفاد*. وتقدر وفاة عبد الرحمان الأصولي بأواخر القرن السادس / 12 م.

أ. ابن القاضي، *جذوة*، 393 ـ 394 ؛ م، الكتاني، *سلوة*، 3 : 295.

الأصولي، عثمان بن عبد الله القيسي، يكني أبا عمرو ويدعى السلالجي، نسبة إلى جبل سليلجو (بالقاف المعقودة) بضاحية فاس، كانت لديه أملاك فيه يتردد إليها. وبيت بني السلالجي من بيوتات فاس العريقة الثرية. ولد حوالي عام 521 / 27 ـ 1128، ودرس على كبار علماء فاس أمثال الفقيه المشاور محمد بن عيسى التادلي، وصالح الفقهاء علي بن إسماعيل ابن حرزهم، والقاضي محمد بن الرمانة. وحاول القيام برحلة دراسية للمشرق لكنه رجع من بجاية إلى فاس في قصة طويلة.

كان في بداية أمره يدرس عقيدة *رسالة* ابن زيد القيرواني ـ على عهد الدولة المرابطية ـ وهي عقيدة سنية خالية من البراهين المنطقية إلا إشارات خفيفة كما هو معروف. فلما آل الملك إلى الموحدين وفرضوا العقيدة الأشعرية كان عثمان السلالجي في مقدمة المتحولين إليها، فاستبدل *بالرسالة* كتاب *الإرشاد* في الكلام لإمام الحرمين الجويني، وانتقل إلى مراكش ولازم مجالس إمام الأصوليين بها علي ابن الإشبيلي حتى بلغ درجة المجتهدين والنظار المتقنين، وأصبح يحضر مجالس السلطان عبد المومن بن علي، ويعلّم أبناء بعض الرؤساء من أرباب الدولة.

أدرك السلالجي شفوفا لدى الموحدين وأرادوا ترقيته بإسناد أحد المناصب السامية إليه لكنه أبى ورجع إلى فاس حيث انقطع للتعليم، واختص بتدريس أصول الدين وأصول الفقه، فعم النفع به وعظم إقبال الناس عليه لعلمه وصلاحه، حتى قالوا عنه "إنه منقذ أهل فاس من التجسيم". وما ذلك إلا من أثر الجو العلمي ـ السياسي السائد آنذاك الذي كان ينبز المرابطين وفقهاءهم وعامة الناس بالتجسيد، يعنون به مذهب السلف السني البسيط. وبذلك يعد السلالجي، من الناحية التاريخية، الإمام الذي ركّز عملياً المذهب الأشعري بالمغرب، وحوّل الناس إليه مما كانوا عليه من عقيدة السلف، فاشتهر من أجل ذلك

بالأصولي. ولا يعرف له من التآليف سوى عقيدة أشعرية صغيرة تدعى *البرهانية* ألفها لامرأة أندلسية فاسية صالحة تدعى خيرونة. وقد وُضعت *للبرهانية* عدة شروح، أشهرها شرح *المديوني*، وعرفت انتشاراً واسعا في العدوتين المغرب والأندلس. وقد نص ابن قنفذ القسنطيني على أن للسلالجي كتبا غير *البرهانية* لكنه لم يسمها. وأخذ عن السلالجي عدد من المتكلمين والأصوليين المغاربة والأندلسيين وترك أولاداً اشتهروا بعده كأصوليين وأطباء.

توفي بفاس ليلة الأحد، لثلث الليل، من ليلة واحدة وعشرين من جمادى الأخيرة عام 574 / 4 دجنبر 1178. وهذا هو الصحيح الذي حققه عبد الله گنون اعتماداً على ما ذكره تلاميذ السلالجي. ولا عبرة بالتاريخ المخالف (564) الوارد في *التشوف* الذي نقله كل من ابن القاضي في *الجذوة*، والكتاني في *السلوة*. ودفن خارج باب الجيزيين (باب الفتوح) من عدوة فاس الأندلس مجاوراً لقبر دراس ابن إسماعيل. وقبره مزارة شهيرة للعلماء والصالحين.

المديوني، *شرح البرهانية*، مخطوط ؛ ي. ابن الزيات التادلي، *التشوف*، 198 . 201 ؛ ابن الزبير، *صلة الصلة* ؛ ابن الأبار، *تكملة الصلة* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 266 ؛ أ. ابن قنفد، *شرف الطالب، ألف سنة من الوفيات*، 64 ؛ أ. ابن القاضي، *جذوة*، 458؛ أ. ابن عطية السلوي، *التفكر والاعتبار*، مخطوط ؛ م. ابن عيشون، *الروض العاطر الأنفاس*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 183 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير رجال المغرب*، العدد 11 ؛ *النبوغ*، 1 : 149.

الأصولي، محمد بن إبراهيم المهري - بالميم - وفي بعض المصادر "الفهري" بالفاء. أصله من بجاية ودرس بالأندلس ومصر "وكان متحققا بعلم الكلام متقدماً في معرفة أصول الفقه حتى شهر بالأصولي... وعُني طويلا بمستصفى الغزالي فأصلح مختله، وصحح معتله، وعلّق عليه" (*الذيل والتكملة*). وكان صديقا ملاطفا لابن رشد الحفيد، وامتُحن معه بقرطبة سنة 593 لاشتغالهما بعلوم الأوائل (الفلسفة). وولى القضاء بمسقط رأسه أكثر من مرة ثم ببعض مدن الأندلس قبل أن ينتقل إلى مراكش ويتقلد بها نيابة قضاء الجماعة ويصبح ممن يحضرون مجالس السلطان. وقد اشتغل إلى جانب القضاء بالتدريس والتأليف، وكتب علاوة على *التعليق على مستصفى الغزالي*، *تقييداً في الشرفاء العمرانيين* يشتمل على معلومات مهمة تتعلق بوفيات بعض الأعيان. ولحدة طبعه وصرامته كان يشتد على الولاة ويبالغ في النكير والاعتراض، فكان في ذلك هلاكه ذبيحاً ببجاية أواخر سنة 612 / 1216.

أ. الغبريني، *عنوان الدراية*، طبعة الجزائر، 1910، 121 . 132 ؛ أ. بابا السوداني، *نيل*، 228 ؛ إ. القرافي، *توشيح الديباج* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 4 : 169 . 172 ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 1 : 87.

محمد حجي

أصيلا، - جغرافيا -، مدينة تقع على مقربة من العاصمة الشمالية طنجة، وترتبط بذلك بمجموعة المدن الشمالية التي تعد من أقدم الشبكات الحضرية المغربية. يكتشف المسافر المتجه نحو طنجة، عبر الطريق الرئيسية رقم 2 تجمعا حضريا صغيرا يمتد على طول الساحل الأطلنتي، يلفت النظر بطابعه المعماري الإسلامي والمتوسطي، ودوره البيضاء المتراصة وسط البساتين والجنان. غير أن الزائر لا يلبث أن يلاحظ كذلك أن هذه المدينة الصغيرة قليلة الحركة والنشاط، إلا إذا قدم إليها صيفا حيث تتحول إلى محطة سياحية تضم من السكان ضعف ما تحتويه باقي السنة.

1 - مدينة صغيرة تعاني من ركود اقتصادي واضح باحتضانها ساكنة تقدر حسب إحصاء 1982 بـ 18.781 نسمة. تنتمي مدينة أصيلا إلى مجموعة المدن الصغرى، وقد برزت فئة المدن الصغرى والمتوسطة خلال العقد الأخير، نتيجة التوسع الحضري الذي اكتسح العالم القروي. غير أن مدينة أصيلا سابقة لهذه الحركة، إذ تنضم داخل المدن الصغرى والمتوسطة، إلى مجموعة المدن العتيقة السابقة للفترة الاستعمارية. وقد كانت هذه المدن التقليدية الصغرى والمتوسطة كمولاي إدريس زرهون، وصفرو والصويرة وتارودانت وأصيلا تعرف حياة حضرية نشيطة، تحولت إلى ركود اقتصادي وعمراني على إثر الاضطرابات التي ألحقها التدخل الاستعماري بالنسيج الحضري العتيق. غير أن هذا التدهور الاقتصادي استمر فيما بعد، يرافقه ركود ديمغرافي نسبي. فمدينة أصيلا سجلت تزايدا ديمغرافيا بطيئا بنسبة 2،4٪ ما بين 1960 و 1971 و 2،6 ٪ ما بين 1971 و 1982، في حين بلغ التزايد الديمغرافي السنوي خلال العقد الأخير بالنسبة لمجموع المدن الصغرى (من 10.000 إلى 20.000 نسمة) 7،1 ٪.

أصيلا : صورة جوية

ويمكن ربط هذا التزايد البطيء بأهمية الهجرة الخارجية في اتجاه البلدان الأوروبية وخاصة هولاندا، وضعف جاذبية المدينة بالنسبة لسكان الأرياف. وتتجلى المشاكل الاقتصادية وضعف إمكانيات التشغيل من خلال المعطيات التي تتوفر لدى المجلس البلدي حول مداخيل سكان المدينة، اعتمادا على التحري الذي جرى سنة 1984. وهكذا يتبين أن 41 ٪ من مجموع أرباب العائلات لهم مدخول يقل عن 300 درهم شهريا، بينما لا تتعدى النسبة للعائلات التي تتوفر على دخل شهري يفوق 1000 درهم، 15 ٪.

أما أسباب هذا الركود فهي متعددة، فالتراجع الاقتصادي الذي تعاني منه أصيلا يعود أوّلا إلى فترة الاستعمار الإسباني. غير أن المدينة نظرا لموقعها الساحلي القريب من أوروبا والذي جعل منها منذ القدم مركزا تجاريا هاما، كانت معرضة بصفة شبه دائمة إلى أطماع مختلفة وعاشت توافد قوى متعددة قبل أن ترضخ تحت السيطرة الإسبانية.

كان للمستعمر الإسباني موقفان تجاه مدينة أصيلا. ففي مرحلة أولى ظهرت أهمية المدينة لإقامة صناعة تحويلية خفيفة مرتبطة بإسبانيا. غير أن المستعمر وجه اهتمامه في مرحلة ثانية إلى مدينة العرائش التي كانت توفر ظروفا أكثر ملاءمة : وجود ميناء وبنية صناعية لا بأس بها. وهكذا ركز الوجود الإسباني كل مجهوداته بالعرائش مهملا مدينة أصيلا التي لم تتلق أي تجهيزات تذكر.

أما بعد الاستقلال فإن الجهود المبذولة تواجه ضعف البنيات الاقتصادية. فغياب ميناء مجهر يعرقل الحياة الاقتصادية وخاصة نشاط الصيد. كما أن الاقتصاد الحضري ظل مرتكزا على أسس أصبحت متجاوزة في المغرب الحديث : وظيفة فلاحية سائدة، حرف تقليدية تعاني من أزمة خانقة وغياب النشاط الصناعي، يرافق كل هذا تضخم للمهن الصغرى والتجارة الغير المهيكلة. وبالإضافة إلى منافسة العرائش في بداية القرن فإن أصيلا تعاني اليوم من قرب مدينة طنجة التي تلعب دور العاصمة الإقليمية جاذبة بذلك القوى الإنتاجية المحلية المحتملة.

2 ـ الأنشطة : لازال القطاع الفلاحي يشغل 15 ٪ من مجموع السكان النشيطين بأصيلا (عن باشوية المدينة). ويرجع هذا إلى ارتباط المدينة بظهيرها ووجود مجال فلاحي داخل الدائرة الحضرية (انظر الخريطة). ويمتاز القطاع الفلاحي بطابعه التقليدي ومردوديته الضعيفة.

ـ ويعاني قطاع الصيد، رغم الثروات البحرية المهمة المجاورة لساحل أصيلا من عدم توفر ميناء مجهز. ولذا فإن الصيادين الذين لا تتعدى نسبتهم 7 ٪ من مجموع الساكنة النشيطة يزاولون الصيد بطرق تقليدية وفي فترة محدودة لتزويد المدينة بحوالي 100 طن من السمك سنويا، تكفي لسد حاجياتها. وقد حاولت الدوائر المختصة العمل على إنشاء تعاونية للصيد، غير أن النتائج تبقى جد محدودة أما الميناء الذي شرع العمل في إنجازه فيظهر أنه سيوجه بالخصوص إلى النشاط السياحي والاستجمامي، أكثر منه إلى قطاع الصيد.

ـ وككل المدن الصغرى يتميز القطاع التجاري بتضخم نسبي حيث يشغل 14 ٪ من السكان النشيطين (الباشوية).
غير أنه يسجل غلبة المؤسسات الصغرى (البقالة تناهز نصف المؤسسات) أو التجارة المنتمية إلى القطاع الغير المهيكل. كما أنه يعاني من نفس السكون الذي تعيشه المدينة إذ بلغ عدد المحلات التجارية سنة 1984، 426 مقابل 400 سنة 1963 (J. F. Troin).

ـ إلا أن هذا الركود العام الذي يطبع المدينة الصغيرة طيلة السنة ينقلب خلال فصل الصيف إلى نشاط ملموس يرافقه رواج في التجارة والخدمات. فمدينة أصيلا تتحول طيلة شهري يوليوز وغشت إلى قطب سياحي يكون مقصد تيارات سياحية داخلية تنطلق من المدن الكبرى حاملة مواطنين من كل الأوساط والجهات لتعمر المدينة صيفا. فحسب المصادر يقدر عدد زائري المدينة ما بين 10.000 و 20.000 شخص. ونظراً لحجم هذه السياحة الوطنية، وطول مدة إقامتها وتوجهها المباشر إلى سكان المدينة لتلبية حاجياتها من السكن (ظاهرة الكراء الصيفي تهم كل الأحياء) والتغدية، تساهم في الاقتصاد الحضري لهذه المدينة. ويعمل المجلس البلدي ومثقفو المدينة على استمرار هذه الظاهرة بتكثيف التنشيط الثقافي والفني بواسطة مهرجان أصيلا السنوي الذي انطلق لأول مرة في صيف 1978، والذي أصبح اليوم من أبرز التظاهرات الثقافية والسياحية. ويبقى أهم عامل يساعد على جلب الزائر المغربي هو مستوى العيش الذي يمكن عائلات ذات مدخول متوسط من ممارسة السياحة الصيفية. غير أن المشاريع السياحية الضخمة والطموحة التي تنجز حاليا (ميناء استجمام ترافقه بنيات إيواء من الطراز الممتاز) غير موجههة إلى هؤلاء الزبناء، ويخشى أن تنعكس هذه المشاريع على طاقتهم الشرائية فتجعلهم مجبرين على التوجه إلى محطات أخرى.

3 ـ النسيج الحضري : (الشكل رقم 1 : تصميم المدينة الحضري) رغم أن أصيلا لا تسجل أي إقلاع اقتصادي فإن رقعة المدينة تعرف اتساعا ملحوظا انطلق ببداية الاستقلال ويستمر حاليا. ويرجع هنا التوسع إلى عدة عوامل نذكر منها تيارات الهجرة القروية التي تلقتها المدينة بعد الاستقلال والاستثمارات العقارية التي يقوم بها أبناء المدينة الذين هاجروها للعمل بالخارج، فقد وصلت نسبة رخص البناء التي سلمت للعمال بالخارج سنة 1985 مثلا، إلى 30 ٪ من مجموع الرخص المسلمة. كما أن المدينة استفادت من ثلاثة برامج إسكانية هي تجزئة "أنيسة" (246 قطعة أرضية) وتجزئة "المنزه" (172 قطعة) وبرنامج ياسمينة (100 مسكن اقتصادي).

تمتد المدينة على مساحة 30 كلم بين الطريق الرئيسية رقم 2 والمحيط متسعة بالجنوب، بينما تتقلص بالشمال إلى شريط ساحلي ضيق. وتتكون كباقي المدن التاريخية الأخرى من نواتين : المدينة العتيقة والامتدادات الحديثة.

3. 1 ـ المدينة العتيقة : تتجمع داخل الأسوار البرتغالية، محاذية للساحل، وقد عرفت عدة عمليات تخريب وإعادة البناء على ضوء الأحداث التاريخية التي عاشتها. غير أن الأصيليين توصلوا إلى صيانة معمارها التقليدي. فبخلاف المدن العتيقة الأخرى، ورغم كثافات سكانية نسبيا مرتفعة (360 نسمة في الهكتار)، لا يلاحظ تدهور كبير في المباني أو الأزقة. وما من شك في أن المهرجان السنوي يوفر مناسبة سانحة لصيانة هذا التراث المعماري الإسلامي.

ب ـ منذ الاستقلال وحتى يومنا هذا اتسعت رقعة المدينة جنوب حي "بارادا" والمدينة العتيقة بانتشار أحياء شعبية وسكن اقتصادي على حساب البساتين والحقول. وقد اتبعت محورين رئيسين ؛ انطلق الأول في اتجاه الشرق متخطيا الطريق الرئيسية رقم 2 ومنتهيا بحي الصفيح الزرقطوني، واتجه الثاني نحو الجنوب ابتداء من حي لالة رحمة المحادي للمدينة مرورا بحي مولاي إدريس على طول شارع الحسن الثاني، ومنتهيا بتجمع مرج أبي الطيب. ويعتبر هذا الأخير أكبر وأقدم حي للصفيح بالمدينة حيث يرجع تاريخ نشأته إلى الأربعينات.

ج ـ أما القسم الثالث فيرتبط بالنشاط السياحي الذي أخذت تعرفه المدينة في السنوات الأخيرة، وهو عبارة عن مجموعة من المخيمات وبعض الفنادق وقرية سياحية تمتد على طول الساحل شمال المدينة.

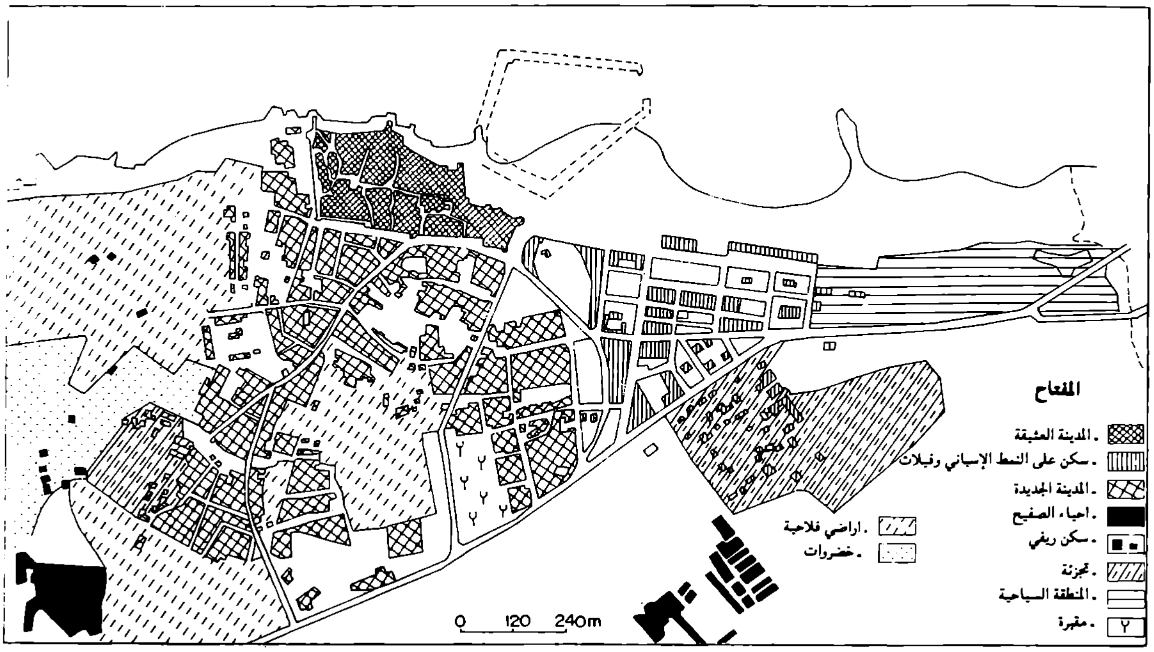

النسيج الحضري لأصيلا

تحتضن هذه النواة الأصلية 2500 ساكن وتعرف إقبالا كبيرا من طرف السواح المغاربة الذين يتجهون إليها بحثا عن وسائل الإيواء العائلية، ومن طرف السواح الأجانب الذين يتوقفون لزيارة معالمها العمرانية.

3. 2 ـ الأحياء الحديثة، ويمكن تبويبها إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ خلال فترة الاحتلال الإسباني ظهر شمال ـ غرب المدينة العتيقة حي بارادا Parada أو الحي الإسباني. وهو نسيج حضري مخالف للأول، يخضع لمعايير عمرانية خاصة. ويلعب هذا الحي الحديث اليوم دور المركز الحضري حيث تتركز المصالح الإدارية إلى جانب السكن الفردي. ويمكن أن نضيف إلى هذه الوحدة الأولى تجزئة "أنيسة" التي توجد شرق الطريق والتي صممت لإيواء سكن فردي من نوع الفيلات انتشر ببطء نسبي منذ 1976.

تعرض مدينة أصيلا نموذجا يمكن معاينته في أنحاء أخرى من المغرب. فهي مثال للمدينة الصغيرة ذات التاريخ العريق والتي ألحق بها الاستعمار خللا في توازنها الاقتصادي والاجتماعي. غير أن هذا الاضطراب يستمر رغم جهود ملموسة. ويواجه هذه المشاكل الاقتصادية اتساع في الرقعة المبنية لم يتبع أي تخطيط أو تصميم مسبقين، اللهم إلا عمليات نقطية لتجهيز بعض التجزئات.

كما أن هذا التطور للمساحات المبنية وقع على حساب الأراضي الفلاحية وخاصة الاستغلاليات المخصصة للخضراوات (انظر الخريطة) حارما المدينة من أحد الركائز التقليدية لاقتصادها.

أحمد الجسر، ارحيمو حسين، عبد النبي كندال، *انعكاسات السياحة الوطنية على اقتصاد أصيلا*، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1987 ـ 1988.

M. Berriane, *Le tourisme et la petite et moyenne ville au Maroc*, in *"petites villes et villes moyennes dans le Monde Arabe"*, Fascicule de Recherche Nº 16 et 17, U.R.B.A.M.A. Tours, 1987 I.N.A.U. *Habitat et foncier à Asilah*. Rapport de stage de première Année, Rabat, 1985 ; A. Lehzam, *Propriété foncière et marché foncier dans les villes à faible croissance démographique, l'exemple d'Asilah*, Revue Marocaine de Droit et d'Economie ou Développement, Université Hassan II, nº 12, 1986 ; J. F. Troin, *Les souks marocains, Marchés ruraux et organisation de l'espace dans la moitié nord du Maroc*. Edisud, Aix-en-Provence, 1975.

محمد بريان

أصيلا، ـ تاريخ ـ مدينة على الساحل الأطلنتيكي، جنوب طنجة، يبلغ عدد سكانها 18781 نسمة في إحصاء 1982. ولم يفصل المؤرخون والأثريون بعدُ بشأن تاريخ تأسيس المدينة. ويعود هذا الغموض إلى تعارض المصادر الإغريقية واللاتينية من جهة، والعربية من جهة أخرى، فقد ورد اسم أصيلا في الأولى تحت صيغ متقاربة، ziliz, zelis, zilia (R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*) واكتشفت عُملة محلية تحمل اسم Aslith، لذا اعتقد البعض أن تأسيس أصيلا يعود إلى العهد الفينيقي. أما الحسن الوزان ومن اعتمدوا معلوماته فقد أرجعوها إلى العهد الروماني. وأرجع البكري تاريخ التأسيس إلى سنة 229 / 844 وربطه بهجمة نورماندية على موقع المدينة دفعت السكان إلى تأسيس رباط توسع فيما بعد ليغطي مدينة مسورة وسوقا عامرة. وحسبما يقترحه البعض، اعتمادا على نتائج الحفريات التي أنجزت بقرية "الدشر الجديد" الذي يناسب المستوطنة الرومانية zilis، لا يوجد أي تناقض بين الروايات الإغريقية واللاتينية ورواية البكري، إذ يتعلق الأمر بموقعين مختلفين. فربما كانت zilis بالموقع الحالي "للدشر الجديد" قبل أن يعطى اسمه للرباط المشيد بالموقع الحالي لأصيلا. وقد يؤكد هذا الاحتمال خراب أصيلا بعد الهجمة المجوسية المذكورة لمدة ثلاثين سنة، وإحياؤها بأمر من ملوك قرطبة الذين أعادوا بناءها وجعلوها أحسن حالا وأكثر مناعة من سابقها (*الوزان*، 1 : 242).

ويعد ابن حوقل أول من اهتم بـ "أزتَلي" في العهد الإسلامي. فقد أشار إلى موقعها وغنى ظهيرها، وإلى أسوارها ورواج أسواقها (*صورة الأرض*، 80). أما البكري، فقد ذكرها كأول مدن العدوة من جهة الغرب، وحدد موقعها على الساحل، ووصف سورها وأشار إلى أمن مينائها ورواج أسواقها. وبعد أن أشار إلى ظروف إنشاء أصيلا ربط ازدهارها باستقرار أبناء المولى إدريس وحفدته بها إلى أن استولى عليها حكام قرطبة (*المغرب*، 111 ـ 112) غير أن ما أورده الإدريسي، الذي نعتها بالمدينة الصغيرة المخربة، يوحي بتراجع مكانتها خلال القرن الثالث عشر. وابتداء من القرن التالي، بدأت سفن الجنويين والكَطَلَنيين والميورقيين تفد على ميناء أصيلا. ففي سنة 706 ـ 707 / 1307 أوفدت خمس شركات تجارية من برشلونة ممثلين لها بأصيلا بينما كان للجنويين "فنادق" بالمدينة. وكان هؤلاء التجار يقتنون بها التبر والحبوب والصوف ويعرضون بها سلعا كانت التوابل والعقاقير الشرقية أهمها. ومما يؤكد كثرة إقبال الإيطاليين على أصيلا تعرض Pegolotti في مؤلفه الشهير للمكاييل المعتمدة بهذه المدينة. وبقيت التجارة الجنوية مزدهرة بأصيلا حتى بعد احتلالها من طرف البرتغاليين. ومن جهة أخرى احترف الأصيليون الجهاد البحري.

وبعد نكسة الوطاسيين على يد السلطان عبد الحق المريني استقر محمد الشيخ بأصيلا وبقي بها إلى أن احتلها البرتغاليون يوم 7 ربيع الأول سنة 876 / 24 غشت 1471، أي بعد احتلال كل من سبتة (818 / 1415)، والقصر الصغير (862 / 1458) وبعد تعرض طنجة لثلاث محاولات انتهت بهزيمة برتغالية كبرى. وكان الهدف الرئيسي من الهجوم على أصيلا إكراه طنجة على الرضوخ لإحكام السيطرة على المضيق وللتحكم في الملاحة بالسواحل المغربية. ومعلوم ان هذا التحكم أصبح ضروريا بعد أن استوطن البرتغاليون جزر الآصور ـ خلال النصف الأول من القرن 15 م ـ وشرعوا في التبادل التجاري بغرب إفريقيا. فليس من قبيل الصدف، والحالة هذه، أن يناسب احتلال أصيلا اكتشاف البرتغاليين لمركز (لامينا La mina) بساحل الذهب الذي أصبح فيما بعد أهم مركز لشراء التبر والعبيد بغرب إفريقيا. وقد أكد مؤلف *حوليات أصيلا* بعد أن عاش بها طويلا، على أهمية هذه الدور الاستراتيجي (Anais, I / 3 - 4)، ونظرا لأهمية المشروع تم الإعداد له بسرية كبرى. وتختلف المصادر البرتغالية بشأن حجم الحملة. فحسب الإخباري دوبينا (R. De Pina) بلغ الغزاة 30000 نقلتهم إلى الساحل المغربي 477 سفينة، بينما جعل دوكويش (D. De Gois) عدد المحاربين 24000 وعدد المراكب 338 (D. Lopes, *Histoira*, 35).

وبهذا تكون هذه الحملة أهم ما نظمه البرتغاليون ضد المغرب. وكان على رأس الحملة الملك ألفونسو الخامس وولي عهده وكبار نبلاء البلاد. ووصل البرتغاليون قبالة أصيلا يوم 4 ربيع الأول 876 / 21 غشت 1471، إلا أن عنف الأمواج وصعوبة الدخول إلى الميناء أخر الإنزال وأديا إلى موت 200 برتغالي واستطاع المهاجمون لكثرتهم وقوة مدفعيتهم اقتحام أسوار المدينة وقتل ألفين وأسر خمسة آلاف من سكانها. ويعتقد أن الضحايا من الجانب البرتغالي كانوا كثيرين رغم سكوت النصوص عن ذلك (*مارمول*، 2 : 220). وكان ابن محمد الشيخ وولي عهده المعروف بمحمد البرتغالي ضمن الأسرى. ولم يستطع الوطاسي إنجاد المدينة لانشغاله بمحاصرة مدينة فاس، ووصله خبر دخول البرتغاليين إلى أصيلا وهو بالقصر الكبير. لذا فضل التفاوض حتى يتفرغ لإقامة دولته. وهكذا أمضى مع ألفونصو الخامس معاهدة لمدة عشرين سنة اعترف بموجبها باحتلال أصيلا وسبتة والقصر الصغير وبتبعية ضواحي تلك المدن للتاج البرتغالي. كما سمح لهم باحتلال ما شاءوا من الثغور الساحلية. ونتج عن احتلال أصيلا إخلاء سكان طنجة لمدينتهم ودخول البرتغاليين إليها بدون حرب، كما أخليت العرائش وعدد كبير من القرى. ولم تتوسع أصيلا خلال احتلالها إذ كانت النصوص البرتغالية تنعتها "قرية

أصيلا" (Vila de Arsila). وتعاقب على إدارتها من سنة احتلالها إلى حين إخلائها (956 / 1550) واحد وعشرون قبطانا رسميا أو مؤقتا.

ونظرا لموقعها، تحملت أصيلا القسم الأكبر من المجهود العسكري الذي بذله البرتغاليون بشمال المغرب، هجوما ودفاعا، فقد كلفت حاميتها بإكراه قبائل غمارة والهبط على الرضوخ وبنشر مناطق النفوذ البرتغالي للتقليل من مصاريف تسيير الثغور الشمالية والدفاع عنها. ومعلوم أن هذه الثغور الأربعة كانت تبتلع خمس ميزانية الدولة البرتغالية، كما كلفت حامية أصيلا بقطع الطريق على كل الإمدادات التي قد ترسلها باقي المناطق، وخصوصا منها فاس، لتهديد المكتسبات البرتغالية. وهكذا قام برتغاليو أصيلا بغارات خاطفة ووحشية وصلت عدة مرات إلى أزجن والقصر الكبير وجبل الحبيب بضواحي تطوان. وكانت هذه الغارات تنتهي في الغالب، لمفاجاءات للسكان ولانعدام قوة رادعة في بداية القرن العاشر / 16، بأسر مئات المغاربة والاستيلاء على أنعامهم. غير أن المقاومة الشعبية المؤطرة من لدن الفقهاء والمتصوفة من جهة، وقواد القصر الكبير والشاون، (بنو راشد) وتطوان (المنظري)، سرعان ما أكرهتهم على الانكماش داخل أسوار أصيلا. وزادت الحركات الوطاسية في عهد محمد البرتغالي من مفعولية هذا الجهاد. فقد عرَّض هذا السلطان أصيلا وطنجة لاثنتي عشرة حركة كادت إحداها أن تنتهي بتحرير المدينة بعد أن استطاعت جيوشه الدخول إلى أصيلا وإكراه المدافعين عنها على الالتجاء إلى القلعة وانتظار وصول الإمدادات من البرتغال وإسبانيا (*الوزان*، 1 : 313 ; De Gois, 43-53)

وتسمح كتب الحوليات البرتغالية، وخصوصا منها *حوليات أصيلا* التي كتبها أحد سكان المدينة بعد إخلائها، بتتبع الحروب التي دارت بين البرتغاليين والمغاربة لتلك المناطق.

ولم يقتصر نشاط أصيلا خلال احتلالها على هذا الدور العسكري. فقد كانت أيضا سوقا رائجة تقبل عليها القوافل والسفن كما يؤكد ذلك محمد العربي الفاسي (*مرآة*، 142) وعدد كبير من الوثائق البرتغالية (*دكالة*، 164). ولتعزيز هذا الدور المربح أنشأ الملك البرتغالي وكالة تجارية بأصيلا كانت مهمتها ترويج السلع الملكية كالصمغ والعقيق والأثواب، وشراء السلع المغربية، وكان لهذه الوكالة فرع بفاس.

إلا أن الإشعاع العسكري والتجاري لأصيلا تراجع بعد الثلاثين من القرن السادس عشر، واستفادت أصيلا كغيرها من الثغور المحتلة من تناحر الوطاسيين والشرفاء السعديين. غير أن دخول محمد الشيخ السعدي إلى فاس يوم 29 ذي الحجة 951 / 29 يناير 1549 أكره البرتغاليين على التخلي عن أصيلا بعد أن تم التفكير في التنازل عنها لأبي حسون الوطاسي (رجب 956 / 24 غشت 1550). وعادت أصيلا من جديد تحت النفوذ البرتغالي قبيل معركة وادي المخازن بعد أن سلمها لهم صهر السلطان المخلوع محمد المتوكل. ولعبت المدينة دورا أساسيا في إنزال الجيوش البرتغالية. ولم تعد المدينة إلى السيادة المغربية إلا سنة 997 - 998 / 1589 بعد اتفاق بين فليب الثاني والمنصور السعدي، (*مناهل*، 114)، وتراجعت أصيلا كثيرا بعد هذا التاريخ.

ابن حوقل، *صورة الأرض* ؛ أ. البكري، *المغرب* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل*.

B. Rodrigues, *Anais de Arzila, Cronica inedita de sécule XVI*, Coimbra, 1915-1919, 2 vol ; P. Ricard, *Les Portugais au Maroc de D. de Gois*, extraits de la chronique du Roi Don Manuel de Portugal, Rabat 1973 ; *Les Portugais et l'Afrique du Nord*, extraits des "annales de Jean III" de Luis de Sousa, Paris 1940 ; C. De Marmol, *l'Afrique*, trad : fr. 1665 tome 2 ; P. de Cenival (et al...) *Sources Inedites de l'histoire du Maroc*, série sa'dienne, 1934 - 1953, 5 vol. D. Lopes, *Historia Arzila O dominie portugues* (1471 - 1550 / 1577 - 1589) Coimbra 1924.

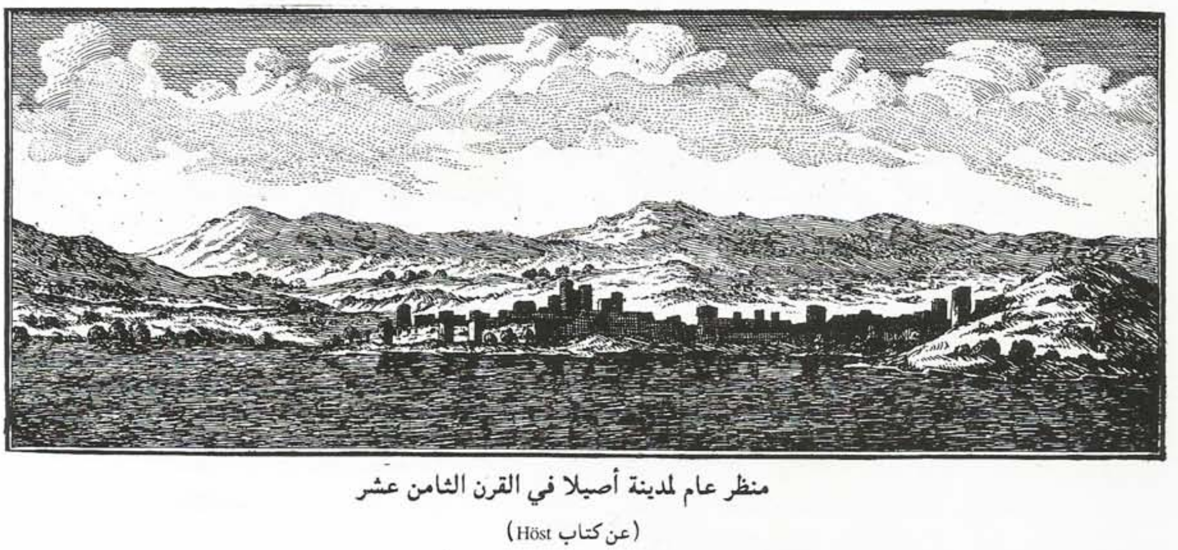

منظر عام لمدينة أصيلا في القرن الثامن عشر

(عن كتاب Höst)

الأصيلي، إبراهيم بن محمد، والد الفقيه عبد الله الأصيلي، من شعراء المغرب الأولين، لا تُعرف له ترجمة، وإنما تذكر المصادر القديمة مقطعات من شعره تدل على تمكنه من اللغة العربية وقواعدها، وأنه كان مداحا هجاء سليط اللسان. من ذلك قصيدة قالها في بني زياد من

هوارة الذين كانوا يقطنون بجوار أصيلا، مع قبائل لواتة في الجهة القبلية بينهم كدية رمل عالية، أورد منها صاحب البيان المغرب (1 : 235) هذين البيتين :

سقى غربيٌ أرضِ بني زياد   سحائبُ ما يجف لها غروبُ
ولازال النعيـم يعـمُّ قومـاً   إزاؤهمُ من الشرقِ الكثيـفُ

ولما دخل مصالة بن حبوس قائد عبيد الله الشيعي عام 308 مدينة فاس بعد أن هزم أهلها الذين أرادوا مدافعته قال إبراهيم الأصيلي معرضاً بها وبهم :

دخلت فاساً ولي شوقٌ إلى فاس   والحَيْـنُ ياخذُ بالعينـين والراس
فلست أدخلُ فاسا ماحييتُ ولو   أُعطِيتُ فاساً بما فيها من الناس

وتنسب إليه أبيات بذيئة في الهجاء والمجون، ولعل وفاته كانت بعد عام 326 / 937.

ابن عذاري، *البيان المغرب*، تحقيق كولان وبروفنسال، 1 : 183 و235 ؛ ياقوت، معجم *البلدان*، 6 : 331 ؛ م. بن تاويت، *الوافي بالأدب العربي*، 1 : 21 ؛ ع. بنعبد الله، *الشعر والشعراء بالمغرب الأقصى عبر العصور* (مخطوط).

الأصيلي، عبد الله بن إبراهيم، ولد عام 324 بمدينة أصيلا المعروفة قرب طنجة ـ لا بأصيلا الأندلس كما اشتبه ذلك على بعضهم ـ وأصل جدوده من الجزيرة الخضراء أو من كورة شذونة بالأندلس، وقيل إن أباه من مسلمة أهل الذمة. والمقصود بأبيه أحد أجداده الأعليين ولا شك، لأن نسبه ـ كما عند عياض وغيره ـ هو عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر.

نشأ عبد الله بأصيلا وتعلم بها قبل أن يقوم برحلة علمية طويلة قادته إلى الأندلس حيث أخذ عن كبار فقهاء قرطبة أمثال اللؤلوي وابن الشاط وأبي سليم وأبان بن عيسى، ثم إلى أفريقية فلقي شيوخها ومنهم ابن أبي زيد القيرواني الذي روى عن الأصيلي وشيوخه الأندلسيين. ثم توجه إلى المشرق فلقي شيوخ مصر ومنهم النيسابوري، وحج سنة 353، فلقي بمكة عبد الرحمان المروزي وسمع منه *صحيح البخاري*، وأبا بكر الآجري، وبالمدينة قاضيها أبا مروان المالكي. ومن ثم سار إلى العراق فأخذ عنه فيها أبو بكر الأبهري حامل لواء المذهب المالكي بالعراق صاحب التآليف الكثيرة. وطالت رحلته المشرقية ثلاث عشرة سنة استكمل فيها علمه دراية ورواية.

بعد ذلك رجع عبد الله الأصيلي إلى المغرب وقد بلغ أشده، والأوضاعُ السياسية في غاية الاضطراب بين مغراوة وزناتة ومَن وراءهم من الفاطميين والأمويين، فجاز إلى العدوة سنة 366 حيث "انتهت إليه الرآسة بالأندلس في المالكية وكان متفنناً نبيلاً عارفاً بالحديث. قال الدارقطني: حدثني أبو محمد الأصيلي ولم أر مثله" (*الديباج*، 139).

ألّف عبد الله الأصيلي عدة كتب تعدّ أمهات في موضوعاتها، منها : شرح الموطأ سماه *كتاب الدلائل إلى أمهات المسائل* ذكر فيه خلاف مالك والشافعي وأبي حنيفة؛ *ونوادر الحديث* في خمسة أجزاء ؛ *والانتصار* ؛ *ورسالة المواعد المنتجزة* ؛ *ورسالة من استحل عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ* ؛ ورسالة *الرد على ما شذ فيه الأندلسيون.*

بلغ الإمام الأصيلي درجة الاجتهاد إلا أنه اجتهاد داخل المذهب المالكي، فكان يتكلم في الأصول ويترك التقليد، واحتهاداته وفتاواه مبثوثة في *المدارك* وفي *المعيار*، وولي الشورى بقرطبة، والقضاء بسرقسطة. ويعدون من كرامته ـ ولو أنه ينكر الغلو في كرامات الأولياء ـ أنه كان كثيراً ما يذكر الفتن التي ستقع في الأربعمائة ويدعو الله أن يقبضه قبلها، فتوفي يوم الخميس 19 ذي الحجة عام 392 / 29 أكتوبر 1002.

ع. ابن الفرضي، *تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس*، 1 : 291 ؛ الضبي، *بغية الملتمس*، 127 ؛ م. الحميدي، *جذوة المقتبس*، 239 ؛ عياض، *المدارك* ، 7 : 135 ـ 145 ؛ م. الحافظ الذهبي، *تذكرة الحفاظ*، 3 : 1024 ؛ إ. ابن فرحون، *الديباج المذهب*، 138 ـ 139 ؛ ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، ج 1 و6 (مادتا أصيل وفاس) ؛ أ. البكري، *المسالك = المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب*، 117 ؛ ع. ابن العماد، *شذرات الذهب*، 3 : 140 ؛ أ. الونشريسي، *المعيار*، ج 1 ـ 2 ـ 7 ـ 8 ـ 10 ؛ م. مخلوف، شجرة *النور*، 1 : 100 ـ 101؛ م. الحجوي، *الفكر السامي*، 3 : 117.

الأصيلي، عبد الواحد بن مسعود بن محمد المدعو **عَنُّون**. شخصية علمية وسياسية فذة ربما لم يكن له نظير في عصره، إذ كان عالما فلكياً رياضيا وأديبا بارعا عارفاً بعدة لغات أجنبية، صناع اليد في الرسم والنساخة، إلى نباهة وحذق ولباقة في الشؤون السياسية، اجتباه المنصور وائتمنه على بيت ماله وأسرار دولته، وبعث به سفيراً لدى ملكة أنجلترا إليزابيط الأولى عام 1008 / 1600 في أخطر مهمة كُلف بها سفير مغربي في ذلك العهد. والعجب أن شخصية نابهة كهذه لم تنل من عناية المؤلفين المعاصرين له سوى ترجمة بسيطة في درة *الحجال*. وأكثر ما نعرف عنه مصدره الوثائق الأنجليزية، وبعض المخطوطات الباقية من منتسخاته.

مكث عبد الله عنون في لندن ستة أشهر يتصل بالملكة ويراسل مخدومه بطريقة الزِّمام، وهي كتابة سرية شبة "شفرة" اخترعها المنصور للاتصال مع عماله في الداخل وسفرائه في الخارج. وقد أسندت إلى عنون في هذه السفارة ثلاث مهمات : مهمة سياسية حملها عنون سراً مكتوما في صدره ليلقيه إلى الملكة إليزابيط مباشرة من أجل إقامة حلف مغربي ـ أنجليزي ضد إسبانيا لإخراجها من الهند وطردها من الشواطئ المغربية قبل مهاجمتها في عقر دارها. وأخرى اقتصادية لدراسة السوق الأنجليزية بالتعرف على الموازين والمقايس ومدى رواج البضائع المغربية خاصة السكر للتأكد من مقدار أرباح الوسطاء الأنجليز بغية وضع أسعار جديدة لصالح المغرب، واستخلاص ديون مترتبة في ذمة الشركة البربرية ـ الأنجليزية وشراء كميات من الأحجار الكريمة. ومهمة علمية عن طريق الاتصال بالعالم الأنجليزي

إدوارد وريغت E. Wright، وهو رياضي مهندس اشتهر بتآليفه العلمية وبحوثه التطبيقية في ميدان الملاحة. كُلف بأن يحصل منه على كرات فلكية، وساعات، ومزاول وأسطرلابات، وآلات مغناطيسية وفلكية لقياس ارتفاع الأجرام السماوية وتحديد اتجاه القوافل في الصحراء. وقد طُلب من وريغت أن يصنع لعنون كل ما يرغب فيه من آلات من نحاس أو فضة، ويترك موضع الكتابة والأرقام فارغاً لينقش بالعربية في المغرب أو أنجلترا.

وتختفي أنباء عنُّون بعد رجوعه إلى المغرب من هذه السفارة الطويلة فلا يُعرف لوفاته تاريخ ولا مكان.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 385 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 387 . 388.

H. De Castries, S. I. H. M., Angleterre, I. 2 : 159-160 et 164-165.

محمد حجي

الأصيلي علي بن محمد ← ابن **هذيل**

الأطْرَش، أسرة من يهود حلب هاجر أفرادها إلى مختلف الأقطار (فرنسا وإيطاليا والهند وجبل طارق والمغرب) للتجارة في شتى أنواع البضائع، كالحرير والصوف وتقديم الخدمات. وكان منهم إخوة عقدوا شركات بينهم ومع غيرهم، وارتبطوا بالسلطات المغربية في القرن التاسع عشر. كانت تجارتهم تدور حول تصدير البضائع الفلاحية والإقراض والنقل البحري، وكانوا يعدون بمرسيليا من أغنى التجار إذ بلغت أرقام أشغالهم الملايين. منهم :

الأطرش، إميل نمساوي لم ينل الجنسية الفرنسية إلا سنة 1868. وقد ظل يتابع نشاطه التجاري بالصويرة منذ سنة 1854 حتى مات بها سنة 1889.

الأطرش، جاك أكبرهم الذي استوطن مرسيليا ثم سافر إلى المغرب ونزل بفاس مرات متقطعة سنة 1856 و 1858 و 1862. وفي سنة 1864 رحل من الصويرة إلى العرائش حيث مات مفلساً بها سنة 1866، لأنه كان يوظف أموالاً باهضة يغامر بها ويقدمها للحكام أو يسلفها للفلاحين والتجار ثم لا يسترجع منها إلاَّ قليلاً، ولأن السلطات المغربية بدأت تتوجس منه خيفة سنة 1863، بعد أن كانت خولته رخص التصدير ورخص نقل الحجاج من الرباط وطنجة سنة 1856 و1857.

الأطرش، جول استوطن الصويرة سنة 1855 وعقد صلات مع الولاة لا سيما عامل مركش أحمد بوستة. وكان هو وأخوه السابق الذكر محميين فرنسيين.

م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*.

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. 2 et 3.

مصطفى بوشعراء

الأطْرَنْكَات، حي بتطوان أنشأه الأندلسيون الذين طردهم الملك الإسباني فيليب الثالث Felipe III سنة 1609م. وهذا ما يفسر كون الاسم الذي أطلقوه على حيهم الذي كان قبل بنائهم له محلا ترمى فيه الرّدم، فسموه الأطرنكات من كلمة Atrancar بمعنى ردم، وهذا لا يتفق مع ما قاله الفقيه الرهوني بأن "معنى الكلمة بلغة الروم "قرب" حيث يقولون اطرنك أي قريب".

ونتوفر على قائمة أعدت في منسلخ جمادى الأولى 1257 / 1841 تحتوي على الفقراء الذين كانوا آنذاك بالحي المذكور وبلغ عددهم 1957 فقيرا.

الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 18 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 1 : 298، 8 : 350.

L. Fernandez de Lara, *Nomenclator callejero de Tetuan 1941*, 94.

محمد ابن عزوز حكيم

إطُّو، علم مؤنث كثير الاستعمال عند القبائل الأمازيغية الصنهاجية المستوطنة بجبَال الأطلس المتوسط.

اشتهر جغرافيا باقترانه بمكان يقع بين مدينتي الحاجب، وأزرو، على بعد 12 كلم من هذه الأخيرة. وهو منبسط يطل على هضبة "أدروش" ذات التضاريس "الأبالاشية" التي تجعل منها منطقة جذابة بمنظرها العام، وقد أصبحت جملة "منظر إطو" متداولة معروفة لهذا السبب.

واقترن اسم إطو تاريخيا بالأحداث الهامة التي طبعت تاريخ المغرب الحديث، وهو واقعة 1913 بين المحتل الفرنسي وجموع قبائل أيت مگيلد وإخوانهم من أيت نظير (بني مطير) وإگرْوان، ففي 24 مارس 1913 حلت العساكر الفرنسية بهذا الموقع تحت قيادة العقيد هانريس Cl. Henrys وكان قائدا عاما لفرقة الخيالة الفرنسية قبل أن يكلفه المقيم العام ليوطي Lyautey بمحاربة قبائل الأطلس المتوسط في هذا المكان. فطردت منه من كان به من السكان ونهبت ماشيتهم، قبل البدء في إطلاق المدافع لجلب مقاتلي القبائل خدعة. وأمام عدم توازن القرى وخاصة علي مستوى السلاح المستعمل استطاع العقيد المستعمر هزم المدافعين الذين خسروا 70 رجلا. ورغم ذلك لم يهدأ الصراع بل تواصل إلى حدود 28 أبريل 1913.

منذ ذلك التاريخ أقام العقيد هانريس بموقع إطو مركزا عسكريا أساسيا جعله إحدى القواعد الثلاث لمتابعة عملياته ضد أيت مگيلد وأيت يوسي، وأيت صغروشّن المستوطنين بناحية إموزار، وهي قواعد إفران وأگوراي وإطو.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الذاكرة الشعبية ترى في إطو اسما لامرأة شجاعة كانت ابنة أحد شيوخ إحدى قبائل إركلاون المقيمة بناحية أزرو، والتي يحكى عنها أنها شاركت بني قبيلتها في معركة دارت بينها وبين قبيلة أخرى بنفس المكان أوشكت نتيجتها أن تكون وخيمة على القبيلة الأولى لولا دور إطو هذه التي حملت بكل ثقلها وعن طريق الحث بالشعر وغيره من الأقوال المهيجة على القتال والصمود حتى النصر. واعترافا بهذا الدور، سمي المكان باسمها.

Gl. A. Guillaume, *Les Berbères marocains et la pacification de l'Atlas Central* (1912 - 1913), Paris, 1946, p. 128 - 134 ; G. Beaudet, *Les Beni Mguild du Nord*, R.G. M., nº 15, 1969, p. 3 - 80.

عبد العزيز توري

أطلس. ـ تاريخ قديم ـ اتخذ صبغتين : صبغة شخصية أسطورية، فكان ككل آلهة وأبطال الميثولوجيا الإغريقية ـ الرومانية ينتمي لعائلة، وأنيطت به وظائف، له موطن سكن. وهذه هي الصبغة التي عرف بها في بدايته من خلال كتابات المؤلفين القدامى *Histoire Naturelle*, V. 7).

لكن أطلس أضحى في عصور متأخرة معلمة جغرافية. وهذه الصبغة المكتسبة هي التي اشتهر بها عند الكتاب الكلاسيكيين وهي التي نعرفه بها إلى يومنا هذا. فكيف تم هذا التطور ؟

أطلس كشخصية أسطورية : يتفرق الرواة للأساطير شيعا وأحزابا في نسبه :

فمجموعة أولى تعتبره ابن جابي Japet وكليمين Clymene، ومجموعة ثانية تنسبه لإيطر Aether وجي Gé، ومجموعة أخرى تعتبره ابنا لإله البحر نبتون Neptune من زوجته كليو Clio. ومهما اختلفت الآراء وتشعبت حول نسبه، فإنها تجُمع على اعتباره أحد التيتان Titans.

وتضاربت آراء الرواة أيضا حول وظيفته، فاعتبرته مجموعة أولى ملكا لأكاديا. وساد بين مجموعة ثانية وعلى رأسها صاحب أنساب الآلهة Théogonie هزيود Hesiode الاعتقاد بأن منطقة نفوذ أطلس تقع في أقصى حدود الأرض، جهة الغروب، وبذلك يكون أصحاب هذه المجموعة، منهم هزيود، قد ساهموا في نقل مملكة الأطلس من شمال البحر المتوسط إلى جنوبه، وبالتالي حولوا مسرح الأحداث من أوروبا إلى إفريقيا.

ويبلور أوفيد Ovide في كتابه *Métamorphoses*, 628) هذه الفكرة، عندما يذكر أن أطلس ملَكَ منطقة خصبة ومشهورة بثرائها حيث تسرح فرق مروجها الخضراء آلاف قطعان الماعز والأبقار، وبهذه التربة أشجار الهسبريد Hesperides الآمنة لأنها محروسة من لدن ثنين مهول، لن يقوى على التصدي له وقطف التفاحات الذهبية إلا هرقل القوي.

ويجزم ديودور الصقلي Diodore de Sicile في كتابه (*Bibliothèque historique*, 27) بأن أطلس المختص في الرياضيات هو مخترع الكرة La sphère. ومنحه رواة آخرون خاصيات جديدة تتمثل في علمه بالفلك، بل منهم من حشره ضمن زمرة الفلاسفة،

وهكذا أصبح أطلس الكائن الحي جمادا أو أحيل الإنسان إلى جبل، كيف تم هذا التحول؟ و ما هي أسبابه؟

حول هذا "المسخ" نملك روايتين : الأولى صاحبها الشاعر الإغريقي هزيود الذي يفسر سبب التحول كما يلي : يذكر أن الأطلس باعتباره أحد التيتان شارك معهم في الحرب الضروس التي شنوها ضد الآلهة، ومشاركته هذه أثارت ضده حنق كبير الآلهة جوبتير Jupiter الذي عاقبه على عمله بأن أجبره على حمل قبة السماء فوق رأسه. هذه الصورة التي رسمها هزيود بالكلمات : إنسان يحمل فوق رأسه قبة السماء، نجد لها صدى في مجالات فنية متعددة من نحت ونقش ورسم كشفت عنها الحفريات في عدة مواقع بالعالم القديم تحفظ بالمتاحف الأثرية.

والرواية الثانية للتحول أوردها الكاتب الروماني أوفيد الذي يفسر سبب التبدل تفسيرا آخر مخالفا لتعليل هزيود. يذكر أوفيد (*Métamorphoses* : 632-662) بأن رفض أطلس إكرام وفادة ضيفه برسي Persee أثارت سخط هذا الأخير فواجه أطلس برأس ميدوزا Meduse التي تحيل كل من يحدق فيها حجارة، وهكذا أصبح الإنسان جمادا.

أما أطلس الجبل، فيتفق المؤلفون الكلاسيكيون على اعتباره عماد السماء Pilier du ciel، هذه العبارة أوردها هيرودوث Hérodote في كتابه (*Histoire*, 186) وذكر أيضا بأن السكان المحليين هم الذين نعتوه كذلك، وتناقل رعيل الكتاب اللاحقين نفس هذه العبارة، إذ نقرؤها عند ديون كاسيوس Dion Cassius في كتابه (*Histoires Romaines*) وأوفيد في (*Métamorphoses* : 174) وبومبنيوس Pomponius في كتابه (*De Chorographia*, III, 10) وتبين هذه العبارة علو الأطلس الشاهق، وهي البذرة التي نفخ فيها الإغريق من روحهم فاتخذت شكل عملاق محكوم عليه بحمل قبة السماء إلى الأبد.

وحاول المؤلفون الكلاسيكيون توطين الأطلس في منطقة محددة ولكنهم لم يفلحوا. وشهادة ليكريس Lucréce هي خير دليل على هذا الأمر. يقول في كتابه : *De Natura* v 36) بأن المعرفة بالأطلس كانت ناقصة نقصا بينا خلال القرن الأول ق.م. ويضيف بلين Pline قائلا بأن معرفة أطلس كانت تقتصر على الوصف الأسطوري المستمد من مؤلفين قدامى أورد إشارات عنه خلال حكاياتهم عن البطلين هرقل وبرسي (*Histoire Naturelle*) واستمرت حالة نقص المعارف حول أطلس إلى عصر أغسطس Auguste، فمع إطلالة عصره بالأساس خلال مرحلة إلحاق الرومان لموريطانيا (القرن الأول م) تتضح معلوماتنا عنه.

فإذا كان هيرودوت مؤرخ القرن الخامس ق.م يكتفي بقوله إن أطلس بليبيا (*Histoire*, 184) وإذا كان سترابون Strabon الجغرافي المشهور (القرن الأول ميلادي) يخلط بين الأطلس والريف فيموضع الأطلس مباشرة بعد اجتياز أعمدة هرقل، (*Géographie*, XVI, 3,2) وإذا كان ليكان Lucain ينقله للضفة الأخرى من البحر المتوسط فيجعله بمدينة قادس (*Pharsales*, IV, 670-676) فإننا مع بلين المؤرخ المشهور بتحريه للحقيقة نقترب من الصواب، فهو الذي يعتبر أطلس أكثر جبال إفريقيا إثارة، والوصول إليه لن يتأتى إلا بعد اجتياز شعب الأطولول (Autololes، (*Histoire Naturelle*, V. 5) ولكننا نفاجأ عندما يظهر لنا

عجز بطليموس Ptolemee وهو من جغرافيي القرن الثاني للميلاد عن تحديد موقع الأطلس بشكل محدود ومضبوط (R. Raymond in *Description de la terre*, p. 36) وينقل بلين عن بوليب Polybe فيلاحظ أن هذا الأخير قد جعل أطلس بأقصى حدود موريطانيا بالمجال المحصور بين منطقة جبل طارق ونهاية رحلته بنقطة ليس من السهل تحديدها(*Histoire Naturelle*, V. 10).

ويعود بوليب في فقرة أخرى من كتابه المفقود ـ والذي نستقى عنه المعلوملات استنادا لروايات بلين ـ ليموضع الأطلس بحدود موريطاينا وبمواجهة سيرنه (*Histoire Naturelle*, V. 120-121).

يبين بوزنياص (Pausanias : 184) أن شعب الناصامون (Nasamons) المعروفين عند هيرودت (*Histoire*, V. 184) تحت اسم الأطلنتيس Atlantis والمعروفين عند غيره تحت اسم ليكسيت Lixites يستوطنون أقصى حدود الأطلس.

ويذكر ديون كاسيوس (*Histoires romaines*, IXXV) أن أطلس يوجد ببلاد الماكنيت Macenites ويجعل مجال سكني هذا الشعب بموريطانيا العليا على ساحل المحيط إلى الشرق منه. وهو تحديد كما نرى مبهم وغير دقيق.

وإذا كانت معلوماتنا حول موقع الأطلس تتسم بالإبهام والخلط الذي مرده كما بينا إلى تناقض المصادر الكلاسيكية التي نستمد منها معلوماتنا فإننا نتوفر على معطيات ثمينة حول التسمية. يذكر سترابون (*Géographie*, XVII : 3-2) بأن أصل الكلمة إغريقي وبأن الاسم المحلي للجبل هو Diris وهذه المعلومات يزكيها نسبيا صولان Solin (*Polyhistor*, XXIV, 15) ومارتيانوس كابيلا (Martianus Capella, VI, 667) ولكنهما يرسمانه هكذا Adiris.

ويعني مصطلح أطلس ذلك الذي يطيق حمل أثقاله و Dyris. أو Adiris تعني الجبل، ولكن المعماري الروماني فيتروف Vitruve في كتابه (*De Architectura*, VIII : 2-18) يعتبر Dyris مجرد مجرى مائي ينبع من الأطلس ويغدي بمياهه النجير (گير ؟) والنيل.

ووقف المؤلفون الكلاسيكيون طويلا عند مورفولوجية الجبل، وهكذا ميز بلين (*Histoire Naturelle*, V.6 et 99) بين واجهتين للأطلس : واجهة محيطية محددة وصعبة المسالك ،وواجهة داخلية وافرة الخصب، وقدم بومبونيوس ميلاً وصفا مشابها لما جاء به بلين.

وهذه الخاصية المقترنة بالغنى والخصب التي تتميز بها بعض وديان الأطلس تفترق بها قريحة الشعراء. وفي هذا الصدد نقرأ نصاً لإليان Elien نقله لنا الباحث المعاصر Desanges وهو نص يقارب في مضمونه ما جاء به بلين حول خصوبة الأطلس.

هل هذه الأوصاف الواردة عند المؤلفين تنطبق على جهة من الجهات المغربية ؟. هذا ما حاول القيام به باحثون محدثون. فرأى بديش Pedech بأن الواجهتين المتناقضتين للأطلس هما من خصوصيات جبل بويبلان، وبيّن توفنو Thouvenot بأن المنطقة المعينة هي موگادور مع مجموعة التلال القاحلة الموازية للشاطئ، ونقيضها منطقة الحوز، وهي واجهة خصبة ذات مياه وافرة وزراعات متنوعة.

سبق أن ذكرنا أن معلوماتنا عن الأطلس بدأت تغزر مع إلحاق الرومان للمغرب ضمن مستعمراتهم . وبالفعل ، فالاتصال المباشر للقواد الرومان بالجبل تم خلال هذه الفترة.

وكانت ثورة أيديمون Aedemon هي المنافسة الموازية لذلك، فعندما أعلن هذا العبد المعتق العصيان كانت ثورته فرصة سانحة للقواد الرومان لملاحقته والوصول إلى الأطلس، وهذا ما يؤكده بلين (*Histoire Naturelle*) عندما يقول بأن عددا من النبلاء والفرسان منذ مقتل بطليموس سيد أيديمون، وابن يوبا الثاني، قتله الإمبراطور كَرَاكَلاً (ق 1 م). توغلت داخل الأطلس وأصبحت البلاد معروفة لديهم. ولكن بلين لم يفته أن يقف موقف الشك من أقوال النبلاء والفرسان، فلم يقبل إلا المعلومات القريبة من الصواب موضحا بأن الأخطاء الشائعة مصدرها هذه النخبة التي لا تتورع عن قول الكذب لتواري جهلها عوض الحقيقة. وبلين هو الذي يحدثنا عن القنصل سيطونيوس بولينيوس Suetonius Paulinus الذي قام بحملة لإخضاع بعض القبائل المورية، فكان أول من له السبق في الوصول إلى الأطلس، بل أول من استطاع أن يتجاوزه ببعض الأميال (*Histoire Naturelle*, V. 14) واقتدى به القواد الرومان إذ أنهم ليتجنبوا أن يعيد الثوار الكرة، فضلوا ملاحقتهم في عقر دارهم إلى حد جعل بلين يعرب عن اندهاشه من كونهم وصلوا إلى أطلس أثناء متابعتهم للثوار. وأضاف بلين قائلا بأن سيطونيوس Suetonius وهو قائد روماني بلغ الأطلس بعد قطعه لعشر مراحل (*Histoire Naturelle*, V. 15) وتابع سيره في اتجاه واد يعرف تحت اسم غير، وعبر الصحارى ذات الغبار الأسود.

وصفة الأطلس انطلاقا من مشاهدات عيانية ومباشرة تنطبق مع ما جاء به العاهل يوبا الثاني. وبلين نفسه ينقل لنا تقرير يوبا (*Histoire Naturelle*, V. 16). ويذكر بأن عشبا يعرف تحت اسم فربيون Euphorbe لا ينبت إلا بالأطلس، ويقول ديوسكوريد Dioscoride عن هذا النبات الطبي العديد المنافع بأنه يبدو بأراضي الأطولول وهي قبيلة بموريطانيا الطنجية. وهذه القبيلة يحدد بلين (*Histoire Naturelle*, V. 97) منطقة سكناها بين سلا والأطلس.

ويدعم يوبا الثاني الاعتقاد السائد قبله الذي جاء فيه بأن النيل ينبع من الأطلس (Dion Cassius, *Histoires romaines*, LXXV. 13) إلا أن بول أوروزPaul Orose يصحح هذا الاعتقاد عندما يبين في كتابه (*Contre les paiens*) بأن هناك واديا كبيرا بالمنطقة شبيها بوادي النيل يسميه البرابرة عند منبعه درعة Dara، ويطلق عليه المستقرون على ضفافه نوهول Nuhul (أونوخول Nuchul حسب بومبونيوس ميلاً). ويعتقد توفنو بأن النهر المقصود

الذي كانت له خاصيات مماثلة للنيل وتعيش به حيوانات شبيهة بتلك التي كانت تحيا بوادي النيل هو وادي نون (O. Noun).

هل تركت أسطورة أطلس بصماتها فوق الأرض المغربية؟ لم تقدم لنا الحفريات الأثرية أي أثر مادي متعلق بالأطلس، ولكن المحيط الذي يلف أرض الغروب من شمالها إلى جنوبها اكتسب خاصية أطلسي Atlantis بالنسبة للجبل (*Histoire Naturelle*, V. 6 et 99). كما أن السلسة الجبلية تحتفظ إلى يومنا هذا بالتسمية الإغريقية وإلى جانبها التسمية المحلية.

ونكتشف أيضا قصة أطلس من خلال حدائق الهسبيريد التي تحتفظ بذكراها لوحة بيضوية بفيسفاء منزل أعمال هرقل بوليلي. فتفاحاتها الذهبية مكنت العملاق أطلس من أن يستريح بعض الوقت من حمله عندما ذهب لإحضارها لضيفه هرقل مقابل حمل هذا الأخير لقبة السماء. وأراد أطلس أن يحمل بنفسه التفاحات الذهبية لابن عم هرقل أوريستي Eurysthee لأنه هو الذي طالب بها هرقل ليتملص من المسؤولية، ولكن مكر هرقل جعل الثقل يعود له. ومن يومها وأطلس يرزح تحت ثقل قبة السماء.

Diodore de Sicile, Bibliothèque historique d'après J. Ramin, *"Le Périple d'Hannon"* dans Bar (British Archeological Reports) Supplementary series 3, 1976 ; Herodote, *Histoires*, Texte établi et traduit par Ph. E. Le Grand, éd. Les Belles-Lettres, Paris, 1946 ; Lucain, *Guerre civile*, éd. Belles-Lettres, Paris, 1926 ; Lucrece, *De la nature*, traduit par A. Ernout, G. Bude, Paris, 1937 ; Ovide, *Métamorphoses*, établi et traduit par G. Lafay, éd. Belles-Lettres, Paris, 1957 ; Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, éd. par J. Desanges, Belles-Lettres, Paris, 1982, Livre V. p. 1-46 ; Pomponius Mela, *De Choregraphia*, établi et traduit par G. Lafay, éd. Belles-Lettres, Paris, 1957 ; Vitruve, *De Architectura VIII*, texte établi, traduit et commenté par L. Callebat, éd. les Belles-Lettres, Paris, 1973 ; Darenberg Saglio, *"Atlas"*, Dictionnaire des antiquités Grèques et Romaines I (1), 1877, p. 526-528 ; R. Raymond, *Le Maroc chez les anciens*, éd. les Belles-Lettres, Paris, 1924 (pp. 4, 22, 36, 39, 42) ; F. De Lachapelle, *"L'expédition de Suetonius Paulinus" dans le sud-Est du Maroc*, Hespéris XIX, I - II, 1934, pp. 107-124 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien*, Hespéris XXVI, 1939, pp. 113-121 ; *Deux mosaïques romaines de Volubilis à sujets mythologiques*, Psam, VI, 1941, pp. 67-81 ; J. Ramin, *Le Périple d'Hannon*, Bar supplementary series 3, 1976 ; S. Gsell, *Connaissances géographiques des Grecs sur les côtes africaines de l'Océan*, études sur l'Afrique antique, Scripta Varia, Lille III, 1981, pp. 175-194 ; A. Jodin, *Volubilis Regia Jubae, contribution à l'étude des civilisations du Maroc antique préclaudien*, éd. CNRS et Casa de Velasquez, éd. De Boccard, Paris, 1987.

بلكامل البيضاوي وعبد العزيز بلفايدة

الأطلس - أقسام - من المعطيات المساعدة على تحديد هذا الجبل قول Strabon «عندما نمرُّ بمضيق الأعمدة، وليبيا على شمالنا، نجد الجبل الذي يسميه اليونان الأطلس»، إلا أن الجغرافي الروماني لم يسمّ بدوره هذا الجبل، بل اكتفى بالقول بوجود "خط جبلي مكون من عدة سلاسل متوازية ما بين رأس كورتس والسِّرت» من بينها من الغرب إلى الشرق جبل الاخوة السبعة، جبل القردة وأخيرا جبل أبيلا، وهي جبال تشكل حسب Besnier "الساحل الإفريقي لمضيق جبل طارق".

إلا أنه يظهر من خلال حديثه عن أعمدة هرقل التي تدل على "كالبي" (على الساحل الإسباني) وأبيليك (على الساحل الإفريقي) "أن أطلس وأبيليك اسمان لنفس الجبل ؛ وهذا بالطبع إذا سلمنا مع Berard أن كلمتي أطلس وأبيلا يقصد بهما العمود.

ومهما يكن فكلمة أطلس كانت عند الإغريق، على ما يبدو، تطلق على الجبال المطلة على مضيق جبل طارق من جهة الجنوب الممتدة بين سبتة شرقا وطنجة غربا، مما يدل على أن المعرفة الجغرافية لدى هؤلاء كانت تقتصر على البحر الداخلي (البحر الأبيض المتوسط) من جهة وعلى أنها لم تكن تتعدّى مضيق أعمدة هرقل من جهة أخرى.

غير أن كلمة أطلس أصبحت لها دلالات أخرى لدى الجغرافيين الرومان الذين كانوا يطلقونها على جبال توجد في أغلبها خارج منطقة مضيق الأعمدة. وأقدم هؤلاء Polybe الذي وضع الأطلس على حد تعبير Thouvenot "وسط المجال الممتد بين قرطاجنة ونهر السينغال أي أمام جزيرة سرني وفي الحد الجنوبي لموريتانيا". وهو موقع أقل ما يمكن أن يقال عنه : إنه مخالف لموقع الأطلس لدى الإغريق. إلا أنه يوافق الموقع الذي حدده بلين القديم لهذا الجبل حيث قال : «وهذه المدينة [مدينة شالة] المجاورة للصحاري، تغزوها قطعان من الفيلة وأكثر منها شعب الأوطولول الذي يتعين اجتيازه للوصول إلى جبل أطلس، أغرب جبال إفريقيا».

ولعل أهم ما يسترعي الانتباه عند بلين القديم من جهة أخرى، ذكره لكلمة ديريس Dyris التي تعني الأطلس عند الأهالي. وهو اسم ورد ذكره بعد ذلك على لسان بطليموس بصيغة ديور Dior والذي كان يقصد به "الكتلة الجبلية الواقعة شمال وليلي"، لعلها زرهون أو الريف.

غير أن بطليموس لم يقف عند هذا الحد بل ذهب إلى التمييز بين ما سمّاه بالأطلس الصغير Atlas minor الذي ينفذ إلى المحيط بعد مصب نهر دياس الذي قد يكون هو وادي الملح (Besnier) وبين الأطلس الكبير Atlas major الذي قد يكون هو جبل إيداوتنان (Besnier).

ولعل أغرب ما جاء على لسان بطليموس ذكره لعدة أسماء من نفس الجذر تشبه إلى حد بعيد كلمتي ديوروديريس، وهي دُورْدوس Durdus الذي ينبع منه وادي ملوية ؛ ماندروس Mandrus الذي تنبع منه الأنهار الساحلية الصغيرة الواقعة بين سوبوس (سبو) وداراس (درعة)، وهي في نفس الوقت تذكر باسم درن. ومهما يكن من أمر فإنه يبدو واضحا :

1. أن كلمة أطلس كانت تعني لدى الإغريق الجبال المتواصلة على طول ساحل البحر المتوسط.

2. أن استعمالها امتدًّ لدى الرومان إلى الجبال الأطلسية الواقعة جنوب مدينة شالة.

3. أن مقابلها لدى الأهالي هو ديريس أو درن.

مما يدل على أن التأريخ لكلمة "أطلس" لا يختلف كثيرا عن التأريخ للمعرفة الجغرافية لدى كل من الإغريق

والرومان. ويتبين من خلال ما سبق أن الرومان أعرف من الإغريق بالمجال المغربي ؛ وهذا ليس بغريب إذا علمنا بأن الرومان أمدوا سيطرتهم على شمال المغرب تحت اسم "موريتانيا الطنجية" وأن جيوشهم وصلت إلى قدم السفح الجنوبي للأطلس الكبير بقيادة سويطونيوس باولينوس.

إلا أن كلمة أطلس اختفت تماما بعد الفتح الإسلامي لتحل محلها كلمة درن المحلية التي عرفت رواجا كبيرا على لسان المؤلفين العرب. ولربما يعود الفضل في ذلك إلى الجغرافي الأندلسي أبي عبيد البكري الذي أعطى وصفا عن جبل درن تناقله من بعده جل المؤرخين والجغرافيين العرب.

يقول البكري في وصف جبل درن : «وهو جبل معترض في الصحراء معمور بقبائل صنهاجة وغيرها، وهو الجبل الذي يقال أنه متصل إلى المقطم بمصر ... ويقال أنه أكبر جبال الدنيا وهو يتصل بجبل أوراس وبجبل نفوسة المجاور لأطرابلس». وإذا علمنا أن ذكر جبل درن جاء عند حديثه عن الطريق الرابطة بين أغمات وسوس أصبح من الواضح أن جبل درن يقصد به الجزء الغربي من الأطلس الكبير الحالي ؛ وهذا شيء جديد بالنظر إلى الغموض الذي كان يحيط بكلمة أطلس لدى الإغريق والرومان.

غير أن الجغرافي الأندلسي سرعان ما يتجاوز هذا المعنى ليجعل من درن مجموع السلاسل الجبلية الأطلسية الواقعة جنوب وشرق مراكش وفاس، ويظهر هذا عند حديثه عن جبل أزرو الذي ورد ذكره عند كلامه عن الطريق الرابطة بين تامدولت وأوداغشت والذي قال عنه انه "جبل متصل بجبل نفوس من جبال أطرابلس وأحسبه جبل درن" من جهة وعن "جبل درن المعروف "بسنجفوا" عند وصفه للطريق الرابطة بين سلجماسة وفاس.

وهو تعميم لا يختلف عن التعميم الملاحظ لدى الإغريق والرمان إلا بكون كلمة درن لم تعد تشمل جبال الساحل المتوسطي.

وتجدر الإشارة إلى أن تمييز جبال عن غيرها من باقي الجبال المغربية ازداد وضوحا بعد ذلك، فقد ورد عند ابن سعيد المغربي مثلا ذكر جبل دارن أو درن إلى جانب جبال أزرو وگزولة وصنهاجة ومديون الواقع شرقي فاس والذي يختلط "من جنوبه بجبل درن ومن شماله بجبل تازا وجبال غمارة"، وأخيرا جبلي تازا وغمارة. فيكون جبل درن على هذا الأساس هو جبل الأطلس الكبير الغربي الذي يشكل حسب ابن سعيد نفسه موطن قبائل "هسكورة وهزرجة وهرغة وهنتاتة وتينملل وگدميوة وجنفيسة وحاحة ورگراگة".

وهو تحديد نجده من جهة أخرى عند ابن خلدون الذي عاد، بعد التذكير بامتداد جبال درن «من ساحل البحر المحيط عند أسفي وما إليها وتذهب في المشرق إلى غير نهاية» لينعت جبال درن بجبال المصامدة إيمانا منه بأن المصامدة بطون ثلاثة : "برغواطة وغمارة وأهل جبل درن".

ولكنه لا يتردد أحيانا أخرى في أن يطلق اسم درن على الجبال الواقعة خارج هذا المجال كقوله في شأن الطبقة الثالثة من صنهاجة «فمنهم الموطنون بالجانب الشرقي من جبال درن ما بين تازا وتادلا ومعدن بني فازان» وهم "المعروفون باسم صناگة".

لا شك أن النتيجة التي تتبادر إلى الذهن هنا هي كون المؤرخين والجغرافيين العرب كانوا يطلقون اسم درن على مجموع الجبال الأطلسية، وهو تعميم ظل قائما على الأقل إلى حدود نهاية القرن الثامن عشر الميلادي.

ولعل أغرب ما كتب حول جبل درن ما جاء في كتاب *الأنساب* بقوله : «وكان هذا الجبل الذي هو في قبلة أغمات كان الأوائل يسمونه خشكوا من ما ردت ملوية إلى إيغير أن يطوف وسمي في المغرب الأوسط درن ويسمى أيضا ببلد هوارة بجبل أوراس ويسمى في المغرب الفوقي المقطم، يقال أنه أكبر جبال الدنيا». لربما كانت كلمة خشكوا في عداد أسماء الأماكن الغابرة والتي كان يقتصر استعمالها على مجال محدود.

وقد يكون ظهور أسماء محلية مرتبطة بأسماء القبائل من العوامل الرئيسية التي ساهمت في اختفاء كلمة درن أو على الأقل في تراجع مجال استعمالها بعد القرن 18 الميلادي. ذلك لأن اسم أدرارن درن (جبل درن) لم يعد يطلق على حد تعبير شارل دوفوكو إلا على "الجزء الغربي من الأطلس الكبير" أو على المجال الممتد بين تيزي نتشكا شرقا وتيزي نماشو غربا جنوب مراكش أي المنطقة التي أسماها Jean Dresch "الكتلة القديمة للأطلس الكبير". بل يذهب بعضهم، وخاصة سكان سوس، إلى حصر هذه التسمية على الجزء الأكثر ارتفاعا من الأطلس الكبير من جهة أو على جبلين اثنين فقط أحدهما بأعالي تيفنوت (ويبلغ ارتفاعه 3851 م) والثاني بأعالي إرگيتْنْ (وارتفاعه 3025 م) غرب جبل أوْليم من جهة أخرى. وهو اختفاء ساعد عليه تدريس مادة التاريخ والجغرافيا باللغة الفرنسية إبان الحماية من جهة، ولم يفلح في تجاوزه تعريب هذه المادة بعد الاستقلال من جهة أخرى.

ومهما تكن الحال فإن البحث في تاريخ كلمة أطلس أو درن لا يختلف البحث في أسماء الأماكن الأخرى. ومن البديهي أن يشمل هذا البحث زيادة على الجانب التاريخي الجانب اللغوي لهذه الأسماء.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن معنى كلمة أو أدرارن درن لا يزال غامضا، بدليل تعدد المعاني التي أوردها كل من الألماني ماكس كِدَنْفَلْدْت وعلى إثره اللغوي الفرنسي إميل لاووست.

فقد جاء على لسان ماكس كدنفلت في هذا الموضوع أن كلمة أدرارن درن تعني "جبل الرعد أو الضجيج، الجبل المتكلم" ؛ وينفي في نفس الوقت أن يكون "درن اسم علم بدون معنى" كما جاء على لسان دوفوكو.

ويرى إميل لاووست أن جبل درن أو ادرارن تدرن معناه

جبل الجبال (إدرارن إدرارن) أو جبل البلوط (أدرارن درنان) أو الجبل الذي يتحسر (أدرار إندّرن) أو جبل الرعد. إلا أن أقرب هذه المعاني إلى واقع جبل درن هو جبل الجبال. إذ يعتبر جبل درن بحق أعلى الجبال المغربية على الإطلاق.

إن الرحالة والمستكشفين الأوروبيين قد لعبوا دورا هاما من انبعاث كلمة أطلس بعد القرن 16 : وقد يكون مرد ذلك الوقع الذي خلفه مؤلف *وصف إفريقيا* الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي لدى المهتمين بجغرافية شمال إفريقيا. ذلك لأن هذا الأخير يعتبر على ما يبدو أول من استعمل كلمة أطلس بدلا لكلمة درن من بين المؤلفين العرب.

إلا أن الأوروبيين سرعان ما انتبهوا إلى أن جبال الأطلس تحمل أسماء تتغير بتغير أسماء الأقاليم أو المناطق التي تقع فيها. ويعتبر التقسيم الذي خلفه شارل دوفوكو أول محاولة حقيقية في هذا المجال. فيقول بعد تمييزه عن الأطلس الجزائري، والأطلس التونسي "بأن الأطلس المغربي يتألف أساسا من ثلاث سلاسل متوازية"، وهي الأطلس الكبير، والأطلس الصغير جنوب هذا الأخير، وأخيرا الأطلس المتوسط شماله. وهي أسماء ـ يقول دوفوكو ـ مستمدة من لغتنا ولن يفوتنا هذا التذكير بأن هذا التقسيم لا يختلف عن التقسيم الذي لمسه بعض المؤرخين والجغرافيين العرب أمثال البكري وابن سعيد. إلا لكونه يتبنى على معيار الارتفاع من جهة وبأنه لا يزال قائما إلى الآن، كما هو معروف من جهة أخرى.

أ. البكري، *المغرب* ؛ مجهول، *كتاب الأنساب*، مخطوط خ. ع. ك 1275 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، ج. 6 ؛ ع. ابن سعيد، *كتاب الجغرافيا* ؛ أ. الزياني، *الترجمانة الكبرى*.

Strabon, *Géographie* ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; M. Quedenfeldt, *Division et répartition de la population*; V. Bérard, *Les Phéniciens et l'Odyssée*, t. 1, Paris, 1902 ; M. Besnier, *Géographie ancienne du Maroc*, Archives Marocaines, Vol. I, 1904, pp. 301-365 ; F. De La Chapelle, *L'expédition de Suétonius Paulinius dans le Sud Est du Maroc*, Hespéris, Vol. XIX, 1934, p. 107-124 ; R. Thouvenot, *La connaissance de la montagne marocaine chez Pline l'Ancien*, Hespéris, t. XXVI, 1939, p. 113-121.

أحمد بلاوي

الأطلس الصغير ـ تاريخ ـ ← **جزولة**

الأطلس الصغير ـ جغرافيا ـ اسمه القديم أنكيس (Meunié, *Le Maroc Saharien*, 347) سلسلة جبلية تمتد جنوب الأقاليم المتوسطية من المغرب، عند حدود المجالات الصحراوية. وتنتمي للقارة الإفريقية من الناحية البنيوية، إذ توجد بها أقدم صخور المغرب وكذا أقدم البنيات مشكلة لسلاسل عتيقة، أتت عليها التعرية وسوتها عدة مرات بينما لم تتجدد الحوادث الانضغاطية والالتوائية التي تمثل أصالة التضاريس في الأقاليم الشمالية المتوسطية. فالأطلس الصغير إذن جزء من الصحراء أو على الأصح هامشها الشمالي مناخيا وبنيويا.

تمتد هذه الكتلة الجبلية على مسافة 725 كم من المحيط الأطلنتي إلى حدود تافلالت، بينما يتراوح اتساعها بين 25 كم كأدنى (عند مستوى أكنات) و 130 كم كأقصى في الجهة الوسطى والغربية. وهي سلسة متميزة عن التضاريس العليا المجاورة، ماعدا في جهتها الوسطى حيث يربطها بركان سيْرواَ بجبال الأطلس الكبير، مكونا بذلك قنطرة شديدة الاَرتفاع (3304 م) بين السلسلتين.

وتتكون كتلة الأطلس الصغير من مرتفعات محورية تحيط بها أحواض متنوعة التشكيل. المرتفعات عبارة عن هضاب عليا شديدة التقطع، مشكلة في صخور قديمة، تنتمي لبداية الزمن الأول، يغلب فيها العنصر الكربوناتي، وتمتد حول بهرات عادة جبلية تمثل أنوية محدبات تم إبراز قاعدتها القبلكمبرية القديمة. وتحيط بهذه المرتفعات أحواض عدة محورة شمالا على طول الحادث الجنوبي الأطلسي (مجموعة الأحواض القبلافريقية) ومتمثلة جنوبا في منخفضات طولية على واد درعة الأسفل والأوسط، ودائرية شرقا ناحية تافلالت.

أقوى ارتفاعات تسجل داخل الأنوية القبلكمرية، حيث تصل قمة صاغرو بجبل أمالو ـ ن ـ منصور إلى 2712 م، وقمة أكَليم قرب إغرم إلى 2531 م، وقمة لكست قرب تافراوت إلى 2370 م. جل القمم تتوافق مع صخور شديدة المقاومة هي عبارة عن كتل كوارتزيتية ضخمة. أو طفوح ريوليتية أو من الأندزيت. ويمتاز تشكيل جل هذه الأنوية القديمة البارزة بتقطع حاد للسطح، يجعل المرتفعات تتجزأ إلى متون لها قمم حادة وسفوح وعرة، لكن تتخللها منخفضات تتوافق مع بروزات صخرية أقل مقاومة مثل السلسلات الشستية والظهورات الگرانيتية المتفسحة. ومن أشهر هذه الأحواض الداخلية، حوض تافراوت الگرانيتي، على مقربة من عرف لكست المرتفع.

وتحيط بهذه التضاريس الجبلية البارزة هالة من الهضاب توافق الغطاء الرسوبي الذي يغشي القاعدة القبلكمبرية. وهذا الغطاء تغلب فيه الطبقات الكربوناتية الكلسية والدولومية وصلابة هذه الضخور وتجانسها هما المسؤولان عن تجانس سطح هذه الهضاب الممتدة. إلا أن استواءها ليس مرتبطا بظروف بنيوية مباشرة، بل يرجع إلى تسطيح تحاتي أصاب الهوامش الرسوبية لكلتلة الأطلس الصغير، في عهود قريبة، تنتمي لنهاية الزمن الثالث.

وقد امتد هذا التسطيح بعيدا نحو الجنوب في اتجاه الأحواض العالية لدرعة، ونحو الشمال تجاه سوس. إلا أن تدخل التعرية الانتقائية على حساب الصخور الهشة بعد الكمبرية، والتدخل المحلي لحوادث بنائية هامة، كل هذا أدى إلى تحول هوامش الجبل إلى منخفضات، تمثل السهول المحيطة حاليا بالسلسلة الجبلية، فجلها، وخاصة منها الجنوبية الممتدة على طول واد درعة، نتاج التعرية الانتقائية التي أتت على الطبقات الشستية السميكة. وتتوسط هذه أشرطة طولية بارزة هي عبارة عن أعراف تتوافق مع الدكات الحثية والكوارتزيتية. أما سوس، ومنخفض ورزازات فهما أساساً ناتجان عن حركة التهدل

التي عرفها هذا المجال الممحور على طول الأخدود الجنوب أطلسي.

وقد تزامنت مع آثار التعرية الانتقائية جنوبا، والتهدل البنائي شمالا، تعرية عمودية تتجلى في التعمق الشديد الذي عرفته الأودية النازلة من المحاور الجبلية في اتجاه المنخفضات المجاورة، أو الأودية التي تقطع السلسلة كليا مثل واد درعة. بينما في المراحل السابقة كانت هذه المجاري تجري عند سطح الهضاب التحاتية، تساهم في تحقيق التسوية الشمولية التي بقيت آثارها إلى الآن. وفي عدد من المنخفضات المحلية، تركت هذه المياه توضعات كربوناتية بحيوية، تشهد على التطور الكارستي للهضاب الهامشية للأطلس الصغير. هذه المياه المحملة بالمحلولات، هي المسؤولة عن تكوين الحمادات في الحدود الجنوبية للمرتفعات الجبلية، وتغطيتها بطبقة ممتدة من الكلس البحيري.

وتوقفُ هذا التوازن الذي دام خلال النيوجين، يعزى إلى الأحداث البنائية التي وقعت في نهاية البليوسين، والتي ارتفعت بموجبها سلسلة الأطلس الصغير فوق المنخفضات المحيطة بها. كل الأودية صارت تنحت عمودا، فتخطت بتعامد المحاور البنائية القديمة، راسمة خوانق عميقة في الصخور الكلسية، وموسعة مجراها عند اجتيازها للطبقات الصلصالية والشستية اللاحقة (جيورجي أعلى وأكادي). وهذا يشير إلى موازاة التضاريس والتشكيل للمعيار الضخاري قبل غيره.

حقيقية، لكن تم تأريخ بعضها اعتمادا على عدد من العناصر الكيماوية الإشعاعية. ويتضح أن هذه القاعدة تتضمن في جذورها أقدم الصخور الظاهرة في شمال إفريقيا حيث تعود بعض البقايا الأركية إلى ما قبل 2.5 مليار سنة قبل الحالي.

هذه الصخور القديمة لا تنمتي إلى جبل واحد، بل هي مكونة على الأقل من ثلاث دورات متوالية. والتفريق بينها يعتمد أساسا على تحديد مستويات التنافر التي تفصلها. ذلك أن كل دورة تتكون من رواسب شديدة الالتواء تخترقها صخور باطنية بركانية وگرانيتية، تعرضت لتعرية عنيفة قبل تغطيتها من طرف المجموعة الصخرية للدورة اللاحقة.

وداخل هذه السلسلات الصخرية المعقدة، تنفرد بعض المجموعات، بسبب الدور المتميز الذي تلعبه عند السطح. ومن بينها الكوارتزيت السميك (أكثر من 1000 م) المنتمي للقبلكمبري الأوسط الذي يشكل أغلب الأعراف العليا في السلسلة. من بينها كذلك بعض الظهورات الگرانيتية التي تشكل فيها أجمل الأحواض المفرغة داخل ركيزة جد متفسخة كما هو حال ناحية تافراوت. ومنها أخيرا طفوح بركانية سميكة وصلبة، من ريوليت وأندزيت، تضاريسها شديدة التقطع كما هو الحال في وسط كتلة كردوس وشمالها وكتلة إفني وجبل صغرو.

- ثانيا الغطاء الرسوبي الأولي : هذه القاعدة القديمة المتعددة المراحل، تغطيها بتنافر زاو واضح، سلسلة رسوبية

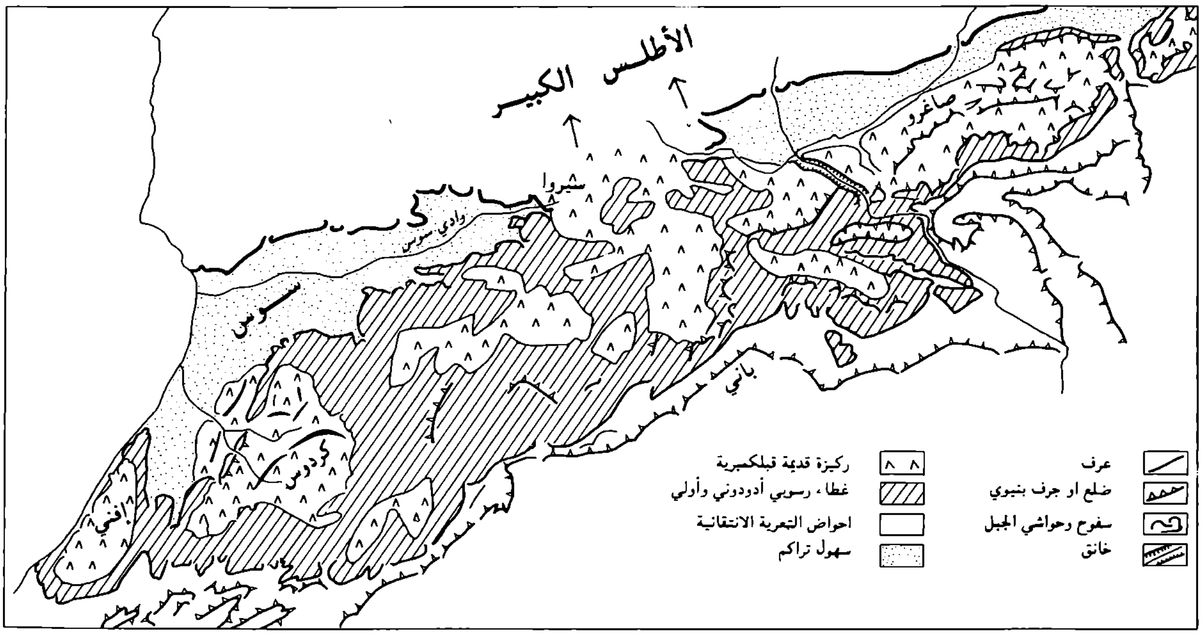

الأطلس الصغير : رسم مرفونيوي

جيولوجياً، يمكن تقسيم السلسلة إلى ثلاثة أوساط من النواحي الصخارية والتطبيقية والتكتونية.

- أولها المحدبات المشتقة القبلكمبرية : هي مكونة من صخور غابرة في القدم، غالبا لا تحتوي على مستحاثات

جد سميكة، تنطلق من ما قبل الكمبري، من فترة الأدودوني، لتنتهي في حدود السلسلة الجبلية الأولى في الأسفل، بينما تستمر بعيدا عنها حتى العصر الفحمي في جبل واركزيز قرب حمادة درعة.

المستويات الرسوبية الأساسية داخل السلسلة تعود لعهدي الأدودوني والجبيورجي وتتكون قبل كل شيء من مواد كربوناتية، قد تتخللها بعض الطبقات الصلصالية. ويصل سمك السلسلة الرسوبية ألى أكثر من 1000 م، خاصة الأجزاء الغربية من الأطلس الصغير. وفي نهاية الجيورجي خلال الأكادي، تتوضع طبقات فتاتية أقل صلابة، تمتاز بالتناوب، حث وشست، لتصبح هذه القاعدة مستمرة بعد ذلك خلال العهود اللاحقة من الزمن الأول. وفي هذا التناوب الصخاري يكمن السر في التضاريس الأپلاشية، المرتبطة بالتعرية الانتقائية التي تتميز بها الهوامش الجنوبية بين سلسلة الأطلس الصغير. كما أن المرور المفاجئ من الصخور الكاربوناتية الأدودونية والجيورجية، إلى المجموعات الهشة الأكادية هو السبب في اتضاح معالم الحدود الجبلية، وفي التناقض الصريح بين التضاريس الجبلية والأحواض الهامشية.

من الناحية التكتونية، يعتبر الأطلس الصغير جزءا من القاعدة الإفريقية قليلة التشويه. ذلك أن أهم المراحل البنائية في السلسلة، قديمة جدا، همت الركائز القبلكمبرية، بينما الدورات التكتونية الأولية والثلاثية أقل عنفا. فهي أساسية في منحها للتضاريس مظاهرها الجبلية، لكنها لم تتميز بشدة الانضغاط وقوة التشويه، كما هو الحال في الأقاليم الشمالية من المغرب.

فالتكتونية الهرسينية قد اتخذت طابع التقبب الشامل، جعلت السلسلة تكون طية عميقة كبرى، تبلغ أقصاها في مراكز منفردة تصاعدت بقوة، تتوافق حاليا مع الأنوية القبلكمبرية البارزة. وعلى جوانب هذه القبات المعرضة للتعرية وإزالة الغطاء الرسوبي الأولي، تنحدر الطبقات الرسوبية شمالا وجنوبا، مشكِّلة الهوامش الهضبية المنحوتة.

وقد تعرضت السلسلة من جديد لآثار التكتونية خلال بداية الثلاثي، في الوقت الذي كان فيه الأطلس الكبير في طور النشوء. إلا أن الحركات الأطلسية كانت هناك جد مخففة ولم تتخد قط طابع الالتواء. أهم ما وقع، معاودة الرفع الشمولي للسلسلة، ومعاودة أهم الانكسارات، مع ظاهرة عدم تماثل بين جانبي السلسلة الشمالي والجنوبي. جنوبا تنحني الطبقات ببط، الشيء الذي سمح بوضوح آثار التعرية الانتقائية وبتشكيل تضاريس أپلاشية هي عبارة عن أعراف بارزة حتية وأشرطة سهلية محفورة في الطبقات الشستية السميكة. شمالا، على مقربة من الحادث الجنوب ـ أطلسي، كانت التكتونية أعنف، تتمثل غربا في نزول مفاجئ للقاعدة القديمة تحت تراكمات سوس، وشرقاً في ميل قوي للطبقات الرسوبية على هامش صغرو وأوگنات، وفي الوسط بروز صخور بركانية ثلاثية في جبل سيروا.

جغرافيا، يوجد الأطلس الصغير ضمن النطاق الجاف، إلا أن الارتفاع يقلل من الخصاص المائي، خاصة في القمم الوسطى للسلسلة المتميزة بانخفاض حرارتها خلال فصل طويل من السنة. إلا أن أهم شذوذ يلاحظ في الجهة الغربية المحيطية من الأطلس، حيث سبب رطوبة الجو، وحدوث اضطرابات قوية ومترددة في بعض السنوات، تنفرد منطقة تمتد على حوالي 100 كم نحو الداخل، تمتاز باعتدال حراري، وكثافة نسبية للغطاء النباتي، وسمك خاص للتربة.

عبد الله العوينة

الأطلس الكبير ـ تاريخ ـ ← **مصمودة**

الأطلس الكبير، ـ جغرافيا ـ سلسلة جبلية عرفت لدى المؤرخين المغاربة بجبال "درن" وهي كلمة مشتقة من التسمية المحلية "إدرارن" ج "أدرار" أي الجبل. وعرفت لدى الجغرافيين الأوروبيين منذ قرون بالأطلس، ويرجح بعض الباحثين أن الإغريق هم الذين أوجدوا هذا الاسم، وهو تحريف مخفف على الطريقة الإغريقية للتسمية الشائعة لدى البربر : أدرار، والتي وصلت إليهم عن طريق الفينيقيين، لكن البعد والغموض دفعهم إلى إلصاق أساطير بهذه الجبال، حيث جعلوا منها ماردا جبارا، اسمه أطلس يحمل قبة السماء على كتفيه. واستعمل بعض المؤرخين والرحالة الإغريق والرومان التسمية المحلية "درين" بينما استعمل آخرون مثل بطليموس كلمة "أطلس" وظلت كلمة "أطلس" تتنازع مع الكلمة المحلية "درن" لدى الجغرافيين الأوروبيين إلى بداية استعمار شمال إفريقيا حيث تغلب اسم "أطلس" في الجغرافيا الحديثة.

التوطين وأهم المميزات : الأطلس الكبير سلسلة جبال ضخمة، تفوق كل مثيلاتها بالشمال الإفريقي، تمتد جنوب المغرب بين خطي عرض 31 و 33 شمالا، على طول 700 كم من سواحل المحيط الأطلنتي إلى المغرب الشرقي، يتراوح اتساعها بين 50 و 120 كلم. وهي عبارة عن طية أرضية كبيرة رفعت القاعدة الهرسينية إلى ارتفاع كبير يتجاوز 4000 م في 8 قمم و3000 م في كتل ضخمة مثل توبگال ومگون والعياشي، مما جعلها تتعرض في فترات أكثر برودة ورطوبة إلى تعرية جليدية. والسلسلة ذات تاريخ جيولوجي قديم انطلق بالالتواء الهرسيني. لكن التعرية اللاحقة سوت المنطقة وحولتها إلى سهل تحاتي غمرته البحار ورسبت عليه طبقات رسوبية، ثم تعرض لحركات رفع في نهاية الزمن الجيولوجي الثاني وبداية الثالث متفقة مع الحركة البيرينية أدت إلى ارتفاع الكتلة إلى غطائها الرسوبي وظهور فوالق عميقة، كونت مناطق ضعف، استغلتها عوامل التعرية في تكوين أحواض وأودية وفجاج، كما نتج عنها تدفقات بركانية. وفي الزمن الرابع الجيولوجي اتخذت السلسلة شكلها الحالي بعد أن غيرت معالمها جزئيا فترات متقطعة من التعرية المرتبطة بالجليد والصقيع. كما تعمقت الأودية لتهدل السهول المجاورة. يحدها من الجنوب سلسلة فوالق تمتد من أگادير إلى أقصى شرقها. أما من الجهة الشمالية والغربية، فتحدها ثلاثة سهول هي الحوز وتادلا وملوية وما بين السهلين الأخيرين، تلتحم بسلسلة الأطلس

المتوسط على طول 100 كلم (P. Schwell, *L'Atlas marocain*, Paris, 1890)، وتكون السلسلة حاجزا طبيعيا يفصل بين السهول المعرضة للمؤثرات المحيطية والمغرب الجنوبي المعرض للمؤثرات الصحراوية، مما يخلق تباينا كبيرا بين سفوحه الشمالية الغربية الرطبة، وسفوحه الجنوبية الشرقية الجافة، وينعكس هذا بالتالي على أنماط الإنتاج والمشاهد الجغرافية، إلا أن هناك عوامل مشتركة كالشكل القببي للقمم ووجود هضيبات معلقة وأحواض داخلية وأودية متعمقة، جزأت السلسلة وعاقت التنقل على طولها، لكنها سهلت التغلغل داخلها وعبورها من الفجاج الكثيرة بها.

لقد استوطن الإنسان الأطلس الكبير منذ العصر الحجري الأوسط، كما تدل على ذلك النقوش الحجرية بهضبيتي ياگور وأوكايمدن وفج تيزى ن تيرغيست، كما كان ملجئا لسكان السهول المجاورة عند حلول أزمات الجفاف أو لاضطرابات بشرية. وجماعات الصيادين الرعاة القادمين من الصحراء الكبرى بعد استفحال جفافها. وقد تكيف السكان مع هذا الوسط الطبيعي الصعب بابتكار أساليب فلاحية تقوم على الجمع بين زراعة مسقية للحبوب والأشجار بقيعان الأودية والمدرجات وتربية الماشية.

إلا أن عوامل الاختلاف بالأطلس الكبير كثيرة، ويرجع ذلك لعوامل طبوغرافية ومناخية وبشرية واقتصادية، مما حدا بالجغرافيين إلى تقسيمه إلى ثلاث وحدات متباينة :

I ـ الأطلس الكبير الغربي : يمتد من المحيط الأطلنتي إلى فج تيزى ن تيشكا، ونظراً لاختلاف البنية الجيولوجية بين طرفيه فإنه ينقسم بدوره إلى قسمين :

أ ـ قسم غربي : يتكون من هضاب كلسية متموجة (إداوتنان) يتراوح ارتفاعها بين 700 و 900 م. في هذا المجال، كان الرفع البنائي متواضعا بحيث لا تظهر ليات قوية سوى بالهوامش الشمالية خاصة في جبل "أمسيتن" (900 م) والجنوبية، حيث نجد كأعلى قمم سلسلة محدبات منكسرة ذات اتجاه ج. ج غ ـ ش ـ ش ش يبلغ أعلاها 1800 م. تنتمي الصخور إلى فترة الجوراسي والكريتاسي، لكنها تختفي في الهوامش الغربية، تحت غطاء من الرمل والحت البليورباعي. تقطعها أودية متسعة تجف في معظم السنة، أهمها وادي القصب وأيت اعمر. يشرف هذا الجزء على المحيط الأطلنتي بساحل قوي الانحدار كثير الرؤوس أهمها: تانفْلي وگير. وينتهي شرقا عند المنخفض الترياسي لأسيف أيت موسى (حوض أرگانا) حيث تنتشر صخور هشة من الطفل والطين والحت، وفج تيزى امعاشو (أوماشو) : 1100 م.

ب ـ قسم شرقي : يمتد من حوض أرگانا غربا إلى وادي غدات وتيزى ن تيشكا (2206 م) وهنا يصل الأطلس الكبير أقصى علوه إذ يتضمن أعلى قمم إفريقيا في سلسلة ضيقة (50 كلم) جنوب أمزميز، مما يجعله كجدار يفصل بين شمال المغرب وجنوبه. وقد درج الجغرافيون على تسميته بالأطلس المركزي أو المراكشي.

تتميز بنيته بالتعقيد الجيولوجي، إذ تظهر هنا القاعدة القديمة، التي ترجع إلى الزمن الأول والقبلكمبري.، وقد أزالت عوامل التعرية غطاءها الرسوبي، بحيث لم يعد يظهر سوى بالهوامش الجنوبية والشمالية بصفة خاصة متأثرا بحركات اللَّيْ أو شكل دكات ضيقة بالهضيبات المعلقة. وهو يتكون من طبقات متوالية للشيست والكلس والحت والطين، ترجع إلى الزمنين الثاني والثالث. كما تعرضت البنية لانكسارات ذات اتجاه شرقية ـ غربية تنطبق على المجاري العليا لروافد واد نفيس مثل أوگدمت وأگنديس، وأخرى شمالية جنوبية، تظهر بالمجاري الوسطى لوديان نفيس وغيغاية وأوريكا.

وأهم وحدة تتميز بأصالتها ، هي : حوض وادي نفيس الذي في قلب الكتلة المركزية حيث توجد طبقات رسوبية سميكة هشة من البرموترياس، مما أفسح المجال لفتح أحد المحاور الأساسية لعبور الأطلس، عبر تيزى ن تاست (2092م). وعلى جانبي الحوض، توجد كتلتان عاليتان : كتلة غربية (إگديت ـ أردوز) يتجه خط قممها بعيدا نحو الجنوب، أهم قممها : أردوز (3580 م) إگديت (3616 م) و أوليم (3550 م)، مما يجعلها تشرف بعنف على سهل سوس. تتكون في معظمها من الشيست والحت الباليوزيكي تتخللها كتل اندفاعية من الگرانيتو تظهر بوضح في هضبة تيشكا.

وإلى شرق نفيس يوجد أضخم جزء من القاعدة هو كتلة توبكال التي كانت تعرف بأدرار ن إدرارن يتكون من صخور اندفاعية كالگرانيت ومواد صهيرية متنوعتة كالأندزيت والريوليت. أعطت لهذه الكتلة لونها القاتم. وقد ارتفعت القاعدة البلورية هنا في بعض أجزاءها إلى علو 4000 م مشكلة أعلى القمم مثل توبكال (4166،20 م) ووانوكريم (4086 م) وهضيبة تازاغارت (3890 م). وتنخفض تدريجيا نحو الجنوب على شكل سلم متدرج ينطبق على فوالق وثنيات يندس بينها حوض "أونا ين" وتختفي جزئيا تحت غطاء رسوبي ضعيف الالتواء قبل أن تلتحم بكتلة جبل سيروا البركاني (3304 م) الذي يصلها بالأطلس الصغير. ويتميز بهذه الكتلة التي تقابل منظرين جغرافيين متباينين هما : الجبال العالية : (+ 2800 م) عالم القمم الشاهقة المستوية السطح والهضيبات المعلقة، والصخور العارية الداكنة، خلفت بها التعرية الجليدية والصقيعية آثارا واضحة : حلبات وبحيرات أطمرت بالرواسب وتحولت إلى مروج، ولم يبق منها سوى بحيرة إفني (2328 م) التي تندس في وادي ضيق جنوب قمة توبكال خلف سد انهيالي وركامي لجلادة صخرية، كما نجد أودية منفرجة مستوية القعر عمودية الجوانب أهمها وادي توبكال (غيغاية الأعلى) طوله حوالي 5 كلم.

الجبال المتوسطة : تتكون من قمم محدبة أقل علوا وأودية عميقة، وأحواض تتسع في صخور البروترياس

الهشة تعلوها أحواض وهضيبات معلقة، تعتبر المجال المفضل للانتجاع الصيفي.

2 ـ الشبكة المائية : تتكون من مجموعة وديان تتجه شمالا نحو واد تانسيفت يبلغ عددها 13 من أهمها واد نفيس وغيغاية والزات وأغدات وأوريكا وهو أغزرها ماء (170 م. م. 3 / سنة). وتتجه المجموعة الثانية جنوبا نحو واد سوس، تتميز بالقصر والجريان الموسمي أهمها واد تيفنوت. وهناك مجموعة ثالثة غربية تتجه رأسا إلى البحر أهمها واد القصب.

3 ـ المناخ والنباتات : يتميز الجزء الغربي الأطلنتي بقلة أمطاره (300 ـ 500 م / سنة) وترتفع التهاطلات قليلا على الواجهات الشمالية الغربية لبعض القمم، حيث تصل إلى 700 ملم، لكنها تنخفض في حوض أرگانا وبعضِ الأودية إلى مادون 300 ملم. أما الحرارة فإنها تتصف بالاعتدال النسبي إذ تتراوح معدلاتها بين 15 شتاء و 26 صيفا. لكن حوض ارگانا يعرف درجات حادة سواء في البرودة شتاء أو الحرارة صيفا. ويغطي هذا الجزء في معظمه غابات شجر الأرگان بالمناطق السفلى والعرعر بالمناطق المرتفعة. لكنها تعرف تدهورا بسبب الرعي المستمر والاستئصال. أما في الكتلة المركزية، فإن عامل الارتفاع والتعرض للرياح الشمالية الغربية يجعلها تتلقى أمطارا تتزايد مقاديرها من الهوامش الشمالية (400 ملم / سنة) إلى الجبال المتوسطة (600 كلم) وبعض القمم تتلقى حوالي 900 ملم / سنة. لكنها تتناقص بعد علو 2800 م إلا بالأودية التي تنحبس بها السحب شتاء وتعرف عواصف رعدية صيفا. كما تتناقص الأمطار كثيرا في بعض الأحواض الداخلية مثل حوض ثلاث ن يعقوب (- 300 ملم / سنة). وتسقط معظم الأمطار في بداية فصل الشتاء ثم في فصل الربيع، أماوسط فصل الشتاء (يناير) فيتميز غالبا بجو صحو قارس البرودة. ويكون التساقط بعد علو 2000 م مزدوجا ما بين أمطار وثلوج، أما بعد 2500 م فإنه يكون على شكل ثلوج تبقى على السطح عدة أسابيع وبتغدية مستمرة تدوم على السفوح عدة أشهر، وتبقى في الأماكن المحمية من الرياح وأشعة الشمس إلى يوليوز وغشت. وهناك أماكن تبقى فيها ثلوج صلبة على شكل (إرتاح) طيلة السنة. وأهمها "ممر الثلوج الدائمة" بسفح جبل تازاغارت.

أما الحرارة فإنه يطغى عليها الطابع الجبلي والقاري، وتعرف تقلبات عادة ما بين 5 ـ 10 تحت الصفر كنهايات دنيا شتاء بالأودية العالية والقمم، إلى 40 في الأحواض والأودية العميقة كنهايات عليا صيفا، وعموما يسود المناخ الجبلي البارد شتاء والمعتدل صيفا، إذ قلما يتجاوز نهارا 27 ! مع وجود مدى حراري يومي كبير سواء في الصيف أو الشتاء. ويمكن تصنيفه في مستوى أوسط بين المناخ الشبه الجاف ودون الرطب.

ويلاحظ بالسفوح الجنوبية تناقص معدلات الأمطار، وزيادة في الحرارة، اللهم إلا في السنوات التي تعرف أعاصير جنوبية ممطرة في بداية الشتاء. ويقابل هذا التنوع المناخي غطاء غابوي تختلف كثافته وأشجاره من جهة لأخرى، يلعب الارتفاع والمواجهة وميل السفوح دورا مهما في توزيعه وتحديد نوعية أشجاره، وتنتعش الغابات على المنحدرات التي تتوفر على تربة غنية نسبيا ورطوبة أكثر. وجل الأشجار من البلوط الأخضر والصنوبريات يضاف إليها عينات محلية نادرة كسور نفيس. وهي تغطي حوالي 50 ٪ من المساحة الكلية. ومن العوامل المتحكمة في توزيعها التنطيق حسب العلو الذي يغلب عليه الترتيب التالي : من 900 إلى 1300 م : الثويا، وتختلط في طبقاتها العليا بالعرعز الأحمر. بعد علو 1300 م : البلوط الأخضر وهو أكثر الأنواع انتشارا رغم ما تعرض له من استئصال. وبعد 1800 م : العرعر الفواح الذي يصل في بعض الجهات إلى علو 2600 م. ويظهر بعد ذلك طبقة الأعشاب الألبية التي تتكون من نباتات شوكية قصيرة وأعشاب. ولا نجد بعد علو 2800 ـ 3300 م سوى أراضٍ صخرية موحشة تغطيها الشظايا ومفتتات الصخور.

وتتخلل هذه الأنواع السائدة في نطاق أشجار محلية الخروب والحور الأرجواني والبستاكيا وغيرها وشجيرات ثانوية كالقبار وغيره.

ويلاحظ بالمنحدرات الجنوبية ارتفاع هذه النطاقات بحوالي 200 ـ 300 م مع تناقص الأشجار وتدهورها، فتنتشر على شكل بقع متفرقة.

4 ـ السكان : لقد تحقق في هذا الجزء من الأطلس الكبير أفضل الظروف ليكون جبل اعتصام لسكان مستقرين، ولا زال النشاط الفلاحي يحتل الأولوية، سواء من حيث التشغيل (80 ٪ من النشيطين) أو المداخيل.

ينتمي السكان إلى البربر المعروفين بالشلوح. وهم قبائل مصمودية. تنتظم حياة السكان بالأودية وأحواضها، وهي التي تحدد الانتماءات القبلية فنجد قبائل گدميوة في وادي أسيف المال وأنكال، وگندافة بواد نفيس وغيغاية وأوريكا، وگلاوة في حوض أغذات، وأيت واوزگيت في وادي تيفنوت. ولا يشذ عن هذا سوى امتوگة وإداوتنان الذين ينتشرون فوق الهضاب الغربية الأطلنتية.

ـ السكن : يتوزع في قرى على طول الأودية بالسفوح الدنيا مشرفة على محاطاتها، وتكثر حيث يتسع الوادي واغزر المياه بصفة خاصة. لكن حدود السكن الدائم لا يتجاوز علو 2200 م. وقد عرف الجبل انفجارا ديمغرافيا، يتجلى في نمو الكثير من القرى التي تجاوز سكانها 500 نسمة بل 1000 نسمة، وتحويل بعض العزبان إلى قرى تابعة، وظهور سكن متشتت في بعض الجهات المحظوظة زراعيا، وقرى جديدة وأسواق على الطرق المهمة، هذا مع العلم أن المنطقة تعرف نزوحا كبيرا، وتتراوح كثافة السكان (سنة 1982) بين 60 و 100 ن / كم مربع في الجماعات القروية بالسفوح الشمالية، وترتفع بصفة خاصة عند فم الأودية، لكنها تتناقض كثيرا بالجماعات القروية المنتشرة فوق القمم

والسفوح الجنوبية حيث تنحصر بين 20 إلى 40 ن / كم مربع.

ورغم مظاهر التحديث التي تتجلى في استعمال الإسمنت والأصبغة وتوسيع المنازل، فإن السكن لازال يحتفظ بطابع القديم، خاصة في الجهات العليا، فالطابق الأرضي يخصص عادة للمواشي والعلف وأدوات العمل، بينما يخصص الطابق العلوي للسكن، أما تلك البنايات الجماعية "أگادير" التي كانت تستغل في خزن أقوات سكان القرية فقد اندثرت.

الاقتصاد الزراعي : يقوم النظام الزراعي على زراعة الشعير والذرة بالسفوح الدنيا شتاء والسفوح العليا ربيعا، وأشجار الجوز التي تتسلق الأودية إلى علو 2200 م. وتعتبر ثروة الجبل سواء بثمارها أو خشبها، كما تزرع أشجار الزيتون واللوز في الأودية الوسطى ومنحدراتها (1600 م) وكذلك الخضر وأشجار الفواكه التي عرفت توسعا كبيرا. وازدادت أهمية الأشجار كثيرا بعد انتشار الفواكه الحديثة خاصة التفاحيات التي أحدثت ثورة خضراء في بعض الأودية والأحواض مثل أسني، وقد دفعت زراعتها إلى الانتفاع على الأساليب الحديثة واستثمار أموال كثيرة، مما طوّر معالم الاقتصاد الزراعي بالمنطقة.

تربية الماشية : تكتسي أهمية كبرى إذ بها يمكن الاستفادة من معظم المساحات الجبلية وتعتبر النشاط الأساسي لأغلبية الأسر بالأودية العليا والمتوسطة لقلة الأراضي الزراعية واتساع السفوح المعشوشبة والغابات، وتعطي الأولية للماعز الذي يتكيف جيدا مع البيئة الطبيعية لكنها تتحول الآن إلى الأغنام. أما تربية الأبقار فثانوية (10 ٪ من الرؤوس) تعتمد على الرعي بالبساتين والعلف. وتعتبر تربية المواشي نشاطا تكميليا في الأودية السفلى التي حققت نجاحا في زراعتها الشجرية إذ تقتصر على بضع بقرات تعتمد على إنتاج البساتين. وتوفر المناطق العليا مراعي صيفية جيدة. والكثير منها في حوزة سكان السفوح الجنوبية، ويلاحظ أن حركة هبوط المواشي إلى المراعي الشتوية بالدير والسهول المجاورة، كادت تتلاشى لانتشار الزراعة وتعميم الملكية الخاصة بها، مما أحدث ضغطا متزايداً على المراعي الجبلية والغابات، وتقضي الماشية فصل الشتاء بمراعي متنوعة حول المحاط كما تعتمد على العلف المخزون.

ورغم مظاهر التحديث فإن الاقتصاد الفلاحي لازال يتسم بطابعه المعاشي لكنه غير مغلق إذ يتم تبادل المنتجات المحلية مع الحبوب المستوردة، إلا أن الفائض لازال ضعيفا لضعف الإنتاجية، وهذا ما يدفع بعض أفراد الأسرة إلى الهجرة للعمل بالمدن الكبرى أو الخارج أو البحث عن مهن غير فلاحية كالعمل في المناجم وغيرها، فالمساحات الزراعية لا تزيد عن 6 ٪ من المساحة الكلية، والملكيات عرفت تفتتا خطيرا بفعل التقسيم المتوالي بين الورثة ولا يزيد معدل نصيب الأسرة عن 0.4 هـ. مجزأة إلى عدة بقع، وتضيع مساحات ومياه كثيرة بتكاثر السياجات، وتعقد شبكة الري.

II. الأطلس الكبير الأوسط : يمتد من وادي غدات إلى هضبة البحيرات شرقا، وهو عبارة عن قبة ضخمة تتكون من طبقات كلسية ملتوية ترجع إلى الزمنين الثاني والثالث الجيولوجيين، تختفي أسفلها القاعدة القديمة التي لا تظهر إلا في بعض المحدبات المفرغة بالجزء الغربي، كما يظهر فوقها دكات من الطين والطفل، وأحيانا تكوينات قارية تغطي بعض الأحواض مثل واويزغت. وتتوالى فيها مقعرات تكون أحيانا أحواضا وهضابا داخلية، ومحدبات ضيقة منكسرة غير متماثلة الجانبين، إذ تتكون سفوحها الشمالية من حافات، تنطبق غالبا على خطوط انكسار، أو تتدفق مكونة طيات زاحفة، وتكون أعرافها الطويلة سلاسل جبلية متوازية، يبلغ عددها ستة تزداد ارتفاعا من ش. غ نحوج. ش حيث توجد أعلى قمة : جبل مگون (4071 م) التي تحتفظ بمخلفات التعرية الجليدية. ويبلغ الأطلس الكبير الأوسط أقصى اتساع له : 120 كلم من أزيلال وتنغير. يلتصق شمالا بالأطلس المتوسط وسهل ملوية وتشرف حافته الجنوبية بعنف على الممر الأطلسي الجنوبي العالية، ولا يعبره أي طريق مهم، رغم وجود بعض الفجاج العالية. وتتميز الشبكة المائية بتعمق أوديتها، وأهم وديانها مگون ودادس وهما من روافد واد درعة، وتاساوت والأخضر والعبيد روافد أم الربيع. ونظرا للبنية الكلسية السائدة فإ المياه تتسرب مخلفة أودية جافة، وتنبثق عبر عيون بالسافلة، تظهر بعض المظاهر الكارستية مثل السطوح المشخرية والجوبات والدارات، التي تكون أحواضا معشوشبة أو تستقر بها بعض "الضايات".

2 . المناخ : يسود هنا مناخ أكثر جفافا وقارية، بسبب البعد النسبي عن المؤثرات المحيطية، إلا أن تنوع البنيات يخلق مناخات محلية متباينة. فالجهة المشرفة على سهل تادلا تتميز بحرارة وأمطار معتدلة (500. 700 ملم / سنة) وكذلك القمم، أما المنخفضات والهضاب الوسطى فتعرف أمطارا أقل (400. 600 ملم) وتنخفض كثيرا في الجهات الشرقية (إملشيل : 303 ملم) بينما تشتد البرودة وتصل معدلاتها بإملشيل الواقعة على علو 2200 م : 5 شتاء و26 صيفا. وبينما تعترض بعض القمم السحب فتتلقى حوالي 1000 ملم، فإن قمما أخرى تقع في ظل المطر تتلقى أقل من 400 مل. وتسقط معظم الأمطار في آخر الخريف وبداية فصل الربيع، كما تسقط أمطار إعصارية محلية بالمناطق العالية صيفا، وتكون التساقطات صلبة فوق علو 2000 م، وتدوم الثلوج فوق الجبال العالية من نونبر إلى ماي. وتظهر المؤثرات الصحراوية بالسفوح الجنوبية الشرقية وأوديتها السفلى، فتعرف شتاء قارس البرودة قليل الأمطار 177 ملم في بومالن مع مدى حراري يومي وسنوي كبير.

3 . النباتات الطبيعية : يتحكم فيها التنطيق والمواجهة وعوامل محلية. ففي علو 900. 1500 م : طبقة شبه جافة : الثويا والعرعر الأحمر يختلطان في بعض الأماكن بالعرعر الأرزي وصنوبر حلب، الذي توجد له أفضل التجمعات

بوادي أحنصال الأوسط، ونجد في هذه الطبقة بعض الأشجار النفضية.

من 1500 إلى 2200 م : طبقة المناخ دون الرطب : بلوط أخضر، خاصة بحوض تاساوت من 2200 إلى 2600 طبقة المناخ الشبه الجاف البارد : العرعر الفواح، يتعرض للاندثار بفعل تغدية الماشية لفروعه واستعمال أخشابه في النجارة.

فوق 2600 م : طبقة الأعشاب الألبية، تتناقص مع الارتفاع إلى أن تندثر وتوجد هنا نباتات محلية لا نظير لها في المغرب.

ويلاحظ بالسفوح الجنوبية الشرقية، أن البلوط الأخضر يكاد يختفي وكذلك الصنوبريات التي تحل محلها نباتات سهبية والدوم والنخيل الذي يصعد مع بعض الأودية لا نجد هنا سوى الأشجار الخاصة بالطبقة الشبه الجافة الباردة، مثل العرعر الأحمر والعرعر الفواح الذي يصعد إلى 3000 م. ولا توجد الغابات إلا في بقع منزوية محظوظة.

4 . السكان والأنشطة : لازالت المنطقة قليلة السكان، فالكثافة البشرية بالجماعات القروية المنتشرة بالهضاب الوسطى والمنحدرات الجنوبية تتراوح ما بين 10 إلى 40 ن / كم مربع لكن الجماعات القروية المشرفة على الدير الشمالي ارتفعت كثافتها إلى 40 ـ 60 ن / كم مربع (1982) كونت الأودية العميقة بالجهة الغربية ملجئا لفلاحين مستقرين ينتمون إلى المصامدة يتكلمون لهجة "الشلحة الدمناتية" ويسكنون قرى كبيرة تشبه مثيلاتها بالأطلس الكبير الغربي، وأهم قبائلهم : أيت بوگماز وادي تاساوت والأخضر ومگونة بوادي مگون وإحنصالن بوادي أحنصال يهتمون بزراعة الحبوب المسقية بقعور الأودية والمدرجات والأشجار، وخاصة الجوز في الأجزاء العليا، واللوز وفراكه أخرى بالأجزاء السفلى من الأودية. إلا أن ضيق الأودية وقلة الأراضي الزراعية، يدفعهم إلى الاهتمام بتربية المواشي، يشجعهم على ذلك وفرة المراعي بالمقعرات الواسعة والأحواض المعلقة إلا أن هذه المراعي اجتذبت عناصر أخرى من خارج المنطقة من برابر صنهاجة. وقد بدأوا يتغلغلون في المنطقة منذ قرن. أما الإقامة الدائمة في بعض الأحواض والأودية، أو امتلاك بعض المراعي التي يقصدونها في فصول معينة، ويدخل ذلك في ضمن الضغط الذي مارسته قبائل المناطق الصحراوية والشبه الجافة، للتقدم نحو الشمال الغربي في القرون الأخيرة. وهكذا استقر الكثير منهم بالأحواض الغنية مثل حوض واويزغت وفي بعض الأودية. ومن هذه القبائل : أيت أومالو الذين تجزأوا إلى قبائل صغرى، وأيت عطا الذين انطلقوا من جبل ساغرو واستقروا ببعض الأحواض وجنبات الأودية مثل وادي أحنصال، حيث يمارسون زراعة بورية للحبوب، وبنوا قرى حول المخازن الجماعية "إغرم". وكلا المجموعتين المصمودية والصنهاجية تتميز باختلاط بشري كبير، فسكان الأحواض التي تعرف برودة كبيرة شتاء وجفافا في الصيف، في حاجة ماسة إلى موارد تكميلية لتعويض نقص المحاصيل الزراعية، يجدونها في الرعي، وهذا ما كان يدفعهم إلى تنقلات مزدوجة : تنقلات شتوية أفقية، يقطعون فيها مسافات كبيرة (60 ـ 120 كلم) نحو حضيض الجبل (أزغار) وبعض المنخفضات الدافئة أو المنحدرات الهامشية للكتلة الجبلية، ويشارك في هذه التنقلات معظم أفراد العائلة الذين يسكنون الخيام ويتركون أمتعتهم الثقيلة في "إغرم" وتنقلات رأسية للنجعة بالمراعي العليا، يشارك فيها الرعاة فقط وجزء من القطيع، ويشاطرهم في هذه التنقلات الأخيرة سكان الأودية مثل أيت بوگمار الذين يصعدون إلى مراعي مگون حيث توجد "عزبانهم" فتتكاثر المواشي فوق بقع صخرية، مما يدعو إلى سن تنظيمات لتجنب الازدحام والمشاكل.

5 . تراجع حياة البداوة والترحال : عرفت العقود الأخيرة تحولات مهمة، وقد تقلصت التنقلات الشتوية كثيرا، كما تناقصت أعداد المواشي، ويرجع ذلك إلى أسباب اقتصادية اجتماعية أهمها ضغط النمو الديمغرافي، وانتشار الملكية الخاصة والزراعة بالسهول وبكثير من السفوح والأحواض متى ساعدت الأمطار أو السقي على ذلك، كما أن الأسر صارت تفضل الإقامة في منزل حسن التجهيز بمركز سكني يوفر الخدمات خاصة تمدرس الأطفال، كما أن السلطات تعمل على تثبيت السكان. وهكذا صارت الزراعة تكون المورد الأساسي لعيش 85 ٪ من السكان النشيطين، وقد توسعت مجالاتها كثيرا خاصة بحوض تاساوت والعبيد. وتوسعت زراعة الأشجار كثيرا خاصة اللوز. كما تكاثرت أشجار الجوز والتفاح والفواكه بالأودية المعتدلة. ولازالت المواشي تكتسي أهميتها لكن في إطار اقتصادي جديد، حيث يعمد سكان الأودية والسفوح الشمالية إلى تربية الأبقار والأغنام اعتمادا على زراعة العلف والمراعي المحلية، أما التنقلات فقد اقتصرت على الانتجاع الصيفي، ومراعي هضبة البحيرات التي لازال يقصدها جماعات من أيت عطا بجبل ساغرو. بينما تراجعت كثيرا تربية المواشي في السفوح الجنوبية الفقير.

III ـ 1 . الأطلس الكبير الشرقي : يمتد من هضبة البحيرات إلى "تلسنت" بالهضاب العليا الشرقية، يتكون من التواءات كلسية متوازية تفصل بينها منخفضات واسعة تشكل أحيانا سهولا داخلية، ونجد أعلى القمم بالحافة الشمالية الغربية، تشرف على سهل ملوية وهي جبل العياشي (3757 م) ومسكر (3270 م) وتصطف وراء هما سلاسل تفصل بينها مقعرات تتدرج من 2000 إلى 1000 م على طول واد زيز، تتعمق فيها الأودية مكونة خوانق عند عبورها للمحدبات أو خروجها من الجبل وسهولا واسعة مثل سهل الريش. وباعتبار البنية الكلسية فإن المياه تتسرب لتغذي بعض العيون بالأودية وغيرها. وتشرف السلسلة على السهول الصحراوية الجنوبية بحافة عالية مستقيمة لانطباقها على الفالق الجنوبي الكبير، ولكنها من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية تتجزأ وتكاد تختفي بعد مركز "تلسينت" لالتحامها بالهضاب العليا الشرقية.

2 . المناخ : إن وجود أعلى القمم على الحافة الشمالية الغربية المواجهة للرياح الرطبة، يجعل هذه الأخيرة تتلقى مقادير معتدلة من التساقطات التي تنزل على شكل ثلوج فوق علو 2500 م يبلغ معدلها السنوي بجبل العياشي ومسكر 700 ـ 800 ملم، بينما تبقى السلاسل والأحواض الموجودة خلفها في ظل المطر، فلا يزيد معدلها السنوي عن 350 ملم، بل تنخفض في سهل الريش إلى ما دون 200 ملم وعند فم الزبل (مخرج واد زيز) إلى 120، ويسود هنا مناخ صحراوي بسمائه الصافية وندرة أمطاره وارتفاع حرارته ودرجة قاريته.

3 . النباتات الطبيعية : إذا كانت الواجهة الشمالية الغربية تحظى بغطاء غابوي جيد من أشجار الأرز التي تنمو على السفوح الوسطى لجبلي العياشي ومسكر إلى علو 2350 م فإن الغطاء الغابوي ينعدم في كل السلاسل الموجودة خلفهما، ليحل محله نباتات سهبية كالحلفاء والشيح، ولا نجد الثويا والبلوط الأخضر إلا على شكل بقع منفصلة متفرقة على المنحدرات الشمالية، ولا تنتعش سوى بالمجرى الأعلى لواد أنسغمير رافد ملوية.

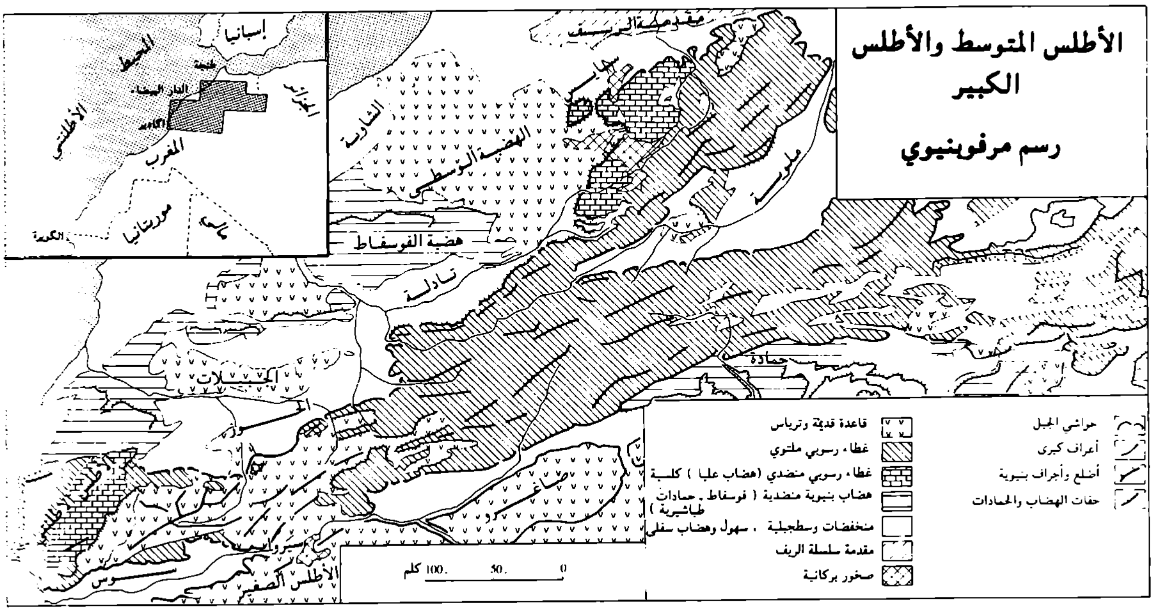

4 . السكان والأنشطة : تزداد الحرارة والجفاف بشرق هضبة البحيرات وتتدهور المراعي أو تنعدم ولا تقوم الزراعة البورية إلا على بعض السفوح الشمالية، ولهذا يتجمع السكان بكثافة في قعور الأودية القابلة للسقي ولا يستثنى من ذلك سوى السفوح الشمالية التي تظهر بها أودية صغيرة بجبل العياشي ومسكر تسمح لساكنيها بزراعة مسقية بورية على المنحدرات. بينما تعتبر بقية الأحواض والسلاسل مجالا رعويا لقبائل صنهاجية لازالت تمارس تنقلات واسعة، وهي أيت حديدو التي تتنقل مواشيها مع بعض أفراد من العائلة ما بين المراعي العليا لجبل العياشي ومسكر والمنخفضات الشرقية بسهل الريش ودير ميدلت، وأيت يافلمان الذين يتنقلون بين السهول الصحراوية بمنطقة الراشدية والدير الشمالي عبر السلاسل الشرقية، وكلاهما يمتلك أراضي زراعية وسكنا دائما ومراعي جماعية. إلى أقصى الشرق توجد عناصر زناتية من أيت سغروشن تتنقل بمواشيها على جانبي عرف جبل حمزة "بتلسينت" وبالهضاب الشرقية الانتقالية نحو الصحراء.

ويبدو أن توازنا قد حل بين الفلاحين المستقرين الذين يوزعون بقعا مروية، ويمتلكون مراعي جماعية مجاورة، ومربي المواشي الذين يتنقلون بين السهوب والمراعي والقمم العالية. ويلاحظ أن كثافة السكان هنا لازالت ضعيفة، تنحصر بين 10 و 20 ن / كم مربع وتعتبر المنطقة منطقة طرد للسكان.

التحولات الحديثة بالأطلس الكبير : يعتبر الأطلس الكبير خزانا هاما للماء بالمغرب، منه تنبع أنهار كثيرة، وقد بني على الكثير منها سدود لخزن المياه وإنتاج الكهرباء، وهي سدود لالة تكركوست على واد نفيس، وأيت عادل على واد تاساوت، وسيدي إدريس وشواريت على الواد الأخضر، والحسن الداخل على واد زيز، والمنصور الذهبي على واد درعة، وأيت موسى على واد أسيف نايت موسى، وأخيرا سد أولوز الذي يبني على واد تيفنوت الأسفل. وقد أدت هذه السدود إلى إعادة تنظيم المجال بالأحواض وسافلتها. مما وفر مناصب شغل غير فلاحي، وأوجد منشآت اقتصادية وعمرانية جديدة، كما أن توسيع شبكة المواصلات وعبور طرق مهمة للمنطقة مثل طريق ميدلت الراشدية عبر تيزي ـ ن ـ تلغمت وطريق تيزي ـ ن ـ تيشكا وتيزي ـ ن ـ تاست وطريق إمين تانوت أگادير، قرَّب قراها من المدن الكبيرة وسهَّل تحركات السكان والنزوح، وفتح المنطقة لأنشطة جديدة غير فلاحية، مثل الأنشطة المعدنية التي عرفت توسعا بفتح مناجم جديدة خاصة مناجم البرتين ومقالع الموزايك والرخام وتوسيع بعض المناجم القديمة

مثل أحولي ميبلادن للرصاص بحوض ملوية العليا وإيمنيي للمنغنيز قرب تيزي ن تيشكا، وإن كان الكثير من المناجم القديمة قد أغلق لنفاد معدنه أو لتغير الظروف الاقتصادية والتقنية لاستغلاله مثل مناجم أزگور أردوز وگندافة. لكن أهم نشاط حديث يساهم في تنمية مداخيل السكان هو النشاط السياحي الذي يعرف انتعاشا متزايدا وتنوعا فهناك محطة التزلج بأوكايمدن والتجول بكتلة توبكال انطلاقا من إمليل، أو كتلة مگون انطلاقا من أزيلال، وكتلة العياشي انطلاقا من ميدلت. كما تقام مهرجانات سياحية بإميلشيل وقلعة مگونة، وتحولت كثير من المواسم السنوية التقليدية إلى مهرجانات شعبية تجتذب بدورها سواحا مغاربة وأجانب، وتكاثرت الأسواق الأسبوعية خاصة على المحاور الرئيسية للمواصلات، وتعززت أجهزة الخدمات الإدارية والاجتماعية، وتحولت كثير من الأسواق القروية إلى مراكز حضرية مثل أزيلال وواويزغت ومولاي إبراهيم وغيرها بالإضافة إلى مدن الدير التي عرفت توسعا كبيرا، كل هذه العوامل ساهمت في إفراز حركة تمدين واسعة النطاق.

ح. عوض، *الجبال المغربية*، كلية الآداب الرباط 1971 ؛ أ. هوزلي، *التحولات المجالية والاقتصادية وحركة التمدين بالأطلس الكبير المراكشي*. د. د. ع. كلية الآداب بالرباط 1987.

J. Drech, *Le Massif du Toubkal*, guide Alpin, Rabat 1938 ; A. Fougerolles, *Le haut Atlas Central*, guide Alpin, Casablanca 1982 ; Despois et Raynal, *Géographie de l'Afrique du Nord-Ouest* ; J. Martin et autres, *Géographie du Maroc* ; C. Dominelli, *Ski dans le Haut Atlas de Marrakech*, Andarra 1984.

أحمد هوزالي

الأطلس المتوسط ـ تاريخ ـ ← **صنهاجة**

الأطلس المتوسط ـ جغرافيا ـ كتلة من الأراضي العالية، امتدادها شمالي شرقي ـ جنوبي غربي، من سهل گرسيف إلى حوض السراغنة. وتلتحم هذه السلسلة في جزئها الجنوبي الغربي بجبال الأطلس الكبير، بينما تفترق عنها ابتداءً من ميدلت وعالية ملوية لتفصل بينهما منخفضات ممتدة على طول هذا النهر.

هذه الكتلة تتوسط المغرب وتكون قنطرة عالية بين سلسلتي الريف شمالا والأطلس الكبير جنوبا، بينما تكون مجالا بارزا فاصلا بين الجهتين الشرقية والأطلنتية من المغرب. ويتمثل دور الفاصل في كون السلسلة تعلو بحافات واضعة وأعراف المنخفضات الهامشية المحيطة بها. ويؤدي هذا البروز التضاريسي إلى خلق تغاير واضح على المستوى البيئي بين الهضاب الأطلنتية من جهة، وسهول ونجود المغرب الشرقي من جهة ثانية.

وحدود السلسلة أكثر وضوحا من الجانب الجيولوجي. فهي تمتاز بعموم الظهورات الجوراسية وغلبة الصخور الكربوناتية، بحيث لم يتم الحفاظ على المجموعات الصخرية الأحدث والأهش إلا في بعض المقعرات البنيوية الخطية والضيقة. بينما المحدبات المعرضة للتعرية أوسع، تتكون عامة من الطبقات الصلبة الجوراسية، وتبرز فيها محليا القاعدة الأولية. وترتكز عند هذه المحدبات القمم العليا للسلسلة والتي تقترب، بل تتعدى محليا 3000 م كجبل بوإبلان (3190 م) وبوناصر (3490 م). إلا أن البنية الملتوية ليست عامة ؛ فالجهة الوسطى والشمالية من السلسلة عبارة عن هضاب منضدية.

هذه السلسلة في الحقيقة، مجال مرفو بنيوي معقد التركيب، شديد التنوع حسب الأقاليم، ويمكن تقسيمه إلى ثلاث وحدات كبرى :

ـ نهاية جنوبية غربية، متصلة بالأطلس الكبير، تشرف بوضوح على سهل تادلا، ومكونة من طيات متراكبة، زاحفة نحو الشمال، تترك وراءها مقعرات ممتدة يصرفها واد العبيد ؛

ـ هضاب شمالية غربية كلسية ومتدرجة، تنحني نحو الشمال، وتشرف على الهضبة الوسطى وعلى السايس بحافة متقطعة ؛

ـ وأخيراً في الشمال الشرقي مجال ملتو مكون من محدبين كبيرين متوازيين، لهما نواة كلسية لياسية، يشرفان على مقعرات تلتوي بها سلسلة سميكة صلصالية تنتمي إلى الجوراسي الأوسط ؛ وتبرز القاعدة الأولية في النهاية الشمالية لهذه السلسلة في مجموعة جبلية متميزة تدعى كتلة تازيحا المطلة على مدينة تازا.

التركيب البنيوي والأشكال المرفلوجية : تطغى في الأطلس المتوسط الظهورات الصخرية الكربوناتية المنتمية للجورسي الأسفل والأوسط، إلا أن هذا لا يمنع من ظهور محلي لمجموعات صخرية أخرى. فالقاعدة القديمة الأولية، أساس الحاشية الغربية للسلسلة وكذا لنواة بعض المحدبات مثل جبل كندر أو سلسلة تازكا. وتغلف هذه القاعدة تكونات ترسباتية هشة طينية أو بركانية متفسخة. ودور هذ التكونات مهم. فهي تمثل قاعدة زحف بعض الطيات المتراكبة ؛ وهي تفسر، بسبب تركز الأملاح فيها، عددا من الظواهر الكارستية (كانهيار قعر بعض المنخفضات) والمائية (ملوحة عدد من الينابيع كعيون أم الربيع مثلا).

وتغطي اللياس الكربوناتي، مجموعة متنوعة تنتمي إلى الجوراسي الأوسط والطباشيري، تمتاز بغلبة الطبقات الهشة، تتوسطها دكات صلبة هي الأصل في الأشكال المرفوبنيوية التي تمتاز بها المقعرات الواسعة.

ويرتبط التغاير الواضح بين جزئي السلسلة الهضبي غربا والجبلي شرقا، بنوعية الأحداث البنائية التي عرفتها كل من المنطقتين. فالهضاب الشمالية الغربية مجال طبقات لياسية ضئيلة السمك، متأثرة لهذا السبب بقرب القاعدة الهرسينية وما عرفته من حوادث بنائية قديمة. وتجدد هذه الحوادث هو المسؤول عن تموج الغطاء اللياسي على شكل قبات واسعة ومقعرات ممتدة، تبرز وسطها حوادث متميزة على شكل أشرطة انكسارية. أما في الجهة الشمالية الشرقية، فإن الغطاء الرسوبي السميك، المتوضع في حوض

رسوبي شديد التهدل، سجل خلال المراحل التكتونية الثلاثية آثار بنائية انضغاطية جعلت الطبقات تلتوي بشدة.

لكن الانبساط النسبي للمجالات الغربية من الأطلس المتوسط لا يرتبط فقط بنوعية الحركات التكتونية، بل كذلك بآثار التعرية التي سمحت بتسوية السطح فالمتون العليا المتقطعة ناتجة عن تجزؤ سطح تحاتي قديم تكون على إثر أول الحركات البنائية الأطلسية. وتندرج تحت مستوى هذا السطح القديم، سطوح جزئية أكثر استواء، تمت فقط في المجالات المقعرة. ويشهد الكلس البحري الطرطوني شمالا، ناحية صفرو، على تاريخ تكوين هذه السطوح الجزئية. إلا أن آثار هذه التعرية التسطيحية لا تطهر جلية في المجالات الشرقية من الأطلس، وذلك بسبب التجدد العنيف الذي عرفته الحوادث التكتونية بعد الميوسين. ويلاحظ نفس الشيء في النهاية الجنوبية الغربية المشرفة على بني ملال، حيث تشطر الانكسارات الحديثة رواسب الميوسين، بل كثيرا ما نجد الطيات الجوراسية، زاحفة فوق هذه التكونات الحديثة.

أما التعرية الانتقائية فآثارها محدودة في المقعرات المكونة من سلاسل رسوبية متنوعة، وتختفي في الهضاب الكربوناتية وفوق قمم المحدبات. هذه المجالات، تشهد عكس ذلك تأثير التعرية الكارستية وخاصة منها الأشكال السطحية (شخاريب - أحواض مغلقة - ضايات - أودية جافة). أما المغارات الجوفية فهي خاصة بالمجالات حيث يقوى سُمك الطبقات الكربوناتية كما هو حال الجزء الشمالي الشرقي من السلسلة. بالإضافة إلى هذا نجد القمم الأطلسية معرضة لآثار التعرية الصقيعية وذلك بسبب قاريتها ورطوبتها الخاصة.

الجوانب البيئية : من الناحية المناخية يمكن أن نفرق بين ثلاث نطاقات متداخلة، يتميز كل واحد منها بتشكيلة نباتية خاصة.

النطاق الأول تختص به الجبال والهضاب الوسطى والرطبة التي يرتفع معدلها المطري حتى 1000 أو 1100 مم، بينما تبقى حرارتها معتدلة. جل تهاطلاتها مطرية، بينما لا يتعدى عدد أيام الصقيع المائة يوم.

النطاق الثاني يعم المرتفعات والقمم العليا الباردة والرطبة. وهو نطاق أقل رطوبة من الأول، يتلقى في المعدل أقل من 800 مم من التهاطلات، جلها على شكل ثلوج.

أما النطاق الثالث فيهم المنخفضات الداخلية المحمية وكذا السفوح الجنوبية الشرقية للسلسلة. وخاصيته جفاف واضح وارتفاع الحرارة صيفا، بينما تبقى حرارات الشتاء شديدة الانخفاض.

تغطي النطاق الأول غابات كثيفة من البلوط والأرز. أما القمم العليا فهي مجال الأرز ثم العرعر التورفيري في السهوب الباردة، بينما المنخفضات والسفوح الجافة نباتاتها متفرقة، متكيفة مع القارية وندرة التهاطلات.

وتفسر الأمطار والثلوج وكذا غلبة الصخور الكربوناتية المنفذة أهمية الأطلس المتوسط من الجانب المائي. فمنه تنطلق مجار مائية غزيرة ودائمة، تعتبر أكثر أنهار المغرب انتظاما. وتتقاسم السلسلة ثلاثة أحواض نهرية : حوض سبو في اتجاه الشمال الغربي، وأم الربيع في الجهة الجنوبية الغربية، بينما تنزل شرق الأطلس مجموعة من روافد ملوية أهمها واد ملولو. وتعود هذه الأهمية الهيدرلوجية إلى عدة أسباب : عموم التسرب وندرة السيل السطحي، غزارة الفرشات المائية الكارستية التي تغذي عيونا دائمة، وأخيرا أهمية التهاطلات الثلجية.

الإسكان والاستغلال البشري : لأسباب مناخية وتضاريسية من جهة وتاريخية من جهة ثانية، ظل الأطلس المتوسط مجالا جغرافيا قليل الاستصلاح من طرف الإنسان. فما عدا بعض الجيوب الضيقة حيث تتكاثف الفلاحة المسقية المعلالة، تبقى جل المجالات تغطيها الغابات أو السهوب وتتنقل فوقها الماشية، أو تشغلها زراعات بورية مقلالة.

ولسبب حداثة الإسكان، فإن الكثافة البشرية تبقى ضعيفة رغم تنوع الثروات الطبيعية ورغم موقع المنطقة كمجال عبور من المدن الكبرى التي تتوسط السهول الشمالية في اتجاه الجنوب الصحراوي. فقد بقي الرعي المنتجع يمثل أهم النشاطات البشرية وخاصة في الجزء الهضبي من السلسلة. إلا أن تدخل التعمير الفرنسي كان عنيفا في المنطقة بسبب شدة مقاومة القبائل. ولذا فلقد أدى التدخل إلى تحطيم بنية النظام الرعوي. هذا التنظيم الأصيل مبني على الامتلاك الجماعي لأراض شاسعة تتنقل فوقها الماشية والقبائل، حسب قواعد مضبوطة. فالجبل كان يمثل المرعى الصيفي بسبب حفاظه على الخضرة وقت الجفاف، بينما كانت تمثل الحواشي المنخفضة مراعي شتوية. وقد كان هذا التنظيم مبنيا على مبدإ الحفاظ على توازن تام بين حاجيات السكان والماشية من جهة، وإمكانات البيئة من جهة ثانية. كما كان التكامل في الثروات وفي ما بين مختلف المجالات الطبيعية (جبل - سهل - غابة - سهوب - مزارع - مجالات مسقية) ضمانا للحفاظ على هذا التوازن. ولذا فقد كانت حدود أراضي القبائل قابلة للتمدد حسب الظروف وخاصة في اتجاه المناطق المنخفضة الهامشية. كما تشخصت بعض الأودية المحلية للاستغلال المكثف المستقر، هي عبارة عن قطاعات مسقية، وفي القرون الأخيرة تكونت مراكز متعددة على هامش الجبل، بعضها قصبات مخزنية دورها الحد من حركة القبائل نحو الشمال الغربي، وبعضها زوايا، وأخرى عبارة عن مراكز تجارية يتم فيها التبادل بين بضائع الجبل (ماشية) وبضائع السهل (حبوب).

هذه الوضعية المتوازنة ظهر فيها خلل مع بداية الفترة الاستعمارية. فقد واجه الفرنسيون المقاومة التي أبدتها القبائل الأطلسية، ولذلك سعوا إلى تحطيم النظام الرعوي

الأصيل. وقد تم لهم هذا بإغلاق عدد من محاور التنقل، ومضايقة التوازن التقليدي بين الجبل وحاشيته، فاضطر جزء هام من الماشية إلى البقاء شتاء في الجبل مما أدى إلى تناقص أعدادها بسبب ارتفاع نسبة الوفيات. وقد أسهم الاستحواذ على أراضي السهل الخصبة وتحديد الأراضي الغابوية والجماعية في التضييق على حركة الانتجاع التي أصبحت لا تهم إلا بعض القطعان تحت قيادة رعاة عزل، بينما استقر موطن جل القبائل.

هذا الاستقرار أدى إلى تفقير هام للسكان الذين أصبح بعضهم عمالا فلاحين بينما بحث البعض الآخر عن أعمال غير زراعية. كما تضخمت نسبة المعدمين والملاك الصغار بينما ظهرت حركة هجرة نحو المراكز الحضرية الأطلسية وكذا نحو خارج الأطلس المتوسط.

وقد ساهم النمو الديمغرافي المتزايد بعد الاستقلال في تأزم اقتصاد الانتجاع. وقد تضاعف عدد السكان ثلاث مرات بين سنتي 1936 و1982 ونتج عن هذا تمديد الأراضي المزروعة على حساب المراعي والغابة. وأدى التدخل الإداري المباشر إلى تأزم العلاقات الاجتماعية التقليدية، حيث لم تحتفظ القبائل بسلطة القرار التي كانت بيدها وأصبحت أهم القرارات تتخذ خارج المنطقة وبدون مشورة السكان المحليين المعنيين بالأمر (جنان، *التحولات الحديثة في بوادي الأطلس المتوسط وحواشيه*، ميدتراني، 4، 1986).

وهكذا تضاءلت نسبة نمو السكان في بوادي الأطلس المتوسط (1,2 ٪ سنويا)، بينما تضاعفت نسبة سكان المراكز الحضرية بين سنتي 1960 و 1982. فنتج عن هذا إفراغ عدد من المجالات، وحدث عكس ذلك تمدن سريع. فقد أحصي سنة 1982 ما لا يقل عن 34 مركزا بها ساكنة تقرب من 300.000 نسمة (دون إدخال بني ملال). وأغلب هذه المراكز هامشية، دورها إداري وتجاري.

الأطلس المتوسط حاليا، مجال مطموع فيه، تتدخل فيه إلى جانب الدولة عدة شركات ومؤسسات رأسمالية. والسبب أنه منطقة تحتوي على ثروات عدة، أهمها الثروات الغابوية والمائية والسياحية. وبعض المشاريع التي تقام، تقدم على أنها حلول للحد من مشكل الهجرة ومن تعرية التربة. إلا أنها أساسا مشاريع تسعى إلى استغلال الثروات الطبيعية الضخمة والزيادة من مردوديتها. وتنوع المساعي والوسائل المستعملة من طرف المتدخلين يفسر تنوع النتائج المحصل عليها. فهناك المجالات التي بقيت منكمشة وهي الأراضي الجماعية غير المسقية، وتطورها بطيء جدا. وهناك المجالات المسقية التي تجزأت بها الملكية الفردية. وهناك أراض شاسعة استولت عليها الرأسمالية الحضرية، فحولت مظاهرها باستعمال تقنيات متقدمة لتنقية الأرض وغرسها وتجهيزها. فالأطلس المتوسط، إذن، مجال ريفي في تحول. أصبحت توازناته الأصلية في خلل. بينما تنشأ توازنات جديدة تحت ضغط تأثيرات مختلفة تلعب فيها الدولة والقطاع الخاص دورا فعالا.

J. Martin, *Le Moyen Atlas Central, étude géomorphologique*, Notes et Mém. Ser. Géol., nº 258 bis, 1981 ; *Les potentialités agro-postorales du Moyen Atlas Central*, R.G.M, nº 10 spécial, 1986 ; L. Jeannau, *Mutations récentes des campagnes du Moyen Atlas et de ses bordures*, Méditerranée, nº 4, 1986.

عبد الله العوينة

الأطلنتي، ثاني محيط في العالم من حيث الامتداد (82 مليون كلم مربع)، بينما واجهته أهم واجهة بحرية للمغرب بسبب حدة تأثيرها المناخي والاقتصادي (موانئ - صيد بحري).

هذا المحيط له خصائص عدة، أولا حداثته بالمقارنة مع المحيطات الأخرى واستمرار امتداده إلى الآن، ثانيا دوره الأساسي في تحديد وتنويع مناخات القارات المشرفة عليه وذلك بسبب شدة تنوع التيارات التي تحرك مياهه، وأخيرا تجدد مياهه الدائم بسبب استقباله لمياه المحيطين الجنوبي والشمالي، ومياه أنهار عديدة تعتبر أهم أنهار العالم.

يمتد المحيط الأطلنتي بين القارتين الأوروإفريقية من جهة والأمريكية من جهة ثانية، باتساع معدله 5000 كلم، ويبلغ أدناه عند الاستواء، بينما يبلغ الامتداد الطولي 14000 كلم بين المحيطين القطبيين الشمالي والجنوبي (70° ش و 55° ج).

يختلف الجزآن الجنوبي والشمالي من المحيط من عدة جوانب.

أولا من حيث شكل الساحل والتداخل مع القارات، إذ ترتبط بالأطلنتي الشمالي عدة بحار جانبية، من أهمها بحر الكرايبي، وخليج المكسيك وبحر البلطيق، والبحر الشمالي والمانش والبحر المتوسط، بينما المحيط الجنوبي له سواحل خطية أكثر وتشرف عليه قارات كتلية قلما تتقدمها جزر.

ثانيا من حيث طبغرافية القعر. فالمحيط الجنوبي بسيط التركيب، مُكوَّن من أحواض محيطية كبرى، ممتدة على جانبي تضرس محوري في الأطلنتي الشمالي، نجد نفس النتوء المحوري، تحيط به أحواض عميقة لكن مجزأة وتعلوها تضرسات هامة تبرز محليا على شكل جزر كبرى كالبرمود والآصور وجزر الرأس الأخضر.

ذلك التجعد المحوري الممتد من أقصى المحيط إلى جنوبه هو ما أكد حداثة المحيط الأطلنتي واستمرارية توسعه، فهو عبارة عن ظهر واسع، ينحني شرقا وغربا، على جانبي أخدود محوري يمثل شقا من أهم فوالق الكرة الأرضية. وقد نشأ هذا الشق خلال الترياس في بداية الزمن الثاني، في وقت كانت فيه القارتان الأوروإفريقية والأمريكية متلاصقتين ومن ثم انطلقت عملية تتلخص في تباعد القارتين وانفتاح المحيط وذلك بسبب صعود مستمر لمواد باطنية من المعطف، تلتصق بجانبي الشق، وتتحول إلى قشرة حديثة تساهم في توسيع المجال المحيطي. وقد أثبتت الأبحاث الجيوفزيائية هذه النظرية.

- الظهر مُكوَّن من عُرفين متوازيين، ارتفاعهما النسبي حوالي 1500 م، واتساعهما 2000 كم، ينحنيان تجاه الأحواض

العميقة أي تحت رواسب تزيد سمكا، بينما قمم الأعراف عارية، وكذا الأخدود الأوسط. وانعدام الرواسب هذه دلالة على حداثة القعر.

ـ يتكون الظهر من صخر بزلتي يشبه في تركيبه مواد المعطف، ويغلف هذا البزلت قشرة سمكها 5 كم، تعتبر قشرة محيطية كثيفة. ويمكن تجزئ هذه القشرة إلى أشرطة متوازية ومتناظرة على جانبي الأخدود، أحدث هذه الأشرطة ملتصق بالشق الأوسط، بينما تتقادم كلما ابتعدنا عنه. وهذا يدل على الانفتاح التدريجي، مع سرعة تباعد على جانبي الشق تقدر بمعدل 1 إلى 5 سم في السنة.

ـ الظهر مجال تحرك تكتوني عنيف، يتمثل في شدة الزلازل وأهمية التضاريس البركانية.

هذا التنوع الجيولوجي، الناتج عن انفتاح المحيط، يرافقه تنوع في البيئة الرسوبية لقعر البحار. فالمجالات العميقة، البعيدة عن الهضبة القارية يمكن تقسيمها إلى نوعين من الأوساط الرسوبية. التضرسات فقيرة من حيث الرواسب الدقيقة بسبب دينامية المياه وتعذر الهدوء اللازم لتصفيتها، فتتلقى خاصة مواد رملية، جلها من أصل أعضائي، كما تتلقى في المجالات الباردة مواد جليدية ـ بحرية قَدمت ضمن الجليد الذي كان يغطي هذه البحار في الفترات الباردة من الرباعي، لكن الرواسب تغيب كليا عندما نقترب من الظهر المحوري، وذلك بسبب حداثة قعر هذا المجال.

في السهول العميقة رغم ذلك، تتركز الرواسب بسمك متزايد كلما ابتعدنا عن التضرس الأوسط، وفي هذه الأعماق التي تتعدى 4000 م وتصل أحيانا 6000 م، مع انحدارات غير محسوسة تقل دائما عن 1/1000، كل الرواسب عبارة عن فتاتات دقيقة تتهاطل بسرعة جد بطيئة إلى القعر، بسبب الهدوء الكبير للمياه الباطنية. بعض هذه الرواسب عبارة عن رمال قارية منقولة من طرف الرياح، وتتوضع بسبب الرطوبة الخاصة لجو المحيط. لكنها قادرة على التنقل بعيدا عن الساحل الإفريقي مثلا. فقد وجدت في السهول المحيطة القريبة من البرازيل، رمال سافرت من موريتانيا، مع الرياح التجارية الشرقية. وتغطي جل أعماق المحيط مواد أعضائية، هي عبارة عن قواقع مجهرية لنباتات وحيوانات العلق أغلبها كلسي، يمتد على أكثر من نصف قعور الأطلنتي. وأخيرا، تغطي بعض السهول ـ وخاصة على مقربة من الساحل الأمريكي ـ مواد وحلية حمراء، تغص الأعماق الكبرى التي لا يترسب فيها الكلس. هذه الأوحال عبارة عن أطيان خاضعة من الناحية العدانية لطيف الأطيان القارية الخاص بالنطاق المرفومناخي الذي تنتمي إليه سهول الإرساب. فهي من أصل قاري، تحركت طويلا في مياه البحر، دون أن تحدث فيها تطورات أساسية تذكر، وترسبت في المجالات العميقة الهادئة.

هذه القواعد الرسوبية العامة لا تنطبق على المجال القربقاري والمكون للهضبة القارية والحافة التي تحدها. هذه المجالات لها خصوصيات، تتلخص في ضعف عمقها، في ديناميتها المرتفعة، وفي تردد انحسار البحر عنها خلال مراحل هزهزية من الرباعي، بحيث تم تشكيلها آنذاك من طرف آليات قارية.

الهضبة القارية الأطلنتية واسعة العروض الوسطى وخاصة في الأطلنتي الشمالي، بينما تضيق أمام السواحل المدارية الإفريقية. وبالنسبة للمغرب، يبلغ امتدادها 150 كلم جنوبا بين بوجدو ولگويرة، 100 كم من ساحل الأطلس الكبير إلى طرفاية، بينما لا يتعدى اتساعها 50 كم شمال رأس غير. وينتهي امتدادها عادة عند عمق 150 أو 200 م لكنها تظهر محليا مخددة من طرف خوانق عميقة، تزيد عمقا وانحدارا على جانب الحافات المنحدرة التي تحد الرصيف القاري. ومن أهم هذه الخوانق التحتبحرية، خانق الهدسون جنوب شرق نيويورك، وتظهر على الساحل المغربي خوانق لها أهمية متواضعة، أهمها خانق سبو الذي يكون امتدادا للأخدود الجنوب الريفي وخانق ثان أمام أگادير يمثل استمرارية لوادي سوس.

الهضاب القارية تمتاز باستواء قعرها وضعف انحداره. لكن بعض التجعيدات قد تبرز محليا وترتبط بآثار التعرية الانتقائية حسب صلابة الصخور. فالرصيف المغربي أمام ساحل الهضبة الوسطى وأمام الأطلس الكبير، تشوهه تجعيدات توافق استمرار الدكات الصخرية القارية ماعدا هذه البروزات، تختفي ركيزة الرصيف تحت توضعات، توضع عادة على شكل أشرطة موازية للساحل، وتمتاز بفرز واضح، بعضها رملية خشنة، وبعضها دقيقة وحلية.

فإذا أخذنا كمثال الرصيف القاري شمال المغرب، بين طنجة ومخرج أم الربيع، نجد أن الهضبة تنقسم إلى ثلاثة أشرطة متوازية، الشريط الأول، بين الشاطئ وعمق 70 م، يعني على امتداد 7 إلى 15 كم، مجال رملي محض، لا تساهم الفتاتات الدقيقة ضمن مكوناته إلا بنسبة تقل عن 10 ـ 15 ٪. هنا الحركية الدائمة للمياه تمنع من ترسيب الدقاقات الطينية. بعد ذلك نجد شريطا ثانيا اتساعه حوالي 18 كلم حتى عمق 120 ـ 150م، خاص بالأوحال، ومصدرها الإتايات النهرية، لكنها تبقى عالقة حتى اجتياز الشريط الأول الشديد الحركية. وابتداء من عمق 150 م إلى حافة الرصيف نجد من جديد مواد رملية تشكل الشريط الثالث. لكنها في الغالب رمال أعضائية الأصل أي ناشئة في الوسط البحري وتختلط بها دقاقات وحلية، في هذه الأعماق المهمة نسبيا، يصبح الفرز إذن ضعيفا، جنوب أزمور، نسبة الأوحال تصبح ضعيفة فوق الرصيف القربقاري، والسبب في ذلك مزدوج. أولا قلة الأنهار الكبرى القادرة على تزويد المحيط بكميات هامة من المواد الدقيقة. وثانيا استمرارية حركة مائية صعودية، تجعل الدقاقات التي تنزع إلى الرسوب، تصعد من جديد لتتحول مرة أخرى إلى مواد عالقة.

ترتيب التوضعات تبعا للعمق وديناميية المياه، دلالة على الأهمية القصوى للعامل الهدرولوجي في تشكيل قعر المحيطات وخاصة في المجالات القريقارية. إلا أن العامل الهدرولوجي تتعدى أهميته تأثيره على القعر، ليعم مختلف المظاهر المحيطية، بل ليعم كذلك القارات، وذلك عبر تحديده لكثير من الظواهر المناخية.

فتنوع حرارات الماء البحري، وتنوع الواردات النهرية من حيث مقدار المياه العذبة والإتايات الكيماوية والفتاتية، يخلق تغايرات واضحة على مستوى كثافة مياه البحر. وهذا التغاير في الكثافة هو مصدر التيارات المعقدة، الأفقية منها والعمودية، والتي تسعى إلى خلق توازن حراري وكثافي.

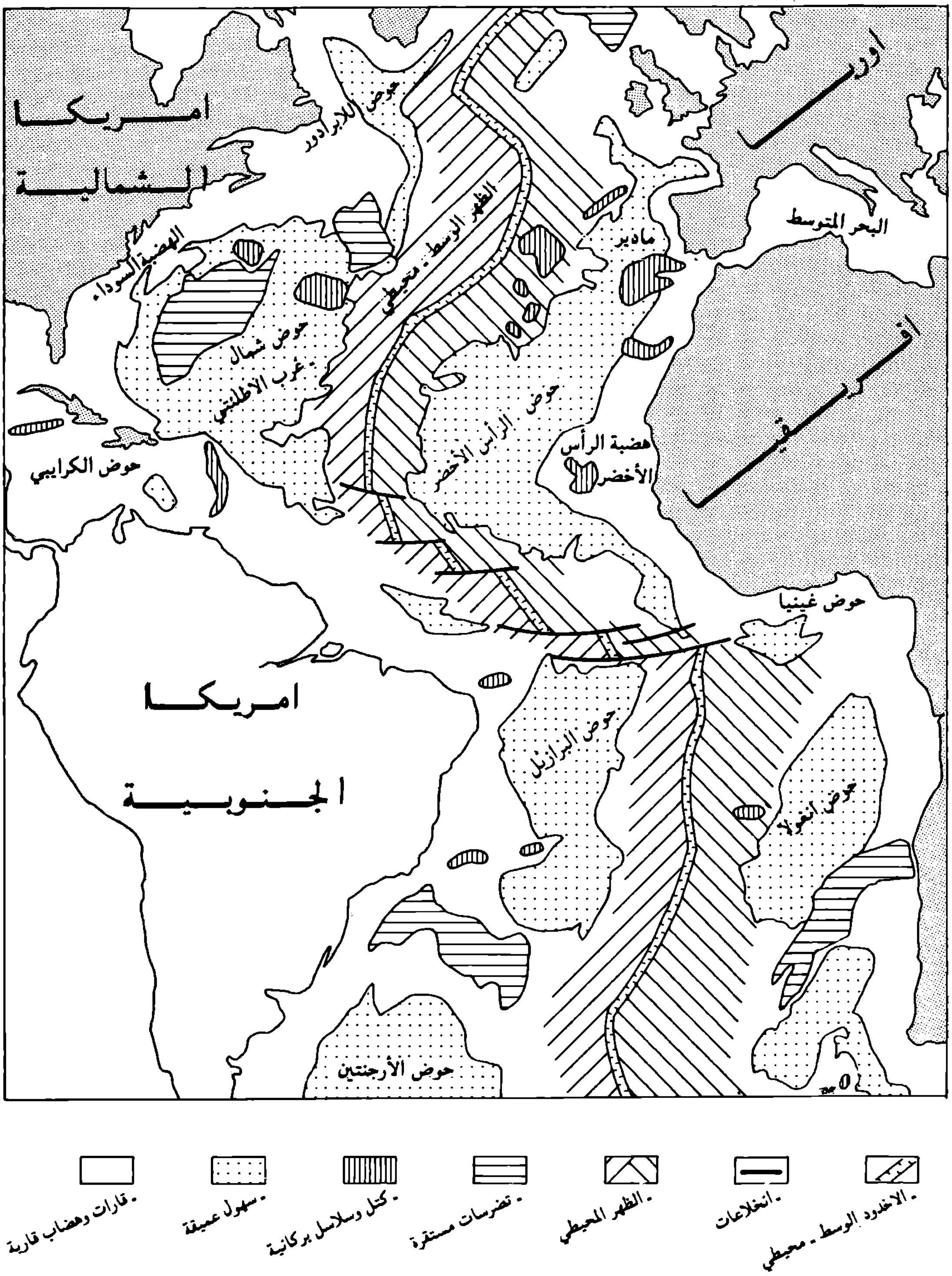

المحيط الاطلنتي الوحدات التضاريسية

ففي العروض الاستوائية، معدل حرارة المياه السطحية 25 ° ومحليا 28 °، لكن أهمية الأمطار والواردات النهرية العذبة تجعل الملوحة تبقى في حدود 35 غرام في اللتر.

وتبعا للرياح التجارية الشرقية، تتنقل المياه من خليج غينيا إلى شاطئ الگويان بأمريكا الجنوبية، كما يتكون صيفا تيار معاكس قرب إفريقيا، وهو تيار مواز للرياح الموسمية المضادة للأليزي. أما التيار النطاقي الشمال استوائي، فهو يصل إلى القارة الأمريكية فينحرف نحو الشمال ليكون تيار الگولف ستريم. ثم بعد ذلك يبتعد عن ساحل الولايات المتحدة، مدفوعا من طرف تيار الأبرادور القادم بموازاة الساحل الكنادي يصبح لهذا التيار الساخن إذن اتجاه عام من ج. غ. إلى ش. ش. إلى أن يصل إلى حدود القارة الأوربية، حيث يؤدي إلى تسخين غير عادي لسواحلها، إلا أن جزءاً من هذه المياه التي وصلت عروضا عليا، تتحرك من جديد نحو الجنوب، فتتوازى مع الساحل البرتغالي والمغربي، مكونة تيار الكناري، هذه المياه القادمة من عروض عليا هي المسؤولة عن تبريد سواحل المغرب وخاصة منها سواحله الجنوبية.

فعلى الساحل المغربي، تبلغ حرارة المياه السطحية ما بين 15 و 23° حسب المواقع والفصول. أما حرارة المياه العمقية فهي أضعف وتتراوح بين 14 و 18 °. وتصل هذا الساحل مياه قادمة من الأطلنتي الشمالي سرعتها حوالي 0.2 م / ثانية. لكن هذه المياه القادمة من بعد ليست وحدها مسؤلة عن تبريد الساحل. بل هناك بالإضافة إلى ذلك حركة محلية صعودية تجعل مياه العمق الباردة، تبرز عند السطح بينما الطبقات العليا المعتدلة تدفع من طرف الرياح التجارية القادمة من القارة. هذا التظافر بين عاملين أحدهما أجنبي والثاني محلي هو المسؤول عن شذوذ مياه البحر على سواحل المغرب. وهذا ما يفسر اعتدال حرارات الصيف حتى عروض صحراوية على مقربة من الساحل. وما يفسر كذلك الوضعية المستقرة للجو في جنوب غرب البلاد، بسبب تبريد الغلاف الجوي من قاعدته بعد ملامسته الطويلة لمياه بحرية باردة. هذا الغلاف الجوي المستقر، يعرف عكس ذلك رطوبة جوية مفرطة وتكاثفات تخص الطبقات الدنيا، ينتج عنها استمرار حالة الضباب والسحب المنخفضة، كما أن تبريد المياه القريقارية بسبب صعود المستويات العمقية يؤدي إلى إغناء دائم ومتجدد لمستويات السطح بالأملاح المعدنية المحلولة، أي بالمواد الغدائية، فيسمح هذا بانتشار نباتات وحيوانات العلق المجهري. وهذا هو السبب في غنى هذه السواحل بالأسماك والحيوانات البحرية المختلفة.

نفس الوضعية الدورانية للتيارات، نشهدها في الشطر الجنوبي إلا أنها معاكسة لعقارب الساعة. فالتيار الاستوائي الجنوبي، ينحرف عند وصوله إلى الساحل البرازيلي، ليصبح موازيا له، قبل الالتقاء جنوبا، بتيار هام قادم من المحيط القطبي الجنوبي. هذا التلاقي يدفع بالمياه إلى الاتجاه نحو الشرق إلى أن تصل ساحل جنوب إفريقيا حيث تنعرج من جديد لتكوِّن تيار بنگلا الموازي للساحل الإفريقي.

هذا بالنسبة للتيارات السطحية والقربسطحية على المستوى الإقليمي. أما إذا اعتبرنا ميزانية المحيط بأكمله فإننا نجد أن الأطلنتي الذي ينفتح بوضوح على المحيط القطبي الجنوبي، يتلقى جل موارده من هذا الجانب. ولذا فإن الحركة جنوب - شمال هي الأساسية عند السطح وعلى مقربة منه. وتُعوض هذا التيار الإجمالي، حركة عكسية تتم في الأعماق الوسطى تحت مستوى 2000 م، تجعل مياه الشطر الشمالي ترجع في اتجاه القطب الجنوبي.

أما عن التيارات المحلية، فإن من أهمها تلك التيارات التي تتلخص في التبادلات المائية التي تتم بين المحيط والبحار المحدودة التي تتفرع عنه، سنأخذ كمثال التبادلات بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنتي عبر مضيق جبل طارق. هذا التبادل ناتج عن الاختلاف في الكثافة بين مياه البحر والمحيط، واحتلاف المستوى إذا اعتبرنا أن البحر المتوسط يفقد من الماء عن طريق التبخر أكثر مما يستقبله من الأنهارّ. لذا فهناك تيار أساسي يجعل مياه المحيط تندفع إلى الشرق، في المستويات السطحية حتى عمق 100 م وبسرعة تصل إلى 150 سم / ثانية، إلا أن هذه المياه الساخنة والعذبة نسبيا، يعوضها تيار معاكس يحدث في الطبقات السفلى، ويتكون من مياه باردة وكثيفة تنصب نحو المحيط بسرعة أقل (5 سم / ثانية). هذه المياه المتوسطية تتفرع بعد اجتيازها المضيق إلى فرعين، أحدهما يتوازى مع الساحل البرتغالي والثاني مع الساحل المغربي.

أما تراقص مياه المحيط فهو عادة من النوع النصف يومي بحيث تعرف السواحل مرحلتي المد والجزر مرتين خلال أربع وعشرين ساعة. ويصل مدى هذا التراقص عادة إلى مرتين، مع اختلاف بين فترات المياه الحية (بداية ووسط الشهر القمري) والمياه الراقدة (فترات الربع الأول والثالث من الدورة القمرية). فخلال مراحل المياه العليا، يصل مدى التراقص حتى 2.9 م في أگادير والبيضاء لينزل إلى 0.4 م خلال المياه الراقدة.

بالنسبة للعباب، فإنه يتكون في المجالات التي تدوم فيها الاضطرابات، ومنها المحيط الشمالي بين الآصور وإسلندة. من هناك تنطلق الأمواج نحو الساحل الإفريقي بارتفاع عادة متواضع بالنسبة لناحية المغرب (أمواج عادة لا تتعدى ارتفاع 2.5 م) وتنتج عن العباب تيارات ساحلية هي المسؤولة عن نقل الفتاتات بموازاة مع خط الساحل.

A. Guilcher, *Précis d'hydrologie marine et continentale*, Paris, 1965 ; G. Boillot, *Géologie des marges continentales*, Masson, 1978.

عبد الله العوينة

أطْوبي، أو طُوبي - بحذف الهمزة - أو الطّوبي - بزيادة أل - أسرة سلوية عريقة، أنجبت عددا من الفقهاء والقضاة والعدول والمدرسين ورؤساء البحر خلال القرنين الثالث عشر

والرابع عشر / 19 . 20. وخرج بعض الأطوبيين في أواخر القرن الماضي إلى مصر طلباً للعلم أو التجارة، وانتقل آخرون منهم إلى السكنى بالرباط . من أشهرهم :

أطُوبي، عبد الهادي بن محمد بن الهاشمي السلوي، فقيه أديب كاتب، ناسك متصوف، ولد بسلا عام 1301 / 1884 وقرأ على أعلام العدوتين ولازم بصفة خاصة شيخه وصهره المحدث الحافظ أحمد بن موسى السلوي أكبر تلاميذ الشيخ العارف بالله سيدي العربي بن السايح الشرقي الرباطي.

كان عبد الهادي أطوبي من عدول سلا المنتصبين للشهادة، يلقي دروسا ببعض المساجد. قرأت عليه في أول عهدي بالطلب طرفاً من *مقدمة ابن أجروم* بمسجد النميلة تحت عقبة المكودي إحدى العقبات الأربع المفضية إلى المسجد الأعظم بسلا، وبقي عالقا بذهني طوال حياتي تقريره عن التركيب المزجي وأحكامه، وذلك لحسن إلقائه وقدرته على الشرح والتوضيح.

انتسخ بخطه الجميل ختمات الشيخ أحمد ابن موسى وشيخه سيدي العربي بن السائح *لصحيح البخاري* وغيره، وجمع في *كناشته العلمية* أشعار السيد ابن السائح، واستخرج مقيدات عدة من خط الشيخ ابن موسى مما سمعه من إملاءات سيدي العربي ابن السائح وإفاداته، إضافة الى فتاواه وأجوبته العلمية المختلفة، وفتاوى فقهاء سلويين آخرين، أمثال محمد الطيب الناصري، وأبي بكر بن الطاهر زنيبر، وأحمد بن الحاج بنعاشر ابن عبد النبي، وإدريس بن محمد الجعيدي. وفي هذه *الكناشة* مساجلات أدبية، وفوائد تاريخية، وإجازات، منها إجازة الشيخ أحمد بن المامون البلغيثي بخطه لعبد الهادي أطوبي بتاريخ ثاني وعشري محرم فاتح عام 1340 / 25 شتنبر 1921.

توفي - رحمه الله - في حادثة سير ببلاد زمور هلك فيها جماعة من علماء مدينة سلا وهم في طريقهم إلى مولاي ادريس زرهون عام 1354 / 1936 (ولا عبـرة بما ذكرت - خطأ - في *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية* من أنه توفي عام 1355 / 1941).

أطوبي، محمد بن عبد الواحد، فقيه رحالة، درس بسلا وانتقل الى مصر في حدود عام 1305 / 87 . 1888 لإتمام دراسته، ثم رجع إلى مسقط رأسه ليشتغل بالعدالة، وكان عام 1311 / 1894 من بين الفقهاء الذين توزع عليهم الصلة الملكية.

أطوبي، محمد الهاشمي، فقيه عدل، ولي قضاء مدينة سلا عام 1236، وهو معاصر للفقيه المفتي عبد السلام ابن عبد الله حركات الذي ألف عدة رسائل في نوازل فقهية مما عرض على القاضي أطوبي، منتقدا أحكامه في الغالب. توفي محمد الهاشمي أطوبي بسلا عام 1254 / 38 . 1839.

أطوبي، محمد بن الهاشمي لعله ابن القاضي السابق الذكر، كان منتصبا للشهادة ضمن عدول سلا عام 1275 / 58 . 1859.

أطوبي، الهاشمي أقدم من عرفت ترجمته من فقهاء هذه الأسرة، اشتغل بخطه بالقضاء منذ عام 1214 كنائب لقاضي العدوتين أحمد الحكمي (ت 1226 / 1811) ثم استقل بقضاء مدينة سلا حين أعفي الحكمي من ولايته في 23 جمادى الثانية عام 1219. وقد أخر الهاشمي أطوبي عن القضاء ثم رجع إليه سنة 1223 واستمرت ولايته الى عام 1226 حيث خلفه القاضي أحمد السدراتي.

أطوبي، الهاشمي بن عبد الوهاب فقيه متمكن ، وأديب شاعر، درس في مسقط رأسه على المؤرخ الشهير أحمد بن خالد الناصري، وقاضي القضاة عبد الله ابن خضراء وأضرابهما قبل أن ينتقل إلى فاس ليوسع دائرة معارفه الشرعية واللغوية والأدبية.

كان متين الأسلوب، جميل الخط طويل النفس في الشعر، تبلغ احدى قصائده 147 بيتا وهي مولدية سينية. اشتغل في عهد الحسن الاول كاتبا في بنيقة الصائر بمراكش، ثم عين عدلا في المراسي قبل أن يرجع الى الكتابة في البلاط الحفيظي ثم اليوسفي. وكان مكلفا بنسج أمهات الكتب النادرة، وخلّف إضافة إلى ذلك عددا من التقاييد والكناشات العلمية.

توفي صبيحة يوم الثلاثاء في سابع وعشري ربيع الثاني عام 1343 / 25 نونبر 1924.

ع.أطوبي، *كناشة*، مخطوطة ؛ م. بن علي، *الإتحاف الوجيز* ؛ م. المريني، *كناشة المريني*، مخطوط ؛ جعفر الناصري، *تقييد في قضاة سلا*، مخطوط ؛ م. بوجندار، *الاغتباط* ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع*، مخطوط ؛ ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر*، ج.2 ؛ م.حجي، *فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا* ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج. 3 ؛ *ذيل الاتحاف الوجيز* ؛ أ. معنينو، *ذكريات ومذكرات*، مخطوط.

محمد حجي

أطُولُولْ، (Autololes) تحدثت مجموعة من الكتاب الكلاسيكيين عن الأُطولولْ نذكر من بينهم بلين الشيخ Pline l'Ancien الذي أفاض في الحديث عنهم فخصص لهم أكثر من فقرة ضمن مؤلفه *التاريخ الطبيعي* (الكتاب الخامس، الفقرات 5، 9، 17)، وأشار إليهم أيضا في كتابه

السادس، الفقرة 201. وهناك من الكتاب الكلاسيكيين من أشاروا للأطولول إشارات عابرة، فلم تتعد معطياتهم فقرة أو جملة، ونعني بهم الجغرافي بطليموس Ptolemée الذي تحدث عنهم في مؤلفه *Géographie* (الكتاب IV، الفصلين 6 ـ 7، الفقرة 14). وتحدث عنهم أيضا سيليوس إيطاليكوس (Silius Italicus) في كتابه *Punicas* (الكتاب II، الفقرة 63)، وپول ـ أوروز (Paul Orose) في كتابه *Adversus Paganos* (الكتاب الأول الفصل 2 : الفقرة 94).

ونعرف أيضا اعتمادا على الباحث الفرنسي Tissot، أن هناك كتابا آخرين متأخرين تحدثوا عن الأطولول، نذكر منهم أيتيكوس Aethicus وإزودور الإشبيلي Isodore de Seville إلا أن أيتيكوس أطلق على الأطولول اسم أولوليس Auloles وذكر أنهم كانوا يعرفون في عصره تحت اسم Galaudae، أما إزودور الإشبيلي الذي استقى معلوماته من الجغرافي أيتيكوس فيكتفي بتسميتهم Galaules هذه التسمية التي نجدها أيضا عند پول أوروز (1، 2، 94).

وتجمع المصادر على جعل موطنهم على شاطئ المحيط الأطلسي ولكنها تختلف في تحديد المنطقة على شاطئ الأطلسي التي كانت مستقرهم، فهناك من الكتاب القدامى من يجعلهم جنوبي سلا، وآخرون يوطنونهم في أقصى الجنوب الغربي. إن بلين الشيخ لم يوطن الأطولول توطينا محددا ضمن فقرات : يقول في فقرة أولى (V. 7) بأن سلا كانت مستهدفة لغارات الأطولول ومهددة أيضا بالفيلة. على كل، فهو يجعلهم جنوب سلا. لكننا لا نعرف مدى امتدادهم في اتجاه الجنوب. وحسب بلين، يلزم اجتياز أراضيهم للوصول إلى الأطلس (V. 7) فهل تعني هذه الجملة بأن منطقة نفوذهم محصورة بين سلا والأطلس؟

في فقرة ثانية (V. 9) يوطنهم بين Rusadir (أگادير) ووادي سوس. وفي فقرة ثالثة يجعل موطنهم في ضواحي موگادور مقابل جزر Purpuraires (V. 201) . ويعود في فقرة أخيرة ليوطنهم في أقصى الجنوب المغربي قرب موطن الأثيوبيين Aethiopas (V. 17).

أما الجغرافي بطليموس فيوطنهم بجنوب غرب موريطانيا (IV. 6 ـ 7 ـ 14) ويضيف أن هناك مدينة تدعى أطولاطا Autolata (IV. 6، 7) توجد فوق أراضي الأطولول. ولكننا لا نعرف هل شكلت عاصمة لقبيلة الأطولول أو كانت إحدى مدنهم المهمة. ويحدد المؤرخ S. Italicus مقرهم في منطقة غابوية.

يعد الأطولول فرعا من الجيتول Getules على حد قول بلين الشيخ (V. 17) ويعتبرهم هذا الأخير، ومعه S. Italicus من أقوى القبائل الجيتولية خلال القرن الأول الميلادي حلُّوا محل المورين (Mawres) والماسايسيليين (Massaesyles) واستوطنوا أراضيهم، ولكننا لا نعرف الكيفية التي تمكن بها الأطولول من الاستيلاء على أراضي القبائل المذكورة.

ويتبين من خلال مصدر بلين الشيخ (V. 17) أن الأطولول هم مجموعة قبائل Confédération وليسوا قبيلة واحدة، ويظهر هذا بوضوح حينما يشير إلى كون قبيلة Vesunes فرع من هذه المجموعة الكبرى انفصلت عنها وكونت شعبا مستقلا استقر بجوار الاثيوبيين Aethiopas. وجعلنا الجغرافي Pausanias في كتابه Description de la Gréce (XLIII، 3). نعتقد أنه يقصد بحديثه عن الصراع الذي جمع الرومان بالمورين الرحل، الكلام عن الأطولول، وإذا سلمنا بهذه الفرضية فإننا نعتبر الأطولول من القبائل الرحل.

وقد تقلصت أهمية الأطولول ومكانتهم خلال القرن الثاني الميلادي فأصبحوا حسب شهادة بطليموس (IV. 6. 6) مجرد قبيلة صغيرة، ونعلم أنه في عهد أنطونان الورع (Antonin le pieux)، أحيطت سلا بسور لحفظها من غارات القبائل، ومن خلال الدراسات يعود تاريخ هذا السور لسنة 144 م. ولا شك أن ظاهرة التسوير بالإضافة إلى بناء الخندق (Fossatum) جنوب سلا رافقتهما ظاهرة تراجع القبيلة في اتجاه الجنوب بسبب ضغط الرومان عليها.

ولكنه لم يتم القضاء عليهم بصفة نهائية حيث يذكرهم پول أوروز (P. Orose) خلال القرن 7 م لكن بتسمية جديدة هي (Galaule) (47،2،1).

ولا ننتهي من خلال استعراض المعطيات الواردة في المصادر لتحديد دقيق لموطن الأطولول ولنمط عيشهم. ولقد ترتب عن هذا تضارب آراء الباحثين المعاصرين : فإذا كانت كل الآراء تتفق على حصر منطقة الأطولول على شاطئ المحيط الأطلسي بين سلا وموگادور فإنها تختلف في التفاصيل. ويوطنهم گزيل Gsell في ضواحي سلا، ويذهب معه كاركوبينو Carcopino نفس المذهب، ولكنه يضيف بأنهم أصبحوا مستقرين بعد عهد بلين الشيخ عند حدود الأطلس وحل محلهم بضواحي سلا البكوات Baquates، وقد دعم رأيه بسكوت المصادر الكلاسيكية خلال القرنين الثالث والرابع للميلاد عن ذكرهم. ويضع كامبس Camps مواطن الأطولول في المنطقة الفاصلة بين سلا والأطلس الكبير، وهو توطين كما نلاحظ غير مضبوط.

M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, (Mémoires de l'Académie des Inscriptions et Belles - Lettres), Paris, 1877 ; P. Orose, *Adversus Paganos*, Livre VII, éd. C. Zangemeister, Leipzig ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens* ; S. Gsell, *Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord*, livre V ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique, Paris 1943* ; G. Camps, *Aux origines de la Bérberie, Masinissa ou les débuts de l'histoire* ; M. C. Sigman, *The Romans and the indigenous tribes of Mauritania Tingitana, Historia*, XXVI, Heft 4. 1977, pp. 415-439 ; Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V. 1-46, texte établie et traduit par J. Desanges, Belles-Lettres (CUF), Paris 1980.

بلفايدة عبد العزيز وبلكامل البيضاوية

اعْبَابُو ـ (أسرة) ـ هناك روايتان حول مدلول كلمة (اعبابو) تقول الأولى إن أصل القبيلة من ناحية گزنّاية بالريف، ومعناها في لهجة هؤلاء : الذرة البيضاء"؛ وتقول

الثانية إن أصلهم عربي من ناحية الساقية الحمراء ويدعون هناك : أيت عباب (من عباب البحر). والمؤكد أن آل اعبابو استوطنوا قديما بلاد الجاية بناحية فاس، وبناحية تازا كذلك. وفي عهد السلطان الحسن الاول كان قائد قبيلة الجاية هو :

اعبابو، أحمد الذي تعرض لغضب السلطان بعد أن نُهبت قافلة لليهود في قيادته، فأمر بالقبض عليه، لكنه استجار بمولاي إدريس إلى أن شفع فيه بعض العلماء، فعفا عنه بعد أن "تركه" أي صادر كل أملاكه، وأهمها ما كان في سهل بوطاهر، واتخذه فقيها لأبنائه.

وهناك روايتان تتفقان على القول بأن حادث القافلة التجارية اليهودية المنهوبة لم يكن سوى فرصة تحينها المخزن للقبض على أحمد اعبابو. وان كانتا تختلفان حول السبب الحقيقي لغضب السلطان عليه، تقول إحداهما : إن أحمد اعبابو ، الذي كان فقيها متضلعا في علم الأسماء، رفض أن يبوح بسر "الكبريت الأزرق"؛ وتدعي الأخرى أنه رفض الضرائب المفروضة على القبيلة بمناسبة إحدى الحركات العسكرية لعدم شرعيتها.

استقر أحمد اعبابو بفاس في حي " الطالعة". وصَاحَب مولاي الحسن في حركته الأخيرة، وتوفي بعد وفاة السلطان (سنة 1312 هـ) بمدة قصيرة . وقد خلف عدة أبناء وبنات.

ثريا برادة

اعْبَابُو، أحمد بن مولود أمُوح، ولد سنة 1911 بدوار تامجونت بورد ناحية إقليم تازا، والتحق بصفوف المقاومة ضمن الفرقة التي كان يرأسها سي العباس والتي كانت ملكفة بالاستعلامات حيث كان يعمل على نقل الأخبار سراً إلى رؤسائه، كما كان يقوم بتهريب الأسلحة من المنطقة الخاضعة للسيطرة الإسبانية إلى رفاقه الثوار في المنطقة الجنوبية. وأثناء ذلك اعتقل بتهمة مخالفة القوانين الاستعمارية، وظل يجاهد بعد أن فر من معتقله وينفذ خطط رؤسائه إلى أن استشهد في معركة هجومية على القوات الفرنسية بمركز بورد ببوزينب بتاريخ 30 أكتوبر 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير.

عز الدين العلام

اعبابو، التهامي كان من المقربين للسلطان مولاي يوسف. وصار حاجبا في عهده. وكان السلطان يسميه "بالفقيه" ويلعب الشطرنج معه. وحصلت له حظوة كبيرة لديه حتى كان يسكن بدار المخزن. ومازال إلى الآن جناح بدار المخزن بالرباط يحمل اسم "دويرية اعبابو" ومنها كان السلطان يخرج لكل أسفاره.

كان التهامي اعبابو يظهر العداء للفرنسيين وللصدر الأعظم الحاج محمد المقري. ولما توفي السلطان مولاي يوسف خرج قاصدا مدينة مراكش لأخذ البيعة لمولاي إدريس أكبر أبناء مولاي يوسف، لكن السلطات ألقت عليه القبض، و"ثقفته" في فندق السلام Hôtel de la Paix بالرباط إلى أن تمت البيعة لسيدي محمد بن يوسف. واتهم فيما بعد بأنه استغل مدة إقامته بدار المخزن لنهب أثاثها. وعُين ولد المعلم، قائد الروا - الذي صار فيما بعد باشا الصويرة - لتفتيش داره. ونصَّب التهامي اعبابوللدفاع عنه محاميا فرنسيا هو Millerand، وهو رئيس سابق للجمهورية الفرنسية، وانتهت القضية بتسوية حبية : تنازل المخزن عن متابعة اعبابو بتهمة النهب والسرقة، مقابل دفع هذا الأخير ستة ملايين فرنك، وتنازله عن ملكية حي درب الحاجب بالدار البيضاء، وبقي محتجباً في داره بالسبيج بفاس إلى أن توفي سنة 1942 م.

اعبابو، حمو (محمد) كان أمينا في عهد حجابة أخيه التهامي.

اعبابو، عبد السلام، أمه من بني زروال اشتغل في المضايفيين أثناء المدة التي كان فيها أبوه مغضوباً عليه، ثم صار أمينا على دار المخزن ودار الشريفات بفاس في عهد حجابة أخيه التهامي. وتوفي أثناء أحد أسفاره للديار المقدسة، ودفن ببيروت.

روايات شفوية.

Charles-Andrè Julien, *Le Maroc face aux impèrialismes 1415*, 1956, p. 141.

ثريا برادة

أعْبيدِي، بن خطاري بن أحمد. ولد سنة 1924 بدوار شرير التابَع لإقليم گليميم وسط عائلة متواضعة. انخرط في صفوف جيش التحرير فتأطر مع الوحدة التي كانت متمركزة بمنطقة أيت باعمران والتي كان يقودها السيد إدريس الحارثي، وتدرب على استعمال السلاح. قام بأعمال جليلة حيث أظهر روحاً قتالية عالية إلى أن استشهد في معركة أمْلو التي خاضها جيش التحرير ضد القوات الإسبانية بمنطقة أيت باعمران سنة 1957.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

الاعتزال بالمغرب، فرقة من أهم الفرق الكلامية في الإسلام، زعيم مذهبها واصل بن عطاء (80 . 141 هـ) الذي كان على اطلاع واسع بمقالات الفرق والملل والنحل وكلامهم، يتقن الحجج والأدلة للرد عليهم، فأسس مذهب الاعتزال الذي يُنعت أتباعه أحيانا بالواصلية نسبة إليه. وقد شاركه الزعامة عمرو بن عبيد الذي يعدُّ هو الآخر مؤسسا للمذهب بصحبة واصل، وقد عاشا في نفس الفترة.

يذهب بعض الباحثين إلى أن المغرب عرف الاعتزال منذ النصف الأخير من القرن الثاني الهجري ، في خضم المذاهب والتيارات السياسية والمذهبية التي عرفها واتسمت أحيانا بالغلو والتطرف أو الاعتدال والتساهل، كالصفرية والإباضية، والمذهب الحنفي. ويقولون إن قبيلة "أَوَرْبَة" التي آوت المولى إدريس الأكبر كانت - مثله - تتبنى الآراء الاعتزالية، لكن وفود المولى إدريس على المغرب سيعقبه

اختيار المغاربة لتيارات أخرى تركز دعائم الوحدة المذهبية : أعني مذهب مالك في الفقه ومذهب أهل السنة والجماعة في العقائد.

أما عن اعتزال إدريس الأكبر فإنه في الحقيقة كان من الشيعة الزيدية وهي فرقة معتدلة، درس إمامها زيد الاعتزال على يد رؤسائه خاصة واصل بن عطاء، وتأثر بهم وانعكس ذلك على مواقف الشيعة الزيدية عموما. ومن أهم المبادئ التي يبرز فيها اعتدالهم، قولهم بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، أي أن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان جائزة رغم أن عليا كان أجدرهم بها.

فهل يعني هذا أن الاعتزال تسرب إلى المغرب مع الشيعة الزيدية وبقيت آثاره فيه رغم اختيار المذهب السني؟ ذلك ما يستنتج مما ذكره الشهرستاني في كلامه عن الواصلية الاعتزالية :"وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة من بلد إدريس بن عبد الله الحسني الذي خرج بالمغرب في أيام أبي جعفر المنصور (*الملل والنحل*، 1 : 46).

ويذهب العديد من الدارسين للفكر التومرتي إلى أن هذا الأخير تطغى عليه الصبغة الانتقائية التي يعكسها تنوع الأصول والمصادر التي نهل منها، ومن بينها الاعتزال الذي يعثرون على مظاهره في ميل ابن تومرت إلى نفي التشبيه نفياً مطلقاً عن الذات الإلهية، وقوله بأن الله لا يكلف العباد مَا لا يطيقون، وقوله بأن مرتكب الكبيرة فاسق.

إلا أن المنهج الذي يسلكونه في دراسة فكر ابن تومرت، يغلب عليه الطابع التفكيكي التجزيئي الذي يركن إلى البحث لكل عنصر عن أصل له خارج الفكر المدروس، ولعل الأجدر كان هو دراسة فكر ابن تومرت في وحدته ككل وفي إطار شروطه التاريخية، عندئذ يبدو لنا لِمَ أَغْرَقَ في التنزيه، فهو لم يفعل ذلك إلا رغبة منه في معاكسة المرابطين الذين اتهمهم بالغلو في التشبيه . أما قوله بفسق مرتكب الكبيرة فلا أظن أنه يحيد به عن الموقف السني في المسألة الذي يعتبره فاسقا أو منافقا أو مؤمنا يُرجأ حكمه إلى الله، ولا يقول بكفره...

ثم لا نجد بعد الموحدين أثراً للاعتزال في العقائد بالمغرب.

الشهرستاني، *الملل والنحل*، بيروت 1975 ؛ ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. النجار، *المهدي بن تومرت*، بيروت، 1983 ؛ ع. الجراري، وحدة *المغرب المذهبية خلال التاريخ*، الدار البيضاء 1976؛ *بحوث مغربية في الفكر الإسلامي*، الرباط 1988.

سالم يفوت

أَعْـجْلِي، محمد بن إبراهيم الباعقيلي. تعلم ببلده، ثم انتقل إلى قبائل (جبالة) بشمال المغرب لأخذ القراءات، وكانت ظهرت هناك مدرسة الحطيات، فأخذ عن مشايخها، وتفنن في أوضاعها، وعاد إلى مسقط رأسه إماماً في هذا الفن، ولعله أول من أدخل فنّ الحطيات إلى قبائل سوس، وله فيه مؤلفات سنتحدث عنها بعد.

كان محمد أعجلي على جانب من الفضل والصلاح منذ صغره، لا يقرأ لوحه إلا وهو على وضوء كما يشهد بذلك شيوخه. وكان للناس فيه اعتقاد كبير يقفون عند إشارته ولا يتخطون أمره، كما يخرج مع طلبته للسياحة وإصلاح ذات البين بين الناس.

قضى أعجلي الشطر الأكبر من حياته في تعليم الروايات، وأذاع في الجنوب فن الحطيات، فأخرج جمهرة كبيرة من المقرئين والحطاطين، وبعد موته خلفه ولده الطاهر، فكان عدد طلبته يفوق المائة.

خلّف أعجلي مؤلفات في فن الحطيات منها : *الاتصال الكبير*، وهو مجموع متداول بين الناس، وقفت على عدة نسخ منه تختلف عن بعضها البعض اختلافاً بيناً. *ميم الجمع*، رتبه على حروف المعجم. *هاء الضمير*، رسالة صغيرة ضمنها هاء الضمير المذكر طرفا، مرتبة على حروف المعجم. *والتنوين*، وهو تقييد في التنوين الذي جاء في آخر الكلمات في القرآن العظيم، وهو ثلاثة أنواع : المرفوع والمنصوب والمجرور، رتبه على الحروف الهجائية. الكلمات الموقوف عليها وتسمية بعض الفهارس *بالهداية لمن أراد الكفاية، على ضبط أواخر الكلمة مما صح بالرواية*.

وتوجد *وقفيات* أحصت وقوف الهبطي مرتبة على حروف المعجم، بينت عدد الوقوف لكل حرف، فالهمزة - مثلا : 237 وقفة، والياء 329، والتاء 550 وهكذا، فمجموع وقوف القرآن - على خلاف في ذلك - 8877. ولا ندري هل هذه الوقفيات هي نفس كتاب *الهداية* أو غيره.

توفي محمد أعجلي عام 1271 / 1854.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة ؛ المعسول* ؛ س. أعراب، جريدة *الميثاق*، ع 136 ؛ دعوة *الحق*، 1976، ع 6.

سعيد أعراب

ابن اعدادة، محمد بن محمد. ولد سنة 1921 بقبيلة بني يخلف، ناحية تاغزوت، انتظم داخل المقاومة وبشهادة بعض رفاقه فإن ابن اعدادة كان يجلب السلاح من مدينة الدار البيضاء ويوزعه على التنظيمات الموجودة بمدينتي الرباط وفاس، لكن عندما افتضح سره ألقت عليه قوات الأمن القبض وأودعته بمعتقل تابع لها بمدينة فاس، وعلى

محمد ابن اعدادة

إثر التعذيب البشع والتنكيل الوحشي الذي تعرض له أثناء اعتقاله لفظ أنفاسه الأخيرة بالسجن بمدينة فاس وذلك يوم 20 شتنبر 1954.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أعدِيّل ← **عديل**

أعـْـراب، أسرة تطوانية أصلها من قرية تغاصة بقبيلة بني گرير الغمارية، وقد كان جل أفرادها يعملون بحّارة في حامية تطوان، حيث نجد منهم عبد الخالق بن محمد، وأحمد بن عبد الرزاق، والمختار بن ميمون ومحمد بن عبد السلام، وعبد الرحمان يعملون كبحارة سنة 1246 / 1830. كما يوجد أفراد من هذه الأسرة بمدينة مكناس منذ القرن العاشر / 16.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 11 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 8 : 211 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias illustres de Tetuan 1921 (A)* ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo 1929 (A)* ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español 1949 (A)*.

محمد ابن عزوز حكيم

أعراب، عبد الرحمان بن قاسم بن محمد بن عبد الله، ولد بمكناس عام 962 / 54 . 1555 وبها بدأ تعليمه ثم رحل إلى فاس فأخذ على كبار شيوخها، خاصة إمام المعقول والمنقول أبا راشد يعقوب اليدري، ولازم أكثر مجالس شيخه وصهره أحمد المنجور حتى كان هذا الشيخ في آخر عمره يخرج إلى القرويين متكئاً على أعراب ليلقي دروسه على كراسيه الوقفية.

تخرج عبد الرحمان أعراب فقيها متمكناً يستظهر مختصر *خليل* ويحيط بفروع المذهب، مشاركاً في العلوم الشرعية الأخرى، من قراءات وتفسير وحديث، وفي المعقولات من حساب ومنطق. ثم رجع إلى مسقط رأسه يدرس ويفتي ويفيد.

توفي بمكناس عام 1003 / 94 . 1595 ودفن خارج باب عيسى.

أ. ابن القاضي، *درة الحجال*، 2 : 363 ؛ إ. الگلالي، تنبيه *الصغير* (مخطوط) ؛ م. الطيب الفاسي، *مطمح النظر*، مخطوط ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 5 : 279.

محمد حجي

الأعرج ← **أحمد** بن محمد القائم بأمر الله السعدي

الأعرج، إسحاق بن يحيى الورياغلي، أبو إبراهيم بن مطهر، المعروف عند أهل فاس بإبراهيم العالم، مودع الحجاج بفاس. ولقب الأعرج لعرجه بسبب إصابته في رجله عندما دخل عليه اللصوص في مسجد ببلاد سدارة لما كان طالبا بها. وهو من ذرية مولاي عبد السلام بن مشيش.

ترك الأعرج مستقر أهله بنواحي سبتة وارتحل إلى الريف وأقام بجبل حَمام على إحدى ضفاف وادي المزمة (غيس حاليا)، بفخذة بني يملك من قبيلة بني ورياغل. وقد خلف بها ذرية كثيرة من حفيده الشيخ العالم سيدي عبد العزيز بن موسى، تعرف بالغلبزوريين، نسبة إلى موضع إقامتهم وهو "أغيل أبزور" بنفس القبيلة.

وقد تفرعت هذه الأسرة وانتشرت في هذه النواحي خاصة بالحسيمة، وبرز فيها رجال عرفوا بالعلم والصلاح، منهم خريجون وذوو مناصب أحياء، ومنهم أيضا محمد بن محمد عمر القاضي. أحد أخوال محمد بن عبد الكريم الخطابي ومرافقه في الكفاح، وسجل ذكرياته عن الحرب التحريرية الريفية في كتاب سماه، *أسد الريف : محمد عبد الكريم الخطابي*...

كان الشيخ إسحاق الأعرج، ذا أخلاق عالية، خاليا من النفاق، ارتحل عن الريف، بعد أن ترك به نسلا كثيرا، وأقام بفاس أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني، وتولى الإمامة بجامع الشطة الكائن بالقرب من المدرسة البوعنانية.

وقد أخذ عن الشيخ أبي محمد صالح الهسكوري، صاحب الشرح على *الرسالة*، المتوفى سنة 653 / 56 . 1255 وهو غير المدفون بأسفي. وكان متضلعا في تدريس *المدونة* حيث وضع عليها *الطرر*. وتولى تدريس *تهذيب البرادعي* في كل من جامع بادس الكبير ومساجد فاس. وممّن تخرج على يديه الشيخ أبو يعقوب البادسي الشهير والشيخ أبو الحسن الزرويلي وجماعة.

ومن مناقبه، ما وقع له من منازعة في مسألة فقهية مع فقهاء فاس، فلما كان الصواب فيها إلى جانبه، تجمعوا ضده، وأوعزوا إلى السلطان يعقوب المريني بأن طلبة البربر - بمن فيهم المترجم له - يعتزمون الخروج عليه، فأمر بإخراجهم، وتولى صاحب الشرطة المدعو أبا العطور تنفيذ الأمر. وحدث أن أصيب هذا بحكة في جنبيه إلى أن مات. ويبدو أن السلطان تبين له بعد ذلك بأنها مؤامرة دبرت ضدهم، فعدل عن قراره وأمر بإرجاعهم، وصار يعظم الشيخ إسحاق ويعترف بفضله ويسعى للقائه وهذا لا يستجيب له.

ويحكى أيضا أن هذا الأمير قدم على الشيخ إسحاق بعد صلاة الجمعة بجامع القرويين فعانقه ثم جلس معه يسأله عن بعض المسائل، فرفض الإنصات له قائلا له بأن لا فائدة في السؤال لأنه لن يعمل بالجواب، ولم يعدل عن إعراضه بالرغم إلحاح السلطان واكتفى بالدعاء له ثم انصرف.

ويروى أيضا عن بركة دعائه ما كان من أمر الشيخ أبي إسماعيل بن أحمد عندما أسر القراصنة عياله بمرسى باليش (مدينة خربها الإسبان أواخر القرن الثامن الهجري، كانت تبعد عن تطوان بحوالي 70 كلم شرقا)، فقصد السلطان للحصول منه على مال يفتدي به عياله، فزار إسحاق وحكي له مصابه، فأعطاه كل ما كان يملك وهو نصف دينار. وعندما عاد لزيارته في اليوم الموالي، زاده ستة وعشرين ديناراً ذهبياً، مخبراً إياه بأنها من بعض المحبين، فدعا له بقضاء الله لحاجته وانصرف قاصداً السلطان، فدفع له هذا ألف دينار، ثم توجه بعد ذلك إلى كدية غساسة (قلعة غساسة الواقعة بقلعية، غرب مليلية، خربها سكانها حتى لا يحتلها الإسبان) ويسر الله له خلاص عياله من الأسر، ورأى الشيخ أبو إسماعيل أن ذلك ببركة الشيخ إسحاق وحسن مشاركته.

وقد توفي إسحاق الأعرج بفاس سنة 683 / 1284، ودفن بباب الگيسة قبالة الباب.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 110 ـ 112 ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية*، 226 ـ 231 ؛ القاضي محمد بن محمد عمر، *أسد الريف محمد عبد الكريم الخطابي*، تطوان 1979، 1 ـ 8 ؛ ابن الريف البخلاخي، *الظل الريف بتلخيص المقصد الشريف، والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف*، طنجة 1987، 33 ـ 34.

مصطفى أربيب

ابن **الأعرج** ← **السليماني** محمد بن عبد القادر

الأعرج ← **علي** بن إسماعيل العلوي

الأعرج، محمد بن علال. ولد سنة 1930 بمراكش وكان نشيطا في المنظمة السرية التي يعمل بها، ويتلخص عمله في التحريض على المظاهرات، وقطع الأسلاك الهاتفية وإحراق متاجر الدخان والخمور وتعبئة جمهور

محمد بن علال الاعرج

المؤمنين وسط المساجد يوم الجمعة. وآخر عمل قام به إلقاء قنبلة على منزل الجنرال بساحة الكتبية، وهناك رماه أحد الجنود السنغاليين الحارسين لمنزل الجنرال بالرصاص فأصابه لحينه، وذلك خلال سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

الأعرج ← ابن **مطر** إسحاق بن يحيى الورياغلي

أعَـرَّاص، (أولاد ـ) أو إعرَّاصْن، أسرة ريفية من بقُّويَة بناحية بادس، ورد انتماؤها إلى صنهاجة، وأشير إلى أنها هاجرت من الأندلس واستقرت جنوب مدينة بادس بجوار منبع عرف باسم "تلا بادس" أي منبع رافد واد كركر الحالي، الذي تجري مياهه نحو ساحل بادس. وتعرف الأسرة أيضا بأولاد البادسي، ويذكر أن لهَا سلفا في الصلاح، ولذلك كانوا يسمون باللهجة البربرية الريفية "إصَرَّامَنْ" و"إقَرَّامَنْ" ومعناه : العلماء. وما يزال مدشرهم محتفظا باسم الأسرة بنفس المكان من قبيلة بني بوفراح.

نجد أصداء هذه الأسرة في المصادر المغربية والأجنبية، لما كان لها من دور بارز في المغرب السعدي وبداية العهد العلوي، بنى لهم عبد الغالب القصبة المعروفة باسمهم بتلا بادس (اسنادة حاليا)، إثر استيلاء الإسبان على الصخرة سنة 972 / 1564، فكان منهم قواد الريفين الشرقي والأوسط، وتمكن منهم أحمد أعرّاص آتي الترجمة من تأسيس إمارة استمرت من 1046 / 1636 إلى 1076 / 1665. وما تزال آثار نفوذ أسرة أعراصن ممثلة على الخريطة بمداشر تحمل اسم الأسرة ودالة على ما كان بيد أفرادها من الأملاك، خاصة بقبيلة قلعيَّة.

وثيقة نسب قبيلة قلعية، 164 ـ 168، مخطوط خ. ع. ؛ مجهول، *تاريخ الدولة السعدية الدرعية*، 92 ؛ ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، 19، مخطوط خ. ع. ؛ ابن سودة، *إزالة الالتباس*، 68، مخطوط خاص ؛ ح. الفگيگي، *قلعية ومشكل الوجود الإسباني بمليلة*، 1 : 135 ؛ *خريطة مليلة*، مقياس 250.000 / 1 (1936) ؛ *خريطة بني بوفراح*، مقياس 100.000 / 1 (1973) ؛ *خريطة منطقة الحماية الإسبانية بالمغرب 1934*، تطوان مقياس 500.000.

أعَرَّاص، أحمد يصعب الآن التعرف على الرابطة الأسروية الموجودة بينه وبين غيره من أولاد أعراص. وقد استفاد من الأوضاع التي آلت إليها مملكة فاس، خاصة بعد وفاة عبد الله بن الشيخ المامون (1033 / 1623)، مما دفعه إلى إعلان استبداده بمنطقته، متأثرا بالحركات التي كانت تسعى إلى نفس الغاية بالأطلس المتوسط وبسلا ومراكش نفسها وسوس. هذا ما أظهره سنة 1046 / 1636.

وآنذاك بدا أن نفوذه امتدَّ على الريف الأوسط وعلى القسم الغربي من بطوية الريف الشرقي، مما يجاور حوض النكور. واحتفظ بهذا النفوذ إلى حين ظهور المولى الرشيد، وذلك بعد أن وجد هذا الأخير في الشيخ عمر بن محمد الحمامي البطوئي، شيخ قبيلة تمسمان، خليفا له ومناوئا لأعراص.

زحف المولى الرشيد نحو بني توزين فاستولى على قصبة تفرسيت وهدمها سنة 1074 / 1663. ثم عاود حربه فاستولى على مدينة المزمة عاصمة إمارة أعراص وهدمها وقبض على ولده عبد العزيز (عزوز)، بينما فر هو إلى قصبة "تلا بادس"، وهي قصبة أولاد أعراص التي سمح لهم عبد الله الغالب ببنائها إثر احتلال الإسبان لصخرة بادس وتخريب المدينة. (القصبة المعروفة حاليا باسنادة). مما دفع أعراص إلى طلب الصلح، لقاء إصهار المولى رشيد إليه في ابنته "طامة" وتسريح ابنه عبد العزيز. غير أن أحمد أعراص لم يتوان عن إظهار خلافه بمجرد وصول المولى مَحمد إليه، والزحف نحوه لمحاصرة حلفاء المولى الرشيد من أولاد حمامة التمسمانيين. وحينما قتل المولى مَحمد سنة 1057 / 1664، توجه المولى الرشيد نحو قصبة أولاد أعراص بتلابادس (اسنادة)، وتمكن من هدمها، التجأ أحمد أعراص إلى صخرة بادس تحت حماية الإسبان، بينما فر أتباعه إلى الرئيس غيلان. ولم يلبث أحمد أعراص أن نزل عند رغبة ابنه عبد العزيز لقبول الصلح ثانية، وهو ما تم سنة 1076 / 1665.

الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي، زهر *الأكم*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 106 ؛ *نشر المثاني*، 2 : 363.

R. Frejus, *Relation d'un voyage dans Mauritanie*, S. I. H. M.. 2º Série - France 1/124-128 ; S.I.H.M. 2º Série, 1/80 - 18/87 ; G. Mouette, *Histoire de Mulay Erchid*, 23-24, 27-28.

أعراص، عبد الله ـ في العهد السعدي ـ كان قائدا للجيش بمدينة فاس، كما كان شديد الخدمة لأبي المحاسن الفاسي، إلى درجة أنه وضعه في منزلة القرابة إذ أنه كان كثير التردد عليه للإقامة. قضى مدة في السجن بأمر من أحمد المنصور، وقد واتته فرصة الخروج منه بتدخل من أبي المحاسن على ما يظهر، حينما أعد أحمد المنصور جيشه لمواجهة ثورة ابن أخيه الناصر بن عبد الله الغالب في رمضان 1003 هـ . وبعد وفاة أحمد المنصور وبداية النزاع بين زيدان ومحمد الشيخ المامون انحاز عبد الله أعراص إلى هذا الأخير، فكان من جملة قواده، عينه على مراكش بعد إجلاء زيدان عنها وفراره إلى تلمسان (1012 هـ) غير أن أهل المدينة ثاروا على عبد الله أعراص بمجرد عودة زيدان سنة 1015 هـ . وتمكنوا من قتله.

ع. الفاسي، *ابتهاج الغلوب*، مخطوط ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا* ؛ م. الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ ابن عجيبة، *أرباب المذاهب*، مخطوط.

حسن الفكيكي

أعراص، عبدالله ـ في العهد العلوي ـ ينتمي إلى الأسرة القيادية الشهيرة بمنطقة الريف. وتتشابه أخباره بأخبار أحمد أعراص سابق الترجمة. إذ يذكر عنه أنه ظهر بهذه المنطقة على مقربة من قلعة بادس خلال مرحلة التمزق السياسي التي عرفها المغرب خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، واستطاع أن يمد سلطته لتشمل القبائل الريفية الموجودة بحوضي النكور وغيس، وأن يقيم شبه إمارة مستقلة حسب ما ذهبت إليه المصادر الأوربية المعاصرة.

ونظراً للاهتمام الذي أولاه مؤسسو الدولة العلوية للمناطق الشمالية من البلاد لتوطيد سلطتهم وفتح قنوات الاتصال بالأوربيين، فإن القائد أعراص أصبح يحتل دوراً هاماً ضمن المشروع السياسي للدولة العلوية الناشئة. وإذا كان أعراص قد ساند المولى محمد بن الشريف فإنه تردد في مبايعة أخيه المولى الرشيد بعد أن وصل هذا إلى الحكم في سنة 1664، وربما كان هذا القائد يتوق إلى الاحتفاظ باستقلاله والاستفادة من ربط علاقات تجارية مع الأوربيين. وفعلا فإنه منح في سنة 1666 امتيازات هامة للتجار الأنجليز وسمح لهم بإقامة منشآت تجارية بخليج الحسيمة.

وعند بداية تلك السنة، وحتى قبل أن يستولي العلويون على مدينة فاس، قرر المولى الرشيد أن يُخضع منطقة الريف، وهو ما تحقق له بعد أن هزم أعراص وألقى عليه القبض. وحتى يضمن ولاءه فإنه تزوج من إحدى بنات القائد ونقله إلى مدينة فاس ليقيم بها مع عائلته. هذه الرواية التي توردها الوثائق الفرنسية تقابلها رواية مختلفة لصاحب *الاستقصا*. فالناصري يذكر أن المولى الرشيد بعد أن قبض على أعراص سرحه واستبقاه على قبائل الريف. ويشير الناصري كذلك إلى أن السلطان المذكور استعمله لإتمام عملية إخضاع البلاد فأرسله في سنة 1671 على رأس حملة عسكرية إلى ناحية سوس. أما علاقته بالمولى إسماعيل (1672ـ 1727) فلا نعلم عنها إلا القليل، وما تذكره المصادر الفرنسية بهذا الشأن هو أنه حدث ما جعل هذا السلطان يتشكك في ولاء القائد أعراص، الشيء الذي دفعه إلى قتله وقتل عائلته بفاس في سنة 1675.

أ. الناصري، *الاستقصا*، الجزء 7.

H. De Castries, *Sources Inédites de l'Histoire du Maroc*, Série France - Dynastie Filalienne, 1922 - 1931.

محمد المنصور

أعراص، علي أول من ظهر من أولاد أعراص على المسرح السياسي إلى جانب الوطاسيين أولا. في 25 فبراير 1549 / 956 كان قائد قبيلة قلعية ورئيس المجاهدين. غير أننا نجده في مارس الموالي يتحول إلى جانب السعديين ويبادر إلى لقاء محمد الشيخ السعدي الذي كان قد وصل إلى أكَرسيف، حيث تلقى التعليمات الخاصة لمضاعفة الحراسة على حدود مليلة. وكان هذا سببا للتضييق على المدينة المحتلة خاصة في فترة التجاء أبي حسون إليها (17 أبريل 1549) وعمر بن يحيى المريني، حاكم دَبْدُو (12 غشت 1550 م).

استمر علي أعراص قائدا على قلعية إلى بداية غشت 1551 حينما وصل الأمر السعدي بالانتقال إلى بادس، لمواجهة الصعوبات التي خلقها هناك القائد الزرهوني المعتصم بحجرة بادس. وقد نجح علي أعراص في استنزاله في أكتوبر 1553. وحينما تمكن أبو حسون الوطاسي في السنة الموالية من السيطرة على الحجرة بمساعدة الأتراك تلقى علي أعراص دعوة من بني شكر القلعية لتمكنه من القيادة، ولذلك بادر إلى الإبحار إلى غساسة بسفنه سنة 1554 م. حيث بقي إلى أن نقل لبادس مرة أخرى في نوفمبر 1558. ومنذ ذلك الحين لا نعرف عنه شيئا.

مجموعة *الأرشيف العام بسمنكاس* .A.G.S رسائل موجهة من مليلية في ملفات : 475 و 476و 477و 479 مؤرخة بما بين 25 فبراير 1549 و 16 نونبر 1552 ؛ حسن الفكيكي، *قلعية، مشكل الوجود الإسباني بمليلية*، 1 : 187 ـ 194.

أعراص، يحيى من بين أولاد أعراص الذين قربهم إليه المولى الرشيد، بعد طاعة القائد أحمد أعراص سنة 1076 / 1665، حينما أمره السلطان بالإشراف على بناء قصبة حجرة النكور، طبقا للرسم الذي قبض بيد التاجر الفرنسي "رولان فريجو" (Roland Frejus) سنة 1077 / 1666 الذي تظاهر بالبحث عن ربط العلاقات بين لويس الرابع عشر ومولاي الرشيد.

أشرف القائد يحيى أعراص على البناء بمساعدة شيخ بطوية عمر بن محمد الحمامي التمسماني، إلى أن اكتملت الحجرة بالبناء، فشحنت بالأقوات والزاد، وعمرت برجال

الحراسة إلى أن سقطت القلعة بيد الإسبان في بداية حكم المولى إسماعيل.

شغل يحيى أعراص منصب قائد مراكش حين أن استردها المولى إسماعيل من يد ابن أخيه أحمد بن محرز سنة 1083 / 1672، وحينما استرجعها هذا الأخير فرَّ منها يحيى أعراص والتجأ إلى زاوية "أبي يعزى"، ومكث هناك إلى أن ضاق به الحال فسار إلى أزمور واعتصم بضريح أبي شعيب إلى أن لحق بأحمد بن محرز الداخل إلى مراكش، خائفا على نفسه من عقاب المولى إسماعيل الذي كان في طريقه إلى مراكش. ومنذ ذلك اختفى عنا أمره بعد أن تمكن المولى إسماعيل من فتح المدينة سنة 1088 / 1677 على إثر انسحاب ابن أخيه الثائر منها.

الحاج عبد الكريم بن موسى الريفي، *زهر الأكم*، مخطوط.

حسن الفكيكي

الأعرش، الميلودي بن الجيلالي. ولد سنة 1934 بدوار الابْراهمة مشيخة الخوازم ناحية وادي زم، إقليم خريبگة. شارك في الثورة الشعبية التي اندلعت بمدينة وادي زم ونواحيها يوم 20 غشت 1955. وخلال قيامه بأعمال فدائية ضد بعض المستعمرين واجهه رجال الدرك الفرنسي بالنار ففارق الحياة وهو مازال شابا أعزب في نفس اليوم.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أعروي، قرية تقع بقبيلة بني بويحيي بناحية الگرت (إقليم الناظور) وكان المكان الذي بنيت فيه يعرف بكدية القنفذ، ثم أطلق عليها اسم أعروي (هناك من يكتبه : العروي، خطأ). وأما الإسبانيون فقد سموها بمونطي عروي Monte Arruit (جبل أعروي) وكان احتلالهم لها للمرة الأولى يوم 18 يناير 1912 وفي يوم 24 يوليوز 1921 لجأت إليها فلول الجيش الإسباني الفارة من أنوال برآسة الجنرال نابارو Navarro غير أنها أصبحت محاصرة من طرف المجاهدين الذين أرغموها على الاستسلام يوم 9 غشت حيث استرجع المغاربة القرية المذكورة، فلم يحتفظوا بها إلا أسابيع قليلة، وذلك لأن الجيش الإسباني تمكن من احتلالها مرة ثانية يوم 24 أكتوبر 1921 م وظلت بأيديهم إلى أن استقل المغرب سنة 1956 م.

Goded (général), Marruecos, *Etapas de Pacification*, 73. 1932, Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa* (G). 73, 1930 ; Domenech Lafuente (Angel), *Geographia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos*, 64, 1942 ; Cabello Alcaraz (J), *Apuntes de geografia de Marruecos*, 185, 1951.

محمد ابن عزوز حكيم

أعروي، معركة جرت بالقرية التي كانت تعرف بكدية القنفذ، وتعرف اليوم بأعروي بقبيلة بني بويحيى (إقليم الناظور)، وذلك على إثر لجوء بقايا الجيش الإسباني المنهزم بمعركة إغريبن (المعروفة بمعركة أنوال)، وفيما يلي تفاصيل معركة أعروي :

في يوم 21 يوليوز 1921 انهزمت القوات الإسبانية الغازية بمعركة إغريبن وأخلت معسكر أنوال عندما انتحر قائدها الجنرال سيلفيسطري Silvestre، وما أن علم خليفته الجنرال نابارو Navarro الذي كان يوجد بمليلية بوقوع الكارثة حتى توجه إلى أرض المعركة ليطلع على الحالة بعين المكان، غير أنه لم يتمكن من اجتياز مركز دار الدريوش حيث وجد بقايا الجيش الهارب من المراكز الأمامية. وعندما تأكد من وفاة رئيسه أخذ نابارو زمام الأمر وبدأ يفكر في إنقاذ الموقف الحرج الذي أصبح يوجد عليه الجيش، إلا أنه بالرغم من الأوامر التي أصدرها إليه المقيم العام بتطوان الجنرال بيرينگير Berenguer فإنه لم يستطع البقاء بمركز دار الدريوش حيث أصبح محاصراً من طرف المجاهدين، وهذا ما جعله يغادر المركز المذكور ويتوجه يوم 23 يوليوز إلى مركز باطيل على رأس بقايا القوات المكونة من 2566 رجلا.

وما إن وصل نابارو إلى باطيل حتى وجد نفسه محاصرا هناك من طرف المجاهدين، الأمر الذي جعله يغادر المركز المذكور ويلتجئ إلى مركز تيزطوطين يوم 27 يوليوز ثم إلى مركز أعروي بعد يومين.

وفي نفس اليوم الذي وصل فيه نابارو إلى أعروي وجد نفسه محاصرا من طرف المجاهدين وكانت حامية المركز تتكون آنذاك من طرف 2907 جندي و 110 ضابط بالإضافة إلى عدد كبير من الجرحى والمرضى.

واستمر حصار المغاربة للمركز المذكور مدة أحد عشر يوما تعرض خلالها المركز إلى قصف المدافع الإسبانية التي غنمها المجاهدون، وهذا ما جعل عدد القتلى والجرحى يرتفع يوما بعد يوم، وكان من بين القتلى الكولونيل بريمو دي ريفيرا Primo de Rivera المتوفى يوم 30 يوليوز.

وفي يوم 6 غشت وجه المجاهدون إلى الجنرال نابارو رسالة يطلبون منه فيها الاستسلام، وفي نفس اليوم عقد بمليلية برئاسة المقيم العام الجنرال بيرينگير مجلسا حربيا لدراسة الحالة الراهنة بأعروي واتفق الجميع على أنه من المستحيل مد يد المساعدة للجيش المحاصر، وعندئذ قبل الجنرال نابارو الدخول في مفاوضات مع المجاهدين ولكن دون جدوى لأنه لم يقبل الاستسلام بدون شرط.

وأخبر نابارو المقيم العام بذلك فكان جواب الجنرال بيرينگير يوم 8 غشت بأنه يتعين عليه أن يتفاوض مع المغاربة على أساس تسليم السلاح.

وكلف نابارو الكومندار ڤيار Villar بالتفاوض مع المجاهدين، وفي اليوم التالي حضر إلى المركز وفد مغربي يتكون من عدة قواد وعلى رأسهم الفقيه بولحية والفقيه محمد بن علي الغماري والقائد بن شلال القلعي والقائد بورحايل والقائد عبد الله العبادي والشريف سيدي الحسن أگزناي.

وقع الاتفاق على : تسليم السلاح والذخيرة الحربية، وحراسة القافلة الإسبانية إلى أن تصل إلى مليلية واحتفاظ الضباط بمسدساتهم.

وعلى هذا الأساس خرجت الفرقة الأولى من المركز بعد

تسليم سلاحها يوم 9 غشت وكان أغلبها من الجرحى والمرضى، غير أنه ما أن غادر الجنرال نابارو المركز مع القافلة الأولى حتى تمرد بعض الضباط الذين لم يشاطروه رأيه في تسليم المركز وحرضوا الجنود على عدم تسليم سلاحهم والفتك بالوفد المغربي الذي كان يستلم السلاح داخل المركز.

واضطر المغاربة للدفاع عن أنفسهم فوقع قتال بينهم وبين المتمردين الإسبان، الشيء الذي جعل المغاربة الموجودين خارج المركز يقتحمونه ويفتكون بمن كان به من الجنود والضباط الإسبان، وكانت النتيجة أنه لم ينج من المذبحة سوى 165 جنديا و 15 ضابطا استسلموا في أول وهلة بحيث لم يقوموا بأي مقاومة.

وهكذا أسفرت معركة أعروي عن مقتل 2742 جنديا و 95 ضابطا، أي ما مجموعه 2837 رجلا، وأسر 165 جنديا و 15 ضابطا أي ما مجموعه 180 أسيرا، والمجموع بين القتلى والأسرى 3017 رجلا وهو عدد الرجال الذين كانوا بالمركز في اليوم الأول من المعركة : 2907 من الجنود و 110 من الضباط. وكان من بين الضباط الأسرى جنرال واحد هو الجنرال نابارو وكولونيل واحد وكومندران و4 قباطن و7 ملازمين.

ولا صحة لما تقول بعض المصادر الإسبانية من أن المغاربة هم الذين خانوا العهد وفتكوا بالجنود الإسبان بعد أن سلموا أسلحتهم حسب ما نبينه في دراسة وثائقية توجد تحت الطبع بعنوان "معركة أعروي".

م. ابن عزوز حكيم، *معارك الثورة الريفية*، الرباط، 1983 ؛ *معركة أعروي*.

J. M. Arauz de Robles, *Por el camino de Anual*, s.d. Basallo (Francisco), *Memorias del cautiverio*, s. d. ; Berenguer (General), *Campanas del Rif Yebala*, Madrid, 1923 ; *Memorias de la Campanas del Rif Yebala*, 1944 ; Garcia Figueras (Tomas), *Marruecos*, Madrid, 1944 ; Hemandez Mir (F), *Del desastre al fracaso*, Madrid, 1922.

محمد ابن عزوز حكيم

إعَزَّى ويهْدَى، أو إعَزَّى أُوهْدَى، قطب أسا الأكبر، ولد في دار الأمير يعقوب المنصور المريني بمراكش بتاريخ 646 هـ / أبريل 1248 م. وكان مستقره بزاوية أسا حيث دفن في 1 ربيع النبوي 727 / 7 مارس 1326. وتعتبر *مدونة أسا والكراستان* اللتان نشرهما محمد المختار السوسي المصادر الوحيدة الموجودة حاليا حول ترجمته. ويعود الفضل في ترجمة شدرات من *المدونة* إلى اللغة الفرنسية لفانسان منصور مونتاي. لقد كان إعَزَّى ويهْدَى حسب ما ورد على لسانه في الكراسة الأولى يعتبر أباه ميتا منذ اليوم السابع لولادته. ويضيف بأن هذا الوالد قد أوصى بثلث تركته للمؤذنين، واعتبر أمه وصية على ابنه مخافة غضبها. والملاحظة التي نخص بها هده البداية هو الاهتمام الذي أولاه النص لقواعد ومظاهر القرابة والزواج. فدور أم الأب يدل منذ البداية على عدم رسوخ أولوية القرابة الأبوية. هذا ما ترتكز عليه بصفة أساسية صعوبة دلالة العلاقات المكانية جماعة أم الأب وجماعة أم الأم. فيوضع بذلك إعَزَّى ويهْدَى من خلال ما ورد على لسانه في موقع يعترف بأولوية القرابة الأمومية. إن الشكل الذي ورد به نظام التسمية يعتبر أم الأم وحدها جدة حقيقة. فهي تتمسك بحقها في تسمية الوليد وتربيته مما عزّز موقعها لدى الراوي. ويمكن أن نلاحظ انطلاقا من هذا الرسم أن شهادته المسندة إليه كتابة تعتبر في حد ذاتها أداة عملية لتحديد مفهوم الحقوق والواجبات العائلية. ينطلق بعد ذلك إلى سرد كراماته طفلا وشيخا. فيتدخل أحد الرواة المجهولين ليضيف بأن أشهر رواته هم أبو يعقوب يوسف بن عمر بن يسار الأزرق المصري وأبو الأزهري عبد الرحمان بن عبد الصمد ابن عبد الرحمان البغدادي وأبو بكر بن عبد الرحمان الأصبهاني الأعرابي (*المعسول* : x : 171).

وتفيد الكراسة الثانية أن صاحبها محمد بن سعيد المرغيثي قد رأى كتابا منسوبا إلى إعَزَّى ويهْدَى وآخر عن كراماته (*المعسول* : 173 ـ 4). على أن أهمية الكراسة تكمن في سردها الأسس العملية التي ارتكزت عليها سمعة الشيخ الرمزية. فقد أنشأ مدرسة عسكرية يعلم فيها إلى جانب الفروسية مجمل الفنون الحربية بما فيها استعمال الأسلحة المتطورة. بل إن من أسباب شهرته معرفته للكيمياء التي كان يستعملها في الأغراض الحربية. وهذا أمر لا يعني أنه مكتشف البارود بقدر ما يفيد توفره على أكثر الوسائل نجاعة للتسيد على المنطقة. وهو ما تؤكده الوثيقة عندما تشير إلى اتجاه مساعيه نحو الجهاد ضد من يعتبرهم كفارا. وفي هذا الإطار تنجلي ممارساته وأبنائه وأتباعه في مراقبة السواقي والعيون. ولا نشك في أن هذا التملك كان رهينا بحجم وأهمية الأراضي المسقية. لذلك تتضح لائحة أسماء الشيخ وتباعه كأداة تقاس من خلالها أهمية الأراضي المراقبة وحجمها (*المعسول* : x : 175 ـ 176). فحيثما كانت تقام عادة الأبراج بين المداشر المتصارعة يمكن أن نستخلص الجانب العسكري القاضي بمراقبة المواقع الاستراتيجية فوق أراضي سوس والأطلس الصغير وباني حتى الساقية الحمراء. إن هذا الجانب الذي لا يخلو من انعكاسات على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للقبائل يعزز كما نرى من سلطات إعَزَّى ويهْدَى. بل ويجعل من الصعب الفصل داخل القبائل المحلية بين التنظيم الاقتصادي والتنظيم السوسيوسياسي. هنا نتساءل عن موقف إعَزَّى ويهْدَى وأتباعه من الهجرة المعقلية. فنكتشف أنه لا يمكن فصل الأولوية التي أعطيت للنشاط العسكري عن الصراعات التي واجهت الأعراب لدى مقدمهم. ولا شك أن لحمل السلاح دوره الفعلي في تقييم التقاليد الشفوية حول أيت إعَزَّى ويهْدَى حتى القرن السادس عشر. هذا الاعتبار يعد مظهراً للتربية الدينية التي مارستها مدرسة أيت إعَزَّى ويهْدَى على جميع المستويات. لذا فإن من الواجب الاحتفاظ لعلاقة إعَزَّى ويهْدَى بأتباعه بمكانتها الخاصة ونمط سلوكها.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 10 : 166 ـ 211.

V. Monteil, *"Chronique de la zaouia d'assa,* in Mélanges Mohammed El Fassi, publiés à l'occasion du dixième anniversaire de l'université Mohammed V, 1957-1967, Rabat, 81-90.

مصطفى ناعمي

إعزّاتَن، جماعة قروية ببني جافر من قبيلة قلعية واقعة بهضيبة الانفاص المشرفة على واد غساسة، وعلى مدينة غساسة (القلة) المرينية المعروفة، ينتمي السكان إلى بني وعزان الزناتيين العبد الواديين، المستقرين في منتصف القرن الثامن الهجري حول تلمسان. وقد هاجرت أسرة وعزانية إلى قلعية بعد حصار أبي الحسن المريني للمدينة واستقرت بالمكان المعروف لها الآن. وسوق الجماعة هو يوم الثلاثاء وهو سوق بني بوجافر كلها.

يعتمد السكان على الصيد البحري لفقر الأراضي وندرة المياه.

تقاييد نسب قبيلة قلعية ؛ مخطوط لمجهول، رقمه في خ. ع : 1275 ك ؛ *خريطة الناظور*، مقياس 50.000، إنجاز 1967 خ. ع بالرباط ؛ *استطلاع شخصي في عين المكان* سنتي 1976 و 1978.

حسن الفيگيگي

الأعْشَاش، جماعة ضمن قبيلة المهاية (إقليم وجدة)، تستوطن بسيط أنگاد جنوب غرب مدينة وجدة، ولا يمكن فصل تاريخ الأعشاش عن قبيلة المهاية، وهم من أصل عربي، ينتسب بعضهم إلى أولاد الحاج الذين كانوا ينتجعون في هضاب ملوية العليا، وبعضهم يتصل نسبهم بقبيلة بني عامر بناحية سيدي بلعبّاس (الجزائر) والبعض الآخر يردّ أصلهم إلى أهل تافيلالت. وقد اعتبر المخزن المغربي الأعشاش في القرن التاسع عشر ربعاً من أرباع قبيلة المهاية، وكانوا آنذاك يتكونون من سبعة أفخاذ وهي: الخراريب، والحرميون، والمدافعية، وأولاد ابراز، واللواحك، والمهارير، والزوايد. لا يختلف هذا التقسيم عن التقسيم الذي أوردته المصادر الفرنسية في نهاية القرن الماضي، غير أن أول إحصاء في القرن العشرين (1926) سجل تقلص أفخاذ الأعشاش إلى ثلاثة.

كان الأعشاش ضمن قبيلة المهاية ينتجعون منطقة ممتدة من أنگاد إلى الظهرا، لكن التوسع الفرنسي واحتلال عين بني مطهر سنة 1904 أجبرهم على الاستقرار ببسيط أنگاد ضمن مهاية الشمال.

تقييد ايالة وجدة ونواحيها وبعض القبائل المجاورة لفاس سنة 1309 هـ، *كناش في خ. ح.* رقم 192.

De la Martinière et N. Lacroix, *Documents*..., t. 1 pp 179 - 184 ; Voinot, *Oujda et l'Amalat*, 183 - 184 ; *Résultats statistiques du recensement de la population*..., 1926, 277 ; *Liste des confédération, des Tribus*.., 1935

برحاب عكاشة

الأعشاش، قبيلة كبيرة بالشاوية، لعبت دوراً مهماً ضمن اتحادية الشاوية خلال القرن الماضي وبداية القرن الحالي، وكانت إلى أواخر القرن التاسع عشر، تعتبر فرقة من فرق قبيلة مزْاب الكبرى، التي كانت تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي : أمْلال، وأولاد مْراح، والأعشاش. ونظراً لشدة مراس الأعشاش الذين تقع أراضيهم في شمال شرقي الشاوية، وهي أراض تتميز بوعورة التضاريس وانتشار الغابات، فسرعان ما ظهروا في أواخر القرن الماضي وبداية القرن العشرين قبيلة قوية ما لبثت أن استقلت عن مزاب. يستفاد من الروايات المختلفة، أن أصول الأعشاش يغلب عليها الأصل العربي. فمعظمهم ينتمي لعرب بني سليم بن منصور، الذين كانت مواطنهم الأصلية بالجزيرة العربية، وهاجروا لنواحي برقة، ومن هناك دخلوا المغرب مع عرب بني هلال، الذين أنزلهم يعقوب المنصور الموحدي حوالي 1194 م بمنطقة تامسنا. ثم إن يعقوب بن عبد الحق المريني، أنزل أقواماً آخرين منهم خلال القرن الثالث عشر الميلادي بالمنطقة نفسها. والغالب على الظن، أن أصل الأعشاش ـ مثلهم في ذلك مثل معظم قبائل الشاوية ـ يرجع لأصول عربية بقدر ما يرجع لعناصر بربرية محلية من برغواطة وعناصر زناتية من القبائل التي أنزلها المرينيون بالمنطقة.

الظاهر هو أن التسمية، وقد تعني الخيام الصغيرة، تعود لقرون ماضية، لا نعرف خلالها شيئاً عن أحوال هذه القبيلة. فقد ورد اسم الأعشاش عند المؤرخ الضعيف الرباطي، عندما كان يتحدث عن قتال عمال المولى سليمان لقبائل مزاب سنة 1798 م. إذ حدد اسم الأعشاش، كما هو اليوم، في معرض كلامه عن انهزام مزاب وطلبهم العفو من السلطان مولاي سليمان حيث قال :

"وفي 20 صفر 1213 هـ أهدت قبيلة مزاب وهم الأعشاش، والأعشاش فيهم : الخزازرة وابن يمان (بني يمان) وأولاد محمد".

إن الضعيف يشير هنا إلى واقع اندماج الأعشاش ضمن مزاب، ذلك الاندماج الذي بدأ يختفي شيئاً فشيئاً.

الأعشاش خلال القرن XIX : يبدو أن موقع بلاد الأعشاش في الحدود مع قبائل زعير في الشمال الشرقي، وورديغة في الجنوب الشرقي، زيادة على طبيعة بلادهم التي تتميز بوعورة التضاريس وانتشار الغابات، من العوامل التي ساهمت في نمو قوتهم سواء من الناحية العددية، أو من ناحية اكتساب الصلابة والشجاعة. وهكذا ظهرت أفخاذ كثيرة ما لبثت أن استقلت وأدت إلى توزيع فرق الأعشاش خلال القرن التاسع عشر. وقد طرأت عدة تغييرات على ذلك التوزيع نتيجة للأحداث التي جرت بالقبيلة. وقد كانوا مع امزاب وأولاده حريز والمذاكرة وأولاد علي يمثلون نصف الشاوية، في ديوان المخزن، وكان يطلق على هذا النصف اسم : أولاد بوعطية في مقابل النصف الآخر الذي يسمى أولاد بورزگ. وعندما وقع تكثيف الحضور المخزني في أوساط القبائل على عهد مولاي الحسن تمَّ تقسيم الأعشاش إلى خمس قيادات، ثم طرأ توزيع جديد على الأعشاش نتيجة للفتن التي جرت بينهم وبين مزاب من جهة وبينهم وبين ورديغة من جهة أخرى.

فتنة 1311 / 1894 : خلال حركة السلطان مولاي الحسن لتافيلالت حدثت فتن عديدة بين الأعشاش والمذاكرة من جهة، وامزاب خاصة إخوان القائد محمد بن أحمد المزابي من جهة أخرى، ذلك أن الأعشاش هاجموا دواوير إخوان القائد المذكور، ونهبوا لهم الزروع والمواشي، وقد اشتكى القائد المزابي للسلطان عند عودته لمراكش سنة 1311، فأرسل مولاي الحسن محلة برآسة ابنه مولاي بلغيث نزلت قرب الأعشاش ومزاب، واضطر قواد الفرق المتهمة من الأعشاش والمذاكرة إلى أن يدفعوا الذعائر التي فرضها عليهم السلطان كتعويض لأمزاب.

ويبدو أن الحزازات التي نتجت عن جل هذه القضية ساهمت في تجديد الفتن بين الأعشاش وايالة القائد محمد بن أحمد المزابي.

فتن 1313 ـ 1314 / 1896 ـ 1897 : تجددت الفتنة بين الأعشاش ومزاب سنة 1313، حيث هاجم الأعشاش قصبة ابن أحمد ونهبوها، فكانت هذه الحادثة مناسبة للوزير الصدر أحمد بن موسى ليقوم بحركة كبيرة لبلاد الشاوية، بهدف تأديب الأعشاش كما أدَّب قبائل الرحامنة، قبل ذلك بقليل.

وقد خيمت المحلة السلطانية وجيوش القبائل بصخرة الدجاجة، بين الأعشاش ووردیغة، وكلفت قبائل الحوز بقيادة مولاي محمد الأمين، وقبائل الغرب بقيادة محمد الأمراني، بالتضييق الشديد على الأعشاش وخاصة على أولاد محمد منهم، كما استنفرت قبائل الجوار : ورديغة وزعير لحصار الأعشاش. وقد انتهت هذه الحركة بمصادرة أموال الأعشاش وماشيتهم وإلقاء القبض على العديد من رجالهم الذين سيقوا إلى سجون مراكش والصويرة. وتعرضت فرقة محمد للتنكيل الشديد، إذ كانوا هم الهدف حسبما يبدو من الوثائق المخزنية (رسائل عديدة من الصدر أحمد بن موسى لعمال الرباط ومكناس وفاس).

وعلى الرغم من هذا العقاب الشديد، أو نتيجة له، تجددت الاضطرابات بالأعشاش سنة 1902. وصادف الحال ـ هذه المرة ـ انتفاضة عمت الشاوية كلها ابتداء من 1903 إلى 1908. وقد اتخذت الانتفاضة بالأعشاش صفة صراع بينهم وبين ورديغة. لكن سرعان ما وجدت انتفاضة قبائل الشاوية عامة، وضمنها اضطرابات الأعشاش، سبيلها الطبيعي لـمَّا تَحَوَّلت إلى جهاد حقيقي ضد التدخل الأجنبي ابتداء من سنة 1906.

أثر الفتن على الأعشاش : الواقع أن الفتنة بين قبيلتين أو فرقتين وتعسفهم في الجباية كانت تنشأ أحيانا لأسباب بسيطة شخصية أو جنائية، بيد أنه في أواخر القرن التاسع عشر، أضيفت أسباب أخرى تتعلق بدور التدخل الأجنبي والاستغلال الرأسمالي للشاوية من طرف التجار الأروبيين، ومن طرف المحميين والمخالطين لأولئك التجار. والمؤكد أن سعايات التجار والمحميين، إذا لم تكن سببا رئيسيا للخلافات داخل القبائل، فإنها كانت تزيد في حدتها وتستغلها بشكل يسمح للتجار بالصيد في الماء العكر. يدل على ما ذهبنا إليه أن الرواية المحلية ترجع سبب بعض الفتن بين القبائل إلى دس التجار اليهود المحميين بين القبائل، إذ كانوا يطلقون أسماء تحقيرية أو مدحية على بضائعهم التي ينسبونها لهذه القبيلة أو تلك.

ومهما يكن الأمر، فإن الاضطرابات التي عرفها الأعشاش، كانت لها نتائج هامة على مصير القبيلة نفسها، إذ تعرضت للنهب والتنكيل تارة، ووزعت إدارتها إلى قيادات صغرى تارة أخرى.

ففي سنة 1315 / 7 ـ 1898، وزع أحمد بن موسى الأعشاش إلى سبع قيادات.

وفي بداية الاحتلال الفرنسي للشاوية، أي حوالي 1907 / 1908 كانت إدارة الأعشاش موزعة كالتالي :

1 ـ المعاريف، ايصوف مكارطو، بني يمان، القائد العربي بن الفكاك.

2 ـ الخلط أولاد شعيب، أولاد عبد الله، القائد عبد السلام بن العربي.

3 ـ أولاد حمامة، القائد محمد بن بوشعيب.

4 ـ الخزازرة، القائد صالح ولد بوعزة .

5 ـ أولاد عطو، القائد الشرقي بن الحاج.

6 ـ أولاد الزيرق، القائد إدريس ولد زريول.

7 ـ الأولاد، القائد إبراهيم بن الحاج.

8 ـ أولاد عريف، القائد الحاج أحمد ولد حجاج.

وهكذا تعرضت إدارة الأعشاش، باستمرار إلى التعديل والتوزيع بحيث أصبحت كل فخذة تابعة لقائد، مع ملاحظة أن المخزن كان يسند الإشراف على الجميع لقائد مزاب، القاطن بقصبة ابن أحمد، وآخر قائد كان يزاول هذه المهمة هو العربي ابن الشرقي المزابي الذي انحاز للفرنسيين مما جعل الأعشاش يهاجمون قصبته ويخربونها انتقاماً منه، لأنهم اتهموه بالخيانة والانضمام للعدو.

الأعشاش ومقاومة الاحتلال الفرنسي 1907 ـ 1909 : توحدت كلمة قبائل الشاوية، إثر تدخل الأسطول الفرنسي وقيامه بقنبلة الدار البيضاء في غشت 1907، وهكذا بادرت قبيلة الأعشاش كغيرها من القبائل إلى حمل السلاح لأجل الجهاد وطرد المحتلين من الدار البيضاء، وقد خيمت محلة الأعشاش ومزاب قرب قصبة مديونة، ومن هناك، كانوا يهاجمون الفرنسيين، حيث خاضوا عدة معارك حول الدار البيضاء.

وقد برز الأعشاش ومزاب في معركة دار بوعزة التي جرت في ضواحي الدار البيضاء يوم 28 غشت 1907 ففي تلك المعركة تمكن الفرسان المغاربة من إفشال خطة الضباط الفرنسيين وكبدوا قوات الجنرال درود Drude خسائر هامة، وقد تحدثت تقارير الضباط الفرنسيين عن مهارة زعماء الجهاد الذين قادوا تلك المعركة، وكان من أشهرهم محمد ولد بوعبيد، مقدم مزاب والأعشاش عامة، وقائدهم في جهاد الشاوية. ينتمي ولد بوعبيد لفرقة أولاد عطو

بالأعشاش، وقد ظل زعيما للجهاد إلى أن احتلت القوات الفرنسية بلاد الأعشاش فانتقل لفاس.

وتجدر الإشارة إلى أن الأعشاش، مثلوا أكثر قبائل الشاوية صلابة في مقاومة جيش الاحتلال الفرنسي، فبعد انضمام قائد مزاب العربي بن الشرقي للفرنسيين في 10 فبراير 1908، هاجم الأعشاش قصبته (قصبة ابن أحمد) وخربوها في 18 فبراير انتقاما من القائد الذي انضم للأعداد. وفي 10 مارس وقعت معركة شديدة استولى الفرنسيون إثرها على القصبة المخربة، وحاولوا مد نفوذ القائد العربي على كل مزاب والأعشاش، لكن المحاولة فشلت، ولم يتمكنوا من تأسيس مركز عسكري بها إلا في 29 أبريل. وعلى الرغم من المحاولات العديدة التي بذلها الفرنسيون بمساعدة العربي بن الشرقي الذي أعادوا له سلطاته الأولى، لإقناع فرق الأعشاش بوضع السلاح والخضوع للفرنسيين، فإن الأعشاش استمروا في مقاومتهم لجيش الاحتلال الفرنسي. وتركزت المقاومة عند أعشاش الغابة، وعلى رأسهم فرقة أولاد محمد، الذين استمروا في المقاومة إلى نهاية 1908، بل نجد مجموعات من المجاهدين ظلت تقاوم حتى سنة 1909. الأمر الذي أثار إعجاب المغاربة وأكسب الأعشاش الثناء والمجد. وقد قاد مقاومة الأعشاش زعماء اشتهروا على نطاق الشاوية جميعها من أمثال محمد ولد بوعبيد، ومحمد ولد المعطي ولد كابا الحمامي، والجيلالي ولد زريول. إن صمود الأعشاش وشدة مراسهم أمور دفعت المحتلين إلى إيلاء الأعشاش عناية خاصة من الناحية الإدارية.

وضعية الأعشاش الإدارية تحت الاحتلال : لمراقبة الأعشاش بفعالية، وُضعوا في بداية الاحتلال تحت إشراف القائد العربي بن الشرقي المزابي، لكن سرعان ما تبين رفض الأعشاش لتلك المراقبة، فعمل المحتلون على إضعاف قيادات الأعشاش شيئاً فشيئاً وتركيز إدارتهم في يد قائد واحد. وقد اختير قائد المعاريف وبني يمان، العربي بن الفكاك، ليلعب دور المشرف على إدارة فرق الأعشاش، بحيث أضيفت إليه قيادات أخرى بالتدريج، وأصبحت الوضعية الإدارية للأعشاش سنة 1918، تتمير بتقسيمهم إلى ثلاث قيادات هي :

أولا : قيادة العربي بن الفكاك، وتشمل معظم أعشاش السهل الذين يتكونون من حوالي 3376 خيمة. وتضم الفرق الآتية : المعاريف ـ إيصوف مكارطو ـ بني يمان ـ أولاد عريف ـ الأولاد ـ الخزازرة ـ أولاد شعيب ـ الخلط.

ثانيا : قيادة محمد بن بوشعيب، تضم حولي 1053 خيمة وتشمل الفرق الآتية : أولاد حمامة ـ أولا عبد الله ـ أولاد الزيرق.

ثالثا : قيادة الشرقي بن الحاج، وتضم حوالي 310 خيمة وتشمل أولاد عطو فقط.

وتكون القيادة الثانية والثالثة ما يسمى بأعشاش الغابة.

الضعيف، *تاريخ ؛ وثائق مخزنية مختلفة.*

Ville et Tribus du Maroc, Casablanca et Chaouia, 2 T ; E. Miège, *Notes sur les Mzab et les Achache*, in Archives Berbères, Vol 3, 1918.

علال الخديمي

أعْطار، محمد بن حدو، أحد رجال الدولة المغربية الذين احتلوا مكانة متميزة في عهد المولى إسماعيل (1672 ـ 1727). وكل ما نعرفه عن هذه الشخصية أتانا عن طريق الوثائق الأوربية، بينما لا تشير إليه المصادر المغربية بالمرة.

يظهر من الوثائق الفرنسية والأنجليزية التي نشرت لحد الساعة أن محمد بن حدو أعطار (وهو غير أحمد بن حدو الحمامي أحد رجال الدولة الإسماعيلية كذلك) كان كاتبا بالبلاط الإسماعيلي حيث أسندت إليه مهمة تدبير الشؤون الخارجية. ومن التقاليد المخزنية التي تطورت في عهد الدولة العلوية أن يكون عامل الثغور الشمالية (تطوان أو طنجة) وسيطاً بين الدولة المغربية وممثلي القوى الأوربية، وهذا ما أدى إلى قيام منافسة وعلاقات متوترة بين أعطار وقائد تطوان (عمر بن حدو الحمامي ثم أخيه أحمد الذي تولى نفس المنصب بعد وفاة الأول في سنة 1681).

ينتمي محمد بن حدو أعطار، حسب ما ذكره هو نفسه في إحدى رسائله، إلى عائلة عريقة تمرست على الخدمة المخزنية لعدة أجيال. فجدُّه كان خادما ببلاط أحمد المنصور السعدي وابنه زيدان، بينما اشتغل والده مع الأمراء السعديين المتأخرين. ويظهر من نفس الرسالة التي كتبها أعطار إلى ملك أنجلترا في سنة 1681 أنه كانت لجده ووالده صلة بالأوربيين واطلاع على شؤونهم، بل إن والدته كانت من العلوج وإن كنا نجهل جنسيتها الأصلية بالضبط. ولا شك أن انتماء محمد بن حدو أعطار إلى وسط متفتح على الأوربيين خلق لديه استعداداً للاهتمام بالعلاقات الخارجية وجعله مؤهلاً أكثر من غيره لمحاورة الأوربيين، وهذا ما حمل المولى إسماعيل على أن يُسند إليه مهمة الكلام مع ممثلي الدول المسيحية في كل ما يتعلق بمشاكل العصر من أمور البحر وافتكاك الأسرى وغير ذلك.

كانت مسألة طنجة واحتلالها من طرف الأنجليز في طليعة القضايا المعلقة بين المغرب وأنجلترا عند بداية العقد التاسع من القرن السابع عشر، في وقت جعل فيه المولى إسماعهل من تحرير الثغور الشاطئية هدفاً أساسياً من أهداف سياسته. وفي سنة 1681 قدم مبعوث أنجليزي (Leslie) إلى مكناس، وبعد مفاوضات أجراها مع القائد عمر بن حدو الحمامي توصل الطرفان إلى عقد هدنة بشأن طنجة مدتها أربع سنوات. لكن المولى إسماعيل قرر في آخر نفس السنة أن يبعث سفيراً إلى لندن للتفاوض حول اتفاقية سلم بين البلدين، تحل محل اتفاقية الهدنة المذكورة. ويظهر أن السلطان أصبح في ذلك الوقت يتعرض لضغوط متزايدة من طرف العثمانيين من أجل الدفع به

لتصفية الوجود المسيحي بالمغرب، ولم يعد بالتالي راضياً بمجرد اتفاقية هدنة كالتي أبرمها ليسلي مع عمر بن حدو الحمامي في مارس 1681. ووقع اختيار المولى إسماعيل على محمد بن حدو أعطار ليكون سفيره إلى لندن.

وصل أعطار إلى أنجلترا خلال شهر دجنبر 1681 وبقي هناك ما يزيد على ستة أشهر، حيث إنه لم يرجع إلى المغرب إلا في شهر يوليوز 1682. وخلال مقامه بأنجلترا استُقبل من طرف الملك وأعيان الدولة، وأظهر من اللباقة والكياسة ما ترك انطباعا حسناً لدى كل الذين تعرفوا عليه. وقد أُعجب المجتمع الأرستقراطي الأنجليزي بما أظهره أعطار من فروسية وشهامة ونبل أخلاق ؛ وتجلى هذا الإعجاب في الاستقبال الذي خُص به من طرف الجمعية الملكية للعلوم (The Royal Society) التي قبلته في صفوفها كعضو شرفي. وفي شهر مارس 1682 توصل السفير المغربي ومفاوضوه الأنجليز إلى مشروع "اتفاقية سلم وتجارة" كان من المفروض أن تدخل حيز التنفيذ بمجرد المصادقة عليها من طرف عاهلي البلدين.

إلا أن المولى إسماعيل رفض التوقيع على مشروع المعاهدة الذي رجع به أعطار من لندن، وأظهر استياءه من الطريقة التي اتبعها سفيره في تعامله مع الأنجليز لأسباب نجهلها بالتحديد. فأعطار نفسه يُلقي المسؤولية على منافسه أحمد بن حدّو الحمامي الذي كان يخشى أن تُفلت من يده مهمة تدبير العلاقات مع الأوربيين، ولذلك فإنه حاول بكل الوسائل أن يُفسد سُمعة أعطار لدى السلطان، فاتهمه بأنه تساهل في تفاوضه مع الأنجليز وربما ذهب بعيداً في صداقته لهؤلاء. وكانت النتيجة أن غضب المولى إسماعيل على أعطار وأبعده عن خدمته، بل كاد يفتك به، حسب ما صرّح بذلك أعطار نفسه في مراسلاته. إلا أن موقف السلطان سواء من سفيره إلى لندن أو من المعاهدة التي أبرمها مع الأنجليز لا يمكن أن يفسّر فقط على ضوء الصراع الشخصي الذي كان قائما بين محمد بن حدو أعطار ومنافسه أحمد بن حدو الحمامي. فالسلطان كان في ذلك الوقت مستاءً من الأنجليز بسبب تعامل تجارهم مع المتمردين في جنوب البلاد، كما أن رفض المولى إسماعيل لإبرام الصلح مع الأنجليز جاء كنتيجة للضغوط التي أصبح الباب العالي يمارسها عليه. لذلك فإن تصوره للسلم الممكن بين المغرب وأنجلترا تغير تحت تأثير هذه الضغوط وأصبح المولى إسماعيل يطمح إلى تحديد جديد لوضع طنجة يكون فيه الأنجليز حسب تعبيره "أهل ذمة" خاضعين لحكم المسلمين، مثلما كان الحال بالنسبة للمسيحيين الموجودين تحت حكم السلطان العثماني. ومهما كانت الأسباب وراء تشدد المولى إسماعيل فإن الأنجليز أعلنوا تشبثهم بمشروع اتفاقية لندن (1682) ورفضوا الدخول في مفاوضات جديدة، الشيء الذي أدى إلى تصلب في موقف الطرفين، وإلى اقتناع الأنجليز في النهاية باستحالة الوصول إلى تجديد الهدنة بخصوص طنجة. وهذه القناعة هي التي كانت دون شك وراء قرار شارل الثاني في سنة 1683 بإخلاء المدينة.

أما محمد بن حدو أعطار فإنه تمكن من استعادة المكانة التي كان يحتلها بالبلاط الإسماعيلي، وذلك بفضل وساطة أحد القواد المخزنيين الذي كانت تربطه به علاقة المصاهرة. ومن جديد أصبح أعطار من جملة المقربين إلى السلطان بل أصبح من "أهل ديوانه وخاصته". وهكذا نجده خلال العقد الأخير من القرن السابع عشر المحاور الرئيسي للسفراء الأوربيين الذين كانوا يفدون على المغرب. ويظهر أنه اكتسب المزيد من السلطة والنفوذ بعد الإبعاد الموقت الذي عرفه إثر رجوعه من أنجلترا في سنة 1682. وقد وصفه القنصل الفرنسي إيستيل (J. B. Estelle) في سنة 1693 بأنه "الشخص الذي يحكم المملكة كيفما يشاء". واستمر أعطار في خدمة المولى إسماعيل إلى حدود سنة 1722 على الأقل عندما استقبل السفير الأنجليزي ستيوارت (Stewart)، وهو التاريخ الذي يفتقد بعده كل أثر لهذا الرجل.

H. de Castries, *Sources Inédites de l'histoire du Maroc*, Série France-Dynastie Filalienne, 1922-1931 ; J.F.P. Hopkins, *Letters from Barbary*, 1576-1774, The British Academy, 1982 ; P.G. Rogers, *A History of Anglo - Moroccan Relations to 1900*, London, n.d.

محمد المنصور

الأعْظم، محمد الرحماني، وينطق به أيضا "لَعـْظَم" - بدون همز - قائد من قواد الرحامنة السبعة على عهد السلطان مولاى الحسن. ويشار إليه في بعض المستندات بالقائد "ولد الاعظم" أو "ابن الاعظم". وقد عينه السلطان المذكور سنة 1292 / 1875 م على فريق من الرحامنة في إطار سياسة تكثيف الحضور المخزني في القبيلة حيث أصبحت مجموعة سلاَّم (بتشديد اللام) إلى نظر ثلاثة قواد، قائدين منهم كانا على سلاَّم الأعراب وهم فريق من سلام حديث النزوح والاستقرار، في حين كان محمد الاعظم متوليا على سلام الغَرَّابة (بتشديد الراء)، ويقصد بلفظ الغرابة النازحون القدامى من مجموعة سلام. وقد أشار السباعي في *القول الجامع* إلى أن مولاى الحسن "ولَّى على سلام الغرابة ولد الاعظم" في التاريخ المشار إليه أعلاه. وتشير وثيقة مخزنية بتاريخ 21 ذو حجة عام 1293 / 1875 م إلى الدواوير التي كانت إلى نظر القائد الاعظم وهي : أولاد بوعسون، وأولاد بلة، والمتاگيل، وأيت اتليل، وأيت امغان، وأولاد بن عَنٌّ، وأولاد أحمد بن إبراهيم، وأولاد موسى، وأولاد حريز.

استمرت فترة حكمه من 1292 / 1875 إلى ما قبل 3 صفر 1301 / 1884 وهو التاريخ الذي ظهر فيه القائد مبارك بن الطاهر بن سليمان الرحماني الذي أصبح على رأس الإيالة المشار إليها. وتشير المستندات إلى أن محمد الاعظم كان حيا بعد تولية خلفه مما يفيد أنه عزل من طرف المخزن المركزي.

الاعظم (نزالة ـ) قرية توجد حالياً بقبيلة الرحامنة تحمل اسم القائد محمد الاعظم السابق الذكر وتدعى (نزالة الاعظم) وهي بين بنگرير وسيدي عثمان.

م. السباعي، *القول الجامع* ؛ *رسائل مخزنية*.

عبد الرزاق الصديقي

أعْلالُو، أسرة تطوانية أصلها من قرية دار اعلالو من فرقة معدان بقبيلة بني حزمر، وقد اشتهر أفرادها بتطوان بمهارتهم في تسير المطاحن حيث كانوا يشرفون على جل مطاحن تطوان وضواحيها، ويبدو أن هذه الأسرة قد انقرضت بهذه المدينة.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* (año 1931) 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أعلوج (قصبة ـ) ← **المحاميد**

أعْلِيلْ، اسم موقع بالأطلس المتوسط، بين مدينتي صفرو وبولمان شمال شرق آلْميسْ گيگُو، على الطريق السلطاني الرابط بين فاس وتافيلالت. ومعنى الكلمة غير معروف ولا يعتقد أن يكون أمازيغيا رغم بنيتها المطابقة لمذكر هذه اللغة. ونجد هذه الكلمة في صيغة جمع في تيعلالين : اسم واحة في أعلى حوض وادي زيز قرب مركز الريش، ويعتقد أن يكون لها علاقة بالعلو وهو ما يطابق موقعها في الحالتين وما في هذا الموقع الذي عرف عبور قبائل معقلية خلال القرون الوسطى من حوض تافيلالت إلى السهول المغربية الشمالية (سايس) الهضبة الوسطى، الغرب.

وقد اشتهر موقع أعليل بالقلعة التي أسسها به السلطان مولاي إسماعيل سنة 1096 / 1685 ضمن القلاع الهادفة إلى تطويق ثورة كتلة أيت أمَالُو القبلية. (*الاستقصا*، 7 : 68) وقد أنزل بها السلطان إذ ذاك 400 من خيل العبيد بعيالهم، وأصبحت كل الامدادات العسكرية المتجهة إلى تافيلالت تمر على طريقها ؛ ففي سنة 1104 / 1693 مر على طريق أعليل عسكر الطبجية بالمدافع والمهاريس وسائر آلات الحرب يجره نصارى العرائش لإمداد القائد على أرِيشِّي بملوية العليا بالقوة الضرورية لمواجهة ثورة أيت أمالو. (*الاستقصا*، 7 : 80).

ولا نعرف كيف تطورت هذه القلعة بعد موت السلطان مولاي إسماعيل سنة 1727 م. والغالب أن هذا الموقع العسكري قد ضعف إذ ذاك وأن عدد جيش عبيد البخاري قد تقلص به بعد اندلاع ثورة أيت أمالو وانقطاع الأمن في الطريق الرابطة بين فاس وتافيلالت، وقد رجعت الحياة لهذه القلعة مع السلطان سيدي محمد بن عبد الله نظراً لحرص هذا السلطان على تأمين طريق تافلالت حيث نظم حملتين نحو هذه المناطق الجنوبية التي بدأ أيت عطا يهددون بها قصور الشرفاء. وقد مر بأعليل أبو القاسم الزياني لما ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله عمالة تافيلالت في نهاية القرن 18 م. ولكن ثورات أَيْتْ أَمَالُو وأَيْتْ إِدْرَاسْنْ أيام السلطان مولاي سليمان في بداية القرن التاسع عشر الميلادي أرغمت مرة أخرى قوة المخزن على مغادرتها وخاصة بعد الهزيمة التي أصابت جيشه قرب أعليل سنة 1218 / 1803. ولم يرجع لأعليل نفود المخزن إلا مع السلطان مولاي عبد الرحمان، وبقي النفوذ المخزني بهذه القلعة بشكل متصل خلال أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان والسلطان مولاي الحسن اللذين كان لهما وجود قوي بمنطقة تافيلالت رغم ما تخلل عهديهما من ثورات همت كتلة أيت أمالو. ولم ينته دور أعليل كمقر حامية عسكرية إلا مع فترة الاستعمار الفرنسي حيث ركز هذا الأخير وجوده على مراكز ذات طابع أكثر استراتيجية في المنطقة مثل الحاجب وصفرو وبولمان وميدلت وأزرو.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 7، 8، 9.

العربي مزين

اعْلِيوَاتْ، عبد الكبير بن عبد المجيد الكثيري، ويكتب أيضا بدون ياء : (اعلوات) غماري من بني زجل، لم يترجم له أحد من أصحاب كتب التراجم التي وقفنا عليها، وإنما استنبطنا بعض أخباره من كتابه *سراج الغيوب*. كان عليوات فقيهاً متكلما صوفيا صالحا، صحب الشيخ عبد الله الشريف بن إبراهيم العلمي مؤسس زاوية وزان، وخدمه مدة طويلة كان يقوم خلالها بالتدريس في هذه الزاوية ويستقبل العلماء الوافدين عليها بعد أن تكاثر المريدون على عبد الله الشريف ولم يتركوا له وقتاً لمجالسة رجال العلم ومحادثتهم. وكان من بين الوافدين على زاوية وزان العالم الكبير الحسن اليوسي الذي قضى معه اعليوات فيها ليلةً يتذكران حول الأبيات الرمزية المنسوبة لأبي القاسم الجنيد :

توضَّأ بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمَّمْ بالصعيد وبالصخر...

فكان ذلك منطلق المترجم لتأليف *سراج الغيوب في أعمال القلوب*، وهو كتاب ضخم في 669 صفحة، ضمنه كثيراً من المسائل الصوفية والعقدية، وخص الباب الثاني بعد الباب الجامع بمقام الإيمان وذكر الشهادة متوسعا في الرد على الطائفة الأندلسية التي أنكرت ذكر اسم النبي مع اسم الجلالة، وسماها : (الطائفة الخاسرة، والزمرة الفاجرة) وأورد فيه مناظرة وقعت بينه وبين أحد دعاة هذه الفرقة أثبتناها بتمامها في *الحركة الفكرية* (1 : 244 ـ 245) لطرافتها وحيويتها ودلالتها على كثير من زيغ أولئك المبتدعة.

ذكر عليوات في هذا الكتاب أن له مولَّفاً آخر اسمه: *السيف المتين في الرد على من كفَّر عوام المسلمين*، لم نقف عليه، كما لم نقف على تاريخ وفاته ومكانها، وإنما نقدر أنه مات في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل القرن الثاني عشر / 17 ـ 18 م. وربما كان مدفنه بوزان.

ع. عليوات، *سراج الغيوب* (مخطوط) ؛ ع. ابن السايح، *بغية المستفيد*، 117 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة*، 4 : 81 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 1 : 244 ـ 245. 2 : 474.

اعْمَار، ـ بسكون العين وتخفيف الميم المفتوحة الممدودة ـ أسرة سلوية نبيلة تنتسب إلى الشيخ أحمد بن محمد بن عمرو ابن عاشر الأندلسي الشميني السلوي (تـ 765 / 63 ـ 1364) صاحب الضريح الشهير بجوار السور المطل على البحر غربي المسجد الأعظم بسلا. ولا يعرف على سبيل التحقيق وجه لهذا الانتساب، إذ لا يُذكر للشيخ ابن عاشر ذرية، غير أن أولاد اعمار هم القَوَمَة على الضريح منذ عهد بعيد، المتصرفون في فتوحاته بدون منازع. وربما كانوا من أبناء عمومته منتسبين لجده عمرو، قدموا معه أو بعده من الأندلس. وتحريف عمرو إلى اعْمَارشائع في اللسان المغربي الدارج. كما يمكن أن يكونوا من حفدة الولي الصالح أبي علي عمر النفزي السلوي (تـ 764 / 62 ـ 1363) من أكبر مريدي الشيخ أحمد ابن عاشر وخدامه. فقد ذكرت كتب التراجم أنه كان ذا عيال ينفق عليهم من كدٍّ يده في فلاحة بستان له بأسمير من ولجة سلا. ومهما يكن فإن لهذه الأسرة حرمة الانتساب لهذا الشيخ وخدمة حماه منذ أجيال. وأقدمُ من يعرف في الوثائق من مقدَّمي ضريح الشيخ ابن عاشر هو أحمد اعمار الذي أنعم عليه السلطان المولى الرشيد بن الشريف العلوي (1075 ـ 1082 / 1664 ـ 1671) بظهير التوقير والاحترام وأصدر في شأنه وشأن آل اعمار خطاباً إلى عامل سلا أحمد بن يُمون يأمره بأن يسلم إلى المقدم أحمد اعمار عُشر وزكاة ست خيم من أولاد سبيطة بقبيلة عامر المستوطنة بضواحي سلا. وجدَّد الملوك العلويون لآل اعمار ظهائر التوقير والاحترام.

عرف من آل اعمار في القرنين الأخيرين فقهاء وعاظ وعدول، وتجار وصناع مهرة، ويتخرج اليوم من شبابهم مهندسون ومتخصصون في العلوم الحديثة... من أشهرهم :

اعمار، أحمد فقيه متصوف كان من الوعاظ الذين يتقاضون أجرا معلوما من مرتبات الأحباس بسلا أوائل ربيع الأول عام 1245 / شتنبر1820.

اعمار الطاهر بن بناصر، فقيه ناسك واعظ دمث الأخلاق حسن الهيئة نشط كثيراً في حركة التعليم الحر إبان

الطاهراعمار

الحماية، واشتغل فى آخر عمره بالتدريس والخطابة في جامع الشهباء. وقد ترك مجموعة خطب منبرية، وتقاييد مختلفة.

توفي بسلا في 12 رمضان 1398 / 16 غشت 1979.

اعمار، محمد، من كبار تجار المدينة في النصف الأول من القرن الثالث عشر / 19. توفي بسلا عام 1262 / 1846.

اعمار، محمد بن الحاج العربي بن أحمد. كان ـ مثل جده أحمد ـ فقيها عدلاً منتصبا للشهادة. توفي بعد عام 1312 / 94 ـ 1895.

مقيدات خطية في الخزانة العلمية الصبيحية بسلا ؛ *ظهائر* عند أفراد الأسرة ؛ بلقاسم عشاش، *عائلات سلا*، مخطوط ؛ م، بوشعراء، *ذيل الإتحاف الوجيز*.

K. L. Brown, *People of Sale*.

محمد حجي

أعمدة هرقل، أطلق هذا الاسم على جبلي أبيلا Abyla بشمال موريطانيا الغربية (أي المغرب الحالي) وكالبي Calpé بإسبانيا، وهما جبلان يشرفان على ما يسمى حاليا مضيق جبل طارق أو "مضيق قاديس" "Fretum Gaditanum" عند القدماء. واعتبر حداً أقصى للأراضي المسكونة.(Besnier, 362, Polybe, III, 35, 37, 39, 57 ; X, 7 , 40 , XVI, 29 ; Diodore de Sicile, IV 18 ; Strabon, II, 21 ; II, 67 ; Strabon, III, 170 ; Pomponius Méla, I, 27 ; II, 95, Pline l'Ancien, II, 242 ; III, 4 ; V, 2.)

وتحكي الأسطورة أن جبلي أبيلا وكالبي كانا في الأصل جبلا واحداً، ففرق هرقل بينهما ليصل البحر المتوسط بالمحيط الأطلسي. وقد أورد ديودور الصقلي رأيين في هذا الشأن : أولهما أن هرقل أقام هذه الأعمدة لتخليد حملته على غرب البحر المتوسط وذلك بتقريب طرفي القارتين المتباعدتين (إفريقيا وأوروبا). وثانيهما أن القارتين كانتا في الأصل قارة واحدة ففصل هرقل بينهما مكونا بذلك المضيق.Diodore, T. 1. pp. 285 - 286.

ونجد صدى فكرة ارتباط إفريقيا بأوروبا عند بعض الكتاب القدماء وهذا ما نستفيده من سالوست حيث يقول : اعتاد الناس حينما يقسمون الكرة الأرضية أن يجعلوا إفريقيا القارة الثالثة من العالم، وبعض الكتاب لا يعدون سوى قارتين هما آسيا وأوروبا ويربطون إفريقيا بهذه الأخيرة (*حرب يوغورطة*، ص 105).

نلاحظ إذن أن ظاهرة تزحزح القارات فسرها القدماء تفسيرا ميثولوجياً.وتضاربت الآراء حول تحديد موقع جبل أبيلا من الباحثين المعاصرين، فيرى Tissot و Besnier وGsell أن جبل أبيلا هو جبل أكو Acho القريب من مدينة سبتة، يقابله العمود الثاني المتمثل في جبل كالبي أي جبل طارق (Roget, *Index*, p. 9) في حين يرى Joh Schmidt أن أبيلا هو جبل القرود الحالي.

والواقع أن القدماء الذي تحدثوا عن أعمدة هرقل لم

يحددوا موقعها فنجم عن هذا الأمر تضارب آراء المعاصرين. ولازال البحث الأثري لحد الآن لم يتمكن من تحديد الموقع الحقيقي لعمودي هرقل المقامين على شواطئ البحر المتوسط. ويطلق على هذه الأعمدة أيضا أعمدة ملقارت Melgart.

يتضح من الإشارة إلى هرقل وفلول جيشه التي التحقت بأفريقيا الشمالية بعد موته بإسبانيا (سالوست، *حرب يوغرطة*، ف 18. ص 106) أن الرواية الإغريقية تلمح إلى الرواية الفنيقية. فهرقل الإغريقي هو ملقارت. إله مدينة صور وحامي البحارة الفنيقيين باعتبار هؤلاء أول شعب أقام مراكز تجارية على طول الشواطئ المتوسطية، وخصوصا مدينتي قادس بإسبانيا وليكسوس بالمغرب.

Diodore de Sicile, *Bibliothèque historique I*, trad, fred. Hoefer, 1912. Géographie de Ravin, dans Raymond Roget, *le Maroc chez les auteurs anciens*, Société d'Edition "Les Belles Lettres" Paris, 1924, p. 42 ; Hérodote, *Histoire*, livres IV, 43, éd et trad. de Ph. Legrand, coll. G. Budé, Paris 1949 ; *Itinéraire d'Antonin,* dans K. Miller, *Itineraria Romana*, Stuttgart, 1916.v. aussi R. Roget, op cit, pp 39 - 40 ; *Périple d'Hanon* in R. Roget, op cit, p. 17 ; Pline l'Ancien, *Naturalis Historia* éd. C. Mayhoff, coll. Teubner (5 vol) 1892 - 1909 ; *Histoire Naturelle*, Livre V, 1 - 46, Texte établit, traduit et commenté par Jehan Desanges, coll. G. Budé, Paris, 1980 ; Polybe, *Histoire*, Trad Française de D. Roussel, coll "La Pléiade" Paris 1970 v. surtout L. II, 1 ; L III, 37, 39 et 57. LX, 7 et 40 ; L. XVI, 29 ; LXXXIV, 4, 6 et 9; Salluste, *Bellum jugurthinum* ed. et trad. Ernout, coll. G. Budé, Paris, 1946 ; Strabon, *Géographie*, éd. HL. Jones, Loeb, 1917 - 1949 ; Besnier (M), *Lexique de géographie ancienne*, Librairie C. Klincksieck, Paris, 1964, p 2 et 362 ; J. Carcopino, *Le Maroc Antique*, Gallimard, Paris, 1947. p, 57 ; F. Decret et M.Fantar, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité*, des origines au Vè s., Payot, Paris, 1981 ; J. Desanges, Pline l'Ancien, *Histoire naturelle*, T. V, Paris 1980, commentaire, surtout p. 82 pour Herculis columnee, p. 111 pour Gaditanum fretum et pp. 147 - 149 pour Abila ; M. Euzennat, *Les voies romaines du Maroc dans l'Itinéraire d'Antonin*, in Mélanges. Grenier II, Coll. Latomus, Vol L VIII, Bruxelles, 1962, pp 595 - 610 ; S. Gsell, *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, T. I, Paris 1913, p. 467; Roget (R), *Index topographique antique du Maroc*, P. SAM IV, 1983. pp. 8 - 10 ; R. Thouvenot, *la côte méditerranéenne du Maroc d'après le géographie, Ptolémée.* (II : S. après J.C), in R.G.M., XXVIII, 4, 1944, p. 7 ; Ch. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Mauritanie Tingitane*, paris 1877.

علي واحدي، ومحمد مقدون

اعْمَر بن الحاج محمد. ولد عام 1940 بقبيلة السماعلة، وادي زم، إقليم خريبگة، وكان ينتمي لمنظمة اليد السوداء، ينفذ أوامرها ويقوم بعدة اتصالات بين أفرادها. ولما أخبر بمعركة 20 غشت 1955 بوادي زم شارك فيها مشاركة فعالة بدوار أيت عمار بني خيران، وكان حاملا لنبدقية صيد، ظل يضرب بها أثناء المعركة إلى أن استشهد.

اعْمَرو، علي أحمد، من مواليد سنة 1915 بأيت حمى، أيت حسان قبيلة أولاد علي ناحية إموزّار مرموشة، انخرط في صفوف جيش التحرير المغربي ضمن التشكيلة التي كانت مرابطة بمسقط رأسه إموزّار مرموشة تحت إمرة القائد الباشا ميمون أعقّى، فشارك بإخلاص كبير في الهجومات التي كان يقوم بها جيش التحرير ضد جنود الاحتلال بالمنطقة، وخصوصا الهجوم الذي خططت له قيادة جيش التحرير والذي كان هدفه المركز العسكري التابع للقوات الفرنسية، فأصيب بنيران جنود الاحتلال وسقط شهيدا أمام دار حارس المياه والغابات بإموزّار مرموشة، وذلك بتاريخ 2 أكتوبر 1955 على الساعة الحادية عشرة صباحا.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلاء

ابن **الأعْمَش**، محمد المختار الصحراوي، المعروف بالأكبر تعلم على والده، ثم نزل بالشيخ المختار الكنتي، فلازمه حتى صارعالما متمكناً. وكان الشيخ يستخدمه في انتساخ الكتب ففُتح عليه، ودوي صيته في كل الجهات، وشاع ذكره في مختلف العلوم والقراءات بوجه خاص.

وهو الذي أسس مدينة (تِينْدُوف) في حدود سنة 1270 / 1853 وساعده على تشييدها أخواله أبناء قبيلته (تاجاكانت) فكان الرجال يخدمون نهارا والنساء ليلا، وكان حجر الزاوية لهذه المدينة المسجد الأعظم، وهو أول ما بني منها، ثم تتابع سير البناء ، وتفرغ الشيخ بالجامع الأعظم لتدريس القرآن وعلوم الحديث فتتلمذ له كثيرون، من بينهم الشيخ محمد محمود الشنقيطي علامة عصره في اللغة والأدب، مرَّ في طريقه إلى أقطار المشرق على الشيخ ابن الأعمش، فتلقى عنه جملا من الحديث. وكان ابن الأعمش، إلى جانب تدريسه لمختلف العلوم، يفصل بين الخصوم، وقد تصدى لمحاربة أصحاب السطو من القبائل، وأصدر فتوى لمحاربتهم وقتالهم باعتبارهم قطاع الطريق يسعون في الأرض فساداً. وكان له تسعة أولاد علماء أفذاذ، خلفوه في مهامه بعد موته عام 1285 / 1868 وله بتيندوف مشهد بنيت عليه قبة على شكل قباب حواضر المغرب.

ألف ابن الأعمش كتباً في مختلف العلوم والفنون منها: *نصيحة ذوي الرسوخ. وشرح على إضاءة الدجنة، في* عقيدة *أهل السنة* لأحمد المقري. وله *مؤلف في رسم المصحف*.

م. المختار السوسي، *المعسول*، ج 18 : *سوس العالمة* ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط* ص 321 ؛ س. أعراب، *مجلة دعوة الحق*، السنة 17 ع و ص 79 - 80.

سعيد أعراب

أُعَمُّو، أحمد بن أحمد. ولد بتزنيت في ذي الحجة عام 1321 / مارس 1904، ينتمي إلى أيت مَحمد الشرفاء السملاليين من بني عمومة أيت عمرو الوجَّانيين وأولاد سيدي إبراهيم بن علي التّنانيين، استتم حفظ القرآن وبعض المتون ببلده وبتيمَجّاض عام 1342 ثم انتقل إلى مدرسة دُودرار حيث تلقى عن علماء منهم أبو الحسن بن الطاهر الرسموكي، وفي مدرسة أدوز، ومن أشياخه فيها المحفوظ الأدوزي. وخلال عشر سنوات حصل الفنون المتداولة بمدارس سوس، ثم انتقل إلى فاس حوالي عام 1352 هـ حيث أخذ

عن محمد العلمي الفلكي والطائع الفاسي وعباس بناني وغيرهم من علماء القرويين ممن أجازوه.

فتح مدرسة بتزنيت عام 1357، كان هو من مدرسيها، وتولى أثناء ذلك النشاط التعليمي وظيفة ناظر الأحباس بتزنيت بعد تنظيمها الجديد خلف فيها الحسين الساموكني، واشتهر في قيامه بوظيفته بالنزاهة والعفاف. وبعد الاستقلال انتقل من نظارة الأحباس إلى منصب القضاء، وكان فيه أخوه محمد المتوفى عام 1372، واستمر قاضياً إلى أن أحيل على المعاش بتاريخ 7 مايو 1983.

أحمد أعَمو

جمع أحمد أعمُو بين العلم والعمل وحمل أعباء شئون الجماعة في بلدته وظهر تفتحه في توجيه أبنائه إلى التكوين الأصيل والعصري معاً حيث صاروا من المحامين والأطباء.

من تآليفه المخطوطة *هوامش على تفسير "في ظلال القرآن"*، *وتقاييد وأشعار* رائقة، وقد صنفه المختار السوسي وهو الخبير بأحواله في جهابذة الأصوليين السوسيين.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 222 و 223، 13 : 199، 206. و 234، 14 : 53 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 11 ؛ *رواية شفوية* تلقاها كاتب هذه المادة.

عمر أفا

إعَـمّين، إحدى أكبر فصائل أيت سگوگو، المستوطنة المناطق المجاورة لبلاد زيان من الأطلس المتوسط والتي تعتبر مدينة مريرت مركزها الحضري والإداري.

ومركز إعَمِّيْن بصيغة الجمع تحريف أمازيغي لكلمة العاميِّين أي المنحدرين من غير السلالة الشريفة. ومرد ذلك إلى كون مجموعة أيت سگوگو مكونة من قبائل جلها ينتسب إلى الشرف عن طريق الولاية والقطبية، وذاك ما يعرف عند قبائل الأطلس المتوسط بإمْرَابْطن أي المرابطين المنقطعين إلى عبادة الله تعالى، فتبقى ذريتهم تنتسب إليهم بنفس الاسم أو باسم جدهم.

وتبقى قبيلة إعمين أكبر فصائل أيت سگوگو من حيث العدد بعد كل من أيت عمرو وأيت سيدي علي.

Répertoire, 1939, p. 15 et 30.

عبد العزيز توري

الأعيان، تنتمي هذه الكلمة إلى قاموس التراتب الاجتماعي، وهذا القاموس يضعنا أمام مسألتين منهجيتين :

تتصل المسألة الأولى بالموقف الذي اتخذه التاريخ الاجتماعي، بشكل عام، إزاء التصنيفات الإيديولوجية التي أنتجتها المجتمعات التاريخية. فالباحث يميل إلى عدم التقيد بهذه التصنيفات لأنها تحمل تصورات معينة حول المجتمع ، وقد صيغت في معظم الأحيان لتثبيت نظام التراتب والأدوار، وتأكيد مشروعية القوى السائدة. بيد أن المؤرخ يسعى إلى تحليل البنية الاجتماعية في ضوء هرمية الدخل وموقع مختلف الشرائح ضمن علاقات الإنتاج. وفي آن واحد يتزايد الاهتمام بالكلمات والمفاهيم، على اعتبار أن اللغة تمدنا بمؤشرات تفيد معرفة الممارسة الاجتماعية. ثم إن المجتمعات لم تكن دائماً مجتمعات طبقات بالمعنى الاقتصادي، إذ قبل النمط الرأسمالي كثيراً ما نجد مجتمعات المراتب حيث يصعب الفصل بشكل واضح بين المستوى الاقتصادي وغيره من المستويات، بل إن العوامل السياسية والفكرية ساهمت بقدر لا يستهان به في هيكلة المجموعات والعلاقات.

أما المسألة الثانية فهي أننا بصدد مصطلح تداوله المغاربة للتعبير عن أشكال التفاوت والامتياز، مع أنه جزء من معجم عربي - إسلامي تم توظيفه في مجتمعات متباينة، وهذا المعجم يتسم بخصوصيات تلفت الانتباه. فخلافاً لما حدث في ثقافات أخرى، صمد المصطلح الاجتماعي العربي عبر العصور والتحولات، مما يدفعنا إلى التساؤل : ألا يمكن رصد بعض الثوابت التي اجتازت المراحل المتعاقبة ورافقت خصوصيات كل مجتمع عربي على حدة ؟ وحين نستعرض عناصر قاموس التراتب، نجده يتوزع إلى ثنائيات، مثل أعيان / عامة، خاصة / عامة وأشراف / عامة. ليست هناك منظومة متماسكة، فالشريف قد لا يكون من الأعيان، ولفظ العامة يوقع القارئ في الالتباس إذا ورد في سياق لا يتضح فيه مجموع الثنائية المقصودة، فعلى سبيل المثال يمكن للأعيان أن يسمُّوا عامة إذا كان النص يعني ثنائية الأشراف / العامة.

باختصار، من الأفضل أن نميز بين تاريخ الكلمة وتاريخ مضمونها الاجتماعي، ولا بد من تحديد مكاني وزماني. لقد اخترنا التركيز على أعيان مدن المغرب، وعلى الفترة المعاصرة التي بدأت انطلاقاً من القرن التاسع عشر، لأن هناك وفرة وثائقية نسبية، ولأن بداية التراكم المونوغرافي تساعدنا على الاقتراب من ملامح مجتمع الأعيان.

اللفظ وارتباك الدلالة : لنبدأ بالتعريف اللغوي. نقرأ في *اللسان* :"عين كل شيء : خياره"، و "أعيان القوم : أشرافهم وأفاضلهم، على المثل بشرف العين الحاسة". للكلمة إذن معنى عام يشير إلى الشهرة والتقديم، وقد استُعملت عبر العصور الإسلامية بمعنى النخبة والصفوة. لا غرابة في أننا نلتقي بتعابير مثل "أعيان العلماء"، "أعيان الطلبة" و "أعيان الجيش"، فلكل فئة أعيانها. ولا غرابة في أن النصوص تحمِّل الكلمة دلالة ترتبط بالمقياس الضمني للشهرة، وهذا المقياس يختلف من جنس أدبي إلى

آخر. فكتب التراجم مثلا تعتبر أن الأعيان هم الأشخاص الذين استمدوا شهرتهم من العلم أو الصلاح، لأن كتب التراجم والوفيات شكلت عند المسلمين تاريخاً للنخب الثقافية التي جسدت قيم المجتمع وحافظت على استمرارها. ويظهر نفس النزوع عند مؤلفي التاريخ المحلي، إذ خصص هؤلاء بعض أو كل فصول مصنفاتهم (*كالروض الهتون* لابن غازي *واختصار الأخبار* للأنصاري) لأعلام المدن التي أرخوا لها. وحين تعرض كتب الأنساب لبيوتات هذه الحاضرة أو تلك، فهي تحصي الفروع والأحساب، وتسجل ضمنيا مفاخر الأعيان من منظور سلالي يؤكد الاستمرارية العائلية.

أما الأخباريون فقد تعاملوا مع الأعيان تعاملاً يعكس علاقة هذه الفئة بالسلطة المركزية. فعلى امتداد تاريخ الدول المغربية، يرد ذكر الأعيان في سياقات متشابهة مثل البيعة والخروج لملاقاة السلطان عند وفوده ومراسيم الأعياد الدينية واحتفالات العائلة المالكة، ولحظات التفاوض أو التشاور التي يفرضها تأزم الأوضاع واتخاد قرار شائك. في كل هذه الظروف، يحتل الأعيان مكانة المحاورين والناطقين باسم سكان المدينة. وعندما يراسل السلطان مدينة من المدن، فإن الأعيان يُذكرون في الغالب ضمن ترتيب محدد للفئات التي تحتل الصدارة. نجد مثلا نماذج من مراسلات مرابطية وجِّهت إلى "الأشياخ والأعيان والكافة من أهل فلانة"، ونماذج موحدية موجهة إلى "الطلبة والأعيان والكافة"، ونماذج سعدية تخاطب "الشرفاء والفقهاء وكافة الأعيان"

وفي وثائق البيعة يُذكر الأعيان بجانب مجموعات أخرى، غير أن هناك فائدة إضافية، وهي أن هذه الوثائق معززة بأسماء ترفق أحياناً بنوعية المناصب التي تشغلها الشخصيات الموقعة. سوف نتوقف عند سرد أحداث بيعة السلطان الحسن الأول (1290 / 1873) في كتب الحوليات، وعند صيغة ورود الأعيان في نصوص بعض البيعات. كتب السباعي بصدد وصول السلطان الجديد إلى عاصمة الجنوب :"تلقاه أعيان مراكش من شرفاء وعلماء ورؤساء وقضاة..." (*بستان*، 162 ـ 163). وكتب الناصري :"اجتمع أهل الحل والعقد من كبار الدولة وقواد الجيش والقضاة والعلماء والأشراف وأعيان مراكش وأحوازها..." (*استقصا*، 9 : 128). ونقرأ في بيعة نفس المدينة :"واجتمع أهل الحل والعقد علماء وشرفاء وقواد الأجناد وغيرهم..."، وفي وثيقة تتضمن قائمة أسماء أشخاص أشهدوا على أنفسهم بمبايعة السلطان، هناك أصناف من بينها :"أهل مراكش"، "أعيان أهل فاس التجار"، و"أعيان أهل مراكش" (*وثائق*، 3 : 11 ـ 22). أمَّا بيعة فاس فهي تقول :"فبايعه من أهل فاس الخاصة والجمهور ومن والاهم من الناس الصدور والأعيان وأهل الوجاهة في هذا الزمان وذوي الحل والعقد (...) من علماء وعظماء أشراف كرام وسلالة أمراء ورماة ورؤساء جيوش وأجناد...". وتنتهي الوثيقة بأربع قوائم : فإلى جانب الشرفاء العلويين والشرفاء الأدارسة وقواد الجيش، تأتي "اللائحة الثالثة التي يبلغ عدد أعضائها مائة وخمسة عشر، وهي تمثل ضمنيا الأعيان، يتصدرهم قائد المدينة إدريس السراج والأمينان محمد بن المدني بنيس وإدريس بنيس والمحتسب المهدي بناني (در، 105 ـ 129). وننتقل إلى بيعة السلطان عبد الحفيظ، فنجد بها :"جميع أهل فاس الإدريسية، لازالت مصونة محمية، وسائر أشرافهم ورماتهم وعلمائهم وقضاتهم وكبرائهم ونقبائهم ومرابطيهم وصلحائهم وأعيانهم، وخاصتهم وعامتهم، وكذلك أهل فاس الجديد، لشمول التوفيق لهم والتسديد" (*مظاهر*، 2 : 350).

عندما نمعن النظر في هذه المقتطفات، فإننا نخرج باستنتاج أول، وهو أن منطق البيعة يقتضي ذكر الأعيان كفصيل من "أهل الحل والعقد"، وفق ما سنته مؤلفات الأحكام السلطانية. كإلى جانب رجال الدولة والعلماء، يحتل الأعيان موقعاً بين "أهل الاختيار" الذين تنعقد الإمامة ببيعتهم، فيتعين الانقياد والطاعة على كافة الأمة. فالأعيان يساهمون في التأسيس الرمزي لسلطة العاهل الجديد، على أن تعيينه الفعلي يخضع لواقع موازين القوى داخل الدوائر العليا للمخزن.

ويلازمنا انطباع آخر، وهو أن النصوص غير منسجمة في تعريفها الضمني للأعيان. يبدو لأول وهلة أننا أمام استعراض لفئات مختلفة الواحدة تلو الأخرى، ثم نلاحظ أن التصنيف والترتيب يختلفان من نص إلى آخر، ومن الصعب أن نميز في هذا الاختلاف بين خصوصيات المدن واجتهادات المؤلفين. فنحن نلتقي بسيل من المصطلحات، وتؤدي متطلبات الإطناب والسجع إلى استخدام ألفاظ غير محددة المعنى، مثل "الصدور" و "أهل الوجاهة" و "النقباء" و "الكبراء"، وتلك ألفاظ قد ترادف الأعيان. كما أن الحيرة تنتابنا حين يتأرجح الأعيان بين تعريف واسع يشمل العلماء والأشراف وتعريف محدود يضع الأعيان بجانب الأشراف والعلماء. ما مدلول هذا التعامل الفضفاض مع المصطلح ؟ إن عدم التزام المحررين بتصنيف وترتيب ثابتين يعني، ولا شك، أن الأمر يتعلق بحقل دلالي يتسم بالتداخل، وربما كان في ذلك صدى للوسط الاجتماعي الذي هو موضوع التسمية.

النفوذ المحلي ومجتمع الأعيان : إذا استثنينا الأشراف الذين يحددهم عامل النسب، فإن الفئات ذات الامتياز لم تكن تخضع لضوابط قانونية قارة. وكل فئة يتسع معناها أو يضيق حسب التعريف الذي يُمنح للفئات الأخرى. يمكن أن نحصر الأعيان في كبار التجار ورؤساء الحرف (Origines, 104)، أي في النخبة التي ينبني نفوذها على تفوقها داخل المجال الاقتصادي الحضري. بالنسبة للقطاع التجاري مثلا، يتعلق الأمر بتجارة المواد الرفيعة وتجارة الجملة والاستيراد والتصدير. لكن مقياس الانتماء المهني يخفي ظواهر تكشف عنها الممارسات الفعلية والبنيات

العائلية. فقد يتعاطى العالم للتجارة، أو يقتني الضياع فيصبح من الملاكين العقاريين الذين يجنون إنتاج البادية. وقد يكون التاجر مزوداً برصيد ثقافي محترم دون أن يحمل لقب العالم. وحين نتفحص بعض مؤلفات الأنساب، فإننا نكتشف أن الخريطة العائلية لوسط الأعيان بعيدة كل البعد عن الانفصال الذي قد نتصوره بين النخبة الاقتصادية والنخبة الثقافية.

نتعرف على مشاهير العائلات الفاسية من خلال كتاب الكبير الكتاني (زهرة). لنأخذ مثال أولاد بن جلون، فهم يكونون أكثر من ثلاث عشرة فرقة. نلتقي داخل الفرقة الأولى بالعالم محمد بن أحمد (تـ. 1136 هـ) ، وداخل الثانية بالولي الصالح عبد الجليل. ومن بين رجال الفرقة الثالثة تصادفنا حالة المحتسب علي بن أحمد الذي مارس التجارة خمسة من أبنائه، بينما احتل ابنه الآخر منصب ناظر أملاك جامع القرويين، وكان آخر قاضيا بمدينة الصويرة في عهد الحسن الأول. وهناك ثلاث فرق أخرى من نفس السلالة أنجبت حرفيين من صناع الشواشي والحرارين والصفارين. هذا البيت يشخص إذن نموذج "القبيلة" الحضرية :فوراء النسبة الموحدة تتعدد المهن، وتتفاوت الأوضاع المعاشية دون أن تنقطع أواصر القرابة، بل تساعد البنية الأبوية وعادات الكفالة والتحبيس العائلي على توطيد التضامن تحت شارة الأجداد. ومن الملاحظ أن جد الفرقة الذي يترجم له النسّابة حسب الإمكان، لا يكون في معظم الأحيان أقدم اسم في عمود النسب، بل هو أقدم رجل اشتهر داخل السلالة المعنية. كما أن ترتيب الفرق يبدأ بتلك التي انطلقت من ولي أو عالم (*Artistocratie*, 185 - 190). وبذلك مهما اختلفت وسائل الإثراء، فإن التراكم المادي يبدو وكأنه من ثمار بركة الجد المؤسِّس.

وفي نطاق أوسع، تتوثق الصلات بين العائلات عن طريق المصاهرة، وبفضل "الصحبة" فيستفيد التاجر من هيبة الشريف أو العالم، ويستثمر العالم والشريف مكانتهما الرمزية. وهكذا يتخذ مجتمع الأعيان صبغة كتل مبنية على تبادل المصالح. وتتجلى نفس الظاهرة في وسط الأعيان السلاويين في القرن الماضي (*People*, 58 - 65). فهو وسط لا يعرف استقرار المواقع، بل يضطر أعضاؤه لتثبيت نفوذهم عن طريق صيانة العلاقات وشبكات الحلفاء. هذه البنية لم تكن في الواقع وليدة ظرفية جديدة، إذ يؤكدابن خلدون أن "أهل الأمصار كثير منهم ملتحمون بالصهر، يجذب بعضهم بعضاً إلى أن يكونوا لحماً لحماً، وقرابة قرابة، تجد بينهم من العداوة والصداقة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله، فيفترقون شيعاً وعصائب" (*مقدمة*، 672). للمدينة إذن "عصبياتها" الخاصة، وبالتالي فمجتمعها يتسم بنوعين من التضامن، أحدهما أفقي تحدده مستويات العيش والمواقع الاقتصادية، والثاني عمودي ينتج عن رابطة النسب وعلاقات الحلف والتبعية الشخصية والاصطناع، وهي "علاقات الزبونية" حسب اصطلاح علم الاجتماع المعاصر.

تتطلب هذه الفرضيات مزيداً من الاختبار والمناقشة على ضوء المزيد من المعطيات الموثقة، لكنها توفر لنا مفاتيح لفهم بروز الزعامات وتحركات الأعيان عبر تاريخ المدن المغربية. نسوق بعض النماذج : فترات الحكم الذاتي (بنو العزفي بسبتة، وما سمي بجمهورية أبي رقراق وإمارة آل النقسيس بتطوان)، والصراعات التي دارت بين الأحياء، أو بين الأعيان مثلما حدث بين عائلتي الفنانشة والزنابرة بسلا خلال القرن الثامن عشر، وحركات الاحتجاج التي نظمها أو انضم إليها الأعيان (تمرد أعيان الرباط ضد العامل محمد السويسي سنة 1845، مساندة أعيان فاس لحركة الدباغين عند رفض المكوس في أوائل حكم السلطان الحسن الأول) مثل هذه المواقف تدل على التعقد الذي اتسمت به علاقة النخبة الحضرية بجهاز الدولة.

الأعيان والخاصة " بإمكاننا أن نضع الأعيان ـ بجانب الشرفاء والعلماء ـ داخل الخاصة إذا اعتبرنا أن هذه الكلمة تشمل مجموع الفئات التي تحظى بالتقدير والامتياز" (*Origines*, 108 - 109). لكن للخاصة معنى آخر ينحصر في نخبة السلطة. فالوثائق المخزنية تستعمل أحياناً مصطلح "بيوتات الخدمة والرئاسة" في نفس الاتجاه. صحيح أن عائلات من الأعيان تقلدت مناصب التسيير المحلي كالحسبة والقضاء ونظارة الأحباس، وصحيح أن بيوتات حضرية شغلت منصب قائد المدينة مثل عائلة السويسي التي احتكرت هذا الموقع خلال النصف الثاني من القرن الفارط (*أعيان*، 1 : 144). إلا أن هذه المعطيات لا تنفي إجرائية التمييز بين الأعيان كنخبة منبثقة من الكيان الحضري، والخاصة كنخبة ينبع نفوذها من الأعلى، وتتمثل في العائلة المالكة وفي الجناح القبلي ـ العسكري للدولة (فئة الوصفان من عبيد البخاري، وقيادات الگيش). إن هذا التمييز يساعد على تبيان علاقة السلطة المخزنية بالاقتصاد الحضري.

منذ العصر الوسيط، قامت دول المغرب على مراقبة شبكات التجارة البعيدة المدى، وخلافاً للبورجوازية الأوروبية التي برزت على هامش النسق الفيودالي، فإن كبار التجار المغاربة ظلوا باستمرار تابعين للأوليغارشية الحاكمة، وذلك ما عبر عنه ابن خلدون حين تحدث عن "حاجات المتمولين من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة" (*مقدمة*، 655 ـ 656). وفي القرن التاسع عشر، كان التجار عاجزين عن تحقيق تراكم ملحوظ في غياب سند وحماية المخزن. فالنخبة التجارية تتكون من "تجار السلطان" المسلمين واليهود، لأن هؤلاء يستفيدون من القروض المخزنية والتسهيلات في أداء الواجبات الجمركية، كما أنهم يتحكمون في تسويق المنتجات التي تخضع للاحتكار المخزني (*Merchants*, 1 : 186 - 193). ونلاحظ أن إمارة ركب الحج مكنت بعض التجار من الانطلاق نحو التراكم السريع، نذكر من بينهم الطالب بن جلون وعائلة برادة بفاس. وفي مستوى أعم، كان "ظهير التوقير والاحترام" أداة يتحكم بواسطتها السلطان في إنتاج الامتياز.

مع مسلسل المعاهدات اللامتكافئة تفاقمت سيرورة "الانفتاح"، حيث ازدادت تبعية الاقتصاد المغربي للرأسمال الأوروبي، وتأزمت الأوضاع المالية، واحتدت الفوارق الاجتماعية، وكان التجار المستفيدين الرئيسيين من تحولات النصف الثاني من القرن الفـارط. فقد اتسـع حجم الثروات، وتكيَّفت كبريات العائلات التجارية مع تغير خريطة المبادلات، فترى مدينة الصويرة تجتذب تجار الشمال، والفاسيين يبعثون ذويهم إلى الدار البيضاء، بل يقيمون شبكات من الوكلاء داخل المغرب وخارجه. ونتيجة لاتساع الحمايات القنصلية، أصبحت أحوال وممتلكات أعداد من الميسورين في مأمن من التدخل المخزني - ضرائب ومصادرة - . كما أن سياق سياسة الإصلاح دفع الدولة إلى الاستعانة بكفاءات التجار في ميداني المالية والدبلوماسية ممَّا قوى نفوذ الفصيل الحضري داخل أجهزة الحكم. هكذا ارتقت بيوتات مثل بنيس والتازي (فاس) وفرج وبركَاش (الرباط) والخطيب وبريشة (تطوان).

السيطرة الفرنسية والأعيان : مع بداية القرن الحالي، انتقل المغرب من مرحلة التنافس الأوروبي إلى مرحلة الاستحواذ الفرنسي التدريجي. وبمجرد أن ارتسم أفق إبعاد القوى المنافسة، اختطت فرنسا سياسة "التغلغل السلمي" التي تبنَّت مبدأ الحفاظ على الهياكل المخزنية من أجل كسب الشرعية الدولية وتحقيق استعمار تقل كلفته عن كلفة التجربة الجزائرية. ورغم التدخلات المسلحة التي مهدت لمعاهدة فاس (1912)، فإن نظام الحماية سار على نفس النهج، وهو نهج وجد صيغته النظرية في تصور ليوطي لما يجب أن يكون عليه أسلوب الإدارة غير المباشرة. سوف يكون الاعتماد على الأعيان جزءا من هذه المنظومة المتكاملة.

لقد كان ليوطي أرستقراطي الميول، يشده الحنين إلى "النظام القديم" الفرنسي، وكانت وراءه تجربة استعمارية طويلة. فهو أعلن عن رغبته في المحافظة على المغرب التقليدي، واعتبر أن المغاربة شعب تقوده "نخبة طبيعية" وكما أن الأعيان لعبوا فيما مضى دور صلة الوصل بين العامة والمخزن، فإن المصلحة تقتضي أن تحكم فرنسا "معهم لا ضدهم"، بمعنى أن الأعيان أداة يمكن أن تخفف من مفعول الصدمة الاستعمارية، وتقوم بدور المشورة والحوار نيابة عن "الأهالي"، في إطار نظام التراتب الموروث.

كانت هذه السياسة مسلحة بمعرفة الميدان. فالإقامة العامة جنت ثمار الأبحاث التاريخية والسوسيولوجية التي تم تخطيطها منذ إنشاء "البعثة العلمية". وسارع ليوطي إلى خلق أجهزة جديدة لتطوير نفس العملية. فحين نقرأ سلسلة *مدن وقبائل المغرب*، نلتقي بفصول تحصي بدقة عائلات الأعيان في كل المدن المدروسة، وتشير إلى عمقها السلالي ونوع النفوذ الذي بنت عليه شهرتها. وألف المراقب المدني جان كوستي مونوغرافيته التي تحمل عنوان "كبريات عائلات الأهالي بسلا".

شكلت مدينة فاس حقلا لتجريب خطة استمالة الأعيان. فبجانب شعار احترام "المدينة العتيقة" وعدم المس بمناخها الأخلاقي ومقدساتها الدينية، انطلقت تجربة "المجلس البلدي" في خريف 1912 م. كان جل أعضاء المجلس من التجار والعلماء، وحددت له مهمة استشارية تتصل بالقضايا المحلية، وقد اعتبره أحد المسؤولين "مقياس حرارة ممتاز" يساعد السلطات الفرنسية على تتبع ما يروج عبر المدينة من آراء ومواقف، ويبدو أن انتخاب المجلس أثار الحماس في وسط الأعيان. وفي نفس الوقت أعيد تنظيم خطة العدالة، وأحدث "المجلس الأعلى للأحباس"، وسلكت الإقامة أسلوب الإغراء تجاه عدد من العلماء المرموقين الذين أسندت إليهم مسؤوليات داخل الجهاز المخزني. واحتفظت بورجوازية فاس ببعض مواقعها التقليدية في القطاع التجاري (النسيج والشاي والسكر)، بل سمح لبعض الأثرياء المغاربة بأن يساهموا في المؤسسات الاقتصادية الجديدة مثل "المكتب الشريف للفوسفاط".

لم تكتف الإقامة العامة بالتقرب من الأعيان، بل قررت التحكم في إعادة إنتاج النخبة على المدى البعيد، بواسطة سياسة تعليمية أعلنت عن مراميها بدون التباس. فبعد فترة تردد دامت إلى حدود بداية العشرينات، قررت الإدارة الفرنسية استراتيجية تتلخص فيما يلي : إبعاد المتمدرسين المغاربة عمَّا تتضمنه طرق وبرامج التعليم الفرنسي من أفكار وقيم تحررية والحرص على تكريس الأوضاع الطبقية السائدة، وعرقلة أي ترقية اجتماعية قد تخل بالتوازنات التي تتماشى مع مصالح الحماية. وعلى هذا الأساس احتُفظ بالتعليم التقليدي، وأحدثت مدارس حديثة مفصولة عن التعليم الفرنسي وتنقسم في المدن إلى صنفين. هناك "المدارس الإسلامية الحضرية" التي تستقبل أبناء الأوساط الشعبية، ويلتحق هؤلاء، بعد إكمال الدراسة الابتدائية، بمدارس تؤهلهم للمهن اليدوية. وهناك "مدارس أبناء الأعيان"، غير المجانية، والتي تجد امتدادها في "الثانويتين الإسلاميتين" اللتين تم إنشاؤهما بفاس والرباط. ويتلقى التلاميذ في هذا النمط تكوينا يسمح لهم بولوج المناصب الإدارية والمهن الحرة، كما أن هذا التعليم يوفر للبورجوازية المحلية أطراً تساهم في تطوير الأساليب التجارية. وانتهجت الإدارة الفرنسية سياسة مشابهة إزاء القوى الاجتماعية السائدة في البوادي، فقد افتتحت مدرسة "الدار البيضاء" بمدينة مكناس لتكوين ضباط مغاربة، وكان جل تلاميذها من أبناء القواد وبيوتات المرابطين والأشراف.

لقد شهد الميدان التعليمي بداية التحرك الجماعي الذي لجأت إليه النخبة الحضرية لمجادلة المخططات الفرنسية. ففي سنة 1921 م انطلقت "المدارس الحرة" التي أطرها مثقفون من خريجي جامعة القرويين، يجمعهم العزم على مواجهة الاستلاب اللغوي وتأكيد الهوية العربية - الإسلامية ونشر الفكر السلفي، وهم نفس المثقفين الذين سوف يؤسسون

الجمعيات السرية ابتداء من 1926 م، أي في مناخ انتكاس المقاومة الريفية. ولا أدل على ذلك من أن مؤسسي أول جمعية بفاس كانوا من أطر "المدرسة الناصرية" وهم المختار السوسي ومحمد غازي وعلال الفاسي وإبراهيم الكتاني. وكانت هذه السيرورة موازية لبروز تناقضات نظام الحماية. فوراء شعار "الاشراك"، اتضح الاتجاه نحو أسلوب الإدارة المباشرة، واكتسح الرأسمال الفرنسي القطاعات الاقتصادية الاستراتيجية. وفي آن واحد لم يتم تعميم المجالس البلدية، وعبر النظام التعليمي عن نفس الارتباك، فقد حضر ليوطي مشروع قسم "التعليم الإسلامي" وقسم الدراسات التجارية بالمعهد العالي للدراسات المغربية بالرباط، وذلك من أجل تكوين أطر مغربية عليا في مجال الإدارة والتجارة، لكن هذين المشروعين لم يصلا إلى مرحلة التنفيذ.

ما هي إذن العلاقة بين الأعيان ولحظة الاختمار الثقافي للحركة الوطنية ؟ أنحن أمام حركة مثقفين استطاعت أن تكسب تعاطف الأعيان وتضامنهم ؟، أم أن الحركة الثقافية كانت تعبيرا عن خيبة النخبة الحضرية بشكل عام ؟ إلى أي حد أثرت بنية الأعيان في تشكل الحركة الوطنية وممارستها؟ وهل تجاوز العمل الوطني الاستراتيجية التي صاغتها إدارة الحماية لإعادة إنتاج مجمتع الأعيان، أم أن هذه الإستراتيجية تركت آثارها على المدى البعيد ؟ هذه أسئلة ترتبط بإشكاليات أوسع، وتتطلب الإجابة عنها أن يفتح ملف التاريخ الاجتماعي لمغرب الحماية.

ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ أ. ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط ؛ م. السباعي، *البستان الجامع*، مخطوط ؛ الكتاني، *زهرة الآس*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ م. المنوني، *مظاهر يقظة المغرب* ؛ *الوثائق* (دورية) العددة 3 ؛ ع. الفاسي، *أعيان مدينة الرباط*.

J. Halstead, *Rebirth of a nation* ; M. Chapi, *Quelques grandes familles du Makhzen* ; K. Brown, *People of Salé* ; A. Laroui, *les Origines* ; N. Cigar, *Société et vie politique à Fès sous les premiers Alawites* 1660 - 1830) Hespéris Tamuda, 1978 - 79. p : 93 - 172 ; M. Kenbib, *les protections étrangères* ; A. Sebti, *Aristocratie citadine* ; D. Shroeter, J, *Merchants and Pedlars of Essaouira ; D. River, Lyautey.*

عبد الأحد السبتي

أعيسى عَقًا. ولد سنة 1922 بأيت إبراهيم أيت لحسن بمروشة بإقليم بولمان. شارك في صفوف جيش التحرير والمقاومة ضمن تشكيلة السيد علي بُزّيَّانْ أثناء ثورة أكتوبر سنة 1955 بعد ما أغارت فرقة من القوة الفرنسية على مركز مرموشة. استشهد وهو يشارك في هجوم على المركز المذكور، وكان ذلك يوم 2 أكتوبر من سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أعياش ← العياشي

الأغالبة والمغرب، من المعلوم أن دولة الأغالبة عاشت أزيد من قرن من سنة 184 إلى سنة 296 هـ، فكانت معاصرة لدولة الأدارسة، وأنهم كانوا موالين للعباسيين، برغم تمتعهم بنوع من الاستقلال في توليتهم الإمارة على أفريقية. وظهر ولاؤهم بالخصوص، في مراقبة أعداء الدولة العباسية بالغرب الإسلامي، إذ من المعلوم أن الأندلس وبلاد المغرب الأوسط والأقصى أعلنت انفصالها عن الخلافة العباسية وقامت فيها عدة دول يهمنا منها ها هنا تلك التي تأسست بالمغرب الأقصى وهما الدولة المدرارية بسجلماسة ودولة الأدارسة بفاس.

وليس من المستبعد أن الخلافة العباسية بالمشرق كانت تسعى إلى بسط نفوذها على مجموع الغرب الإسلامي، معتمدة في ذلك على الأغالبة. لكن هؤلاء لم يستطيعوا تحقيق أمنيتها، وإنما اكتفوا بمساعدتها عن طريق الكيد لأعدائها ومضايقتهم والحيلولة دون توسعهم في البلاد. وقد توصلوا في ذلك إلى بعض النتائج.

فيما يخص علاقات الأغالبة بالمدراريين تضاربت آراء المؤرخين، فمن قائل إنه حصل اتصال وتوادد بين الطرفين، ومن قائل إن المدراريين كانوا تابعين للأغالبة، ومن قائل بالتقاطع والعداء بينهم. ولربما كان الواقع أشد تعقيداً من ذلك. إذ من المحتمل أنه كان يحمل تناقضات وتحولات.

فعلى المستوى المذهبي، من المؤكد أن أسباب العداء كانت قوية. فالمذهب السائد بأفريقية منذ عهد الأغالبة كان هو المذهب المالكي. ومالبثت أفريقية أن أصبحت أحد المراكز الكبرى لذلك المذهب، تدافع عنه ولا تقبل غيره، في حين أن المذهب القائم بسجلماسة على عهد المدراريين كان هو المذهب الخارجي على الطريقة الصفرية. وموقف الإمام سحنون، زعيم المذهب المالكي بأفريقية من الصفرية أمر معلوم، إذ كان يندد بهم ويكفرهم ويضطهدهم متى ظهر لهم أثر. والسياسة العامة للدولة العباسية التي كان الأغالبة يطبقونها بالغرب الإسلامي كانت هي قمع الخوارج والحيلولة دون ظهورهم وإيقاف كل نشاط لدعوتهم.

وأما من الناحية السياسية، فقد سبق أمويو الأندلس إلى ربط الاتصال مع المدراريين لسببين كبيرين : أولهما البحث عن حلفاء في المنطقة لمواجهة الأغالبة الذين كانوا يمثلون الخلافة العباسية. وقد استمر الموقف نفسه بعد أن حل الفاطميون محل الأغالبة بأفريقية. وثانيهما الرغبة في الحصول على فوائد التجارة مع أفريقيا السوداء عن طريق سجلماسة. ويتضح من كل ذلك أن العلاقات ما كانت لتصفو بين المدراريين والأغالبة صفاء حقيقيا. ومجمل القول إن سجلماسة وإيالة المدراريين، بوجه عام، سلمتا من عدوان الأغالبة، نظرا لموقعهما ولكونهما تقعان وراء مملكة الرستميين الخارجية التي كانت هي الأخرى، تناصب العداء للدولة الأغالبية.

لكن الدولة التي استأثرت باهتمام الأغالبة كانت هي الدولة الإدريسية، التي تأسست بالمغرب الأقصى ابتداء من سنة 172 / 788. ذلك أن إدريس الأول مؤسسها كان حفيدا للرسول ولعلي بن أبي طالب، فكان يعتبر نفسه هو وأسرته

أحق بالخلافة والإمامة من العباسيين. مما جعل استقراره بأقصى المغرب وتأسيسه لدولة فتية تحديا وتهديدا للعباسيين وسعيا لأخذ ثأرالأسرة العلوية التي طالما نكلوا بها وكانت آخر وقعة تصدوا لهم فيها بالتقتيل والإبادة هي وقعة فخ (169 هـ) بناحية مكة، التي تمكن إدريس من الفرار منها سالما.

ولذلك حرص الخليفة هارون الرشيد على أن يتتبع بكل حذر ويقظة تطور الدولة الإدريسية بالمغرب، وكلف بذلك إبراهيم بن الأغلب الذي لم يكن بعدُ تولّى الإمارة بأفريقية، وإنما كان أحد القادة المعدودين والمرموقين بالمنطقة، وكان يحظى بثقة الرشيد. ويتضح من عدة قرائن أن إبراهيم بن الأغلب كان عضوا أساسيا في المؤامرة التي دبرها الرشيد لاغتيال إدريس، إذ وجه إليه أحد الأعوان الدهاة سليمان بن جرير. وقد ورد في رواية ابن الآبار :"فلما ولى الرشيد دس إلى إدريس من أنس به، واطمأن إليه، وكتب له كتابا إلى إبراهيم بن الأغلب عامله على أفريقية فاحتال حتى سمه" (*الحلة السيراء* 1 : 52).

فاغتيال إدريس بالسم جرى سنة 177 / 713 بمساعدة إبراهيم بن الأغلب الذي لم يكن تولى على أفريقية بعد.، إذ لم يتم له ذلك إلا في سنة 184، بعد أن قدم للرشيد كل البراهين على كفاءته وإخلاصه في خدمة الدولة. كما أن خبرته بالمغرب وأهله كان لها دور كبير في الثقة التي حظى بها عند الخليفة العباسي.

كان اغتيال إدريس مأساة كبرى بالنسبة للأسرة العلوية التي توالت عليها النكبات، لكنه لم يحل المشكل المطروح على العباسيين، لأن الدولة الإدريسية استمرت في شخص إدريس الثاني 177 ـ 213 / 793 ـ 828 الذي ناب عنه في تدبير شؤون الدولة أثناء صباه راشد مولى إدريس الأول. ومن المعلوم أن راشد كان ذا رأي وحيلة وتجربة، وكان له دور أساسي في فرار إدريس الأول من وجه العباسيين وتأسيس الدولة الإدريسية بفاس. فاستطاع أثناء وصايته على الصبي إدريس أن يقوم بأعباء الدولة ويوطد كلمتها، الشيء الذي لم يرق لا العباسيين ولا ولاتهم على أفريقية الأغالبة. ولذلك، فإن إبراهيم بن الأغلب لم يتوان عن الاستمرار في كيده للأدارسة وظل يتربص الفرصة براشد إلى أن حانت له الفرصة فقام باغتياله في تاريخ لم تتفق المصادر على تحديده، إذ تختلف بين سنتي 178 و 186 هـ. والراجح أن الاغتيال جرى بعد مرور سنوات على مصرع إدريس الأول، بعد أن عاد إلى النفوس الاطمئنان، وتخلى رجال البلاط الإدريسي عن الحذر والاحتياط.

ولم يستفد لا العباسيون ولا الأغالبة من مقتل راشد، إذ وجد الصبي إدريس من يعضده ويؤازره بالرأي والنصح في شخص أبي خالد يزيد بن إلياس العبدي وسارت الدولة الإدريسية في طريق النمو والترعرع. وكل هذا فت في عضد إبراهيم بن الأغلب الذي فكر في شن الحرب على إدريس الثاني. إلا أن خاصته ثنوه عن إنفاذ مشروعه.

فرجع إبراهيم إلى خطة الدس والكيد. وفكر في طريقة لعزل أنصار إدريس من البربر عنه. فاتصل سرا بوزيره بهلول المدغري وأغراه بالمال والوعود إلى أن جلبه إلى جهته، وحاول أن يثير عليه أوربة، أنصار الأدارسة الأولين بإثارة العصبية القبلية واستغلال توافد أعداد كبيرة من العرب على فاس وركون إدريس إليهم، وتمكن من تدبير مؤامرة معهم ضدا على إدريس لكن هذا الأخير فطن بذلك ولم يتردد في معاقبة الأوروبيين المشاركين في المؤامرة وفي مقدمتهم إسحاق ابن عبد الحميد الأوربي، زعيم أوربة ونصير إدريس الأول عند مقدمه إلى المغرب، وجرت الحادثة في سنة 192 هـ. وحاول إدريس أن يخلق جوا من المصالحة والتوادد مع ابن الأغلب وراسله في هذا الشأن لكنه لم يحصل على طائل.

وفي هذه الأثناء توفي إبراهيم ابن الأغلب سنة 196 وحل محله ولده عبد الله (196 ـ 201 / 811 ـ 816) ويظهر أن عهده القصير لم يحدث فيه شيء يتعلق بالمغرب سيما وأن سوء سيرته أثار عليه مشاكل في آفريقية ثم تلاه أخوه زيادة الله (201 ـ 223 / 816 ـ 837) فوجد أمامه مشاكل داخلية لم يوفق إلى حلها بسهولة، إذ انهمك في مواجهتها ما لا يقل عن إحدى عشرة سنة أي إلى غاية 212 وتنفس إدريس الثاني الصعداء وزاد في توسيع مملكته، إذ تمكن من مدها في اتجاه الشرق وضم إليها تلمسان. كما وطد نفوذه في أقاليم الجنوب المغربي بين سوس ودرعة وفي جهات أخرى من الأطلس الكبير والأطلس المتوسط.

لكن زيادة الله ما لبث أن تخلى عن توانيه في محاربة الأدارسة ورجع إلى خطة أبيه في الكيد لهم، فتمكن من اغتيال إدريس الثاني سنة 213 وتتفق عدة مصادر على أنه مات مسموما.

هكذا استطاعت الدولة العباسية بواسطة الأغالبة أن تهد كيان الدولة الإدريسية الناشئة وتحطم طموحها وتكسر وثبتها. فبعد موت إدريس الثاني دخلت الدولة الإدريسية في أطوار من الانطواء والانكماش والفتن الداخلية وتراجعت عن طموحها الكبير الذي كان يراود مؤسسها، ألا وهو تأسيس خلافة علوية والقضاء على الدولة العباسية.

لكن العلاقات بين المغرب وأفريقية في عهد الأغالبة لم تنحصر في النزاعات بين الأسر الحاكمة، بل كان هنالك تبادل تجاري بين البلدين فالقوافل التجارية كانت تتحرك بين البلدين إما لنقل بضائع الشرق إلى المغرب والأندلس أو لنقل بضائع المغرب إلى أفريقية وإلى الشرق، ومن بينها الذهب والفضة والرقيق الأبيض والأسود. كما أن أفريقية كانت محطة مهمة في طريق الحجاج المغاربة وفي طريق طلاب العلم.

لكن هذا الجانب لا يمكننا أن نتحدث عنه إلا بشيء من الإجمال لأن مصادرنا لا تمدنا بما يكفي من المعلومات.

إ. الاصطخري، *المسالك والممالك*، القاهرة 1916 ؛ أ. البكري، *المغرب*، باريس 1911 ؛ أ. ابن عذاري، *البيان المغرب* : م. بن

الأبار، *الحلة السيراء* ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ابن الخطيب، *أعمال الأعلام* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* ؛ ابن الأثير، *الكامل* ج 5 ؛ سعد زغلول عبد الحميد، *تاريخ المغرب العربي* ؛ السيد عبد العزيز سالم، *تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس*، القاهرة 1962 ؛ محمود إسماعيل، *الأغالبة*، فاس 1978.

Encychlopédie de l'Islam.

محمد زنبير

أغْبَارْ، مفرد مذكر. يجمع على إيغْبَارْنْ، وصيغة التصغير منها هي تاغْبَارْتْ وتجمع على تيغْبَارِينّ، اسم لعدة أمكنة، يوجد المعروف منها حتى اليوم في وادي نفيس الأعلي وبلاد تيفنوت بأيت وَاوْزْكِيتْ الجنوبيين.

أما المدلول اللغوي للكلمة، فيبدو أنه مستمد من الوضع الطبوغرافي للأماكن التي تحمل هذا الاسم. إذ يلاحظ أنها تقع كلها في أعلى جزء من واد مّا. أي في المنطقة التي تتجمع فيها المياه الأولى التي تكون رأس مجرى مائي. فهي إذن تعني أعلى حوض النهر.

وتجدر الإشارة كذلك إلى أن ثلاثة من أربعة أماكن تحمل الاسم المذكور، توجد بها مناجم معدنية، منها ما عرف من عهد الموحدين. فقد ذكر البيذق أن عبد المومن بن علي عاقب أيت واوزگيت حينما "حصروا العدانيين في أغبار" تيفنون. كما أشار مؤلف *رحلة الوافد* إلى "أن بلدة أغبار (بوادي نفيس الأعلى) فيها كثرة المعادن من حديد وغيره"، وأضاف بأنه أخبر بأن هذه المعادن كانت تستغل منذ عهد الإمام المهدي بن تومرت.

وفي عهد الحماية نجد أن معادن تاغبارت بأعلى وادي أگُنْضِيص ـ أحد روافد نفيس العليا ـ كانت تستغل من قبل شركة معدنية عصرية، واستمر ذلك إلى وقت قريب.

ويعتبر أغبار وادي نفيس، ذا أهمية خاصة نظرا لميزاته المتعددة. ومن بينها تغلغل الواديين المكونين له ـ وهما أسيفْ ن ـ إيجَانَاتْنْ وأسيفْ نْ ـ مْسُورْ ـ تغلغلا عميقا في كتلة تيشكا الجبلية. مما جعله على اتصال مباشر بالمجموعات البشرية المجاورة لها، والتي تعتبر من أقوى المجموعات الجبلية وأشدها مناعة وأكثرها غيرة على استقلالها منذ أقدم العصور. وتزداد أهمية هذا الموقع خصوصا إذا علمنا أن الموسم الرعوي الذي ينعقد كل صيف بمراعي تيشكا يلعب دورا هاما في شتى مجالات حياة سكان المنطقة. أضف إلى ذلك أن التغلغل جعل بلاد أغبار قريبة جدا من سوس الأعلى، مما سهل الاتصال وتبادل المصالح بينهما.

إن الناظر إلى بلاد أغبار، سيلاحظ بسرعة أنها منعزلة وسط قمم جبلية عالية، وقراها تنبث على جوانب أودية عميقة وضيقة، ولا تصلها بالخارج إلا مسالك جبلية شديدة الارتفاع وصعبة العبور ومعددوة على الأصابع.

ولهذه الأسباب تمكن سكان أغبار من الاحتفاظ باستقلالهم السياسي ونظامهم المجتمعي الجماعي حتى زمن قريب. ولم يتمكن القائد الگنتافي من إخضاعهم لنفوذه ـ رغم قوته ـ إلا غداة موت السلطان الحسن الأول، وبعد معارك عنيفة بين الطرفين.

وأخيرا تجدر الإشارة إلى أن شيخ زاوية تَاسَافْتْ لم يجد ملجأ يلتجئ إليه هو وعائلته، حين داهمت حركة باشا مراكش عبد الكريم بن منصور، وادي نفيس سنة 1715، إلا بلاد أغبار التي كانت كذلك ملجأ لجزء من سكان الوادي الهاربين لنفس الأسباب.

أ. البيذق، *كتاب أخبار المهدي*، (1928) النص، ص 127، الترجمة، ص 217 وتعليق رقم 2 ؛ عبد الله بن إبراهيم، *رحلة الوافد*، 124، 125، 129 وما بعدها، وأماكن أخرى.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire*, 1 : IVm P. 1690 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 12, 18 134, 162, 186 et passims ; *L'Aghbar et les hautes-vallées du Grand-Atlas*, dans Hespéris, Année 1927, 1er Trimestre, pp. 1 - 32 ; E. Laoust, *Contribution*, p. 34.

علي صدقي ءازايكو

أغْبَالْ، صيغة لكلمة أغْبَالُو الأمازيغية، ومعناها عين ماء.

جغرافيا يرتبط اسم أغبال، إما بهذه الصيغة أو بتحريف ضئيل، بأماكن وقرى متعددة بمختلف مناطق المغرب. فقد أحصى إ. لاووست E. Laoust ما يقرب من عشرين مكانا بهذا الاسم (*Contribution*, 58).

ومن المراحل التي ذكرتها كتب الأخبار : أغبال ببلاد زمور بعد المرور بالمعازيز في الطريق من مكناس إلى الرباط، وبه حلت محلة السلطان المولى الحسن الأول سنة 1294 هـ في طريقها نحو مراكش.

وبناحية أزرو، على بعد ثلاثة كيلومترات من هذه المدينة إلى الغرب، توجد عين ماء جارية غزيرة تعتبر من أهم مصادر مياه واد بهت، تعرف بعين أغبال، وهذا الاسم كما يلاحظ، مركب من كلمتين أولاهما عربية (عين) والثانية أمازيغية (أغبالو)، وكلاهما تدل على نفس المعنى، فيكون مفاد الاسم "عين العين"، وهذا فيما نعلم هو المثال الوحيد لهذا الترادف والاندماج اللغوي فيما يخص تسمية منبع مائي.

ع. ابن زيدان، *إتحاف أعلام الناس*، 2 : 167 ؛ *استطلاعات محلية*.

E. Laoust, *Contribution.*

عبد العزيز توري

أغْبَالة، ترجع تسمية هذه القرية في الأصل إلى عين كبيرة اشتهرت بها هذه القرية، يصطلح عليها باللهجة المحلية (أغْبَالُو) وقد سمي سكان المركز بأغبالة.

الانتماء القبلي : ينتمي سكان أغبالة إلى قبيلة أُيْتْ سُخْمَانْ، التي تفرعت إلى قبيلتين هما : أيت حمامة وأيت عبدي نسبة إلى حمامة وعبدي، وهما من إخوة كوّنوا قبائل مستقلة، فمركز أغبالة ينتمي إلى قبيلة أيت حمامة.

الانتماء الإداري والموقع : يخضع مركز أغبالة إدارياً لدائرة القصبة التابعة لعمالة إقليم بني ملال. وتقع أغبالة

في الشمال الشرقي لإقليم بني ملال على الطريق الثانوية رقم 1902 الرابطة بين القصبة والقباب، وبالضبط بين منبع نهري ملوية وواد العبيد. يحدها من الناحية الجنوبية قبيلة أيْتْ حْديدو، وغربا أيت داود وْعلي وأيت ويرا، وشمالا أيت هودي وأيت إسحاق، وشرقا أيت حنيني.

بعض المعطيات الطبيعية : أغبالة تدخل في ميدان الأطلس المتوسط، الصخور الغالبة في هذه المنطقة هي الصخور الكلسية التي تمتاز بنفادية كبيرة، ومن صخور غير نافدة، صلصال أساسا، يلعب دور الركيزة. لهذا السبب برزت مجموعة من العيون أهمها عين أغبالة المشهورة. ومن الناحية المناخية : تنتمي منطقة أغبالة إلى النوع الجبلي القاري الجاف والحار صيفا والرطب والبارد شتاء. وبالرغم من ارتفاع المنطقة وقربها من الأطلس الكبير حيث الثلوج تدوم أكثر من أربعة أشهر، أي من دجنبر إلى مارس، والتي تعطي الرياح الجنوبية الشرقية الباردة برودة كبرى، فالحرارة تبقى نسبيا مرتفعة، ويخضع تذبذبها كما هو الشأن في الأمطار لنظام الفصول. الأشجار السائدة بالمنطقة هي بعض الأشجار المثمرة كجشر التفاح والخوخ وأشجار العرعر والبلوط الأخضر. أما باقي المنطقة فتعرف تدهورا مستمرا للغاية بفعل الاستغلال البشري المكثف.

يعرف مركز أغبالة تطورا ديموغرافيا ملحوظا ويبلغ عدد سكان المركز 4200 ن. وتتخذ القرية شكلا طوليا، إذ أن السكن يقع على طول الطريق الثانوية المؤدية إلى القباب. وهذا المركز يخضع لتصميمين : الأول موروث عن الاستعمار الفرنسي، والثاني حديث العهد قامت به السلطات المختصة.

يتكون المركز من أحياء أساسية : الحي الإداري، حي الموظفين، الحي الصناعي، الحي الجديد. كما أن مركز أغبالة يتوفر على مجموعة من التجهيزات والمرافق العمومية الضرورية.

الأنشطة الاقتصادية المحلية : النشاط السائد بالقرية هو الفلاحة التي ترتبط بأقدام السفوح وبعض المنخفضات المغلقة، وتربية الماشية المتمثلة في الماعز أساسا وبعض الأغنام.

خصوصيات القرية : لعب هذا المركز دوراً تاريخيا مهما، تجلى في استقباله لعدد كثير من المهاجرين الذين مثلوا بعض القبائل المتضررة من الاستعمار الفرنسي (كدكالة وعبدة وبني عمير وزيان...) مما زاد في إشعال نار المقاومة بالقرية، إلى أن تم استسلامها سنة 1932.

عبد الرحيم بنعلي

أغْبَالُو نْكرْدوس، جماعة قروية بدائرة گلميمة تقع في الجهة الغربية من إقليم الراشدية (قصر السوق سابقا) تحدّها شمالا جماعة أسول وجنوبا إقليم ورزازات. تشتمل على منطقة جبلية ممتدة من جبل بادو في الشمال الشرقي إلى جبل حمدون في الشمال الغربي، ومنطقة سهلية يخترقها واد كبير من الشمال إلى الجنوب. مناخها قاري بارد جاف، وتتساقط الثلوج في مرتفعاتها.

ولهذه المنطقة ماض مجيد في مقاومة الاستعمار الفرنسي التي استمرت أكثر من عقدين من السنين اشتهرت فيها معركة وادي إفِيغ القريب من أغبالو نكردوس. وكانت معركة عنيفة دامت من 11 إلى 16 يبراير 1932. وفقدت فيها القوات الفرنسية المهاجمة كثيراً من المقاتلين والأسلحة، واضطرت إلى الاستنجاد بعسكريين شاركوا في معارك الريف. ولم يتكمن الفرنسيون من الاستيلاء على أغبالو نكردوس إلا يوم 11 غشت 1933 على إثر معركة جبل بادو التي قادها خمسة جنرالات واستخدمت فيها الطائرات وأحدث الأسلحة الفتاكة. وتجدر الإشارة كذلك إلى أن المنطقة لعبت أدواراً مهمة في مختلف حقب تاريخ المغرب، وعثر في إفيغ أخيراً على اثنتي عشرة قطَعة ذهبية موحدية من سك عبد المومن بن علي (525 ـ 558).

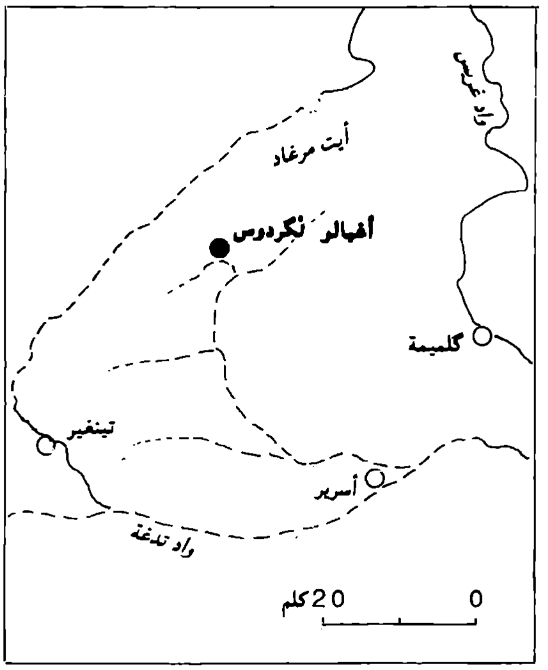

أغبالو نكردوس

ونظراً لإيغال موقع أغبالو نكردوس داخل الصحراء وانعزاله وبعده عن الطرق المطروقة بنى المستعمرون فيه سنة 1953 معتقلا كبيرا حشروا فيه طائفة من الوطنيين من مختلف الجهات "وهو قلعة مسورة في مستوى توجد في غربيّه قرية تعلو على المعتقل وهي متصلة به اتصالاً مباشراً، وفي الجنوب الوادي الذي فيه القرى والحقول التي تطل عليها. وفي الشرق من المعتقل المسور ديار منتشرة يسكنها المراقب ومن إليه في مغروس جميل بأنواع الأشجار المثمرة... وفي شرقي هذه الديار منحدر يتصل بالوادي الذي تطل عليه في الجنوب. وفي الشمال بين المعتقل وبين جبل حمدون مضيق غير متسع إلا بضعة أمتار فيه بستان مستطيل.." (*معتقل الصحراء*، 165).

وقد خلّد محمد المختار السوسي اسم أغْبالو نْكردوس في تاريخ الحركة الوطنية المعاصرة، وكان ممن اعتقلوا فيه، بكتاب *معتقل الصحراء* في جزءين، طبع أولهما بعد وفاته، مشتملاً على وصف ممتع للموقع والسكان والمعتقلين، وأذبيات طريفة شاهدة على أحداث وانطباعات. أما الجزء الثاني فإنه ما يزال مخطوطا ويحتوي على تراجم المعتقلين في أغبالو نكردوس الذين ينيف عددهم على السبعين. وفي نونبر 1987 حج بعض قدماء المعتقلين في أغبالو نكردوس إلى هذه القرية وزاروا معتقلهم القديم الذي أصبح - منذ الاستقلال - مدرسة يتعلم فيها أطفال المنطقة نهاراً، وكبارها ليلاً في نطاق محاربة الأمية. وألقيت في هذا التجمع كلمات قيمة للأستاذين محمد إبراهيم الكتاني ومحمد الفاسي وغيرهما نشرت ملخصاتها في كتيب بعنوان : *الذكرى الأولى لمعتقل أغبالو نْكردوس*.

ص. بلعربي، *كتاب المغرب*. بيروت، 1989 ؛ م. المختار السوسي، *معتقل الصحراء*، ج 1 . الرباط 1982 ؛ *الذكرى الأولى لمعتقل أغبالونْكردوس*، الرباط 1988 ؛ ع. توري، *حول كنز صغير حديث الاستكشاف*، مجلة المناهل، ع 30، 1984.

محمد حجي

أغربي، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الغرب استوطنت تطوان فكان من بين أفرادها بعض الفقهاء والعدول، مثل الفقيه محمد بن العربي الذي كان يزاول خطة العدالة بتطوان سنة 1214 / 1800، والفقيه أحمد بن القاسم الذي كان يتعاطى الفتوى من سنة 1248 / 1832 إلى سنة 1257 / 1841.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 م ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *familias ilustres de Tetuan* 1921 (G). Isidro de las Cagigas Familias tetuanies de abolengo 1921 (A). *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* (G). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

إغْرِّيبْنْ، قرية بفرقة الفوقاني من قبيلة تمسمان الريفية بالقرب من تل أنوال، احتلها الجيش الإسباني الغازي لأول مرة يوم 7 يونيو 1921 حيث تمركز وأقام بها تحصينات كانت تفوق تحصينات مركز أنوال، وهذا ما جعل قائد الثورة الريفية محمد بن عبد الكريم الخطابي يولي إغريبن اهتماماً أكثر من اهتمامه بمركز أنوال. فبدأ يحفر الخنادق حول إغريبن يوم 14 يونيه. وفي يوم فاتح يوليوز أقام الحصار الفعلي على هذا المركز واستمر إلى يوم 21 من نفس الشهر حيث تمكن من تدميره والقضاء على حاميته المكونة من 639 مقاتلاً ما بين جنود وضباط برئاسة الكومندان بينيطيث Benitiz

وأثناء هذه المدة قام الجنرال سيلفيسطري بعدة محاولات من أجل فك الحصار المضروب على إغريبن، وذلك بإرسال القافلة تلو الأخرى، ولكن دون جدوى، لأن المجاهدين كانوا لهم بالمرصاد يسحقون القافلة بعد الأخرى، وهذا ما أدى إلى حدوث عدة معارك أثناء الحصار الذي دام من يوم فاتح يوليوز إلى يوم 21 منه. وكان النصر حليفاً للمجاهدين في جميع هذه المعارك.

م. ابن عزوز حكيم، *معركة أنوال*، تطوان 1981، ص 77.

Servicio Historico Militar, *Historia de las Campañas de Marruecos*. Madrid 1947 - 1981.

محمد ابن عزوز حكيم

إغْرِّيبْنْ (معركة بالريف). يتوقف المؤرخون لدى تناولهم حرب الريف التحريرية عند المعارك الطاحنة التي جرت من 14 إلى 21 يولويز 1921 بإغريبن، الواقعة بين قبيلتي تمسمان وبني توزين، على الجنوب الغربي لكل من أمزاورو وأنوال. وأهمية هذه المعارك الدامية تكمن أولا في شدة ضراوتها وهولها، وثانيا في الحصار الذي ضربه مجاهدو الريف على حامية المركز الذي يبتعد عن الماء الصالح للشرب بحوالي 4 كم.

لقد احتل الجيش الإسباني إغريبن يوم 7 يونيو 1921 بقيادة العقيد موراليس Morales، وتحصن فيه دون أن يتعرض في البداية لأي مجابهة، ودون أن يتكبد أي خسائر. بيد أن هذا الاحتلال ترك وقعا سيئا في نفوس الريفيين، فقرروا استرجاعه. وهكذا، قاموا بحفر الخنادق بالقرب من إغريبن لعزله عن باقي المراكز الأخرى المحتلة وخصوصا أنوال لكي لا تتمكن قافلات التموين من الوصول إليه. وفي هذا السياق، تحدث محمد بن عبد الكريم الخطابي عن الظروف التي كانت تحيط بحصار إغريبن :

"كنت على علم بأن تموين الجيش الإسباني كان غير منظم وأن حامية المراكز المحتلة لم تكن تتوفر إلا على ما تحتاجه لمدة أربعة أيام لا أقل ولا أكثر، كما أنني كنت على علم بالحالة النفسية التي كان يعيش عليها الجندي الإسباني وهو يشاهد بأعينه الأعمال التمهيدية التي كنا نقوم بها استعدادا لمهاجمته من حين لآخر".

ابتدأت عملية الحصار في منتصف يوليوز 1921، شدد أهل الريف الخناق على حامية إغريبن فحاصروها، وأخذوا يشنون عليها هجومات متتالية. وتشير الوثائق العسكرية الإسبانية إلى أن هذا الحصار المضروب أصبح، يومي 19 و 20 يوليوز، جحيما لايطاق. وهكذا تقدم المجاهدون إلى مركز إغريبن فهاجموه يوم 21 يوليوز دفعة واحدة. وتذكر نفس الوثائق أن عدد الذين غادروا المركز كان يفوق ثلاثمائة رجل، لم يصل إلى أنوال إلا أحد عشر، وأما الباقي، فمنهم من قتل، ومنهم من سقط في يد المجاهدين.

أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية* 2 : 87 ؛ م. د عمر القاضي، *أسد الريف عبد الكريم الخطابي*، تطوان، 1979، ص 117.

L. Casada Escudero, *Iguerriben*. Madrid, 1923. "*Historia de las Campañas de Marruecos*", Madrid, 1981, 417 - 430.

عبد العزيزالتمساني خلوق

إغْـرم، مصطلح أمازيغي واسع الانتشار، إذ نجد استعماله في مجال جغرافي يشمل مناطق تمتد من جنوب الأطلس الكبير والجنوب الشرقي إلى الريف، وإن كان استعماله عند بعض القبائل يتخذ صيغة المؤنث تغْرمتْ، ويطلق حينئذ على المنزل الكبير ذي الغرف المتعددة اَلمتكون أحيانا من عدة طبقات يخصص بعضها لخزن المواد، لذلك نجده منزلا محصنا، في كل زاوية خارجية منه برج قوي.

أما صيغة المذكر إِغْرم، فيحيط معناها الشائع بالقرية المحصنة التي يطلق عليها بالدارجة المغربية اسم القصر، والمنتشرة خصوصا في واحات الجنوب والجنوب الشرقي وعلى طول أودية درعة ودادس وتدغة وغريس...

تمتاز هذه التجمعات السكنية ببنيانها المتراص، المجتمع، المحصن بسور أو سورين وقائيين، لا يفتحهما على الخارج سوى باب رئيسي كبير وقوي يقوم بحراسته حارس دائم، ويتميز السور الداخلي بأبراج عالية تحتل زواياه. بينما يكون السور الخارجي بناءً عادياً لا يميزه سوى علوه.

أما النظام الداخلي للقرية فيحتوي على أزقة ضيقة، معظمها مغطى، تتوسطها في الغالب ساحة رئيسية واحدة، نجد بها البئر الجماعية. أما المسجد فيحاذي الباب الرئيسية وقد يستعمل لموقعه هذا، في الدفاع وردّ كل مهاجم خارجي، لذلك نجد بجدرانه فتحات توجه منها طلقات البنادق نحو الخارج.

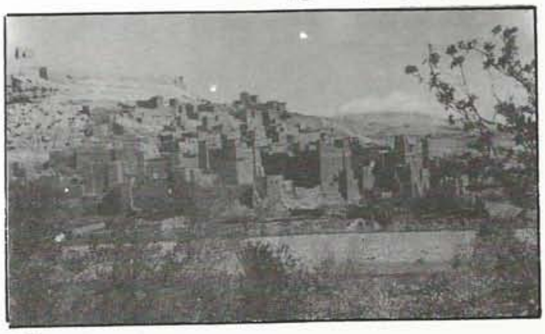

وقد لاحظ "لاووست" أن خاصية الدفاع هذه تقرب ما بين إغرم وأگادير وهو البناء المحصن المخصص لخزن المواد والمذخرات. وانطلاقا من ذلك أشار إلى أن من خلال تمعّن دقيق في انتشار البناءين والكلمتين يتضح أن منطقة تيزي - ن - تَلْوَات بالأطلس الكبير هي "الحد الفاصل بين منطقتين لغويتين كبيرتين تستعمل الغربية منهما لفظ أگادير والشرقية كلمة إغرم... لكن انتشار إغرم عبر مناطق گنْدَافة، وگدميوَة، وغيغاية يدفع بذلك الحد شيئا ما إلى الغرب (*Contribution*, p. 71) ولاحظ كذلك نفس الباحث أن كلمة "إغرم لا تجهلها القبائل التي تستعمل لفظ أگادير، فهي تشير بها للجدار المنحدر والعريض المبني من الأحجار المرتبطة بدون لياط، والمستعمل كحاجز لتربة المسطحات الصغيرة المحوثة"، كما أن مستعملي لفظة إغْرم للدلالة على القرية أو الدار المحصنة يستعملون كذلك كلمة أگادير إشارة للحائط العادي.

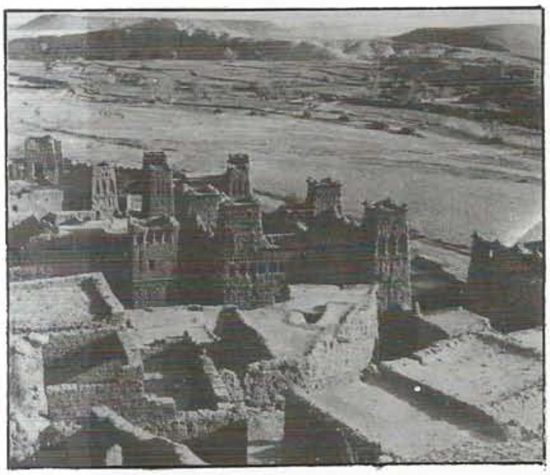

ومن أشهر القرى التي بقي مصطلح إغرم عالقا بها قرية إغرم امزدار بقبائل أيت عطّا، وإغرم العلام بناحية بني ملال.

E. Laoust, *Mots et Choses*, p. 1. 2 ; *Contribution*, p. 70 - 71 ; L. Mezzine, *Le Tafilalt*, p. 194 - 95, note 36 ; A. Touri et Hammam, "*Tradition écrite et architecture*", *Hespéris Tamuda*, 1986, p. 213 s.

عبد العزيز توري

أغريتم ← لوغاريتم

أغريس ← غريس

الإغريسي ← الغريسي

اغزاوة ← اغصاوة

الأغزاوي ← الأغصاوي

إغْزَرْ أشّن، معركة من أعنف المعارك التي خاضها سكان الريف بقيادة الشريف محمد أمزيان (من 9 لوليوز 1909 م إلى 15 ماي 1912) ضد قوات الاحتلال الإسبانية.

وقد وقعت في المكان الذي صارت تعرف باسمه وهو "إغزر أشن" أو أُخَنْدُوقْ أُشّنْ ومعناه في اللهجة الريفية، وادي الذئب. ويعرف عند الإسبانيين بـ "El Barranco del labo". يقع بمدشر أيت عيسى ببني أنصار من قبيلة مزوجة المكونة لإحدى القبائل الخمس لقلعية.

ويبدو سطح المكان لناظره من بعيد في شكل هضبة قليلة الانحدار (150 مترا). لكن الواقع هو غير ذلك ؛ فأرضيته صعبة المسلك، تتخللها خوانق ضيقة وصغيرة تنزل نحو مجرى "إغزر أشن"، لا ترى إلا عند الاقتراب منها، من فوق الهضبة. وتغطيها صخور كثيرة من مختلف الأحجام تجعل حركة السير بها صعبة، لكنها تعتبر بالنسبة للسكان خطاً طبيعياً ممتازاً للدفاع ضدّ أي هجوم يأتي من هذه الجهة، يمنحهم التفوق في الميدان.

كان الجنرال "خُوصي مَرِينَا José Marina"، الحاكم العام لمليلية، يعتقد إلى غاية هذا التاريخ (27 يوليوز 1909 م)، بأن هذا المكان هو أقرب ممر يفتح الطريق لاحتلال جبل أگرگور (گوروگو) المتحكم بموقعه في كل قبائل قلعية، والذي يهدد مدينة مليلية إذا ما توفرت به للمغاربة مدافع متطورة.

ولم تكن هذه الامتيازات الاستراتيجية لهذا الموقع خافية عن الريفيين، لذا تمركزوا به منذ بداية المعارك، ،حفروا به الخنادق، ينطلقون منه لمهاجمة قوافل تموين الجيش الإسباني الغازي ثم يعودون إليه دون أن تنال منهم المدافع الإسبانية شيئاً.

وقد حاول الجنرال "مرينا Marina" احتلال هذه المنطقة بمباغتة الريفيين وإنزال الضربة القاضية بهم خلال يومي 22 و 23 يوليوز، إلا أن المقاومين الريفيين تصدوا ببسالة لقوات الغزو الإسبانية فألحقوا بها هزيمة شنعاء، مما أحدث موجة من السخط والاحتجاج على هذه الحرب لدى الرأي العام الإسباني. أما الحكومة الإسبانية فقد دفعها اندهاشها وفزعها إلى إرسال مزيد من الإمدادات والنجدات إلى مليلية "لإنقاذ شرفها الوطني"، واختارت لذلك أحسن ما تتوفر عليه من الجيوش تدريباً وتسليحاً(La Brigada Mixta de Madrid) بقيادة الجنرال بِينْتُوسْ (Pintos) الشهير الذي اقترن اسمه بالأمجاد الاَستعمارية، وكأنها أرادت بذلك إحياء الحلم الذي لم يحالف الحظ الماريشال "أودونيل O'Donnell" لتحقيقه في حرب تطوان سنة 1859م.

وبوصول هذا الجيش، أصبح مجموع القوات الإسبانية بمليلية حوالي ثمانية عشر ألف رجل، مدججين بكل أنواع الأسلحة، ينتظرون الإشارة من الجنرال مرينا Marina لاكتساح أرض الريف.

أما فيما يخص الريفيين، فإن القبائل استجابت لاستنفار المشاعل، فبعثت كل واحدة بما نابها من المقاتلين بسلاحهم وذخيرتهم وما ينفقونه على أنفسهم. فتجمع لدى الشريف أمزيان يوم 26 يوليوز، حوالي سبعة آلاف مجاهد، تمركزوا بالمكان المذكور. وأخبرهم أمزيان بأن قائدا قويا ـ يقصد پينتوس Pintos ـ قد وصل إلى مليلية قادماً من إسبانيا للقضاء على مقاومة الريفيين، لذا وجب عليهم الاستعداد لمواجهته. وفي نفس اليوم، وجه أمزيان جماعة قامت باقتلاع جزء من السكة الحديدية عند الكيلومتر الثالث من مليلية لقطع الطريق على قوافل تموين المراكز الأمامية المحتلة، التي كانت تفضل استعمال القطار. بينما أحاط الباقي بالمراكز المحتلة ينتظرون خروج القوات الإسبانية.

لم يخطئ الريفيون في تقدير الوضع، إذ في زوال يوم 27 خرجت من مليلية فرقتان من الجيش لحماية قافلة للتموين، اتجهت بمحاذاة السكة الحديدية شرقاً ؛ بينما خرج الجنرال "پينتوس Pintos" بعد ساعة من ذلك، على رأس جيش ضخم، متجهاً جنوباً صوب "وادي الذئب"، المعقل الرئيسي للمقاومين.

ويبدو من فحص أحداث هذه المعركة، أن الخطة الإسبانية، كانت تهدف إلى تقديم الفرقتين الأوليين كطعم لاصطياد الريفيين واستدراجهم للنزول من مواقعهم المحصنة إلى بسيط سيدي موسى، حتى يستفيد الجيش الإسباني من تفوقه في سلاح المدفعية، فينزل بالريفيين الضربة القاضية، بعدما يكون پينتوس قد استغل هذا الظرف فيحتل المعاقل المحصنة من إغزرأشن. وعندما لم تنجح هذه الخطة، قرر الجنرال پينتوس Pintos المتغطرس الذهاب بنفسه والبحث عن هؤلاء الريفيين "البدائيين" في مخابئهم واستئصال مقاومتهم "الأسطورية". وقدم لزحفه بإمطار المنطقة بوابل من قنابل المدافع التي كانت تشتت أشلاء أجسام المقاومين في السماء، ويخنق دخانها أنفاسهم داخل الخنادق. ومع ذلك فإنهم لم يحركوا ساكنا امتثالاً لأوامر أمزيان بانتظار قبائل الجيوش الإسبانية منهم. ولم يبدأوا في إطلاق النار إلا عندما أصبح معظم الجيش مكشوفاً تحت رحمة بنادقهم. وكادت الهزيمة تقع على المقاتلين الريفيين عندما اضطر جناحهم الأيسر، تحت ضغط الهجومات العنيفة للإسبانيين، إلى الانسحاب نحو المرتفعات، لولا تصدي أمزيان وباقي رؤساء القبائل لهؤلاء، شاهرين سيوفهم في وجوههم، فأرغموهم على الرجوع إلى مواقعهم. وتوزع هؤلاء الزعماء على جبهة القتال التي تجاوز طولها الكيلومتر، يحثون الريفيين على الثبات في مواقعهم بمختلف الأساليب. وهكذا استعاد الريفيون نظامهم وتفوقهم، فانقلبوا مهاجمين بعدما كانوا مدبرين، ومن بين هؤلاء، من كان سلاحه خناجر تقليدية فقط !.

استمرت المعركة على هذه الحال إلى حوالي الثالثة بعد الزوال، حيث زادت كفة الريفيين رجحانا بمقتل الجنرال "پينتوس Pintos"، واضطرار الجيش الإسباني إلى الانسحاب بشكل فوضوي بعدما فقد معظم رجال قيادته وجنوده وسلاحه وذخيرته وخيوله...

وقدرت خسائر القوات الإسبانية رسمياً بـ 1046 بين قتيل وجريح، من بينهم 68 ضابطا ورئيساً للجيش، إضافة إلى خسائر كبيرة في العتاد والذخيرة...

وقدر الجنرال مرينا Marina خسائر الريفيين بمائة قتيل ومثله من الجرحى من بينهم عدد من صناديد رجال الريف الشجعان.

كان هذا الانتصار، الذي قام أمزيان بالدور الحاسم في تحقيقه، حافزاً لكثير من سكان الريف الذين لم يشاركوا في هذه المعركة للالتحاق بصفوف المقاومة. كما كان أيضا تأكيداً لزعامة الشريف أمزيان لكل القبائل الريفية. ويعدٌ عربوناً على تشبع هذه المنطقة بالروح الوطنية، انضاف إلى السجل الحافل لبطولاتها وتضحياتها في سبيل الوطن. بينما أضاف هزيمة أخرى إلى قائمة هزائم القوات الإسبانية في الريف، خاصة منذ 18 يوليوز الأخير، مما زاد في تأزم الوضع السياسي بإسبانيا وانفجاره، فلم تجد الحكومة الإسبانية بداً من تجميد مخططها التوسعي ريثما يتم توفير الشروط السياسية والمادية لضمان إمكانية تنفيذه بأقل ما يمكن من الخسائر البشرية على الخصوص.

ع. ح. الورياشي، *الكشف والبيان* ؛ م. أزرقان، *الظل الوريف*.

Informe de la Primera Seccion de la Oficina Central de Intervencion y Tropas Jalifianas, servicio Historico Militar - Madrid, L 8, C 13, Año 1909 ; Ramos, *Eduardo Gallego* ; *La Campana del Rif* (1909), Madrid 1909, pp. 141 - 163 ; Général de Torcy : *Les Espagnols au Maroc en 1909*, Paris, Nancy, 1910, pp. 72 - 82 ; X, el Capitain. *Verdades amargas*, *La Campana de 1909 en El Rif*, Madrid 1910, pp. 67 - 81 ; Riera, Dugusta, *Espana en Marruecos. Cronica de la Campana* de 1909, Barcelona 1913, pp. 63 - 102 ; Estado Mayor Central del Ejercito (S. M. M.), *Historia de las Campanas de Marruecos*, Madrid 195, T, I ; G. Ayache, *Les Origines de la guerre du Rif.*

مصطفى أربيب

إغشان ← تافراوت

اغْـصَاوَة، أو اغْزارة. أصل عين الكلمة صاد مشمومة بالزاي، لذلك تكتب بهما. وقد اخترنا الصاد لأنها الأصل. اغصاوة : قبيلة صنهاجية من قبائل جبال الزبيب في غمارة شمالي وزان. تقع فيها زاوية الحرائق الشهيرة بآل البقال الأغصاويين، وهم حسنيون ينتسبون إلى إدريس بن عبد الله الكامل من طريق حمزة بن إدريس الأزهر. وكان آل البقال ينتسبون قبل القرن الثاني عشر إلى اغصاوة، ثم غلبت عليهم نسبة البقالي بعد أن غادروا مقر زاويتهم بغمارة كما سياتي. وقد أنجبت اغصاوة عدداً من العلماء والصلحاء خلال القرون السبعة الأخيرة.

إ. بن الماحي الإدريسي، *تقاييد تاريخية*، مخطوط ؛ ص. بلعربي، *المغرب* ؛ المريني العياشي، *الفهرس في عمود نسب الأدارسة*، 66.

الأغصاوي، أحمد بن علي الحاج البقال. نشأ بفاس، وربما كان محمد الشيخ المامون السعدي أزعجه فيمن أزعج من آل علي الحاج الأغصاوي إلى فاس بعد أن قُتل هذا الأخير على إثر معارضته في تسليم مدينة العرائش إلى النصارى. وكان أحمد الأغصاوي مقيما بالمدرسة المصباحية متعيشاً من نساخة الكتب. ومازالت بعض منتسخاته محفوظة ببعض المكتبات العامة.

توفي في صدر الدولة العلوية.

م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 471.

الأغصاوي، عبدالعالي، أبو محمد. عالم صالح، قضى نصف عمره في التعليم ونصفه في العمل الصالح. عده الحضرمي آخر رجال الطبقة الأولى من الصالحين المترجم لهم في *السلسل العذب*، وحلاه بصفات عالية، وقال عنه إنه كان منقطعا إلى عبادة الله في خلوة ببلاد آغصاوة، لا يأذن إلا لقليل من الزوار بالدخول عليه فيها، ومع ذلك كانت مجالسه العلمية شيقة لا تمل. "إذا أخذ في باب من العلم سرد جميع مسائله فيقال إنه لا يحسن غيره لفقهه فيه وحسن تعليمه ووضعه. وربما كان يتكلم فيسترسل به الكلام في أبواب من العلم لم يسمع بمثلها، ثم يعطف فيرجع لما كان بسبيله" (ص 55).

توفي، وقد نيف على الثمانين، سنة 769 / 67 ـ 1368.

م. الحضرمي، *السلسل العذب*، 55.

محمد حجي

الأغصاوي، علي الحاج بن البقال. ينتمي إلى بيت الأغصاويين بجبال غمارة، وهو بيت عظيم كما ذكر صاحب السلوة (1 : 265). ينتسبون لبيت الشرف الحسني، ويرفعون نسبهم لإدريس الأزهر باني فاس من طريق ولده حمزة.

انتقل علي الحاج بعد أن درس في بلاده إلى المشرق طلباً للعلم، وبقي هناك ست عشرة سنة، حيث اتصل بالمشايخ ومنهم محمد الخروبي السفاقسي. ثم أخذ عن الشيخ عبد الله الهبطي. واستقر بزاوية اغضاوة، فطار صيته إلى كل الجهات، وقصده الطلبة والمريدون. وكان من أتباع الطريقة الجزولية.

ساند علي الحاج السعديين في سياستهم الجهادية والوحدوية. ويذكر ابن عسكر الذي عاصره أن الشيخ عليا الحاج "وفد على السلطان الغالب مرتين، فقام بحقه أحسن قيام، وخرج إلى لقائه بظاهر فاس، وقضى حوائج الناس على يده، ووفى له بكل ما سأله في قضائه، فكثر أتباعه، وفتحت أبواب عليه من كل جانب، فتنزل منزلة الأمراء في الأمر والنهي ونفاذ الإرادة وشمخت به نفسه عن الإنصاف.." (*الدوحة*، 403) ذلك ما قاله عنه أحد منافسيه وهو ابن عسكر، حيث كثر اللجاج بين العالمين حول قضايا مختلفة وبالخصوص حول قضية حكم إقامة صلاة الجمعة في قرى البادية، ولم تذكر له كتابات. توفي حوالي عام 981 / 1573، ودفن بزاويته من بلاد اغصارة.

م. ابن عسكر، دوحة ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*. 2.

محمد مزين

الأغصاوي، محمد بن أحمد، من الفقهاء المخضرمين الذين عاشوا في القرنين التاسع والعاشر، متمكن من أصول المذهب المالكي وفروعه، حافظ ضابط، معروف بالصلاح ومتانة الدين. معدود في *طبقة* الإمام ابن غازي. قرأ بفاس وتصدر للتعليم في بلاده اغصاوة.

توفي حوالي عام 920 / 14 ـ 1515.

م. ابن عسكر، دوحة، 139 ـ 140 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 470.

الأغصاوي، محمد بن علي، إمام التعديل والتوقيت بفاس في عصره، تخرج على يده جماعة من أعلام هذا الفن، كالفلكي الشهير محمد العلمي صاحب التآليف العديدة المطبوعة على الحجر بفاس، المقررة في نظام القرويين إلى عهد قريب.

ألف محمد الأغصاوي عدة كتب في التوقيف، منها :

ـ *إتحاف المباشر لنظم ابن عاشر* في التوقيت، طبع على الحجر بفاس عام 1317 / 1899. *الدرة المختارة في تعديل الكواكب السيارة*، لخصها من *الروض العاطر* لابن زريق، ومن *المطلع السعيد* للشيخ حسين زايد. *والدرة المختارة في تقويم الكواكب السيارة*. وأرجوزة في مسائل الميقات باللوغاريتم، وشرحها بعنوان : *رغبة أولي الألباب لمسائل*

الميقات بلوغاريتم المستطاب. وشرح *الوافية بالمطلوب في العمل بربع الجيوب* لعبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي.

توفي بفاس عام 1341 / 1922، حسب ما ذكره تلميذه محمد العلمي وكرره مرارا. ولعل ما عند ع. ابن سودة من أنه توفي عام 1340. سبق قلم.

م، العلمي، *إنهاض الهمم العالية* (مخطوط) ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* عام 1340 ؛ م. حجي، *الخزانة العلمية الصبيحية بسلا*.

الأغصاوي، محمد بن علي الحاج، تُجمع كتب التراجم على أنه كان مجذوبا وصاحب حال. وتربط ذكره بمولاي أبي الشتاء (تـ عام 997 / 1589)، الذي اشتهر كذلك كولي صالح يجمع حوله المريدين...

فصاحب *الممتع* اعتبره "من أصحاب سيدي أبي الشتاء". وفي التأليف المنسوب لابن عيشون جاء أن صاحب الترجمة "كان مرة عند سيدي أبي الشتاء في سلسلة، وكان يعتريه في بعض الأوقات أحوال تخرجه عن حسه". بينما أكد بعضهم الآخر على المكاشفات والكرامات والإخبار بالمغيبات عند حديثه عن صاحب الترجمة.

ويستفاذ من كل هذا أن الشيخ محمد الأغصاوي لم يشتهر بالعلم والتدريس كما اشتهر به سائر أفراد أسرته من الأغصاويين، بل تأثر بالمجاذيب وأصحاب الحال المنتشرين في سائر بقاع المغرب خلال القرن العاشر الهجري نتيجة ما أسماه الهبطي :بتبدل الأحوال والزندقة والابتعاد عن الطريق السوي".

اشتهر محمد بن علي الأغصاوي كذلك بمعارضته عندما أراد محمد الشيخ المامون تسليم العرائش وأصيلا للنصارى مقابل مساعدته ضد إخوته. وقد وجه إليه رسالة طويلة (انظر ها في *نشر المثاني* 1 : 140 ـ 142) يعاتبه فيها ويؤكد له سخطه عنه "وقد أغلظ له فيها القول"، ودعا إلى نقض بيعته، ونعرف عبر مصادر أخرى مواقف علماء المغرب عامة من هذه القضية، حيث يذكر *صاحب النزهة* أن المامون طالب علماء المغرب بفتوى تبيح له ذلك، فاضطرب أمر العلماء واختلفوا في الموضوع. فبعضهم، أجابوه لذلك خوفا من بطش السلطان كالقاضي محمد بن أحمد بن إبراهيم الدكالي ومن تبعه، وبعضهم امتنع. والممتنعون افترقوا على ثلاث فرق، فرقة : منهم فرت من فاس كالإمام العربي الفاسي وأخيه الحافظ أحمد، وفرقة اختفت حتى انجلى الأمر كالقاضي ابن أبي النعيم الغساني وعبد الواحد ابن عاشر وأبي الحسن البطوئي، وفرقة ناقشت السلطان وأغلظت له في القول كالأغصاوي. توفي صاحب الترجمة بفاس مسموماً من طرف أعوان محمد الشيخ المأمون عام سبعة عشر وألف، ودفن بوطا ابن فرقاشة المعروف اليوم بالسياج، وبنيت عليه قبة. وقبره بها مشهور حتى اليوم.

م. الافراني، *صفوة* ؛ أ. المقري، *روضة الآس* ؛ م. القادري، *التقاط الدرر*، الجزء الثاني ؛ نشر المثاني، الجزء الأول ؛ م. م. الفاسي، *ممتع الأسماع*، طبعة حجرية ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2.

محمد مزين

الأغصاوي موسى ← ابن العقدة

أغَطّاس، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، انقرضت سنة 1088 / 1677، حيث لم يبق من أثرها سوى الساحة الكبيرة التي ستُذكر بعد. ولاعلاقة لهذه الأسرة بأسرة غطيس التي لازالت بتطوان.

أغطاس، ساحة بتطوان تدعى "فدّان أغطاس" وهي أكبر ساحة داخل أسوار مدينة تطوان القديمة، تقع بين باب التوت وباب النوارد. وهي منسوبة لأسرة أغطاس التي كانت تملكه، ويوجد بالسور الذي يحيط بالفدان برج يعرف ببرج أغطاس .

وأثناء الاحتلال الإسباني لتطوان سنة 1913 م حُولت هذه الساحة إلى ثكنة لفرقة المدفعية. وأقدم وثيقة ورد فيها ذكر هذه الساحة مؤرخة بسنة 1174 / 1761.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان* ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 104، 2 : 339 و353؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1921 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (G) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز الحكيم

الأغضف محمد ← ماء العينين

أغفار، ضريبة أمنية لحماية تنقل السلع عبر مجال ترابي لقبيلة معينة، فقد كان هذا الواجب يُدفع عينا أو نقدا من طرف تجار القافلة لمراقبي المسالك التجارية بالصحراء. وقد كان أغفار يأخذ في بعض الأحيان طابع الذعيرة، وفي كلتا الحالتين فهو يتميز بمواكبته التطور لنظام التحالفات المحلية في معزل عن التبعية أو الزبونية.

أغفير، في إطار التعارض المصلحي بين لفين تُعقد عادة التحالفات بين قبائل متعادلة القوة. غير أن مرونة نظام التحالفات المرحلية يضمن لصغريات القبائل حق الحماية من طرف أحد اللفين. تسمى هذه الحالة على ندرتها أغفير حيث تقوم القبيلة الحامية بتسخير مجموعة من أسرها كرهينه عند طالبي الحماية. وكتعويض عن مهمتها الدركية هذه تحصل الأسر المعينة على خروف بين كل ثلاثين. تنطبق هذه الممارسات على قانون المعاملات بين قبائل الصحراء عموما. وهكذا لا يمكن فصل الأولوية التي أعطيت لممارسة الرعي كنشاط اقتصادي محوري عن البنية السياسية التي بلورتها مجابهة القبائل فيما بينها.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

مصطفى ناعمي

أغلانْ، يجمع على إِغلالَنْ وإِغلانَنْ. من أسماء الأعلام الأمازيغية، وهو اسم علم مذكر من فئة الأسماء التي تبتدئ بالهمزة فتحا أو كسرا كأداة للتعريف في اللهجة الأمازيغية (*البينة*، 87).

ويسود هذا الاسم بمعان متقاربة في غير ماجهة من شمال إفريقيا، كما أن نونه تتحول إلى لام بعض الأحيان. وهكذا اسم أغْلانْ بمعنى القناة الكبيرة أو الساقية بمنطقة الأوراس في الجزائر (*Contribution*, 35) ونستفيد من إشارة لابن أبي زرع، أن الاسم كان سائدا أيضا بنفس المعنى بمنطقة فاس (*القرطاس* ، 39 ـ 46). ولاتزال الكلمة إلى اليوم متداولة على نطاق واسع بين سكان واحات درعة، وتعني مصرف الماء المتفرع عن إحدى السواقي الكبيرة (*Maghreb et Sahara*, 187).

وقد صار هذا الاسم علماً لقصرين بواحة تزناتة من وادي درعة :

ـ قصر أغْلان نُوفلاً : (قصر أغلان الفوقاني)، وقد بُني القصر في زمن غير معروف بالمدخل الشمالي لواحة تزناتة في الضفة الشرقية لنهر درعة، يبدو واضحا من موقع هذا القصر أنه استعار اسمه من أحد الجداول المائية المتفرعة عن ساقية تَفْرودَسْتْ إن لم نقل إنه استعار اسمه من هذه الساقية نفسها والتي لاتزال تعرف بساقية أغلانْ (*Les pays inaccessibles*, 48).

ـ قصبة أغْلانْ : هذا هو القصر الثاني الذي ارتبط باسم أغْلاَنْ، وقد بنيت هذه القصبة بالقرب من قصر أغْلانْ الفوقاني. واستعارت اسمها أيضا من أحد الجداول المائية المتفرغة عن ساقية إِفْلي الكبيرة والتي تعرف محليا بواد إفْلي (*Les pays inaccessibles* : 48).

ـ الدورالسياسي لقصبة أغْلانْ : كان ولاة المخزن بواحة تزناتة في عهد السعديين ينزلون بالقصبة القديمة داخل قصر ترْغلّيلْ، ثم تحولوا عنها إلى قصر بني صُولي (بإشمام الصادزايا)، الذي استحدث سنة 987 هـ، بأمر من السلطان أحمد المنصور ليكون مقرا جديدا لولاته على المنطقة، وقد كان هذان القصران يجاوران قصبة أغْلانْ، وإن دل هذا شيء فإنما يدل على عهد السعديين، وظل دروها آنذاك منحصرا فيما تقدمه من تشجيع لأسرة الناصريين المقيمين بجوارها على نشر العلم والقيام بوظيفة التدريس (*الحركة الفكرية*، 2 : 536) وبعد سيطرة أبي حسون السملالي على وادي درعة ابتداء من سنة 1039 / 1629، اتخذ ولاته بتزناتة قصبة أغْلانْ مقرا لهم تجنبا للاحتكاك ببقايا أنصارالسعديين بقصري ترغلّيلْ وبني صولي، إضافة إلى ماكانوا يجدونه من تأييد الناصريين المقيمين بزاوية أغْلانْ (*الدرر المرصعة*، 269). هكذا يمكن القول بأن الدور السياسي لقصبة أغْلانْ قد بدأ مع سيطرة السملاليين على وادي درعة، وقد تطور هذا الدور بشكل كبير في عهد الدولة العلوية وخاصة إبان ولاية مولاي الشريف بن اسماعيل على المنطقة خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن الثاني عشر الهجري.

ومع بداية العقد السادس من القرن الحادي عشر الهجري، تكبد أبو حسون السملالي سلسلة من الهزائم بواحة تزناتة على يد قوات مولاي مَحمد بن الشريف العلوي، وقد تمكنت هذه القوات من الاستيلاء على قصبة أغْلانْ بعد حصار قصير (*الدرر*، 120). وبالرغم من أن ولاة العلويين على واحة تزناتة، طيلة النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، كانوا ينزلون بقصبة أغلاَنْ فإن دورها السياسي كقصبة مخزنية لم يتأكد إلا بعد أن أحدث السلطان مولاي إسماعيل عمالة درعة وفصلها إداريا عن عمالة سجلماسة، وهكذا عين السلطان ابنه مولاي عبد الملك سنة 1111 / 1699، عاملا على درعة وأُنزل معه آلافا من الخيل بقصبة أغْلانْ (*الاستقصا*، 7 : 90).

لم تمض إلا ثلاث سنوات على استقرار مولاي عبد الملك بقصبة أغْلان، كعامل لأبيه على وادي درعة، حتى فوجئ بثورة أخيه أبي النصر، وقد تمكن هذا الأخير من السيطرة على قصبة أغْلانْ بعد فرار الأمير عبد الملك سنة 1114 / 1702، فعين السلطان ابنه مولاي الشريف على عمالة درعة وجهزه بحملة عسكرية قوية لاسترجاع الوادي من أخيه أبي النصر. وبعد قتال عنيف التجأ أبو النصر إلى قصبة أغْلانْ في أربعمائة من أصحابه فحاصره مولاي الشريف، ولم تنته الحرب بين الأخوين إلا بتدخل شيخ زاوية تامگروت سيدي أحمد بن ناصر الخليفة، الذي يظهر أنه نجح في إقناع مولاي الشريف بالسماح لأخيه أبي النصر بمغادرة قصبة أغْلاَنْ والرحيل عن وادي درعة (*الدرر*، 52). وفي سنة 1124 / 1712 عين مولاي الشريف للمرة الثانية على رأس عمالة وادي درعة فنزل بقصبة أغْلانْ ثم جدد أسوارها وبني بها دارا شامخة البناء واسعة الفناء على حد تعبير صاحب الدرر، فصارت قصبة أغْلأَنْ في عهده مقصدا للعلماء من مختلف أنحاء وادي درعة مثل أحمد بن صالح الأكتاوي، وعبد الكبير التنفوي قاضي قضاة وادي درعة وغيرهم (*الدرر*، 139 ـ 140). ولاتزال آثار قصر مولاي الشريف بن إسماعيل بقصبة أغْلاَنْ قائمة إلى اليوم بجانب الطريق بين مدينة زاگورة وقصر بني صولي في الضفة الشرقية لنهر درعة.

وقد ظلت أغْلاَنْ تتخد مقرا لولاة المخزن بوادي درعة طيلة القرن الثاني عشر الهجري وردحا كبيرا من القرن الثالث عشر الهجري، ونستشف من بعض الظهائر السلطانية أن ولاة المخزن تحولوا عنها في نهاية القرن الثالث عشر الهجري إلى قصر بني صولي، المقر القديم للعمال المخزنيين بالمنطقة. وبانتقال ولاة المخرن إلى بني صولي تراجع دور قصبة أغْلاَنْ وأصابتها عوادي الزمان، ولم يبق منها اليوم إلا الأطلال التي تحكي في شموخ ماعرفته هذه القصبة من أمجاد سياسية وحركة علمية مزدهرة خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين.

ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ م.م. الناصري، *الدرر المرصعة* ؛ م. الفاسي، *من وحي البينة*، 1970 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*.

G. Spillmann et L.Pennes, *Les Pays inccessibles du Haut Draa*, R.G.M. n 1 et 2 . 1929, E.Laoust, *contribution* Dj J. Meunié, *Magheb et Sahara*, dans *études géographiques offertes a Jean Despois*, Paris 1973.

أحمد البوزيدي

أغمات، أصل الكلمة في اللسان المصمودي ، ونطقها الصحيح هو : غْمَاتْ ـ بتسكين أوله وآخره، وقد تُنطق الغين وكأنٌ عليها سكوناً وضما : غْمات وليس فيها همزة القطع، وبذلك فهي فعل أمر. وهذه الصيغة ليست بالغريبة في مجالها الجغرافي، عكس من يرى بأنها مركبة من : "خذ + مات" وإنما ذلك من باب التأويل المقصود به التندٌر عند من يريد ذم أهل البلد بالبخل ، فقال إنها مركبة من "غ" وهو الأمر من فعل أخذ بالأمازيغية ومن الفعل العربي: مات، أي أن العطاء مات عندهم (*الذيل والتكلمة* 8 : 348) والمرجح أن أغمات أمرٌ جمع من فعل "غْمْ" الذي يعني عند الأمازيغ خضب (*التشوف* : 84). وأغمات مدينتان : أوريكة وأيْلان.

I ـ **أغْمَاتْ أوْرِيكَة** : تقع أغمات أوريكة عند قدم السفح الشمالي للأطلس الكبير الغربي على بعد أقل من 30 كلم جنوب شرق مراكش. تدل معطيات مجالها الجغرافية والتاريخية على ماتوفر لها من شروط مواتية لإنشاء مدينة منذ القرون الإسلامية الأولى. فالموقع وسط على مستوى المغرب، ونقطة التقاء من جهة لموارد السهل والجبل، ومن جهة ثانية لمجموعات قبلية متنوعة (*Le Haouz* ، 1 : 157) ومحطة بارزة في خريطة المسالك التجارية الإفريقية المتوسطية خاصة خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والاثني عشر الميلايين (*Géo. économique*, carte nº 2 et 3) أما الموضع فجمع بين انبساط السطح مع ارتفاع محدود، وتربة خصبة ومصادر مائية غنية ومتعددة. كل هذه العناصر ساهمت في جعل المجال مهيأ لكي تتأسس به مدينة في الدير استطاعت بنجاح إنجاز مختلف الوظائف المطلوبة من مدينة مغربية في العصر الوسيط (*Le Haouz*,1 : 157).

لاتمكن المصادر المتداولة من تحديد ظروف تأسيس أغمات وتاريخ هذا التأسيس، خاصة وأن المدينة كمجال تبدو عنصراً طارئًا في حياة مصمودة الأطلس الكبير الغربي والحوز، إذ في مدة ثمانية قرون لم تتأسس بالمنطقة سوى خمس مدن هي : أغمات أوريكة، وأغمات أيلان، ونفيس، ومراكش، وتنمْل، لم تجابه منها عوادي الزمن إلا مراكش.

على أن الحركة التجارية الهامة التي عرفتها المنطقة، والتي ألحقتها بشبكة مسالك تجارية مع الشمال والجنوب. تبدو كعناصر لها حضور في هذا التأسيس، خاصة وأن المصادر أعطت أهمية خاصة للجانب التجاري في أنشطة أغمات. لذلك فمن غير المستبعد أن تكون هذه الوضعية حافزاً للقبائل الأكثر استفادة من هذا الرواج أي أوريكة وأيلان بأخذ المبادرة من أجل الحفاظ على النشاط المذكور وتطويره بإنشاء مراكز حضرية (*اينولتان*، 73)، ما يؤيد ذلك من جهة كون أوريكة وأيلان كانتا من بين القبائل الاولى التي سارعت إلى مبايعة الأمير المرابطي أبي بكر بن عمر (*الحلل*، 23). ومن جهة ثانية تنازع أيلان مع هزميرة حول اختيار مكان تأسيس مراكش (*البيان*، IV – 19) وان هذه الأخبار لا تستبعد حضور المصالح المشار إليها كدافع من دوافعها.

وقد شكلت مصمودة الإطار القبلي الواسع كمعظم سكان اغمات خاصة أوريكة وأيلان. ويبدو أن الثانية كانت تتوفر على طاقة بشرية ذات أهمية بالمقارنة مع الأولى، يتجلى ذلك من خلال الامتداد الجغرافي لكليهما. فإيلان امتد مجالها من شرق مراكش ـ حيث باب أيلان ـ إلى ما وراء اغمات ونفيس، بينما تركز وجود أوريكة بشرق وغرب اغمات (نزهة *المشتاق*، 45).

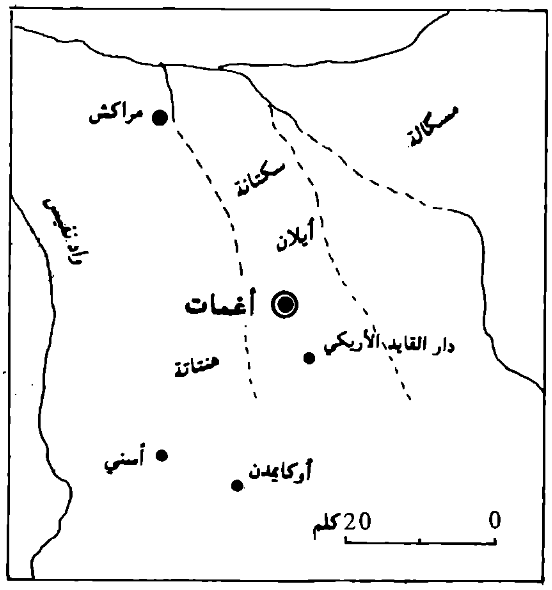

أغمات

ويبدو أن هذه القبائل كانت لها مساهمة في تطوير التجارة القائمة بالمنطقة، الشيء الذي يتجلي في أهمية عائداتها على السكان. ومن المؤشرات إلى ذلك ممتلكات زينب النفزاوية، ووفرة عبيد السودان (*البيان* 4، 18 ـ 84) وعادة إظهار علامات الغنى على أبواب المنازل (نزهة، 42).

مكونات المعمار : يتأتى من مراجعة الإشارات ذات الصبغة العمرانية والمتفرقة في المصادر، أن تصور اغمات أوريكة مدينة متوفرة على المستلزمات الضرورية التي تضمن تطورها بل استمرارها لمدة أطول بعد تأسيس مراكش بجوارها، فهناك :

منشآت منسية : تتجلي في إقامة السور حول المدينة «ودورها محمر الترب، سجع الجلدة مندمل الخندق» (*نفاضة*، 55) وكان السور يتوفر على أبواب لاندري عددها ولا اسماءها والمعروف حاليا هو باب وانيرني الذي يبدو من موقعه أنه كان في شمال المدينة (*إثمد*، 1 : 247) وهناك بناء منازل تحت الأرض (*البيان*، 4 : 18)، وحلوني مجال أخضر داخل المدينة (*نفاضة*، 57) لا تستبعد مساهمته في تلبية الحاجيات المحلية خاصة في أوقات الشدائد.

منشآت مخزنية : متمثلة في القصبة ودور المحزن (*نفاضة*، 56 ـ 57) علما بأن اغمات كانت قاعدة إمارة مستقلة قبل المرابطين (Marrakech 1 : 45) وأصبحت على عهد الموحدين مقرا للعامل والقاضي (*التشوف*، 270)، وفي أوائل عهد المرينيين كانت مقر الوالي والقاضي (*إثمد*، 1 : 173).

منشآت دينية : أساسها مجموعة من المساجد أقيمت بالمدينة، من أقدمها مسجد الفيل (*القبلة*، 16)، على أن الذي حظي بشهرة أوسع خاصة من القرن الخامس إلى السابع الهجري / الحادي عشر ـ الثالث عشر الميلادي، هو جامع وطاس، باعتباره المسجد الجامع ومركز التعليم (*أخبار المهدي*، 170)، ومكانا ارتبطت به أول طائفة صوفية عند المصامدة. وقد قدم ابن الخطيب وصفا لهذا المسجد ولمئذنته الفريدة التي أثارت استغراب وزير غرناطة حتى قال فيها : « فقبحت حتى ملحت » (*نفاضة*، 55 ـ 56)، تضاف إلى ذلك الزاوية التي بناها الغماتيون بها.

وعلى اعتبار هذه المراكز مؤسسات تربوية وعلمية، فتجب الإشارة إلى المدرسة التي بنيت على عهد السلطان أبي الحسن المريني (*المسند*، 406).

منشآت اقتصادية : توفرت اغمات على معمار اقتصاديساير متطلبات السكان ووظائف المدينة، وهكذا يمكن تسجيل وجود مراكز إنتاج حرفية مثل دور الدباغة (*إثمد*، 1 : 247) وسلسة من الأرحاء الخاصة بطحن الحبوب (نزهة، 42)، وأسواق للتبادل التجاري الواسع مثل سوق الأحد (*المغرب*، 153) إضافة إلى الدكاكين الموجهة اساسا لتلبية الحاجيات اليومية للسكان مثل حوانيت الگزارين (*التشوف*، 162)، ومن غير المستبعد أن أغمات كانت بها كذلك دار لضرب السكة. ومما يؤيد ذلك وجود دينار مرابطي ضرب بها سنة 496 هجرية / 1096 ميلادية. (*Memorial* , 2 : 123).

السكن : يبدو أن اغمات عرفت تجمعا بشريا كثيفا، يلاحظ ذلك من خلال تعدد مساجدها، والضيق الذي عانت منه عقب وصول المرابطين إليها (*البيان* 4 : 19)، وأهمية كمية اللحوم التي كانت تستهلك بها (*المغرب*، 153)، وارتفاع احتياجاتها من الماء التي قدرت بـ 5 / 4ـ مياه النهر الذي يخترقها مقابل 5 / 1 واحد لتلبية حاجيات الأراضي الفلاحية المحيطة بها (*نزهة*، 43).

كل هذا يفترض وجود دور ومنازل يبدو أنها كانت تساير إمكانيات مختلف سكان المدينة (*التشوف*، 153)، وهكذا نجد الدور والمنازل التي كانت متباينة حسب مكتسبات الجاه والمال، كدور الشرفاء (إثمد، 1: 185) والأغنياء كانت من الفخامة بمكان لأن أهلها كانوا «مياسير أغنياء لهم نخوة واعتزاز» (*نزهة*، 42) وهذا واقع تدل عليه بقايا الأخشاب والحصون الحاملة لنقوش وزخارف تعود إلى فترة ماقبل المرينيين (*نفاضة*، 56)، ومقابل ذلك السكنى المتواضعة، والصغيرة الحجم مثلا : المصرية (*إثمد*، 1 : 232) علما بأن المساجد والزاوية الموجودة باغمات كانت تقوم مكانا لإيواء الغرباء (*إثمد* : 235).

ومما يلاحظ أن البناء كان يتم بواسطة الأجور والطين والطوب (*نزهة*، 42 ـ 43)، والعنصر الفني كل حاضرا كذلك: الزخارف والنقوش والنافورات (*نفاضة*، 56 ـ 57).

بهذه المكونات المعمارية، نكون إذاً أمام مدينة متكاملة متوفرة على الشروط الضرورية لمجال حضري كأغمات في العصر الوسيط.

عناصر الاقتصاد : توفرت اغمات على إمكانيات طبيعية متمثلة في أرض سهلية وفيرة المياه، غنية التربة، سمحت بإقامة فلاحة كانت بارزة سواء في الزراعة وتربية الماشية. إن هذه المعطيات جعلت جعلت جهة اغمات من أبرز المناطق الفلاحية بالجنوب. (Géo-économique. cartes nº : 8-9-10) وهي ملاحظة أكدتها أوصاف الجغرافيين والرحاليين بدءاً من اليعقوبي إلى الحسن الوزان.

وبالرغم من وفرة المياه يبدو أنها كانت خاضعة لتنظيم يضبط توزيعها علي أساس حاجيات المدينة ومجالها الحيوي بناء على قاعدة متفق عليها، من عناصرها "النوبة". وكان الماء يصل الى مراكز الإنتاج عبر قنوات للسقي، منها ماهو جماعي، ومنها ملك خاص، وقد بلغ ثمن بناء ساقية خاصة قرب اغمات خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي : مائة دينار (*التشوف*، 187).

ومن غير المستبعد أن مساحة هذا المجال الفلاحية كانت شاسعة، وهو ما يُشتم من أهمية حجم الإنتاج وصيغ الكثرة التي كانت ملاصقة لأسماء المناظر الزراعية في أوصاف الجغرافيين والرحالة مثل : قولهم «متعددة البساتين ـ بساتين كثيرة ـ جنات محدقة.»

كل هذه الإمكانيات مكنت من إنتاج فلاحي مهم ومتنوع جمع بين المغروسات والمزروعات، من أبرز محاصيله : الشعير والتمور. (*المغرب*، 153).

ويبدو أن الاهتمام بالنشاط الزراعي كان متزايدا عند فلاحي المنطقة، وهي مسألة نجد انعكاساتها في أهمية المردود بشكل خاص (*وصف افريقيا*، 1 : 107)، في نفس الوقت احتلت تربية الماشية مكانة متميزة في النشاط الفلاحي، نظراً لأهميتها في الاستهلاك الغذائي للسكان «فسوق اغمات وريكة يقوم يوم الأحد بضروب السلع وأصناف المتاجر يذبح فيها أكثر من مائة ثور وألف شاة وينفد في ذلك اليوم جميع ذلك». (*المغرب* : 153) يضاف إلى ذلك ارتباطها العضوي بحرفتي الدباغة والنسيج حيث كانت تنتج « الأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر» (نزهة، 142)، سواء لأجل الاستهلاك أوالتجارة السودانية.

وقد ساهمت الأهمية الاستراتيجية لموقع اغمات في جعل هذه الأخيرة محطة أساسية ضمن شبكة خطوط تجارية جمعت بين منتجات ومحطات متوسطية وافريقية، وكانت

تعرف رواجا اقتصاديا متزايدا على المستوى المحلي والبعيد المدى (*Géo économique*, cartes nº 1-2) إلى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

في هذا الإطار تجمع المصادر على اتساع أسواقها ووفرة المنتجات ورخاء الأسعار وارتفاع حجم مساهمة تجار اغمات في تجارة السودان وانعكاس ذلك على يُسْر حالة السكان وغناهم، وهي أوصاف فترة ازدهار واضحة.

ومن غير المستبعد أن تكون أقدمية هذا الرواج بالمنطقة وأهمية فوائده قد ساهمت في تشكيل تقاليد للاذخار والاستثمار بين سكان هذا المجال. من عناصر الاستئناس في هذا الجانب : تشجيع النساء والأطفال على التكسب «وأهل السوس واغمات أكثر الناس تكسبا وأطلبهم للرزق، يكلفون نساءهم وصبيانهم التحرف والتكسب» (*المغرب*، 163).

وقد شكلت اغمات مركزا من مراكز الدعوة الإسلامية إذ كانت احدى المحطات البارزة في خريطة الفتح الإسلامي (*البيان*، 1 : 27)، وبها تأسست مجموعة من المساجد في إطار محاربة بورغواطة (*اينولتان* 16، 77)، وشكلت قاعدة بارزة لأهل الصلاح والولاية (*التشرف*، 145، 153 ...) ومركز ثقل أول طائفة صوفية بالحوز والأطلس الكبير المغربي (*إثمد*، 1 : 89 - 93).

كل هذه الوظائف ساهمت في جعل اغمات مهيأة لتكون ملتقى ثقافات من الغرب الإسلامي، خاصة الأندلس (*لذيل*، 2 : 410، 439) والقيروان (*التشوف*، 82، 92 ..) ومركز إشعاع ديني وثقافي بارز في الجنوب المغرب بشكل خاص.

II - **أغمات أيلان** : نسبة إلى قبيلة أيلان أو هيلانة، مركز حضري عرف منذ بداية دخول الإسلام إلى المغرب حيث أسس به مسجد سنة 85 هجرية / 704 ميلادية (*البيان* 1 : 43).

تقع أغمات أيلان شمال شرق أغمات أوريكة على بعد ستة إلى ثمانية أميال من هذه الأخيرة (*المغرب*، 153 ؛ *نزهة*، 45). ونظرا لاختفاء المدينة منذ فترة مبكرة تعود إلى ما بعد منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وأمام غياب مخلفات أثرية، فقد طرحت مشكلة تحديد الموقع.

في هذا السياق انطلقت الاجتهادات المستندة إلى البحث في أسماء الأماكن القريبة من أغمات أوريكة التي تحمل معها صفة أو نعت أيلان. كما استندت إلى ماذكر من المسافة الفاصلة بين المدينتين، وموقع الثانية بالنسبة للأولى.

ويمكن اختصار النتائج في افتراض Ed . Doutté الذي حدد الموقع في : إيغيلْ نْوايْلانْ (*Marrakech*, 1 : 44)، ثم في اجتهاد الأستاذ أحمد التوفيق الذي اقترح الموقع المعروف بـ «أوخْربينْ نَايْتْ وايْلاَنْ» (*التشوف*، 142). وكلا الاقتراحين يتحدد جهة تسغيموت ناحية أيت ورير.

ويبدو أن اغمات أيلان كانت مدينة ذات مجال حضري محدود حيث كانت محرمة على الغرباء (*المغرب*، 153) ووصفها الإدريسي بالصغر على عهد الموحدين (*نزهة*، 45)، ومن غير المستبعد أن لتضاريس المنطقة علاقة بهذه الحالة.

ويلاحظ أن المدينة بقيت موجودة إلى منتصف القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، حيث وردت عنها أخبار عند ابن الزيات تتعلق ببداية القرن السابع الهجري، والخاصة بالاطلس الكبير الغربي (*رحلة العبدري ومسالك الأبصار*).

وممّا يلاحظ على الجانب البشري هو أهمية حضور اليهود في المدينة. فقد سكنها هذا العنصر بكثرة على عهد الادارسة (*Contribution*,109) وكانت على عهد الموحدين المجال المفضل لاستقرار يهود الأطلس الكبير الغربي (نزهة، 45). ومما شجع هذه الحالة تحريم المرابطين على اليهود المبيت في مراكش . ومن غير المستبعد أن حضور هذه الطائفة التي كانت لها تقاليد تجارية عريقة، أمر كانت له أهميته في جعل المدينة محطة تجارية معتبرة، أعطتها وضعية اقتصادية متميزة "كثيرة الخصب كاملة النعم" (*نزهة*، 45).

البكري، *المسالك والممالك* ؛ البيذق، *أخبار المهدي* ؛ الإدريسي، *نزهة المشتاق* ؛ ي. التادلي، *التشوف* ؛ م. عبد الملك، *الذيل والتكملة*، ج 8، العبدري، *الرحلة* ؛ ابن عذاري، *البيان*، مجهول، *الحلل الموشية* ؛ ابن تكلات، *اثمد* ؛ ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*؛ ابن مرزوق، *المسند* ؛ أ. التوفيق، *إينولتان*.

الأغماتية أو الغماتية. طائفة صوفية نشأت باغمات ونواحيها في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (*إثمد* 1 : 75) تحت إشراف أسرة الهزميريين التي عرفت بالولاية والصلاح قبل هذه الفترة (*التشوف*، 422، 400). وهي امتداد لظاهرة الطوائف التي بدأت تتكون جنوب وادي أم الربيع منذ منتصف القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وبذلك تمثل أول طائفة صوفية ظهرت بالحوز ودير الأطلس الكبير الغربي.

ويعتبر أبو عبد الله الهزميري الشيخ المؤسس للطائفة، خلافا لما ذهب اليه ابن قنفد عندما نسبها لأبي زيد الهزميري (*أنس الفقير*، 66).

ويبدو أن ظهور الاغماتية ارتبط بظرفية محلية مرت بها اغمات خلال الفترة أساسها أزمة دينية واجتماعية، انعكست في شيوع الاعتقاد بظهور الشيخ المنقذ، وفي تركيز عمل الطائفة فيما بعد على تصحيح المعتقدات، والاهتمام بتحقيق التوازن وتقوية التضامن(*إثمد*، 1 : 78، 95 - 99، 170). كل ذلك تزامن مع بداية فترة المرينيين التي عرف فيها الجنوب المغربي حالة عدم الاستقرار.

امتدت فترة إشراف أبي عبد الله على الطائفة إلى وفاته سنة 678 هجرية / 1265 ميلادية وخلفه أخوه أبو زيد

إلى سنة 706 هجرية / 1307 ميلادية، وبعدها لا نعرف أي شيء عن أحوال الطائفة والمشرفين (*إثمد* 1 : 79).

حدد الاغماتيون أسس طائفتهم في خمسة عناصر هي : اجتناب المحارم وأداء الفرائض، وترك الدنيا، والصدق، والاخلاص. تشكل المالكية وتعاليم الجنيد وآراء الغزالي وبعض عناصر الملامتية الإطار المرجعي لهذه القاعدة. وإذا شارك الاغماتيون باقي طوائف الجنوب المعاصر لهم في العناصر الثلاثة الأولى من هذه القاعدة فإنهم انفردوا لوحدهم بالرابع.

عرفت الاغماتية مجموعة من التقاليد والممارسات عكستها طقوس ومواقف العناصر البشرية المكونة لها. ويمكن تحديد الطقوس في الأوراد والأذكار والخرقة والاعتناء باللون الأبيض والأخضر، والخلوة والمصاحفة والسياحة. ويبدو أن التضامن داخل الطائفة يُعتبر قاسما مشتركا بين مختلف هذه الطقوس.

أما مواقف الأغماتيين فيمكن تحديدها من جهة في القول بضرورة الشيخ في النشاط الصوفي، وثبوت كرامات الأولياء، وممارسة الإطعام، والتحفظ من السماع، واشتراط الاستئذان في الذهاب إلى الحج. ونلمسها من جهة ثانية في موقف الاحترام من الطوائف المعاصرة خاصة طائفتي أبي محمد صالح، وأبي زكرياء الحاحي، بينما نلاحظ موقف عدم الرضا من المخزن المريني (*إثمد* 1 : 173- 174 ؛ *أنس الفقير*، 66).

ويمكن أن نميز في هياكل الطائفة التكوين البشري الذي أثر فيه الإطار الجغرافي بشكل قوي، وهو ما تجلى في غلبة العنصر البربري خاصة المصمودي منه، وفي سيطرة الطابع القروي (*إثمد* 1 : 87) يضاف إلى ذلك تباين التركيب الاجتماعي للأتباع. فهناك الفلاح والحرفي والمعلم والمسؤول المخزني، وما ترتب عن ذلك من تفاوت بين الأتباع على مستوى الجاه (*المسند*، 361، 362) والمال (إثمد 2 : 408 + *أنس* 67 - 68) والتكوين (*إثمد* 1 : 217).

كما نميز جانب التنظيم الداخلي الذي يلاحظ فيه وجود هرمية قمتها القطب، وقاعدتهاالتلاميذ، تجمع فيهما علاقة الاحترام وعفوية التضامن (*إثمد* 1 : 88 - 89).

وقد تركز نشاط الأغماتيين بشكل بارز في الجنوب، خاصة اغمات مركز ثقل الطائفة وإيغيلْ نَوَاَيْلانْ وأمغيوز ورباط شاكر وماسة ومراكش. وإذا علمنا استقرار أبي زيد بفاس ووصوله إلى تلمسان في آخر حياته، فهذا يؤكد أهمية مجال الجنوب.

وقد أولت الطائفة اهتماما خاصا للوسط القروي، الأمر الذي انعكس في ضعف إشعاعها داخل المدن، وهو مايتجلى في نقص الأخبار المتعلقة به في إثمد *العينين*، وفي تركيز الأغماتين على البادية. وفي هذا السياق تتبين أهمية العنصر المصمودي الذي كان مسيطرا على المجال، وانعكست في وفرة عناصره المنتمية للطائفة .

وإذا كان اختيار هذا المجال قد يفسر من بعض الجوانب بابتعاده عن مركز حكم المخزن المريني وعن مناطق زناتة، ثم استمرار حالة عدم الاستقرار بالجنوب المغربي طول مدة حكم المرينيين، فإن المساهمة من جانب في إعادة لمٍّ شتات وحدة قبلية أنتجت دولة وأصبحت تعيش حالة ضياع الجاه والسلطة مسألة تبدو غير مستبعدة.

وأخيرا يمكن القول إن الأغماتية كمشروع، استهدف تنظيم جانب كبير من مجتمع مصمودة على أساس تصوف طائفي، كان محاولة غيرموفقة. من قرائن ذلك : سرعة فتور الطائفة باختفاء أبي عبد الله وأبي زيد، ثم محدودية إشعاعها الجغرافي، يضاف إلى ذلك دخول هذا المجال تصوف بديل طائفي شكله الحاحيون (*أنس الفقير* 64) وفردي لعزيزة السكسيوية (*أنس الفقير* 96).

التادلي، *التشوف* ؛ ابن تكلات، *الإثمد* ؛ ابن قنفذ، *أنس الفقير*؛ ابن مرزوق، *المسند*.

محمد رابطة الدين

أغْمير، محمد بن أحمد. ولد سنة 1900 باخْوَانَا، إقليم تازا، ونشأ بقبيلة جزناية ببورد بنفس الإقليم. انضم إلى صفوف جيش التحرير وعمل تحت مسؤولية السيد عبد الله بن حسن الزكريتي ابتداء من فاتح أكتوبر 1955، وكان مهيئاً للمشاركة في انطلاق العمليات الأولى لجيش التحرير بتازا ضد قوات الاحتلال الفرنسي بجبال الريف وبمراكز أخرى.

وخلال اشتباك في معركة بير بلوطة، استشهد - رحمه الله - يوم 18 أكتوبر 1955 بعد أن فرغت بندقيته تحت وابل من رصاص الجيش الفرنسي.

كتاب *شهداء الاستقلال*، 2 : 61.

عز الدين العلام

أغُنْجَة ← سمك

أغْنَاجْ، محمد بن يحيى، كان خليفة للقائد عبد الملك بن محمد أُبهي، لكن شهرته إنما ارتبطت بالأحداث التي عرفتها سوس أوائل القرن التاسع عشر، وكان له دور فيها. فقد ازداد نشاطها التجاري مع جنوب الصحراء مما نجم عنه ظهور قُرى محلية جعلت السلطة المركزية توليها الاهتمام، فكانت حركة السلطان المولى سليمان إلى سوس سنة 1222 / 1807 فوصل إلى وادي نون، وأوقع بقوى أكلميم بإلقاء القبض على عبد الله الذي لم يسجن طويلا، في حين لم يمس السلطان المولى سليمان قوى إليغ بزعامة هاشم بن علي الذي أعاد لإليغ مركزها في سوس منذ أوائل القرن التاسع عشر.

لقد ظهر مركز إليغ السياسي والاجتماعي بطموحات سياسية مستقلة لهاشم بن على مما جعل السلطان المولى سليمان يوحد سوس تحت قيادة عبد الملك بن محمد أُبهي ومحمد بن يحيى أغناج أوائل سنة 1225 / 1810. وقد شاركت قوى مختلفة من القبائل في هذه الحركة كالحياينة

وبني حسن من الغرب، وقبائل حوز مراكش بالإضافة إلى جيش العبيد وشراگة. نزلت الحركة على وادي ولغاس حيث واجهتها القوى المشكلة من قبائل ولتيتة (إولتيتن) وسملالة (إسملالن) وبني رسموكة (إرسموكن) وبعض من إداويْعقيل وبني مجاط، وانضاف لهم أهل المعدر، وانضمت بعض القبائل المحلية لحركة المخزن كبني زلالة وأبلاغ.

كانت الواجهة بين القوتين على وادي ولغاس، وحاولت كل منهما الضغط على الأخرى إلى أن انهزمت قوى هاشم الذي انسحب مع القبائل المرافقة له، فاقتحمت القوى المخزنية بقيادة أُغنّاج المنطقة فوصلت إلى إليغ ثم انسحبت منه واتجهت نحو تارودانت عبر الأطلس الصغير، فمرت بإيلالن وأساطس ثم تارودانت، وألحقت هزائم بالقبائل، وقد أتلفت في طريقها عددا من الثروات وحطمت عدداً من الحصون. وقد تمكن أغناج الذي كان يقود الحركة من نيل ثقة السلطان المولى سليمان فوفد عليه بمراكش أوائل سنة 1226 / 1811 فعينه عاملا على تارودانت، وكان فيها من قبل خليفة لأبهي، واستمر بها إلى حوالي 1236 / 1820، أواخر أيام السلطان المولى سليمان.

وثائق مخزنية من الخزانة الحسنية ؛ *الضعيف التاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 و9 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 أجزاء.

R.Montagne, *Les Berbéres et le Makhzen* ; P. Pascon, *La Maison d'Iligh.*

محمد زرهوني

اغوينية ← وادي الذهب (إقليم ـ)

إغِيلْ، اسم مكان، معناه : الذراع، ويطلق على التل الممتد على هيئة عُرف جبلي وكثير من أسماء الأماكن المغربة باسم الدراع تعرف أصلا بإغيلْ. ويقرب أغمات أوريكة مكان بهذا الاسم معروف إلى الآن. وكذا إغيل ن وايْلانْ (ذراع هيلانة) على مقربة منه.

التشوف، 161 ؛ *أخبار المهدي*، 113.

H.Terrasse, *Sanctuaire et Forteresses almohades*,377.

أحمد التوفيق

إغيلاْلنْ (مدرسة). تقع بقبيلة مسگينة بناحية إنْزگانْ على بعد نحو 20 كلم منها، وذلك في الطريق إلى تارودانت عبر الأطلس الكبير فوق هضبة مرتفعة.

وقد أسسها المسمى يحيى أحد أصحاب الحضيگي وتوفي سنة 1205 / 1790 ودفن قريبا من هذه المدرسة ؛ وقد اشتهر في عصره بالتعليم والصلاح ؛ وساعده على القيام بمهمة إيواء الطلبة وإطعامهم ما اشتهرت به ناحية إغيلالن آنذاك من حقول وغلال مع تخصيص أهل تلك الناحية أعشار غللهم للمدرسة وفق أسلوب (المشارطة) بمدارس سوس. وهو يقتضي أن تكون ثلث زكوات القبيلة أو ربعها أو نحو ذلك بحسب قلة أفراد القبيلة وكثرتهم مخصصا للمدرسة (*المعسول*، 3 : 275، 276).

ويذكر من بين الأساتذة الذين درسوا بهذه المدرسة قبل أن يبرز بها الحاج مسعود الوقفاوي الآتي الذكر كل من : الأستاذ مبارك البورزگي الملولي الگسيمي ؛ كان ذلك سنة 1340 / 1920 وقد توفي مبارك هذا بأيت ملول سنة 1355 / 1936 (*خلال جزولة* 4 : 64).

كما درس بهذه المدرسة أيضا سعيد الهشتوكي المتوفي حوالي1379/ / 1959 (المرجع أعلاه) ودرس بها أيضا أحمد الكشطي وهو ممن درس بالريف، وفاس وقد توفي سنة 1366 / 1946 (المرجع اعلاه).

غير أن شهرة المدرسة لم تظهر إلا عندما عين بها الأستاذ الحاج مسعود بن أحمد بن إبراهيم الوقفاوي (عام 1366 / 1946) وذلك بعد تجربة تربوية وتعليمية طويلة بجملة من مدارس سوس، وبالرغم من أنه اضطر إلى مغادرتها بسبب خلاف مع أحد المسؤولين بتلك الناحية، فقد رجع إليها ثانية ؛ وقد أتيح له من الإمكانات العلمية والسلوكية ما جعله يتمكن من استقطاب عدد مهم من الطلبة ؛ فهو من تلامذة أبي العباس الجشتمي وممن أخذ من مدرسة تانكرت بإفران. وانتقل في مدارس أخرى بسوس ونواحي مراكش ورحل إلى الحج وجاور سنة وأجازه الشيخ شعيب الدكالي. كما أخذ الطريقة الدرقاوية عن الشيخ علي الإلغي (*المعسول*، 3 : 60 ـ 161) ؛ فاستقام له من سعة الأخلاق وحسن المواظبة ما جعله محترما محبوبا عند العامة والخاصة.

أما طلابه فقد أخذهم بحدب كبير وإكرام باد، حيث كان يحتفل بهم كل خميس بمنحهم ذبيحة أو اثنتين تشجيعاً على الاستمرار والجد في الدرس.

وقد استغل الأستاذ الوقفاوي أوقاته كلها طيلة السنة في خدمة الطلاب منذ الصباح الباكر إلى أن يحين المساء مع إشراف تربوي على سلوكهم الشخصي يتخلله عتاب المقصر وتشجيع المجد ؛ كما كان يشرف على شراء ما يلزم الطلبة ولا سيما المجتهدين منهم هدايا تشجيعية خاصة ؛ ويظهر أنه كان لنشأته فقيراً في صغره أثر في رقة عاطفته وشعوره بحاجات طلابه المادية، مازجا بين هذا الاهتمام المادي، وبين الحرص على أن ينشأ الطلاب محافظين على الشعائر الدينية وخاصة صلاة الصبح التي كان يشدد على بعض الطلاب في شأنها إلى درجة التبكيت والإزعاج (*المعسول*، 3 : 66).

أما طريقته في التدريس فيظهر من خلال ترجمة أحد تلامذته وقرابته المسمى أحمد الوقفاوي مدى حرص الأستاذ الحاج مسعود على تفوق طلابه في إتقان المتون والنصوص ؛ فقد درس هذا الطالب *الألفية* لابن مالك بشروحها أكثر من أربع عشرة مرة (*المعسول*، 6 : 91) كما أن أحد تلامذته المسمى عبد الله الوقفاوي حصّل عنه غالب فنون الدراسة من نحو ولغة وفقه وفرائض وحساب وحديث وتفسير وأدب (*المعسول*، 3 : 97 ـ 98) مما كشف عن اهتمام تكاملي بمختلف المواد الدراسية المتداولة بسوس آنذاك.

أما قائمة طلبة الحاج مسعود الذين أخذوا عنه بهذه المدرسة خاصة أو بمدارس أخرى بكيفية عامة فتكشف عن تنوع في الانتماء المكاني وتعدد في الوظائف التي سيمارسها هؤلاد الطلاب بنواحي سوس في مختلف الميادين.

وقد تولى التدريس بمدرسة إغيلالن بعد الأستاذ الحاج مسعود آنف الذكر بعض تلامذته فمنهم : أحمد بن محمد المافماني ومنهم المسمى ابراهيم الباعمراني ؛ وقد أخذ عنه أحد أبناء الحاج مسعود المذكور وهو ابنه عبد الله ابن مسعود المشتغل حاليا بالتعليم.

كما ذكر من بين تلامذته الذين درسوا بمدرسة (إغيلالن) أحد ابناء الشاعر الكبير الطاهر الإفراني وهو المسمى عبد الله بن الطاهر (ولد نحو 1318 / 1900) وذلك بعد أن أخذ عن أخيه محمد بن الطاهر وعن والده الشاعر وعن الحاج مسعود بعد ذلك (*المعسول*، 7 : 231) وقد مارس التدريس بمدرسة (إغيلالن) ابتداء من سنة 1382.

وقد استمرت الدراسة بها بعد ذلك بواسطة أحمد البويضي الهواري إلى جانب الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال وفق نظام المدرسة المزدوج.

م.المختار السوسي، *المعسول* 3 ؛ *خلال جزولة*،22.

محمد البايك

أغيول، عبد العزيز بن محمد، يلقب بيَا هْلَ اللّه لكثرة جريانها على لسانه. كان صالحاً ملامتياً، وموسيقيا ماهراً يعرف الآلة وطبوعها وصنائعها. كما كان صناع اليد يجيد تسفير الكتب وصنع المناسج، ويغضب لمن يصفه بالصلاح. صحب من شيوخ فاس العربي بن عبد الله معن الأندلسي، ولازم مجالس محمد جسوس في حكم *ابن عطاء الله*، وعبد المجيد الزبادي في *النصيحة الكافية* لأحمد زروق.

اهتم بإشهار قبور الصالحين المندثرة بفاس، وأدركته الوفاة عام 1199 / 84 ـ 1785 فدفن قرب سيدي أحمد اليمني ويوسف الفاسي خارج باب الفتوح.

م. الزبادي، *سلوك الطريق الوارية*، مخطوط ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 361 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

محمد حجي

أفَا، معناها في اللسان الأمازيغي : القمة أو المرتفع. وتوجد بالمغرب قرى عديدة تحمل اسم "أفا" وغالبا ما تكون الأسماء منسوبة إلى الأماكن أو الأشخاص. وأهم هذه القرى: أفا نايْت عباس بقبيلة مسكًينة شرق مدينة أگدير ؛ أفا، نْدْعيسى، قرب مدينة إفني بأيت باعمران، وهو من المراكز التي انجلى عنها الإسبان سنة 1957 أمام جيش التحرير المغربي ؛ أفا، نْتَاگانْت، قرب أفلاً أوگنس بقبيلة إدا وباعقيل بالأطلس الصغير ؛ أفا، نتيقي، بقبيلة مجاط قرب إفران بالأطلس الصغير ؛ أفا، نايت دواد، جنوب تاسريرت بقبيلة تافراوت شرق أگرسيف. نافات : مؤنث أفا، للدلالة على التصغير، وهي قرية بقبيلة أيت برابيم جنوب مدينة تزنيت غرب العوينة، وقد انتقل أغلب سكانها فتأسست قرية أخرى بنفس الاسم في منطقة سهلية بعيدة عن الأولى بحوالي تسعة كلمترات، نتيجة وعورة الموقع الأول.

ويتجلى أن أغلب هذه القرى تقع في سلسلة جبال الأطلس الصغير باستثناء أفانايْت عباس فهو يقع على سفوح الأطلس الكبير المواجهة لسهل سوس، على بعد 12 كلم من مدينْة أگادير شرقا، وينتسب إلى قرية أيت عباس من قبيلة مسگينة.

وقد توصلنا إلى وجود علاقة بين أفا نايت عباس وأفا أودْرار بإداوْسملال، لأن سكان أيت عباس بقبيلة مسگينة إنما انتقلوا من إداوسملال حيث توجد قرية باسم أيت عباس التي ينتسب إليها العلامة أحمد العباسي السملالي صاحب *النوازل* المشهورة، ويوجد في قبيلة مسگينة اليوم من المسنين من يذكر سلسلة أجداد إلى الأصول الأولى المهاجرة من قبيلة إداوسملال في العهد السعدي في القرن السادس عشر، وهو الفقير إبراهيم ميشت بقرية إيمي نتغزوت بمسگينة.

وأفانايت عباس يرجع تأسيسها إلى هذه الحقبة حيث كان السكان ينتقلون من جهات سوس والصحراء إلى أحواز أگادير لمقاومة الاحتلال البرتغالي. وقد وقع الاستقرار النهائي لأيت عباس في القرن السابع عشر حيث تأسست قرية أفا وكانت مسكنا لأسرتين : أسرة أيت سعيد أعمر وأسرة أيت الحسين أمحمد، وتنتميان معا إلى أصل واحد. وإلى هذه الأسرة الأخيرة ينسب الفقيه العربي وأفا. وهو العربي بن الحسين بن محمد بن محمد، ولد بأفا، ودرس بمدرسة إگيلالن على يد شيخه أحمد العباسي من قرية والحوري، وذلك قبل أن ينهض بهذه المدرسة الحاج مسعود الوفقاوي. ويذكر المختار السوسي أن كثيراً من أخبار هذه الجهة قد ضاع. ولم يعرف عن سيدي العربي غير كونه من المجيدين لكتاب الله حفظا، والمداومين على تلاوته، خاصة عندما انكف بصره في أواخر حياته. وقد توفي رحمه الله سنة 1370 هـ / 1951 م، ودفن بمسجد أگرض بقبيلة مسگانة.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج 1 : 37 ؛ *المعسول* 3 : 59. 7 : 20 . 78. 10، 24. 266. 12 : 173 ؛ *عقود عقارية* لأسرة أيت الحسين أومحمد أوافا، *الرواية الشفوية* للفقير الحاج أحمد نايت محمد بقرية تاباطكوكت قبيلة مسگينة.

عمر أفا

أفْرَا (قصر ـ) ← **طاطا**

ضاية **إفراح**، اسم يطلق على ضاية دائمة (بحيرة) موجودة في الأطلس المتوسط الشمالي الغربي، جنوب مدينتي صفرو وإموزار، وكذا على المنخفض الواسع الذي تتوسطه هذه الضاية. هذا المنخفض مثال نموذجي للسهول الكارستية الممتدة، خاصة وأن هذا الشكل نادر في الهضاب الشمالية للأطلس المتوسط ويرتبط وجوده هنا

بظروف بنيوية مساعدة، تتجلى في انكسارات عدة تجزئ الطبقات الدولومية اللياسية، بحيث سمح هذا بتركز آثار التحليل الكيماوي في نطاق ضيق.

يمتد المنخفض في اتجاه ش ـ ج على مسافة 5 كم، بينما لا يتعدى اتساعه 2 إلى 2،5 كم. ويوجد مستوى البحيرة المركزة شمال المنخفض عند 1613 م أي على عمق 45 م تحت سطح مستو يشرف على الحوض. ويمتاز بعدم تماثل الجانبين، حيث يحده شرقا السطح المستوي "الظهر" عند ارتفاع 1700 م. بينما تشرف عليه غربا متون مرتفعة قد تتعدى 1900 م وتنتمي إلى عرف تايللوت الذي يكون استمرارية لانكسارات أساسية في الأطلس المتوسط، اتجاهها ش ش، ش ـ ج ج غ.

أما عن حواشي الحوض فيمتاز رسمها بالانعراج الشديد خاصة في الجهة الجنوبية، بينما تصبح مستقيمة في الشمال على شكل قوسي، ذلك أن أصل المنخفض مزدوج. فهو حوض كارستي شمالا، محدود في المجال الذي تشغله فرشة مائية بارزة، وينتخر عن هذا الحفر الكيماوي تكوين شواطئ بحيرية، شاطئ حالي وآخر شاخص يعلو المستوى المائي بعشرة أمتار، يدل على سطح قديم للتآكل الكيماوي. أما جنوبا، ومع انعراج الحواشي، يتضح بأن التعرية السيلية كان لها الأثر الأساسي في تعميق المنخفض. فعدة مجار تخدد جوانب الحوض، متجهة نحو البحيرة، وتاركة في طريقها مخاريط انصباب تنتمي للرباعي الأوسط الحديث.

أما نشأة وتطور المنخفض فقد وردت حولها عدة افتراضات (Martin, *Le Moyen Atlas Central*, 1981)، مبنية على شواهد ميدانية مضبوطة.

أولها الوضع البنيوي جد المتشوه بسبب انكسارات متقاربة وتموجات انقعارية هذا وضع يعم هضبة أمقلة ما بين ضاية إفراح جنوبا وحتى ضاية أفورگاح شمالا. ويكون ظروفا سهلت تشكيل ممرات تحاتية واسعة.

ذلك أن ضاية إفراح يشرف عليها مستوى تحاتي جزئي ممتد على جانبها الشرقي خاصة. ويظهر أن هذه السطوح الجزئية الشاخصة تنتمي لنهاية الزمن الثالث ؛ إلا أن أصلها غير واضح، هل هي سطوح كارستية أو حادورات مفتوحة. خاصة وأنه في هضبة أمقلة لا تتوفر المرتفعات المشرفة الكافية لتركيز المياه والسماح بتشكيل حادورات قدم جبل حقيقية. ولذا فالأرجح أن هذه السطوح من أصل تطور كارستي قديم دام مدة استقرار طويلة. ويفترض أن هذه الكرستة قد تمت في ظروف مدارية خلال الميوسين والبليوسين.

أما المنخفض (ضاية إفراح) فهو يتعمق على حساب هذا السطح القديم، في مكان حيث الظروف البنيوية مساعدة، قرب انكسار أساسي ووسط طية انقعارية.

وانطلاق التعميق ناتج عن بروز الفرشة المائية وسط المنخفض التكتوني خلال أول الفترات المطيرة من الرباعي، بسبب الزيادة المسجلة في التهاطلات. هذه الفرشة أدت إلى بداية عملية التحليل الكيماوي على حساب الصخور الكربوناتية الدولومية للياس الأسفل. وعلى جوانب البحيرة الناشئة، تشكلت شواطئ يتم فيها قرض الصخر وتوسيع المجال البحيري.

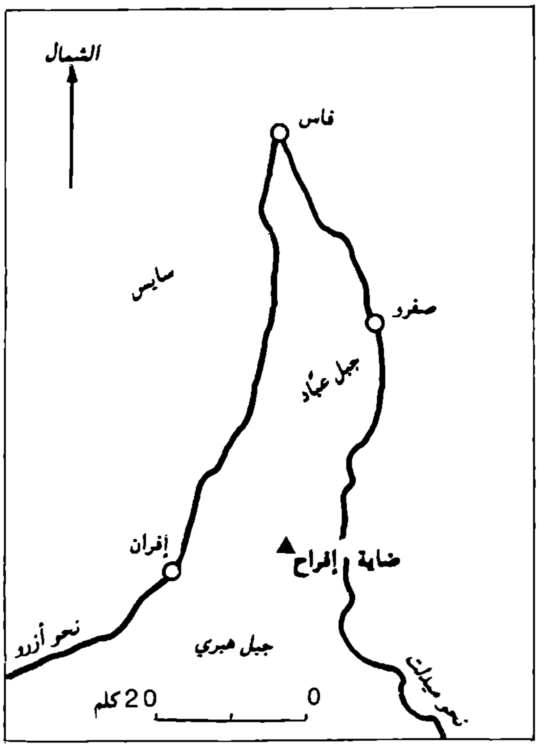

ضاية إفراح

في المراحل البيمطيرة، يتم تجفيف الضاية، فتتعرض السفوح للتخديد ؛ فتتكون فيها خوانق تجعل جوانب الحوض تتراجع وعلى الخصوص جهة الجنوب حيث توجد أهم المجاري المائية.

وعندما تعود الظروف المطرة، يتيسر من جديد تكوين بحيرة، لكن ناتج عند مستوى أقل من البحيرة الأولى. هذا ما يفسر وجود شاطئ قديم شاخص، على ارتفاع 10 م في الجهة الشمالية من البحيرة الحالية. أما المجاري الجنوبية فتلعب دورا أساسيا في كونها الأصل في دفع البحيرة تجاه الشمال وذلك بسبب الموارد الفتاتية التي تكون حمولتها والتي شيدت بها عددا من المخاريط الانصبابية.

ضاية إفراح إذن، منخفض كارستي معقد، ذو تطور مرفلوجي طويل، لكن أساسا عن التحليل الكيماوي. هذا التحليل يكون سطحيا في فترات الفيض فيؤدي إلى توسيع البحيرة في وقت تكون فيها مسام القعر منغلقة بسبب تراكم المواد الطينية غير المنفذة، ثم يصبح عمقيا في فترات التجفيف، عندما تنفتح هذه المسام وتتسرب المياه.

J. Martin, *Le Moyen Atlas central, étude géomorphologique*, Notes et Mém. Serv. Géol. nº 258 bis, 1981.

عبد الله العوينة

أفراگ، ـ لغة ـ اسم لفعل متصرف في اللغة البربرية، مشتق لغويا من الفعل الثلاثي فَرْكْ الذي يعني بصفة عامة: أحاط، سّور، سيّج بستانا بأغصان شائكة... تُفهم من الفعل أيضا معان أخرى مثل قسم، فرق... إن تأصيل الكلمة في مجموع المجال البربري في منطقة شمال غرب إفريقيا (سوس، الريف، القبائل، الشاوية، الطوارق..)، ينفي إطلاقا أن يكون للكلمة أصل سامي وإن كنا نلمس اختلافا فيما يخص النطق بها من منطقة إلى أخرى على مستوى المغرب الأقصى. مثلا تنطق الكلملة إِفْركْ (ج. إفْرگانْ) عند برابرة سوس، في حين تنطق (أَفْرايّ) (ج، إفْرايْنْ) بمنطقة الريف الشرقي، حيث يستعمل ـ عادة وفي كثير من الحالات ـ حرف الياء محل الگاف.

إذا كان يستفاد من الفعل "فَرْكْ" حركة معينة تفيد في الأصل قيمة مجردة (حركة أو فعل القيام بالتسييج) فإنه يستفاد من الاسم "أفراك" حقيقة فعلية يفهم منها شيئان بصفة عامة :

1 ـ السور أو السياج في حد ذاته سواء كان جدارا أو أغصانا شائكة أو غيره. فيظهر كمرادف لهذه الكلمة وبهذا المعنى، مصطلح آخر وهو أفّرا.

2 ـ الأرض أو البستان سواء كان في حالة مسيجة أو غير مسيجة، وكمرادف لهذه نجد مصطلح أُزكْرِي.

تطور مفهوم أفراگ بمنطقة المغرب على العهد الوسيط، ليشمل معنى سياج الكتان أو غيره يحيط عادة، ومع مرور الزمن أصبحت الكلمة تعني مقر إقامة السلطان وأتباعه، في الحل والترحال.

Ibn Khaldun, *Kitab Al Ibar*..., Trad. Fr. De Slane : T. IV p. 201, nº 1 ; G. Hyghe, *Dictionnaire chaouia-arabe-kabyle et français* ; A. Jordin, *Dictionnaire berbère-français*, p. 17 ; E. Destaing, *Vocabulaire français-berbère : Etude sur la tachelhit du sous*, p. 108 ; Ch. De Foucauld, *Dictionnaire touareg - français*, p. 343 ; G. S. Colin, *Afrag*, *E. I. 2*, p. 243 ; E. Bernus, *Afrag*, *Encycl. berb.* ; S. Chaker, *Afrag*, *Encycl. ber.*

أفْراگْ. أو أَفَراگ (سياج خيام السلطان) مصدر يعد جذراً مشتركاً بين كل المناطق واللهجات البرابرية لفعل "فْرگ"، ويعني بشكل عام : السيَاج والحاجز. ولفظة فرگ مرتبطة أيضا بفكرة التوفر على القدرة، وفكرة التغلب على شخص أو جماعة. إن هذا الفعل فرگ ينتمي إلى العمق المعجمي الشامي ـ السامي، بحيث إن "فرق" في اللغة السامية تدل على معنى جزٌأ وقسم، كما أنها تشير إلى أشكال أخرى مماثلة قريبة أو متجاورة، كما يبدو، في استعمال نفس الدلالة بكل المجال المتوسطي، إذ أصبحت قريبة جدا من معاني Parc أو Park (أي الأرض المسورة) في بعض اللغات الهند ـ أوروبية والتي غالباً ما بدا مصدرها وأصلها إلى حد الآن يكتنفه غموض كبير.

إن صيغة جمع "أفراگ" واحدة في كل هاته الفضاءات البرابرية بالشمال الإفريقي. وهي : إفرگان. ويبدو معنى "الحديقة" لأفراگ وحده لدى الطوارق كما يشير إلى ذلك شارل دو فوكو، وهو معنى حديث العهد وثانوي (*Dictionnaire*, 343).

إن أصل الكلمة أمازيغي، له علاقة بالمجتمع الزراعي ـ الرعوي والترحالي والقبلي العشائري الذي تبلور في إطاره. ويمكن افتراض ارتباطه كذلك ببداية بروز الملكية الخاصة لإخْص أو العشيرة Clan. إن كلمة "أفراگ" تعني في الاستعمال العادي بمنطقة سوس الحواجز المشتركة لاتقاء مخاطر خارجية طارئة أو ممكنة. وتوضع عادة هاته "الأشواك" Ifergan في السطوح أو فوق جدران قصيرة. وذلك لمنع كل تسلق محتمل من طرف سارق أو عابر. كما أن الأشواك تستعمل كذلك في تسوير وتسييج اصطبلات البهائم بالعزائب الموجودة بالخلاء أو المراعي البعيدة عن "المواضع" أو الدواوير. ويؤكد إ. برنوس E. Bernus وهو أحد المختصين في دراسة الحياة الاجتماعية والثقافية للطوارق، بأنه "أثناء بعض الإقامات (المؤقتة) Campements تحيط الحواجز بأمكنة خاصة بالماعز والأغنام (Encycl. Berb., 2 : 207) وفي مقطع من أحد فصول (En *tribu*) يبين إدموند دوتي Ed. Doutté 1914 هذه الحالة لدى بعض قبائل المغرب بالحوز، وخاصة لدى بعض القبائل المترحلة والتي ظلت آنذاك عبارة عن قبائل متأثرة بتنظيماتها الصحراوية التي يستلزمها نمط الحياة الرعوي. إن "أفراگ" يقوم ـ هنا ـ مقام "السور" أو "السياج" ويعتبر أداة سهلة وبلا كلفة لتقسيم المجال الحيوي للإنسان المتنقل عندما يستقر، ظرفيا، في مكان ما. إنه كذلك يحمي إنتاجه ووسائل عيشه من التلف أو الضياع أو النهب. إن الماشية والأغراس والخيام هي التي تسيج عادة. إن "الزريبة" هي عبارة عن مساحات محاطة بحواجز من الأشواك (*En Tribu*, 365) إن مواد "أفراگ" أحيانا، وهي كما قلنا، عبارة عن أشواك، تستعمل في الطهي والتسخين والتدفئة، خاصة في الأوقات أو المواسم التي تدعو الضرورة إلى الانتفاع ببعض منها.

كما أن الأشواك تستعمل في ميدان الزراعة، والأغراس، وتوضع على الأغراس الجديدة من الأشجار، لتحصنها ضد كل المؤثرات الخارجية، كالبرد أو الحرارة أو من الدواب. كما تستعمل كسور دائر بالخيمة في بعض المناطق لدى الرحل وذلك لمنع تسرب الحيوانات المتوحشة أو حتى الأليفة إلى داخل الخيمة. كما أن تلك الأشواك (إفرگان) توضع كذلك على القبور لمدة أربعين يوما في جل المناطق بالمغرب القروي وذلك لمنع كل حفر لها من طرف الحيوانات الآكلة للحوم.

تؤكد كلمة "أفراگ" كذلك معنى السور أو السياج الذي يحيط بالخيام الخاصة بالسلطان في حالة التنقل. وهذه الدلالة التي انتقلت إلى الدارجة المغربية تبدو مؤكدة وواقعية منذ العصر الوسيط، حيث نجد أن كلمة أفراگ تبدو وكأنها تشير إلى المحلة أو الخيمة الملكية كما جاء ذلك عند ابن خلدون، أما المجموعة البشرية المكلفة بنصب الخيمة "أفراگ" فتسمى عادة في الاستعمال المغربي بـ "الفرايگية" (R. Mauduit, *Le Makhzen Marocain*) يقول

روني مودوي René Mauduit 1930 تتضمن هذه الحركة 300 من المشاة و 100 فارس. إن عمل "الفرايگية" جد متعب في حالة الحملة، إنهم مكلفون بنصب الخيمة السلطانية وخيام ضيوفه وخيمة الحاجب ومختلف الخيام التي تضم أثاث المنزل السلطاني. يحزمون أدوات التخييم، ويطوون الخيام ويحملونها على ظهور البغال. وعندما يحل السلطان بإحدى عواصمه، يستريح الفرايگية نسبيا ويصبحون جزءا يضم إلى مختلف مستخدمي القصر أو يوظفون في أشغال مختلفة (BCAF, *RC*, 1930, p 295). لقد ارتبطت لفظة "أفراگ" بإعداد الحركة أو المحلة السلطانية، وهي التي تحيط بالسلطان وحاشيته وحريمه، وتكون جداراً سميكا، يقيه من كل أذى خارجي. من خلال تصور "الحركة" عند كل من جول إيركمان Jules Erckmann والدكتور فريديريك وايسجربير Dr. F. Weisgerber 1898 يمكننا أن نتبين مكانة "أفراگ" في تصميم وبنية "المحلة" (انظر الرسم). وفي ملحق من ملاحق مؤلف وايسجربير *Au Seuil du Maroc moderne* يعرف هذا الأخير، "أفراگ" بأنه سياج من النسيج يحيط بالخيام السلطانية (Dr. F. Weisgerber, *Au seuil* P1 du lexique) ويؤكد بيير لوطي Pierre Loti 1890، من جهته على معنى آخر لمفهوم "أفراگ" في معرض هذه الملاحظة :"بمجرد ما تخرج الخيمة السلطانية (أفراگ) من مخازن القصر وتبدأ في الظهور وراء الجدران، ينتشر الخبر في المغرب كله، بواسطة القوافل التي تمر، وخصوصا بواسطة أولئك الراجلين السريعين الرقاصة الذين يمشون ليلا ونهارا عبر الجبال أو الأنهار ليأتوا بالرسائل أو الأخبار (P. Loti, *Au Maroc*, 1980 pp 262 - 264) ويتضح هنا أن لفظة "أفراگ" تشكل مركز المحلة، حيث يوجد السلطان وحراسه ومقربوه، ولا تدل الكلمة على خيمة السلطان الكبيرة وحدها، وإنما تدل كذلك على مَن بداخلها ومن يدورون بها مباشرة.

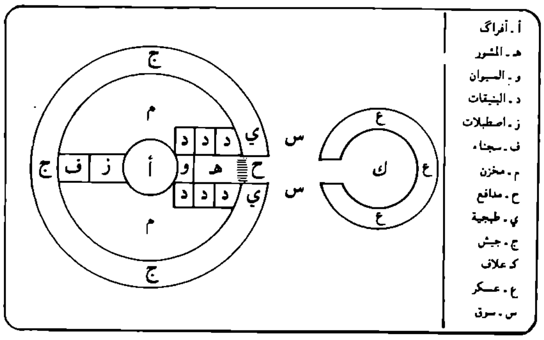

الرسم : تصميم المحلة الشريفية وموقع "أفراگ" فيها. (خططه الدكتور ـ ف ـ وايسجربير سنة 1898. طبعة الرباط 1947، ص 48.

وليس غريبا كذلك أن تحمل بعض الوحدات القبلية أسماء مشتقة من لفظة "أفراگ" وفعل "فرگ" Frg كما نجد على سبيل المثال، في منطقة الأطلس الكبير الغربي. ولقد ذكر جاك بير منا "الفروگة" Fruga et 1955 *Les Seksawa*) 1978, PP 105, 138, 285, 422 de l'éd 1978 ; J. Berque, *Struct. du haut Atlas*)

Ibn Khaldoun, *Histoire des Berbéres* , T, IV, P 201 Index 490 et 201, Paris 1925 ; F. Weisgerber, *Au Seuil du Maroc Moderne* ; Ch. De Foucauld, *Dictionnaire Touareg Français*, Vol I, P 342 ; Ed. Doutté, *Mission au Maroc, En Tribu* ; E. Laoust, *cours de berbère Marocain*, Paris 1921 (Ifrig, p 2 sous); R. Mauduit, *Le Makhzen Marocain*, in B. C. A. F/RC Nº 12, 1903, p. 126 ; J. Berque, *Structure du Haut Atlas, les Seksawa* 1978. PP. 105 - 138, 285, 422 ; E. Bernus, *Afrag*, in *Encycl. Berbère* ; S. Chaker, *Afrag*, in *Encycl. Berbère*.

محمد الكير

أفْراگْ، ربض من أرباض سبتة، أنشأه بنو مرين كمقر وسكنى لهم ولجندهم، غرب المدينة على مدخل شبه الجزيرة، يمين طريق فاس، بمنطقة يبلغ علوها 70 مترا، وليس على جبل آشو، كما يعتقد البعض.

يعرف الحي بأسماء متعددة في النصوص التاريخية. يعرف عند ابن خلدون والأنصاري باسم أفْراگْ، وعند ابن مرزوق يعرف بالمنصورة. أما المؤرخ البرتغالي أزورَرا G. E. De Azurara فيشير إليه باسم "الجزيرة" La Isla. ظل الحي يعرف عموما باسم أفراگ خلال الحقبة الإسلامية للمدينة كما تدل على ذلك معظم المصادر العربية. عقب الاحتلال البرتغالي للمنطقة، أصبح يشار إليه باسم الجزيرة La Isla وتنطق أغْسلَ Arcile. أما الإسبان فيطلقون عليه حاليا اسم سبتة القَديمة Ceuta la Vieja.

دخل أفراگ في حكم المركز الحضري لمدينة سبتة منذ سنة 729 / 1328 على إثر بنائه من طرف السلطان أبي سعيد المريني الذي كان يهدف من وراء ذلك إلى تثبيت وتجسيد السلطة المرينية بهذه المدينة المتمردة بعد ما أزاح العزفيين منها بصورة نهائية. لقد أكملت المنشآت المعمارية بهذا الربض على يد السلطان أبي الحسن (731 / 1331 ـ 750 / 1351) الذي ألحق به عددا من المساجد والحمامات والفنادق. كما دعمت تحصيناته بأسوار متينة وأبراج وأبواب. مع نهاية العهد الإسلامي للمنطقة، أخذ أفراگْ كغيره من أرباض المدينة شكل خلية حضرية مغلقة تحتوي على المنشآت الضرورية. لم يبق حاليا من هذا الحي إلا أشلاء حوائط مخربة وفي حالة رديئة، باستثناء السور الغربي الذي تتوسطه باب يعتقد أن تكون باب فاس، أحد أبواب أفراگ الثلاثة الوارد ذكرها عند الأنصاري. تدعم السور أبراج عديدة مربعة الشكل. تقترب أسوار أفراگ من حيث فن البناء إلى حد كبير من تحصينات مدينة ألمرية وأيضا من الأسوار المرينية بفاس الجديد. يبدو أن أفراگ قد احتفظ بمنشآته المعمارية إلى فترة ما بعد الاستعمار البرتغالي، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار الوصف الذي خصه أزُورَرا G. E. De Azurara لتحصينات هذا الحي ولساحات قصوره المرصعة بالرخام والأحجار المختلفة الألوان. لكن من الراجح أن يكون اندثاره قد تم بسرعة بعد هذه الفترة لتأخذ

مكانه منشآت حضرية جديدة، تعذر معها القيام بأي بحوث أركيولوجية بالمنطقة، فباستثناء بقايا أسوار أفراگ وخزان مائي كبير الحجم يذكرنا إلى حد كبير بالخزان المائي الوارد ذكره عند ف. فرناندس V. Fernandes تنعدم المآثر التاريخية ذات الطابع الإسلامي بالمنطقة مما يتعذر معه على الباحث تكوين صورة ولو مقربة عن تصميم هذا الحي السلطاني وعن طابعه المعماري.

ابن مرزوق، *المسند*، 447 ؛ ابن خلدون، *العبر*، 7 : 327 ؛ الأنصاري، *اختصار الأخبار*، 44 ـ 48.

E. De Vasconcellos, *Una plana de Ceuta de 1774*, sociedade de geographia de Lisboa, Boletin da V centenario da tomada de ceuta, Lisbonne, 1915 ; E. Levi-Provencal, *Un nouveau texte d'histoire merinide : le musnad d'Ibn Marzuk*, Hesp., TV, 1925, p 63, nº 4 ; R. Ricard, le *Maroc septentrional au XV siècle d'après les chroniques portugaises*, Hesp., TXXIII, 1936, fasc II,, 4 tim, p 95 ; V. Fernandes, *Description de la côte d'Afrique de Ceuta au Senegal* (1506 - 1507), trad. fr. De Cenival et Th. Monod, Paris, 1938, p 19 ; M. Gordillo Osuna, *Geografia urbana de Ceuta*, Madrid, 1972, p 170 ; G. Camps, *Afrag* (ville), Encycl. Ber. ; Z. Benramdane, *Ceuta aux XIIIe et XIVe siècle, essai de reconstitution de la civilisation musulmane*, Thèse de 3eme cycle, Aix en provence, 1987, pp. 131 - 132.

زليخة بنرمضان

إفران ـ الأطلس الصغير ـ، مفرد هذه الكلمة هو إفري، وتصغيرها تيفريت الذي يجمع على تيفراتين حسب رأي محمد شفيق (*في أن أسماء* : 341). أما W. Vycihl فيعتبر بأن الإفري هو اسم شعب يعد السبب في إطلاق اسم إفريقيا على قارة السمر. فهو يعتبر أ ـ فر (جمع ا ـ فرن) مصدر لأفري مؤكدا أن الشكل هو الانحراف عن الهيروغليفية. ومهما يكن، فالتسمية تفيد الكهوف التي تؤدي تحت سطح الأرض إلى سراديب، وربما دلت على أولى مظاهر العمران البشري أو قد تفيد حجم المد الفينيقي من خلال بحثه عن الذهب والفضة، (Castries: S.I.H.M, Angl. I, 31). يربط هذا المدشر ومناطقه المجاورة بين منطقتي وادي نون وإداوسملال بالأطلس الصغير. ويعد وادي إفران مجالا استراتيجيا للرعي والفلاحة البورية وللربط بين شبكتي مسالك الأطلس ومسالك الصحراء المجاورة.

ليس من الغريب أن تعود الرواية الشفوية بتاريخ هذا المدشر إلى الهجرة اليهودية زمن نبوخضنصر خلال القرن الخامس قبل الميلاد. فقد عرفت المنطقة عموما هجرة الجاليات السامية القادمة من اليمن وفلسطين عبر مصر وليبيا. ولا شك أن دور الفينيقيين في التنقيب المنجمي قد أسهم بشكل حاسم في تركيز بعض هذه الجاليات. لقد دلت بعض الحفريات على أهمية الدور الفينيقي في تهييء قنوات الري بما في ذلك الخطارات. وهو أمر يتطلب المزيد من التأكيد خاصة وأن كل المعطيات التاريخية تظل حتى الآن في طي الكتمان. لقد دلت التحريات القليلة التي قام بها V. Monteil في عين المكان سنة 1946 على ما يؤكد استمرار الوجود اليهودي منذ القرن الأول الميلادي على الأقل (*Les Juifs* : 158 - 159). وعلماً منا بما قامت به المجموعات اليهودية المحلية في تطوير المبادلات بين ضفتي الصحراء، فإن مجمل المؤشرات تزيد من صلاحية الاحتمال. وهنا لا بد من أن نشير إلى أنه ليس من الغريب أن تصمت مصادر الجغرافيين العرب في مختلف الفترات عن نشاط وأهمية سكان المدشر في وقت لا يرد فيه ذكر اليهود إلا نادرا. وإذا كان هذا أيضا شأن المصادر المسيحية فإننا ندرك لماذا لم يرد ذكر المدشر إلا منذ بداية القرن السادس عشر مع كل من V. Fernandés وLéon Don Ramusio وMarmol، V. De Paradis لقد جاءت بعض الإشارات المقتضبة لدى F. C. De La Chapelle لتفيد بأن ملكا يهوديا يسمى Euphrati كان قد اتخذ إفران قاعدة لمملكته في فترة بعيدة. ولكن مشكل التوثيق يظل أصعب إشكال أمام هذا النوع من المعطيات . على أن امتداد الوجود الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لإفران يبدو واضحا وجليا من خلال وثيقة 1499 الهامة التي يعود الفضل في ترجمتها للفرنسية إلى F. C. De La Chapelle و P. De Cenival، وهي مرحلة تاريخية عرفت مداً إيبيريا على المنطقة استطاعت من خلاله إسبانيا أن تفرض شروط أمنها على المنطقة. وقد ساهم الوجود الأعرابي لذوي عامر بعين المكان في مراقبة المجال الشامل لمجمل مداشر ومدن وقرى الأطلس الصغري، تخلص فيما بعد إلى الدور التاريخي الذي لعبه يهود إفران في تطوير مدينة الصويرة ابتداء من سنة 1765 م. وهي فترة واكبت الانتصار النهائي خلال القرن التاسع عشر للتجارة الأوروبية على تجارة القوافل.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 57 ؛ *إيليغ*، 5، الهامش 18 ؛ م. شفيق، *في أن أسماء الأماكن في المغرب جلها أمازيغية*، مجلة *البحث العلمي*، السنة 14، العدد 27، يناير ـ يوليوز 1977، ص 329 ـ 358 خاصة 341.

F. C. De La Chapelle, *Les Takna du Sud Ouest Marocain*, *A.F.*, Paris, 1934, 28 ; F. C. De La Chapelle, Pierre de Cenival, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa cruz de Mar pequena et Ifni*, Hesp., 1935, 2 - 4 Trim., P 19 - 77 en particulier 55 ; Vincent Monteil, *Les Juifs d'Ifran*, Hesp., 1948, 1º et 2º trim. pp 151 - 162 ; Charles Monteil, *Problème du Soudan Occidental : Juifs et judaisés*, Hesp., 1951, 3 - 4 trim, pp 265 - 298 en particulier 271 ; J. Desanges et S. Lancel, *Bibliographie Analytique de l'Afrique Antique*, Paris ; E. De Bouard, Vol VII, 1970, 6, -Id, VIII, 1971, 7 ; W. Vycihl, *Onama*, XIX, 1975, 486 - 488.

مصطفى ناعمي

إفْران، ـ تاريخ ـ ذكرت مونيي(ص 176) أن اليهود ينطقونها بضم الهمزة، وقد اختار ليفي بروفنصال هذا النطق (*مؤرخو الشرفاء*، 82). تقع إفران على السفح الجنوبي للأطلس الصغير ناظرة إلى الصحراء، وتتكون من أربع مدن صغيرة هي في الحقيقة أربعة قصور (قرى صحراوية مسورة) قديمة البناء بين الواحدة والأخرى مقدار ميل على وجه التقريب، وفيما بينها قرى صغيرة، تحيط بالمجموعة مغارس نخيل. تقع مجموعة إفران على واد صغير هو واد إفران الذي لا يسيل ماؤه إلاّ شتاء.

يُذكر أن الطائفة اليهودية الموجودة بإفران إلى قرننا هذا كانت أول مجموعة من اليهود المهاجرين من فلسطين

عبر مصر وتخوم الصحراء إلى الغرب في القرن السادس قبل الميلاد بعد أن خرب بخت نصر معبد سليمان، وأن هذه الطائفة سكنت مغارات إفران في هذا الوادي وكوّنت إمارة انقرضت في حروب مع قبائل البربر.

تميز تاريخ إفران بنشاط تجاري واسع يرجع إلى مرور طريق رئيسية بها ضمنت المبادلات بين بلاد السودان وشمال المغرب وموانئه الغربية. كما يرجع نشاطها إلى وجود صناع يعالجون معدن النحاس المستخرج من الجبال المجاورة فيصنعون منه أواني تصدر إلى السودان، وكان لهذا النشاط آثار إيجابية على السكان بما ظهر عليهم من علامات اليسر حسب شهادة مارمول، كما كان بها في النصف الثاني من هذا القرن السادس عشر جامع يلتقي فيه العلماء للمذاكرة، وكانت جماعة إفران تنظم شئونها العامة بصفة مرضية، لكن أهل إفران كانوا دائما في حاجة إلى الحبوب.

تُعقد بافران سوق أسبوعية تقصدها قبائل جزولة من جهة الشمال (إلاّلْن) وقبائل زناگة من جنوب واد نون، ولعل تخوُّف أهل إفران من استحواذ الجزوليين على مقدراتهم جعلتهم ينضمون إلى اللف الموازن للف الجزوليين وهو لف تاحگات وهو لف السهل الذي يضم أولاد جرار وأيت أمريبض وغيرهم من أهل نواحي تزنيت. والخارج من إفران إذا قصد الشمال عبر جبل الأطلس الصغير مرٌ بتازروالت وإيليغ في السفح الشمالي، وهاتان المدينتان مع عدد من المدن الأخرى في هذه الجهات الغربية لتخوم الصحراء كانت موانئ صحراوية وتوالت عليها الحوادث التي أملاها التغلب والتقلب.

Léon, L'Africain, *Description* ; Marmol, *L'Afrique* ; V. Monteil, *Les Juifs d'Ifrane*, Hesp., 1948, 1 - 2, p 152 ; Meunié, *Le Maroc Saharien.*

أحمد التوفيق

إفران - مدرسة - تقع في تَانْكَرْتْ بإفران القريبة من مدينة بْويزكَارْن بسوس الأقصى. ويعتبر نظامها وتأسيسها امتداداً للمدرسة الجِيشتمية بسوس. وقد أسسها في أوساط القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي المسمى محمد أباراغ الذي ينقل عنه إلى جانب هذا الاهتمام العلمي والصوفي خوارق وكرامات مثل ما زعم من تعليمه الإنس والجن بهذه المدرسة، وكذا تسلط الجن على نواحي حماه قرب المدرسة حتى بعد وفاته (*خلال جزولة* 26 : 239)، وللمؤسس المذكور مشاركة في ميدان التأليف برجز *في المبنيات* مع شرح له، يذكر أنهما مما كان يعتمد لتدريس موضوع الكلم المبني بسوس.

ويذكر ممن تسلسل في هذه المدرسة من مدرسيها وخريجيها بعد مؤسسها محمد أباراغ المسمى محمد بن بلقاسم الأگماري، (توفي قبل 1280 / 1863) وقد وصف بالفقه والتجويد فيه، مع تعاطي النوازل بهذه المنطقة زمنا ليس باليسير، مع عكوف على التدريس بمدرسة إفران المذكورة وفق نظام المشارطة أي على شروط يقع الاتفاق عليها بين أعيان القبيلة والبارزين بها وبين الفقيه المنتدب للتدريس تجدد عند الاقتضاء (*المعسول* 6 : 275 - 276).

وممن درس وعلم بالمدرسة المذكورة المسمى عبد الله الأساكي (أواسط القرن 13 / 19). ودرس بها أيضا ولده محمد بن عبد الله الأساكي.

ثم برز للتدريس بها ابتداء من (1280 / 1863) العلامة محمد بن إبراهيم الشيخ (*المعسول* 8 : 60) ذو الشهرة العلمية في القرن الماضي ومن ذوي الإفتاء الكبار بسوس، وقد وصف بالإقبال على التدريس إقبالا أصبحت معه مدرسة تانكرت بإفران من المدارس العامرة في عهده، ويظهر أن طريقته الحازمة في تربية الطلاب وتهذيبهم جعلت بعضهم عديم الصبر على الاستمرار، فكان ذلك سببا في مغادرة جملة من الطلبة للمدرسة قبل أن يستكملوا المنهاج المرسوم آنذاك من قبل الأستاذ الذي أعطى كليته للتدريس مقتصرا عليه في أيام العطل وأوقات قليلة يستغرقها في قطع الطريق الممتدة من داره إلى المدرسة يخصص ذلك لاستقبال أصحاب النوازل وطلب الافتاء.

كما يذكر بعد ذلك من جملة المدرسين بهذه المدرسة المسمى محمد بن إبراهيم اللكوسي الصديقي التيمي (*المعسول*، 6 : 93).

ولعل أبرز مدرسي تانكرت بعد العلامة إبراهيم الشيخ أحد حفدته المسمى الطاهر بن محمد الإفراني (1284 / 1867 - 1374 / 1954) والذي يُذكر أن والده محمداً درس بها قبله (*المعسول*، 7 : 78)، ابتدأ الطاهر المذكور التدريس بهذه المدرسة منذ 1307 / 1889 في فترة امتدت إلى سنة 1328 / 1960، وقد غلبت عليه النزعة الأدبية فكان ذلك سببا في اشتهار هذه المدرسة بعد ذلك بهذا الاتجاه في سوس حتى سمي وادي إفران بوادي الأدباء (*خلال جزولة*، 2 : 251). وذلك من أثر شاعرية الطاهر الإفراني وكثرة إنتاجه في القريض إذا ما قيس بغيره من أدباء سوس، ويظهر أنه ربما كان لنشأته في اليتم من جهة وأخذه العلوم من مدرسة إلْغْ بسوس التي غلب على متخرجيها الاتجاه اللغوي والأدبي، كان لذلك أثر في إثارة شاعرية الطاهر الإفراني حتى عد شاعر سوس في عصره بدون منازع، ولذلك جاء ديوانه المخطوط في نحو مجلدين، كما *نظم الحكم العطائية* وهو مخطوط وله أيضا *نظم رسالة العضد* (مخطوط) *ونظم بعض مختصر خليل* (*سوس العالمة*، 209).

وقد وصف صاحب *المعسول* طريقته التعليمية التي اعتمدت على أسلوب الحوار والبحث في المصادر مع انتداب بعض الطلاب للقيام بإعداد الأرضية التي ينطلق منها الحوار في صورة إحضار نص من نصوص التراث المختارة ليتخذ منطلقا للتحليل والاستشهادات وما يتبع ذلك من الإحاطة بلغة النص ومشكلات إعرابه ومعانيه مع الاستطراد إلى كل ماله علاقة بالنص من الشواهد والإنشادات من المحفوظ الجيد، مما خلق لدى الطلاب حساً أدبياً ولغويا قويا (*المعسول*، 7 : 88)، يضاف إلى ذلك كله

سعة صدر الأستاذ في قبول انتقادات الطلاب والاعتراف لهم بالخطإ إن صدر خطأ من الأستاذ (*المعسول*، 7 : 92)، ومن توابع هذا الجو الأدبي المتميز بالعطاء أن دار الأستاذ نفسها مما لم يكن يستثنى من معاطاة الحوار وذلك في جو يجتمع فيه غالبا طلاب العلم إلى جانب مريدي الطريقة الصوفية المتبعة في هذه المدرسة وهي الطريقة الأحمدية التيجانية، يضاف إلى هذا كله الانفتاح على المدارس السوسية الأخرى من قبل الأستاذ والطلبة، ويتجلى ذلك في المراسلات الشعرية والنثرية المتبادلة، وكذا في المطارحات مع معاصري الأستاذ (*المعسول*، 7 : 91)، وقد طار صيت الأستاذ واشتهر بعد صحبته للشيخ أحمد الهيبة، وله في ذلك إنتاج أدبي في مدحه وفي حضه على الجهاد (الزركلي، 3 : 223) كما أقيم للأستاذ الشاعر عند زيارته بمراكش 1354 / 1935 حفل تكريم أنشدت فيه قصائد لا يزال صداها يتردد.

لذلك كله كثر تلامذة الأستاذ الشاعر فنبغ منهم في الأدب أمثال الحسن الكوسالي وأحمد بن عبد الله الأساكي (*المعسول*، 7 : 90) وقد ذكر صاحب المعسول سجلا لأبرز الطلاب الذين أخذوا عن الأستاذ وتخرجوا في مدرسة تانكرت بإفران في مدى العشرين سنة تقريبا التي عكف فيها الأستاذ على التدريس المتصل، وتضم هذه القائمة نحو السبعين طالبا (*المعسول*، 7 : 220 ـ 222).

ويتجلى من مبادرة جملة من تلامذته للقول في أستاذهم في باب الرثاء والتعازي بعد وفاته مدى الطابع الخاص الذي طبع به الأستاذ ثقافتهم، كما يتجلى إلى جانبه مدى العلاقة الصوفية الخاصة التي كانت تربط الشيخ بالطلبة، بالإضافة إلى هالة من السمعة الحسنة التي كونها الشيخ الأستاذ المربي في جولاته ورحلاته (انظر بعض انتاجهم في المعسول، 7 : 220ـ 230).

ويظهر أن الأستاذ الطاهر، وقد كثرت ارتباطاته الاجتماعية والسياسية والعائلية، اضطر بعد هذه الفترة من حياته في التدريس إلى أن ينيب عنه ابنه محمد بن الطاهر (1306 / 1888 ـ 1377 / 1957) بعد أن لازمه فترة وناب عنه أثناء غيابه غير ما مرة حتى سلَّم له والده أمور التدريس والإشراف كلية على المدرسة ابتداء من سنة 1331 / 1912 فقام بمهام تدريسية وتربوية وعائلية متعددة طيلة ستة وأربعين عاماً حتى وُصف بأنه أكثر الناس استحضاراً للأبيات الشعرية والأمثال وألفاظ اللغة فضلا عن المسائل النحوية والفقهية، يضاف إلى ذلك اهتمامه بعلم الفرائض جامعاً بين هذه الشخصية العلمية وبين شخصية الفرسان الذين مارسوا ركوب الخيل مع قيامه أيضا بخدمة ضيوفه وضيوف والده وشأن الأسرة الداخلية كلها.

ومن أثر هذا الاهتمام بوالده التفاته إلى جمع ديوانه المشار إليه، وأنه في مجلدين، مع اقتفاء أثره في تعاطي الشعر ونظم القريض، ورغم ما قيل من عدم رضى والده عن بعض أشعاره ومن شكوك معاصريه في ألا تصل شاعريته إلى مستوى والده الشاعر الفذ آنذاك (*المعسول*، 7: 240) فقد تعاطى مع والده مع ذلك فنون القول، وكذا مع قرنائه من تلامذة والده مديحا واعتذارا وتهنيئات وغيرها (*المعسول*، 7 : 243، 245، 247) والذي شجع طلابه أكثر على الإقبال على الأدب وتعاطيه، بالإضافة إلى التقاليد التي رسخها سلوك والده الدراسي قبله، استغلال محمد بن الطاهر مختلف المناسبات التدريسية لتجربة فن القول من مثل ما اعتاده مع الطلبة عند ختم دراسة متن من المتون العلمية أو افتتاحه بأبيات شعرية مناسبة (*المعسول*، 7 : 255)، كما جرت بينه وبين تلامذة والده قصائد متبادلة، (المصدر قبله، 260 ـ 269، 270، 271) وحظي عند وفاته بمثل ذلك من قبل تلامذته وزملائه (277 ـ 278). ويظهر أن طريقته المباينة لطريقة والده في الإشراف التربوي والتي اتسمت بكثير من الدقة والأريحية ورفع الكلفة جعلته يحظى بشرف تخريج عدد مهم من أطر الثقافة والفكر والإدارة في سوس آنذاك، ذكر منهم صاحب *المعسول* قائمة تمثل من جهة النواحي التي ينتسبون إليها كما تشير أحيانا إلى المهام التي تولوها بعد التخرج (*المعسول*، 7 : 284 ـ 285).

وممن ذكر بالتعليم بهذه المدرسة بعد محمد بن الطاهر آنف الذكر المسمى إبراهيم ابن مبارك الامسرائي (كان حيا سنة 1382 / 1926) وقد أخذ عنه أحد أحفاد الشاعر الطاهر الإفراني المتقدم وهو المدني الآتي الذكر.

وتولى بعده تلميذه المدني بن محمد بن الطاهر الإفراني (1336 / 1917 ـ 1370 / 1950) التدريس بهذه المدرسة بعد ملازمة والده، كما أخذ عن جده الشاعر وعن إبراهيم بن مبارك الامسرائي المذكور قبله، وغلب عليه الاتجاه الأدبي على غرار بقية أفراد الأسرة.

وممن يذكرون من مدرسي هذه المدرسة المتأخرين الأستاذ الحسن أولگوض الذي بقي بها مدة قبل وقوع خلاف بينه وبين أحد أخفاد الطاهر الإفراني وذلك في الستينات من هذا القرن العشرين، ثم انقطعت بها الدراسة إلى أن أُعيد إليها الاهتمام سنة 1988 م من قبل وزارة الأوقاف.

م. المختارالسوسي، *المعسول*، 6 و 7 و 8 ؛ *سوس العالمة*.

محمد البايك

إفران ـ الأطلس المتوسط ـ ← **يَفرن**

الإفراني، الطاهر بن إبراهيم البكري التمنارتي، ثم الإفراني (1284 ـ 1374 / 1867 ـ 1954) من الشخصيات المساهمة في إغناء الحياة الثقافية عامة والحياة الأدبية بصفة خاصة في جنوب المغرب من أواخر القرن الماضي إلى منتصف القرن العشرين. ولد بإفران الأطلس الصغير في أحضان أسرة علم ودين وإرشاد، نشأ يتيم الأب، إلا أن أصحاب والده أحاطوه بالعناية الكافية، وهكذا حفظ القرآن في بلدته "تانْگرْت" ثم التحق بالمدرسة الإلغية الحديثة العهد بالتأسيس، فلازمها حتى تخرج على أستاذها محمد

ابن عبد الله الإلغي، ثم على أخيه علي ابن عبد الله، فكان أبرز المتخرجين من تلك المدرسة على الإطلاق، والتحق بعد ذلك بالمدرسة الجشتيمية، كما عقد الرحلة إلى القرويين بفاس. تزود الطاهر في رحلته العلمية تلك بثقافة فقهية ولغوية هيأته للاضطلاع بأدوار يتصدرها أمثاله عادة في البادية المغربية، وهكذا انخرط في سلك الأساتذة بالمدارس العلمية العتيقة في مستهل العقد الثالث من عمره، وقضى في ذلك ما ينيف على عشرين سنة خرّج خلالها عشرات العلماء والأدباء. وإلى جانب ذلك زاول الإفتاء وفض النوازل، وقد شهد له معاصروه بالتفوق في مذهب الإمام مالك. ولا بد من الإشارة أيضا إلى نشاطه الصوفي من خلال انتمائه للطريقة الأحمدية التجانية، إذ أصبح من مشايخها المرموقين في سوس. وإلى جانب ذلك كله كان في طليعة المجاهدين والمكافحين ضد الاستعمار الفرنسي بانضمامه من أول وهلة إلى حركة أحمد الهيبة، ولازمها إلى آخر مطافها يسجل بقوافيه آمالها وآلامها.

وبالرغم من ذلك كله فالطاهر الإفراني إذا ذكر فإنما يذكر لأدبه وشعره، يؤكد ذلك ديوانه الذي تجاوز ستة آلاف بيت في مختلف الأغراض من إخوانيات ونبويات ومديح ورثاء وجهاديات وطرقيات. وإنتاجه الأدبي محافظ ومخلص للتيار الكلاسيكي بناء ومحتوى. والطاهر معدود من بين المؤلفين السوسيين أيضا بنظمه للحكم العطائية، وجزء العبادات من مختصر خليل وبشرحه لإحدى قصائده إلى جانب مجموعة أشعاره.

ع. سكيرج، *تحليه الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 7 : 69 ؛ *سوس العالمة*، 209 ؛ *الإلغيات*، 3 : 12 ؛ *مُترعات الكؤوس* ؛ ع. درقاوي، *الطاهر الإفراني، حياته وشعره*، رسالة د. د. ع. كلية الآداب بالرباط، 1984.

الإفراني، محمد أباراغ، التانكرتي، صاحب المشهد الذي بنيت حوله المدرسة التانكرتية، كان يسكن الخندق، ولاتزال أطلال داره مع نطفية في وسطها إلى الآن، عقبه موجود في قبيلة گدميرة بأحواز مراكش، وينتسب إليه أهل زاوية تاسافت في وادي نفيس، توثر عنه خوارق منها تعليم الجن، وهو مذكور بين المؤلفين السوسيين بمؤلفين : رجز *المبنيات* مع شرحه ومؤلف *في البيان* ولا يعرف له تاريخ ميلاد ولا وفاة، وإنما استنبط من خاتمة مؤلفاته أنه عاش أواسط القرن التاسع الهجري. كان حيا سنة 856 / 1452.

ع. الأدوزي، *اليعقوبيون* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 239 ؛ *سوس العالمة*، 156 ـ 177 ؛ *مدارس سوس*، 99.

الإفراني، محمد بن **أحمد** بن عبد الله، استوطنت أسرته أساكا بعد أن انتقلت من (أمَّلنْ)، ولد عام 1248 / 1832. حفظ القرآن على يد والده، ثم تخرج في العلوم بمحمد بن إبراهيم التامانارتي التانكرتي، ثم تصوف على الشيخ الحاج علي الدرقاوي، كان يلازم المشارطة في مسجد تاوريرت ،وتوفي عام 1313 / 1895.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 230 ؛ *رجالات العلم العربي بسوس*.

الإفراني، محمد بن **عبد الله** الأساكي. عالم أديب عاش بسوس في النصف الأخير من القرن الثالث، أخذ القرآن عن أحمد مسعود الگرموني، وأخذ العلوم الأصلية عن العربي الأدوزي وعن سعيد الكثيري، ثم شارط في مدارس تانْكرْت وتازْروالت وتاغلول. وكان له اتصال بالرئيس الحسين بن هاشم بودميعة، وربما تولى الكتابة عنه، مذكور بخطه الحسن وعبارته الصافية، وهو جد الشاعر الطاهر الإفراني لأمة، توفي عام 1296 / 1878.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 : 227 ؛ *خلال جزولة*، 2 : 38 ؛ *رجالات*.

عبد الله درقاوي

الإفراني، محمد الصغير بن محمد السوسي المراكشي (1080 / 69، 1670 ـ حوالي 1155 / 42، 1743). وقد يكتب اليـفرني والوُفراني، وكلها نسبة إلى إفران بسوس. قد تسهل الهمزة فتكتب ياء في اليِفرني أما الوُفراني ففيها أُوفْرَانْ بصيغة النسبة في اللغة المحلية مع إضافة ياء النسبة العربية.

ولد الإفراني بمراكش ودرس على كثير من العلماء، ولازم منهم شيخه الماواسي أحمد بن علي (تـ 1130 / 17، 1718)، ثم ارتحل إلى فاس وأخذ عن جماعة من علمائه. ثم وعاد بعد ذلك إلى مراكش حيث خطب وأمَّ بمسجد ابن يوسف، وتصدى للتدريس متصدرا لإقراء التفسير و*صحيح البخاري*. وقد كان مجلسه حافلا متميزا بكثرة البحث والجدال، يسيره الإفراني بواسع علمه وحيوية شبابه. وقد أنكر عليه بعض الطلبة المرتبة العلمية التي أصبح يتمتع بها رغم صغر سنه، ورماه بعضهم بالزندقة ورفعوا أمره إلى القاضي ابن بوعبدلي محمد بن أحمد، ثم ناظره بعض فقهاء مركش مدة فلم يتبين لهم شيء مما وصف به. وزادته هذه المناظرة شهرة وكثر المتتبعون لدروسه. ثم ترك قراءة التفسير بالبحث واقتصر على ما هو متداول في كتب الحديث والفقه، معتمدا *صحيح البخاري*.

تجاوزت شهرة الإفراني مدينة مركش، وأخذ طلاب العلم يتوافدون عليه. ويظهر أنه نكب بعد الشهرة وأبعد بأمر ملكي عن مراكش، فقد نظم أبياتا يشتكي فيها عن بعده عن مراكش مبينا أنه لم يخرج منها بمراد نفسه متحسرا على أيام قضاها إلى أن أخرج منها دون بغيته بأمر عليه مقدر لا يرد. ثم عاد إلى مراكش من جديد قبيل سنة 1151 / 1738 ـ 1739. مترددا على زاوية أبي الجعد، متفرغا للتأليف، يعيش في ضائقة مالية إلى أن توفي بمراكش ودفن بها في الروضة القريبة من جامع ابن يوسف.

ترك الإفراني مؤلفات في الأدب والتاريخ والتراجم هي : *الإفادات والإنشادات*. ذكره الحوات في *تقييد له*

وقال عنه : هو تآليف لا كفاية له في الحسن (*دليل*، 2 : 440). *درر الحجال في مناقب سبعة رجال*، ويسمى كذلك : *زبدة الأوطاب في مناقب الأقطاب*، وهو في مناقب رجال مراكش السبعة، مشتمل على مقدمة وثلاثة وثلاثين فصلا في كل فصل سبعة أسماط، أتم منها المؤلف السمط الأول في ترجمة سيدي يوسف بن علي، ووصل للسمط الثاني في ترجمةالقاضي عياض، ولم يتمه (*أعلام*، 6 : 56). يوجد طرف منه بالخزانة الأحمدية بفاس، ووقف المراكشي عليه بخط مؤلفه. *صفوة من انتشر في أخبار القرن الحادي عشر*، فرغ من تأليفه ضحى يوم الثلاثاء 4 جمادى الأولى 1137 (يناير 1725) وهو تراجم لمائتين وخمسين من الصلحاء والعلماء المغاربة والمشارقة، جعله كذيل *لدوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر*. وقد طبعت *الصفوة* على الحجر بفاس دون تاريخ، ولعله سنة 1309 ـ 1891. ومن نسخ *الصفوة* مخطوطات بالخزانة العامة بالرباط تحت أرقام : 1178 د ، 671 د ، 1128 ك، كذا بمكتبة كلية الآداب بالرباط، ومنها ثمان نسخ بالخزانة الحسنية بالرباط. *طلعة المشتري في توبة الزمخشري*. ذكره له الحوات في *تقييده*، وذكر أنه في ورقات لطيفة. *الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، أو *روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف*، يشتمل على ثمانية فصول في ذكر نسب مولاي إسماعيل وولادته ونشأته، وفي من أخبره من أهل الكشف، وفي بيعته، وفي تمهيده البلاد وفيما فتح من الثغور وفي حلمه وعدله وفي مشاهير أولاده. انتهى من تأليفه سنة 1173 / 1720 ـ 1721. ونشر بالرباط عام 1382 / 1962. *فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث*، وهو مناقشة لرخص اللحن في الدعاء لمن يردد قراءة الحديث ولا معرفة له بالعربية وغرضه التبرك، وما اعتراه من لحن فلا يؤخذ به. مخطوط الخزانة الصبيحية، في 22 ورقة، رقم 115 / 4. *المعرب في أخبار المغرب*. ويسميه ابن سودة *المغرب في أخبار ملوك المغرب* (*دليل*، 1 : 164) وهو مفقود. *المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل*. أول مؤلفات الإفراني، ألفه سنة 1128 / 1715 ـ 1716. وسماه محمد الأخضر *المنهل السهل* (*الحياة الأدبية*، 234) وهو شرح لموشح ابن سهل، إبراهيم الأشبيلي (ت 649 / 1251). طبع *المسلك* على الحجر بفاس سنة 1324 / 1906 ـ 1907. وحقق بكلية الآداب، بالرباط كرسالة جامعية عام 1980 ـ 1981 / 1400. *المتنع السهل في ترجمة إبراهيم ابن سهل*. مخطوط الخزانة الصبيحية بسلا رقم 86 / 2 في 44 ورقة. *نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي*. أشهر مؤلفات الإفراني، تناول فيه تاريخ المغرب على عهد الدولة السعدية والدولة العلوية إلى عهد المولى إسماعيل. طبع على الحجر بفاس، ثم صدر بعناية المستشرق الفرنسي هودارس في باريس سنة 1888 / 1306 ومعه ترجمة إلى الفرنسية ، وطبع جزء منه تحت عنوان : *جملة من أخبار الدولة السجلماسية*، باريس سنة 1903 / 1321 وأعيد نشر طبعة 1888 / 1306 بالأوفسيط، دون تاريخ. *واسطة العقدين في ترتيب الكناشتين السعيدتين*. وهو تقديم للكناشتين اللتين أعدهما علماء مراكش للسلطانين مولاي إسماعيل ومولاي المستضيء، جعل لهما الإفراني خطبة، ذكر فيها فضائل علم التاريخ. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط رقم 330 ك. *الوشي العبقري في ضبط لفظة المقري*. فرغ منه قبل 1156 / 1743. ترجم فيه لأحمد بن محد المقري، وهو مفقود. *ياقوتة البيان*. أرجوزة في البلاغة. مخطوط الخزانة القرويين، ثاني مجموع رقم 1297. *شرح ياقوتة البيان*، شرح للنظم السابق. ذكر المراكشي أنه نحو نصف كراسة (*إعلام*، 6 : 57) وأورد نماذج من النص والشرح. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، سابع المجموع رقم 74 د. ومخطوط خزانة القرويين رفقة المتن المذكور.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 10 ؛ ليفي بروفنصال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية* ؛ ع. ابن سودة، *دليل*، 2 ؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*.

عبد الطيف الشاذلي

إِفْرْدَا، الكلمة أمازيغية وهي جمع، مفردها أفارْدُو، وتعريبه الهاون، وهو مصطلح يطلق على مجموعة من الجبال برزت قممها على شكل هواوين مقلوبة. ثم عرفت القبيلة بنفس الاسم وهي تابعة حاليا لقيادة ميرلْفْت ومن ضمن جماعة أربعاء الساحل . يحدها شمالاً قبيلة الساحل، وجنوباً أيت بوبكر، وشرقاً أيت بْراييم، وهي في الواقع تاقبيلت عدد سكانها 2300 من ضمن قبيلة الساحل الكبرى، ولاتبعد عن سوق أربعاء الساحل إلا ببضع كلمترات. وقد انضمت هذه القبيلة إلى أيت باعمران، ضد حملة حيداً ابن مُايْس، لذلك هاجمهم فقتل وجرح رجال القبيلة كَما أحرق زروعها، وذلك سنة 1917 مما جعل القبيلة تهاجر من المكان بكاملها إلى الجنوب حيث كانت المقاومة الباعمرانية بمرصاد لهذه الحملة. ويذكر البعض أن القبيلة كانت تسمى قديماً إِداوبْوزِيا، وهم من صميم ابن اخْلف. ومن أهم المواضع القَصباتَ ثم تاكْسيوين ثم تاغْزوت ثم تاسوليلْت .

ومزار القبيلة سيدي أبو الصدقات ، ولايعرف أصله، ويروِّج له الأهالي كرامات، يقام حول الضريح موسم ديني حاليا في شهر غشت من كل سنة، ولايذبح فيه إلا جمل واحد. وبجانب الضريح المدرسة العتيقة المشهورة بمن درس فيها من أصحاب الروايات والعلماء، ومازالت تؤدي مهمتها التعليمية حتى الآن.

من أعيان القبيلة في بداية هذا القرن الميلادي أمغار القبيلة الفقير محمد ولقبه بُوجْهوض وبجانبه أنْفلوس محمد عبلاً في تاغْزوت ثم أنفلوس إبراهيم بن الحسين في تاكْسيوين.

تشتغل القبيلة بالفلاحة البورية وتربية الماعز لوجود غابة أرگان بشكل كثيف، إلا أن معظم السكان يعتمدون

على الهجرة نحو أوربا، بالإضافة إلى تعاطي التجارة، ومن أهم تجار القبيلة عائلة السباعي الملقب بأعراب .

ح. جهادي، *جانب من تاريخ أيت باعمران*، مخطوط. *تحريات ميدانية* عام 1980.

الحسين جهادي الباعمراني

إفْركَانْ. أو **إفْـرْجَانْ**. وهو جمع إفْـرگْ أو أفْـرگْ وهو السياج من الشوك والأغصان. وإفْرگان : بلد البساتين المسيجة بخلاف البلاد ذات المنظر الزراعي المفتوح. ومن الأماكن الواردة في كتب التاريخ بهذا الاسم : إفرگان التي كانت بظاهر فاس القديمة الإدريسية قبليها، وإفْرگانْ التي كانت ببلد تادلا.

ي.التادلي، *التشوف*،268 ؛ م. ابن الخطيب، *نفاضة الجراب*، 307.

أحمد التوفيق.

إفْركان، يعقوب إسحاق، قبالي مشهور، تلميذ موشي بن ميمون الباز من تارودانت. كتب عنه حايم الزعفراني : "اضطر إلى مغادرة تارودانت، فالتجأ إلى أقا... حيث ألّف عددا من الشروح القبلانية حول أسفار موسى الخمسة، جمعت في مجلد ضخم غير مطبوع تحت عنوان *منحة حَدَشَة* (هدية جديدة) توجد منه نسخة بخط المؤلف في متحف لڤربول" وأضاف قائلا: "إن الكتاب ثمين نظراً لمراجعه العديدة والدقيقة التي تشير إلى كبار الشيوخ والمذاهب الأساسية لقبلانية جميع المدارس والعهود السالفة". ويذكر ي.م . طوليدانو :

إفْركان، يعقوب هياصير (الخرفي) قبالي غادر تارودانت بسبب اضطهادات يصفها في آخر القرن السادس عشر . وربما كان السالف الذكر.

ح. الزعفراني، *قبلانية : تصوف وسحر*، ص 182 ـ 183 ؛ ي. م. طوليدانو، *نيرهما عرب*، ص 85 ـ 108.

شمعون ليڤي

أفركت ← تكنة

أفروخ، أسرة تطوانية أصلها من ناحية الريف، واسمها يعني باللهجة الريفية "الولد الصغير" كانت تشتغل بالتجارة في الداخل والخارج، وتتولى مناصب مخزنية سامية خلال القرن التاسع عشر . من أشهرهم :

أفروخ، أحمد الذي تولي الأمانة بمراسي المغرب ومنها الدار البيضاء سنة 1854.

أفروخ، محمد الذي عين أمينا بديوانة الصويرة بظهير 27 ربيع الثاني 1244 / 6 نوفمبر 1828.

أفروخ، محمد (الحاج) كان تاجرا بمصر كما كان يتولى منصب وكيل المغاربة هناك ولاسيما سنة 1866. أنفق على بعثة الطبِّيعين المغاربة بمصر أيام محمد بن عبد الرحمان . ولازالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الاخوان* (مخطوط) .أ. الرهوني ، *عمدة الراوين*، 3 : 177 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 8 : 172 ؛ م.ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان* ؛ ع. بن عبد الله، *الموسوعة المغربية* ، 4 : 90 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية*، 1: 108، 2 : 873 ؛ *الوثائق* (مجلة 2 : 420،3).

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

م. ابن عزوز حكيم ومصطفى بوشعراء

أفْرْياط، أسرة لايمكن أن يذكر اسمها ذو الرنة البربرية دون التذكير بالأساطير والروايات التي يقصها حاملوه، وعلى رأسها الإشارة إلى مملكة أسطورية أسسها بسوس يهود من قبيلة أفراييم (أفراطيون) طردوا من فلسطين أيام بخت نصّر، عند أول تحطيم لمعبد بيت المقدس. توجد تفاصيل هذه الأساطير عند فْلاماند،(*دْيَاسُورة في أرض الاسلام*، ج 2 : الروح الشعبية، ص 23 ـ 31، الدار البيضاء، حوالي 1960) وقد أدمجت في نفس النص رواية *مفخرة إفران*، أو إفران الأطلس الصغير، *والمسفرين الخمسين* (المحروقين وهم أحياء)، الذين سقطوا ضحايا الثائر أبو احلاس عام 1775. (انظر ڤانسان مونطيل، *مقبرة إفران*، هسبيريس، 1948، ج 1 و 2 ، ص 151 ـ 162).

إن قصة ونضال القتلى الخمسين منها مخطوط ومطبوع، ويوجد فيهما العديد من الأشخاص : أفرياط، خنافو، شرقي، صباغ، أمسلّم ...والحبر أفرياط يهودا.

أفرياط أتاي، هذا اسم مأخوذ حسب لاريدو (*أسماء يهود المغرب*، ص 360) من دار أفرياط التي كاننت تتاجر في أتاي بالصويرة، والتي أسست في القرن التاسع عشر من طرف هارون وسلام أفرياط، اللذين أقاما أيضا بلندرة وركّزا ثروتهما على التجارة مع بريطانيا العظمى، إبان ازدهار الصويرة الكبير، عندما كانت تخرج منها القوافل نحو سوس ومراكش والصحراء. وتابعت أسرة أفرياط نشاطها التجاري بالصويرة (شلومو، إسحاق، الخ...) حتى أوائل القرن العشرين.

أفرياط، مسعود، كان حبراً بمراكش في القرن 18 ـ 19.

أ. لاريدو، *أسماء يهود المغرب*، 360 ؛ ي. بنيمين، *مانخير رِنّان*.

شمعون ليڤي

إفْرِيقش الحميري. تتجاذب آراء المؤرخين حول الدور الذي قام به إفريقش بن أبرهة في الشمال الإفريقي انطلاقًا من اليمن. فقد ذكر ابن حزم أن إفريقش هذا هو إفريقش بن قيس بن صيفي، وأنه هو الذي نقل العرب إلى إفريقية وساق البربر إليها من أرض كنعان (*العبر*،2 : 95) وفيه أيضا إفريقش آخر هو إفريقش بن شمر (*العبر*، 2 : 108) وقد لاحظ ابن خلدون أن ابن قيس من التبابعة وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل. ولعل ذلك كان حوالي

القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وقد غزا إفريقية وأثخن في البربر حيث أطلق عليهم هذا الاسم لأول مرة حين سمع رطانتهم، وترك في الشمال الإفريقي قبائل من حمير اليمن امتزجوا بأهلها، ومنهم صنهاجة وكتامة حسب رواية الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي، وان كان نسابة البربر ينكرون ذلك.

وقبل أن نحلل أسباب هذه المجاذبات نتساءل عن "إفريقية" وأبعادها الجغرافية في ذلك العصر. فقد كان المؤرخون اللاتين يطلقون إبان الحروب البونيقية اسم "أفري" (Afri) على الأهالي الخاضعين لقرطاج، وسموا المنطقة Africa طوال العهد الروماني، وكانت مفصولة إداريًا عن نوميديا وموريطانيا (*العصور الغامضة*، 100) فكلمة افريقية إذن من Africa اللاتينية، على ما يلوح، وهي كلمة استعملت مجردة أو مضافة Provincia africa قبل سقوط قرطاج عام 146 ق. م. (*التاريخ القديم*، 7 : 2) ولايعرف أصل الكلمة اللاتينية بدقة عدا بعض التخمينات كالزعم القائل بأن Africa هي بلد أبناء Afer وهو نجل الأميرة Ly-bie بنت Jupiter أو Neptune أو Epaphus وهو ولد هرقل الليبي أو حفيد أبراهام ورئيس بعثة في ليبيا. ثم جاء العرب فخمنوا بدورهم وتحدثوا عن إفريقش كأصل لاسم الافريقيين. وقد أوغل البعض في التخمينات فزعم أن أصل الكلمة من الفرقة أو التفرقة (*تاج العروس*، *المؤنس*، 19) لأنها فرقت مصر والمغرب، أو لأنها حسب الحسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي) مفصولة بالبحر المتوسط عن أوربا وقسم من آسيا. ومن المؤرخين من بحث عن أصل الكلمة في ألفاظ بربرية مثل (إفري) (ومعناها مغارة) أو (إفْران) وخاصة في اسم قبيلة (اوريغة). وقد اشار كاريط (*Recherches*, 309) إلى هذا الاشتقاق المحتمل انطلاقًا من كون كلمة Lybie التي استعملها الاغريق معناها (بلاد الليوم أو الواتة) ملاحظا أن قيلة (أوريغة) استوطنت في أحقاب سحيقة الأرض التي بنيت عليها قرطاج، وانمحت آثار هذه القبيلة ولم يبق منها سوى هوارة. وقد زكى هذه النظرية كل من فيفيان وتيسو (Vivien de St Martin et Tissot) اللذين أخذا انطباق (أوريغة) على الأفارقة. والواقع أن من الصعب البت في هذه المسألة نظرا لانعدام أدلة معقولة.

أما حدود (افريقية) فإنها أيضا غامضة وإن كانت المصادر المختلفة تكاد تتفق على أنها تشمل المغرب كافة ممتدة من طرابلس إلى طَنجة غربا وإلى رمال السودان جنوبا، ولم يشذ عن هذا سوى ابن خرداذبة (المتوفى عام 272 / 885) الذي خصَّ كلمة (افريقية) بمملكة الأغالبة، ولعل الحدود اختلفت باختلاف العصور كما يتبين ذلك من مراجع أخرى.

أما دخول الحميريين إلى المغرب وامتزاجهم بالأفارقة عامة (لا الشماليين فقط) فقد أنكره ابن خلدون ملاحظًا "أن السالكين من اليمن إلى المغرب لايجدون طريقا من غير السويس" وأن عدم إشارة مؤرخي الشام ومصر إلى مرورهم بهذه المنطقة يحدونا إلى عدم التصديق بذلك. وقد وهم ابن خلدون في هذا الأمر وهما فادحا لأن أقرب طريق لمرور اليمنيين إلى المغرب ليست هي (دلتا) النيل ولكن صعيده المحاذي لليمن شرقا وللصحراء الإفريقية غربا. وقد اعتمد ابن خلدون في هذا الرأي المهزوز على ابن حزم ناسيًا أن معظم القوافل التي وصفها مؤرخو القرن الثالث الهجري مثل الاصطخري وابن خرداذبة كانت تنطلق من اليمن أو المغرب مارة بسجلماسة خلال الساحل الافريقي لبحر القلزم (البحر الأحمر). وقد أكد الحسن الوزان استمرار هذا المنهج الطبيعي في القرن العاشر الهجري حيث لاحظ هو نفسه أن القوافل التجارية وإن كانت تتجه أيضا من المغرب إلى الشرق عن طريق مصر، أي أنها أصبحت تبتعد عن مسلك القراصنة وتتوغل داخل الصحراء في الطريق القديمة بين المغرب والمشرق.

وقد ورد في *الموسوعة الإسلامية* (الطبعة الفرنسية الجديدة (1 : 1208) أن نظرية الانتماء الحميري تعززت بأدلة جديدة ذات قيمة. على أن هنالك أدلة أخرى مباشرة تشهد بعكس ما يقوله ابن خلدون أدلى بها علماء جيولوجيون في تحليلاتهم للجماجم المستخرجة، وأدلة أخرى مستقاة من المظاهر الحضارية، كوحدة المجالي الموسيقية وهندسة القصور والأبنية البدوية، بل ومصطلحات خاصة. وقد تأكد من جهة حسب كتاب (الإكليل) للهمداني أن صيغة (أفْعُول) لاتوجد إلافي اليمن في خصوص الأعلام والأماكن، وساق المؤلف أزيد من مائتي كلمة. وقد أشرنا في كتابينا : الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية إلى وجود نفس الصيغة في أسماء المدن والقبائل مثل أكْنُول وأسْنُوس وأرْفُود وأُولُوز في خصوص المغرب الأقصى.

وقد لوحظ بعد استقلال المغرب تفاهم سكان الأطلس مع فرقة مغنية وردت من اليمن نظراً لوحدة كثير من الألفاظ والعبارات. ولعل كلمة صنهاجة هي التي أعطت (زنهاجة) التي انقلبت إلى (زناجة) أو زنوج ومهما يكن فإن التبادل الحضاري بين شقي (النيل) وعروتيه وما وراءهما لم يكن من المستحيل.

ابن عبدالحكم، *فتوح* ؛ البلاذري، *فتوح* ؛ أ. البكري، *المسالك* ؛ اليعقوبي، *معجم البلدان* ؛ الاصطخري، *المسالك* ؛ ياقوت، *معجم البلدان* ؛ *أحسن التقاسيم* ؛ ع. ابن خلدون. *العبر* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ابن أبي دينار، *المونس* ؛ ح. الوزان، *وصف افريقيا* .

E.I. 2 ; Gautier, *les Siècles obscurs* ; Gsell, *l'Histoire* ; Carette, *Recherches* ; Helfritz, *Le pays sans ombre*.

عبد العزيز بنعبد الله

إفريقيا والمغرب، عندما نتحدث هنا عن العلاقات بين المغرب وأفريقيا فإننا نعني أفريقيا الغربية والوسطى، وهي ما كان يطلق عليه بلاد السودان. والعلاقات بين هاتين المنطقتين أي المغرب والسودان علاقات كثيفة، ومتشعبة،

ومعقدة. فهي علاقات ذات أوجه متعددة، إلا أن ما يذكر عادة أو يكرر هو الجانب التجاري.

لكن إلى جانب هذه العلاقات التجارية هناك العلاقات الثقافية التي ارتبطت مع العلاقات الدينية، وجعلت المنطقتين، في غالب الأحيان، تدوران في فلك واحد، هو فلك الثقافة الإسلامية، ذات الطابع المغربي الأندلسي، تولدت عنها فيما بعد ثقافة إسلامية سودانية متشبعة بالتأثيرات الشمالية. ثم هناك العلاقات السياسية القوية التي لم تقتصر على الجانب العسكري بل عرفت مفاوضات وعلاقات دبلوماسية كثيفة ومتينة. وهناك العلاقات الحضارية العامة المرتبطة مع المبادلات التجارية من عمران تجلى في الاستهلاك والنشاط المتعدد الوجوه.

هذه العلاقات بالرغم من كثافتها وتشعبها تبقى معقدة، لأنها لازالت تطرح حزازات، وتفسيرات، وتأويلات عند قراءتها من طرف أهل الشمال أو أهل الجنوب. فإن كانت قد حظيت بعدد من الدراسات فهي لازالت بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب قصد إبراز عناصر الوحدة والتكامل، حتى نستطيع أن نستوعب جيدا متانة الروابط بين المنطقتين، وفهم هذه العلاقات.

ولإعطاء تصور شامل لهذه العلاقات يمكن تقسيمها إلى مراحل، نعطي لكل مرحلة منها تسمية حسب الخصوصية التي نرى أنها الغالبة عليها :

ـ المرحلة الأولى : العلاقات التجارية السلمية. وهي المرحلة التي عرفت علاقات بين امبراطورية غانا السودانية وبين المغرب قبل استيلاء المرابطين عليها سنة 1076 م. ولهذا المرحلة مؤرخان هما ابن حوقل، الذي زار أوداغشت سنة 990 م، إلا أن المؤرخ الأهم هو البكري، الذي أعطى تفاصيل كثيرة عن حياة المنطقة، وعن تجارتها، في كتابه *المسالك والممالك* الذي ألفه حوالي 1068 م أي قبيل دخول المرابطين إلى غانا، ويرجع إليه الفضل بذلك في إعطائنا صورة عن كثافة العلاقات بين المنطقتين خلال هذه الفترة.

قامت دولة غانا على الوساطة التجارية بين المغرب والمناطق الغابوية، وقد ذكرها المؤرخون العرب منذ القرن الثامن الميلادي. فخلال هذه الفترة توجهت إليها حملة أموية مباشرة بعد فتح المغرب، وذلك حوالي 734 م، لكن هذه الحملة لم تستطع الاستيلاء على غانا، وبذلك يمكن أن نقول : إن العلاقات القوية هي أقدم بكثير من القرن الحادي عشر، الذي يصفه البكري، لأن البكري يصف مرحلة أوج دولة غانا، التي توسعت لتضم مركز أوداغشت الذي كان مركزا صحراويا وذلك سنة 990 م والذي سيصبح ثاني أهم المراكز في الامبراطورية الغانية، بعد مركز كُمْبِي صالح.

وقد كانت العلاقات تجري بين المغرب والسودان عبر عدة محاور تجارية : محور تَامْدُولْتْ ـ غاما ثم سجلماسة ـ غانا ثم درعة ـ بلاد السودان. وبذلك فالسبق والأهمية كانتا للمحاور الغربية، التي تنتهي في الواحات الواقعة جنوبي الأطلس. وقد كانت هذه العلاقات تشمل عدة مواد أهمها الذهب، ألم يكن ملك غانا يسمى خايا مغان : khaya Maghan وتعني "سيد الذهب"، ثم الملح الذي كان يجلب من ممالح أوليل، واجيل، وتغزى، إلى جانب منتجات أخرى مثل التمور، والجلود والنحاس وغيرها. وكانت عاصمة البلاد كمبي صالح تضم حسب رواية البكري مدينتين تبتعد إحداهما عن الأخرى بحوالي 6 كلمترات. إحداهما مخصصة لسكنى المسلمين الأجانب، يعني التجار والمسلمين السودانيين، وهي تضم 12 مسجدا، وهذا يعكس أهمية المدينة. وهي مدينة تجارية أساسا إذ تضم الأسواق ويؤمها التجار سواء البربر أو العرب أو السودانيون. أما الثانية فيقطنها الملك وحاشيته، وبقية السكان. وتعكس هندسة القصر ومحتويات غنى الدولة المرتبط بالمبادلات التجارية. وقد كان ضمن حاشية الملك عدد كبير من الموظفين المسلمين، الذين يشرفون على سير الدولة لمعرفتهم بالكتابة. وقد بنى الملك مسجدا يؤدي فيه هؤلاء شعائرهم الدينية دون حاجة للتنقل إلى المدينة الأخرى.

نستنتج من هذا الوصف، الذي أكدته الحفريات التي تمت في كل من كمبي صالح وأوداغشت، أهمية العلاقات التجارية بين المغرب والسودان، وذلك لأهمية الجالية التجارية، وهي تتكون أساسا من المغاربة الموجودين في المنطقة، ثم الدور الحيوي الذي تلعبه في جهاز الدولة. إلا أن الاستنتاج المهم من هذا كله هو وصول الديانة الإسلامية إلى أفريقيا السوداء، عن طريق العلاقات التجارية السلمية، لأن التجار كانوا يشكلون نموذجا يحتذى. ذلك أن ارتباط التجارة بالدين في العالم الإسلامي، جعل من التجارة وسيلة لنشر الديانة الإسلامية.

ـ المرحلة الثانية : العلاقات العسكرية الدينية. وهي العلاقات التي واكبت استيلاء المرابطين على غانا، وقد استمر تأثيرتها فيما بعد خاصة العلاقات الدينية. وهذه العلاقات اتخذت في مراحل منها طابعا عسكريا، تمثل في جهاد المرابطين بزعامة عبد الله بن ياسين. وقد اختار هذا القائد مركزا لإقامة رباطه في جزيرة قرب مصب السينغال، وذلك بعد محاولاته المتعددة لتوحيد كلمة القبائل الصنهاجية (*الاستقصا*، 2 : 9). والاختيار له دلالته لأنه يعبر عن أهمية السودان في ذهن عبد الله بن ياسين. ويرتبط إسلام أهم الملوك والزعماء السودانيين بدعوة عبد الله بن ياسين. ذلك أن القرن الحادي عشر الميلادي عرف حركة واسعة للإسلام امتدت من المحيط إلى ما وراء ثنية نهر النيجر، فإلى هذه الفترة يرجع إسلام وارجابي Ouardjabi ملك التكرور (*Sekene*, 32) وكاندا دياكوسوا Kanda Dia Kassoi ملك گاو (نفس المرجع، 93) وبذلك ستصبح التكرور مركزا مهما لنشر الإسلام وترسيخه في السودان، كما أن منطقة گاو سيتركز فيها الإسلام تدريجيا لأن الحفريات التي تمت بجوار المدينة تظهر قبورا لملوك سودانيين بأسماء عربية (*Sekene*, 93).

هذه السمة سمة نشر الإسلام بالسلم في البداية ستعرف

تحولا مع التنظيم الجديد الذي اتبعه المرابطون. فبعد نجاحهم في الاستيلاء على أوداغشت سنة 1054 م، قاموا بالتوجه إلى المغرب حيث استولوا على سجلماسة مباشرة سنة 1055 - 1056، ومنها انطلقوا نحو الشمال. إلا أن تمرد صنهاجة دفع بأبي بكر بن عمر إلى أن يترك شأن المغرب في يد يوسف بن تاشفين وأن يتوجه إلى الجنوب أي الصحراء والسودان، وهكذا دخل في حرب مع الغانيين إلى أن استولى على عاصمتهم كمبي صالح سنة 1076 م، وبذلك سيفتح عهدا جديدا للإسلام بالجهاد، في نفس الوقت الذي سيصبح فيه السودان والمغرب تحت حكم سياسي واحد هو الحكم المرابطي. وبالرغم من كون العلاقة في هذه الفترة قد اتسمت بالعنف، إلا أنها كانت فرصة لوضع أسس ربما كانت أمتن الأسس لالتحام المغرب بالسودان، هذه الأسس التي تمثلت في نشر المذهب المالكي الذي أصبح المذهب السائد في المنطقتين منذ تلك الفترة. وهكذا تمتنت العلاقات ليس بالدين فحسب، بل بالانتماء إلى نفس المذهب.

المرحلة الثالثة : العلاقات الدبلوماسية. واكبت هذه المرحلة الحكم المريني بالمغرب، وإمبراطورية مالي في السودان. لقد عرفت استمرارا للعلاقات الدينية، فقد أكد ابن بطوطة استمرار تشبث السودانيين بالمذهب المالكي (الرحلة، 2 : 781 وما يليها) لكنها اتسمت بتراجع نسبي للمبادلات التجارية، ذلك أن سقوط غانا تحت الحكم المرابطي، والصراع الذي تلاه، أديا إلى فقدان التوازن التجاري بين المناطق الغابوية وغانا، وهكذا تحولت الطرق التجارية تدريجيا نحو الشرق، وقد تضررت بذلك المحاور الغربية، فأصبحت مدينة نيابي عاصمة مالي، تعوض مدينة كمبي صالح. وربما تدخل رحلة ابن بطوطة إلى السودان في إطار محاولة موجهة من طرف المرينيين لجلب القوافل التجارية نحو المغرب. فسواء كان تراجع العلاقات التجارية هو الحافز لهذه العلاقات الدبلوماسية، أم سمعة أبي الحسن المريني وأصداء انتصاراته، إلا أن الواقع أن الدولتين عرفتا علاقات دبلوماسية تمثلت في تبادل للسفراء والهدايا. وقد بدأت هذه العلاقات الدبلوماسية مع بعثة السلطان مانسا موسى سلطان مالي إلى السلطان أبي الحسن لتهنئته على استلائه على تلمسان سنة 1337 م. وقد رافق البعثة السودانية صنهاجي كان يقوم بدور المترجم. استقبل أبو الحسن البعثة بحفاوة، وهيأ بعثة مماثلة لمرافقتها كانت تضم بعض رجال بلاطه، كما حملها بالهدايا. توجهت البعثة إلى السودان ووصلت في عهد السلطان مانسا سليمان. وقد طلب السلطان المريني من بني معقل وهم من القبائل العربية المتنقلة آنذاك في الصحاري الفاصلة بين المملكتين، مرافقة البعثة، والحرص على سلامتها. استقبلت البعثة المغربية بحفاوة بالغة وعاد أعضاؤها برفقة بعثة دبلوماسية سودانية أخرى للمغرب، إلا أن البعثة المحملة بالهدايا لم تنطلق إلا بعد وفاة مانسا سليمان، فأرسلها خلفه مانسا زاطة. وقد خلفت هذه البعثة صدى كبيرا لأنها كانت تتضمن زرافة أثارت إعجاب الجميع. ويتحدث ابن خلدون عن الهدية لأنه حضر وصولها وكان ذلك سنة 762 هـ. وقد مكثت البعثة في المغرب ولم ترجع إلا بعد وفاة السلطان أبي سالم (*الاستقصا*، 3 : 151 ؛ *العبر*، 7 : 468). وهكذا يمكننا أن نؤكد أن العلاقات قد كانت متينة لأنها استمرت من 1337 إلى عهد السلطان أبي سالم (1358 - 1360). مما يعطينا فكرة عن غنى هذه الروابط التي عرفت استمرارية تزيد عن عشرين سنة. لهذه العلاقات دلالتها لأنها تعكس أوج الدولتين المغربية مع أبي الحسن المريني (1331 - 1351 م) والمالية، مع مانسا موسى (1312 - 1337 م). وقد عرفت هذه المرحلة أوج التأثيرات الحضارية المتمثلة في العمران واللباس وغيرهما.

- المرحلة الرابعة : علاقات الأزمة والاصطدام. وهذه المرحلة توافق العلاقات بين السعديين وإمبراطورية سنغاي. وهذه المرحلة بحاجة إلى الكثير من التريث لدراستها، لأنها لازالت تثير الحزازات لدى الدارسين لها، وذلك لعدة عوامل منها أن هذا الاصطدام ساهم في وضع حد لإمبراطورية سنغاي، وهي من أهم الإمبراطوريات التي حكمت السودان. بهذه الإمبراطورية انتهى عهد الدول القوية المركزة في السودان الغربي إلى القرن التاسع عشر، حيث برزت إمبراطوريات الجهاد. وبالرغم من كون هذه المرحلة قد عرفت علاقات ثقافية وتجارية مهمة، إلا أن الطابع الطاغي عليها هو طابع الأزمة. أزمة العلاقة السياسية بين السعديين والسنغيين. فالسعديون استمدوا شرعيتهم للوصول إلى الحكم من الجهاد ضد المسيحيين الإيبيريين الذين احتلوا شواطئ المغرب، هذا الجهاد الذي كان بحاجة إلى موارد ثابتة مما جعلهم يولون أنظارهم نحو مملحة تغازى. فكانت الأزمة المرتبطة بالصراع حول تغازى سببا في حملة أحمد المنصور الذهبي العسكرية إلى السودان سنة 1591 م. وقد انتهت باستيلائه على العاصمة گاو، وعلى تنبكتو. وقد أثارت هذه الحملة ردود فعل واسعة كانت محط اهتمام المؤرخين، سواء المعاصرون لها، أو الذين جاءوا فيما بعد. لذلك فهي تحظى بتغطية لا بأس بها، سواء من طرف المؤرخين المغاربة، كالإفراني والفشتالي، أو المؤرخين السودانيين، وعلى رأسهم محمود قعت، وعبد الرحمان السعدي، وسلط المؤرخون المعاصرون أضواءهم عليها وعلى رأسهم زكري دراماني Dramani وأحمد الغربي. كما كتبت حولها الكثير من المقالات والدراسات وأعطيت عدة أسباب للحملة منها : البحث عن الذهب أو العبيد، أو نشر الإسلام، أو مشكل الخلافة. وللحلمة بلا شك أسباب متعددة.

لقد سبق تنظيم الحملة فترة أزمة دبلوماسية بين الدولتين حول مملحة تغازى، ومن المعلوم أن من استولى على المملحة كأنه استولى على الذهب، لأن الملح كان يستبدل بالذهب : و هكذا طالب أحمد الأعرج السعدي،

إسحاق الأول السنغي بالتخلي عن المملحة، إلا أن هذا الأخير رفض الطلب السعدي. وعندما تولى محمد الشيخ أرسل من جديد إلى إسحاق يطلب التنازل عن المملحة فكان جواب هذا الأخير هو إرسال 2000 راكب من الطوارق للإغارة على درعة (السعدي، 100). وانتهى الصراع حول المملحة باستيلاء السعديين عليها سنة 1557 م (*مناهل*، 144)، لكن السوادنيين قاطعوا ملح تغازى فاضطر السعديون إلى التفاوض معهم من أجل التنازل عن جزء من مدخولها (*مناهل*، 120) ثم استولى عليها السنغيون فيما بعد لتوجه السعديين نحو توطيد دعائم حكمهم. واستمر الوضع هكذا إلى أن وصل أحمد المنصور الذهبي إلى الحكم، وقد وافق وصوله انتصار المغاربة في معركة وادي المخازن. إلا أن أحمد المنصور رغم انتصاره في معركة وادي المخازن وقدرته على إيقاف التوسع العثماني كان يدرك جيدا استحالة توسعه في الأندلس وفي المغرب الأوسط لقوة أعدائه، وشهادة الإفراني واضحة في هذا المجال، لذلك حاول أن يبحث عن مجال للتوسع بشكل طبيعي نحو الجنوب، لاستحالة التوسع في المغرب. ويمكن أن نضع هذا التوجه في سياقه التاريخي لأن القرن السادس عشر هو قرن الإمبراطوريات، فأحمد المنصور يعتبر نفسه خليفة، كما أنه أثبت قدرته على المواجهة فبدأ يصبو إلى تشكيل إمبراطورية على منوال الإمبراطورية العثمانية.

واستعد قبل أن يرسل الحملة، وقد كان متأكدا من انتصاره مسبقا لأنه يملك التفوق في الأسلحة، لأن المغاربة كانوا يستعملون الأسلحة النارية، بينما كان أهل السودان لا يستعملون إلا الرماح. لكن مخاوفه كانت منصبة على مشاق السفر، وصعوبة اختراق الصحراء بجيش عرمرم.. وهذا ما يفسر الاستعداد الطويل لهذه الحملة إذ استمر حوالي ثلاث سنوات يشرف عليه بنفسه. وكانت حملة المنصور وراء بداية مرحلة جديدة من العلاقات المغربية السودانية.

بالرغم من أن الطابع الذي ميز هذه الفترة أو المرحلة هو الاصطدام فإنها عرفت استمراراً للعلاقات التجارية رغم تحول الطرق نحو الشرق أكثر، لأن إمبراطورية سنغي تتمركز حول عاصمتها گاو التي تقع شرق ثنية نهر النيجر. هذه العلاقات التي ركزتها الطريق التي تربط تنبكتو بجنوب الأطلس عبر مملحة تغازى، فالمملحة كانت هي المحطة الرئيسية والحيوية في الطريق لأن أهم ما تحمله للسودان هي مادة الملح.

وإلى جانب العلاقات التجارية عرفت هذه المرحلة علاقات ثقافية متينة، وإن كانت منطقة السودان قد بدأت تعرف ميلاد ثقافة سودانية محضة، حيث يمكن الحديث عن مؤرخين سودانيين، وعن كتابة سودانية. لأن مدينتي تنبكتو وجني أصبحتا من أهم المراكز الثقافية والعلمية، وأكبر دليل على ذلك هو نبوغ أمثال العالم أحمد باب التنبكتي، وشهادة ليون الإفريقي عن تجارة الكتب في السودان.

ـ المرحلة الخامسة : العلاقات بين التراجع والتجديد. وهذه المرحلة تشمل فترة طويلة تمتد من حملة أحمد المنصور إلى القرن التاسع عشر. وتمتاز هذه المرحلة ببداية تراجع تدريجي للعلاقات التجارية، وذلك نتيجة استغناء أوروبا عن المغرب كواسطة بينها وبين إفريقيا إثر تحول الطرق التجارية من البر إلى البحر.

لكن هذا التراجع كمي وليس كيفيا، لأن القوافل ظلت تربط طرفي الصحراء طيلة هذه المدة بل كانت عائدات تجارة القوافل وراء تطور كل المراكز المغربية المتاخمة للصحراء آنذاك، وقد استمرت هذه العلاقت إلى نهاية القرن التاسع عشر (انظر Tamouh). إلا أن تراجع العلاقات التجارية عوض برباط آخر زاد في تمتين العلاقات بين المنطقتين، وهو رباط الرماة. ذلك أن حملة المنصور خلفت وراءها ميلاد أرستقراطية جديدة تحكم تنبكتو وهم الرماة. وتتكون هذه الأرستقراطية من قواد وباشوات الحملة، ثم من أبنائهم فيما بعد. وقد استمرت في حكم تنبكتو إلى سنة 1833، سنة صعود إمارة ماسينا (انظر Abitbol). وبذلك سيدخل السودان مرحلة العلاقة السياسية المباشرة أحيانا، وغير المباشرة أحيانا أخرى مع المغرب، إذ كان يدعو في الصلوات للسلطان المغربي. وقد عرفت تنبكتو في عهد الرماة صراعات دامية حول الحكم مما أسهم في قلة الأمن، وتراجع التجارة.

وربما كان ما يميز هذه الفترة هو استمرار العلاقات الثقافية، التي طبعها الطابع المغربي، ولا سيما طابع الزوايا. وذلك ابتداء من القرن الخامس عشر، وتعتبر زاوية كنتة من أهم الزوايا التي لعبت دورا في تمتين العلاقات الثقافية بين المغرب والسودان. وقد أخذت هذه الزاوية نفسا جديدا، خاصة خلال القرن الثامن عشر مع الشيخ المختار الكنتي، الذي كان يتحرك في الصحراء الرابطة بين السودان والمغرب، ليركز تعاليم الطريقة القادرية ويرتبط اسمها معه لتصبح الطريقة المختارية الكنتية.

وازداد تركيز العلاقات الثقافية ومتانتها مع القرن التاسع عشر الذي شهد امتداد خطين طرقيين يربطان المنطقة: وهما خط الطريقة التجانية وخط الطريقة المختارية. فالطريقة التجانية انطلقت من فاس على يد الشيخ سيدي أحمد التيجاني، المتوفي سنة 1815 م. ووصلت إلى بلاد شنقيط على يد الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنقيطي، المتوفي سنة 1830 م. وقد جعل منها هذا الشيخ شعارا لقبائل إداَ وْعْلي، التي حملت مشعل الطريقة التجانية وسط مجال المد القادري. وساعد استقرار العلويين في عدة مراكز على نشر الطريقة، كما أن وجود عدد مهم منهم في بلاد الترارزة، وارتباطهم اليومي مع السودانيين، أسهم في نشر الطريقة بالسودان. وقد بلغت الطريقة أوجها باعتناق الحاج عمر الفوتي التوري لها لأنه سيكون أول إمبراطورية تجانية عن طريق الجهاد وذلك ابتداء من سنة 1848، واستمرت إلى استيلاء الفرنسيين عليها سنة 1894

وامتدت من فوتاتورو إلى ثنية نهر النيجر.

أما الجيل الثاني فيأتي من الجنوب، وإن كانت أصوله شمالية، وهو جيل الطريقة المختارية. تنتمي عائلة المختار إلى كنتة بتوات، إلا أن أحفاده استقروا في أزواد، بجوار تنبكتو، خلال القرن التاسع عشر. ومن أزواد ربطوا علاقات متينة مع المغرب عبر نشر الطريقة، فقد تعددت الزوايا المختارية، إذ كانت توجد في أزمور ومكناس ومراكش وغيرها. كما أن السلاطين المغاربة أقاموا علاقات مع المختاريين حيث اتصل بهم السلطان عبد الرحمان بن هشام (1822 ـ 1859) كما أن السلطان محمد بن عبد الرحمان (1859 ـ 1873) كان من أهم مريديهم، بل كان حاميا لكل المختاريين في المغرب. وأقام المختاريون أيضا علاقات مع مختلف القوى السياسية في المنطقة اتسمت أحيانا بطابع المودة كعلاقتهم مع أمراء الحوصه أو بالعنف كعلاقتهم مع الفولانيين أمراء ماسينا. ورغم الطابع المختلف لهذه العلاقة، فإنهم بلا شك أثروا في قيام حركة الجهاد القادرية، سواء في الحوصه أو ماسينا.

ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. الإفراني، *نزهة* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. كعت، *تاريخ الفتاش* ؛ ع. الفشتالي، *مناهل الصفا*.

J. Devisse, *Routes de commerce et échanges en Afrique Occidentale en relation avec la Méditerranée. Un essai sur le commerce africain médiéval du XIe au siècle.* R. H. E. S., L, 1, 3, (1972) pp. 42-43, pp. 357-397 ; M. Abitbol, *Tombouctou et les Armes*, Paris, Maisonneuve et Larose, 1979 ; Z. Tamouh, *Le Maroc et le Soudan au XIXe Siècle*, Thèse du doctorat de 3ème cycle, Paris I - Sorbonne, 1982 ; A. El Alaoui, *Le Maghrib et le commerce transsaharien (milieu du XIe - milieu du XIVe S.)*, Thèse du doctorat de 3ème cycle Bordeau, 1983.

زهرة طموح

أفريقيا والمغرب في القرن العشرين. يبدو أن أقطار أفريقيا السمراء لم تحظ باهتمام قادة الحركة الوطنية يوم كانوا يناضلون في سبيل الاستقلال، إذ أنهم مضوا خلال كفاحهم يوجهون أنظارهم نحو المشرق وكأنه العالم وما فيه. وبالفعل، فإن الأحداث التي توالت على مسرح الساحة العربية، أيقظت في نفوس الزعماء المغاربة، وعلى رأسهم علال الفاسي، وعيا دوليا. ويلاحظ أنه رغم نفي عدد من قادة الحركة الوطنية إلى أقطار القارة السمراء، ورغم ما شاهدوه في منافيهم من تشابه في أنظمة الاستعمار والنزعات الوطنية المحلية، فإنهم لم يحفلوا بالأفارقة. وربما يعزى إعراضهم عن إخوانهم السود إلى صعوبات وعراقل حالت دون إدخال القارة السمراء في تفكيرهم وعملهم السياسي.

قد يرجع هذا إلى تباين الأوضاع المجتمعية والسياسية بين شمال أفريقيا وما يقع منها جنوب الصحراء، وإلى اختلاف أساليب الكفاح هنا وهناك، وإلى المواقف "الثقافية" التي اتخذها الأفارقة أنفسهم، ولو أنه وجدت بعض المبادرات والمحاولات لتوحيد النظر على مستوى العمل النقابي.

أما بعد الاستقلال فقد تغيرت الأوضاع، ومرت العلاقات بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراوية بثلاث مراحل :

ـ الفترة المتراوحة بين 1956 و1961 تعتبر عامةً فترة حافلة ونشيطة، تُجسمها العلاقات المتميزة بين المغرب وغانا مع إرادة البلدين في النهوض بالتعاون بينهما في المجال السياسي والمجتمعي والاقتصادي والتي أعرب عنها في التصريحات السياسية، مثل تصريح وزير الشؤون الخارجية المغربي الذي أكد على ضرورة توحيد بلدان المغرب العربي المعرض بكيفية مباشرة وآنية الى الأطماع الامبريالية مع القارة السمراء لأن "الهيمنة الاقتصادية أخذت تتطور لتحل محل الاستعمار السياسي". علاوة على هذا التصريح، شارك المغرب بوفد هام يرأسه الوزير الأول في مؤتمر مانروفيا (غشت 1959) وقد ترأس المغرب جلسته الافتتاحية.

كل هذه العناصر كشفت عن رغبة المغرب في الانفتاح على أفريقيا. وأهم دليل على ذلك. تدخل المغرب عام 1960 في الكونغو، في إطار مساعداته العسكرية والتقنية والإدارية للأقطار الافريقية وإلى حركات التحرير، مثل حركة تحرير أنكولا وحركة الموزنبيق ...في عام 1961، انعقد بالدار البيضاء مؤتمر "ضد الاستعمار" و"تقدمي" اعتبر فوزاً مغربيا دبلوماسيا كبيرا يشكل أعظم حدث في هذه السياسة.

إنها المرحلة التي تتوفر لدينا عنها معلومات أكثر من غيرها ولئن كانت متفرقة وجزئية، لكنها تبقى مع ذلك في حاجة إلى الدراسة العميقة والبحث الدقيق.

ـ تبتدئ المرحلة الثانية مع استقلال الجزائر، عام 1962 وبمساندة الجزائر لمحاولات تأجيل اجتماع مجموعة الدار البيضاء وانشاء منظمة الوحدة الافريقية. في عام 1963، صادق المغرب على ميثاق المنظمة مع الإعراب عن تحفظاته في موضوع الحدود الموروثة عن الاستعمار. ومن ثم فإن علاقاته مع مختلف البلدان الافريقية ستبقى مرهونة بموقف كل بلد من مطالب المغرب الترابية. وهكذا ستنحلُّ تدريجيا علاقات المغرب مع أعضاء مجموعة الدار البيضاء وستتلاشى نهائيا في بعض الأحيان كما حدث مع مصر.

ـ ابتداء من عام 1969، ستقع أحداث تساعد المغرب على استرجاع مكانته على الساحة الافريقية. من هذه الأحداث : الاعتراف باستقلال موريتانيا عام 1969، وأوفاق يفرن والرباط مع الجزائر عام 1972، وترأس المغرب لمنظمة الوحدة الإفريقية من 1972 إلى 1973....

لكن المغرب سيواجه ابتداء من 1976، ورغم مساندته من طرف بعض الدول الافريقية "المعتدلة"، محاولات عزله دوليا بسبب قضية الصحراء. ويرى خصوم المغرب أنه تخلى عن نزعته الافريقية ووجه أنظاره نحو أوربا، وفرنسا بالخصوص، ونحو الشرق الأوسط. ومع ذلك، فان التعاون المغربي ـ الافريقي استمر ونما بصورة هامة في المجالين

السياسي والعسكري، ولا يزال يتطور إلى الأمام متخذا أبعاداً كبرى. إن بعض الدراسات الجاهزة حول العلاقات المغربية ـ الزاييرية، والمغربية ـ الگابونية، والمغربية ـ الغنية، تثير الإعجاب وتبرهن عن ثراء روابط التعاون القائم بين الجانبين، ذلكم التعاون الذي مافتئ يتقدم طوال الأعوام الأخيرة.

م. ب. سيرو، *علاقات المغرب السياسية مع المجموعات الافريقية والعربية منذ الاستقلال*، رسالة جامعية نوقشت بباريز، 1967 ؛ م. البوزيدي، *المغرب وافريقيا جنوب الصحراء*، مقال ضمن كتاب المغرب وافريقيا الواقعة جنوب الصحراء، إصدار المركز الوطني للبحث العلمي، 1980 ؛ م. ميشيل، *السياسة الافريقية لدول المغرب*، مارس 1968 (المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الإفريقية) ؛ أ. بوطار، *المغرب العربي ودول افريقيا السوداء*، مارس 1968 (المجلة الفرنسية للدراسات السياسية الافريقية)؛ و.ك.روف، *السياسة الخارجية للدول المغاربية*، مجلة المغرب والمشرق (59)، 1973 ؛ ب. فسقة، *تطور التعاون بين المغرب الأقصى ودول افريقيا السوداء*، رسالة السلك العادي، المدرسة الوطنية للإدارات العمومية، الرباط، 1983 ـ 1984.

عبد الله ساعف

إفري واطو : مغارة كبيرة تقع على بعد 25 كيلومتر من مدينة تازا، من الجهة الجنوبيّة الغربيّة، على الجنب الأيمن للطريق الثانويّة، رقم 311، المؤدّية من تازا إلى قرية سيدي عبد الله عبر الأطلس المتوسط في أقصى مناطقه الشماليّة المتميّزة بكثرة كهوفها. يرتفع المكان الذي توجد فيه هذه المغارة، عن سطح البحر، بحوالي 1780 م.

إفري واطو عبارة عن مجموعة من السراديب الطبيعيّة، نحتتها على مرّ الأزمان عوامل التعرية المائيّة في أرضيّة كلسيّة. يقع غوْر أقصى تلك السراديب على عمق مايقرب من مائة متر تحت سطح الأرض. وقد تكوّنت فيها «نوازل» (stalactites) و«صواعد» (stalagmites) وهيئات جيولوجيّة أخرى أضْفَتْ أشكالُها على رحاب المغارة وجدرانها جمالا طبيعيّا يسرّ الناظر، ويدعوه إلى الخشوع أمام عظمة الخالق. ولهذا كان « إفري واطو» ولازال مزاراً للسيّاح وللْمُسْتَغْورينَ (مُستكشفي الأغْوار = les spéléologues)؛ يُنزل إلى جوفه بواسطة دَرَجٍ نُحتَ في الصخر. يُكتَب اسمه في الخرائط السياحية الموضوعَة بالحروف اللاتينيّة كما يلي : Friouato.

والمدلول اللغوي لـ « إفري واطو»، في الأمازيغيّة (أي «البربريّة»)،هو«كهف النّسيم» : «إفري» هو الكهف، و«أضو» ـ المنطوق «أطو» في لهجة آيت وارين ـ هو النسيم، أو الرُخاء، أي الريح اللّينة. أمّا الواو التي تتقدمُ «واطو» فحرفٌ إعرابيّ أوْجَبَتْ ظهوره الإضافةُ. وممّا تجدر الإشارة إليه، أنه كان من الأوربييّن المهتمّين بتاريخ المغرب، في عهد الاستعمارالفرنسيّ، منْ يميل إلى الاعتقاد أن «Friouato » تحريف لاسم إله يونانيّ قديم، وذلك جهلاً، أو تجاهلاً، منهم للمدلول الأمازيغيّ الآنف الذكْر.

استطلاع ميداني.

محمد شفيق

أفَزَازْ، أسرة تطوانية ليس لدينا من الوثائق ما يثبت أصلها، ومن أفرادها شخص يعرف بالفقيه أفزاز كان من بين سكان تطوان الذين فضلوا البقاء تحت الحكم الإسباني عندما احتلت تطوان سنة 1860 م، ولازالت هذه الأسرة بتطوان إلى يومنا هذا.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين* ؛ م. داود *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 5 : 231 ؛ م ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias de Tetuan*, 1921 (F) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (F) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (F) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

إفْسفَاسْنْ، إحدى قبائل إداوْتنان الثلاث التي تكون اتحادية فيما بينها، وتقع جهة الجنوب الغربي من الجزء الذي تحتله قبائل إداوتنان من الأطلس الكبير وتتكون قبيلة إفسفاسن من عدة فخذات وجماعات ودور متفرقة تنحدر من ستة عظام كبرى :(إخصان) وهي :

1 ـ آيت تيويلت وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 285 كانون.
2 ـ أيت أو قصري وعدد كوانينهمسنة 1924 يبلغ 340 كانون.
3 ـ ابروتن وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 190 كانون.
4 ـ أيت وانكريم وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 410 كانون.
5 ـ أيت أولماوعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 116 كانون.
6 ـ أيت وتوركا = أورغا وعدد كوانينهم سنة 1924 يبلغ 260 كانون.

وبذلك يبلغ مجموع سكان قبيلة افسفاسن حوالي 1610 كانون حسب إحصاء أجراه لاتيرون : قائد دائرة حاحا الجنوبية وگسيمة شتوكة بأگادير سنة 1924 م، في حين بلغ سكان قبيلة أيت واعزون حوالي 2095، واهل تانكرت حوالي 1770 كانون، بذلك تكون قبيلة افسغاسن أقل قبائل ايداوتنان سكانا . ومع ذلك فانها غنية بالمآثر التاريخية والمعالم الثقافية والدينية حيث نجد مثلا في إبروتن بنايات قديمة وبيوتات منحوتة في الجبل على شكل كهوف يقال إنها من عمل البرتغال في عهد احتلالهم لميناء اكادير ونواحيه وقد توحدت هذه القبيلة حول مدرسة الما العتيقة منذ القديم.

راجعنا في هذه المادة دراسة مرقونة أنجزها حاكم إنزگان 1924 وموضوعها *إداوتنان* (بالفرنسية).

محند أيت الحاج

أفْغَال، زاوية الشرفاء البقاليين المعروفين بأولاد سيدي أحمد البوهالي، توجد بقرية أفغال من فرقة بني يوضْگفان بقبيلة بني سميح الغمارية، وتعد أهم زاوية بمجموعة القبائل الغمارية المعروفة بغمارة الحايلة بمعنى العتيقة.

هذه الزاوية لا تنتمي إلى طريقة من الطرق الصوفية،

شأنها شأن زاوية الشرفاء الريسونيين الكائنة بقرية تازروت بقبيلة بني عروس الجبلية.

وقد قامت زاوية أفْغال بدور كبير في مقاومة قبائل غمارة للغزو العسكري الإسباني من سنة 1913 إلى سنة 1927 م.

Cereceda (A), *Monografia de puerto Capaz*, 36 .سبتة 1951 ص

Beneitez Cantero (V), *Etnografia gomari*, 81 .سبتة 1951 ص

م.ابن عزوز حكيم

أفْلالُو، أسرة من يهود الصويرة، تولّت التجارة بالداخل والخارج، وكان لها اتصال بالدوائر المخزنية في القرن التاسع عشر . منهم :

أفْلالو، إسحاق الذي كلفه السلطان بمهمات في الخارج ولاسيما بألمانيا سنة 1829. كان تاجراً بالصويرة ثم انتقل الى لندن للتجارة بها.

أفْلالُو، مْناحيم : تاجر كان يقيم بلندن للتجارة بها أواخر القرن التاسع عشر.

P. Guillen, *L'Allemagne et le Maroc* ; J. L. Miége, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 55 - 56.

مصطفى بوشعراء

أفْلالُو، موسى، أو (موشي) : تاجر يهودي (من الصويرة) أقام بلندن وكان صديقاً للسيد احماد بن موسى وزير مولاي الحسن الاول مراسلا له ، ويقتبل بعض رسل المخزن، وهو مؤلف The Truth about Morocco (لندن ونيويورك، 1904).

أفلالو، ميمون. أعظم حبر في زاوية الدلاء. بعد ان حطمت هذه الزاوية من طرف مولاي الرشيد، أقامت الجماعة بفاس، حيث خصص لها الحبر ڤيدال هسرفتي محلا لاقامة بيعة لها (انظر طوليدانو، نير هما عرب) وكان ابنه سعاليه حبرا بفاس، كما أن أفرادا آخرين من أسرة أفلالو كانوا أحبارا : بأگادير مثل يوشواع (إشوعا)، في القرن 17 و18، ويحيى في القرن 18، مؤلف مجموعة فقهية، وبالرباط مثل عيوش (القرن 18 ـ 19) انظر يـ . بنايم، مالخي ربانان).

طوليدانو، *نيرهما* عرب ؛ بنايم، *مالخي ربّانان*.

شمعون ليڤي

أفلاَح، شعيب بن حمادي، من قرية إحَدّوشَنْ الواقعة قرب إمْزورْن بقبيلة بني ورياغل الريفية. شارك في الثورة الريفيةَ منذ انطلاقتها الأولى، وأبان عن مهارة وحذق في إصلاح المدافع، وأظهر كفاءة لاجدال فيها لتنظيم الجيش الريفي (النظامي)، وحنكة عسكرية مشهوداً له بها، ومقدرة عالية على التخطيط للمعارك وقيادتها، وذلك من خلال العمليات الحربية التي شارك فيها خاصة في الجبهة الغربية ضد الإسبانيين، وفي الجبهة الجنوبية ضد الفرنسيين تحت قيادة البطل مَحمد بن عبد الكريم الخطابي، وفي الفترة المتراوحة بين 1923 و 1925.

تعرف عليه محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد انتصارات أنوال سنة 1921، ولمس فيه حذقا ومهارة في إصلاح المدافع، فألحقه بوحدة إصلاح المدافع التي غنمتها الثورة من الجيش الإسباني. وقد أظهر في ذلك كفاءة عالية أثارت إعجاب وتقدير الزعيم ابن عبد الكريم، فأسند إليه مهمة الإشراف على تجنيد جيش نظامي.

وفي غضون 1922 أنشأ أفلاح النواة الأولى للجيش النظامي الريفي الذي تكلف بتدريبه القائدان محمد بوحوت القلعي واحديدان الأجديري وذلك بأول مركز للتدريب بأجدير. وترأس أول فوج لهذا الجيش البالغ خمسين رجلا. وبفضل جهود أفلاح وزملائه من قادة الثورة، توسعت قاعدة هذا الجيش بسرعة، فأصبح يضم ثلاثة طوابير منظمة وفق القواعد العصرية المعروفة وقتذاك بأوروبا، وأشرف أفلاح على تعزيز صفوف هذا الجيش بفتح باب الانخراط أمام المتقاعدين من الجيش الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى، وأسند إليهم مهمة تدريب الجيش الريفي الذي أصبحت له كفاءة عالية خاصة بعد تزويده بالمدفعية.

أظهر أفلاح كفاءة جيدة لا كقائد عسكري محنك فحسب، بل أيضا كسياسي يقظ، وذلك من خلال مساهمته الفعالة في إفشال المؤامرات التي كانت تدبرها ضد الثورة الريفية المخابرات السرية الإسبانية بتعاون مع بعض زعماء غمارة وبعض شيوخ الزوايا.

وقد رافق أفلاح هذا الجيش في جميع تحركاته، فخاض معه جل المعارك التي شهدتها الجبهة الغربية ضد الإسبانيين والجبهة الجنوبية ضد الفرنسيين، وجرح في إحدى هذه المعارك بالضفة الشرقية لوادي لاو.

وساهم بدور أساسي في تحرير مدينة شفشاون، بحيث كانت مهمته في هذه العملية تتمثل في الصعود بالجيش النظامي والمتطوعين بتنسيق مع اخْريرُو إلي جبال شفشاون وانتظار وصول القوات الأخرى للقيام بهجوم منسق على قوات الاحتلال. لكن القائدين بادرا بالهجوم قبل الموعد المحدد فتصدى لهم الإسبانيون، فقتلوا منهم خمسة وسبعين من رجال غمارة، وعددا من رجال جيش أفلاح منهم القائد عمر اليَدّار الورياغلي.إلا أن هذا الخطأ لم يؤثر على الخطة العسكرية المرسومة في شموليتها التي نجحت في تحرير المدينة.

وانتقل بعد ذلك إلى ضفاف ورغة، فشارك سنة 1925 في قيادة الجيش النظامي والمتطوعين ضد المواقع التي كانت تحتلها الجيوش الفرنسية، نجح هذا الجيش في تحرير معظمها، وغنم عددا من المدافع والمعدات الحربية.

ونظرا لما عهد فيه من دقة في رسم الخطط الحربية وتنفيذها، فقد اختاره ابن عبد الكريم لمهمة تحرير حصن مركز " البيان" بدلاً من عبد السلام معراش الغماري الذي لم يفلح في الاستيلاء على الحصن المذكور نظراً لمناعته وعنف مقاومة الفرنسيين. ونجح أفلاح في تحرير هذا المركز في اليوم الموالي لتكليفه بهذه المهمة (3 يونيو 1925). وقد

سر محمد الخطابي لهذا الانتصار، فبعث لأفلاح بمبلغ مائتي ريالا مكافأة له على إنجازه الناجح، مشفوعة برسالة تنويه.

وبعد ذلك، انتقل على رأس طابوره (400 رجل تقريبا) إلى بني زروال وشارك في المعارك التي وقعت هناك لينتقل في حوالي منتصف يونيو إلى قبيلة البرانس مع القوات النظامية الأخرى حيث وجد المتطوعين يحاصرون قشلة سوق الخميس، فانضم بقواته إليهم إلى أن تم الاستيلاء عليها بعد معارك عنيفة.

وبعد التحالف الفرنسي ـ الإسباني ضد الثورة ، انتقل بجيشه مع مَحمد ابن عبد الكريم إلى شواطئ غمارة ووادي لاو لمواجهة احتمال نزول القوات الإسبانية هناك، فاستعد لذلك بوضع المدافع والرشاشات في مواقع استراتيجية يصل مداها إلى ضواحي تطوان، فضلا عن تحكمها في الواجهة البحرية لهذه المناطق.

وفي خريف 1925 التحق مع مَحمد الخطابي بأجدير للدفاع عن عاصمة الثورة ضد الجيوش الإسبانية التي نزلت بخليج الحسيمة في سبتمبر 1925، فأشرف على سلاح المدفعية. لكنه اضطر إلى الانسحاب بجيشه إلى "تَرْگيسْتْ" بعد احتلال الإسبانيين لأجدير. وقد استمات في مقاومة الغزو الأجنبي بشجاعة نادرة إلى تاريخ استسلام الزعيم الخطابي في ماي 1926.

وكان أفلاح من رجال المهام الصعبة في الثورة الريفية، لايكاد يفرغ من مهمة حتى يكلف بأخرى، لما عهد فيه من إخلاص وإقدام ودقة في العمل وسرعة في التكيف مع التغيرات الطارئة.

ر. فورنو، *عبد الكريم أمير الريف*، ترجمة فؤاد أيوب، دمشق ؛ أ. البوعياشي، *حرب الريف التحريرية، مراحل النضال* 2 : 176 ـ 200، 363 ـ 374 ـ 417. طنجة 1975 ؛ القاضي، *أسد الريف : محمد عبد الكريم الخطابي* 162 ـ 163، 181 ـ 187.

J. R Mathieu, *Mémoires d'Abd el-Krim*, 15e édition, Paris 1927, pp. 110-147 ; L. Gabrielli, *Abd el-Krim et Les événements du Rif*, Casablanca 1953, pp. 41-212 ; D. Woolman S : *Abd el-Krim y La Guerra del Rif.* traduit en espagnol par Margarida Gratacos, Barcelona 1971, pp 145-1600 , 179-242.

مصطفى أريبب

أفَلاًن واسيف (أعلى الوادي) ← **درعة**

أفَنْسو ← **إسين**

إِفْني، ـ جغرافيا ـ مدينة تقع جنوب أگدير على الساحل الأطلنتي، وتعرف أيضا باسم سيدي افني نسبة إلى دفينها الولي الصالح سيدي علي افني. تنتمي إداريا إلى إقليم تزنيت، ترتبط بمدينتي گلميم في الجنوب الشرقي وتزنيت في الشمال ـ الشرقي بطريقين ثانويين.

هذه المدينة الحديثة تم تشييدها حول مصب أحد أودية الأطلس الصغير الغربي الموسمية وهو أَسفْ ـ ن ـ افْني الذي يقطع هضبة ساحلية مستوية عبارة عَن شريط ضَيق لا يتجاوز متوسط عرضه 1000 م، ينحصر عند ارتفاع متوسطه 50 م بين الجرف الساحلي وجبال بولعلام وبيگرس. ويتميز ساحل إفني بكونه من نوع السواحل البنيوية الأصلية، تخطيطه مستقيم يعطي أجرافا صخرية تحادي هضبة قارية ذات عمل ضعيف أقل من 50 م وتواجه عبابا عنيفا في أغلب الأوقات. وهذا الوضع لا يسمح بتراكم الرمال إلا عند مصب الوادي المذكور الذي يشكل وضعا محميا يوفر شاطئا ضيقا.

تتمتع إفني بخصائص ومظاهر حضرية متميزة داخل المغرب تجعل منها "مدينة ثكنة"، وهذا لا يمكن تفسيره إلا بظروف نشأتها وتطورها التي ارتبطت بدخول الاستعمار الإسباني إلى منطقة أيت باعمران سنة 1934. ذلك أنه نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي سمح بالإنزال البحري ويوفر أرضا مستوية صالحة لإقامة مدرج للطائرات، تم التخطيط لها لتكون قاعدة عسكرية تمكن من مراقبة قبائل أيت باعمران والمستعمرات الإسبانية الأخرى بأفريقيا الغربية والطريق المؤدية إليها. وهكذا تم الشروع في بناء المدينة التي اكتمل نسيجها سنة 1949 وأخذت وظيفة وتشكيلا حضريا يعبران عن هواجس المخطط العسكرية لم تستطع مدينتنا التخلص منها رغم عودتها إلى الوطن الأم منذ سنة 1969 وعلى الرغم من كون المستعمر لم يعمر بها طويلا.

قبل الاستقلال : خلال هذه الفترة اتخذت المدينة وظيفة عسكرية تتمثل في عدد الثكنات المتوفرة بها، وفي المساحة الهائلة والتوزيع المحكم الذي تحتله داخل النسيج الحضري. وفي غياب المعلومات الكافية، يبدو من خلال ضخامة الثكنات أن عدد أفراد الحامية العسكرية الإسبانية كان كبيرا.

انطلاقا من سنة 1947 بدأت مدينة إفني تشغل وظيفة سياسية وإدارية إذ أنها اعلنت عاصمة "لحكومة أفريقيا الشمالية الإسبانية" التي تضم مستعمرة أيت باعمران ومستعمرة الصحراء المغربية فأصبحت تكون مقرا للحاكم العام. لكن هذه الوظيفة لم تدم طويلا إذ تحولت المدينة على إثر تدخل جيش التحرير المغربي واسترجاعه لأراضي قبائل أيت باعمران سنة 1957، إلى ثكنة عسكرية حقيقية لا تدافع إلا عن نفسها. وقد أظهر هذا الأمر أن مدينة إفني لم تستطع أن تتقلد غير الوظيفة التي نشأت من أجلها وهي الوظيفة العسكرية إضافة إلى ما ارتبط بها من أنشطة تجارية وفلاحية محدودة يزاولها فلاحون صغار على طول أسيف ـ ن ـ إفني وأما البحر الذي يوفر ثورة سمكية هائلة فإن إفني لم تتمكن من الاستفادة منه بسبب غياب التجهيزات اللازمة فبقي حكرا على صيادي جزر كناريا.

إن إفني التي يمكن حصر عدد سكانها عند الفترة الأخيرة من مرحلة الاستعمار في حدود 26000 نسمة، 50 ٪ منها عن الجيش و 30 ٪ منها من المغاربة، كانت مدينة منقطعة عن الأراضي المغربية المحيطة بها وهي بذلك تشكل مدينة اصطناعية، أنشأت صدفة، تدعم ميزانيتها الدولة الإسبانية بنسبة 80 ٪.

بعد الاستقلال : عند مطلع سنة 1969 تخلت إسبانيا عن مصالحها الاستعمارية بمنطقة إفني (Santa Cruz de mar pequena) فعادت المدينة إلى الوطن الأم ورحلت عنها الحامية العسكرية الإسبانية وهجرتها الجالية الأوروبية، فانخفض عدد سكان المدينة بشكل مفاجئ إذ بلغ فقط حسب إحصاء 1971 حوالي 650 نسمة. وظهر منذ الوهلة الأولى مشكل إعادة هيكلة المدينة ودمجها في الاقتصاد والتراب الوطنيين. وهكذا اتخذت تدابير عاجلة تمثلت في إعفاء ضريبي لمدة 5 سنوات و تزويد البلدية ببعض الإعانات المالية و إعطاء بعض الامتيازات للسكان الأصليين، كما تم إعلان مدينة إفني جماعة حضرية وعاصمة إدارية لقبائل أهل الساحل وأيت باعمران التي كانت تابعة في السابق لمدينة كلميم. وفي نفس الوقت تم العمل على وضع مخطط للتنمية انطلق من الرصيد العقاري المهم والتجهيزات الأساسية العصرية المتوفرين : الثكنات العسكرية التي تحتل مساحة مهمة داخل النسيج الحضري : مستشفى، 3 مستوصفات، 4 مدارس، مدرج للطائرات، مرسى صغير عبارة عن منصة حديدية داخل البحر تربطها باليابسة ناقلات محمولة، إضافة إلى تجهيزات ترفيهية مختلفة... وقد تم العمل أيضا على فك الحصار الذي كان مضروبا على المدينة، فتم ربطها بتزنيت وكلميم بواسطة طريقين ثانويين. إضافة إلى هذا تم توسيع قطاع التعليم عن طريق خلق مؤسسات ثانوية، وظهرت محاولة لانعاش السوق العقارية فأنجزت بعض التجزئات السكنية... لكن هذه التدابير لم تكن كافية لخلق النشاط الاقتصادي المتوخى، كما أنها لم تمكن من دمج المدينة بصفة كلية في المجال الوطني. لذلك سجلت مدينة إفني نموا ديموغرافيا ضعيفا لا تتعدى نسبته 1.56 ٪ في السنة. بحيث انتقل عدد السكان خلال 11 سنة (1982) من 13560 نسمة إلى 12600 فقط. ويعزى هذا الوضع إلى كون المدينة بقيت بعيدة عن محور العبور إلى الصحراء المغربية كما أنها لم تستقبل أي مشروع يمكنه أن يكون محركا حقيقيا للتنمية وإن كان قد شرع مؤخرا في بناء ميناء جديد من أجل استغلال الثروة السمكية المذكورة وتم في نفس الوقت التفكير في خلق وحدات صناعية ترتبط بهذا المشروع.

أصبحت إفني منذ 1971 تشكل العاصمة الإدارية لقبائل أيت باعمران بعدما انتزعت من يد الاستعمار الإسباني. هذه القبائل هي : الخمس، صبويا، امستتن، أيت بوبكر، وأيت عبد الله. تتوزع إداريا إلى 4 جماعات قروية هي : اثنين أملو، ثلاثاء صبويا، أربعاء مستي، وخميس تويفزة. تنحصر بين قبائل أيت لحسن وأولاد بوعيطة من جهة الجنوب الأخصاص من الشرق وأيت بريبم وأهل الساحل من الجهة الشمالية.

المجال الذي تستوطنه هذه المجموعة البشرية يتوافق من الناحية الطبيعية مع الوحدة الجغرافية المعروفة باسم كتلة إفني التي تشكل النهاية الغربية للأطلس الصغير الغربي.

وهي عبارة عن منطقة ذات مشهد تضاريسي جبلي وارتفاعات متوسطة (جبل فوكو 1250 م) تتخلله منخفضات داخلية ضيقة مثل منخفض تكراكرا، ومنخفض مستي، وتحاذيه على طول الساحل الأطلنتي هضبة ضيقة ومستوية تشرف على البحر بجرف واضح، وتقطعها مجموعة من الأودية، إضافة إلى هذه التضاريس الجبلية الوعرة تتميز المنطقة بمناخ جاف يرتبط بندرة التساقطات (إفني مثلا 147 مم / سنة) وبتركزها في عدد قليل من أيام السنة. ولعل هذه الظروف الصعبة هي المسؤولة عن فقر التربة وندرة المياه، وهي التي تفسر قدم وأهمية الهجرة الداخلية والدولية التي تضم أبناء المنطقة داخل المغرب.

إن الاستراتيجية العسكرية التي حددت شروط ظهور إفني نجدها تطبع المدينة وتحدد تصميمها ومرفلوجيتها، ذلك أن أسيف ـ ن ـ إفني الذي يشكل مجالا مغروسا داخل النسيج الحضري يفصل المدينة إلى شطر جنوبي وشطر شمالي جاء ليفك التكدس الذي يعرفه الشطر الأول.

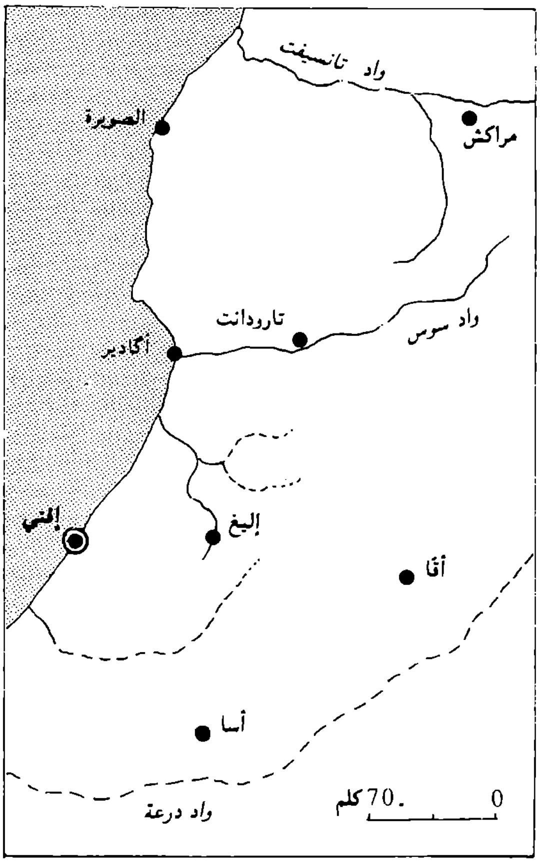

إفني

يمتد الشطر الجنوبي من المدينة على مساحة مستوية مهمة يشغل منها المطار والثكنات العسكرية الملحقة به أكثر من 3/4 مجموع مساحة المدينة، وبذلك فإن هذا المطار لم يترك بينه وبين الوادي إلا مجالا ضيقا ووعرا تخترقع مجموعة من الشعاب الضيقة بنيت فوقه الأحياء المختلفة المكونة للنسيج الحضري هذه الأحياء تخضع في توزيعها

لنوع من الترتيب بين البحر والجبل حسب مدى صلاحية الأرض للبناء. وهكذا فإن الحي الإداري شيد على موضع يشرف على البحر مباشرة، وخلفه تستقر الأحياء السكنية العصرية والحي التجاري، ثم نجد الأحياء السكنية التقليدية المتصلة بالجبل مثل حي "برابر" أو المشيدة عنه الشعاب المذكورة مثل "درب الكوز".

إن هذا الشطر الجنوبي من المدينة يضم الأنشطة المتوفرة كما أنه يضم كل التجهيزات الأساسية مثل المطار والميناء.

أما الشطر الشمالي فإنه يحتوي على حي عسكري عبارة عن ثكنة منعزلة تشرف على البحر شيدت على مساحة واسعة تتجاوز مساحة ثكنات الشطر الجنوبي إضافة إلى هذا يتكون هذا الشطر من حي سكني عصري يسمى حي للامريم (حي كلومينا سابقا) يفصله عن الثكنة مجال واسع وفارغ يجعل هذا الشطر مؤهلا لاحتضان مشاريع توسيع المدينة في المستقبل. ونظرا لتركز كل الأنشطة بالشطر الجنوبي من المدينة فإن سكان الشطر الشمالي يتحتم عليهم التنقل باستمرار إلى هناك الأمر الذي دعا إلى ربط الشطرين بالحافلة.

يبدو إذن أن إفني مدينة نشأت صدفة، فقدت ديناميتها فجأة بعدما تمت إزالة أسباب ظهورها التي كانت عابرة، فوجدت نفسها بعد جلاء الاستعمار عنها أمام عوائق كبرى تحول دون إعادة تنشيطها رغم تعدد مجالات دمجها وربطها بباقي أجزاء التراب الوطني ولعل أهم هذه العوائق يكمن في عزلتها وفي ندرة المياه بها و بالمجال المحيط بها.

P. De Cenival et Al, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l'Afrique*, Hesp., T XXI, Fasc. 1 et 2, pp 19 - 66 ; P. Oliva (1971), *Note sur Ifni*, R.G.M, Nº 19, pp 85 - 96 ; S. Heraute (1934), *Les conditions de l'occupation espagnole à Ifni*, A. F., Juin 1934, pp 338 - 341 ; F. Hemandez - Pacheco (1958), *Caractéricas generales geografico - geologicas del territorio de Ifni*, Archivos del instituto de Estudio Africanos, año X, Nº 45.

الحسن الحداد

إفني، ـ تاريخ ـ في سنة 1475 كان الإسباني دييگو گارسيا هيريرا Diego Garcia Herrera يبحث عن نقطة ارتكاز بالشاطئ المغربي المقابل للجزر الخالدات ليتخذها محطة صيد بحري ومركز متاجرة مع المغرب، وتمكن ـ في ساعة غفلة ـ من احتلال قلعة مغربية سماها : الصليب المقدس للبحر الصغير. Santa Cruz de mar pequena وهو موقع لم يعرف بالضبط، ولا وجود له بالخرائط الجغرافية المعتمدة. وعلى الرغم من ذلك، ظلت الحكومات الإسبانية تطالب به في كل مناسبة، لكن دون جدوى، إلى أن تمكنت بتواطئ مع الحكومة الفرنسية من احتلال منطقة إفني في أبريل 1934، ونشر الإسبان حمايتهم على المنطقة، وبدون سابق إنذار أو أية استشارة ألغوا الحماية وجعلوها منطقة سيادة Sobernia إسبانية، وكيفما كان الحال، فإدارتها كانت خاضعة لسلطات تطوان مقر خليفة جلالة السلطان.

ويجدر بالملاحظة أن إسبانيا لم تتمكن من احتلال كل المنطقة التي كانت تطالب بها في المعاهدات، معاهدة حرب تطوان، والمعاهدة الودية مع أنجلترا 1904، ومعاهدة الحماية مع فرنسا 1912 بل ظلت منطقة هامة في أقصى الشمال وفي أقصى الجنوب الشرقي، غير خاضعة للسلطة الإسبانية.

كان من المنتظر استعادة إفني إلى حظيرة الوطن، بعد اعتراف إسبانيا باستقلال المغرب (أبريل 1956) ولكن حكومتها في معاهدة مدريد المبرمة في ذلك الشهر، أبت ذلك، فاندلعت ثورة في نوفمبر 1957 أسفرت عن استرجاع المغرب للمنطقة في ثلاثين من يونيو 1969.

ع. العمراني، *اقتصاديات المغرب* (مخطوط).

Alcaraz, J. Cabello ; *Apuntes de Geog. de Marruecos*. Tetuan, 1950 - 51, La Fuente ; A. Domenech, *Del Territorio de Ifni*, Madrid, 1946.

عبد الله العمراني

إفني، اسم لأحد أولياء أيت باعمران، الذين كان ترابهم ممتدا بين خطي عرض 28 54' 3" و29 38' 10" ش. محاذيا للمحيط الأطلسي على مسافة 65 كلم. كانت الدولة الإسبانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تعتبر أن إفني هو سانتاكروز دي ماربيكنيا الذي كان الإسبان يعرفون به مركزا تجاريا كان قد تم لهم احتكار التبادل التجاري به بين 1476 / 1524. غير أن هذا التأويل كان من جملة دواعي الخلاف بين الدولة الإسبانية والدولة المغربية، في تنفيذ البند الثامن من المعاهدة التي فرضت على المغرب سنة 1860، والذي كان يخول لإسبانيا امتيازات سانتاكروز.

في سنة 1912 اعترفت فرنسا بما تدعيه إسبانيا من حقوق في منطقة أيت باعمران، غير أن الاحتلال الفعلي لم يتم إلا في أبريل سنة 1934، حيث تمكن الجنرال كاپّاس من إنزال جيشه بمرسى سيدي إفني، بمقتضى اتفاقية أبرمها مع بعض أعيان المنطقة.

وابتداء من سنة 1934 غدا اسم سيدي إفني ينسحب إداريا على أرض أيت باعمران، التي هي ممتدة على مساحة تقارب 1500 كلم 2. كانت هذه المساحة موزعة بين سبع قبائل مستقرة، تضبط مختلف جوانب حياتها أوفاق عرفية. وينظم علاقتها بالسلطات الإسبانية الاتفاقية المبرمة سنة 1935. كان إنتاجها الفلاحي يعاني من حدة الجفاف وضعف المساحة الصالحة للزراعة، ومن تم كان اللجوء إلى أساليب من شأنها ضمان محصول سنوي كاعتماد تكامل زراعة الحبوب وغرس الأشجار، وتربية النحل والماشية.

منذ 1935 أخذت معالم مدينة ذات طابع إسباني تتبلور في أرض منخفضة تنحصر بين الساحل والجبل، كان من أهم معلماتها ضريح سيدي إفني الذي أصبح يميز هذه المدينة الناشئة. أسس بها ميناء لأَحْكَامْ يربطها بكل من جزر

كناري وإسبانيا والقسم الشمالي من المغرب. نظرا لضعف الإمكانيات الاقتصادية للمنطقة ظلت وظيفة مدينة إفني منحصرة في الحفاظ على استمرار الحكم الإسباني بأيت باعمران.

إذا كان الاحتلال الإسباني لم يحدث تغييرا واضحا على مستوى الانتاج الاقتصادي، فإن تأسيس الميناء جعل المنطقة أكثر انفتاحا على إسبانيا وجزر كناري والقسم الشمالي من المغرب، وكانت تربطها بخليفة السلطان الذي كان مقيما به تبعية اسمية. هذا الارتباط الوثيق بالقسم الشمالي، مكن أعيان أيت باعمران سنة 1947 من الوعي بمرامي مشروع التجنيس، الذي كان يهدف إلى تغيير الوضعية القانونية لسكان المنطقة. وهكذا عقد أعيان أيت باعمران - بمن فيهم المثلون الرسميون - اجتماعا بمدينة إفني، أعلنوا على إثره رفضهم لسياسة التجنيس التي كان الحكم الإسباني بصدد تنفيذها.

لم تغير سياسة القمع من موقف الباعمرانيين حيال الحكم الإسباني. لقد تأجج رفضهم للحكم الإسباني من خلال ملتمس، قدمه وفد باعمراني إلى الملك محمد الخامس في يونيو 1957، يحث على استرجاع الحكومة المغربية لما بيد إسبانيا من سلط بالإقليم.

وفي نونبر 1957 حوصرت إفني من جميع الجهات، بعد أن استولى جيش التحرير على جميع المراكز التي كانت محتلة من قبل الجيش الإسباني. وتمثل رد فعل الحكم الإسباني في المواجهة المسلحة وفي تغيير التنظيم الإداري عبر فصل منطقة إفني عن الأقاليم التي كانت منضوية تحت اسم الصحراء المغربية.

ومنذ 1965 أخذت المساعي الدبلوماسية للحكومة المغربية تؤتي ثمارها، كما يستفاد من قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي دعا الحكومة الإسبانية إلى الإسراع بتصفية قضية إفْني. وقد نتج عن تنوع الضغوط وتواليها، إبرام اتفاقية مغربية - إسبانية في يناير 1969 تنظم عودة المنطقة إلى حوزة المملكة المغربية.

ع، المحمدي، *المجتمع الباعمراني*، ر د د. ع، كلية الاداب، الرباط.

P. De Cenival et F. De la Chapelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale de l'Afrique*, Hesp. vol XX - XXI, 1935, p. 68 ; T. G. Figueras, *Santa Cruz de mar pequena, Ifni, Sahara*, 1941 ; R. Pelissier, *Les Territoires espagnoles d'Afrique*, 1963.

علي المحمدي

أفُورَارْ، ترجع التسمية في الأصل إلى كلمة (تافورارت) أي الأرض القاحلة والجرداء، وهي التي أصبحت تشكل منطقة الحزام السقوية العصرية الممتدة من بني عياط الى تيموليلت والتي ارتبط تاريخ ظهورها مع الشروع في بناء سد بين الويدان والقناة الباطنية من سد أيت وعرضة الى دوار الثلاث ابتداء من سنة 1948 إلى 1953.

أصل السكان : يرجع سكان مدينة أفورار إلى قبائل أيت بوزيد وأيت الغم وتنقسم هذه القبائل إلى 3 أقسام : أيت الغم الجبلية وأيت اسعيد وأيت اعزة (أيت عمو، أيت اشعيب، أيت الفتاك).

وقد نزحت أغلبية هذه القبائل من بين الويدان ومن الجبال الواقعة مابين بين الويدان وأفورار.

وتنتمي هذه القبائل كلها لايت بوزيد، أما قبائل أيت عطا فهم سكان واويزغت، ومعظم سكان المركز هم من قدماء المحاربين، والموظفين.

وقد عرفت أفورار هجرة بنى اعياط، ذلك ان هذه الأخيرة تفتقر الى التجهيزات التي من شأنها ان تتحكم في استقرار السكان.

الموقع وبعض المعطيات الطبيعية : ينتمي مركز أفورار إداريا إلى دائرة واويزغت التابعة لإقيلم أزيلال، وتقع على الطريق الثانوية رقم 524 الرابطة مابين طريق فاس مراكش وأزيلال مرورا ببين الويدان. كما تخترقه طريق ثلاثية تربط مابين أفورار وتيموليلت والمؤدية إلى واويزغت.

تقع أفورار على دير أطلس بني ملال الذي ينتمي بدوره للأطلس الكبير الأوسط بحكم الطيات المتراكبة التي يتميز بها هذا الجزء من الأطلس دون باقيه (الأطلس المتوسط) الصخور السائدة هي الكلس والدولوميت المنتميان للجوراسي الأسفل (اللياس)

فالجماعة يطغى عليها الطابع الجبلي، الذي تشرف بواسطته على سهل تادلا الفسيح.

يميل المناخ إلى الجفاف، والحرارة تكون مرتفعة خلال فصل الصيف تتعدى أحيانا 40 درجة بينما تنخفض في فصل الشتاء إلى 12 درجة، أما الغطاء النباتي فهو عبارة عن أحراش متدهورة، تتكون خاصة من بعض شجيرات العرعار وكومات الدوم والزقوم التي تستخدم في رعي النحل سواء المحري منه أو الذي يتم نقله إلى المنطقة بطريقة حديثة، اي في صناديق خاصة من المناطق المجاورة كسهول تادلا وبني عمير.

إن كون منطقة أفورار منطقة جبلية لايعني أنها مكسورة بالغابة، فالغابة لا تضم سوى أنواع محدودة من الأشجار كالعرعر في الدرجة الأولي ويليه البلوط الأخضر والخروب، أما باقي المنطقة فهي تعرف تدهورا للأشجار لعدة أسباب نذكر منها الاستغلال البشري المكثف في جلب مواد تسقيف البيوت، وصنع الفحم الخشبي وفي استغلالها كمراع.

- السكان : ظهور هذا المركز رهين بسد بين الويدان والقناة الباطنية، لذا فإن عدد السكان به كان ضعيفا، ولكن في السنوات الأخيرة عرف تزايدا ملحوظا بفعل الهجرات المتوافدة إليه، ارتباطا بالتجهيزات الاجتماعية الضرورية التي أصبح يتمتع بها.

إذا كان عدد السكان لايتعدى 1562 نسمة عام 1971، فقد أصبح يعادل 5018 سنة 1982. إن المدينة تتخذ شكلا نصف دائري وتتوفر على تصميم التهيئة سنة 1982 وتتنوع فيه الوحدات الحضرية علي أحياء المكتب الوطني للكهرباء وفي القشلة والدوار الجديد وأفورار المركز.

إن المركز يتوفر على بعض التجهيزات الجماعية الأساسية والمرافق العمومية الضرورية. كما أنه يستفيد من وجود قناتين للري : الأولى في اتجاه بني عمير والثانية في اتجاه بني موسى.

ـ الأنشطة الاقتصادية المحلية : إن النشاط السائد هو التجارة المتمثلة في عدد كبير من الدكاكين والسوق الاسبوعي. كما تعرف المنطقة نشاطا أساسيا يتجلى في تربية النحل لإنتاج عسل صباريات الزقوم، وتربية الطيور الداجنة بالإضافة إلى تربية المواشي التي يطغى عليها الماعز بحكم الطابع الجبلي. وتجدر الإشارة إلى أنه يقام سنويا بالمركز موسم الولي الصالح مولاي عبد الله.

لقد شهد مركز أفورار خلال السنوات الأخيرة تطورا عمرانيا ونموا ديموغرافيا بسبب توفر التجهيزات التحتية الأساسية من إنارة و قنوات الواد الحار والماء الصالح للشرب، وكذا لتوفر عدد من المصالح الاقتصادية والإدارية.

تحريات ميدانية

عبد الرحيم بنعلي

أفُوسْ، أو"إيفس" أو " فُوسْ " جمعه إفاسْنْ يدل في كل مكان من المناطق البربرية على اليد بكاملها. على غرار اللغات الأخرى، تشير اليد في الأمازيغية أصلا، إلى كل الأماكن التي تُؤخد أو تمسك منها أو بها الأشياء، كما نجد مثلا في «يد الابريق... » أو إلى بعض أجزاء الأدوات والأواني التي تصلح للقبض، وتستعمل لفظة اليد (أفوس) كذلك للدلالة على كم اللباس، وتدل على صعيد المجردات أو المجازات على معنى الهبة أو العطاء والقدرة والاستعداد أو التأهب وإلى السلطة .

ويمكننا أن نقول مع شاكر (*Encycl. berb.*, 225) إن استعمال هذه القدرات الطبيعية والخارقة لليد (أفوس) يتطلب أحيانا «تشجيعا» «ومكافأة» أو «إكرامية» حيث نجد لدى القبايل وبسوس جملة : «تيسنْتْ أُوفُوس» تشير إلى معنى تلك الإكرامية أو المكافأةَ التَي تُعطى للحصول على توسط أو تدخل أو شفاعة من طرف صاحب سلطة روحية، ويمكننا أن نقف في هذا الصدد على مجموعة من الدلالات الرمزية تتمحور كلها حول المساعدة والتعاون المشترك والمتبادل والتضامن والوحدة .

إن كل هذه القيم والمفاهيم الرمزية المتعلقة بمعنى التآزر والتضامن، مستقاة، على ما يبدو، من صورة اليد المفتوحة التي رُبطت بها كل الأصابع الخمسة.

أُفُوس كبنية ووظيفة سوسيو سياسية وإدارية : تشير لفظة "أفوس" كما رأينا، إلى حد الآن، لدى تجمعات الطوارگ وغيرهم إلى التضامن والتماسك الاجتماعيين ؛ وهي من السمات المنظمة للمجتمع الجماعوي الأمازيغي والافريقي اجتماعيا وسياسيا وثقافيا. ومما لاشك فيه أن هذا التنظيم للمجموعات البشرية داخل القبيلة، تستلزمه ظروف دفاعية وأمنية ووقائية ضد كل مخاطر كثيرا ما تأتي من الخارج. إن التضامن والتآزر ـ هنا ـ يستدعي الكلام، جدليا، عن نقيضها أي التفكك أو الانشطار الذي يؤدي، من جهة أخرى، إلى تشكيل انصهارات جديدة لمجموعات قبلية داخل أخرى، لأننا، والقانون العام هنا هو الاحتماء بالجماعة، لازلنا في مجتمع شبه ترحالي في غالبيته لم يعرف الاستقرار إلا مع نهاية فترة التهدئة القبلية الرسمية في المغرب (1934). إن التضامنات والأحلاف بين القبائل يعني في حد ذاته وجود صراعات بين الاحلاف القبلية الموجودة في الميدان. وذلك ما يفسره ابن خلدون من خلال دينامية العصبية القبلية ؛ مازلنا نجد له أصداء في الطروحات الانقسامية بلغة أخرى .

إن لفظة «أفوس» إذن مرتبطة بجدلية الانشطار fission والانصهار fusion، أي بمحاولات السلطة المركزية لتحقيق توازنات قبلية تمكنها من تحقيق ذلك التوحيد الإسلامي في وحدة الرعايا المسلمين، باسم الاندماجية والاحتواء المخزني، في وقت أصبح فيه جسم المغرب مهددا بالتصدعات التي تحرضها وتحفزها القوى الامبريالية والكولونيالية بالتعامل المباشر مع زعامات محلية قبلة هوامشية [بالحدود] متجاوزة بذلك المؤسسة المخزنية التي تسعى كل هذه المناوشات الخارجية بالإسراع بإنهاكها وإضعافها، مرحليا، لكي تمهد بذلك لاحتلال فعلي للبلاد، كما طرأ فعلا بصفة ملحوظة خلال عهد الاستعمار.

ويدل "أفوس" من جهة أخرى على صيغة تعكس سعي المخزن لتنظيم المجموعات القبلية تنظيمًا جبائيا، وذلك ما يبدو واضحا من خلال فكرة أوردها روبير مونطاني (*البربر والمخزن*. ص. 155) : "إن اتحادية Confédération حاحا نفسها مكونة من 12 قبيلة، ولاتزال خصوصا بالمنطقة الأقل عرضة للتغير بواسطة هيمنة المخزن، محتفظة بتقسيمات داخلية صغيرة (...) فكل قبيلة، مقسمة، فعلا، إلى أخماس Khoms، لها رقعتها الخاصة، تمتد على 50 كلم2 تقريبًا، وسكان يناهزون في جملتهم 500 إلى 600 كانونًا feux مجمعة في عدة "جماعات" وفي الحقيقة، إن شمال نفس البلاد، كما لاحظ ذلك ادموند دوتي (يحتوي كذلك على أخماس)، وكل خمس ليس فقط إلا تقسيما إداريا، يمكننا أن ندرك، لأول نظرة، بأنه مؤسس من طرف المخزن لغرض وحيد هو الاستفادة من الضرائب والمساعدات. لكن تجب الإشارة هنا من جانبنا إلى أن التقسيم الخماسي لايهدف فقط إلى هدف وحيد هو كما لاحظ "دوتي" جمع الضرائب. إن له جْوانب وغايات مختلفة سنقتصر فيما بعد على ذكر أهمها. إن الخمس أو "أفوس" إذن يؤكد لنا حضور المخزن بالقبائل التي شملها ذلك التقسيم الإداري الذي هو في الحقيقة تقسيم يفيد من الناحية الجبائية والعسكرية كذلك، ما دامت بعض القبائل تُمد السلطة المركزية بالجند عندما تستدعي ظروف تهيئ الحركة ذلك. ولقد كان القياد وهو الممثلون المخزنيون محليا بالقبائل مسئولين دائما عن هاتين المهمتين، كما تؤكد ذلك جل المراسلات المتبادلة بينهم وبين السلاطين المغاربة.

إن التقسيم الإداري/الجبائي للقبائل يتم من طرف السلطة المركزية وفق اعتماد أسس ومعايير تتدخل فيها المحددات الجغرافية والبيئية والسكانية والاقتصادية؛ وذلك مايفسر تقسيم بعض المجموعات القبلية إلى "إفاسن" (أخماس) وأخرى إلى أرباع. والملاحظ أن بعض قبائل الريف (أيت ورياغل) والجنوب مقسمة إلى أخماس وخاصة "أيت عطا" الذين كانوا إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر أقوى وحدة قبيلية مغربية.

إن بعض المجموعات القبلية البربرية، خصوصا بمنطقة سوس، تعطي لكلمة "أفوس" معنى جد تقني في مجال التنظيم الاجتماعي والسياسي. وتدل لفظة "أفوس" على تضامن خمس عشائر أو إخصان (Jordan 1934, p. 16 et E. Laoust 1921, p. 240). كما أن "تاوسيت" أو "تيدكلت" paume de la main تشير، عند الطوارگ إلى مفهوم القبيلة، أي إلى تجمع عشائري (إخصان) (De Foucauld, 3 : 1953).

ولاشك أن "أفوس" يدل أحيانا على مفهوم القبيلة في بعض القبائل التي عرفت تقسيما أو تنظيما خماسيا إداريا، كما رأينا بصدد أيت عطا (G. Spillmann 1936) أيت واریاغل (D. M. Hart. 1967) وحاحا (Ed. Doutté. 1904)... لكنه الأداة المسهلة لضبط المجموعات السكانية داخل القبائل والتحكم فيها من جهة، وهي كذلك الطريقة التي تنسجم مع التقسيمات الجبائية والواجبات الدفاعية والعسكرية التي تلتزم بها بعض القبائل إزاء السلطة المركزية مقابل حفاظ المخزن على أمنها والدفاع عن كل المخاطر الخارجية التي تهدد مصالحها ووجودها.

S. Chaker, *Afus*, in *Encycl. Berbère*, t. 2, 224 - 226; J. Couleau, *La Paysannerie marocaine*, 26 - 27, Paris 1968; Ch. de Foucauld, *Reconnaissance* ; R.Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, 155 ; D.M. Hart, *Segmentary systems*, R.O.M.M , 1967, 1,3, p 65 - 95.

محمد الكير

أفُوغال، قد يرد مؤنثا كما في تافُوغالْت التي بجبل بني إزْنَاسْنْ بالمغرب الشرقي أو في صيغة الجمع : إفوغالْنْ، كما في حالة إحدى قرى وادي أغبار أحد روافد وادي نفيس. ومعنى أفوغال : الموضع العالي الذي يكون الإشراف منه على بسيط ممتد وأفق واسع. أما أفُوغالْ الذي دفُن فيه الشيخ أبو عبد الله مَحمد بن سليمان الجزولي ثم السلطان أبو عبد الله القائم السعدي قبل نقلهما إلى مراكش، فكان معدودا من أرض حاحا وصار اليوم من أرض الشياظمة في أرض فرقة أيت دْرَامنهم وذلك على مقربة من قرية تانكرت المعروفة على مسافة خمسة وثلاثين كلم من مدينة الصويرة.

E. Laoust, *Contribution*, 135. Drague, *Esquisse*, 51.

أحمد التوفيق

أفُوقَايْ، أحمد بن قاسم الحجري الأندلسي، وأفوقاي تحريف عجمي لـ " أبو القاسم" لأن الاندلسيين يكنُّون من اسمه بأبي القاسم. ويلقب أفوقاي بيبخارانو" Bejarano وهو موريسكي ولد بقرية الحجر الأحمر من ضاحية غرناطة حوالي عام 978 / 1570، نشأ بإشبيلية مسلماً في الباطن مسيحيا في الظاهر. تعلّم ماتيسر من القرآن واللغة العربية والشريعة الاسلامية من أفراد أسرته. كما أتقن الإسبانية والبرتغالية، وعرف الإنجيل والديانة المسيحية، والتوراة واليهودية. وإلى ذلك كان أفوقاي عالماً بالتنجيم والفلك والجغرافيا. وقد كتب لنفسه ترجمة مفصلة في كتابه المطوّل *رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب* الذي يعد اليوم ضائعاً باستثناء نقول منه في بعض الكتب المغربية، وفي مختصره *ناصر الدين على القوم الكافرين* الذي نشر أخيراً. وفي خاتمة كتاب *العز والمنافع للمجاهدين بالمدافع* الذي نقله من الإسبانية إلى العربية. تحدث عن نفسه منذ كان في الأندلس إلى أن خرج منها متنكرا في ربيع عام 1007 / 1599 على ظهر سفينة تحمل المؤن إلى حامية البريجة المحتلة آنذاك (مازيغن أو الجديدة)، منها انتقل إلى أزمور فمراكش حيث انخرط في سلك الكتاب كمترجم ببلاط أحمد المنصور ثم ببلاط زيدان فابنيه عبد الملك والوليد.

زار أفوقاي فرنسا وهولاندا كسفير للسلطان زيدان مطالباً بإنصاف المهاجرين الأندلسين الذين سطا على أموالهم وأمتعتهم البحارون الفرنسيون ورؤساء السفن التي أقلتهم من الشواطئ الإسبانية على إثر قرارالطرد الذي أصدره فيليب الثالث عام 1018 / 1609. وفي هذه الرحلة تعرف أفوقاي على المستشرقين الهولانديين إرْبَنْيُوس وگوليوس Erpenius et Golius وجرت له معهما ومع غيرهما من علماء أوروبا مناظرات ومكاتبات خلّدت ذكره هناك. وجاء في رسالة باللغة اللاتينية بعث بها إربِّينيوس من باريس مؤرخة في 28 شتنبر /1611 20 رجب 1020 إلى المستشرق إسحاق كازابون : " ووراء كل ما كنت أتوقع فقد وصل إلى زيارتي تاجر مغربي مسلم اسمه أحمد، وهو رجل متحضر وذكي، وكان قد درس الأدب في شبابه ويتكلم العربية الفصحى بصورة جيدة ولكن متواضعة ... وقد تناقشنا دائما في الدين، وصدِّقني فإن بعض "ضلالاتهم" لايمكن دحضها بسهولة كما يتصور كثير من الناس، فهم يمقتون "مسألة ألوهية المسيح". وقد علق جيرار فيجِرْزْ الهولاندي الذي نشر قسماً كبيراً من هذه الرسالة بنصها اللاتيني وترجمها إلى اللغة الانجليزية مبيناً خطأ بعض المستشرقين الذين وصفوا أفوقاي بالتاجر، وإنما هو عالم مسلم غيرت مناقشته آراء إربِّينيوس عن الإسلام. ومن المعلوم أن أفوقاي لما زار هولندا أقام في منزل إربنيوس وهو أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة لايدن أنشأ بداره - لعلها نفس الدار التي أقام بها أفوقاي - مطبعة عربية تطورت فيما بعد وأصبحت دار بريل "Brill" الشهيرة حتى الآن. وفيها طبع كتاب "*المقدمة الآجرومية في قواعد اللغة العربية*" باللاتينية الذي ألفه إربينيوس بمساعدة أفوقاي، ووقع إقبال عظيم على هذا الكتاب وطُبع بعد ذلك مراراً في لايدن وباليرمو وباريس وغيرها، وظل يُدْرَس بأوروبا زهاء قرنين.

وفي عام 1046 / 1636، حج أفوقاي وعرج على مصر في طريق عودته الى المغرب، فتعرف على أعلامها، ومنهم شيخ المالكية بالأزهر عليّ الأجهوري الذي أُعجب بمغامراته ومحاوراته للقسيسين الأحبار، وطلب منه أن يسجل ذلك في كتاب، فألف *ناصر الدين* المشار إليه آنفا. ويحيط الغموض بالمرحلة الأخيرة من حياة أفوقاي، ولايعرف عنه إلا أنه أتم ترجمة كتاب *العز والمنافع* بتونس عام 1048 / 1638، ونسخ بخطه كتاب *ناصر الدين* بتونس أيضا عام 1051 / 1041. ثم لاندري سنة وفاته ولا المكان الذي أقبر فيه.

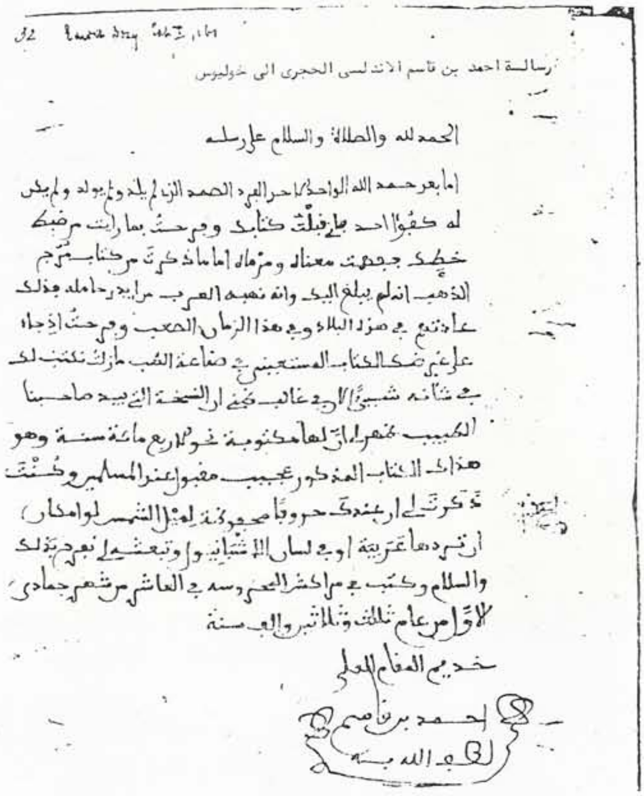
رسالة احمد بن قاسم الاندلسي الحجري الى خوليوس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسله

رسالة أفوقاي بخطه الى گوليوس الهولاندي

أفوقاي، *العز والمنافع*. (مخطوط)؛ *ناصر الدين*، الدار البيضاء 1987 ؛ م. الإفراني، نزهة ؛ م العياشي، *أزهار البستان* (مخطوط) ؛ م. الكانوني، *جواهر الكمال* ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام* ج 1 ؛ م الفاسي، *الرحالة المغاربة*، دعوة *الحق*،ع 3. دجنبر 1958 ؛ م. المنوني، *ظاهرة تعريبية*، دعوة *الحق* ،ع 3.1967 ؛ *مناقشة أصول الديانات*، *البحث العلمي*، ع 13. 1968 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية* 2 : 403 ؛ *رحلة أفوقاي إلى هولندا أوائل القرن 17*. (مرقونة) ؛ ق. السامرائي، *معرفة أربينيوس وخوليوس بالعالم المسلم أحمد بن قاسم* (مرقونة).

Levi - Provençal, *Les Historiens des chorfa* ; G. A. Wiegers, *A Learned Muslim, Acuaintance of Erpenius and Golius : Ahmed B. Kasim Al-Andalusi*. (Memoire dactylographié U. Leyde 1988).

محمد حجي

أفَـيْلال، أسرة تطوانية شريفة يتصل نسبها بالقطب مولاي عبد السلام ابن مشيش دفين جبل العلم بقبيلة بني عروس الجبلية، وأصلها من قرية الجبلية بفرقة الحيط الفوقي من قبيلة جبل حبيب، وأول من سُمي بأفيلال هو الشريف إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن علي بن أبي بكر بن محمد بن يوسف بن أحمد بن أحمد بن مولاي عبد السلام ابن مشيش.

وأول شخص من هذه الأسرة استوطن تطوان هو الشريف الهاشمي بن الهاشمي بن محمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم أفيلال المذكور. وسبب ذلك هو أن أهل تطوان طلبوا من السلطان مولاي إسماعيل سكنى الشرفاء بها تبركا بآل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانتدب لذلك واحداً من كل فرع من فروع الشرفاء العلميين، فكان الذي خرج فيه سهم من شرفاء أولاد أفيلال هو الهاشمي بن الهاشمي المذكور الذي عاش ما تيسر بتطوان ثم عاد إلى قريته الأصلية بجبل حبيب، وبها توفي سنة 1196 / 1782.

وإلى هذه الأسرة ينتمي عدد غير قليل من علماء تطوان وفقهائها وعدولها وقضاتهاأمثال :

أفيلال، أحمد بن المفضل، عالم تطواني ولد بمدينة شفشاون سنة 1276 / 1860 حيث كانت توجد أسرته منذ أن احتلت الجيوش الإسبانية مدينة تطوان، وبعد الجلاء عنها انتقل المترجم له إلى تطوان مع أبيه العالم المفضل أفيلال، فأخذ العلم عن جل شيوخها، ثم ذهب إلى فاس للدراسة بالقروين سنة 1298 / 1881. ولم يعد إلى تطوان إلاَّ سنة 1303 / 1886 حيث زاول خطة العدالة ثم عمل في ديوانة طنجة من سنة 1304 / 1887 إلى سنة 1306 / 1889. وفي السنة التالية عين بديوانة مليلية إلى سنة1310 / 1893 ومن سنة 1311 / 1894 إلى سنة 1313 / 1896 عمل أمينا للصائر بدار اعديل بفاس.

وفي سنة 1358 / 1939 عاد بصفة نهائية إلى تطوان حيث وافته المنية يوم 29 شوال 1367 / 3 سبتمبر 1948. ودفن خارج باب المقابر.

أفيلال، التهامي بن محمد. عالم فقيه، ولد بتطوان يوم 12 محرم 1260 / ثاني فبراير 1844. وصفه الفقيه الرهوني بـ "عالم الشرفاء وشريف العلماء قاضي الجماعة بتطوان الذي عمت عدالته الدنيا، والمدرس الأحفل، المشارك النزيه الأكمل، والمفتي المحرر الأنبل".

وبعد أن أتم دراسته تعاطى خطة العدالة من سنة 1285 / 1868 إلى سنة 1298 / 1881، ثم اشتغل بالتدريس بالزاوية الريسونية ابتداء من سنة 1304 / 1887 وفي سنة 1321 / 1903 تولى الإمامة والخطبة بالمسجد الأعظم، كما تولى القضاء بمسقط رأسه من سنة 1313 / 1896 إلى 23 صفر 1327 / 16 مارس 1909، ومن 14 جمادى الثانية 1328 / 23 يونيو 1910 إلى أن وافته المنية في 28 جمادى الأولى 1339 / 7 فبراير 1921. ودفن بزاوية سيدي علي بركة بالسوق الفوقي.

أفيلال، الحسن بن المفضل عالم ولد بتطوان عام 1283 / 1866. وبعد أن أخذ عن جل شيوخها ذهب إلى فاس حيث أتم دراسته بالقرويين من سنة 1307 / 1890 إلى سنة 1312 / 1894.

وفي سنة 1317 / 1897 عين موظفا بديوانة مليلية، وفي السنة التالية عاد إلى تطوان حيث تعاطى خطة العدالة واشتغل بالتدريس في عدة مساجد وزوايا بالإضافة إلى تولّيه الإمامة والخطبة بالمسجد الأعظم ابتداء من سنة 1317 / 1899. وفي السنة التالية حج بيت الله الحرام.

وفي سنة 1334 / 1916 عين خليفة قاضي تطوان إلى أن عين سنة 1345 / 1926 كاتبا بالصدارة العظمى في الحكومة الخليفية بشمال المغرب، ثم تولى القضاء بمدينة القصر الكبير، وأخيراً كان عضوا في المجلس الأعلى للتعليم الإسلامي. وكان لازال على قيد الحياة سنة 1358 / 1939.

أفيلال، عبد الله بن المفضل. عالم وفقيه، ولد بتطوان سنة 1285 / 1868 وبعد أن أخذ عن شيوخ مدينته توجه إلى فاس حيث تابع دراسته بالقرويين من سنة 1310 / 1892 إلى سنة 1316 / 1898. وفي سنة 1318 / 1900 عين موظفا بديوانة الجديدة. وبعد عودته إلى مسقط رأسه تعاطى خطة العدالة إلى أن وافته المنية سنة 1367 / 1948 ودفن بالزاوية الريسونية.

أفيلال، علي بن المفضل، فقيه تطواني ولد سنة 1281 / 1864 وبها أخذ العلم عن أشهر علمائها، وكان إماما وخطيبا بالزاوية الريسونية، ويقول عنه الفقيه الرهوني إنه "كان يبكي في الخطبة ويُبكي الحاضرين".

تعاطى خطة العدالة مدة ثم عين موظفا بديوانة مليلية من سنة 1313 / 1895 إلى سنة 1314 / 1896، وحج بيت الله الحرام سنة 1322 / 1904. وقد توفي بتطوان سنة 1362 / 1943 ودفن بالزاوية الريسونية.

أفيلال، المامون بن النادي الحسني. وصفه الفقيه عبد السلام سكيرج بـ " العالم الراسخ والشيخ المعتبر المتمسك بالحق والآخذ بالجد والصدق والمشتغل بالعلم والعمل والقاضي الذي أعطى كل ذي حق حقه".

وبعد أخذه عن علماء تطوان وفقهائها توجه إلى فاس حيث التحق بالقرويين وقضى بها بضع سنين إلى أن عاد إلى مسقط رأسه سنة 1214 / 1800 حيث تعاطى خطة العدالة إلي أن عين نائبا للقاضي في ربيع الثاني من سنة 1222 / يونيه 1807، فزاول هذه المهمة إلى أن عينه السلطان مولاي سليمان قاضيا في شهر رمضان 1231 / أبريل 1816.

يقول الفقيه أحمد الرهوني : كان المامون أفيلال شديد الشكيمة على الولاة فتضايق منه باشا تطوان القائد عبد الرحمان أشعاش وأوعز الى جماعة من أهل المدينة بتاليف وفد يتوجه الى فاس ليطلب من السلطان عزل القاضي، فكان الأمر كذلك وعزل أفيلال ترضية للباشا. وهذا غير صحيح لأن عزل القاضي أفيلال كان في أ واخر سنة 1236 / 1821 أي في الوقت الذي لم يكن فيه القائد عبد الرحمن أشعاش باشا بتطوان، والغالب علي الظن أن سبب العزل يرجع إلي كون أفيلال كان من علماء تطوان الذين وقّعوا على وثيقة مبايعة الأمير مولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد بتطوان يوم 12 جمادى الثانية 11236 / 17 مارس 1820.

تقييد بخط القاضي المامون أفيلال

توفي المامون أفيلال بتطوان يوم الاثنين 13 ربيع الثاني 1245 / 12 اكتوبر 1829 وترك *كناشة* تتعلق بأحداث تطوان من سنة 1207 إلى سنة 1221 / 1792 . 1806.

أفيلال، محمد بن التهامي. عالم وفقيه، ولد بتطوان يوم 21 جمادى الأولى 1301 / 19 مارس 1884، وبها أخذ عن أشهر شيوخها، ثم تابع دراسته بالقرويين بفاس من سنة 1322 / 1904 إلى سنة 1329 / 1911. وعند عودته إلى مسقط رأسه تعاطى خطة العدالة والفتوى، واشتغل بالتدريس، وتولى الإمامة والخطبة بالزاوية الريسونية والمسجد الأعظم.

وقد شغل منصب وزير العدل في الحكومة الخليفية بشمال المغرب أثناء عهد الحماية من سنة 1350 / 1932 إلى أن وافته المنية بطنجة يوم 19 صفر 1388 / 18 ماي 1968 ودفن بزاوية سيدي الحاج علي بركة الأندلسي بتطوان.

تراثه لم يُنشر بعدُ منه سوى كتابه المسمى *تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس*، طبع بتطوان بعد وفاته سنة 1976.

أفيلال، محمد بن الهاشمي. عالم تطواني، وصفه الفقيه سكيرج بـ "الفقيه البارع، الكوكب الساطع، والعالم المشارك النحرير، العديم النظير، ذي الفهم الثاقب والإدراك المصيب، والمدرس الخطيب"، كما قال عنه الفقيه

الرهوني بأنه كان ذا خط جميل "مولعا بكتب الفقه ونسخها" ووصفه بونشريسي وقته.

ولد بتطوان عام 1194 / 1780 وبعد دراسته الأولية بها انتقل إلى القرويين بفاس سنة 1225 / 1810 وعاد منها سنة 1230 / 1815 حيث اشتغل بالتدريس والعدالة، وكان ينوب عن قضاة تطوان في الأحكام والفرض للنفقات، كما تولى الإمامة والخطبة بجامع السويقة إلى آخر عمره. وهو أبو العالمين المفضل والتهامي أفيلال. وتوفي بتطوان سنة 1264 / 1848 ودفن خارج باب المقابر.

أفيلال، المفضل بن محمد بن الهاشمي. عالم فقيه أديب، قال عنه الفقيه الرهوني "كان في عصره مفضلا على غيره وفائقا له في العلم والحلم والسخاء والرفعة وعلو الهمة والأدب والنظم والنثر والفتوى"، كما وصفه الفقيه داود بـ "العالم والأديب المشارك في مختلف العلوم، وقد امتاز على علماء عصره بتطوان بغزارة إنتاجه وكثرة تقاييده".

ولد بتطوان يوم 6 جمادى الثانية 1239 / 7 فبراير 1824، وبعد أن أخذ العلم بها عن جل شيوخها ذهب إلى فاس في صفر 1260 / مارس 1844 وبسبب مرض أبيه عاد إلى مسقط رأسه في أواخر شعبان 1262 / غشت 1846 حيث تولى الإمامة والخطبة والتدريس بجامع للافريجة بالسويقة مع اشتغاله بالتجارة.

وفي جمادى الأولى 1266 / أبريل 1849 توجه من جديد إلى فاس لمتابعة دراسته بالقرويين، ثم رجع إلى تطوان في شعبان من السنة التالية (يونيو 1851) حيث تولى الإمامة والخطبة بمسجد الزريني وتدريس العلوم بمختلف المساجد والزوايا دون أن يترك التجارة لدرجة أنه من أجل ذلك انتقل إلى مدينة وزان في رجب 1270 / أبريل 1854 وكان له بها دكان لبيع الصوف.

وبعد عودته لتطوان في جمادى الثانية 1273 / فبراير 1857 تولى الخطبة والتدريس بالزاوية الريسونية، مع مزاولته خطة العدالة بسماط العدول.

وعند نشوب الحرب الإسبانية المغربية لعام 1276 / 1859 كان يوجد بتطوان فكان من بين السكان الذين أرسلوا عيالهم إلى مدينة شفشاون في ربيع الثاني (نوفمبر). وظل هو بتطوان مع من أراد الدفاع عن مدينته، ولم يغادرها إلا بعد انهزام القوات المغربية في معركة مرتيل ليوم 4 فبراير 1860 حيث التحق بأولاده بشفشاون، وهناك تولى التدريس بجامعها الأعظم.

وفي مدة إقامته بشفشاون قام بعدة رحلات إلى مولاى عبد السلام بن مشيش بجبل العلم، وطنجة، ومنها توجه عن طريق البحر إلى الجديدة ثم إلى مراكش خلال سنة 1277 / 1860.

وفي محرم 1278 / يوليوز 1861 انتقل مع أسرته إلى مدينة القصر الكبير حيث تولى الإمامة والخطبة والتدريس بالمسجد الأعظم. ولم يعد إلى مسقط رأسه مع أسرته إلا بعد أن غادرته قوات الاحتلال الإسبانية في شهر شوال 1278 / ماي 1862، وكانت أول صلاة أقيمت بالمدينة بعد استرجاعها الجمعة التي صلاها صاحب الترجمة بالزاوية الريسونية، هذه الزاوية التي ظل يعمل فيها كإمام وخطيب ومدرس إلى أن وافته المنية.

كان يقوم من حين لآخر برحلات سياحية حيث زار أهم مدن المغرب، وفي سنة 1290 / 1873 حج بيت الله الحرام، وبعد رجوعه وظف بديوانة تطوان دون أن يترك التدريس في المساجد والزوايا، وذلك لكثرة ولوعه به لدرجة أنه لم يكن يترك الدرس ولو في سفر أو نزهة.

ومما يشهد على مكانته الممتازة بين علماء تطوان وشرفائها وأعيانها أنه كان من بين الموقعين على بيعة تطوان للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان يوم 12 صفر 1276 / 10 سبتمبر 1859. وعلى بيعة السلطان مولاي الحسن الأول في 3 شعبان 1290 / 26 سبتمبر 1873.

وتوفي بتطوان يوم فاتح رجب 1304 / 12 مارس 1887 ودفن خارج باب المقابر، ويعد من أهم ما تركه من تقاليد *مذكراته الفريدة عن حرب تطوان*، توجد تحت الطبع بتحقيق الأستاذ ابن عزوز حكيم.

م. أفيلال، *مذكرات حول حرب تطوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، مخطوط ؛ ع. سكريج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 163 و 7 : 177 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*، مخطوط.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (A) ; Isidro de las Cagigas, *familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أقاريض (= الفلس) قبيلة تقع بأيت صواب على بعد خمسة عشر كلم من تانالت في الطريق الواصل بين تافراوت وأيت باها بالأطلس الصغير يقام بها إلى اليوم سوق الثلاثاء الأسبوعي ؛ وإليها ينسب الفقيهان : محمد بن عبد الله اليحيوي الصوابي الأقاريضي، وأخوه أحمد بن عبد الله الأقاريضي وهما أخوان ضمن أسرة يحيى الأقاريضي (القرن 12 / 18) الذي ينسب إليه أيت يحيى وقد اشتهر بالصلاح والعلم.

الأقاريضي أحمد (ت 1365 / 1945) نشأ مع أخيه محمد في نفس المسيرة التعليمية على أنه اختار المشارطة والتعليم بعد ذلك في الموضع المسمى إكبيلن إزاء مشهد محمد بن علي إندوزال ؛ وهو الذي يرجع إليه الفضل وإلى أخيه في تزويد الخزانة الأقاريضية بجزء هام من الخزانة الجشتمية بسبب مصاهرته للأسرة الجشتمية وذلك بعد وفاة الفقيه عمر بن أحمد الجشتمي (*المعسول*، 3 : 335 ـ 336).

الأقاريضي محمد بن عبد الله (ت. حوالي 1352 / 1933) حفظ، القرآن ببلده ثم لازم هو وأخوه أحمد الشيخ داوود الگرسيفي بمدرسة تانالت وغيرهما، كما أخذا عن العلامة أحمد الجشتمي وغيره، ثم شارط سنة 1315 / 1897 في قرية (وتگاديرت وغيرها إلى أن انتقل سنة 1330 / 1911 إلى مدرسة فوگرض بأيت يحيى مسقط رأسه حيث قضى بها بقية عمره ؛ وقد وصف بدماثة الخلق والزهد مع عناية بالمحفوظات وتكرار استظهارها، وأضاف إلى ذلك الاشتغال بالنساخة.

الأقاريضية ـ مدرسة ـ بقبيلة أقاريض من أيت صواب. انتقل إلى خزانتها كثير من كتب الخزانة الجشتمية بفضل مؤسسيها الأخوين أحمد ومحمد الأقاريضيين. وقد كانت بنتا أبي العباس الجشتمي تحت يدي الفقيهين الأخوين الاقاريضيين وذلك بعد وفاة عمر المذكور سنة 1349 (*المعسول* 3 : 327) ؛ وكان قد اجتمع في المدرسة الجشتمية من نفائس الكتب بسبب النفوذ الروحي للزاوية على عموم المغرب واتصال أبي العباس بالدولة العلوية حتى إنه قسم هذه الخزانة إلى شطرين أحدهما في وطنه إمي أوكشتيم والآخر في تيبوت بناحية تارودانت (*المعسول* 3 : 326 ـ 327).

يضاف إلى ذلك كله ما نسخه محمد بن عبد الله الأقاريضي ليبرق وهو الذي اشتهر بتعاطي نسخ الكتب.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 و8 ؛ *سوس العالمة*.

محمد البايك

الإقامة العامة ـ بالجنوب ـ نظمت فرنسا "حمايتها" بالمغرب بمقتضى وفق فاس الذي فرضته بتاريخ 30 مارس 1912. نص هذا الوفق على أن تعين الدولة الفرنسوية مندوبا مقيما عاما يكون نائبا عنها لدى جلالة السلطان ومستودعا لتفويضاتها بالمغرب. وقد نص الفصل الخامس من الوفق المذكور على هذا التعيين، ووصفت الفقرة الأولى منه المندوب المقيم العام بكونه الساهر على القيام بإنجاز مقتضيات معاهدة فاس.

ولما كان نظام الحماية قد سلب المغرب سيادته الخارجية بعد عهود زاهرة من التعامل الدبلوماسي الدولي البارز فقد جاء في الفقرة الثانية من نفس الفصل أن المندوب المقيم العام هو الواسطة الوحيد بين جلالة السلطان ونواب الأجانب، والمقيم العام هو مخاطب هؤلاء النواب (السفراء) في معاملاتهم مع الدولة المغربية.

أما الفقرة الثالثة من الفصل المذكور فنصت علي أمرين: أحدهما أن المندوب المقيم العام يكون مكلفا بسائر المسائل المتعلقة بالأجانب في الإيالة المغربية الشريفة، وثانيهما أن المندوب المقيم العام يتولى التفويض والمصادقة والنشر باسم الدولة الفرنسوية لجميع القوانين الصادرة من جلالة السلطان.

وهكذا أريد للمقيم العام أن يكون ممثلا للدولة المستعمرة لدى جلالة الملك وممثلا لجلالة ملك المغرب لدى الدول الأجنبية ولدى فرنسا . وقد كانت له بمقتضى مرسوم مؤرخ بـ 11 يونيو 1912، معدل بتاريخ 3 أكتوبر 1926، سلطات المراقبة على الحكومة الشريفة، وبتلك الصفة يوافق على القوانين ويصدرها سواء كانت ظهائر سلطانية أو قرارات وزارية، ويتوفر إضافة إلى ماذكر، على سلطة مباشرة في الحكم والإدارة تمارس بقرارات تصدرها الإقامة العامة تنظم كل ما يتعلق بالجالية الأوربية المقيمة في المغرب وكذا بإدارة المراقبة، وقد كان بإمكانه ان يطرد إلى خارج المغرب كل شخص فرنسي غير مرغوب فيه.

والمقيم العام هو قائد القوات العسكرية المقيمة بالمغرب والقوات المغربية العاملة معها. وهو المسئول عن حفظ الأمن والنظام . ويساعده في هذه المهمة ضابط عام يسهر على التحضير والتنفيذ في ميدان الإجراءات التي يتوقف عليها استعمال القوات البرية والبحرية والجوية.

يساعد المقيم العام في مهامه :

1 ـ الدواوين التي تهيئ قراراته وتقوم بتبليغها.

2ـ مندوب لدى الإقامة العامة ينوب عنه عند الاقتضاء، وهو مفوض في المراسلات مع وزارة الخارجية الفرنسية التي كان المغرب تحت نظام الحماية تابعا لها . يقوم بالتنسيق في بعض المهام الموكلة إليه.

3 ـ الكاتب العام للحماية، وهو المكلف بتسيير الإدارة الفرنسية بالمغرب ويساعده مفتش عام للمصالح الإدارية، وهو المنتدب لتوقيع مالا يختص الكاتب العام بتوقيعه، كما يؤشر في حالة غياب الكاتب العام أو حصول عذر له على العقود التقنينية أو التعاقدية المعروضة عليه.

وقد جرت عدة إصلاحات في الهيكل التنظيمي للإقامة العامة ما بين 1936 و 1946 كانت الغاية منها جمع كل ماله طبيعة سياسية تحت سلطة المقيم العام وجمع كل ماهو إداري تحت سلطة الكاتب العام للإقامة العامة.

فالمصالح السياسية تضم إدارة الشؤون الشريفة والكتابة السياسية وإدارة مصالح الأمن، أما مصالح الكتابة العامة للحماية فهي : إدارة الداخلية ومصلحة الموظفين ومصلحة التشريع والقسم الاقتصادي .

أ ـ إدارة الشؤون الشريفة ـ هي صلة الوصل بين الإدارة الفرنسية وبين المخزن الذي يدعى بالإدارة الشريفة، وتمارس على هذه الأخيرة مراقبة إدارية. ويتولى مستشار الحكومة مدير الشؤون الشريفة عرض ما يقترحه المقيم العام من ظهائر على جلالة السلطان ومن قرارات على الصدر الأعظم من أجل توقيعها.

وتعتبر إدارة الشؤون الشريفة، من جهة أخرى، واسطة لابد منها في علاقة المخزن بممثليه في الأقاليم.

وتماثل بنية هذه الإدارة بنية تنظيم الوزراء الذين تساعدهم وتراقبهم، ومن هذه الإدارة دائرة الدولة المكلفة بالمخزن وشؤون القصر والإدارة المغربية، وتضم مكتب الشؤون الإدارية والتشريعية والدينية، ومكتب التشريفات

ومكتب الترجمة ومكتب شؤون اليهود. ويهتم قسم العدلية بقضاء المسلمين وقضاء ممثلي المخزن وقضاء مناطق العرف، وبشؤون العبادات والتعليم الديني. وكان في هذه الإدارة كذلك قسم مهتم بالأحباس يراقب سير وزارة الأحباس.

ب ـ الكتابة السياسية، تتولى إبراز التعليمات المباشرة للمقيم العام في ميدان العمل السياسي للحكومة. وتضم دائرة تعمل على بلورة القرارات السياسية وضمان تنفيذها، ودائرة للدراسات من أجل الإصلاحات وتحسين وسائل استغلال الثروات، ودائرة لتفتيش موظفي المراقبة العامة، ودائرة تشرف على قوات الگوم والمخازنية مستخدمي المصالح الخاصة، ودائرة للأخبار والوثائق تراقب كل ماينشر ويقال ويكتب حول الحياة السياسية بالمغرب وحول مايمس بها من الشؤون الخارجية ، ومن ضمن هذا الاختصاص مراقبة العروض السينمائية والإرسال الإذاعي.

ج ـ إدارة مصالح الأمن العمومي ـ وتضم بعد إصلاح 1946 : قسم شرطة المرور والتعريف ومصلحة إدارة السجون، كما تتولى تدبير الشؤون الادارية للفيف الأجنبي والدرك.

أما المصالح التابعة للكاتب العام للحماية فهي :

ـ إدارة الداخلية ـ وأقسامها أربعة : 1) قسم الشؤون البلدية، وله الوصاية على البلديات من حيث التدبير والإدارة والمالية، كما يراقب الصنائع والفنون التقليدية 2) مصلحة التعمير المرتبطة بمدير الداخلية، وتهتم هذه المصلحة باستصلاح المدن والمراكز الحضرية. 3) قسم الشئون القروية ويهتم في المناطق القروية بما يهتم به القسم السابق في المناطق الحضرية، وتتولى مصلحة الجماعات القروية الوصاية على الجماعات في تدبير العقارات وتحسين وسائل استثمار الأرض. 4) قسم الشئون الإدارية ويمارس مراقبة الإدارة العليا للقوانين العامة.

ـ مصلحة الموظفين، وهي تابعة للمفتشية العامة للمصالح الإدارية، تنظر في وضعيات التوظيف والأجور وتشرف على مكتب التجهيز وعلى المطبعة الرسمية.

ـ مصلحة التشريع، يسيرها المستشار القانوني للحماية، وتتولى صياغة النصوص التشريعية والقانونية وتراجع مختلف المشاريع التي تعدها المصالح القانونية.

ـ القسم الاقتصادي، يسيره المستشار الاقتصادي للحماية، ويتولى تنسيق عمل مجموع المصالح المكلفة بالاقتصاد المغربي ويراقب إجراءات التطبيق. وكان تابعا له صندوق المقاصة الذي ينظم الأسعار ويضبط الواردات والصادرات بقصد ضمان التموين.

تنطبق الهيكلة الموصوفة أعلاه على فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، إذ أن الإقامة العامة عرفت بعض التعديلات قبل هذه الفترة وبعدها. ولكن دورها، وهو الأهم، ظل هو : ضمان استكمال غزو المغرب عسكريا وسياسيا وتهييء ظروف استقرار الأجانب بالمغرب وتسهيل ممارسة الاستثمار الاستعماري لفائدتهم والاستغلال الرأسمالي للمؤسسات الكبرى. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف مالت الإقامة العامة إلى تحريف مضمون وفق 30 مارس 1912 نحو حكم فرنسي مباشر للمغرب يستبعد كل مشاركة للمغاربة، وقد اضطر جهاز الإقامة العامة في سياق هذه السياسة إلى الإخلال بعدد من التوازنات الداخلية كما اضطر إلى خنق الحريات وممارسة القمع كوسيلة للمحافظة على النظام.

تولى على المغرب مقيمون عامون من عسكريين وإداريين ودبلوماسيين، ترقوا في مهامهم بالمغرب على يد ليوطي، وعادوا إلى المغرب أو أدوا خدمات جلى في مستعمرات فرنسية بإفريقيا أو آسيا أو كانوا من كبار موظفي وزارة الخارجية الفرنسية، وربما كان بعضهم من النواب والوزراء. كانوا كلهم يشتهون هذا المنصب لأنه موات للمارسة حكم واسع الصلاحيات يتيح فرصة ثمينة لتحقيق المجد الشخصي بإظهار المؤهلات الفردية، لا تكبح فيه المبادرات إلا احتجاجات ذوي المصالح الكبرى من الأجانب أو تدخلات الحكومة الفرنسية. وحتى الحكومة الفرنسية كانت في كثير من الأحيان تحدد نظرتها السياسية تجاه المغرب من خلال آراء المقيمين العامين. وقد حاول غير واحد منهم أن يسير على أثر ليوطي، لكن في ظروف مختلفة وبوسائل شخصية دون ما توفر لذلك المنظر العملي الأول.

لائحة بأسماء المقيمين العامين الفرنسيين بالمغرب في عهد الحماية 1912 ـ 1956 :

أوجين رينيو Eugene Regnault، 30 مارس ـ 27 أبريل 1912

هوبير ليوطي Hubert Lyautey، 27 أبريل 1912 ـ أكتوبر 1925 (تولى منصب وزير الحرب في فرنسا ما بين دجنبر 1916 ومايو 1917 وناب عنه في الإقامة العامة بالمغرب الجنرال گورو Gouraud)

تيودور ستيگ Theodore Steeg، أكتوبر 1925 ـ يناير 1929

لوسيان سان Lucien Saint، يناير 1929 ـ غشت 1933

هنري پونصو Henri Ponsot، يوليوز 1933 ـ مارس 1936

مارسيل پيروتون Marcel Peyrouton، مارس 1936 ـ شتنبر 1936

شارل نوگيس Ch. Nogues، شتنبر 1936 ـ نونبر 1942

گابرييل بيو Gabriel Puaux، 5 يونيه 1943 ـ مارس 1946

إيريك لابون Erik Labonne، 16 مارس 1946 . 13 مايو 1947

ألفونس جوان Alphonse Juin، 14 مايو 1947 ـ 20 شتنير 1951

أوگوستان گيوم Augustin Guillaume، شتنبر 1951 ـ 14 يونيه 1954

فرانسيس لاكوست Francis Lacoste، 14 يونيه 1954 ـ 20 يونيه 1955

جيلبير گرانفال Gilbert Grandval، 21 يونيه ـ 27 غشت 1955

بوايي دولاتور Boyer De Latour، 21 غشت ـ 12 نونبر 1955

لوي أندري دوبوا Louis-Andre Dubois، 12 نونبر 1955 ـ 2 مارس 1956

تنظيم الإقامة

المقيم العام

↓

مندوب الإقامة العامة

↓

الكتابة العامة للحماية

مصالح الإقامة العامة

↓

الدواوين	الكتابة السياسية	إدارة مصالح الأمن العمومي	الكتابة العامة للحماية
الديوان المدني الديوان الدبلوماسي الديوان العسكري والكتابة الدائمة للدفاع الوطني	القسم السياسي قسم "الدراسات" قسم التفتيش وموظفي المراقبة المدنية قسم القيادة الكوم وتفتيش حرس المخزنية وموظفي المصالح الخاصة	قسم الشرطة العامة (الشرطة العامة وشرطة المرور وشرطة التعريف العام) إدارة السجون فيلق الدرك	إدارة الداخلية الشئون البلدية الشئون القروية الشئون الإدارية مصلحة الموظفين مصلحة التشريع القسم الاقتصادي

ع. الفاسي، *الحركات الاستقلالية في المغرب العربي* ؛ م. بن الحسن الوزاني، *مذكرات حياة وجهاد* ؛ ع. غلاب، *تاريخ الحركة الوطنية*. (ببيليوغرافية وافية في كتاب شارل أندري جوليان : *المغرب في مواجهة الامبرياليات*).

Encyclopédie coloniale et maritine, Maroc, sous la direction d'Eugène Guemier, Paris, 1948 ; Ch. André-Julien, *Le Maroc face aux impérialismes* ; D. Rivet, *Lyauty*.

أحمد التوفيق

الإقامة العامة ـ بالشمال ـ Alta Comisaria de España en Marruecos ، كان يوجد مقرها بمدينة تطوان في عهد الحماية (من سنة 1913 إلى سنة 1956) وكانت مهمتها مراقبة جميع المصالح والمؤسسات الحكومية والإدارية المغربية، بالإضافة إلى تسيير جميع المصالح والإدارات الإسبانية المحدثة في شمال المغرب وجنوبه الموضوع تحت الحماية الإسبانية بمقتضى المعاهدة الفرنسية ـ الإسبانية المبرمة يوم 27 نوفمبر 1913 والمصادق عليها بظهير السلطان مولاي يوسف بتاريخ 6 جمادى الثانية 1331/ 14 ماي 1913. ذلك لأن الفصل الأول من المعاهدة المذكورة ينص على أن المنطقتين الموضوعتين تحت الحماية الإسبانية بشمال المغرب وجنوبه سيتولى تسييرهما خليفة يعينه السلطان باقتراح من الحكومة الإسبانية يكون مراقبا في عمله من طرف مقيم عام إسباني Alta Comisaria تعينه حكومة مدريد.

وقبل أن يتم التصديق على المعاهدة المذكورة أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما ملكيا بتاريخ 27 فبراير 1913 يحتوي على "التعليمات التنظيمية للعمل الإسباني بالمغرب التي يجب تطبيقها إلى أن تتم المصادقة على معاهدة الحماية"، هذه التعليمات تنص على أن الحاكم العسكري العام بمدينة سبتة هو الذي سيتولى منصب المقيم العام الإسباني بالمغرب. ولم يصدر هذا المرسوم الإسباني إلا بعد أن كان الحاكم العسكري العام بسبتة الجنرال ألفاو Alfau قد احتل تطوان يوم 19 فبراير من نفس السنة وجعل منها عاصمة منطقة الحماية الإسبانية.

وبعد أن تمت المصادقة على معاهدة 27 نوفمبر 1912 أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما ملكيا بتاريخ 24 أبريل 1913 يحدد اختصاصات المقيم العام المدنية والعسكرية. وفي 4 أكتوبر من نفس السنة مُنح المقيم العام درجة قبطان جنرال لتكون رتبته فوق رتبة سائر الجنرالات رؤساء مقاطعات سبتة والعرائش ومليلية.

وفي يوم 24 يناير 1916 صدر القانون الإسباني لإدارة منطقة الحماية الإسبانية، وفي 25 يناير 1919 صدر مرسومان ملكيان، الأول يقضي بوضع مناطق "السيادة" الإسبانية بالمغرب تحت نظر المقيم العام، والثاني يخول المقيم العام درجة وزير الدولة في الحكومة الإسبانية. كما صدر يوم 12 مارس من نفس السنة مرسوم ملكي آخر خاص بالنظام الداخلي للإقامة العامة والمصالح التابعة لها. وفي يوم 15 غشت صدر المرسوم الملكي الذي بمقتضاه حددت من جديد اختصاصات المقيم العام العسكرية والمدنية. وبمقتضى المرسوم الملكي الصادر يوم 18 يناير 1924 وسعت دائرة اختصاصات المقيم العام حيث لم يعد ملزما بأخذ رأي الحكومة إلا فيما تكون هذه الأخيرة مسؤولة عنه أمام الرأي العام الإسباني، وهذا ما أقره القانون المصادق عليه بالمرسوم الملكي الصادر يوم 12 يوليوز من نفس السنة الذي ظل العمل جارياً به إلى أن تمّ تغييره بالمرسوم الجمهوري ليوم 29 ديسمبر 1931، ومرسوم 15 فبراير 1935.

أما النظام الأساسي النهائي الذي سارت عليه الإقامة العامة خلال الحكم العسكري فقد صدر به قانون الجنرال فرانكو Franco ليوم 8 نوفمبر 1941 وظل العمل جاريا به إلى أن استقل المغرب يوم 17 أبريل 1956. كان المقيم العام تابعا لرآسة الحكومة الإسبانية مباشرة، وذلك عن طريق المديرية العامة للمغرب والمستعمرات. Direccion General de Marruecos colonis التي تم إنشاؤها يوم 15 ديسمبر 1925، وكان ينوب عن المقيم العام في غيابه الكاتب العام الذي أصبح يعرف بالنائب العام ابتداءً من سنة 1941.

ومن أهم اختصاصات المقيم العام أنه كان هو الذي يصادق على الظهائر الخليفية ويأمر بنشرها في الجريدة الرسمية، كما كان نائبه في الأمور الوطنية يصادق على قرارات الصدر الأعظم في الحكومة الخليفية. وتجدر الإشارة إلى أنه منذ سنة 1919 أصبح المقيم العام هو الذي

يمثل حكومة بلاده فقط في منطقة الحماية بشمال المغرب وجنوبه بل كذلك في النواحي والمدن التي كانت إسبانيا تعتبرها تابعة لسيادتها مثل : مدينتي سبتة ومليلية والجزر المتوسطية في الشمال، ومقاطعات إفني والساقية الحمراء ووادي الذهب في الجنوب، وذلك بمقتضى مراسيم 25 يناير 1919 و 10 أبريل 1930 و 19 يوليوز و 29 غشت 1934.

وفيما يلي قائمة بأسماء المقيمين العامين الإسبانيين الذين تعاقبوا على كرسي الإقامة العامة منذ 13 أبريل 1913 إلى 7 أبريل 1956، وعددهم 22 مقيما عاما، مع العلم بأن ثلاثة منهم زاولوا نفس المهمة مرتين وهم الجنرال سانخورخو Sanjurjo والجنرال أورگاث Orgaz والمدني موليس Moles.

أ ـ في العهد الملكي :

1 ـ الجنرال الفاو Alfau 1913

2 ـ الجنرال مارينا Marina (1913 ـ 15)

3 ـ الجنرال خوردانا Jordana (الأب : 1915 ـ 18)

4 ـ الجنرال بيرينگيز Berenguez (1919 ـ 22)

5 ـ الجنرال بورگيطي Burguete (1922)

6 ـ الدبلوماسي سيلفيلا Silbela (1923)

ب ـ في عهد الحكم العسكري :

7 ـ الجنرال ايثبورو Aizpuru (1923 ـ 24)

8 ـ الجنرال بريمو ذي ريفيرا Primo de Rivera (1924 ـ 25)

9 ـ الجنرال سانخورخو Sanjurjo (للمرة الأولى: 1925 ـ 28)

10 ـ الجنرال خوردانا Jordana (الابن : 1928 ـ 31)

ج ـ في العهد الجمهوري :

11 ـ الجنرال سانخورخو Sanjurjo (للمرة الثانية : 1931)

12 ـ الدبلوماسي لوبيث فيرير Lopez Ferrer (1931 ـ 33)

13 ـ المدني موليس Moles (للمرة الأولى : 1933 ـ 34)

14 ـ المدني ريكو أفييو Rico Avello (1934 ـ 36)

15 ـ المدني موليس (للمرة الثانية : 1936).

د ـ في العهد الديكتاتوري :

16 ـ الجنرال فرانكو Franco (1936)

17 ـ الجنرال أورگاث Orgaz (للمرة الأولى : 1936 ـ 37)

18 ـ الكولونيل بيگبيدير Beygbeder (1937 ـ 39)

19 ـ الجنرال اسينسيو Asencio (1939 ـ 41)

20 ـ الجنرال أورگاث Orgaz (للمرة الثانية : 1941 ـ 45)

21 ـ الجنرال فاريلا Varela (1945 ـ 1951)

22 ـ الجنرال فالينيو Valiño (1951 ـ 1956)

والمصالح المركزية التابعة للإقامة العامة التي كان مقرها بتطوان ولها مصالح جهوية ومحلية في جميع أنحاء المنطقة كانت تعرف في أول الأمر بالمديريات ثم تحولت إلى نيابات على النحو التالي :

1 ـ النيابة العامة Delegacion General

2 ـ نيابة الأمور الوطنية Delegacion de Asuntos Indigenas

3 ـ نيابة المالية Delegacion de Hacienda

4 ـ نيابة الأشغال العمومية والمواصلات Delegacion de Obras Publicas y Cominicacion

5 ـ نيابة الاقتصاد والصناعة والتجارة Delegacion de Sunomia, Industria y Comercio

6 ـ نيابة التربية والثقافة Delegacion d'Educacion y Cultura

7 ـ مفتشية القوات الخليفية Inspeccion de Fuegaz Jalifinas

8 ـ مراقبة البحرية العامة Inspeccion Principal de Marina

9 ـ المحاكم الإسبانية الخليفية Tribunales Hispano - Jalifianos

وقد سلمت جميع هذه الإدارات باستثناء الإقامة العامة إلى السلطات المغربية بمقتضى التصريح المغربي الإسباني ليوم 7 أبريل 1956، واحتفظت إسبانيا بالمصالح الجهوية والمحلية التي كانت توجد بمنطقة طرفاية بجنوب المغرب والتي لم يتم تسليمها إلا في شهر أبريل من سنة 1958.

Buletin Oficial de la Zona de Protectorada de España en Marruecos. Madrid-Tetuan 1913 - 1956 ; Lopez Olivan, Julio. *Legislacion vigente en la Zona de Protectorada Española en Marruecos*. 4 vol, Madrid 1931 ; Velez Villanueva, *Jaaquin Recopilacion legislativa de Marruecos*. Madrid 1917 ; Ruiz-Bravo, *Estanislo / Udice legislativo de la Zona de protectorada de España en Marruecos*. Madrid 1945 - 1956.

أقْجَاوُجْ، أسرة تطوانية، أصلها من ناحية جبالة. وكان منها المسمى الحسن أقجاوج الذي كان يلبس المرقعة ويظل يذكر الله في الأسواق، إلى أن توفي في حدود سنة 1290 / 1873، بطنجة. وقد انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 187 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 337 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (Q) Isidro de las Cagigas, *Familia tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones (año 1931)* 1932 (Q). M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

الأقرع، محمد بن سليمان اللمطي. أحد زعماء فاس خلال فترة الاضطراب التي تلت وفاة أحمد المنصور السعدي (1012 / 1603) وتنازع أبنائه على الملك. تزعم الأقرع أهل فاس القديم بعد مقتل الزعيمين الشريف سليمان والفقيه المربوع في 5 صفر 1026 / 12 فبراير 1617، بينما كانت فاس الجديد تحت نظر الأمير عبد الله بن محمد الشيخ المامون، وكان يحاول استمالة أهل فاس القديم. فيميلون إليه تارة ويقدمون أحد أعيانهم تارة أخرى. وقد خرج محمد بن سليمان لقتال فاس الجديد، فثارت عليه فاس القديم وتخلت عن دعوته. وفي هذه الحركة قتل محمد بن سليمان سنة 1029 / 1619 / 1620.

م. القادري، *نشر المثاني*، 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 6.

عبد الطيف الشاذلي

أقرمود، اسم مكان يقع بساحل الشياظمة، ببلاد أيت عيسى أو أولاد عيسى، وبه دفن أبو بكر الشماس وولده صالح من رجال ركراكة.

ويبدو أن هذه الكلمة مأخوذة من "القرمد" وهو لفظ رومي تكلمت به العرب قديما كما جاء في *لسان العرب*. وربما كان أقدم اسم من هذه المادة أشارت إليه مصادر التاريخ الإسلامي بالمغرب هو "القرمدة" أو "المقرمدة" وهو المكان الذي نزل به إدريس الأزهر بعدوة القرويين بعد أن أتم بناء عدوة الأندلس. وتوجد به الآن دار القيطون وجامع الشرفاء والضريح الإدريسي. وهناك أيضا في ضواحي فاس قرية "المقرمدة" التي تردد اسمها كثيرا في تاريخ المغرب الوسيط والحديث. كما اشتهر "رأس القرمود" وهو بطن من بطون قرية بًا محمد بناحية فاس.

أنبتت بلدة أقرمود بالشياظمة عدداً كثيراً من العلماء والأولياء المشهورين، والنسبة إليها بحذف الهمزة : قرمودي.

ع. ابن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. الجزنائي، *جنى زهرة الآس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 2 : 221 ؛ ع. بنبعد الله، *الموسوعة*، 4 : 101.

Nomenclature des tribus, Rabat, 1956, p 15.

محمد الشياظمي

أقْرِّيش، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لازالت هناك أسرة إسبانية تحمل نفس الاسم Acriz. وقد انتقلت من الأندلس إلى ناحية الريف، ومن هناك جاءت إلى تطوان في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، ومنها التاجر محمد بن عبد العزيز أقرِّيش الذي كان حيا سنة 1296 / 1879.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* 3. 26 ـ 27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2. 330 ؛ *تاريخ تطوان*،8 : 212 و 352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

أقَسُّو، علي. ولد سنة 1924 بأيت تُودْرت، أيت إبراهيم، أيت لحسن مرموشة، إقليم بولمان. شارك في صفوف جيش التحرير والمقاومة ضمن تشكيلة السيد ميمون أُعَقّ في الهجوم على مركز لصد المحتل الفرنسي اثناء الغارة التي قامت بها فرقة من القوات الفرنسية على المركز المذكور، وأثناء الهجوم عاد إلى منزله لجلب بندقيتين، فاغتاله الجنود الفرنسيون رميا بالرصاص وذلك يوم 4 أكتوبر سنة 1955.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير ـ الرباط.

عز الدين العلام

أقْشّـار، أسرة تطوانية أصلها من الريف ومعناه باللهجة الريفية "الأقرع"، وجل أفرادها كانوا يعملون بالجيش كضباط أو جنود سنة 1246 / 1830، مثل القائد عبد السلام بن عمر، والقائد سليمان بن حمو والجندي في البحرية عبد السلام بن الهاشمي والجنود أحمد بن محمد وعبد القادر بن عبد السلام وعلال بن أحمد، وكلهم كانوا بفرقة المدفعية. وهناك فقيه اسمه عبد السلام ابن عبد السلام أقشار كان يتعاطى خطة العدالة ويؤم ويدرس بمسجد المصِيمدي بحي النيارين إلى أن توفي سنة 1339 / 1921.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراورين* ؛ 3 : 26 ـ 27 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان* 8 : 212 و352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

محمد ابن عزوز حكيم

أقَشّـار، بوشعيب بن محمد، ولد ببني ورياغل سنة 1921. وفر من صفوف الجيش الإسباني والتحق بجيش التحرير المغربي بأيت باعمران، وشارك في عدة هجومات على مراكز الجيش الفرنسي بسيدي إفني، إلى أن استشهد في إحدى الهجومات التي شنها المجاهدون على أحِد مراكز العدو وذلك سنة 1957.

بوشعيب أقشار

أقَشّار، عبد الله بن عمر. ولد سنة 1920 ببني بوجطو بناحية تازا. انخرط في جيش التحرير ضمن الفرقة التي كان يرأسها محمد العجوري والتي كانت متمركزة بتيزي وسلي إلى أن استشهد بمعركة قرب هذا المكان، وذلك بتاريخ 22 أكتوبر سنة 1955.

عبد الله اقشار

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير ـ الرباط.

عز الدين العلام

أقْشُوشُو، أسرة تطوانية يقال إنها بقية أسرة آل النقسيس التي حكمت تطوان مدة طويلة وتعرضت لعدة نكبات، وكان من أسرة أقشوشو الفقيه محمد بن عبد المجيد الذي اشتهر بمهارته في تسفير الكتب، وكان حيا سنة 1301 / 1884. ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين* 3 : 26 ـ 27، م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330، *تاريخ تطوان*، 8 : 212 و352 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (Q) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (Q) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أقَصْبِي، عبدالرحمان، كان أمينا بمرسى الدار البيضاء بمعية الأمين العربي فرج خلال السنوات 1285 ـ 1288 / 1868 ـ 1871. ولهما مراسلات كثيرة مع وزيري المالية والخارجية، وتقاييد تاريخية مفيدة، على ضعف أسلوبهما، إذ يبدو أنهما كان تاجرين لا طالبين. ويتجلي من خلال المراسلات المشار إليها الثقة التي كانت للمخزن في الأمين عبد الرحمان أقصبي ورفيقه، في وقت بلغ فيه تلاعب الأمناء بمداخيل المراسي واستحواذهم على أموال الدولة منتهاه. ومما يؤكد هذه الثقة توكيل المخزن الأمينين أقصبي وفرج في استصفاء أموال الحاج محمد أملاح أمين مرسى الصويرة بعد استغراق ذمته.

وثائق الخزانة الملكية ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان*، ج. 2 و 3.

أقَصْبِي، محمد بن الحسن، عالم مشارك محقق، من تلاميذ الشيخ الطيب ابن كيران، اشتغل طوال عمره بالتدريس والتأليف. من مؤلفاته : *شرح مشارق الأنوار* للصغاني، وشرح *مختصر السعد*، وشرح *أرجورة الاستعارة* للطيب ابن كيران، و*حاشية على شرح قدورة* للسلم إلى غير ذلك. مات بالطاعون في 16 شعبان عام 1250 / 18 دجنبر 1834 من غير عقب، ودفن بالقباب من مطرح الأجلة (أو الجنّة) خارج باب الفتوح بفاس.

ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، عام 1250.

محمد حجي

أقَصْبِي، محمد بن عبد المجيد، صهري وشيخي، صحبته سنين طويلة في فاس والرباط وكانت له محبة بالغة في آل البيت، واعتقاد في وفي أولادي، وتقدير كبير لتضحياتي في سبيل وطني، ولو أني ـ والحمد لله ـ لم أدع قط كرامة ولا خصوصية. وقبل وفاته أوصى أولاده أن يعتبروني كوالدهم ويرجعوا إليّ في ملماتهم.

وقد طلبت منه يوما أن يملي علي ترجمة حياته، فلبى طلبي، وسجلت ما سمعته منه في دفتر جيب، وهو المادة الأساسية لهذه الترجمة.

ولد بمدينة فاس في العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر ـ حوالي 1295 / 1878 تقريبا ـ وبها حفظ القرآن الكريم، وتعلم القراءات وأتم ذلك بمدينة القصر الكبير، حين صحب والده لما عين ناظرا للأوقاف بها عام 1307 / 1899. والتحق بجامع القرويين أول مرة في ربيع الأول عام 1311 / 1893 ومكث فيها اثنتي عشرة سنة يأخذ عن علمائها المبرزين، أمثال الحاج مَحمد ـ فتحا ـ گنون المعروف بگنيون ـ، ومحمد القادري، وأحمد بن الخياط، وأحمد بن الجيلاني، وعبد السلام الهواري، وحماد الصنهاجي، ومحمد بن التهامي الوزاني، وأحمد بن المامون البلغيثي، وعبد العزيز بناني، وقرأ كثيرا على العم محمد بن جعفر الكتاني، وأخذ علم التوقيت عن العالمين الكبيرين : المكي ابن سودة، ومحمد بن علي الأغزاوي، كما درسه على أحمد ابن موسى السلوي أيام توظفه بفاس.

محمد بن عبد المجيد أقصبي

لم يكد أقصبي يتخرج من القرويين عالما فقيها مشاركا حتى تصدى للتدريس فيها وفي مختلف المساجد ـ كما هي عادة العلماء ـ وعندما تأسست المدارس المزدوجة اللغة، بعد الحماية، عين معلما بمدرسة أبناء الأعيان ـ بدرب بني عدس ـ ومدرسا بالثانوية الإدريسية، ثم انتقل للرباط لما اختاره السلطان المولى يوسف لتعليم أبنائه الأمراء. وبعد وفاة السلطان عاد لفاس مدرسا بالقرويين والثانوية الإدريسية، ثم أعاده محمد الخامس ـ رحمه الله ـ إلى الرباط عضوا بمجلس الاستيناف الشرعي، ومعلما داخل القصر للحريم والأمراء. وكان جلالته يوليه عناية فائقة، ويتفقد أسرته كل يوم.

امتاز الفقيه أقصبي بقوة العارضة، والقدرة الفائقة على التفهيم، لاسيما في المعقولات، والنحويات، والرياضيات من حساب وتوقيت وتعديل، والفقهيات. وكانت دروسه في الشرح (المطول) لسعد الدين التنفازاني لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة مشهورة بين نجباء الطلبة، والذين درسوا المطول من بعد كانوا يتباهون بها بين طلبتهم.

وهو آخر من درس مدونة سحنون بالقرويين ـ بعدما انقطع تدريسها أجيالا عديدة، وذلك عندما أسند له التدريس بالكرسي المواجه لخصة العين بالبلاط الأول من الجامع بعد وفاة شيخه سيدي أحمد بن الجيلاني الذي كان يدرس به *مختصر خليل*. إلى دماثة أخلاق، واستقامة وبعد عن الشبهات.

وقد حضرت دروسه في مغنى اللبيب لابن هشام، وشرح *ابن القاصح على الشاطبية* في القراءات، وشرح *التاودي ابن سودة على لامية الزقاق* في علم القضاء.

وخلف المترجم عددا من المؤلفات لها علاقة بما تلقاه عن شيوخه بالقروين وتلقاه عنه طلبته بها، منها :

1 ـ *اتحاف الفئة المبتغية، لحل أقفال شرح الرسالة الفتحية*، وهي حاشية على الفشتالي على *الرسالة الفتحية* لسبط المارديني في الربع المجيب في التوقيت، في عشرين كراسا.

وقد قال عنها شيخنا الذي أحيا الله به هذا العلم سيدي محمد بن محمد العلمي في حاشيته على الشرح المذكور : "والمقام يسع كلاما عريضا في بقية مبادئ هذا العلم، وقد أوسع فيه وأشبع، وأفاد وأجاد وأقنع، صاحبنا العلامة المحقق، أبو عبد الله محمد بن عبد المجيد أقصبي في حاشيته الحفيلة على هذا الشرح. المسماة *بإتحاف الفئة المبتغية*... فعليك بها، ولولا إسعاف بعض الراغبين في كتابة هذا التعليق المختصر المناسب لإدراك المتدئين، لم يكن للكتابة بعد على هذا الشرح فائدة ! سيما والحاشية لم تظهر بعد للوجود، ولا زالت في حكم المفقود، يسر الله على مؤلفها في نشرها، ونفع العموم والخصوص بها (ص. 9) وناهيك بها شهادة من خبير !.

2 ـ *النور اللائح، على شرح ابن القاصح ـ على الشاطبية* في القراءات في مجلد.

3 ـ *حاشية على شرح منية الحساب* لابن غازي.

4 ـ *تاريخ ملوك المغرب*، في نحو ثمانين ورقة.

5 ـ *النصفية، للألفية*، وهي أرجوزة في النحو اختصر فيها ألفية ابن مالك في خمسمائة بيت فقط : *(المنحة الوفية)*.

6 ـ مع *تعليق* عليها.

7 ـ *القواعد النحوية*، أو التمارين القرآنية في النحو في نحو أربعين ورقة.

8 ـ *منظومة في التوحيد* في 70 بيتا تشتمل على العقائد موضحة بدون دليل.

9 ـ شرح *منظومة في أمثلة التوافق والتداخل والتماثل والتباين* (في علم الفرائض) ـ ولم يذكر لي اسم الناظم ـ .

10 ـ *تعليق* على موانع ظهور الإعراب.

11 ـ *أوراق في السواك*.

12 ـ *تحرير المقال، في الإنشاء والخبر على الإجمال*، في نحو أربع ورقات.

13 ـ *تعليق على المطول* في مواضع متفرقة.

14 ـ *بهجة الجنان وتنوير الصدر، بقصة يوم الفرقان وشرح أهل بدر*. خ. ح. 7036 / 7062.

15 ـ *بيان صور الكواكب* (نبذة في ...) خ. ح. 7044.

16 ـ *تخميس البردة وتلخيص نشر الوردة*، خ. ح 7725.

17 ـ *تمهيد الدروس النحوية على الخلاصة الألفية*، خ. ح. 7052 ـ 7048.

18 ـ *تعليق على الفتوحات القيومية* لأبي العباس السوداني، خ. ح. 7061.

19 ـ *تعليق على كشف الأسرار* للقلصادي. خ. ح 7042.

20 ـ *تعليق على الشرح الكبير لبحرق على لامية* الأفعال. خ. ح. 7040.

21 ـ *حاشية على شرح حرز الأماني*. خ. ح. 7041.

22 ـ *حاشية على شرح لامية الزقاق* للتاودي ابن سودة. خ. ح. 7033.

23 ـ *حاشية على شرح القصيدة الخزرجية* للزموري. خ. ح. 7034.

24 ـ *حاشية على شرح حرز الأماني*. خ. ح. 7038.

25 ـ *دروس في التصريف*. خ. ح. 7054.

26 ـ *دروس فقهية* محاذية لتحفة ابن عاصم. خ. ح. 7051.

27 ـ *شرح منظومة في موانع ظهور الإعراب* لمحمد بن عبد المجيد بن كيران. خ. ح. 7043 / 1348 د .

28 ـ *شرح أبيات في انكسار السهام على نصفين*. خ. ح. 7091.

29 ـ *شرح السلم* المرونق للأخضري. خ. ح. 2220.

30 ـ *العقائد المهمة* لنفع صغار الأمة (رجز في العقائد) خ. ح. 7030 / 7058 / 9457.

31 ـ *محاضرات في الأخلاق*، خ. ح. 7047 ـ 7046.

32 ـ *محاضرات في التاريخ الحديث*. خ. ح. 7057.

33 ـ *محاضرات في التعليم*، خ. ح. 7060.

34 ـ *المنحة الوفية التي هي لخلاصة ابن مالك تصفية* مع تعليق عليها، خ. ح. 7031 ـ 9542.

35 ـ *نبذة في تاريخ المغرب الأقصى*، خ. ح. 7039.

36 ـ *نصيحة في الحض على العلم*، خ. ح. 7065 ـ 7064.

37 ـ *ختمة نظم لابن بابا الشريف العلوي*، خ. ح. 7063.

وبلغني أن أولاده أهدوا مؤلفاته لصاحب الجلالة الحسن الثاني الذي أمر بوضعها في الخزانة الحسنية بالرباط.

توفي ـ رحمه الله ـ بالرباط ثاني عشر شعبان عام أربعة وستين وثلاثمائة وألف / 23 يوليوز 1945 ودفن بمقبرة مولاي أحمد بن علي الوزاني المقابلة لضريح مولاي المكي بزنقة سيدي فاتح.

الحسن الثاني ملك المغرب، *التحدي*، ص. 32 ؛ *كناشة خاصة* من إملاء المترجم، وكان أحد أقاربه قد ألقاها في صباح القبر، ونشرت بجريدة السعادة غير منسوبة، وعنها أخذ بعض من سيذكرون بعد ؛ ع. ابن سودة، *اتحاف المطالع* 1364 مرقون ؛ *دليل*، ج. 1 ؛ ع. الجراوي، *أعلام الفكر المعاصر*، ج. 2 ؛ محمد العلمي، *حاشية على شرح الرسالة الفتحية*، ص. 9 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 101 ـ 102.

محمد إبراهيم الكتاني

أقصري ← **أكادير** (إقليم ـ)

الإقطاع، نمط من أنماط امتلاك الأرض خاص بالعالم الإسلامي. إنه إنعام قصد الاستغلال يخضع للعشر كأي ملك إسلامي، ويكمن في وضع الإمام تحت تصرف المقطع (بضم الميم وفتح الطاء) قطعة أرض قصد استغلالها والانتفاع بمواردها. ولا يجوز الإقطاع إلا فوق الأراضي الخراجية التي تخلى عنها أصحابها أو التي فتحها المسلمون عنوة. ومن شروطه الإحياء، وذلك بحفر بئر بالقطعة، أو بناء سكن بها، والعمل على ريها، وتجفيفها إن كانت مستنقعة، وغرسها وما إلى ذلك. وتكون تكاليف هذا الإحياء على المُقطَع. وعند عدم إحياء الأرض فانها تعود لبيت المال ؛ ذلك أن الإقطاع يبقى تحت رقابة الدولة ويخضع لتدخل الإدارة القضائية والضريبية، وينبغي أن يكون مستحقا.

الإقطاع نوعان : إقطاع استغلال وإقطاع تمليك. أما إقطاع الاستغلال، فموضوعه الخراج والجزية، ويستفيد منه أهل الجيش دون سواهم .ويمكن أن يستمر أكثر من سنة في حالة الخراج، أما في حالة الجزية، فلا يجوز ذلك، إذ بإمكان الذمي أن يعتنق الإسلام .وعند موت المقطع، يعود الإقطاع لبيت المال، ولا يرثه أبناؤه الذين "يدخلون في عطاء الدراري" (صبح ، 13 : 116).

أما إقطاع التمليك، فموضوعه الأرض مواتا كانت أوعامرا، وكذلك المعدن، وتصبح الأرض بعد إقطاعها، خاضعة، كأي أرض في ملك المسلمين، لضريبة العشر، وقابلة للتفويت. وتعتبر مواتا كل أرض هلك أربابها أو تخلوا عنها فخربت وأصبحت عاطلا، أو لم يسبق أن كانت في ملك أحد. ومن شروط تمليكها الإحياء. وأما الأرض العامر، فلا تقطع متى عرف أربابها، وفي حالة ما إذا لم يعرفوا، أو هلكوا دون ترك وارث يستغلها، فإنها، تصبح ملكا لبيت المال، ولا يجوز أن تقطع أوتباع إلا من أجل مصلحة عامة.

أما المعادن، فيميز الفقهاء بصددها بين معادن ظاهرة ومعادن باطنة. والظاهرة هي "ما كان جوهرها المستودع فيها بارزا كمعادن الكحل والملح والقار والنفط" (*الأحكام*، 174) وإقطاعها لا يجوز، مثلها مثل الماء كل الناس فيه سواء يأخذه من ورد إليه."فإن أقطعت هذه المعادن الظاهرة لم يكن لإقطاعها حكم، وكان المقطَع وغيره فيها سواء، وجميع من ورد إليها إسوة مشتركون فيها، فإن منعهم المقطَع منها كان بالمنع متعديا، وكان لما أخذه مالكا، لأنه متعد بالمنع لا بالأخذ" (ن .م، 174). وأما المعادن الباطنة، وهي "ما كان جوهرها مستكنا فيها لا يوصل إليه إلا بالعمل كمعادن الذهب والفضة والصفر والحديد" فيرى بعض الفقهاء أن إقطاعها جائز، ويتعلق الأمر في رأي فريق بإقطاع تمليك، وفي رأي فريق آخر بمجرد "إقطاع إرفاق لا يملك به [المُقْطَع] رقبة المعدن، ويملك به الارتفاق بالعمل فيه مدة مقامه عليه، وليس لأحد أن ينازعه فيه ما أقام على العمل، فإذا تركه زال حكم الإقطاع وعاد إلى حالة الإباحة" (ن. م، 175).

ابتداء من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، أخذ إقطاع الاستغلال يتحول إلى إقطاع تمليك، وبذلك "صارت الإقطاعات ترد من جهة الملوك على سائر الأموال من خراج الأرضين، والجزية، وزكاة المواشي، والمعادن، والعشر، وغيرذلك، ثم تفاحش الأمر وزاد حتى أقطعوا المكوس على اختلاف أصنافها" (صبح، 13 : 117)، وذلك لا لفائدة الجند فحسب بل لفائدة ذوي السلطان من أبناء الإمام ومن أمراء وغيرهم.

لم تبق هذه الإقطاعات خاضعة لمراقبة بيت المال، بل أصبحت تنتقل إلى ذرية المقطَعين أو غيرهم عن طريق الميراث، والبيع، والهبة، والوقف، والإجارة، والمزارعة، وغير ذلك من الوجوه التي تنتقل عليها الأملاك. وكل ما صار يشترط على المقطع هو التأهب لخدمة السلطان، والطاعة له، ودفع أجرة سنوية عن القطيعة.

الإقطاع بالمغرب : اختلف الفقهاء فيما إذا كانت أرض المغرب فتحت عنوة أو صلحا أو مختلطة. ويرى مالك أنها فتحت عنوة ؛ من ثم لا يجوز بيعها. وهذا ما يفسر حق الرقابة التي يمارسها المخزن على مجموعة من الأملاك لا يمكن بيعها أو شراؤها إلا بإذنه كالغابات، وأراضي الجيش، والأراضي المهملة التي لامالك لها، والأراضي الجماعية، وأملاك الأحباس، وكذا المعادن.

واعتبار أرض المغرب فُتحت عنوة يفسر إخضاعها للخراج، وأول من ألزم الخراج بالمغرب عبد المومن بن على، كما يفسر جواز إقطاعها.

وترجع بداية الإقطاع بالمغرب إلى يعقوب المنصور، ثم نهج نهجه من تبعه من مرينيين وسعديين وعلويين. وكانوا يقطعون الأرض لبعض القبائل ـ وهي التي صارت تعرف بقبائل الجيش (الگيش) ـ على شكل انتفاع مقابل خدمة عسكرية، وأحيانا لأسباب سياسية، كأن يشطب على بعض هذه القبائل من لائحة الجيوش، فتنقل إلى أماكن أخرى، أو تتحول إلى مجرد قبائل نائبة (النائبة ضريبة تقوم مقام الخراج، أول من أحدثها محمد المهدي الشيخ).

كان الإقطاع وسيلة لمجازاة القبائل الموالية للمخزن، كما كان كذلك وسيلة لكسب القبائل التى تخشى شوكتها ولإدماجها في النظام القائم، إلا أن هذا الإقطاع، الذي هو في الأصل عبارة عن إنعام، سرعان ما كان يتحول، في حالة ضعف الحكم، إلى حق تطالب به القبيلة المخزن. وهكذا، شيئا فشيئا، أخذ إقطاع الاستغلال يتحول إلى إقطاع تمليك، وهذا ما يفسر أن مناصب الجيش أصبحت وراثية، الشيء الذي أدى إلى ظهور أسر مخزنية صارت تمتلك إقطاعات شاسعة.

بجانب الإقطاع لفائدة الجند، كان بعض السلاطين يقطعون الأرض، كذلك للزوايا ـ التي ازدهرت انطلاقا من عهد السعديين ـ وذلك مرة أخرى لأسباب سياسية، إما

لمكافأتها على وقوفها بجانب المخزن، أو اتقاءً لشرها وكسبا لخدمتها له واعترافها به. هكذا، صارت كثير من الزوايا تملك عزائب شاسعة، تقطع لها بواسطعة ظهائر تتحدث عن الإنعام. كما كان يستفيد من الإقطاع أفراد الأسر الحاكمة، حيث يقطع السلطان نواحي بأكملها لأفراد معينين من عائلته، أو لبعض المقربين إليه.

الإقطاع والفيودالية : يمكن ملاحظة بعض التماثل بين المقاطعة التي يقطعها الإمام لعامل يمثله بمنطقة ما والقطيعة الفيودالية le fief، وكذلك بين تمليك الإقطاع وميراث القطيعة الفيودالية L'hérédite vassalique. ومع ذلك، فليست هناك أي علاقة بين الإقطاع في معناه الإسلامي وبين الفيودالية التي عرفتها أوربا. وبالفعل، لا وجود في الإسلام لليمين ولا للولاء اللذين يطبعان العلاقات التي تربط السيد الفيودالي بأتباعه. كما أن امتلاك الأرض في المجتمع الفيودالي يتميز بحركة تصاعدية، إذ يتنازل المزارع عن أرضه بل وحتى عن شخصه لفائدة سيده، بينما يمثل الإقطاع حركة تنازلية، إذ أن الإمام - مبدئيا، وفي الأصل - يقطع الأرض لمن يحييها و"من قرابة رسول الله (ص) وذوي دين وفقر وكثرة عيال وغناء في الإسلام من صلح أو رأي وشجاعة وإمامة وقضاء وتعامل ومؤذن ومن ولي شيئا من مصالح المسلمين" (*الإمتاع*، 20).

القلقشندي، *صبح الأعشى*، 13 ؛ الماوردي، *الأحكام السلطانية* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإمتاع بأحكام الإقطاع*، مخطوط، خ. ع رقم 13.

J. Berque, *Etude d'histoire rurale maghribine* ; M. Bloch, *La société féodale* ; C. Cahen, *l'Evolution de l'iqta du IX au XIII siècle*, in A. E. S. C., janvier-février 1953, nº 1 ; A. Halim, *l'Iqta et l'appropriation de la terre au Maroc*. D. E. S., Rabat, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, 1978 ; A. Laroui, *Histoire du maghreb* ; P. Pascon, *le Haouz de Marrakech* ; A. N. Poliak, *la féodalité islamique*, in Studia islamica, 1938.

عبد الجليل حليم

أقا، اشتهرت بهذا الاسم إحدى واحات جنوب جبل باني الواقعة عند خروج الواد الذي يحمل نفس الاسم من الجبل، وهي إحدى دوائرعمالة طاطا (حوالي 14 ألف نسمة)، تحدها غربا دائرة فم الحصن (إمِي أگّادِيرْ) وشمالا دائرة (إسَافْنْ)، وشرقا دائرة طاطا، وجنوبا وادي درعة .

ويتكرر استعمال اسم أقّا في عدة جهات من الجنوب المغربي (مثلا : أقّا إزنْكَاضْ جنوب طاطا، وأقّا إكْبرِينْ بين طاطا وتسيتت، وأقا أغالن شمال طاطا ...) ولكلمة "أقا" في الأمازيغية السوسية عدة معان، فهي تعني "حبة" تمر أو عنب أو زيتون أوما أشبه ذلك من عقيق وغيره، وتعني كذلك عمق الشيء كالوادي والكهف، كما تطلق على الخانق الذي يحدثه الوادي عند اختراق الجبل فتكون آنذاك مرادفة للفظ "تيزكي" (*Hespéris*. T. 33,1946 p. 397) ويستعمل لفظ (أقا) للدلالة على الممر بين جبلين أو على أي معبر فيصبح إذ ذاك مرادفا للفظ "تيزي"، ولا يستبعد أن يكون المقصود بأقا التي تعنينا هو الخانق أو الممر حيث تقع قراها مباشرة عند اختراق الوادي لجبل باني، أي عند خروجه من "فم أقا" ليحمل إذ ذاك اسم (واد أقا) وهو ينحدر من وسط الأطلس الصغير ويصب في وادي درعة.

يجري واد أقا بعد اجتيازه جبل باني في سهل منخفض (حوالي 350 م فوق سطح البحر) يشرف عليه جبل باني من ثلاث جهات ولا ينفتح إلا نحو الجنوب في اتجاه جريان الواد. وتكسو معظم هذا البسيط غابة كثيفة من النخيل، تقع أغلب قرى أقا الحالية على جنباتها بمحاذاة جبل باني. أما المناخ فهو ذو طابع صحراوي جاف وحار حيث لا يتعدى معدل الأمطار 50 ملم في السنة، وتزيد درجة فصل الصيف على °40. وهذا يفسر اعتماد السكان على المياه الجوفية : العيون - الآبار... وفقر الغطاء النباتي الذي يتلخص في بعض الشوكيات ...

أما السكان فيقدر عددهم بحوالي عشرة آلاف نسمة، وهم سكان مستقرون، يشكل السود وذوو البشرة المائلة إلى السواد (الحراطين) نسبة عالية منهم، وهي خاصية مشتركة مع سلسلة من الواحات جنوب باني من تمنارت حتى واحات درعة. وما زال أصل هؤلاء "الحراطين" غامضا، فهناك كمن يجعلهم حفدة العبيد المجلوبين من السودان، وهناك من يرى أن أصلهم من الشرق، فهم امتداد للكوشيين. أما الأقلية البيضاء فهي خليط من البربر المنحدرين من الأطلس الصغير ومن الرحل الذين استقروا بالمنطقة أمثال "أولاد جلال" وهم عرب جاؤوها منذ أواسط القرن السادس عشر، وأيت أمريبْط، وهم بربر انتشروا جنوب جبل باني منذ بداية القرن التاسع عشر (Monteil, op. cit, p. 388). وقد كانت تعيش ببعض قرى أقا إلى عهد قريب أقلية يهودية (34 أسرة عام 1941) يبدو أن أفرادها استقروا هناك منذ بداية القرن. يجتمع سكان أقا حاليا في عدد من المداشر يقع أغلبها على سفح جبل باني (عشر قرى) ولا يغادرون دورهم المبنية بالتراب المدكوك إلا موسميا عند جني تمور الواحة أو في فترة الحصاد في وادي درعة. أما الترحال فقد انقرض بعد استقرار قبائل أولاد جلال وأيْتْ أمْرِيبْطْ. يتحدث أغلب سكان أقا اللغة الأمازيغية السوسِية، وينحصر استعمال العربية في قرى أولاد جلال العرب : قريتي أولاد عنتر والقباية، هذا مع انتشار الازدواجيةاللغوية. أما يهود أقا فكانوا يستعملون اللغتين : العربية والبربرية إضافة إلى لهجة اصطلاحية خاصة بهم منبثقة عن العبرية.

يعتمد سكان أقا في معاشهم على الفلاحة فيمارسون زراعة مسقية في حقول متواضعة بين أشجار نخيل الواحة، وهي زراعة معاشية تتجه أساسا لإنتاج الحبوب (شعير، قمح، ذرة) والخضر وبعض الفواكه (تين، رمان، عنب ...) وتعتمد على مياه عدد من العيون التي تنبع من فم أقا وتسقي غابة النخيل والحقول المجاورة لها. إلا أن التقلبات المناخية وانعدام الصيانة جعلت بعض هذه العيون يندثر والبعض الآخر يوشك على النضوب. وهذا ما يفسر استمرار

انحسار المساحة المسقية وتقلص رقعة غابة النخيل (لم يبق في أقا سوى تسعة عيون جارية)، ولكل عين دورة زمانية من أسبوع إلى ثلاثة أسابيع. تنقسم إلى عدد معلوم من النوبات اليومية، كل نوبة تحمل اسم أسرة من الأسر التي لم يعد أغلبها معروفا بين السكان الحاليين، وتجزأ إلى أسهم (حصص من ساعة واحدة). ولكل عين مقدم يسهر على تعيين حصص الماء لمالكيها ويُرجع إليه في حالة نشوب أي نزاع.

تمتد واحة النخيل (حوالي ستين ألف نخلة) من فم أقا محاذية جبل باني على ضفاف الوادي على طول حوالي ستة كلم وعرض كلمتر واحد تقريبا. وقد جزئت أراضي الواحة إلى عدد كبير من الحقول الصغيرة المسيجة، وهي ملكية فردية، أو عائلية، مثلها مثل ملكية أشجار النخيل وحصص مياه العيون. ويستغل مالكو النخيل والحقول أملاكهم بطريقة غير مباشرة بواسطة عقد الخماسة الذي يكون أساسا بينهم وبين الحراطين.

أهم إنتاج في أقا هو التمور المختلفة الأنواع، أغلبها من نوع قليل الجودة يسمى محليا (سايرو) وأجودها (بوسكري) و (بوفقوس) وكانت منذ القديم وإلى عهد قريب هي عماد معيشة السكان (ح.الوزان، *وصف إفريقيا*، 2 : 117، 118). أما الحبوب من شعير وقمح وذرة، والخضر والفواكه المنتجة في الحقول فهي موجهة أساسا للاستهلاك الفردي حيث تقتصر عملية التسويق على التمور وعلى الحبوب المنتجة في أراضي (المعدر)، وهي أرض تقع على ضفاف وادي درعة تزرع اعتمادا على فيضان مياه الواد أو روافده وتبعد عن أقا بحوالي 40 كلم نحو الجنوب. ويتم تسويق المنتجات المحلية والتزود من المواد الاستهلاكية الضرورية في سوق تقام مرتين في الأسبوع (الأحد / الخميس) قرب المركز الإداري بعد أن كانت تقام قبل الاحتلال الفرنسي عام 1934 في بعض المداشر.

وتدل الرسوم والنقوش على الأحجار المكتشفة في المنطقة على أن الإنسان وجد بأقا منذ أقدم العصور (حوالي 2500 ق. م) وتتحدث بعض الرويات اليهودية عن سكنى اليهود منذ القرن السادس ق. م في مدينة Vaqqa قرب وادي درعة (D. J. Meunié, op cit. 1 : 176 et Note 2) ولا يستبعد أن تكون هي أقا الحالية، لكن الراجح أو أقا قد عمرت منذ القرن الثاني عشر للميلاد، وازدادت عمارتها بعد خراب جارتها (تُمْدولْت) الإدريسية في القرن XIVم (م.م. السوسي، *خلال*، 3 : 68) (B. Rosemberger, *Tamdult*, p. 103) ويبدو أن أقدم قرى أقا هي القصبة التي كانت تسمى بالأمازيغية (أگادير أُمْغَارْ أي حصن الشيخ). ثم قام الولي الصالح محمد بن مبارك الأقاوي (تـ 924 / 1518) بتأسيس زاويته بفم أقا (Meunié, 1 : 277) وبعده اتخذ ابنه عبد الله بن محمد (تـ 971 ـ 1563) خلوته في سفح جبل، فتطورت حتى أصبحت قرية سميت أگادير أَزْرُو (حصن الحجر).

ولعل هذه القرى الثلاث التي أشارِ إليها الحسن الوزان (*وصف إفريقيا*، 2 : 117 ـ 118) في بداية القرن السادس عشر وذكر أن أهلها كانوا في حرب مستمرة حتى قام ولي صالح بإحلال الهدنة والأمن فيما بينهم وأن السكان فقراء يعيشون على تمور الواحة.

وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي توافد على أقا بعض قبائل أولاد جلال العرب الرحل الذين شرعوا في الاستقرار أسفل أقا ثم اتخذوا لهم قرى أغرور (كانت تقع قرب أگادير أُزرو واندثرت بعد أن كانت من محطات طريق السودان) وقرى أولاد ابن فضايل وأولاد ابن يحة وأولاد عنتر والقبابة (وقد تغير موقع هذه الأخيرة عدة مرات بسبب إجلاء أهلها من طرف سكان أگادير أزرو. وكانت ببسيط أقا (أمسكدما) التي يبدو أن قائد المنصور السعدي العائد من السودان بأسرى تنبكتو نزل بها وهي الآن مندثرة (م. م. السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 70). وقد توافد على المنطقة سكان استقروا في قرية (إرحالن) أي الرُّحل، ومنها انتقلت إحدى الأسر البربرية فأسست قرية تگديرْتْ (عام 1144 هـ) أي الحصن الصغير، غير بعيد عن قرية تاوريرت (الربوة). وقد ورثت أقا بعض نشاط جارتها تامدولت التي خربت أوائل القرن الرابع عشر ميلادي. وأصبحت في القرن السادس عشر إحدى محطات طريق السعديين نحو السودان، واستمر آل مبارك الأقاويون يدعمون الحكم السعدي حيث كان الشيخ عبد الله بن مبارك الأقاوي (1015 / 1607) من شخصيات البلاط السعدي في عهد المنصور (ع. التمنارتي، *الفوائد الجمة*، 69 ـ 71) كما عمل سنة 1604 م في الصلح بين ابني المنصور: أبي فارس، وزيدان الذي زاره بزاوية أقا. وبعد انهيار السلطة السعدية دخلت أقا ـ على ما يبدو ـ تحت سلطة أبي حسون السملالي الذي امتد نفوذه إلى تفيلالت والسودان حتى قضي عليه الرشيد بن الشريف العلوي وأخضع المنطقة لنفوذه في حركته التوحيدية الشاملة. وعندما نزلت قبائل أيت أمريبط بأقا في بداية التاسع عشر الميلادي وأصبحت تيزونين مركزا لتجارة القوافل الصحراوية تنتقل منها سلع السودان (عبيد، ذهب، أثواب) إلى داخل المغرب، كانت أقا آنذاك مشهورة بصياغة الحلي الذهبية الرفيعة (Ch. de Foucauld, *Recon.*, p. 151).

يملك بعض رؤساء تيزونين رسائل وظهائر تعود إلى عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام والحسن الأول، وتدل على استمرار تبعية المنطقة للمخزن بشكل أو بآخر حتى مجيئ الاحتلال الفرنسي الذي لم يصل إلى أقا إلا عام 1934 م فأسس المركز الإداري الحالي.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. م. السوسي، *خلال جزولة*، 3 : 42 ـ 88 ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 614 ـ 616.

Ch. De Foucauld, *reconnaissance au Maroc* ; V. Monteil, *Choses et gens du Bani*, in Hesp., 1946, T. XXIII, p. 386-405; B. Rosenberger, *Tamdult, cité minière et caravanière*, in H. T. 1970, Vol. XI, pp. 103-140 ; D. J. Meunié, *Le Maroc saharien des origines à 1670*, Paris, 1982.

محمد حبيب نوحي

أقّـا (مدرسة) تقع زاوية الشيخ عبد الله بن مبارك (تـ 1015 / 1606) بمحاذاة الجبل من قرية تاوريرت بأقا جنوب الأطلس الصغير ؛ (*خلال جزولة*، 3 : 42).

وهذه الزاوية التي تنسب إليها قرية تاوريرت أقدم من كل قرى أقا على الإطلاق هي وقرية إرحالن (*خلال جزولة*، 3 : 56) وتحتل مع مقبرتها التاريخية سفح الجبل. ويوجد بهذه المقبرة كل من الشيخ محمد بن مبارك (تـ . حوالي 924 / 1518) آتي الذكر الذي وسم قبره بشيء من الجص علامة عليه، وفي مقابله قبر والد عبد الله بن مبارك المذكور أعلاه ؛ كما يوجد معهما قبر عبد الله أيضا (*خلال*، 3 : 54).

غير أن المدرسة التي كانوا يدرسون بها ويعملون فيها بقيت قائمة هناك حتى جرفها السيل ؛ وهما سيلان معروفان وقع الثاني منهما سنة 1261 / 1845 ويعتبر أولهما أقدم وقد تسبب فيما يظهر في إتلاف تراث هذه المدرسة - الزاوية - فيما يدعي أحفاد هذه الأسرة (*خلال*، 3 : 82).

ويمكن ترتيب تسلسل علماء هذه الأسرة وهذه الناحية تاريخيا سلفا ثم خلفا وفق التدرج الآتي :

مبارك عبد الله الجد الأعلى المشار إلى مكان دفنه بمقبرة الزاوية آنفا ؛ وقد نازع ابن عم له في الرآسة حتى سلم له هذا الأخير وانتقل عنه إلى مكان آخر يسمى (أگادير أزرو) فاستقل مبارك بهذه الناحية مع أبنائه وأحفاده الآتية أسماء بعضهم ؛ فمنهم :

محمد بن مبارك (تـ 924 / 1518) الأقاوي السوسي من المصامدة ؛ أحد الممهدين الأولين لتأسيس الدولة السعدية بالمغرب ؛ وقد اشتهر بالولاية والصلاح واحتكمت إليه القبائل نازلين عند حكمه حتى إنه عين لهم أياما حُرُما لا يحمل فيها سلاح ويجتمع فيها الرجل بقاتل أبيه أو ولده ؛ سميت أيام سيدي محمد بن مبارك (*المعسول*، 18 : 147) كما نسبت إليه كرامات (نفسه 168) حتي أنه أمر قبائل سوس بالانقياد إلى السلطان الشريف أبي العباس أحمد الشيخ السعدي وأخيه أبي عبد الله محمد الشيخ آمرا إياهما بالعدل والجهاد عندما تغلب الصليبيون على سواحل البلاد ؛ وتوجد تفصيلات عن علاقته بالدولة السعدية عند الإفراني في *نزهة الحادي* تدل على زهده في الرئاسة حين طلب منه ذلك ؛ بالإضافة إلى تخصيصه لثلاثة أيام في الأسبوع والشهر تحترم فيها الأحياء حتى الحشرات.

ويظهر أنه أول من انتقل من أسرته إلى الزاوية بعد أن تكاثر عليه الطلبة في قرية القصبة ؛ فاضطر إلى بناء الزاوية في المحل الذي أضحى يسمى قرية الزاوية ؛ فلما كثر تنقله إلى هذه الزاوية للتدريس نقل سكناه من قرية القصبة إلى هناك ؛ فكثر طلابه ومريدوه كثرة كاثرة مع إغفال المؤرخين الواضح لتسجيل أسمائهم ؛ على أن أسانيد صاحب هذه الترجمة تتصل بشيخه محمد بن سليمان الجزولي الشهير (تـ .870 / 1465) كما يذكر أن العلامة على التيلكاتي المتوفى بأقا في نحو 900 / 1494 قد يكون له اتصال بصاحب هذه الترجمة (*المعسول*، 18 : 171).

أما علي بن محمد بن مبارك أحد أولاده فقد تولى أمر الزاوية موسعا من دائرتها مع تحصيل جملة من الممتلكات التي تعود عليها بالدخل في نواحي سوس كسهل هوارة وتارودانت، كما غير من أسلوب والده في التدريس والمشيخة والتربية مستغلا في ذلك منزلة الأسرة عند الدولة السعدية حتى صارت الزاوية في عهده من أكبر زوايا جزولة بما توفر لها من الرعاية، وإن لم ينقل لنا تفصيلات عن سلوكه التعليمي بهذه المدرسة التي يظهر أن مشاغله التنفيذية ربما جعلته ينيب عنه في تسييرها إلى أن توفي في مكان يسمى (تيدسي) فأقبر هناك.

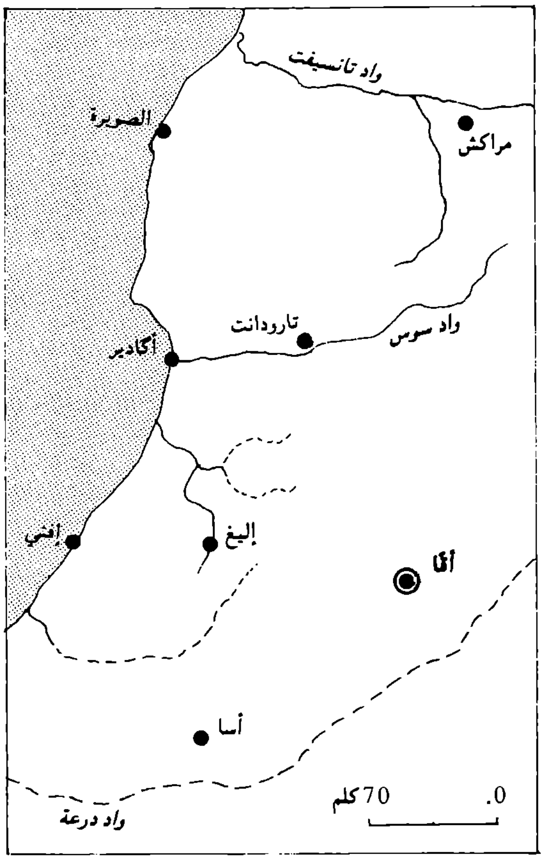

أقّا

وأخوه عبد الله بن محمد بن مبارك الملقب بالأعرج كان حيا سنة 971 / 1563، وكان أصغر منه ؛ فقد تخرج بوالده في العلم والسيرة والسلوك ؛ ولكنه حببت إليه العبادة وغلبت عليه فاعتزل في أكمة أصبحت فيما بعد محل سكناه في القرية المدعوة (أگادير أزرو = حصن الحجر) متعبدا هناك طيلة حياة والده مع إضافة مسجد صغير إليها ؛ ولا يزال الناس اليوم يتحاشون أداء اليمين به. ولما امتلأت عليه هذه القرية اتخذ خلوة له بعيدة عنها بنحو ساعتين سيرا على الأقدام في قمة (وينسين) وتوجد بها عين جارية تنسب له كرامة في استنباطها هناك ؛ ويحمل رسم وقفيٌ مؤرخ بسنة 971 اسم صاحب هذه الترجمة (*المعسول*، 18 : 171).

ومن أفراد هذه الأسرة المتسلسلين منها بالنسب :

مبارك بن علي بن محمد بن مبارك ؛ وقد تولى أمر زاوية جده كما اشتهر بالصلاح ؛ وولده محمد بن مبارك الذي وصف بالعلم والتصوف. ويظهر أن خلافا بينه وبين أخيه الآتي الذكر عبد الله جعله يهجر قرية الزاوية إلى بلدة ماسة على نهر أمرزگون.

أما أخوه عبد الله بن مبارك فقد أصبح من أعلام علماء الدولة السعدية ؛ إذ انتهت إليه رئاسة الأدب ؛ مع الجمع بين علوم الظاهر وعلوم التصوف مع صدق فراسة ؛ وقد أخذ عن فقيه جزولة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عمرالتمنارتي وعن أحمد بن سليمان الرسموكي المزواري وغيرهما، وحكى عنه أحمد تلامذته ممن اتصلوا به أنه توفي في رمضان سنة 1015 / 1606 وولادته سنة 936 / 1529. وكانت له إلى جانب هذا كله عناية بزاوية أقا ومصاهرة مع شيخه التمنارتي آنف الذكر (*المعسول*، 18 : 173 ـ 175).

وقد تولى بعده أمور الزاوية المسمى محمد بن علي بن محمد بن مبارك ؛ إذ أجمع الحاضرون على تقديمه.

أما أحمد بن محمد بن علي ولد المذكور قبله فهو أيضا ممن تولى أمر الزاوية إلا أن خلافا دب بينه وبين ابن عمه مبارك بن عبد الله بن مبارك بسبب أمور الزاوية كاد يؤدي إلى اغتيال صاحب هذه الترجمة حتى حسم الأمر خال زوجته الأمير علي بوميعة الذي أرغم صاحب الترجمة حسما للنزاع على الانتقال إلى مكان آخر ؛ وبذلك انقطع العلم في آل عبد الله بن مبارك بعد أن غلب عليها الصلاح بواسطة تعاطي الطريقة التمگدشتية الناصرية إلى أن وقع الخلاف بين رجالاتها فلم تعد تعرف عند الأجيال المتأخرة إلا بالحروب مع أثارة من صلاح وبصيص من علم قليل (*المعسول*، 18 : 191).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، ج. 3 ؛ *المعسول*، ج. 18 و ج. 19 ؛ *مدارس سوس العتيقة*، ص. 122.

محمد البايك

أقا اكرن ← **طاطا** (إقليم ـــ)

الأقّاويون (العلماء الصلحاء) ← **أقّا**

أقَلاَّ، احماد بن علي. ولد سنة 1921 بقبيلة مسفيوة، إقليم مراكش وسط عائلة متواضعة الحال، انخرط ضمن تشكيلة المقاومة السرية بمراكش بقيادة حمان الفطواكي،

أحمد أقلا

وقام بأعمال فدائية جريئة من أهمها وضع قنبلة بمسجد بريمة بمراكش لاغتيال ابن عرفة الذي نصبه الفرنسيون وقد كان مسلحا بمسدس، وأثناء هذه العملية سقط شهيدا بباب المسجد رميا بالرصاص، وذلك يوم 20 غشت، وقبل استشهاده كان قد تناول قرص سم حتى لا تتمكن منه السلطات الاستعمارية.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أقْلاّلْ، رقصة غنائية تعرف أيضا برقصة زاگورة نسبة إلى المكان المعروف بهذا الاسم بواد درعة وبرقصة السبق وبها يشارك إقليم ورزازات في مهرجان الفنون الشعبية بمراكش كل عام.

وأصلها من جهات ورزازات حيث تمارسها قبائل بودلال وسكورة وأيت عامر وأهل المحاميد وأهل دادس وأيت عطا وأيت حمو، وربما كان انتقال رقصة *أقلال* إلى ورزازات من منطقة تافيلالت. ولما كانت هذه المناطق الفيلالية والدرعية ملتقى نازحين من الصحراء جنوبا ومن جبال الأطلس شمالا، فلا يدري بالضبط العنصر الذي أبدع هذه الرقصة. وأنواع أقلال هي : رقصة الركبة، ورقصة الوسطي، ورقصة العوادة، ورقصة الحصاد (وتغنى بحفلات جمع التمر) ورقصة الحاذي، ورقصة العير، ورقصة الاستسقاء....

وتعني كلمة أقلال، الرأس، وسميت بذلك لتحريك الرأس بها، فهو الأصل وتفرعت عنه حركات بأعضاء الجسم الأخرى. وهي تؤدى بألحان محلية مصحوبة بأناشيد دينية وتراتيل صوفية معهودة، ولا تقتصر مزاولتها على الأوساط القروية، بل هي معروفة في أوساط حضرية كذلك. ومناسباتها استقبال ضيف أو تقديم ولاء أو الاحتفال بانتصار أو بعيد ديني أو موسم زراعي أو في أسفار القوافل. وقد تصحب أنغامها *ببراول* وهي ألوان من النظم لها تفاعيل موسيقية عند منشدي طرب *الآلة* وعند بعض منشدي الطوائف الصوفية وأهل الملحون.

وفي طابع رقصة *أقلال* سمات من البيئة الصحراوية، ونغم مرسل، وعفرية وبساطة. وهي إلى الآن تعتمد في أنغامها على الآلات القديمة كالدف والبندير والعوادة والگوال والسيف.

والجماعة الراقصة في *أقلال* تتراوح عادة بين سبعة من الرجال وواحد وعشرين. ولها شوطان تتحول في الثاني منهما من ترتيل الأدبيات الدينية إلى أناشيد في وصف الطبيعة وإلى براول ومقطعات في الغزل أو الحكم والأمثال.

ولم يبق من سماتها العتيقة عند الشيوخ اليوم إلا النزر القليل، وقد جمعنا من أذكارها جملة قيمة أدرجناها في برامج أذيعت من الرباط ومراكش بين عام 1969 و 1986.

ع. الملحوني، *أدب المقاومة من خلال الشعر الملحون والمرددات الشفاهية*، مخطوط، وزارة السياحة، *منشورات مهرجان الفنون الشعبية بمراكش* 80 ـ 1983.

عبد الرحمان الملحوني

أَقَلْعي، أسرة تطوانية أصلها من مجموعة القبائل المجاورة لمدينة مليلية والمعروفة بـ "قلعية" (تنطق گلعية). وكان جل أفراد هذه الأسرة يعملون في الجيش، وسبب ذلك هو أنه عندما أصدر السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام سنة 1261 / 1845 أمره بإنشاء بعض الفرق من الجنود في مدن المغرب، كلف بتأليف فرقة تطوان الأغا الحاج عبد السلام أقلعي الذي أنشأ طابورا من نحو مائتين من الجنود ورتبهم ترتيبا تركيا، غير أن أهل تطوان لم يُقبلوا على ذلك لما كان عليه أقلعي المذكور من الأخلاق الغير المرضية، الشيء الذي جعل الأغا يعتمد في تكوين الفرقة على أفراد أسرة أقلعي، اشتهر اسم واحد منهم : أحمد بن محمد أقلعي الذي كان ملازما ثانيا سنة 1292 / 1875.

وأسرة أقلعي كانت تحمل اسم "أياسين" في الأصل، وكان بتطوان شخص اسمه محمد أياسين يتعاطى التجارة، ممن وقعوا على وثيقة بيعه أهل تطوان لمولاي سعيد بن السلطان مولاي اليزيد يوم 12 جمادى الثانية 1236 / 17 مارس 1821.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛ أ. الرهوني، عمدة *الراوين*، 1 : 182 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330 ؛ *تاريخ تطوان*، 3 : 26 و 6 : 169 و 8 : 270 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (Q) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)*; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

إقليم، يجد الإقليم بمعالمه الرئيسية الحالية جذوره في التقسيم الإداري الذي قامت به الحماية الفرنسية ابتداء من سنة 1912 للمنطقة الخاضعة لها، والحماية الإسبانية في شمال المغرب ابتداءً من سنة 1913. إلا أن هناك من يقول بأن المغرب كان يعرف تقسيما إداريا قبل دخول الحماية، وهناك من ينفي ذلك وهم أنصار الحماية.

قبل الحماية كانت سلطة المخزن، وإن لم تكن له الوسائل الكافية لمراقبة الرقعة الترابية الكاملة للمملكة، تشمل امتدادا جغرافيا مقسما إلى ثلاث مناطق رئيسية : فاس، مراكش، تافيلالت. وكان يمثل السلطات علي رأس كل منطقة "خليفة" للسلطان. أما المكلف بحكم المنطقة إداريا وعسكريا فهو "الباشا".

في عهد الحماية : منذ دخول الاستعمار الفرنسي إلى المغرب شرع في تنظيم وجوده وسيطرته على البلاد، وهكذا صدرت قرارات بالجريدة الرسمية المغربية منذ 1912 بتقسيم المغرب إلى جزئين : المغرب الغربي، والمغرب الشرقي.

يمثل الأول ستة أقاليم أو جهات régions هي : الشاوية والرباط ومكناس وفاس ودكالة وعبدة ومراكش. أما المغرب الشرقي فقسمه إلى منطقتين : الأولى شمالية تتكون من : إقليم وجدة ومقاطعه تاوريرت، والثانية غربية. وكانت هذه المناطق ذات طابع عسكري. كل منطقة تتكون من مقاطعات، ودوائر، وملحقات ومكاتب للاستعلامات أطلق عليها فيما بعد مكاتب الشؤون الأهلية. أما الأقاليم المدنية فلم يشرع في تأسيسها إلا ابتداء من سنة 1919 وهي : الرباط والدار البيضاء ووجدة وخنيفرة.

وفي سنة 1923 أصدر المقيم العام بالمغرب قرارا يقضي بتقسيم المغرب إلى أربعة أقاليم أو جهات مدنية هي : الرباط والدار البيضاء والقنيطرة ووجدة. وثلاثة عسكرية هي : فاس ومكناس ومراكش.

وهكذا يلاحظ بأن تنظيم الحماية الإداري للمغرب أملته أساسا الاعتبارات العسكرية والأمنية، التي كان يهدف من خلالها إلى ضمان استمرار وجوده وتحكمه في البلاد. لهذا كانت الجهة أو الإقليم هي الإطار الملائم للمراقبة السياسية للسكان ودعم سيطرته وتركيزها في السلطة المركزية.

بعد الاستقلال اختفت كلمة الجهات وحلت محلها الأقاليم، وحل العمال محل رؤساء المناطق، بحيث لم يدخل المسؤولون المغاربة أي تعديل جوهري على التقسيم الإداري للمغرب.

إن الإقليم في النظام المغربي الحالي يعتبر جماعة محلية مثله مثل العمالات والجماعات الحضرية والقروية، وقد نصت على هذا التعريف كافة الدساتير المغربية الثلاثة الصادرة على التوالي في 1960 ـ 1970 ـ 1972 وحددته على التوالي في الفصول 93 / 86 / 87.

أما النص القانوني المحدد للتنظيم الإقليمي ومجالسه موضوع الظهير الشريف في 12 شتنبر 1963، فقد عرف الإقليم بأنه جماعة إقليمية يجري عليها القانون العام، وتتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي. فالإقليم في هذا الإطار يتمتع باختصاصات في إطار وحدات ترابية وجغرافية تتمتع بالشخصية المعنوية تحت سلطة الوصاية المركزية.

إن أول نص قسمت بمقتضاه المملكة صدر بموجب ظهير مؤرخ في 16 دجنبر 1955، إلا أن لفظة إقليم لم ترد إلا بتاريخ 13 / 10 / 1956 وذلك بواسطة الظهير الشريف الصادر في 13 أكتوبر 1956.

وبتاريخ 2 دجنبر 1959 صدر ظهير جديد بشأن التقسيم الإداري للمملكة يلغي كافة النصوص السابقة المتعلقة بنفس الموضوع، وهو النص الذي مازال ساريا لحد الآن، والذي يقع تتميمه كلما تم إحداث أقاليم أو عمالات جديدة. وبموجبه يقسم المغرب إلى حدود سنة 1989 إلى الأقاليم التالية :

"أگادير، الحسيمة، أزيلال، بني ملال، بن سليمان،

بوجدور، بولمان، شفشاون، الجديدة، قلعة السراغنة، الراشدية، الصويرة، اسمارة، فاس، فگيگ، إفران، گلميم، القنيطرة، الخميسات، خنيفرة، خريبگة، العيون، مراكش، مكناس، الناضور، ورزازات، وادي الذهب، وجدة، أسفي، سطات، سيدي قاسم، طنجة، طنطان، تاونات، تارودانت، طاطا، تازا، تطوان، تزنيت".

ينقسم الإقليم إلى دوائر، والدوائر إلى قيادات. فالدوائر تقوم بربط الإقليم بملحقاته والتنسيق بين مختلف القيادات والتقسيمات التابعة لها.

أما الجماعات الحضرية فتشمل المقاطعات، وهذه الأخيرة تتكون من الأحياء التي يشرف عليها على التوالي القائد أو الخليفة ثم المقدمون و"الشيخ" الذي يقوم بتنسيق نشاطهم تحت إشراف خليفة القائد.

حدود الإقليم : إن حدود الإقليم يتم تحديدها بمقتضى ظهير شريف، أما الدوائر التي يتألف منها فعددها وحدودها يجب أن يتم بمقتضي ظهير شريف، ونفس الأمر بالنسبة لعدد وحدود المقاطعات التي تتشكل منها الدوائر.

تنظيم الإقليم : مستمد من الظهير الشريف الصادر في 12 شتنبر 1963 كما تم تعديله وتتميمه سنتي 1966 و1969. وتأتي أهمية المجلس الإقليمي من كون المشرع من خلال الفصل 3 من الدستور الحالي خوله صلاحية المساهمة في تنظيم المواطنين وتمثيلهم مثلها مثل الأحزاب السياسية والنقابات.

- يدير شئون الإقليم مجلس يسمى "المجلس الإقليمي" وذلك طبق الفصل 88 من الدستور.يتحدد أعضاؤه تبعا لعدد السكان القانوني المثبت في آخر إحصاء رسمي لكل إقليم. مثال ذلك إذا كان عدد سكان الإقليم لا يجاوز 200 ألف نسمة فإن عدد الأعضاء يتحدد في 11 عضوا. أما إذا تراوج عدد السكان بين 200.001 و 3 ملايين نسمة فإن عدد الأعضاء المنتخبين يتحدد في 31 عضوا.

- ينتخب أعضاء هذا المحلس لمدة ست سنوات بالاقتراع بالقائمة عن طريق التمثيل النسبي على أساس قاعدة أكبر بقية. أما أعضاؤه فينتخبون من بين المستشارين الجماعيين للإقليم بواسطة هيئة انتخابية تتكون من المستشارين الجماعيين لهذه الجماعة، كما يشارك علاوة على هؤلاء المستشارين بصوت تداولي ممثل واحد عن الغرف الفلاحية والتجارية والصناعية والصناعة التقليدية بمعدل ممثل واحد عن كل إقليم يقع في دائرة نفوذها، وينتخب بالأغلبية النسبية. يجتمع المجلس الإقليمي مرتين في السنة، الأولى فيما بين 15 ماي و15 أبريل على ألا تتجاوز الدورة 15 يوما، والثانية بين 1 أكتوبر و 30 منه، على ألا تتجاوز 3 أسابيع.

إدارة الإقليم : إن الهيئات المشرفة على إدارة الإقليم وتسييره تتركب من رئيس المجلس الإقليمي واللجان المنبثقة عنه والعامل، وتنحصر سلطات رئيس المجلس الإقليمي على سبيل المثال في تحرير جدول أعمال دورة كل اجتماع باتفاق مع العامل وتوجيه الاستدعاءات وتمثيل المجلس الإقليمي في حظيرة المجلس الإقليمي للإنعاش الوطني، ويمضي محاضر الجلسات مع العامل أو ممثله كما يتلقى استقالة المستشارين ويرفعها في الحين إلى العامل الذي يقرر فيها.

يمكن للمجلس الإقليمي أن ينتخب لجانا متخصصة لتسهيل مأموريته، من بينها لجان ميزانية الشئون الاقتصادية، والتصميم، والشئون الاجتماعية والثقافية. أما تاريخ اجتماع هذه اللجان فيتحدد باتفاق مع العامل وخلال الفترة الفاصلة بين الدورتين.

أما العامل : فهو الذي يقوم بالدور الأساسي في الإقليم إذ هو الرئيس الفعلي للمجلس الإقليمي. فهو المقرر الفعلي والمنفذ الحقيقي، يمثل المجلس الإقليمي والسلطات المركزية، خَوّل له الدستور الحالي بواسطة الفصل 89 مهمة تنفيذ مقررات مجالس العمالات والأقاليم وتنسيق نشاطات الإدارات والسهر على تطبيق القانون.

فالعامل له سلطة مادية ومعنوية على كافة المصالح الموجودة على تراب الإقليم الموضوع تحت إمرته. كما أنه ينفذ القوانين والمقررات التنظيمية، ويضمن احترام النظام والأمن العام. إن سلطة العامل على التنظيم الإقليمي تتجاوز حدود الرقابة الرآسية، إذ يشرف على تنظيم سير انتخاب أعضاء المجلس الإقليمي ويراقبهم عند ممارستهم لمهامهم ويقوم بتحضير مشروع ميزانية الإقليم.

لوزير الداخلية وصاية على المجلس الإقليمي يمارسها من خلال العامل، وتتجلى في المصادقة على مقررات المجلس كالميزانية والنظام الداخلي. وكذلك الوزير الأول له دور في التنظيم الإقليمي، بحيث بإمكانه إصدار مرسوم بحل المجلس الإقليمي أو بالترخيص للأقاليم بتأليف نقابات بينها.

نقابة الأقاليم : يمكن للأقاليم أن تُكون فيما بينها نقابات قصد إنجاز عمل مشترك وتسيير صناديق خاصة بكل واحدة منها لتمويل الأشغال البلدية وأداء بعض النفقات المشتركة الخاصة بالتسير. ولإدارة هذه النقابة يتم انتخاب أعضائها من المجالس الإقليمية المعنية بالأمر، بحيث ينوب عن كل إقليم نائب يعين من بين أعضاء المجلس الإقليمي بالاقتراع بالأغلبية المطلقة، هذه اللجنة المسيرة تنتخب رئيساً لتدبير شئونها.

تعتبر هذه النقابا مؤسسات عمومية تتمتع بالشخصية المدنية والاستقلال المالي، كما يطبق عليها التشريع والتنظيم المتعلقان بالوصاية على الأقاليم والعمالات، وقواعد محاسبة الأقاليم والعمالات.

وبالجملة فالإقليم في النظام المغربي الحالي أداة أساسية في تأطير ومراقبة السكان وتقوية السلطة المركزية وتقريب الإدارة من المواطنين، وهو أداة وسيطة من خلاله توجه وتؤثر وتراقب محليا السلطة المركزية سياستها وتعليماتها.

- ظهير شريف رقم 1.59.351 بتاريخ 1 جمادى الآخرة 1379 (2 دجنبر 1959) بشأن التقسيم الإداري للمملكة كما تم تعديله وتتميمه بالمرسوم رقم 2.81.854 الصادر في 21 من صفر 1402 (18 دجنبر 1981). وبالمرسوم رقم 2.84.129 الصادر في 4 شوال 1404 (3 يوليوز 1984).

- ظهير شريف رقم 1.63.273 في 22 ربيع الثاني 1383 (12 شتنبر 1963) بشأن تنظيم العمالات والأقاليم ومجالسها. كما تمم وعدل على التوالي في 6 غشت 1969 و30 شتنبر 1976 و6 أبريل 1966.

- مرسوم ملكي رقم 172.66 بتاريخ 7 رجب 1386 (22 أكتوبر 1966) بمثابة قانون يتعلق بتحصيل ديون الجماعات المحلية وهيآتها.

- ظهير شريف رقم 1.71.77 بتاريخ 22 ربيع الثاني 1391 (16 يونيو 1971) بإحداث المناطق كما تُمم بمرسوم رقم 2.79.408 المؤرخ في 8 رمضان 1399 (2 غشت 1979).

- ظهير شريف رقم 1.72.061 بتاريخ 23 محرم 1392 (10 مارس 1972) بإصدار الأمر بتنفيذ الدستور.

- ظهير شريف رقم 1.76.584 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بمثابة قانون يتعلق بالتنظيم المالي للجماعات المحلية وهيئاتها. كما تمم وعدل بمرسوم قانون رقم 2.80.557 بتاريخ 22 شوال 1400 (2 شتنبر 1980).

- مرسوم رقم 2.76.575 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بتطبيق الظهير الشريف رقم 1.76.584 الصادر في 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بمثابة قانون يتعلق بالتنظيم المالي للجماعات المحلية وهيئاتها.

- مرسوم رقم 2.76.576 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بسن نظام لمحاسبة الجماعات المحلية وهيئاتها.

- مرسوم رقم 2.76.577 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بشأن مراقبة صحة الالتزام بالنفقات الخاصة بالجماعات المحلية وهيئاتها.

- ظهير شريف رقم 1.59.169 بإحداث صندوق التجهيز الجماعي.

- مرسوم رقم 1.76.578 بتاريخ 5 شوال 1396 (30 شتنبر 1976) بإحداث صندوق لتنمية الجماعات المحلية وهيئاتها.

- ظهير شريف بمثابة قانون رقم 1.75.168 بتاريخ 25 صفر 1397 (15 يبراير 1977) يتعلق باختصاصات العامل.

- مرسوم رقم 2.83.372 الصادر في 20 من رجب 1403 (4 مايو 1983) يقيد ويتمم بموجبه المرسوم رقم 2.73.416 الصادر في 14 رجب 1393 (14 غشت 1973) بإحداث وتعداد الدوائر والقيادات والجماعات الحضرية والقروية للمملكة وتحديد عدد المستشارين الواجب انتخابهم في كل جماعة.

- مرسوم رقم 2.84.47 الصادر في 4 شوال 1404 (3 يوليوز 1984) بتحديد عدد أعضاء مجالس الأقاليم والعمالات.

م. مرغني، *المبادئ العامة للقانون الإداري المغربي*، الرباط، 1982 ؛ ع. باينة، *المختصر في القانون الإداري المغربي*، الرباط، 1985 ؛ كتابة الدولة لدى الوزير الأول المكلفة بالشؤون الإدارية، *تشريعات وقوانين تنظيمية*، الرباط، 1985.

S. Benbachir, *L'Administration locale au Maroc*, Imprimerie royale, 1969 ; A. Sedjari, *Les structures administatives territoriales et le développement locale au Maroc*, Coll. F.S.J.E.S, Rabat, 1981 ; M. Rousset, *Le Droit administratif marocain*, 4e éd. 1984 ; Ministère de l'intérieur, *Guide de l'agent d'autorité*, 2 volumes ; F. Bernard. *L'Organisation régionale du Maroc*.

أحمد بوجداد

أقنين، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وقد انتقلت من هناك أولا إلى ناحية الريف ثم استقرت بتطوان في أواخر القرن الثاني عشر الهجري، ولم تذكر لنا الوثائق من أفراد هذه الأسرة سوى التاجر عبد السلام بن قاسم أقنين الذي كان حيا سنة 1230 / 1815، والفقيه عبد الجبار بن المهدي أقنين الذي كان يتعاطى خطة العدالة سنة 1282 / 1866، ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 330، *تاريخ تطوان*، 7 : 278 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan*, 1921 (Q) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones (año 1931)* 1932 (Q) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espagnol*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أقيتْ ← أحمد باب

أُقِـيتْ. - بضم الهمزة التي تعني بالأمازيغية "ابن" وذلك حَسب النطق المحلي - أسرة سودانية عالمة تنتمي إلى مسوفة گدالة من فروع قبيلة صنهاجة الكبرى. وأول من حمل هذه الكنية منهم الجد الثالث لأحمد باب : محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى المسوفي الصنهاجي. كان محمد أقيت يقطن في ماسنَة جنوب غربي تنبكتو على الضفة اليمنى لنهر النيجر، وَهي موطن الفلانيين الذين كان محمد أقيت يبغضهم ويستنكف عن مصاهرتهم، فرحل طالعا إلى الشمال وأقام مدة في بيرُ ثم فيما بينها وبين رأس الماء الواقعة على الطريق التجارية الرابطة بين تنبكتو وولاتة. كان راغبا في الإقامة بتنبكتو فمنعه من ذلك عداوة قديمة بينه وبين حاكمها آنذاك أكل التروگي. وأخيرا شفع له أحد أعيان تنبكتو عند الحاكم، فدخل محمد أُقيت إلى تنبكتو واستوطنها هو وعقبه من بعده وأصبح منهم وجهاء المدينة وعلماؤها وصلحاؤها.

ارتبط آل أُقيت التنبكتيون بتاريخ المغرب منذ أواخر القرن العاشر / 16 م، حين تراسل أحمد المنصور - قبيل توجيه الحملة إلى السودان - مع كبيرهم القاضي عمر بن محمود أقيت مؤملا أن ينشر دعوته في تلك الأصقاع ويدعو الناس إلى الدخول في طاعته باعتباره الإمام القرشي الشريف الجامع لشروط الخلافة، لكن القاضي لم يفعل ؛ بل اتُهم بتحريض التنبكتيين على الثورة ضد جيش

المنصور، الأمر الذي دعا الباشا محمود زرقون إلى اعتقاله وسائر آل أقيت الذين كان هواهم مع الأسكيِّين أواخر المحرم عام 1002 / 1593، فسجنهم مدة في قصبة تنبكتو ثم بعث بهم مقرنين في الاصفاد إلى مراكش. "واستقروا مع عيالهم في حكم الثقاف إلى وقت انصراف المحنة عنهم فسرحوا يوم الأحد الواحد والعشرين من رمضان عام أربعة وألف ففرحت بذلك قلوب المومنين" (*نزهة*، 88).

وقد عاش آل أُقيت بمراكش بعد السراح أزيد من عشر سنين متمتعين بعطف السكان وأنسهم ورعاية الدولة وإكرامها، فأدرك الأجل بعضهم فيها، ورجع البعض إلى تنبكتو.

أ. بابا، *نيل الابتهاج* ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ م. الافراني، *نزهة* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 5.

أقيت، عبد الرحمان بن محمود، فقيه عالم زاهد متصوف، معرض عن الدنيا بكليته مقبل على التدريس والوعظ وتربية المريدين. كان ذا نية بالغة في الشيخ يحيى التادلي دفين تنبكتو ويقول : "واجب على أهل تنبكت أن يزوروا روضة سيدي يحيى للتبرك به في كل يوم ولو كانت منه [على] مسافة ثلاثة أيام" (*فتح الشكور*، 218) كما كان مولعاً بكتاب *دلائل الخيرات* لمحمد بن سليمان الجزولي، يلقِّنه للطلبة ويشرحه لهم ويعرضونه عليه.

قدمته الجماعة للإمامة، وهي خطة تضاهي خطة القضاء في تنبكتو، فقام بها أحسن قيام حتى بعد أن مرض واعتقل مع آل أقيت من طرف الباشا محمود بن زرقون ونقل إلى مراكش فمات بها مطعونا يوم الخميس خامس صفر عام 1006 / 17 شتنبر 1597. ودفن مع ابن القطان بإزاء جامع ابن يوسف.

ع. السعدي، *تاريخ السودان*، 214 ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور*، الترجمة 170، وفيها تصحيف في الطبع، ذكره في مواضع متعددة؛ م. مطيع، *دراسة كفاية المحتاج*، 1 : 22 (مرقونة).

أُقيت، عبد الله بن محمود، ويلقب بلسان قومه : "ألفع عبد" فقيه زاهد على ما آتاه الله من ثروة عظيمة. اشتغل بتدريس *رسالة ابن أبي زيد* و*مختصر خليل* في مساجد تنبكتو حتى كاد يحفظهما عن ظهر قلب. أصابه شرر الفتنة التي اتقدت خلال الشهور الثلاثة الأولى من عام 1000 / أكتوبر - دسمبر 1591 حين هاجم تنبكتو رئيس الطوارق أُوسنْبَ التارگي مغرشن كي لإغاثة القائد مصطفى التركي المحاصر في القصبة، فكان أوسنبَ يحرق على الثوار منازلهم حتي وصل إلى باب دار عبد الله بن محمود القريبة من دار أخيه القاضي عمر. وبعد أن سكنت الهيعة وتم الصلح بين التنبكتيين والقائد مصطفى التركي، استأنف عبد الله بن محمود عمله في التدريس كعادته لكنه اعتقل من طرف الباشا محمود زرقون لما رجع من مطاردة أسكيا إسحاق، في جملة من اعتقل مع القاضي عمر بن محمود من آل أقيت، ونقل معهم إلى مراكش، حيث ظل معتقلا إلى أن أطلق سراحه مع قومه في رمضان عام 1004 / ماي 1596، ثم لم يلبث أن توفي بمراكش مطعونا يوم الاثنين فاتح شعبان عام 1006 / 9 مارس 1598.

أ. باب السوداني، *نيل*، 161 ؛ ع. السعدي، *تاريخ السودان*، 156 و214 ؛ م. البرتلي، *فتح الشكور*، الترجمة 155 ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، 8 : 290 ؛ م. مطيع، *دراسة كفاية المحتاج*، 1 : 22 (مرقونة).

أُقيت، عمر بن محمود بن عمر، قاضي تنبكت منذ عام 993 / 1585 إلى عام 1002 / 1593. فقيه متمكن من فروع المذهب المالكي، مشارك في الحديث والسير والتاريخ، ناسك زاهد، أبى أن يتولى منصب القضاء حين عُرض عليه فلم يقبله إلا بعد لأي، وحمدت سيرته فيه، فكان مسموع الكلمة عند أهل تنبكتو معظما لدى الأسكيين. حاول أحمد المنصور قبل إرسال الحملة العسكرية إلى السودان أن يستخدمه في التمهيد لها ودعوة الناس إلى الدخول في طاعته باعتباره الخليفة القرشي المستجمع لشروط الإمامة العظمى، وذلك في رسالة مطولة مؤرخة في شوال عام 1998 غشت 1590 جاء في آخرها :

"... واعتقدوا مع ذلك أن كل من أمنتموه من عساكرنا الطالعة براياتها البيض على تلكم الأقطار السودانية إن شاء الله طلوع الفجر، وكتائبنا المتلاطمة تلاطم أمواج البحر، فقد أمناه، ومن أجَرتموه فقد أجَرناه، إظهارا لمزيتكم، وإشعارا بمكانتكم لدينا ورفعة قدركم، وإيذانا بجليل منصبكم عندنا وسموٍّ رتبتكم..." (*مناهل الصفا*، 133) ويظهر من هذه الخاتمة أنها تجيب عن رسالة سابقة ربما كان القاضي عمر بعث بها إلى أحمد المنصور.

ومهما يكن من أمر فإن هذه الرسالة لم تحقق النتيجة المرجوة، ولم يعر القاضي عمر كبير اهتمام لقادة حملة المنصور، ولم يُكرمهم مثلما أكرمهم خطيب تنبكتو الشيخ محمود درامي، بل اتُّهم القاضي عمر بتحريض الناس على القتال في فتنة تنبكتو الدامية التي دامت شهرين (محرم - ربيع الأول عام 1000) وحوصر فيها القائد مصطفى التركي في القصبة. فكان ذلك سببا في تغريب القاضي عمر وسائر آل أقيت إلى مراكش عام 1002 / 1593 فمات بها في السنة التالية وهو في حال ثقاف، عام 1003 / 1594، ودفن بجوار القاضي عياض.

ع. السعدي، *تاريخ السودان* ؛ الولاتي، *فتح الشكور* ؛ ع. ابن ابراهيم، *الإعلام*، الجزء 9 ؛ م. مطيع، *كفاية المحتاج*، *دراسة وتحقيق*، رسالة جامعية مرقونة.

محمد حجي

أگادير، تجمع على إِگُودارْ، من الكلمات المستعملة في المجال الأمازيغي - بجانب مرادفتها إغْرْمْ جمع إغْرْمَانْ - لتدل على الحصن أو المخزن الجماعي أو القرية أو المنزل المحصن أو القصبة، كما تدل عموما على أي جدار كيفما كان حجمه ومادة بنائه ووظيفته. والكلمة قديم استعمالها.

فقد كانت اسمًا لمدينة قادس القديمة، ولقلعة موحدية بضاحية اشبيلية ولمدينة تلمسان وربما لمدينة الصويرة كذلك (مْ ـ وُگادير = مُوگادُورْ؟ أي، ذات الحصن). بالإضافة إلى المدينة المغربية الحالية أگّآديرْ ن ـ يغيرْ.

تنتشر الكلمة بكثرة، اسمًا للأماكن، في الجنوب الغربي للمغرب، بما في ذلك الأطلس الكبير الغربي وسهل سوس والأطلس الصغير. في حين تحل محلها كلمة إِغْرْمْ في الأطلس الكبير الأوسط والشرقي والأطلس المتوسط والجنوب الشرقي من تَازْنَاخْتْ إلى تافيلالت. كما تنتشر بصيغة التصغير : تَاگَاديرْتْ / تيگيدارْ (= تِيغْرْمْتْ / تِيغْرْمِينْ) أو بصيغة الجمع : إِگُودارْ.

تتميز هذه المؤسسات بكونها تُبْنَى عادة على مرتفع من الأرض، يصعب اقتحامه، ويسهل الدفاع عنه. وربما كان هذا هو الأصل في تسمية الجرف كذلك بـ أگاديرْ أو بـ أُجْدِيرْ، في كل من منطقة «القبائل» بالجزائر ومنطقة الريف بالمغرب.

أما الغاية من بنائها، فليست هي السكن الدائم للجماعة التي بنتها ـ باستثناء قصبات الأعيان أو ممثلي السلطة ـ بل لخزن ثرواتها من حبوب وزيوت وغيرها، وللالتجاء إليها في حالة الحرب. كما تكون مكانا للمبادلات التجارية ولبعض الصناعات كالحدادة والتعدين وصناعة الأسلحة أو إصلاحها والحُلي... وربما كان بعضها يستعمل منزلا (نزالة) للقوافل، إذا كان موقعها على الطرق التجارية.

وقد تكون ملكا جماعيا لسكان قرية واحدة، أو لمجموعة من القرى المتجاورة أو لقبيلة بأكملها. كما أن بإمكان الجماعة المالكة أن تقبل لجماعة أخرى لاتتوفر على أگادير خاص بها، أن تضع مخزوناتها في حصنها، بعد اتفاق الجميع، مع احترام الأعراف الجاري بها العمل.

يُبْنَى أگادير بتعاون الجماعة، ويكون تصميمه على شكل مربع تعلو زواياه أبراج للمراقبة، أو على شكل مستطيل بدون أبراج، وقد يتخذ شكلا هندسيًا آخر، وذلك حسب المناطق، ومدى ما تتوفر عليه الجماعة من إمكانات مادية وبشرية. ويتكون من عدة طبقات، قد تصل إلى خمس. وتقسم كل طبقة إلى غرف مفتوحة نحو الداخل، وهذه الغرف هي التي توزع على المستفيدين أسراً وعشائر. وفيها يضعون خزائنهم ويغلقونها، وتسمى بالأمازيغية أگْنَارْ وجمعها إِگْنَارْنْ.

كما يتوفر عادة على مسجد وخزان للماء (نطفية)، ومسكن للحارس، وفضاء للمواشي يكون بين السور الخارجي، المكوّن من النباتات الشوكية، والسور الداخلي المبني بالحجر أو الطين المكبوس.

إن الاستفادة الجماعية من مؤسسات إِگُودارْ اقتضت اعتبارها شخصية معنوية، تنظم سيرها أعراف شفوية أو مكتوبة يعرفها الجميع ويحترمونها، لا لأنها تضم بنودا زجرية، تنفذ عند الاقتصاء بكل صرامة فحسب، ولكن لأن مؤسسة أگادير تحاط بهالة من الاحترام، وتكتسب في نفوس الناس هيبة الحرم، بحيث لايجرؤ أحد على ارتكاب مالا يليق داخلها.

يشرف على تسيير هذه المؤسسة والبت في ما قد يطرح بسببها من مشاكل، مجلس إِنْفْلاسْ أو أعضاء الجماعة. ومع أن الكل مسؤول على أمن أگادير، فإن الجماعة توظف شخصا بأجر، يقوم بالحراسة الدائمة، ويكون مقيما داخله. كما تفرض على كل الأسر المستفيدة، أن تعين بالتناوب فردا منها للقيام بواجب الحراسة لمدة يوم واحد.

إن وجود مؤسسة إِگُودارْ بكثرة تلفت النظر، في المنطقة شبه الصحراوية وجنوب المغرب بصفة عامة، بما في ذلك جبال الأطلس، يدعو إلى الاعتقاد بأن سبب ذلك راجع إلى أمور ثلاثة :

1 ـ ضرورة خزن المواد المتوفرة في سنوات الخصب، حتى يستعان بها على السنوات العجاف. خصوصا في منطقة تتأثر أكثر من غيرها بالمناخ الصحراوي، والدورات المناخية المتعاقبة بين الجفاف والرطوبة.

2 ـ كون المنطقة غير خاضعة تماما لسلطة مركزية قارة، مما يجعل المجموعات المتساكنة في مواجهات مستمرة فيما بينها.

3 ـ كون المنطقة معرضة أكثر من غيرها لهجمات المجموعات الراحلة التي تجوب الصحراء وتخومها.

إن أهمية إِگُودارْ لاترجع فقط إلى وجود هذه البنايات المتخصصة ـ نَوَيَات المدن المصغرة ـ عبر مناطق واسعة من المغرب، بل ترجع كذلك إلى دورها في حياة الجماعة، وإلى الكيفية التي تم بها توظيفها على المستوى القانوني، لتساهم بفعالية في بقاء الجماعة وتلاحمها. فأگاديرْ والأرض هما المركزان الأساسيان اللذان تتمحور حولهما حياة الفلاحين. لذلك نجد أن المجهودات التنظيمية انصبت كلها عليهما، مما نمّى لدى هذه الجماعات حسا مرهفا على مستوى التقنين، وحرصا كبيرا، بلغ حد المبالغة، على تحري الدقة في تفصيل القواعد والنوازل.

J. Berque, *Structures sociales du Haut-Atlas*, p. 35, nº 1 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, Ed. des Hespérides, Toulouse, 1980, pp. 280 sqq ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, p. 62 ; *Dictionnaire Touareg-Français*, t/ I, p. 400 ; J. Despois, *Les greniers fortifiés de l'Afrique du Nord*, C. T., Tunis, 1954, pp. 1 - 58 ; P. Dupas, *Note sur les magasins collectifs du Haut - Atlas Occidental*, Hesp., Tome IX, Année 1929, 4e tr. pp. 303 - 321 ; J. Gattefosse, *Les greniers de falaise forme ancienne d'Agadir collectif*, B. S. P. M, Rabat, 1934, nº 1 et 2, 1e et 2e trimestre ; E. Laoust, *Mots et choses berbères*, p. 3, n. 5 ; *L'Habitation chez les transhumants du Maroc central*, pp. 214 - 215, *Contribution à une étude de la toponymie du Haut - Atlas*, p. 70; J. Meunié, *Les Greniers - citadelles au Maroc* ; R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti - Atlas, l'Agadir des Ikounka*, Hesp., Tome IX, Année 1929, 2e - 3e trimestre, pp. 145 - 2666; *Villages et Kasbas berbéres*, Paris, 1930, ch. IV ; *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 253 sqq ; H, Nait - Balk, *Approche archéologique et architecturale des Igoudar de l'Anti - Atlas et de leur rôle socio-économique*, D. E. A., Paris I, 1986.

صدقي علي أزايكو

أكادير. ـ جغرافيا ـ تعرف مدينة أكادير كباقي المدن المغربية الأخرى، توسعا حضريا سريعا، غير أن العاصمة السوسية تنفرد بدينامية حضرية تثير الانتباه. فهذه مدينة هامشية نسبيا، تتعرض إلى زلزال عنيف (شهر فبراير 1960) يأتي على 80 ٪ من بناياتها، ويجعل عدد سكانها ينخفض من 45000 نسمة قبيل الكارثة، إلى حوالي 16000 فردا بعدها، ويلحق اضطرابا كبيرا باقتصادها المحلي، ثم نجدها بعد عقد من الزمن فقط استرجعت ساكنتها التي ارتفع عددها إلى 62000 نسمة سنة 1971، كما استعادت دورها الإقليمي الذي تقوّى واتسعت منطقة نفوذه. أما اليوم فأكادير أصبحت تحتضن أكثر من 100000 نسمة منتمية بذلك إلى فئة المدن المتوسطة. وإذا ما اعتبرنا المراكز الصغرى التابعة لها والتي تُكوِّن معها ما أصبح يصطلح عليه اليوم "بأكادير الكبير" فإن ساكنة هذا التجمع الحضري تفوق 200000 نسمة. وعلى أي فأكادير غدت اليوم تفرض وزنها كقطب جهوي لأقاليم المغرب جنوب الأطلس لا من الناحية الديمغرافية فحسب، بل وعلى مستوى الأنشطة والوظائف كذلك، حيث يتعدى دور بعض هذه الأنشطة ـ كالسياحة ـ الإطار الإقليمي الضيق.

فأي تقديم لأكادير لا يمكنه أن يغفل هذا الانبعاث الذي يلفت النظر، وبالتالي يلزم إبراز بعض العوامل المفسرة لهذه الانطلاقة، قبل التعرض إلى تحليل الأنشطة الحضرية وخصوصياتها، وكذا النسيج الحضري ومميزاته.

ترتبط أهمية أكادير الماضية والحاضرة بموقعها وموضعها، وانفتاحها على الشمال والجنوب. موقع المدينة في أقصى غرب الأطلس الكبير، حيث تنخفض السلسلة الجبلية لتصبح هضابا متدرجة (هضاب إداوتنان) جعلها تحتل نقطة وصول الطريق الوحيدة العابرة للأطلس الكبير، في اتجاه الأقاليم الجنوبية، كما أن وجودها على قدم الأطلس وفر لها وضعية اتصال وتكامل بين الوسط الجبلي وسهل سوس.

أما موضعها الساحلي، جنوب النتوءات الأطلسية التي تتقدم داخل البحر، فسيلعب دورا أساسيا بالنسبة للأنشطة التي ستعتمد عليها المدينة. فرأس غير يقي الخليج من الرياح والشاطئ من عباب المحيط الأطلسي، ولذلك كان هذا الموضع من أحسن النقط الموجودة جنوب البلاد المغربية لإرساء السفن، ثم لتشييد ميناء سيبقى وحتى بداية الثمانينات ـ أي إلى أن جهز ميناء مدينة العيون وطرفاية ـ هو المرسى الرئيسي، والمنفذ الوحيد للمغرب جنوب الأطلس. وسيساهم رأس غير هذا، بعد إعادة بناء المدينة في ظهور ثم ازدهار النشاط السياحي الذي يرتكز بأكادير أساسا على منتوج البحر، وذلك بتوفيره خليجا بحريا هادئا، وشاطئا آمنا.

إن تظافر عناصر هذا الموضع وهذا الموقع سيجعل من مدينة أكادير عاصمة جهوية لكل الأقاليم المغربية الممتدة جنوب الأطلس. وتبرز أهمية هذين العنصرين من خلال المراحل التاريخية التي مرت منها المدينة :

ـ أكادير حتى سنة 1960 : من المركز التجاري حتى المدينة المنكوبة.

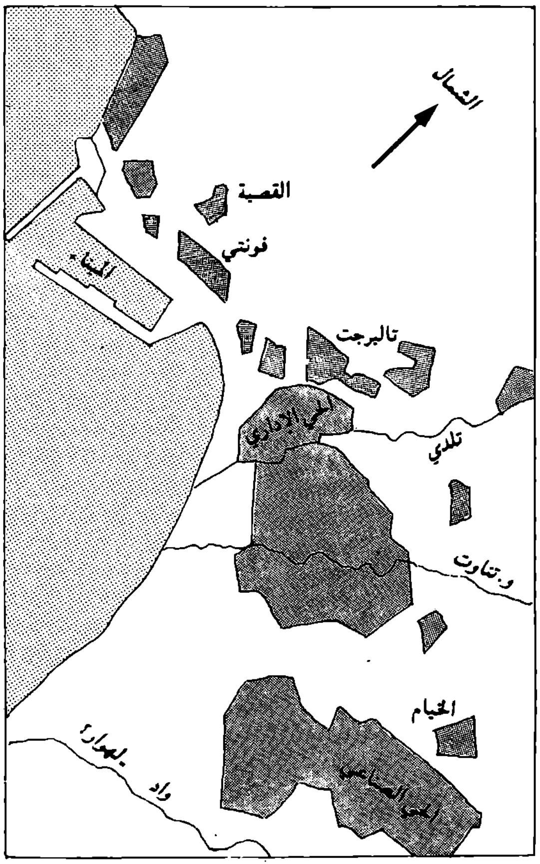

أكادير عام 1960

من المفترض أن الفينيقيين ترددوا على الخليج لملائمته للملاحة البحرية آنذاك، ومما لا شك فيه أن البرتغال استقروا بنفس الخليج حيث أنشأوا أولا ميناء للصيد تحول فيما بعد إلى مركز تجاري نشيط ومحصن (Santa Cruz du Cap de Gué) تردد عليه تجار قادمون من إسبانيا وفرنسا وجنوة. ثم تُسترجع هذه النقطة الساحلية من طرف السعديين في أواسط القرن السادس عشر، لكي ينشط بها تصدير سكر سوس، ولوز وجلود الأطلس الصغير، وذهب السودان في اتجاه البلدان الأوروبية. وتدوم فترة الرواج التجاري هاته حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث أنشأ السلطان العلوي محمد بن عبد الله ميناء الصويرة سنة 1774 وأوقف تردد التجار الأوروبيين على ميناء "سانطا كروز" فانهار اقتصاد الميناء، وبقيت الحالة هكذا حتى أن ظهرت أطماع التوسع الأوروبي (الفرنسي الألماني) الذي سيوجه اهتمامه إلى سوس ومنفذه الساحلي خاصة ابتداء من سنة 1909، إلى أن يتم احتلال أكادير من طرف القوات الفرنسية سنة 1913. وستبرز من جديد أهمية الميناء حينما تلقت أكادير بعد الحرب العالمية الثانية، قسطا وافرا من رؤوس الأموال التي انتقلت من فرنسا إلى

المغرب. فبالإضافة إلى الاستعمار الفلاحي بسهل سوس، استثمر المعمرون في قطاعي الصيد وتصبير السمك حيث تلقت أگادير ما بين 1947 و 1952 مثلا أكثر من نصف معامل التصبير التي أنْشئت بالمغرب.

أما في فترة الاستقلال فقد لعبت مدينة أگادير دورا أساسيا كمنفذ للجنوب وعاصمة جهوية. فقد كانت نقطة وصول جل المحاور الطرقية القادمة من الشرق (ورزازات، وتارودانت، وسهل سوس)، ومن الجنوب (طرفاية، وتزنيت)، ومن الجنوب الشرقي (الأطلس الصغير)، ومن الشمال (الدار البيضاء). كما كانت منفذ تصدير المنتجات الإقليمية (معادن الأطلس الصغير، والمنتجات الفلاحية لسهل سوس، والمنتجات التحويلية للصناعات المحلية) وتزويد الجنوب بما يحتاجه من مواد استهلاكية، كما كانت هي القطب الصناعي الوحيد والعاصمة الإدارية لإقليم كان يُعتبر أكبر الأقاليم آنذاك.

إلى وسطها، فأصبحت صلة الوصل بين الجزء الشمالي والجزء الجنوبي من التراب الوطني، سيما وأن طريقاً جديدة بحوض أرگانا جعلها تنفتح أكثر على الشمال، كما أن مشروع خطة السكة الحديدية الذي سيربط الشبكة الشمالية بمدينة العيون سيزيد من أهمية هذا الدور الذي أصبح منوطاً بأگادير. ناهيك عن اتساع منطقة إشعاعها الذي كان دائما متجها نحو الجنوب. فعلى سبيل المثال تنفرد المؤسسات الجامعية (كليتا الآداب والعلوم) التي أحدثت بالمدينة منذ 1984 بأوسع رقعة استقطاب جغرافي للطلبة من الأقاليم الموجودة بالجنوب الغربي.

بالإضافة إلى هذه المكانة التي أصبحت تتمتع بها المدينة على الصعيد الإقليمي والجهوي، تنهمك أگادير، على الصعيد المحلي، في هيكلة تجمع حضري فريد من نوعه، جنوب الأطلس. فرغم المجهودات التي بذلت في إطار إعادة بناء المدينة، فإن الإمكانيات السكنية المعروضة

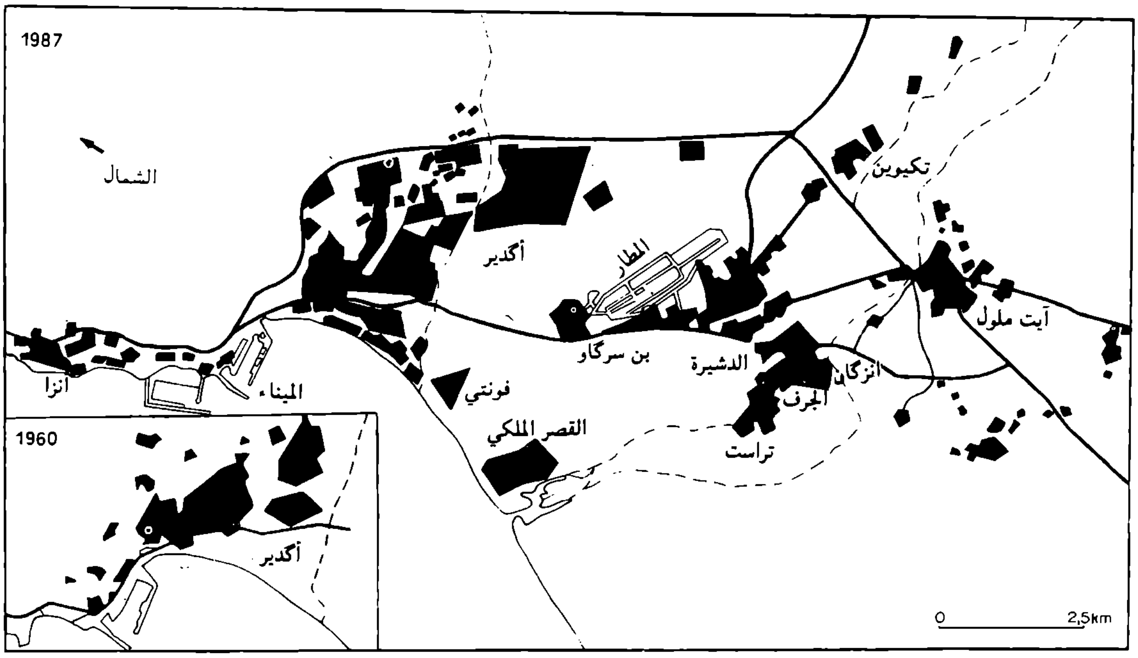

أكدير الكبير

ـ أگادير بعد الزلزال. أهمية هذا الدور الإقليمي هي التي استلزمت إعادة بناء المدينة، رغم أن الكارثة كانت قد دمرتها. وهكذا انطلقت أول الأوراش سنتي 1962 و 1963 لكي تنتهي المرحلة الأولى والأساسية في إعادة بناء المدينة (انتهاء الأشغال الكبرى والبنايات الإدارية، تقدم الأحياء السكنية، انطلاق الحي السياحي) سنة 1966. ثم استعادت المدينة جاذبيتها حيث ارتفع حجم تيارات الهجرة من جديد في اتجاهها.

ثم ما تلبث أن تستعيد دورها الجهوي كعاصمة ذات حيوية، مضيفة إلى الوظائف السابقة النشاط السياحي الذي انطلق منذ فترة إعادة البناء بتدشين قرية نادي البحر المتوسط سنة 1966. ويقوى دورها أكثر باسترجاع المغرب لأقاليمه الصحراوية، حيث تحول موقعها من جنوب البلاد

لم تتوصل إلى تلبية كل حاجيات الطلب المتزايد من طرف السكان القدامى الذين عادوا إلى المدينة، أو من طرف مهاجري البوادي. وبالتالي فإن مجموعة من المراكز التابعة ستنمو في ضواحي المدينة كمراكز الدشيرة، وإنزگان وأيت ملول، وبن سرگاو، وذلك خلال الستينات والسبعينات، بينما تحولت في السنوات الأخيرة مجموعة من الدواوير القروية "كالجرف" و "تراست" و "تكيوين"، إلى ضواحي حضرية. فالمدينة التي كانت لا تتعدى مع ضاحيتها 27000 نسمة، انتقلت إلى أزيد من 100.000 نسمة، لكي تفوق خلال إحصاء 1988، 200.000 نسمة. إلا أن بلدية أگادير تُمركز كل الإمكانيات الاقتصادية، والتجارية، والإدارية وكذا التجهيزات، بينما المراكز التابعة الأخرى، باستثناء إنزگان وأيت ملول اللذين يوفران بنية تجارية وخدمات لا

بأس بها، هي عبارة عن منامات لساكنة تشتغل بأگادير المركز (انظر الشكل رقم 1 والجدول رقم 1).

جدول رقم 1 ـ تطور سكان مدينة أگادير وضاحيتها.

المركز	1971	1982
بلدية أگادير	61.192	110.479
ابن سرگاو	6.621	13.517
الدشيرة	16.077	39.760
إنزگار	11.495	17.952
الجرف	3.105	7.188
تراست	1.809	19.919
تكيوين	2.943	8.391
أيت ملول	5.989	17.712
مجموع الضاحية	48.039	124.439
مجموع أگادير الكبير	109.231	234.918

(المصدر : إحصاء السكان 1971 و 1982)

كل هذه التطورات ستنعكس على الأنشطة التي تتنوع وتعدد وتقوى حيوتها، والنسيج الحضري الذي يتسع ويتباين.

تستفيد مدينة أگادير من نسبة للتغشيل (26 ٪ من مجموع السكان) تفوق نسبيا المعدل العام للمغرب الحضري (22 ٪). ويعزى هذا بالخصوص إلى أنشطة الصيد، وتحويل السمك، والسياحة، والإدارة وبعض الوحدات الصناعية الخفيفة.

ارتبطت أول نواة للمدينة (مركز الصيد البرتغالي وقرية فونتي) بالصيد البحري. واعتمد اقتصاد المدينة منذ سنة 1940 (وهي سنة إنشاء عدة معامل تمليح السمك) على الصيد. وتظهر أهمية القطاع في كون أگادير قد احتلت خلال العشر سنين الأخيرة المرتبة الأولى كميناء صيد، بينما كانت مدينة أسفي تتبوأ الزعامة في هذا الميدان. ويُشغل قطاع الصيد بما في ذلك أنشطة التحويل الصناعي 20 ٪ من الساكنة النشيطة. كما يُمركز الميناء 41 ٪ من مجموع أسطول الصيد المغربي التقليدي، بينما يتلقى أكثر من نصف الحمولة التي تفرغ في مجموع الموانئ. تختص أگادير في صيد السمك السطحي (سردين أسقمري، تن) الموجه إلى التصبير والتحويل في معامل المدينة التي يشتغل بها حوالي 2500 عامل. لا تقتصر هذه المعالجة الصناعية على التصبير، وإنما تحول الأسماك إلى طحين وزيوت، كما يُجمد جزء آخر.

أمّا النشاط السياحي، وهو قطاع حديث جدا، فارتبط بإعادة بناء المدينة بعد الزلزال، غير أنه عرف تطورا سريعا، جعل المحطة التي كانت غير موجودة في أواخر الستينات تصبح اليوم أول اتجاه سياحي لتيارات السواح الأجانب المتجهين إلى المغرب. فمدينة أگادير التي كانت لا تتعدى طاقتها الإيوائية 1 ٪ من مجموع الطاقة الإيوائية المغربي، تهيمن اليوم على 21 ٪ من هذه الطاقة، وتتلقى 23 ٪ من مجموع السواح القادمين إلى البلاد، وتستفيد من 34 ٪ من مجموع المبيتات الفندقية أي ما يفوق ثلاثة ملايين مبيتة في السنة. يفسر هذا التزايد بعدة عوامل يمكن تبويبها في ثلاثة :

أ ـ ظروف طبيعية مواتية تتلخص في امتداد شاطئ رملي على طول 9 كيلو مترات، مياه هادئة، ارتفاع نسبي لدرجات الحرارة خلال فصل الشتاء، طول مدة التشميس (3250 ساعة سنويا)، وتركز أحسن الظروف المناخية في فصل الشتاء، الفصل الذي يسجل أكثر طلب لدى سواح أروبا الشمالية.

ب ـ إرادة المخطط الإعدادي للتأكيد على السياحة كقطاع اختياري له الأسبقية في إعادة بناء المدينة. فرغم أن السياحة لم تكن غائبة من مخططات الفترة الاستعمارية، فإن التصميم الإعدادي لسنة 1962 هو الذي سيبرز هذا القطاع حيث اختاره كنشاط رئيسي. هذا القطاع سيضيف المساعدات التي خصصت لبناء المدينة، إلى التشجيعات التي نص عليها قانون الاستثمارات السياحية فيما بعد. كما أن هذا التصميم سيخصص كل الأراضي المحادية للبحر والتي توجد بين خط الشاطئ والطريق الرئيسية رقم 8 لتتلقى وبصفة إجبارية منشآت وتجهيزات سياحية. وهكذا انطلقت الأشغال في التجزئة السياحية ابتداء من سنة 1964 لكي ينجز 28 ٪ مما كان مقررا في ظرف سنتين.

ج ـ إقبال وكالات الأسفار السياحية الدولية على منتوج أگادير دون غيره. تجمع أگادير بفضل موضعها بين عناصر عدة مكونة لمنتوج يوافق الأذواق السياحية للزبناء والحاجيات التجارية للوكالات. فبالإضافة إلى شاطئ يمكن التردد عليه طيلة فصول السنة الأربعة، وظهير غني بالمآثر التاريخية والحضارية، توفر أگادير طاقة إيوائية تلبي كمّاً وكيفا حاجيات الزبون الأروبي. ويقدم هذا الزبون إلى أگادير في إطار أسفار جماعية، بحثا عن منتوج تطغى عليه سياحة الإقامة الشاطئية، الشيء الذي ينعكس على بنية الطاقة الإيوائية. فنصف مجموع الأسرّة من نوع الفنادق الفخمة من 4 و5 نجوم، بينما يقرب من النصف الآخر عبارة عن قرى سياحية على نمط قرى "نادي البحر المتوسط" ومجموعات إقامات تختلف عن الفندق التقليدي. وبخلاف ما يحدث في الاتجاهات السياحية المغربية الأخرى، يلاحظ أن النشاط الجديد له عائدات ملموسة على الاقتصاد المحلي، إذ يشغل بصفة مباشرة أو غير مباشرة ما يقرب من 15 ٪ من اليد العاملة النشيطة. كما ينشط قطاعات الخدمات والتجارة والصناعة والفلاحة المحلية.

قطاع الصناعة والحرف التقليدية، يوفر الشغل لربع السكان النشيطين بأگادير . فإعادة بناء المدينة وحركة التجهيز الفندقي يفسران وزن مقاولات البناء، بينما تتنوع الوحدات الصناعية الأخرى مرتبطة بقطاع الصيد والفلاحات السقوية بسهل سوس (الصناعات الغذائية تحتل الرتبة الثالثة بعد الدار البيضاء وأسفي) وصناعة التعليب أو بالقطاع السياحي.

تنقسم المدينة من حيث تصميمها إلى عنصرين : القسم الذي خطط حسب ما نص عليه التصميم الإعدادي لإعادة بناء المدينة، والتوسع الحضري الحديث الذي يتجه داخل سوس متبعا الطريق الرئيسية رقم 40، وقد أعيد بناء المدينة دون الابتعاد عن اختيارات التصميم الذي وضع سنة 1961. وكان يهدف إلى إنشاء مدينة تتسع لخمسين ألف ساكن، مؤكدا على ثلاث أسبقيات بالنسبة للأنشطة، وهي الإدارة والتجارة والسياحة، ومحاولاً خلق أحياء لها ميزات خاصة حسب حاجيات وأنشطة السكان. وقد اختير نسيج حضري متعامد يرتكز على طرق رئيسية متعامدة أو موازية لخط الساحل. وتظهر نتائج هذا التصميم في الميدان من خلال المورفلوجية الحضرية وأنماط الأحياء. (انظر الشكل رقم 2).

الغرض من هذه النواة كذلك ربط الحي السياحي بباقي الأحياء الأخرى.

الأحياء السكنية : أ ـ حي تالبورجت الجديد : حاول المهندسون المعماريون خلق حي يشبه في نسيجه ووظائفه ومستواه الاجتماعي حي تالبورجت القديم الذي دمّر إثر الزلزال. وهو حي به سكن كثيف ومتصل ذو طابق سفلي ومستويين، وأزقة ضيقة، ويأوي سكانا وتجارة من النوع الشعبي. ب ـ الحي السكني الراقي : خصصت له الانحدارات الشمالية، لإشرافها على الخليج والأطلس الصغير جنوبا. ويضم سكنا فرديا عبارة عن فيلات وبعض العمارات الصغيرة. وتتضمن الأحياء السكنية الأخرى نسيجا موروثا عن تصميم إعادة بناء المدينة كحي ولي العهد، وحي الشرف، وحي الموظفين، وحي أمسرنات. وهي

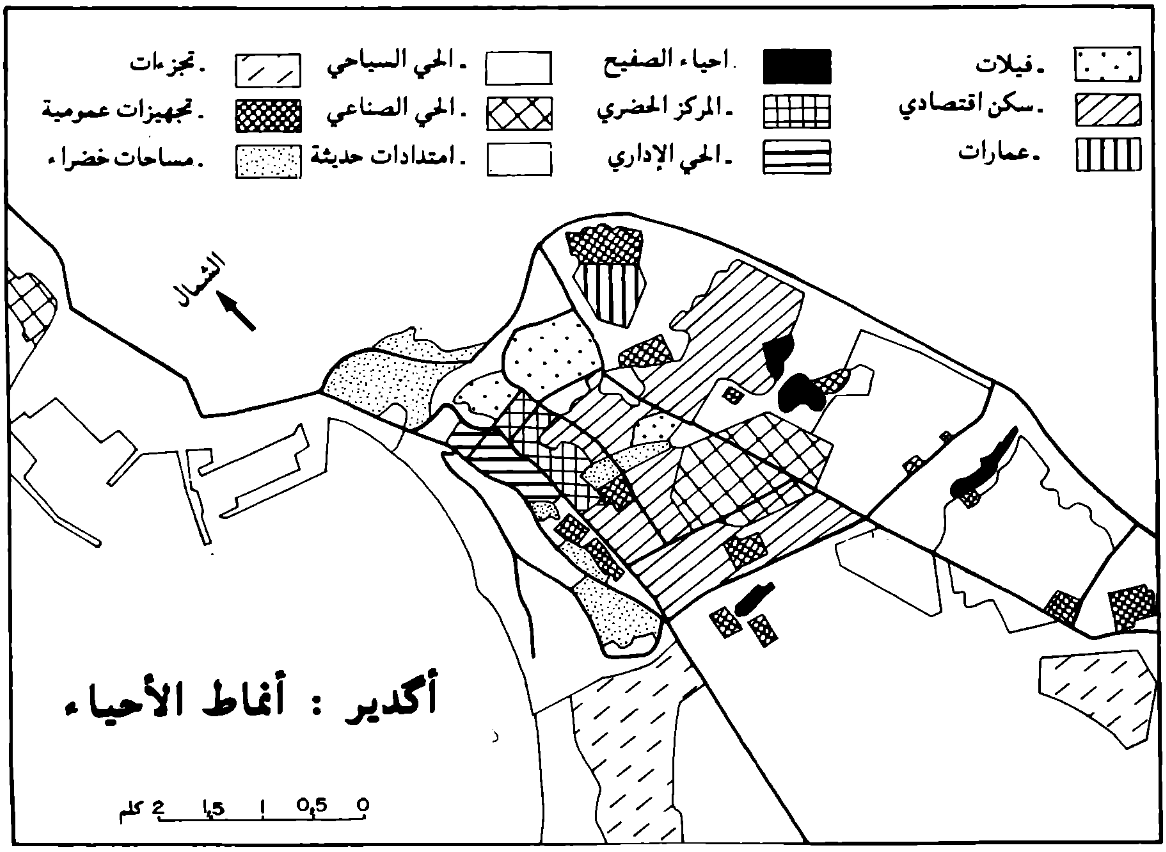

ـ "الحي السياحي والاستحمامي" : يشغل كل الأراضي المحادية للبحر حتى شارع محمد الخامس ويتسع في اتجاه الجنوب. وهو حي يختص في إيواء وتنشيط السياحة الدولية. ويركز جل الفنادق والقرى والإقامات. تمتد هذه المؤسسات وسط مجالات خضراء إما عموديا أو أفقيا ـ في أغلب الحالات ـ مستهلكة بذلك مساحات شاسعة.

يتكون المركز الحضري من عمارات لا يتعدى ارتفاعها ثلاث مستويات متعامدة أو موازية للخليج، تنتظم حول ثلاث ساحات رئيسية. يتصل هذا المركز الحضري بالحي الإداري حيث يكونان نواة تختص في الوظائف التجارية والإدارية والسكنية مع أنشطة القطاع الثالث العالي.

أحياء شعبية تتكون من سكن اقتصادي ينتظم حول ساحات صغيرة وتحتضن بعض الجزر أحياء الصفيح. كما تنتشر حاليا داخل السهل على طول الطريق الرئيسية رقم 40، على شكل تجزئات (حي القدس، حي الداخلة، حي المسيرة) تدخل في إطار برامج الإسكان التي تشرف عليها وزارة السكنى والمصالح التابعة لها، أو تجزئات حرة.

أما هذا التوسع الموازي للطريق فيُحتمه الحاجز الطبيعي الذي يتجلى في سفوح الأطلس الكبير شمالا وتخصيص الساحل للأنشطة السياحية جنوبا.

ـ الحي الصناعي ينقسم إلى قسمين : حي أنزا وهو امتداد لمنطقة الميناء شمالا، تسود به المؤسسات الصناعية

مع بعض السكن الهزيل. والحي الصناعي المزدوج الذي يجمع بين الصناعات والسكن والتجارة.

استطاعت مدينة أگادير أن تفرض هويتها كعاصمة إقليمية نشيطة. فرغم التوسع العمراني لمدينة العيون، لا زالت أگادير تعتبر المركز الصناعي ومركز الخدمات الرئيسي للجنوب الأطلنتي. وقد تضافرت عدة عوامل لتفسير هذا الوضع. فبالإضافة إلى أهمية الموقع والموضع، يجب التأكيد على ابتعادها النسبي عن الدار البيضاء

المركز التجاري الذي يهيمن على جل التراب الوطني، والمؤهلات الإقليمية المتنوعة، وإرادة الدولة في إعادة إحياء المدينة، وروح المبادرة التي يمتاز بها سكان سوس.

M. Péré, *Agadir, ville nouvelle*, R.G.M. Nº 12, Rabat, 1967 ; *Quelques aspects du tourisme au Maroc à travers l'exemple d'Agadir*, R.G.M. Nº 22, Rabat, 1972 ; M. Berriane, *L'espace touristique marocain*. Fascicule de Recherche Nº 7, E.R.A. 706 C.N.R.S. Université de Tours, 1980 ; O.D.I., *Zones industrielles au Maroc*, Rabat, 1980 ; Ministère de l'Habitat, *Shéma Directeur de l'aire urbaine d'Agadir et de son arrière - pays*, Rabat, 1982 ; M. Berriane, *Tourisme et emploi : le cas d'Agadir*, R. G.M., Nº7, Nouvelle Série, Rabat 1983.

محمد بريان

أگادير، ـ تاريخ ـ ينطق بها أهلها بدون مد ولكنها ترد في الكتب أگدير أو أگادير، ومعنى أگدير الجدار والحصن. لا تتوفر أدلة اركيولوجية قاطعة على ما هو مرجح مع ذلك من كون الفينيقيين كانوا يطرقون سواحل سوس ومن جملتها الجهة التي بها أگادير. بيد أن الإشارات التاريخية المكتوبة إلى عمارة أو نشاط في هذا الموقع إنما تعود إلى عام 911 / 1505 حيث أسس نبيل برتغالي اسمه João Lopes Sequeira مركزا للصيد وكان مجرد بيت من الخشب لحماية مراكب الصيد سمي فيما بعد بـ Santa Cruz du Cap de Gué (ou d'Aguer) أي رأس إغيرْ : وإغيرْ هو المنكب أو الذراع أو الجرف الشديد الانحدار، وهذه صفات تنطبق على العرف الجبلي الداخل في البحر المطل على ما يسمى اليوم بخليج أگادير إيْغيرْ أو أگادير نيغير أي حصن المنكب. وقد أسس المركز البرتغالي عند قدم هذا المنكب على ما يظهر، وقامت حول منبع ماء عمارة سميت باسم فونتي أو العين Fonte بالبرتغالية. وفي الأخبار البرتغالية أن مؤسس ذلك المركز التجاري لم يأمن على ماله فباع محله لملك البرتغال مانويل عام 1513. وقد عين الملك عاملا من قبله على هذا المحل اسمه الدون فرانسيسكو داكاسطرو، وقد قام بتحصين المكان بل استطاع على ما يبدو، إقامة علاقة طيبة مع العامل الوطاسي على تلك الجهات واسمه ابن مالك.

وقد اشتد الوجود البرتغالي في هذا الموقع وتمثلت فداحته في استغلال الأراضي الزراعية المجاورة بدرجة أثارت رد فعل السكان المتمثل في تعبئة أهل سوس وأهل حاحا لجهاد أولئك الكفار المحتلين، وهي التعبئة التي انطلق منها مشروع السعديين التگمدرتيين في الوصول إلى الحكم (الوزان، *وصف أفريقيا*، 1 : 44) ويتحدث الوزان في هذا الصدد عن الموقع تحت اسم Gartguessem، فيفهم من الشطر الثاني من هذه الكلمة أن المقصود قبيلة گسيمة التي ما تزال معروفة في هذه الجهة حول خليج أگدير. أما الشطر الأول فإما أن يراد به أگادير وهو الحصن، مع العلم بأن الحصن الذي عرف فيما بعد بني على مرتفع، والبناء البرتغالي إنما كان في الأسفل لذلك لا يستبعد أن يكون المقصود بـ Gart تلك البسائط المزروعة بجانب البحر. والمحقق هو أن المجاهدين بقيادة زعمائهم التگمدرتيين قد قضوا عدة سنين في الجهاد والحصار قبل استرداد الموقع وطرد البرتغاليين منه حيث لم يتم ذلك النصر إلا في 14 ذي القعدة 947 / مارس 1541. ولما كان هذا التاريخ مستندا إلى وثائق برتغالية فإنه يفترض أن يكون تخطيط السعديين لهذا الحصن المعروف بأگادير واقعا في الأيام القليلة الموالية للتحرير المتبقية في عام 947 حتى يتطابق مع خبر ابن القاضي الوارد في *المنتقى المقصور*، أو أن التخطيط كان متزامنا مع الأيام السابقة للهزيمة البرتغالية، أي حين الحصار الأخير الذي بدأ عام 1540. فنفهم من خلال هذا أن الحصن الذي بناه هذا القائد تيمز بأنه فوق إغيرْ أي في أعلى المنكب. ولقد عرف هذا الموقع منذئذ ازدهارا تجاريا مع الدولة الجديدة بفضل تنمية زراعة السكر في وادي سوس، فكان يتردد على مرسى أگادير تجار إسبانيون وفرنسيون وهولانديون واسكندناڤيون حاملين اجواخ وأواني لمبادلتها بالجلود الخام والجلود المعالجة وسكر القصب والتبر الذي كانت تأتي به القوافل من السودان.

ويذكر الأسير مويت Mouette أن السلطان مولاي رشيد العلوي قام بعد توليته مباشرة، أي عام 1080 هـ / 1669 م برحلة إلى سوس في جيش قوامه ثلاثة وستون ألفا من الجنود، من بينهم خمسة وعشرون ألفا من الفرسان. ولما قرب من أگادير تلقاه أهلها وبايعوه ثم توجه إلى إليغ. ولعل المولى الرشيد قد اكتفى بإقطاع فائدة هذا المرسى لبعض الخواص من تجار مثل ما فعل عام 1081 مع محمد بن علي الرسموكي، وفي هذا الظرف بالذات تأسس بأگادير مركز تجاري فرنسي لم يكتب له الاستمرار، ويظهر أن استبداد الرؤساء المحليين بمنفعة هذا المرسى قد تجدد في الفترة التالية لوفاة السلطان مولاي إسماعيل أي ما بين 1727 و1757 وفيها ضرب أگادير زلزال هدم جزءا منها سنة

1731 (*Hespéris - Tamuda* 1961, 2 - 3 , 270) ومع هذه الوضعية تجدد اهتمام الأوروبيين بالتجارة في مرسى أگادير فبادر الهولانديون بإقامة محاسبة هناك عام 1743، وحاول الدانماركيون سنة 1755 احتلال أگادير وبناء حصن لهم في تلك المنطقة فاعترض السكان على عملهم، غير أن الأمير سيدي محمد بن عبد الله توجه إلى سوس سنة 1169 / 1756 وقضى على تلك المحاولات. وفي سياقها قبض على شخص عرف بالطالب صالح المجاطي كان "مستوليا على أگادير مستبدا بمال مرساه" فسجنه ورتب حامية بأگادير ورجع لمراكش منصورا (*الإتحاف*، 3 : 152). وكان والده السلطان مولاي عبد الله قد حاول فتح أگادير فأغلقها دونه الطالب صالح ورماه بالأنفاض، مع العلم أن الضعيف (ص. 135) يذكر أن عبيد البخاري دخلوها بالسيف عام 1153 وأخذوا كل ما فيها.

ولعل النشاط التجاري بأگادير لم يثر سخط المخزن على محتجني الفوائد وكفى، بل خلق على ما يبدو جوا من العداء حول ذلك المركز منظورا إليه من القبائل السوسية، وذلك ما يفسر تصرف عبد الله ومحمد الگرسيفي الذي ثار عام 1174 / 1761 ودخل أگادير بالسيف عنوة وأوقع بأهلها وقعة هائلة، نزل على معاطنهم في بونت تحت سيدي بوقنادل حتى مات الجل منهم بالعطش بالمساجد والدور وأمر الثائر بإعلان النداء في الجبال السوسية وقبائلها بالحث على جهاد أهل أگادير ويقول : إن ثلثهم نصارى وثلثهم يهود وثلثهم عصاة حطب جهنم (*الإتحاف*، 5 : 444). فقد وردت إشارة مكتوبة تفيد أن ما تحصل للمخزن من فوائد الجباية في شهرين فقط أي ربيع الثاني وجمادى الأولى عام 1179 / 1766 كان خمسمائة مثقال وثلاثة وستين مثقالا وثماني أواق ونصفا "بذمة جموع أهل الذمة بأگادير" (*الإتحاف*، 3 : 252).

ولم تمض سوى سبع سنوات على هذا التاريخ حتى قرر السلطان محمد بن عبد الله تأسيس مرسى الصويرة عام 1188 / 1774 وجلب التجار إليها واغلاق مرسى أگادير أمام المتاجرة مع الأجانب لأن ذلك الحصن "كانت تتداوله الثوار مثل الطالب صالح وغيره ويسرحون وسق السلع منه افتياتا ويستبدون بأرباحها فرأى (السلطان) أن حسم تلك المادة لا يتأتى إلا بإحداث مرسى آخر أقرب إلى تلك الناحية، وأدخل في وسط المملكة من أگادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته فلا يتشوف أحد إليه" (*الاستقصا*، 8: 20 ؛ *الإتحاف*، 3 : 331) وإذا كان تأسيس الصويرة قد أدى إلى شلل نشاط أگادير بقرار المخزن، فإنه أدى كذلك إلى توقيف تجارة الأسلحة في سوس مع ما كان لها من العواقب، كما أجبر قوافل التجارة الصحراوية على الوصول إلى مراكش (De Brisson, *Histoire*, 170) .

وقد ثبت أن مرسى أگادير مرسى ضروري يتجدد دوره، فها هو في أوائل عهد المولى سليمان ينشط من جديد حيث كانت توسق منه الحبوب إلى أروبا في السنوات الموالية للثورة الفرنسية 1211 / 1796 (*الضعيف*، 274) وقد كان العامل في تلك المدينة على هذا العهد السليماني هو مولاي عبد الملك الزيزون، وقد وفد على عمه السلطان بهدية كبيرة من جنس ما كان يتداول هناك : العبيد والإماء والنحاس والبغال، وتجددت إزاءه لدى السلطان مخاوف الاستبداد، سيما وأن الزيزون كان قد منع المولى اليزيد من دخول تارودانت، ولذلك منع المولى سليمان ذلك العامل من الرجوع إلى مقره وأرسله إلى فاس وأرسل إلى أگادير من جاء بما فيها من ماله وغيره، وذلك عام 1212 / 1797، فتوطدت سلطة المخزن عند أهل أگادير. ومما يدل على ذلك استنفار المولى سليمان أهل أگادير للمشاركة في حركة قتال أمهاوش عام 1214 / 1799. ثم إن هذا السلطان اهتم بأگادير فأمر بإعادة بنائها وجدد حاميتها حيث رحّل من الصويرة البعض من عبيد بني عنتر ليسكنوا بأگادير وكانت موضعهم القديم، كانوا طبجية فيها فنقلوا إلى الصويرة ونقل غيرهم لحماية مرساها. (*الضعيف*، 343) وقد جرى ذلك في جو من التوتر بين المغرب وبين القراصنة من الأروبيين، وكانت الإشاعات تتردد بأن النصارى سيداهمون السواحل، فأمر السلطان بحماية المراسي ومنها أگادير التي سمع في 21 ربيع الأول عام 1223 29 / 5 / 1807 أن النصارى نزلوا قريبا منها بتماراغت فكان الخبر غير صحيح.

ومنذ ذلك العهد وأگادير مركز للسلطة المخزنية، فقد كان حاكمها الحاج العربي الگسيمي نائبا عن عبلا بن عبد الملك الحاحي المستولي على سوس في عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم تولاها القائد حميدة والقائد بومهدي (*المعسول*، 141، 149) وقد ظل مرساها مغلقا في وجه التجارة الأجنبية في هذا العهد الرحماني وإن ظلت حاميتها تتوصل بالعدة اللازمة. ولكن المعاهدة الخطيرة بين المغرب وإنجلترا سنة 1273 / 1856 نصت في شرطها الثاني عشر على أن شروطها الجارية ستشمل مراسي أخرى مثل مهدية وأگادير إذا فتحت في المستقبل (*الاتحاف*، 5 : 192).

وعندما تولى السلطان المولى الحسن كتب إلى قائد الصويرة الحاج عمارة بن عبد الصادق بتاريخ فاتح صفر 1293 / 27 يناير 1876 يأمره بتحديد إدالة ثغر أگادير من الجيش الصويري وإرسالها إلى خديم السلطان بأگادير الحاج عمر بن سعيد المتوگي بعد اختيار أفرادها من أهل النجدة المسلحين بالعدة الصحيحة (*الوثائق*، 450)، ولقد نفذت أوامر السلطان ببعث إدالة من ستين رجلا فيهم عشرة من المدفعيين، وكان من شأن هذه الإدالة المجددة أن يتقوى بها حضور المخزن بأگادير ممثلا في عمال وأمناء من أمثال القائد أحمد الگسيمي المشرف على مستفاد أگادير منذ توليته على قبيلته بعد رحلة مولاي الحسن إلى سوس عام 1299 / 1882، ثم عبد الرحمان بن علي الراشدي الذي نازع أبوه وهو عامل تارودانت القائد الگسيمي في مهمته (1891) ثم الأمين عبد الهادي بنونة ما بين 1892 و 1893.

واستطاع القائد الگسيمي من جديد استرجاع نفوذه إلى أگادير إلى أن خلفه القائد سعيد الگيلولي ابتداء من سنة 1314 / 1897، وكان يولي عليها أصحابها الحاحيين إلى أن خلفه أنفلوس (أفا، *الأبعاد التاريخية*، 5) وقد خرجت أگادير سالمة من إعصار الأطماع الأجنبية بفضل هذه اليقظة المخزنية وتعبئة أهلها، ذلك أنها ظلت تعتبر مركزا استراتيجيا تمر منه تجارة السودان مع الشمال المغربي، ولذلك اختلقت الدعاوي المتباينة الوجود لاستحواذ هذا الطرف الاستعماري أو ذاك على منفذ بحري للتجارة في جهات سوس. ومن حلقات هذه الأطماع زوبعة الدبلوماسيين الفرنسين والإسبانيين على إثر قيام التاجر الإنجليزي ماكنسي بجهات طرفاية، فصار الآخرون يطالبون بمرسى في تلك الجهات، ومن ملف هذه القضية رسالة السلطان مولاي الحسن إلى نائبه في طنجة محمد برگاش وجاء فيها :«وإن ذكروا لك أگادير فأعلمهم بأن أگادير دشرة على حجرة ملتفة بالغابة وسط قبيلة إداوتنان وهم جبالة لا تنالهم الأحكام ولا يحصل لهم به الغرض لأن حكمه حكم الصويرة، والمقصود عندهم أن يكون المحل وسط سوس [...] وأظن أن صورة أگادير لا تخفاهم من الكارطة» (*الاتحاف*، 2 : 335).

إن التقليل من أهمية أگادير يقصد به المخزن دفع أطماع الأجانب بينما لم يكن يتردد هو في فتح مرساها إذا دعت الضرورة المحلية أو الوطنية. من ذلك ما أقر به السلطان مولاي الحسن عام 1300 / 1883 من جلب الأقوات إليها على يد التجار الأجانب لأن أهل سوس احتاجوا إليها لما أضر بهم من فاقة، ولكن المخزن حرص على أن يلتزم التجار المستوردون بأداء حقوق الجمارك (الأعشار) بمدينة الصويرة «لا بأگدير حيث لا موازين بها ولا ديوانة للتعشير» (*الإعلام*، 2 : 395). وقد تخوف المخزن مع ذلك من إعطاب السفن في هذا المرسى أو من مدّ يد النهب في متاع التجار، لذلك كتب السلطان إلى محمد العربي الأدوزي بتاريخ 9 رجب 1300 باحتمال إخراج البضائع من جهة أخرى غير مرسى أگادير.

وقد ترتب عن تعطيل مرسى أگادير أن صارت تابعة في حكمها للقواد الحاحيين النكتافيين ثم الگيلوليين في العهد العزيزي، وكانوا يولون عليها من ينوب عنهم في حكمها، وكان هؤلاء من أتباع الشيخ على الدرقاوي وكان هذا الأخير «يلم بأگادير ويوصي تلميذه الحاج الحسن الگيلولي [...] بأن يتعهد المدافع الموجهة إلى البحر (*المعسول*، 1 : 304) وهذا مصداق التخوفات المشتركة على مصير تلك المنطقة الجنوبية التي ظلت محاطة بهالة من الأساطير في أذهان المغامرين من طلاب الثورة. وفي هذا السياق قامت مجموعة مانسمان Mannesman بتنقيبات عن المعادن في سوس، وتدخلت حكومة ألمانيا لحماية مصالحها بالمنطقة عندما أرسلت البارجة Pantho إلى مياه أگادير سنة 1911 فأسفر هذا الضغط بين المستعمرين عن تخلي فرنسا لألمانيا عن جزء من مستعمراتها في الكونغو يُضم إلى مستعمرة ألمانيا في الكامرون. وقد شهدت أگادير في المدة السابقة عن الحماية صعود أحمد الهيبة وتعيين نائب له في أگادير، وقد كانت بارجة فرنسية تراقب رحلته، ولما بلغ أگادير أرسلت قنابرها على هذه المدينة ومات من جراء ذلك صبيان فأرسل الهيبة أربعمائة فارس لمنع نزول الجيش الفرنسي، ولربما كان في ذلك رادع للباخرة فرجعت، وكان الفقيه عابد التغريسني ذا نفوذ في المنطقة وقائما بدعوة الهيبة، كما كان رئيس گسيمة المجاورة لأگادير محمد بن عبد الرحمان بن الحاج العربي مؤيدا للهيبة كذلك، ولكن انهزام هذا الأخير قرب مراكش أدى إلى انقلاب الموازين بمنطقة أگادير، وقام محمد بن الحاج الحسن الگسيمي من أسرة الرئيس المذكور بوصل حبله بالفرنسيين.

وفي 15 قعدة 1331 / 16 أكتوبر 1913 ضربت البواخر الفرنسية منطقة أگادير وحطمت أبراج دار الشيخ محمد بن عبد الرحمان الگسيمي الموالي للهيبة، ففر إلى إداوتنان ودخل داره بانزگان ابن عمه محمد بن الحسن المذكور وصار قائدا في گسمية ثم باشا أگادير، وشرع تحت حماية الاستعمار في مسلسل الإرهاب والفتك والاغتيال الذي ذهب ضحيته مئات الأبرياء، وقد عزل هذا الطاغية عام 1341 / 1925 .ونُفي إلى البيضاء، وعين أخوه عبد المالك مكانه (*المعسول*، 14 : 191) ومات بعد مدة غير طويلة. ثم تولى قيادة گسيمة محمد بن الحسن أحشوش الإرحالي، وتولى الحسن بن إبراهيم التامري باشوية أگادير من عهد عبد الملك، وهو الذي طالب بنفي القائد محمد الگسيمي المعزول، وتوفي التامري عام 1362 / 1943.

وفي عهد الاستعمار دخلت أگادير عهدا من الركود لمدة أربع عشرة سنة، إذ كانت منطقة عسكرية بالدرجة الأولى، لأن قبائل سوس لم يسلس قيادها للمستعمرين، فظلت أگادير تحت المراقبة الشديدة ولم يرخص فيها بالمعاملات التجارية إلا في عام 1927. ويتمثل هذا الركود في عدد سكانها الذي لم يكن في عام 1913، عام الاحتلال يتعدى 760 نسمة موزعين بين حي فونتي وحي القصبة، وكان من بين هؤلاء 160 من اليهود. وبعد 1930 بدأ النشاط يدب في قطاعي النقل والصيد المحلي، ثم تكاثر صغار البورجوازيين من التجار أو موظفي الحماية ممن تطلبت حاجاتهم إنشاء مدينة صغيرة (تالبرجت) حيث بلغ عدد سكانها حوالي سبعة آلاف نسمة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، وبعد الحرب ازدهرت صناعة تصبير السمك حتي صار فيها عام 1950 من الصيادين الأهالي ما يقدر عددهم بـ 1500 إضافة إلى حوالي 300 من الإسبانيين والبرتغاليين، وبلغ عدد الأيدي العاملة ثمانية آلاف من العمال والعاملات، وقد هاجر معظمهم من قبائل الساحل ما بين الصويرة وإفني ومن وادي سوس.

وكان الانصهار بين هذه العناصر ما يزال في بدايته عند منتصف القرن، وكانت تواجه المدينة مشكلتان على الخصوص، تتعلق أولاهما بالتنظيم المهني للبحارين الذين كانوا في وضعية ممتازة بالنسبة لغيرهم من حيث الموارد، وتتمثل الثانية في وجود عدة آلاف من النساء اللائي غادرن أسرهن وقبائلهن، ولا سيما من قبائل العرب الرحل ودخلن فجأة في مغامرة الحياة البروليتارية (Montagne, *Naissance*, 143) ومع ذلك فقد عرفت المدينة فترة ازدهار ما بين 1947 و1954، وفيها تم خلال عام 1953 بناء المرسى، وبذلك تجدد المرسى العصري الأول الذي يرجع إلى عام 1919.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، الضعيف، *التاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، ج. 6، 7، 8، 9 ؛ ع. ابن زيدان، *الاتحاف*، 5 أجزاء ؛ م. السوسي، *المعسول*، 20 جزء ؛ أ. الصديقي، *إيقاظ السريرة*، الوثائق ؛ ع. أفا، *الأبعاد التاريخية لاقتصاد أكادير في القرن التاسع عشر*، في ندوة أكادير الكبرى كلية الآداب أكادير 1986.

L. Massignon, *Le Maroc au début de XVI siècle* ; P. Ricard, *Le Maroc guide bleu* ; R. Montagne, *Naissance du Prolétariat au Maroc* ; G. Camps, *Agadir*, dans *Encyclopédie Berbère*, T. II.

أحمدالتوفيق

أكادير، إقليم له موقع جغرافي متميز، يمثل صلة وصل بين شمال المغرب وجنوبه، تلتقي عنده الطرق الرئيسية القادمة من الأقاليم الشمالية (الطرق القادمة من الصويرة ومن مراكش)، وتنطلق منه الطريق الكبرى المؤدية إلى الأقاليم الصحراوية.

وهو يضم رغم صغره (5910 كلم2) ـ أجزاء من ثلاث وحدات تضاريسية شديدة الاختلاف لكن أساسية في جنوب المغرب، هي الأطلس الكبير الغربي شمالا، والأطلس الصغير جنوبا، وسهل سوس ـ شتوكة في الجهة الوسطى. والوحدة السهلية تمثل المجال النامي والنشيط داخل الإقليم، باعتبارها في نفس الوقت مكان التقاء واتصال ومجال نمو الزراعة العصرية وامتداد المدن الكبرى من الناحية الإدارية. تعتبر الحدود الحالية حديثة العهد، حيث تم تقليص مساحة الإقليم سنة 1982، ليمتد على مجال ضيق لا يتعدى 5910 كلم مربع، يشمل الوحدات الطبغرافية التالية.

ـ شمالا الجزء الجنوبي من هضبة إداوتانان، المتميزة هنا بتموج واضح للسطح، وتحد هذه الهضبة شرقا حافة منعرجة هي عبارة عن كويسطا مشكلة في الصخور الكلسية الجوراسية ـ الطباشرية، والصخور الطينية الترياسية الرطبة. كما تحد المرتفعات نحو الجنوب الغربي حافة انثناء وانكسار خطية، تعتبر الجزء الغربي من الحادث الجنوب ـ أطلسي. وهذه الحافة نشيطة تمثلت حركيتها في الزلزال العنيف الذي ضرب مدينة أكادير سنة 1960، وخربها كليا.

ـ في الجنوب الشرقي تمتد الهضاب الكربوناتية التي تمثل الحاشية الرسوبية الأولية لكتلة الأطلس الصغير. وتمتد الهضاب المستوية شمال وغرب أيت بها. بينما يبدأ المجال الجبلي المتكتل جنوب هذا المركز، مشكلا في صخور قبلكمبرية تغلب فيها السحنة البركانية المتصلبة

ـ بين الأطلسين ينفتح سهل سوس على المحيط الأطلنتي، ويمتد جنوبا في سهل شتوكة في اتجاه منخفض تزنيت. هذا السهل يصرفه نهر سوس شمالا، وواد ماسة جنوبا. ويمتد فيه على مقربة من الساحل مجال كثباني، رماله متحركة شمالا على مقربة من مجرى سوس، ومستقرة جنوبا وخاصة على ضفتي واد ماسة. في هذه المنطقة السهلية توجد أجود الأراضي وأوسعها. كما تتوفر ثروات مائية متنوعة، تتمثل في نهري سوس وماسة، في مياه المسيلات النازلة من الأطلسين، وفي مياه الفرشة الباطنية، المتوفرة داخل المواد الغرينية المتراكمة في هاته المنخفضات المتهدلة.

أما قبل 1982 فقد كان إقليم أكادير أكثر امتدادا. مساحته أصلا، كانت تبلغ حوالي 50.000 كلم مربع غداة الاستقلال، إذ كان يشتمل على أربع دوائر هي : كولمين وإنزكان وتارودانت وتزنيت. ثم صار على إثر استرجاع منطقة إفني يضم دائرة إضافية ويمتد على مساحة 53.000 كلم مربع، يقطنها حوالي 1.2 مليون نسمة حسب إحصاء 1971. وبعد 1974، انفصلت عن هذا الإقليم الكبير، ثلاثة أقاليم هي من الشمال إلى الجنوب، تارودانت، تزنيت وكولمين، فتقلصت مساحته بالتدرج إلى 18.855، ثم 17.460 وأخيرا 5910 كلم مربع.

لكن تقلص المساحة، لم يرافقه تناقص مواز في عدد السكان وكثافتهم. ففي الوقت الذي أصبحت فيه المساحة الحالية لا تمثل إلا 11٪ من المساحة الأصلية، لم يتضاءل عدد السكان بنفس القدر، بل نجد السبعين ألف نسمة الحالية (حسب تقديرات مديرية الإحصاء) تمثل 55٪ من عدد السكان الذين تم إحصاؤهم في إقليم أكادير الكبير سنة 1971. أما الكثافة فقد عرفت عكس ذلك ارتفاعا مطردا، إذ مرت من 22 ن / كلم مربع سنة 1971 إلى 110 حاليا. ويمكن تفسير هذا التناقض بين تقلص مساحة الإقليم من جهة وتزايد كثافة السكان من جهة ثانية باعتبار عاملين، أولهما الزيادة الطبيعية للساكنة، وثانيهما الكثافة الخاصة للسكان في الجماعات القروية من مدينة أكادير، وعلى الخصوص الجماعات السهلية.

يضم الإقليم حاليا دائرتين فقط، الأولى شمالية وتغطي أطلس إموزار إداوتانان وسفحه الجنوبي وضفتي نهر سوس (دائرة إنزكان) والثانية جنوبية، تشمل الأطلس الصغير الشمالي الغربي وسهل بويكرة وشتوكة (دائرة بويكرة). كما يحتوي على بلديتين (أكادير وإنزكان) وعلى 19 جماعة قروية في بعضها مراكز حضرية، أهمها المراكز التي تمثل حاليا أحياء هامشية بالنسبة لأكادير، وتدخل ضمن المجموعة الحضرية الكبرى أكادير إنزكان (انظر الخريطة والجدول).

يشمل الإقليم مجالات فلاحية غنية يمتد أهمها في السهل، بل الجبال نفسها كثيفة السكن والاستغلال رغم ضآلة الإمكانيات وقلة الثروات. فالهضاب الأطلسية المتموجة مجال فلاحة تقليدية معاشية أصيلة، تعتمد على الشعير وعلى تربية الماشية وخاصة الماعز، كقطاع تكميلي. إلا أن قلة الإمكانيات جعلت السكان يهاجرون بصفة منتظمة، نحو المدن من جهة وخارج الوطن من جهة ثانية. إلا أن هذه الهجرة لم ينتج عنها ركود الأرياف، بل بالعكس، سمحت العائدات المالية المستثمرة محليا بإعادة تحريك النشاط الفلاحي في المنطقة.

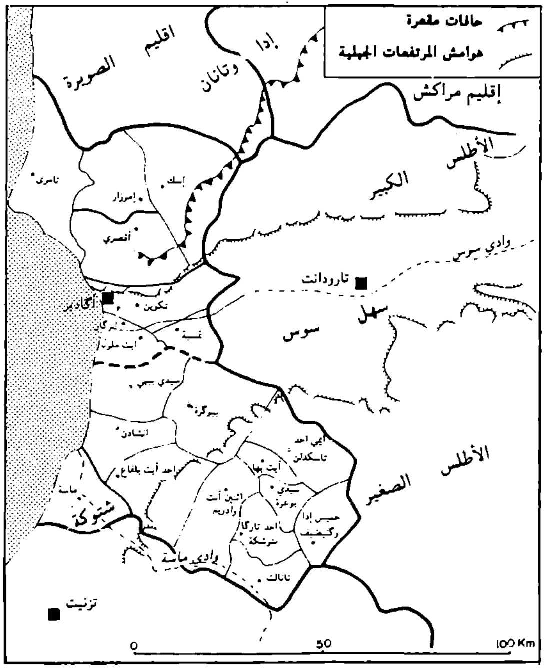

إقليم اگادير

حاليا، هذه الأنشطة التقليدية الجبلية مهددة بالتراجع بسبب منافسة القطاع السقوي. وهذه الزراعة العصرية السهلية متجهة أساسا نحو إنتاج مواد للتصدير، تطغى من بينها الخضر البواكر والفواكه في قطاعي سوس وماسة.

إلا أن مشكل الماء مطروح بحدة، خاصة وأن القسط الأوفر من مياه قدم الجبل ومياه سد واد إسن، صار مخصصا لتغذية المدن بالماء الشروب. من جهة أخرى تعرف المنطقة السهلية خطر التصحر، على إثر تمديد القطاع الفلاحي في مجالات تربتها هشة رملية، خاصة في المجال القرب ساحلي وعلى هوامش غابة أدميم. ذلك أن الاجتثات يؤدي إلى إعادة تحريك كثبان كانت مستقرة. فينتج عن ذلك تعقيم مساحات كانت مخضرة.

في نمو الفلاحة وتنويعها يكمن إذن السر في الحفاظ على ساكنة ريفية هامة، كثافتها الفعلية تقدر بستين نسمة في الكيلومتر المربع.

لكن هذا لم يمنع المدن من اكتساب حجم هام ونمو سريع، يتضح في النسبة المرتفعة للساكنة الحضرية داخل الإقليم (46،5 ٪). هذا التمدن الهام ليس دليلا على تقدم كبير في الأنشطة الحضرية، رغم تنوعها (أنشطة إدارية ـ تجارية ـ سياحية) بل ناتج أساسا عن أهمية الهجرة القروية من الأقاليم المجاورة الأطلسية والصحراوية، إلى مدينة أگادير وضواحيها أي إلى المركز الحضري الهام في المنطقة. مدينة أگادير الكبرى، أي باعتبار المراكز الحضرية المجاورة، لم تكن تضم سنة 1960 سوى 23.612 نسمة، بينما تقترب هذه القيمة الآن من 250.00 نسمة، الشيء الذي يعني نموا سريعا جدا، يتعدى بكثير مقدار التزايد المتوسط في مختلف أنحاء المغرب. فبين 1971 و 1982، تضاعفت الساكنة الحضرية لمجموع إقليم أگادير 2،4 مرات، في حين أن الساكنة القروية لم تنم إلا بحوالي 15٪ في نفس المدة.

جل الأنشطة غير الفلاحية مركزة في أگادير وضواحيها (انظر المقال الخاص بمدينة أگادير)، وتمتاز بشدة التنوع بسبب موقع المدينة على الساحل (صيد بحري ـ ميناء تجاري ـ سياحة دولية جد نامية يفسرها الاعتدال الواضح لطقس الشتاء وامتداد الشواطئ الرملية) وقرب مجال فلاحي غني (صناعات غذائية متعددة) وعند نقطة اتصال مناطق متنوعة (أهمية القطاع التجاري). كما أن المدينة تحتوي على تجهيزات أساسية للتنمية (ميناء في طريق التوسع ـ مطار دولي هام) وتعتبر نقطة التقاء طرق هامة من البيضاء والسهول الأطلسية الداخلية، ومن الأقاليم الصحراوية. وهي إلى ذلك نقطة تركيز رؤوس أموال مزارعي وتجار المنطقة، الشيء الذي يفسر نمو قطاع التجهيز والاستثمار.

إقليم أگادير إقليم حي، يعرف نشاطا هاما وتطورات سريعة، لكن لا تخلو من جوانب سلبية أكيدة. بعض الإشكالات تطرح على المستوى العام، منها :

ـ السرعة الخاصة لحركة التمدن والتضخم المطرد لمجموعة أگادير الكبرى، على حساب البوادي التي تعرف حركة هجرة سريعة.

ـ غلبة أنشطة القطاع الثالث (خدمات ـ سياحة ـ تبادل) بينما القطاع الصناعي يبقى مرتبطا أساسا بالمنتجات الزراعية ومواد الصيد البحري.

ويعرف الإقليم إلى جانب ذلك إشكالات تخص المناطق الجافة، أهمها :

ـ تنافس المدينة والأرياف على الثروات المائية القليلة مما يؤدي إلى تضاؤل هذه الثروات ويهدد بقيام مشاكل لا تحصى، تخص بالدرجة الأولى القطاع الفلاحي، ذلك أن الوسائل العصرية للضخ وتهافت المزارعين على الفرشة المائية الباطنية، جعل هاته تشح تدريجيا وتهدد عدة قطاعات سقوية بالانقراض.

ـ تدهور الظروف البيئية بسبب سوء السلوك البشري في المجالات الهشة، والشديدة الحساسية، والمعرضة بسرعة للإتلاف إذا تعرضت لسلوك غير لائق. ويهدد التدهور حاليا المجالات الرملية الكثبانية التي تعتبر تركات لمراحل رباعية أجف من الحالي، استعمرتها النباتات، ويقوم الإنسان حاليا باجتثاتها.

إقليم أگادير
سكان الأرياف

المساحة القروية	مساحة	احصاء 1960	1971	1982
أيت بهــا	93,7	4904	5704	4519
بيوگـرة	516,8	21750	29221	35653
احد أيت بلفاع	404,3	20043	24866	30539
احد تارگانتوشكة	186,2	11863	12066	11709
ايمي احد تاسكدلت	392,5	10338	11910	11812
انشــادن	240,6	11671	14272	19296
خميس اداوگنضيف	237	6702	6932	5294
مـاسـة	331,8	10536	13987	12813
سيدي بيـبـي	355,6	16438	20820	28318
سيدي بوعــز	109,3	4748	4945	4484
ثـانـالـت	195	11739	11068	10594
اثنين أيت واد. ريم	425	12250	15169	16123
مجموع دائرة بيوگرة	-	-	-	191154
أيت ملول	167,5	24371	22013	28780
أقصري	506,2	8161	9789	11049
اموزار اداوتانان	380	18500	9898	9982
اسـك	680	13803	15195	17619
التامري	500	14135	19146	23046
تمسية	128,1	9478	13419	18696
تكوين	341,8	8879	25029	33555
مجموع دائرة انرگان	-	-	-	142727
مجموع الإقليم			285449	333881

إقليم أگادير
السكان الحضريون

بلدية أگادير	16695	61192	110479
بلدية انزگان	6917	11495	17952
مركز الدشيرة	-	16077	39760
مركز تراست	-		19919
مركز أيت ملول		1989	17712
مركز ابن سارگاو		6621	13517
مركز الجرف	-	-	7188
مجموع أگادير الكبرى	-	-	226527
مركز أيت بها		-	1931
مركز بيوگرة			2974
مركز ماسة		-	6037
مركز تكوين	-	-	8391
مجموع السكان الحضريين	-	101374	245366

المركز	1971	1982
بلدية أگادير	61192	110479
ابن سرگاو	6621	13517
الدشيرة	16077	39760
إنزگان	11495	17952
الجرف	3105	7188
تراست	1809	19919
تكوين	2943	8391
أيت ملول	5989	17712
مجموع الضاحية	48039	124439
مجموع أگادير الكبير	109231	234918

عبد الله العوينة

أگادير أكليد ← تاقجيجت
أگادير ملولن ← تارودانت (إقليم ـ)

أكاديمية المملكة المغربية، أنشئت في الخامس من جمادى الثانية عام 1400 / 21 أبريل 1980 ببادرة من جلالة الملك الحسن الثاني، وكان قد صدر ظهير شريف بمثابة قانون بتاريخ 24 شوال 1397 (8 أكتوبر 1977) أحدثت بموجبه الأكاديمية، ويتضمن الأحكام المتعلقة بأغراضها وهياكلها ونظامها الأساسي وتدبيرها المادي. ومن قراءة عامة لهذا الظهير يتبين أن دواعي تأسيس الأكاديمية تتجلى في الإشارة إلى النهضة الفكرية التي تعرفها المملكة المغربية، والمهام التي علي المغرب القيام بها اعتبارا لموقعه الجغرافي كنقطة التقاء استراتيجية، وتكاثر القضايا التي تواجهها الإنسانية مما يتطلب حوارا فكريا متعدد الأصوات والاختصاصات على أعلى مستوى.

هكذا يحدد الظهير أهداف الأكاديمية في :

- "تشجيع تنمية البحث والاستقصاء في أهم ميادين النشاط الفكري : علم العقائد والفلسفة والأخلاق والقانون ومناهج الحكم والتاريخ والآداب والفنون الجميلة والرياضيات. والعلوم التجريبية وغير التجريبية والإدارة والاقتصاد والصناعة والتعمير والتقنيات التطبيقية".
- " العمل على إفراز تكافل مستمر بين هذه النشاطات في دائرة احترام القيم الأخلاقية والروحية الأساسية".
- "السهر، بتعاون مع الهيآت المختصة في الميدان المقصود، على حسن استعمال اللغة العربية بالمغرب وعلى إتقان الترجمة من اللغة العربية وإليها، وإبداء الآراء السديدة في هذا الموضوع".

توضيحا لهذه الأهداف تعرض خطاب افتتاح الأكاديمية الذي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني لما سيعهد به لهذه المؤسسة الملكية من مهام على رأسها :

- " الإسهام المنشود في تأليق الفكر وازدهار العرفان والتقارب بين الأفراد والشعوب، والتفاهم المفضي إلى سعادة الإنسان".

ـ " احتضان رجال يفدون من آفاق متباينة وينتمون إلى أجناس مختلفة وينتسبون إلى ثقافات وحضارات متغايرة، ويمتازون كلهم بالصيت البعيد، والشهرة الواسعة، والتجربة الوافرة، والحكمة البالغة".

ـ أن تكون المؤسسة "مستراد" فسيحا تتظافر في رحابه جهود سامية، لا للتباحث والتداول في شؤون فكرية وعلمية فحسب، ولكن لإيجاد ذلك التقارب وذلك التفاهم الخليقين بالاتساع والامتداد".

تحتضن الأكاديمية في رحابها 66 عضواً (30 عضواً مقيماً و 32 عضواً مشاركاً و4 أعضاء مراسلين)، وتتمثل أهم هياكلها في التالي :

ـ المكتب، ويتكون من أمين السر الدائم وأمين السر المساعد ومدير الجسات.

ـ اللجنة الإدارية (وهي لجنة تنظيمية ومالية).

ـ لجنة الأعمال (وهي لجنة علمية).

ـ يمكن للأكاديمية أن تشكل لجانا مختصة دائمة أو ظرفية، وهكذا تم تمثيل اللجان التالية : لجنة التراث، لجنة اللغة العربية، لجنة القيم الروحية والفكرية، لجنة التربية والعلوم والتكنولوجيا، لجنة المطبوعات.

تعقد أكاديمية المملكة المغربية دورتين في السنة على الأقل (أبريل ونوفمبر)، داخل التراب الوطني أو خارجه، ويشهد مقر الأكاديمية اجتماعات قارة في جلسات عادية أيام الخميس (مرتين في الشهر)، تلقى خلالها بالإضافة إلى المداولات التنظيمية أحاديث يعرض فيها الأعضاء تقييمهم للكتب الصادرة أو مشاريع الأبحاث التي تأخذ باهتمامهم أو المؤتمرات العلمية التي يحضرونها، كما تعقد اللجان اجتماعات دورية (مرتين في الشهر) وتنظم الأكاديمية محاضرات عمومية وأياما دراسية مختصة.

تصدر الأكاديمية مطبوعات تنتظم في أربع سلاسل صدر منها حتى نهاية 1988 إثنى عشر كتابا في سلسلة "الدورات" وأربعة في سلسلة "التراث" و ثلاثة في سلسلة "الندوات والمحاضرات".

إضافة إلى عدد افتتاحي وأربعة أعداد من مجلة الأكاديمية.

ظهير شريف بمثابة قانون رقم 229 . 77 . 1 في 24 شوال 1397 / 8 أكتوبر 1977. *العدد الافتتاحي لمجلة الأكاديمية.*

مصطفى القباج

إكَاسَاس، يرجح أن يكون معناه، بني مجروح أو المجروحين. وورد اسم مكان شرقي تطوان قريبا من الساحل، كان بأرض بني نائل.

البيذق، 93.

أحمد التوفيق

أكَاوْس، تكشف إحدى الوثائق الإسبانية لسنة 1499 عن وجود قصبة أكَاوْس بجانب قصبة تگاوست وتسگنان جنوب الأطلس الصغير. ومعلوم أن موقع گليميم حوالي 8 كلمترات شرق هذه القصبات قد أهلها ابتداءً من نهاية القرن السابع عشر للحلول محل تگاوست كعاصمة اقتصادية لمنطقة وادي نون، ندرك من هنا لماذا أخذ المدشر الحالي الواقع على مقربة من أنقاض تگاوست وتسگنان اسم القصابي. تعتبر هذه الوثيقة التاريخية معاهدة سياسية تتعهد بموجبها إسبانيا بحماية قرى ومداشر وادي نون وإفني وإفران وتمنارت بطلب من شيوخ قبيلة بني عامر الأعرابية. وقد ترجمها إلى الفرنسية الباحثان الفرنسيان P. De. Cenival و F. C. De. La Chapelle سنة 1935. وإذا كان أگاوس هو مذكر تگاوست، فإن معجم الصنهاجية الموريتانية يوضح بأن معنى التسمية هو الكثيب الممتد (Colin : 294). على أننا نجهل علاقة التسميتين بأگا التي تفيد الأداة المستعملة في استخراج الماء. كما أنه يصعب ربطها بفعل آوگس الذي يعني التوجه نحو الجنوب (Colin : 318). مهما يكن فإن الجهل التام بتاريخ هذه القصبات يقتضي كما نرى البحث الميداني والأركيولوجي.

لقد لعبت هذه القصبات وخاصة منها تگاوست ذات الحجم العمراني والاقتصادي الكبير، دوراً أساسياً في تقوية المبادلات بين المناطق المحيطة والمد المسيحي على شواطئ المنطقة. هذا ما تفيده العلاقات القرابية والسياسية بين شيوخ القصبات الثلاث. فعلاوة على انتمائهم إلى نفس القبيلة كان محمد بن أحمد شيخ أگاوس صهر كل من محمد ميمون شيخ تگاوست وعلي بن أينو شيخ تسگنان. كما أن قصبة أگاوس كانت تحتضن مقر المقيم العام الإسباني على جزر كناريا. وقد تميز شيخ أگاوس بمعرفته اللغة الإسبانية مضيفا بذلك إلى حجم علاقته التحالفية مع حاميه وحامي قبيلته. على أن المنحني الإسطوغرافي للوثيقة يميز شيوخ هذه القصبات الثلاث عن باقي شيوخ القبيلة بالاستقرار والمراقبة الفعلية. وهو بعد دلالي يؤكد الاختلاف البين مع الغور الأمازيغي في المواقف إزاء إسبانيا، ويكشف عن عدم استقرار باقي الشيوخ الأعراب داخل المداشر. فمن خلال الاستعراض والمقارنة لبنود المعاهدة يتضح أن صراع أولاد عامر مع الغور الأمازيغي صاحب الأرض والمداشر على أشده. وإذا كانت تحالفات أولاد عامر بالإسبان تدل على وحدة المصالح فذلك دليل على أهمية الاستراتيجية العسكرية في مراقبة المنطقة سياسيا وتجاريا. واعتبارا للتوجهات الإيبيرية نحو الساحل الأطلسي للصحراء، أصبحت ساعتها تگاوست عاصمة المنطقة بدلا من تيخمرت العاصمة الأمازيغية لمملكة بوطاطا Vutata (*الصحراء*، 113 ـ 114). وهي حقيقة ترمز إلى أهمية الخسارة السياسية والعسكرية والتجارية والديمغرافية التي كان يعاني منها يومئذ الغور الصنهاجي المحلي. فالمعاهدة الحمائية تقتضي في جوهرها توزيع الامتيازات بين الحامين والمحميين في وقت انجرفت فيه التيارات التجارية بفعل الغزو الإسباني والمعقلي المتواصل على المداشر. نتبين بذلك طبيعة الصراع مع الغور الأمازيغي المتزعم للحركة الدينية التي لن تلبث أن تلقي بالوجود الإيبيري إلي البحر.

م. ناعمي، *الصحراء من خلال بلاد تكنة، تاريخ العلاقات التجارية والسياسية*، الرباط، 1988.

P. De. Cenival et F. De. La Chapelle, *Possessions espagnoles sur la côte occidentale d'Afrique : Santa cruz de Mar Pequena et Ifni*, Hespéris, 1935, 2 - 4 trimestres, 19 - 77.

مصطفى ناعمي

أكَبَار، لا يمكن الحديث عن العلاقات بين المغرب وبلاد السودان دون الحديث عن القوافل. وكان يُطلق على هذه القافلة الكبرى العابرة للصحراء اسم أكَبَارْ. فالقافلة هي الوسيلة الوحيدة والناجعة التي كانت سببا في التحام هاتين المنطقتين، وفي ميلاد وتطور حضارات على تخوم الصحراء، سواء الحضارات التي عرفها المغرب أو التي عرفها السودان الغربي، وهي حضارات تدين بالكثير للتجارة الصحراوية.

مع دخول الجمل واستعماله في الصحراء، ابتداء من القرن الرابع الميلادي، دخلت القارة في مرحلة جديدة من الاتصال، يمكن أن نطلق عليها عصر الجمل. فالحرارة المفرطة والظروف الطبيعية القاسية لم تبق عائقا مع دخول الدابة الجديدة التي تتلاءم مع هذه الظروف.

لا يمكن إرجاع الفضل للجمل، لأن القافلة إنما عرفت تمركزا وأهمية مع وصول الإسلام إلى إفريقيا الشمالية، لأنه كان وراء نقل تقاليد متينة في تجارة القوافل وتنظيمها، وفي حفر الآبار في الصحاري، وفي البحث عن المواد التجارية، وتجاوز الصعاب للوصول إليها، كل ذلك كانت ترافقه قوانين تعكس تصورا متكاملا للمعاملات التجارية، يضاف إلى ذلك ضبط هذه المعاملات عن طريق التوثيق، ووحدة المقاييس والموازين والعملة كلما أمكن ذلك.

هذا التنظيم المحكم والتصور المتكامل كانا وراء البحث عن المواد التجارية في بلاد السودان، خاصة المعدن النفيس، أي الذهب. وهكذا وضعت المعرفة الإسلامية رهن إشارة مناطق غنية لتتكامل من أجل تأسيس القوافل العابرة للصحراء وتطوريها، والتي كانت وراء علاقات تعتبر من أزهى العلاقات في تاريخ البشرية. فالقافلة لم تقتصر على الجانب التجاري بل كانت حافزا للتبادل الثقافي والسياسي.

ولإعطاء نظرة موجزة ومعبرة عن القافلة، هذه الوسيلة التي "دجنت" الصحراء، سنحاول تتبع خطواتها مرحلة مرحلة. سنبدأ من مرحلة الاستعداد للخروج، نمر بطريقة سير القافلة، وتسييرها، ثم المشاكل التي تواجهها أثناء تحركها، وأخيرا سنرى القافلة في مرحلتها الأخيرة أي رجوعها.

الاستعداد : كانت القافلة التجارية المتوجهة للسودان تشكل حدثا، سواء عند انطلاقها أو بعد رجوعها. بالنسبة للمراكز التي تنطلق منها كان الانطلاق يتم من أحد المراكز التجارية الكبرى المتاخمة للصحراء سواء سجلماسة أو گليميم أو توات أو تندوف، وتختلف أهمية المركز والقافلة حسب أهمية المحاور التجارية.

ويسبق الانطلاق استعدادات طويلة ودقيقة، كان يشرف عليها الأعيان من كبار التجار، وممثلي السلطات الدينية أو السياسية. فالرحالة Lenz عندما مر من تندوف في أواخر القرن التاسع عشر لاحظ الأهمية التي يوليها الأعيان لعبور الصحراء لأن الاستعداد لسفره أشرف عليه شيخ المدينة وشريفها معا (*Tamouh*, 32). وهذه المراقبة هي وليدة المخاطر التي ترتبط مع السفر كما أنها وليدة حرص الجميع على إنجاح العملية، لأن خسائرها ستعود بالضرر على المنطقة، يضاف إلى ذلك أن تجارة القوافل كانت من اختصاص كبار التجار.

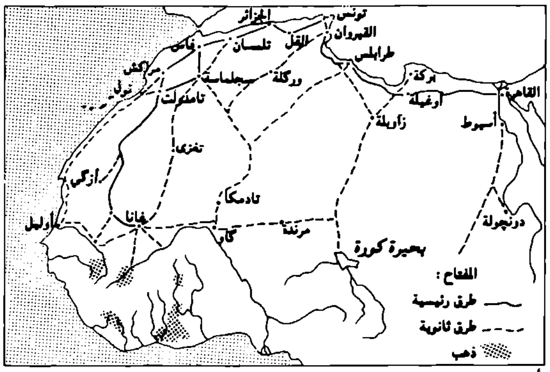

أهم الطرق التجارية عبر الصحراء من القرن الحادي عشر إلى القرن الثالث عشر
(D' après R . Mauny, *Tableau Géographique de l'Ouest Africain au Moyen Age* .)

كان الاستعداد يشمل عدةً أشياء منها أولا وسائل المواصلات. وقد كانت المهمة أحيانا من اختصاص التجار، إذ يتكفل كل تاجر بشراء عدد معين من الجمال ويقوم برعيها استعداداً للسفر، كما فعل ابن بطوطة الذي اشترى جماله من سجلماسة (Alaoui, 58). إلا أن هذه المهمة سيتم التراجع عنها تدريجيا في إطار نوع من توزيع العمل بين الرحل والمستقرين، لأننا خلال القرن التاسع عشر نجد قبائل بكاملها تقوم بكراء الجمال، والإشراف على عملية النقل (ص 62 ومايليها : Tamouh) وإلى جانب المواصلات كان التجار يهتمون بإعداد الزاد والماء الذي سيكفيهم لهذه الرحلة الطويلة الشاقة. وقد كان الزاد يشمل المواد القابلة للإذخار. أما بالنسبة للماء فقد كانت تهيأ له الحبال والدلاء وكذلك تطلى القراب بالقطران الذي يحفظ الماء من التبخر، هذا إلى جانب شراء السلع التي ستباع في السودان، وتتمثل أساسا في الملابس والحلي، والبخور، والخزف.

وقد أكدت الحفريات التي قام بها الأستاذ Devisse في أوداغشت أن نصف الخزف الموجود بها أصله من سجلماسة. هذا إلى جانب الخيول ومعدن الفضية، وقد كانت المواد تتغير حسب السوقين السودانية والمغربية وحسب السوق الأروبية التي تصدر موادها للسودان عبر القوافل العابرة للصحراء Alaoui, *Le Maghrib* ; Tamouh, *Le Maroc et le Soudan* ; Abitbol, *Tombouctou*... وأهم مادة تنقلها القوافل هي الملح الذي كان يؤخذ في الطريق من المملحات خاصة مملحتي تغزي ثم تاودني فيما بعد. وقد كانت

الجمال المخصصة لحمل الملح ترافق القافلة بدون حمولة إلى المملحة. وقد يصل عدد هذه الجمال نصف مجموع القافلة.

يصبح المركز التجاري الذي تنطلق منه القافلة الكبرى أو أكبار، خلال فترة الاستعداد عبارة عن مصب، تصب فيه مجموعة من القوافل الصغرى، التي انطلقت سواء من المراكز الأخرى المتاخمة للصحراء، أو القوافل الآتية من المدن الكبرى، كفاس، أو مراكش والتي تنوي الاتجاه إلى السودان. وهكذا تتجمع أطراف القافلة الكبرى تدريجيا وينهي التجار الأجانب عن المركز استعداداتهم هناك في انتظار خروج القافلة.

التسيير : كانت القافلة تضم عدة آلاف من الجمال، وعدة مئات من المسافرين، من تجار وخدم وسواقين، يقال عنها إنها عبارة عن مدينة متحركة. هذه المدينة المتحركة تقوم بسفر يدوم ما بين ستة أشهر وتسعة أشهر. مما يفترض وجود قوانين وأعراف لضبط تحركها، قد تتغير حسب الظروف، لكنها تفرض نوعا من مركزية القرار لضمان نجاح السفر. لذلك كانت القافلة تضع مصيرها بين يدي الدليل، الذي يشرف على تسيير القافلة وسيرها. وقد أصبحت مهمة قيادة القوافل مهنة من أهم المهن في المراكز التجارية. إلا أن القيام بهذه المهنة كان صعبا، لأن المسؤولية ثقيلة، وبالتالي فشروط اختيار الدليل كثيرة : أولها قيام الدليل بالرحلة عدة مرات واجتيازه الطريق الذي سيسلكه. وهكذا فاختياره يكون من القبائل التي تتحرك في الصحراء كدليل قافلة ابن بطوطة الذي كان ينتمي إلى قبائل مسوفة (Alaoui, 59) ويشترط فيه معرفته الدقيقة بالظروف الطبيعية التي تمر منها الطريق وذلك لتحديد الآبار، أو ترقب العواصف الرملية، وتحرك الكثبان. كما يشترط فيه قدرته على السير والتوجه تبعا للنجوم، أو النباتات، والتربة، (Daumas, 23) هذا إلى جانب حدسه، وسرعة بديهته، وذلك لتفادي الكمائن التي قد ينصبها قطاع الطرق، وللتوجه إلى أماكن الآبار، خاصة المطمورة بالرمال. كما يشترط فيه قدرة على الحوار، والمفاوضات، لأنه مطالب بالتفاوض مع رؤساء المراكز التي تمر منها القافلة أو مع الساهرين على حماية الطرق التجارية، وذلك لتحديد واجبات المرور، أو واجبات دخول الأسواق التجارية.

ولم يكن باستطاعة الدليل أن يتحمل المسؤولية وحده، لذلك كان بجانبه طاقم من المساعدين، وعلى رأسهم الحراس، الذين كانت لهم ثلاث مهمات : مجموعة منهم تسبق القافلة لتقصي أحوال الطريق، وعند اقتراب القافلة من الوصول تسبق للإخبار بوصولها (Alaoui, 62). أما المجموعة الثانية فمهمتها السهر على سير القافلة، وذلك لتفادي الازدحام، أو التكدس والبلبلة. أما المجموعة الثالثة فمهمتها مراقبة القافلة من الخلف، وذلك لحث المتأخرين، ومساعدة المتعبين. إلى جانب الحراس كان هناك المنادي ومهمته إبلاغ أوامر الدليل، يضاف إلى ذلك جهاز ديني وقضائي يرافق القافلة ويشمل المؤذن والإمام والعدول لتوثيق المعاملات والأحداث التي ترافق سير القافلة (Daumas, 189, 300, 301).

وقد كانت القافلة تقوم بسفرها غالبا في فصل الشتاء لتفادي الزوابع الرملية التي تغطي الآبار (ليون الإفريقي، 76). وتبدأ سيرها من الفجر إلى الضحى، إذ ذاك تتوقف، وتنصب خيامها إلى ما بعد الظهر، ثم تبدأ رحلتها من ذلك الوقت إلى الليل، كما ورد عند الإدريسي (Alaoui, 61). وهكذا فالقافلة تتوقف عند اشتداد الحرارة في النهار، وعند اشتداد البرد ليلا. وعند توقفها كانت تتخذ شكل دوائر، يحتل وسطها الجمال، وحمولتها، وذلك لضمان أمنها.

أما تحرك القافلة فقد كان على الشكل التالي :

القوافل الصغيرة تسير في شكل متراص، كوحدة، أما عندما تكون كبيرة، فإنها توزع إلى عدة مجموعات، أو قوافل صغرى، تفرق بينها مسافة محددة، حتى يسهل مراقبتها. وأما في المناطق الآمنة فتتحرك القوافل بشكل طبيعي (Tamouh, 36-39) بشرط إلا يبتعد المسافرون عن القافلة للأخطار التي قد يتعرضون لها.

المشاكل : هذه المدينة المتنقلة، التي تتحرك في إطار صحراوي، جاف، و"فارغ"، تواجهها مشكلتان أساسيتان : الأولى مشلكة الماء والثانية مشكلة الأمن.

حياة القافلة مرتبطة إلى حد كبير بضمان الحد الأدنى، على الأقل، من الماء طيلة السفر. وهكذا فالقافلة تنطلق من مناطق واحات غنية بمياهها، وتحمل معها حمولات متعددة من القرب مطلية بالقطران، لضمان شرابها، لأن الماء هو المشكلة الأولى، فعليه يتوقف بقاء القافلة على قيد الحياة لأن فقدانه يؤدي إلى ضياع قوافل بكاملها، إذ يحدثنا ابن بطوطة عن آثار قافلة اندثرت، كما أن قافلة ضاعت بكاملها سنة 1805.

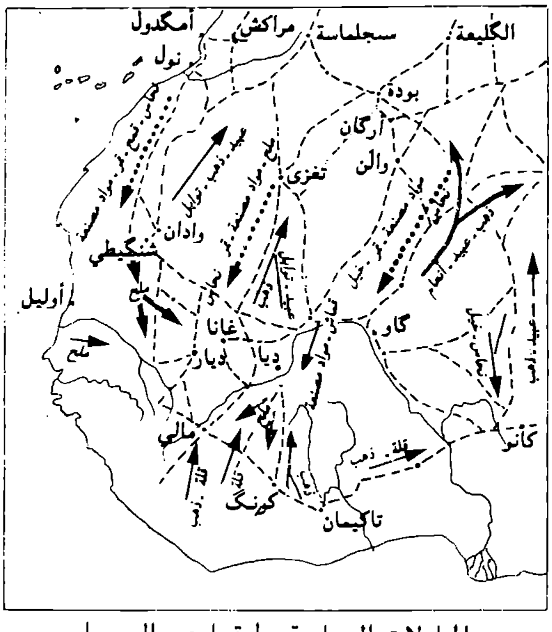

المبادلات التجارية وطرقها عبر الصحراء
في القرن الرابع عشر

وأهمية الماء هي التي جعلت الآبار تحظى بعناية خاصة في الصحراء، إذ يحدثنا ليون الإفريقي عن بنائها بعظام الجمال وتبليطها بجلودها قصد حمايتها من الاختفاء تحت الرمال (ليون الإفريقي، 76). وهذه الأهمية التي جعلت القوافل تسلك طرقا تتوفر فيها المياه على مسافة أطول، أو بوفرة أكثر، وهذا ما جعل توات مثلا أو تندوف أو سجلماسة مراكز لانطلاق القوافل التجارية، كما أن السبب الرئيسي في نجاح تنبكتو كمركز لاستقبال القوافل هو موقعها في أقصى ثنية نهر النيجر. ولهذه المراكز كلها قاسم مشترك هو موقعها المتقدم في الصحراء، فهي عبارة عن جيوب من الحياة وسط تلك القفار. أما الطريق الذي يربط واحات جنوب الأطلس بتنبكتو فترجع أهميته إلى آبار الطليگ التي يتجاوز عددها 100 وتقع قرب مملحة تاودني.

المشكلة الثانية التي تواجه القافلة هي الأمن، فالقافلة محملة بثروات عظيمة، وتخترق مناطق معروفة بغياب المركزية السياسية، لذلك فعلى القافلة أن تتجاوز هذه المشكلة، وذلك بالاحتياط والمفاوضات. وهكذا فالقافلة تكون مستعدة للمواجهة لأنها تكون مسلحة أحيانا أو يحميها حراس مسلحون، إلا أن هذه الظاهرة مرتبطة أكثر بالوضع في القرن التاسع عشر حيث ازداد المتمردون والمتذمرون من جراء تراجع تجارة القوافل. إلا أن الوضع العادي هو المفاوضات مع القبائل التي تعبر القوافل مناطق نفوذها حيث تؤدى لها واجبات للمرور. وهذه الواجبات تكون عادة معروفة أو متفقا عليها (ليون الإفريقي، 76 ـ 77 وما يليها: Tamouh) أحيانا تكون الواجبات شكلية (ليون الإفريقي، 76).

وقد لعبت الحمايات دورا أساسيا سواء السياسية أو الدينية، ونشير هنا إلى دور الزوايا خاصة ابتداء من القرن السادس عشر في حماية القوافل التجارية. ويكفي أن نشير إلى دور الزاوية الناصرية والتيجانية ودور الزاوية الكنتية سواء في توات أو أزواد.

الاستقبال : قبل وصول القوافل إلى المحطات النهائية ترسل المخبرين ليعلموا بقرب وصولها وذلك لتهييء الماء لها. وأيضا ليتم الاستعداد لاستقبالها، عن طريق توفير ظروف النقل، والنزول، أو للاحتفاء بوصولها سالمة. ويتم استقبال القافلة على مسافة بعيدة وينظم حفل كبير يكون مناسبة لاستعراض الملابس، والحلي، وللتباري في الغناء والرقص. ويصف لنا Panet الحفل الذي رافق وصول قافلة أثناء وجوده في گليميم سنة 1850 م.

وفرح استقبال القافلة يكون عاما لأنها تعنى بالنسبة لعائلات المسافرين السلامة، والربح. أما بالنسبة لبقية السكان فإنها تعني حركة اقتصادية غير عادية، يستفيد منها الكل بطريقة أو أخرى، فهي تخلق فرص عمل للنقل، ولكراء المنازل للمسافرين، كما أنها تكون مناسبة لبيع المواد الغذائية، من خضر وفواكه وحليب، يضاف إلى ذلك أن القافلة تحمل إلى جانب المواد التي تعتبر من اختصاص التجار الكبار كالذهب والرقيق، مجموعة من المواد تدخل في الاستهلاك اليومي، خاصة في نطاق الكماليات، كالأواني الخشبية، والبخور، وغيرها وبذلك فهي تمس كل سكان المراكز التجارية.

يمكننا استعراض هذه الخطوات أو المراحل من تصور هذا الوسيلة ـ أكبار ـ التي لعبت دورا أساسيا في ربط طرفي الصحراء، إلى درجة أن البعض يعتبر دخول الجمل إلى الصحراء، "ثورة في النقل". إذ أصبحت القافلة محط أنظار وآمال كل سكان المنطقة، فكل المشاريع والأحلام ترتبط بالقافلة وتجارة القوافل بما في ذلك الزواج وتكون الرأسمال والوصول إلى الملكية. كان السودان حلم الطامحين من المغاربة في المراكز التجارية المتاخمة للصحراء خلال قرون حتى إن مثلا سائرا في هذه المراكز يقول :"الجرب دواه القطران والفقر دواه السودان".

م. ابن بطوطة، *الرحلة* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*.

E. Daumas et A. Chancel, *Le Grand Desert ou Itinéraire d'une Caravane du Sahara au Pays des Négres*. (Royaume de Haoussa), Choix et cie, Paris 1848 ; Z. Tamouh, *Le Maroc et le Soudan au XIXe siècle* ; A. El Alaoui, *Le Maghrib et le Commerce tran-saharien.*

فاطمة الزهراء طموح

أكْبيل لقب لعلماء سوسيين، منهم :

أكبيل، إبراهيم السوسي من كتَّاب الإنشاء المرموقين لدى السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي.

أكبيل، محمد بن علي بن إبراهيم الإنْدُوزالي، شيخ جليل ناصري الطريقة، من أخص تلامذة الشيخ أحمد بن ناصر. درس بتامگروت ثم بمساجد قبيلة إنْدُوزَال حتى وفاته 1162 / 1749 مخلفا تآليف منها : ترجمة لمختصر خليل إلى الأمازيغية السوسية سماه *الحوض* ؛ *وتنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان* ؛ *والطرق بالعصا لمن خالف ربه وعصى* ؛ *وبحر الدموع في المواعظ والرقائق* باللسان الشلحي. وله ولد اسمه أكبيل، إبراهيم السوسي مذكور في *خلال جزولة* 3 : 173 بأنه عالم جليل.

م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، 164 ؛ م. المختارالسوسي، *سوس العالمة*، 191 ؛ *خلال جزولة*، 174 ؛ *المعسول*، 1 : 315 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 : 45 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 1 : 191؛ م. المنوني، *المصادر العربية لتاريخ المغرب*، مجلة كلية الآداب بالرباط، 1982، ع 9، 280 ؛ عبد الرحمان الجشتيمي، *مقدمة الحوض*، الرباط، 1977.

محمد حبيب نوحي

اكتامة ← **كتامة**

أكْتَاوَةْ، وتكتب أيضا بدون همزة : كْتاوة، وباللام : لكتاوة، واحة تمتد على ضفاف وادي درعة على طول حوالي 20 كلم وعرض 6 إلى 8 كلومترات، تتكون مما ينيف على الخمسين من القصور الصحراوية، تحدها شمالا واحة

فزواطة، وجنوبا واحة المحاميد، مركزها الإداري الحالي هو تاگْنيتْ ازدهرت منطقة أكتاوة في عهد السعديين حيث كانت محطة هامة على طريق التجارة الصحراوية بعد أن كانت منطلقا لحملة المنصور السعدي على السودان، واشتهرت بها عدة قصور، أهمها تِسَرْاتْ ، وبني حيون، وبني صبيح، التي كانت بها طائفة يهَودية اشتغلت بالتجارة والصياغة وسك النقود على عهد أحمدِ المنصور الذهبي والثائر أحمد بن أبي محلي.

كانت أكتاوة إلى جانب دورها الاقتصادي، مركزا علميا نشيطا في العصر السعدي، اشتهرت بها أسرة آل أدَفَالْ بقصر إدوافيلْ، والأسرة الصالحية الأكتاوية بقصر بني صبيح.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ م. حجي، *الحركة الفكرية*، 2 : 552.

الأكتاوي، أحمد بن صالح بن إبراهيم بن عبد المومن الدرعي، عالم أديب له معرفة بالطب. ينتمي إلى أسرة علمية، ولد ونشأ بدرعة، درس على والده صالح بن إبراهيم، وهو معتمده في التصوف، كان له اتصال وثيق بالزاوية الناصرية حيث درس على عدد من أساتذتها، منهم الشيخ أحمد ابن ناصر، والأستاذ إبراهيم بن علي الدرعي السباعي، كما أخذ عن الشيخ أحمد الحبيب السجلماسي. توفي أحمد بن صالح بالأكتاوة سنة 1147 هـ حسب أغلب المصادر، ودفن بزاوية أسرته، ومازال قبره بها مزارة حتى الآن.

خلف المترجم عددا من التآليف منها : *الهدية المقبولة في حلل الطب المشمولة، وشرحها*، وديوان شعر سماه *إشفاء المريض في بساط القريض، وتجديد المراسم البالية في السيرة الحسنة العالية*، جمع فيه سيرة أبيه صالح بن إبراهيم.

أ. الأكتاوي، *الهدية* (مخطوط) ؛ ف. ع. الأكتاوي، الدرر اللامعة (مخطوط) ؛ م. م. الناصري، *الدرر المرصعة*، ص : 109 . 124 ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، رقم 35 ؛ ع ؛ ابن سودة، *دليل*، 1 : 195 ؛ خ. الزركلي، *الأعلام*، 1 : 138 ؛ م. المنوني، *دليل مخطوطات*، 19.

الأكتاوي، صالح بن إبراهيم بن عبد المومن بن عبد الله الدرعي، عالم مقرئ ينتمي إلى عرب الشاوية، قدم جده من الشرق واستوطن قصر بني صبيح من أكتاوة، حيث اشتهر حفدته بالعلم والصلاح طيلة أجيال. أخذ المترجم عن جماعة من مدرسي درعة (في بني صبيح وآستور وترغليل وتازارين)، ثم انتقل إلى سجلماسة فأخذ عن أعيان علمائها، أمثال محمد بن أحمد المصمودي، والشيخ محمد ابن محمد السجلماسي التجموعتي، والإمام عبد الله بن علي بن طاهر الحسني. وأخذ كذلك عن محمد الصغير بن المنيار، وعول في طريق القوم على الشيخ أحمد بن عبد الصادق، وهو معتمده في علم القراءات إضافة إلى شيوخه السابقين. لزم المترجم شيخه ابن عبد الصادق بسجلماسة حتى وفاة هذا الأخير سنة 1066 / 1955، فرجع بأهله إلى قرية بني صبيح في بلاد أكتاوة واستوطنها واشتغل بالتدريس والتربية حتى وفاته يوم السبت خامس ذي الحجة سنة 1096 / 1683. وقد خصه ولده أحمد بن صالح بتأليف جمع فيه سيرته ومناقبه وأشياخه ومروياته سماه *تجديد المراسم البالية في السيرة الحسنية العالية*.

أ. الأكتاوي، *تجديد المراسم البالية* (مخطوط) ؛ م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، ص 181 ـ 187 ؛ م. الإفراني، *صفوة*، ص 204.

محمد الحبيب نوحي

أگْجگالْ، قرية في الأطلس الصغير بإسان عند أيت تگْني، على بعد 25 كلم تقريبا شمال غرب فم الحصن، وعلى بعد 35 شرق ـ جنوب ـ شرق إفران. كان فيها مناجم نحاس استغلت قديما وما تزال آثار استغلالها معروفة، وبالقرب منها كدية النحاس (تاوريرت أواناس).

B. Rosenberger, *les vieilles exploitations miniéres et les centres metallurgiques du Maroc ; essai de carte historique*, R.G.M. nº 17 et 18, 1969 - 1970 ; D. J. Meunié, *le maroc saharien*.

أحمد التوفيق

ابن **الأكحل**، إبراهيم السويدي، هكذا يذكره مترجموه دون أية إضافة أخرى، ويبدو أن اسم الأكحل لقب لوالده أو أحد أجداده، وبهذا لا يعرف ـ بالضبط ـ اسم أبيه وجده.

أما نسبه فواضح أنه يرجع إلى أسرة "سويد" من فروع قبيل بني مالك، المستوطنين ـ الآن ـ في سهول الغرب عند إقليم القنيطرة، هؤلاء من زغبة إحدى الشعوب العربية من بني هلال المضريين (*العبر*، 956). وإلى هذا فالمترجم من مدينة مكناس، وقد يكون من مواليدها في تاريخ غير معروف، ثم كانت وفاته في ربيع الثاني عام 1006 (*منحة الجبار*) وحسب عصر السويدي فإن ثقافته تعكس ـ على العموم ـ المواد الدراسية الشائعة أيام السعديين، غير أنه تميز بتفوقه في الفلكيات، مع تضلع في الرياضيات، حيث اختص في هذه العلوم اثنان من أشياخه بفاس : محمد الصغير بن أحمد بن الحاج الزجني، وأحمد بن محمد الماواسي، على أن ابن القاضي يعقب على ذكر الشيخين بكلمة "وغيرهما" ليشير إلى شيخ أو أشياخ آخرين لا يزالون غير معروفين.

ونفس المصدر هو الذي يبرز درجة المترجم في اختصاصه، فيقدمه في *درة الحجال* (1 : 202) بحلية الفقيه الفرضي الحيسوبي، وحيد عصره في علم الفلك والهيئة والتعديل. ويوسع هذه الفقرة المؤلف ذاته في كتابه الآخر *المنتقى المقصور*، وأما مكناسة الزيتون : فأخذت بها الحساب والفلك على أبي سالم إبراهيم ابن الأكحل السويدي، داهية الإنسان، وفيلسوف الزمان، له عقل لفهم المسائل ثاقب، وعلى الحق والصواب ناقب، له قدم راسخ في التعديل والهيئة ما أظن أحدا في زماننا ـ اليوم ـ يصله، حدثني شيخنا أبو العباس المنجور أنه أخذ عليه علمه، وقال لي : كانت المسائل في فنه تشكل على محمد الصغير

ابن الحاج ويوجهها له، ويقول :" السويدي لها"، أو كلاما يقرب من هذا".

ويستنتج من هذه الفقرة ـ أيضا ـ اسمان من تلاميذ المترجم : ابن القاضي والمنجور، فيقول عنه هذا الأخير في *فهرسه* وهو يعدد أقرانه : ".... والعددي الفرضي الموقت، أبي سالم إبراهيم بن الأكحل السويدي، بل قرأت عليه وقرأ عليّ وتعاونا".

وإذا كان السويدي لم يدون معارفه الفلكية في كتاب، فإن تلميذا ثالثا من الآخذين عنه اضطلع بالاحتفاظ بمجموعة من تعاليق أستاذه على *روضة الأزهار*. والمعني بالأمر هو العالم الفلكي : أحمد بن عبد القادر بن طاهر الحسني الجوطي المكناسي، شارح أرجوزة *روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار* للجادري، فيذكر في افتتاحية الشرح وخاتمته أنه درس هذه الأرجوزة على أستاذه المنوه به، وكان يسجل توضيحاته لتعقيداتها في جذاذات، كانت هي المصدر الأول لشرح التلميذ على *روضة الأزهار*.

أ. ابن خلدون، *العبر*، 6 ؛ أ. المنجوز، *فهرس*، ط. الرباط، 1976؛ أ. ابن القاضي، *درة الحجال* ؛ *المنتقى المقصور* ؛ م.ع. البصري، *منحة الجبار*، مخطوط خ.ح. رقم 941 (ثاني مجموع).

محمد المنوني

الأكحل، محمد بن إبراهيم بن قاسم الأندلسي الفاسي. اقتصرت الكتب التي ترجمت له على اسمه ولقبه دون ذكر اسم أبيه وجده ونسبه، وأضفنا ذلك اعتمادا على رواية الشيخ محمد بن عبد الله مَعْن التي أوردها كل من صاحبي *ابتهاج القلوب والإعلام بمن غبر*. وفيها أن إبراهيم بن قاسم الأندلسي أخبره وهو يضحك بعد انتهائهم من قراءة حزب العشي بالزاوية الفاسية أن ابنه محمدا الأكحل قد مات في ذلك العشي ولم يكن له ولد غيره. والتاريخ يقبله، وأخبار صحبة الأكحل لأبي المحاسن وانعزاله بعد موته إلى أن قبض تؤكده.

لم يكن المترجم أسود البشرة وإنما لُقب بذلك. وكان عالما بالكيمياء فلما تصوف وصحب الشيخ أبا المحاسن الفاسي استأذنه في أن يلقن أبناءه العلماء ما يعرفه من فن الكيمياء، فلم يأذن له ونهاه عن تعاطيها فانتهى. وكان الشيخ محمد بن عبد الله مَعن تُعجبه مقالات محمد الأكحل في التصوف ويحتج بها. ويؤثر عنه قوله : "طريقتنا هذه : ما لَك شيء، ما لك شيء، ما لَك شيء، وطريق هؤلاء المُبطلين : لي، لي، لي، كأهل الزَّفن، يعني أن طريقتهم مبنية على الفناء والغيبة عن الوجود الحسي، وطريق المبطلين على إثبات الوجود ورؤية النفس" (*ممتع*). وتُروى عنه مقالات أخرى تدل على رسوخ قدمه في التصوف، واستغراقه في الحب الإلهي.

توفي بفاس في حدود عام 1014 / 5 ـ 1606 ودفن بروضة شيخه يوسف الفاسي خارج باب الفتوح.

ع. الفاسي، *ابتهاج القلوب*، مخطوط ؛ م. المهدي الفاسي، *تحفة أهل الصديقية*، مخطوط ؛ *ممتع الأسماع*، 183 ؛ عبد الله الفاسي، *الإعلام بمن غبر*، مخطوط ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 66 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ م. القادري، *التقاط*، 45، *نشر*، 1 : 134 ـ 135 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 2 : 327 ـ 328.

محمد حجي

الأكحل، محمد أكمكام، وتكتب أقمقام ـ بالقاف المعقودة ـ صالح ذو أحوال غريبة، ومكاشفات عجيبة. كان كوشا أسود يعيش منعزلا في حومة العيون بفاس، معاصرا لمحمد الأكحل الأندلسي سابق الترجمة، مقصودا من طرف العامة والخاصة. ومن أشهر الصالحين الذين كانوا يترددون عليه ويتبركون به عبد الله الشريف العلمي صاحب وزان خلال طلبه العلم بفاس، وقاسم الخصاصي صاحب الضريح المعروف خارج باب الفتوح.

توفي أكمكام عام 1050 / 40 ـ 1641 على ما جزم به في *الصفوة*، وذكر صاحب *المقصد* أن وفاته كانت في العشرة الخامسة، ودفن بروضة الصالح علي أبي الذياب في حومة العيون من عدوة فاس القرويين متصلا بقبلتها. وقبره من المزارات المقصودة بفاس حتى الآن.

ع. القادري، *المقصد الأحمد* ؛ م. الإفراني، *صفوة*، 93 ؛ م. المهدي الفاسي، *ممتع الأسماع*، 183 ؛ م. ابن عيشون، *الروض*، مخطوط ؛ م. القادري، *الزهر الباسم*، مخطوط ؛ *نشر*، 1 : 134 ؛ م. الكتاني، *سلوة*، 1 : 284.

محمد حجي

الأكحل (السلطان ـ) ← أبو **الحسن المريني**

الأكحل (السلطان ـ) ← أبو **يعقوب المريني**

أگدال، كلمة أمازيغية مأخوذة من فعل «گدل» الذي يفيد معنى الحماية والمحافظة والمنع أو التحريم، وتجمع على «إگدالن» أو «إگدلان» وهي تعني بصفة عامة : المكان المحمي حماية مادية أو معنوية، مؤقتة أو دائمة، قصد تحقيق المصلحة والاستفادة المثلى منه. وهكذا تطلق على منطقة الحُرُم بضريح وليّ أو بجواره، ملجأ الخائف أو المطارد بالجبل أو بالسهل ـ التي يمنع الرعي فيها مؤقتا، بغية نمو عشبها وتمكن عروقه، ويباح فيها بعد استنزاف مراع أخرى / وعلى البساتين الشاسعة المسورة. وبهذا المعنى خصصت في المغرب لتدل على الحدائق السلطانية الموجودة في العواصم كمراكش ومكناس والرباط، وتطلق كذلك على المروج المتناثرة على ضفاف الأنهار الجبلية، والتي تحاط عادة بسياج من الحجر حفظا لها من الحيوانات التي قد تتسرب إليها قبل الأوان الملائم.

وقد لوحظ أن كلمة أگدال توجد بنفس المعنى في مجموع شمال إفريقيا. غير أن أسماء الأماكن التي لاتزال تتسمى بها في المغرب، تفوق عدداً غيرها في مناطق أخرى. والكثير منها في المغرب يوجد في الأطلس الكبير الغربي. وفي هذه المنطقة على الخصوص لعبت المراعي الجبلية العليا دوراً هاما في حياة المجتمعات الجبلية، سواء في علاقاتها مع بعضها البعض، أو في روابطها مع التي

تجاورها من ناحية الأراضي السهلية. وهذا راجع إلى أهمية الأنشطة الرعوية وتربية المواشي، في جبال تقل فيها الأراضي الزراعية، ويتطلب فيها ما وُجد منها جهدا كبيرا ومستمرا، مع ضعف كبير في المردودية الزراعية.

وتزداد أهمية هذه المراعي العليا بصفة خاصة، في عصور الأزمات المختلفة، التي يضطر معها سكان الجبل إلى عدم مد أنشطتهم الفلاحية في اتجاه السُّهول الشمالية - الغربية، والتي كانت تكون دوما امتدادا طبيعيا لمجالهم الحيوي. تزداد أهميتها حينذاك فيقع عليها التهافت، مما يؤدي أحيانا إلى وقوع نزاعات بين المستفيدين. لهذا أحدثت طقوس وأعراف وعقود، تنظم استغلال هذه الأماكن الحيوية استغلالا جماعيا، دون أن يؤدي ذلك إلى وقوع اختلافات قد تضر بالجميع.

اشتهرت كلمة أَݣْدَالْ عند سكان بعض المدن المغربية الكبرى على الخصوص، لأنها تطلق على البساتين السلطانية في كل من مراكش والرباط ومكناس. ورغم أن فاس لم تسمّ - على مايبدو - بستانها السلطاني باسم أَݣْدَالْ، فإنه كان، رغم ذلك، موجودا منذ عهد الموحدين : المصارة، على ما ذكره ابن أبي زرع في *قرطاسه*.

إن عادة إحداث البساتين الكبيرة، وتزويدها بالمياه الجارية، بسور، ربما ظهرت لأول مرة بالمغرب في عاصمة المرابطين مراكش. ثم ترسخت واتخذت أبعادا كبيرة في عهد الموحدين، وخاصة منهم الثلاثة الأوائل. أما في العهود الموالية، فقد عرفت هذه البساتين فترات من الإهمال وأخرى من الإهتمام، حسب الظروف العامة وشخصيات السلاطين. وأهم العهود التي تم فيها الاهتمام بها بعد الموحدين هي عهد المنصور السعدي والمولى إسماعيل ومحمد بن عبد الله والمولى عبد الرحمان وابنه محمد.

أما عن الفائدة المقصودة من إنجاز هذا النوع من الحدائق والمغارس، فمن المؤكد أنها متعددة الجوانب. فبجانب المصلحة الاقتصادية الأكيدة وخاصة في أوقات الأزمات، هناك دورها في تلطيف الطقس خلال الفصول الحارة على وجه الخصوص. ثم الرغبة في توفير متنزهات للأعداد الكبيرة من حرم وحشم القصور السلطانية، بالإضافة إلى هيبة التميز التي تكسبها للحكام في عيون السكان والزائرين من الأجانب.

وتجدر الإشارة إلى أن بساتين أَݣْدَالْ في الحواضر المشار إليها، تحولت بعض مواقعها الأولى إلى أحياء سكنية، مع احتفاظها بالاسم. وإذا بقيت خضراء، كما هو الشأن في مراكش، فالأمر يتعلق بإضافات محدثة أو بجزء صغير من البستان الأصلي.

مجهول، *الحلل الموشية*، 46 - 145 ؛ ابن أبي زرع، *القرطاس*، 41 هامش 33، 407 ؛ م. ص. الوفراني، *نزهة*، 112 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 13، 115 ؛ م. الضعيف الرباطي، *تاريخ الضعيف*، 177 - 178 ؛ ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 4 : 106.

E. Laoust, *Mots et choses berbères*, p. 260, 475 ; *L'Habitation chez les transhumants du Maroc Central*, p. 220 ; *Contribution à une étude de la toponymie du Haut-Atlas*, p. 45, Introduction au premier numéro de la Revue "Agdal" ; J. Dresch, *Document sur les genres de vie*, pp. 18 ; S.E. Destaing, *Vocabulaire Français - Berbère*, Paris, 1920, p.234 ; J. Berque, *Maghreb, histoire et société*, pp. 11 Sqq ; *Structures Sociales*, pp. 108 Sqq ; G. Deverdun, *Marrakech*, pp. 88, 194, 195, 204, 243, 244, 390 sq, 491 sq, 522, 527 sq.

صدقي علي أزايكو

أكدال - ماسة (مدرسة)، كانت تقع هذه المدرسة في المكان المسمى أمرزكون في الحدود الجنوبية لماسة من أعلى الوادي بها قرب قبيلة أيت أمريبط في المكان المسمى (حمَى الصوابي) ؛ ولا يزال بها إلى اليوم مقبرة كبيرة مقَسمة إلى ثلاثة أقسام : يضم أحدها طلاب المدرسة الوافدين إليها والمقيمين بها إلى أن أدركتهم الوفاة هناك لأسباب متعددة ؛ ويضم القسم الثاني المرابطين من سكان الزاوية الصوابية ورؤسائها ؛ وخصص القسم الثالث لعامة سكان الناحية وغيرهم ؛ وبهذا الموقع ما يزال قبر السيدة رقية بنت محمد الصوابي. وبعده مسجد جُدد من قبل المسمى الحاج عبد الله الحاحي (1284 / 1867) بسبب صلته بأحد علماء المدرسة آنذاك وهو محمد بن أحمد المرزكوني مع مرافقه بالإضافة إلى سكن مقدم الزاوية ؛ يضاف إلى ذلك كله مدرسة وسطى متهدمة متداع أكثر بنائها (خلال جزولة، 4: 34).

أما مؤسس هذه المدرسة - الزاوية فهو العلامة الشهير أحمد بن عبد الله الصوابي من أيت صواب بالأطلس الكبير (1095 / 1683 - 1127 / 1715) ويظهر أنه اختار المقام بهذه الناحية البعيدة عن قرى ماسة بسبب تجارب مر بها في تنقله بين عدد من قبائل سوس مدرسا بمدارسها وقد عانى من ذلك بعض المرارة والاتهامات مما اضطر معه الشيخ الناصري من زاوية تامكروت جنوب ورزازات إلى إسداء النصح له بالابتعاد عن مخالطة قرناء السوء إذا كان يريد النجاح في مسعاه.

وتمثل كيفية استقبال القبائل المحيطة بمنطقة ماسة له مع علمائها نموذجا ناصعا من التقاليد العلمية بسوس ومن علاقة السكان الروحية والمادية بالعلم والتصوف والشيوخ، حيث يذكر من بين الذين رحبوا بمقدمه وأشرفوا على اختيار مكان إقامته علماء مشهورون أمثال المفتي الشهير أحمد العباسي، ومحمد التاكوشتي. كما استقبلت قبائل ماسة وتيكيوت وبني ولون وأهل تاسنولت وأولاد عمرو والخنابيب وأولاد الغازي وأولاد جلول في شكل ممثلين عن أفراد قبائلهم حتى إذا ما اطمأن الشيخ إلى حسن نواياهم اختار موضعا بين ربوتين في موقع به شجرة أركان = هرجان يسمى بومروان قرب غابة وواد ؛ وقد تبرع بالبقعة المختارة أولاد عمرو في وثيقة رسمية فقبل منهم الشيخ ودعا لهم ووقع الاشهاد والكتابة والتصديق على جميع ما عمره الشيخ بعد ذلك من بناء وزرائب وقطع مزروعة بتاريخ 1147 / 1734 (خلال جزولة، 4 : 39).

وما كاد الشيخ أحمد الصوابي يستقر به المقام حتى شرع في صب تجاربه التعليمية والتربوية مع صغار الصبية

وكبار الطلاب وكافة من قصد إليه من أبناء المنطقة ؛ مع حذر ظاهر من التورط في المشكلات المتعلقة بالمعاملات وتحذير من القضاء وقضاة زمانه خاصة ؛ فإلى جانب إشرافه على صغار الصبية، بتعليم التلاوة والترتيل والتحذير من السرعة في القراءة المعتادة عند الطلبة آنذاك، مقاوما أحد القراء الذين قدموا إلى سوس آنذاك بطريقة الهبطي في الوقف كاتبا في ذلك الرسائل في النهي عنه لمنافاته الترتيل ومراعاة المعنى المطلوبين، صرف طرقا من جهوده إلى العناية بطلاب العلم واللغة العربية، وكان برنامجه التعليمي يبتدئ صباحا بصحيح *البخاري* ثم بتفسير *الجلالين* وتفسير ابن جزي كما كان يقرئ *الحكم العطائية* في التصوف والسلوك بشرح ابن عباد ويدرس في النحو *ألفية* ابن مالك ومتن *السلم* في المنطق مع *منظومة* ابن زكري بشرح التامنارتي مفضلا إياه على شرح المنجور (خلال جزولة، 4 : 36 ـ 37).

وقد سرد عليه أحد أبنائه محمد الطاهر (استشهد غريقا سنة 1147 / 1734 عن ثماني عشرة سنة) *صحيح البخاري وتوضيح* ابن هشام باللوح ؛ وسرد عليه *شرح المكودي* على *ألفية ابن مالك*، وكذا *شرح المرادي* عليها ؛ وقرأ معه *شرح السنوسي* على صغراه في التوحيد مرتين، وسرد عليه *حاشية* عيسى السكتاني وعبد الرحمان الفاسي؛ وكان يقرأ عليه متن *صحيح البخاري* قراءة جيدة من خط مشرقي ممزوجا بشرح القسطلاني من غير توقف (خلال جزولة، 4 : 42).

على أن الشيخ الصوابي يصل هذا الجهد المتواصل بدرس للتذكير بين العشاءين لا يتخلف عنه أحد من الطلبة ولا من سكان الزاوية رجالا ونساء إلا لعذر، مع الحرص على عدم اختلاط الجنسين ؛ متخذا لكل طائفة نقيبا يشرف عليها مع طرد كل من لا يماشي هذا المنهاج التربوي الحافل المنضبط والمتوازي مع ممارسة بعض أعمال الفلاحة والبستنة والإنتاج، موصيا بالتحلي بالسنة والمواساة والإكرام ومجاهدة النفس والحذر من الاختلاط بين الجنسين.

ومن الذين لازموا زاوية الصوابي بعد وفاته المسمى :

عبد الله بن إبراهيم الرسموكي السملالي (1147 / 1734) ويذكر عنه الورع والزهد وإتقان النحو واللغة مع جودة إدراك ؛ وقد اختص من بين طلبة هذه المدرسة بفهم *مقامات الحريري* ؛ وقد لازم الزاوية مع أسرته إلى حين وفاته.

ومن هؤلاء أيضا الفقيه أحمد بن عبد الله الماسي الفنتوري ؛ وهو الذي وصف كيف توفي الشيخ الصوابي وكيف غسل مع ذكر الخلال الذي وقع في محل دفنه بين الإيبوركيين والأسغاركيسيين (*خلال جزولة*، 4 : 43).

ويذكر محمد بن أحمد الجزولي الحضيگي (1189 / 1775) من بين الذين تخرجوا بهذه الزاوية ؛ وقد خص الشيخ الصوابي في طبقاته بترجمة واسعة ؛ وسيرة الحضيگي حافلة بالإنتاج العلمي الذي ما يزال مخطوطا في معظمه.

ومن بين الذين علموا ودرسوا بزاوية الصوابي يذكر :

أحمد بن محمد التاسكاتي الإيلالني (1214 / 1799) تلميذ الحضيگي آنف الذكر، أرسله شيخه هذا لعمارة الزاوية الصوابية بطلب من السيدة عائشة بنت أحمد الصوابي ؛ وهو أحد العلماء الذين أسهموا في مقاومة الثائر (بوحلاس = صاحب البردعة) بسوس وقد أكب بزاوية الصوابي على التدريس مع ملازمة السنة والحفاظ على تعليم بعض الأذكار والصلوات المأثورة للعموم عقب الصلاة (*خلال جزولة*، 4 : 47) مما لا يزال الناس بسوس يحفظونه ويرددونه عقب الصلوات الخمس والتراويح إلى اليوم (*خلال جزولة*، 4 : 48).

وممن يذكر أنه تخرج بزاوية الصوابي وربما درس بها المسمى : محمد بن عبد الله المرزگوني (تـ. بعد عام 1180 / 1766) الساكن بقرية الفيض برسموكة والذي تزوج فيما بعد رقية بنت الصوابي فولدت له أحمد بن محمد الآتي الذكر ؛ ويذكر عن المرزگوني أنه نال شهرة كبرى (*خلال جزولة*، 4 : 48 ـ 49).

أما ولده أحمد بن محمد فقد نال شهرة كبيرة بعد التاسكاتي (آنف الذكر) وكان ذا مكانة عام 1216 / 1801 ؛ واستظهر صاحب خلال جزولة أنه قد يكون تخرج بالتاسكاتي.

وقد قام بأمور زاوية الصوابي بعد أحمد المذكور ابنه المسمى : محمد بن أحمد المرزگوني (قد تكون وفاته سنة 1280 / 1863) ووصف بالعلامة الكبير وكان له اتصال بأحد قواد تلك الناحية وزعمائها السياسيين فساعده ذلك على تجديد ما رث من أبنية الزاوية، وقد اتصل بالسلطان المولى عبد الرحمان العلوي الذي خصه بظهير توقير يتضمن إعفاءه من الكلف والفروض العامة وكافة أسرته مع الأمر بمعاملته بما يلزم من الإجلال واعتبار زاويته من جملة الزوايا المحترمة مع الإنعام عليه بزكوات وأعشار جماعة أيت أمريبط وأيت إزويكا لأجل القيام بأمور الدين وإكرام الوافدين وذلك بتاريخ 1260 / 1844.

ويذكر من أولاد المرزگوني المسمى : محمد بن محمد، وهو فقيه زاول النوازل، وربما أخذ عن الشريف الكثيري ؛ وقد تكون وفاته أواخر القرن 13 / 19.

أما أخوه الحسين بن محمد فيذكر في ظهير محمدي عام 1290 / 1873 وأدركته الوفاة بعد ذلك عام 1314 / 1896.

وكذلك يذكر أخوهما يوسف بن محمد ضمن ظهير حسني مؤرخ بسنة 1293 / 1876 وآخر عزيزي سنة 1314 / 1896 ؛ وقد يكون أخذ عن الأستاذ الملقب بأوجمل.

كما يذكر محمد بن الحسين بعد ذلك بالدين والخيرة مع أخذ العلوم عن المحفوظ الأدوزي الذي أجازه ؛ وقد توفي سنة 1333 / 1914.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة : المعسول*.

محمد البايك

اكدالة ← كدالة

أكْدْزْ، تدخل تحت اسم أكْدزْ ثلاث وحدات مجالية مختلفة. فهو يشير إلى أهم مركز إداري لواحة مزكَيطة، كما يشير إلى اسم الجماعة القروية. لكنه أصلا يطلق على "قصر" شمال المركز العالي بحوالي 500 متر.

يقع مركز أكْدزْ عند ملتقى خط عرض 30 درجة و42 دقيقة شمالا وخط طول 6 درجة و 27 دقيقة غربا. على الضفة اليمنى لوادي درعة على الطريق الرئيسي رقم 31 الرابط بين مراكش وتاكَنيت، جنوب شرق مدينة ورزازات بحوالي 65 كلومترا.

تعتبر واحة مزكَيطة إحدى الواحات الخمس المكونة لوادي درعة وأولاها انطلاقا من العالية. تمتد بين جبل كيسان وجبل بني على السفح الجنوبي للأطلس الصغير.

يُعد واد درعة أهم شريان للحياة داخل المجموعة، حيث لا تسمح قساوة الطبيعة بإقامة أي نشاط زراعي خارج الواحة. فانفتاح المنطقة على الجنوب ووجودها تحت ظل سلسلة الأطلس الكبير يحجب عنها الرياح الشمالية الممطرة ويعرضها للرياح الجنوبية الجافة. فالتساقطات تتميز بعدم الانتظام، ولا تتجاوز 100 ملم. والمدى الحراري جد مرتفع، وبذلك تعتبر المياه أهم عنصر تنتظم حوله كل أشكال الحياة.

سكنت المنطقة منذ زمن طويل عناصر يهودية وأخرى تعرف "بالحراطين" (دراوة) إلا أن حيوية المنطقة الاقتصادية والاستراتيجية أثارت هجومات قبائل العرب (أولاد يحيى) وقبائل أيت عطا الرعوية مما جعل أهلها يستغيثون بقبائل أيت سدرات. وقد سكنت هذه الأخيرة حسب المؤرخين قرب مكناس، وكانتُ موالية للأدارسة. فعمل الولي الإدريسي مولاي بوعمران على ترحيلها إلى وادي دادس. ويطلب من الوالي سيدي موسى بن سيدي منديل هاجر جزء منها نحو وادي درعة لإغاثة أهله. وبعد تحرير هؤلاء استقر جزء من الجيوش في واحة مزكَيطة. مما أعطى لوحة بشرية أهم ما يميزها وجود عناصر بشرية مختلفة الأصول والعادات وسيادة علاقات بشرية متميزة بين هؤلاء.

وقد التحمت هذه العناصر وحاربت تقدم سلطة الكَلاوي في المنطقة حتى سنة 1930. وفي فاتح يناير سنة 1931 تدخلت الجيوش الفرنسية فأسست مركزا إداريا وعسكريا في أكَدز كمرحلة من مراحل التقدم لإخضاع قبائل أيت عطا بالأطلس الصغير. ووضعت تحت إمرة هذا المركز قبائل أيت سدرات درعة، أيت ساون، أيت تسلا، أيت سكَمان.

بلغ سكان جماعة أكَدْزْ حسب إحصاء 1971 حوالي 20246 نسمة منهم 1960 نسمة أحصيت ضمن السكان الحضريين للمركز وقد تطور هذا العدد ليصل سنة 1982 إلى نحو 26719 نسمة منهم 3796 حضريا، أي بزيادة مطلقة قدرها 6473 في ظرف 11 سنة.

ورغم أن الإحصائيات تدخل ضمن سكان المركز أيضا سكان القصر المجاور، فإنه أصبح يشكل نواة مركز حضري ببناياته الإدارية (التكنة والقيادة) والاجتماعية (إعدادية ومدرسة) والاقتصادية (سوق ـ مركز الأشغال الفلاحية) مع الاحتفاظ بالمعالم الريفية. فإحصائيات 1971 تبين أن 38 منزلا من 324 هي التي بنيت آنذاك بالإسمنت وأن 95 منزلا من نفس العدد هي المتوفرة على الماء الشروب.

عرفت المنطقة خلال العقدين الأخيرين تغيرات هامة نتيجة ازدياد حجم ونوع الحاجيات والانفتاح على الخارج وضعف المؤهلات الطبيعية :

فواحة مزكَيطة من أهم الدوائر المسقية بوادي درعة كثافة. فقد وصلت الكثافة الزراعية سنة 1978 إلى 10،6 نسمة للهكتار المسقي مقابل معدل لا يتجاوز 5 نسمة / هك على طول وادي درعة. بالإضافة إلى تباين البنية العقارية كما يبين ذلك الجدول التالي :

البنية العقارية في أكَدز

فئة الملك	نسبة المستغلين	نسبة الأرض
بدون أرض	27,1	0
أقل من 0,5 هكتار	40,5	12
بين 0,5 و 5 هكتار	31,3	62,8
أكثر من 5 هكتار	1,1	25,2

المصدر بحث ميداني 1983

إن الملكية المجهرية المشار إليها في الجدول تزداد حدة بالنظر إلى التشتت المجالي للقطع المكونة لنفس الحيازة مما يتنافى وأي تحديث في ميدان الاستغلال.

أمام هذه الظروف تظل التقنيات المستعملة في الاستغلال عتيقة وجد معقدة. فتقنيات السقي والحرث والحصد كلها تُكَيِّف مع المناخ المحلي الذي تخلقه الواحات لنفسها حيث تتنافس على نفس القطعة الأرضية مزروعات سنوية كالحبوب والخضر والعلفيات وأصناف من الأشجار كالتمور بأنواعها والتين واللوز والمشمش والرمان والزيتون. إضافة إلى نمطين من تربية الماشية، أحدهما يتمحور حول الرعي على مسارح جماعية خارج الواحة والثاني حول تربية مستقرة للماشية داخل العريسة.

تعرض هذا النمط من الحياة لعدة ضغوط أهمها : النمو الديمغرافي السريع وازدياد حاجيات السكان بغزو نمط العيش الحضري للأرياف في وقت ازدادت فيه قساوة الطبيعة بعد استمرار الجفاف لمدة طويلة وإخلال الإنسان بالتوازنات القديمة.

فقد كان لإقامة سد المنصور الذهبي على وادي درعة وقع كبير على المنطقة، ويتجسم ذلك في حصر المياه داخل السد وبداية تصريفها حسب منطق آخر. فمن جهة تزامنت نهاية الأعمال في السد وفترة الجفاف فعجز عن تلبية حاجيات السكان حتى السنتين الأخيرتين، ومن جهة أخرى،

أدى توقف الجريان داخل سليل الواد إلى انخفاض مستوى السديمة وارتفاع نسبة الملوحة مما شكل خطرا على كل النظام البيولوجي داخل الواحة.

كما أن تدخل طرف خارجي زاد نظام الري تعقيدا، حيث اقتضى ذلك إنشاء سدود للتحويل (سد أگدز) وسواقي رئيسية، لكن تعقيد النظم العقارية للأراضي والأشجار ونظم الحقوق على الماء أدى إلى ظهور نظام جديد يتعايش فيه أسلوبان في السقي : أسلوب عصري يتجسم في التجهيزات الرئيسية وأسلوب تقليدي قوامه احترام التوزيع التقليدي للماء عبر القنوات الثانوية والثلاثية الأصلية.

في مواجهة الأوضاع الجديدة تباينت المواقف :

- موقف يساند الانفتاح الاقتصادي بالاعتماد على التكنلوجية المتطورة خاصة في ميدان السقي، حيث ازداد عدد المضخات التي أقيمت في المنطقة، وقد انفردت بهذا الموقف فئة من المحظوظين الذين ساعدتهم ظروف عملهم إما في المهجر أو في إحدى المناجم المتوفرة في منطقة أگدز على ذلك.

- موقف سلبي ويكمن في مغادرة القصر القديم للاشتغال داخل المركز بنشاط طفيلي كمرشد سياحي أو تاجر بالتقسيط، أو مغادرة المنطقة نحو المراكز النشيطة في شمال المغرب أو مباشرة نحو أوربا. وفي هذا الإطار غادر قصر أگدز حوالي 43 شخصا نحو الخارج وحوالي 108 نحو المدن المغربية دون أن يعني ذلك انقطاعاً في العلاقات مهما طال الغياب.

هكذا ورغم مضي أزيد من سبع عشرة سنة على إنشاء سد المنصور الذهبي على وادي درعة فإن النظم العقارية والتقاليد حالت دون تحقيق الأهداف المتوخاة.

فهل سيستطيع الإعداد يوما ما أن يفرض التحديث الفلاحي والتنمية التامة، وأن يُعيد التوازن المفقود إلى المنطقة ؟

ح. لعشير - غ. عينادي، *النشاط السكاني وانعكاسه على المجال في الواحات ؛ نموذج دوار أگدز*، بحث لنيل الإجازة الجغرافية، كلية الآداب بالرباط 1984.

A. Hammoudi, *Droits d'eau et société* : *la vallée du Draâ*, H. T. E. vol 12 nº 48 pp 105 - 126, I. A. V. sep. 1282 ; L. Ouhajou, *Cadres - sociaux de l'irrigation dans la vallée du Draâ moyen*, H. T. E. vol 12 nº 48 pp 91 - 103, I. A. V. sep 1982 ; *Espace hydraulique et société, les systèmes d'irrigation dans la vallée du Draâ moyen*, D. E. S. Montpellier III Mai 1986 ; H. Outabiht, *Aménagement hydraulique de la vallée du Draâ*, H. T. E. vol 11 nº 43 pp 80 - 94, Juin 81 ; *Fiche de tribu* : *aït seddrat du Draâ*, circonscription d'Agdaz 18 Fév. 1953.

محمد أيت حمزة

أگْـدِّيمْ، من قرى الأطلس الكبير الشرقي. تقع عند قدم جبل أزُرگي على الضفة اليمنى لواد أحنصال. ولعلها كانت من بين النوى السكنية القديمة بالمنطقة، فلما استقر بها سيدي سعيد أحنصال الكبير في القرن السابع الهجري / 13 م ؛ شهدت بعض التوسع ، خاصة لما تعدد أتباع الشيخ المذكور هنالك. (Dragve, 174) وقدمت عليه الوفود من القبائل المجاورة، وتعززت مكانته ومكانة زاويته بعدما انتصر له أيت عطا ، فأضحت الزاوية تلعب دورا مهما في المنطقة، حيث أسهم شيوخها ، انطلاقا من أگُدِّيمْ، إسهاما مهما في تأمين التعايش بين السكان، عن طريق توسطهم في النزاعات، وبذلك غدوا حُكاما بين القبائل، تحت إشرافهم تُبرم الأوفاق، وتُعقد التحالفات ويَنصاع لهم الجميع. وبذلك عمل صلحاء أگُدِّيمْ على الحفاظ على نوع من التوازن بين بعض القبائل المتناحرة، لا سيما بين أيت عطا النازحين وبين القبائل الأصلية، ومن ثم كانت أگديم الزاوية، الأم لإحنصَالْنْ فأضحت مركز إشعاع صوفي في تلك المنطقة النائية، وعرفت منذئذ بزاوية أحنصال، وبذلك لم يعد بالإمكان الحديث عن أگُدِّيمْ دون التطرق إلى زاوية أحنصال.

وبسبب تطرف موقعها لم تذكرها المصادر المغربية ولا تحت اسم زاوية أحنصال، أما أگديم فهي غير معروفة في هذه المصادر والوثائق. وعلى الرغم من ذلك فقد عثرنا على وثيقتين - في عين المكان - تؤكِّدان على وجود علاقة وثيقة بين هذه الزاوية وبعض الأمراء. من بين هؤلاء الثائر عبد الرحمان بن سليمان بن محمد - ابن عم السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام - يتضح من خلال الرسالتين اللتين وجههما الأمير المذكور لرئيس الزاوية آنذاك سيدي احماد وحماد الحنصالي أن الصلات كانت حميمية بين الرجلين، فهو يدعوه بالحبيب، والأخ، والمحب... وأن الأمير كان يستأمنه على ممتلكات بعض أقربائه، فقد ترك عنده صهر الأمير المذكور، الشريف محمد بن سرور المكاوي وديعة مهمة، تتكون من فرس بسرجه وأمتين ووصيف. وكان الشريف قد أهدى الحنصالي زربيتين وقفطانا ، وفرجيتين وبقرتين، "وذبح على ضريح جده بعيرا". (*رسالتان من وثائق أگديم*) ولم يصل إليها الرحالة والمستكشفون الأوروبيون إلا في القرن الثالث عشر 19. (Drague, 175) ولما أصبحت منطقة الأطلس الأوسط كلها مهددة بالاحتلال، بعدما غزا الفرنسيون مركز أزيلال سنة 1916، انضوت قبائل المنطقة تحت زعامة سيدي محا أو أحمد الحنصالي شيخ زاوية أگديم، قصد مقاومة الغزو الفرنسي (Drague, 176) ورغم احتلال مركز بويحيى، بأيت محمد، سنة 1918، فإن سيدي محا كان مايزال مصرا على مواجهة الفرنسيين، حتى استطاع إيقاف زحف جيوش العقيد Naugés، وحركة الأگلاوي على أيت بوگماز، في شتنبر سنة 1922 ، ولم يستسلم إلا بعدما أصبح محاصرا من مختلف الجهات، وخاصة بعد تشييد مراكز عسكرية بكل من عَتْوِي، وتَاوَرْدَهْ، وأُوكَرْدَةْ، وتَامْدَهْ : أي من الغرب والجنوب والشمال (Drague, 177). بالإضافة إلى ذلك أصبح أيت مَحمد وأيت حكم وأيت بوگماز خاضعين للفرنسيين في 27 يونيو سنة 1923. وفي 26 شتنبر قدم سيدي محا الحنصالي، مصحوبا بوفود من قبائل المنطقة المجاورة لأگديم، على السلطان مولاي يوسف بمراكش قصد الإهداء وتقديم الولاء

(Drague, 177) ولما أصبح مواليا للمخزن، حظي بثقة السلطات الفرنسية، التي عينته قائدا على أيت مَحمد وأيت حْكْمْ. وحتى لا يفقد نفوذه على زاوية أگديم، فقد خلف بها بعض أقربائه (أخاه وابن عمه)، للإشراف على شوونها. وبما أنهم أبدوا نوعا من العداء - ظاهريا - إزاء موقفه، فقد ظلوا يحظون بثقة القبائل المجاورة. الشيء الذي جعل أگديم تظل محافظة على نفوذها بالمنطقة، وبالتالي أجل احتلالها الفعلي من طرف الفرنسيين إلى ما بعد 1930 (Drague, 178)، حيث أصبحت بعد ذلك، مركزا لضباط الشؤون الأهلية تابعا لمراقب المدني (*وثائق الزاوية*) وقد استطاع الفرنسيون، انطلاقا من أگديم، مواصلة احتلال أعالي واد أحنصال ودادس، (Drague, 178).

وعلى الرغم من أن زاوية أگديم ضاربة في عمق التاريخ، فإنها لم تشهد إلا توسعا محدودا جدا، كما يبدو من خلال الاحصائيات التي نشرها سبيلمان، إذ لم يتجاوز عدد سكانها 85 كانونا (Drague, 181).

وثيقتان من الزاوية ؛ *رسالة أولى مؤرخة بـ* 5 من شعبان 1269.
رسالة ثانية مؤرخة بـ 23 شوال 1269 ؛ *تحريات ميدانية*.

Documents de la Zaouia : *fiches de tribus et correspondances tirés du fonds d'archives du même centre* ; G. Drague, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc* ; M. Morsy, *Les Ahansala*.

أحمد عمالك

أگدْمتْ، إن المدلول اللغوي لكلمة أگدمت يمكن تحديده بالرجوع إلى الجذر الذي تنتمي إليه، ألا وهو "گ - د - م"، وهذا يتضمن معنى الارتفاع والعلو المشرفين على مناطق واسعة مجاورة واللذين يستعملان عادة كأماكن للمراقبة والحراسة ولإعطاء إشارات إنذارية إعلاماً للمعنيين باقتراب خطر مّا. وهذه الأماكن تقع في غالب الأحيان عند الحدود الفاصلة بين منطقتين متواريتين عن بعضهما بسبب التضاريس.

وهذا المعنى يتوفر إلى حد كبير في بلد أگدمت وبلد إگدميونْ المتواريين اللذين يستمدان اسمهما من أصل واحد.

ومن الجدير بالذكر أن المادة تعطي معنى آخر يدل على الشيء المقلوب على فمه أو على الجهة المفتوحة فيه. وقد لوحظ أن كل الكلمات التي تدخل مادة "گ - د - م" في تكوينها - وهي كثيرة في المناطق الجبلية على الخصوص - تتشابه في شكلها الطوبوگرافي وفي وظيفتها الاجتماعية.

ومن الدلائل الواضحة على المدلول الوظيفي للكلمة، استعمال لفظ "أگديم" أو "أگدّيم" لتدل على أبراج المراقبة في "قصور" دادس وفركلة وتودْغت (تدغة) وفي بعض الأماكن بوادي درعة.

إن بلاد "أگدْمت" تقع في الحوض الأعلى لنهر نفيس. وسكانها (أيت أوگدمت) تنتشر قراهم على جوانب نهر أگدمت (أسيف - نْ - أگدمت) أحد الروافد العليا لنهر نفيس.

ويقع واد أگدمت بصفة عامة، في الجهة الغربية من تينمل، وتحده من الشمال والغرب قمم تشرف على بلاد إگدْميون أو گدميون، ومن جهة الجنوب قمم أخرى تشرف على واد أغبار وواد نفيس الأعلى.

ينتمي سكان أگدمت، كباقي سكان الأطلس المراكشي، إلى مصامدة الجبل يتكلمون الأمازيغية ويعيشون على الزراعة وتربية المواشي.

في عهد الموحدين كانوا على ما يظهر يعدون من إگدْميونْ أو گدميوة، لأن الاسم الذي يُعرفون به اليوم لم يرد في المصادر المعروفة.

في القرن الثامن عشر. يبدو سكان أگدمت - حسب ما ورد في رحلة الوافد - كمجموعة مستقلة بنفسها، تتحكم في حركيتها السياسية والمجتمعية الانتماءات اللفية لسكانها. ولكنها منجذبة على مستوى التحالفات السياسية نحو إگدميون أكثر من انجذابها نحو واد نفيس. ولكن موقع بلادهم الاستراتيجي يكتسي أهمية قصوى، بالنسبة إلى جيرانهم من الناحية الجنوبية. ولهذا نجد أن آخر "حركة" مخزنية وجهت إلى جبالهم في عهد المولى إسماعيل، دمرها الجبليون في أگدمت بالذات، وقتل فيها، من بين مَن قتل، قائدان من قواد المخزن.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، تمكن القائد الحاج الطيب الگنتافي من ضم أگدمت إلى إيالته بالقوة، لأنه بدون ذلك سيكون مركزه بوادي نفيس مهدداً على الدوام من ناحية الشمال. ومنذ عهد الگنتفيين بقيت أگدمت تابعة لقيادة تالات - نْ - يعقوب بنفس المنطقة.

ع. الزرهوني، *رحلة الوافد*، 58 - 59، 312 وغيرها.

Ch. De. Foucauld, *Reconnaissance au Maroc*, 214 - 215 ; *Dictionnaire Touareg - Français* ; R. Montagne, *les Berbères et le Makhzen*, 18, 308 ; E. Laoust, *L'Habitation chez les transtiumants*, 245, nº 3 ; *Contribution*, 26 - 27.

علي صدقي أزايكو

إگرار، لغةً : جمع أگرُور، ومعناه حظيرة البهائم أو الزريبة، وهي قرية تقع بقبيلة أگلُو غرب مدينة تزنيت، تبعد عنها بحوالي 12 كلم. ينسب إليها علماء منهم : الأكراري الرفّاكي محمد بن أحمد مؤلف *روضة الأفنان*. والحسن بن عبد الرحمان الموقّت وغيرهما كثير.

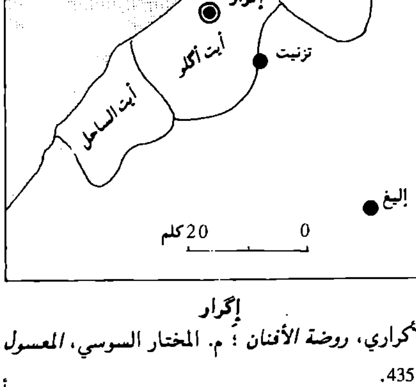

إگرار

م. الأكراري، *روضة الأفنان* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 13 : 265 - 435.

ت. أرفاك

الإگراري، إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمان المكنى أبا سالم، رافع راية العلم لجماعة فقهاء سوس، القاضي الذي لا معقب لحكمه، كان عبقريا في الإداء والإلقاء، يقتصر في فتاويه على المحقق بإيجاز.

أخذ العلوم الشرعية بسوس ثم التحق بفاس فتخرج على ابن گيران وأضرابه حوالي 1230 هـ. وهناك أتقن معلوماته، إذ يجيد بعض العلوم النادرة في سوس كعلم الأسطرلاب.

لازم التدريس في قريته "إگرار" ودرّس حينا "بتمگدشت" فخرّج كبار العلماء كالعربي الأدوزي، وأحمد أجْمل، وأحمد أضارضور، والحسن التمگدشتي. وهو ممّن له المكانة والقبول عند الخاص والعام ولذلك يتدخل للصلح بين القبائل.

لم يترك في باب التأليف إلا أربعة كراريس شرح فيها أوائل الجوهر المكنون، وبه ذكر بين المؤلفين السوسيين.

م. الإگراري، *روضة الافنان*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 198، *المعسول*، 13 : 330.

عبد الله درقاوي

الإگراري، أحمد بن إبراهيم بن محمد، تخرج بجماعة فقهاء سوس، ودرّس بمدرسة تازروالت إلى أن لفظ أنفاسه ودُفن هناك. وممّن تخرج عليه محمد بن المسعود المعدري وقد أثنى عليه فيما أخذ عنه.

من خصاله الحرص على جمع الكتب والذب عن السنة ومحاربة البدع. يتعاطى الفتوى إسوة بفقهاء سوس، ومن غرائبه أنه كان يفتي برد المطلقة ثلاثا وإجازة كراء الدراهم.

توجد بعض رسائله في *المعسول*، وقوافيه في مجموعة جمعت بإذن من الملك مولاى الحسن، معدود بين المؤلفين السوسيين *"برسالة ضد الطرقيين"*.

م. الإگراري، *روضة الإفنان*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 202 ؛ *المعسول*، 13 : 41 ـ 306 ؛ *رجالات العلم العربي*.

عبد الله درقاوي

الإگراري، محمد بن أحمد بن محمد، ويعرف أيضا بلقب "أرَفّاكْ" من فقهاء سوس ومؤرخيه (1279 ـ 1358 / 1862 ـ 1939) نشأ في قرية إگرار وتلقى بمسجدها مبادئه العلمية، ثم التحق بمدارس علمية عدة، أبرزها مدرسة المعْدَر، ومدرسة أدُوزْ، وانتقل من هناك إلى أحواز مراكش. وبعد رحلته العلمية هذه رجع إلى سوس، وتصدر للتدريس أولاً في المدرسة الأخصاصية، ومدرسة تالْعينْت وأيت رْخَا وتخرج على يده عشرات عن الطلبة. والإگراري فقيه مفت، وهذا الوصف من أبرز صفاته، فقد أتقن النوازل ومارسها أزيد من خمسين سنة تدريساً وإفتاء وقضاءً، وله مشاركة في الفنون المتداولة بسوس كالأصول والبيان والفقه والعربية والهيأة. وقد طال عمر محمد الإگراري حتى نال صيتاً كبيراً، وتأتى له أن يكتب في غالب معاصريه كتابة صريحة. وكتابُهُ *روضة الأفنان في تراجم الأعيان* نموذج على أسلوبه في الكتابة والتأريخ.

كانت للإگراري علاقة وطيدة بالرؤساء الجرّاريين، ولذلك اختار الإقامة بعاصمتهم تالْعينْت. ولما ظهر الهيبة في الميدان كان من الملتصقين بحركته الجهادية، أمضى أيامه الأخيرة في خطة العدلية بعد أن نُظمت تنظيما حديثا. نشر له المختار السوسي في *المعسول* مختارات من نثره وشعره، وهو معدود بين المؤلفين السوسين بمؤلفات منها *روضة الأفنان* المذكور آنفاً.

السگرادي، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 207 ؛ *المعسول*، 13 : 13 ـ 316 ؛ *رحالات العلم*.

عبد الله درقاوي

أگْرَاوْ (ج إِگْرَاوْنْ) من الكلمات الأمازيغية المؤسسية التي لم ترد كثيرا في مصادرنا المكتوبة. ويبدو أن سبب ذلك راجع إلى كونها استبدلت مبكراً بكلمات أخرى من أصل عربي هي : "الجماعة" أو« أيْتْ ربعين » أو« أيت العرف » أو «الديوان».(R. Montagne, *les Berbères*, pp. 175,. 220 sqq ; Bruno, *Notes*, 135 sqq ; *Introduction*, p.136).

أقدم مصدر معروف يشير إلى هذه الكلمة هو كتاب *أخبار المهدي* (ق 12 م)، حيث وردت فيه العبارة التالية : « ... فعمل لهم الخليفة [عبدالمومن بن علي] أگْرَاوْ يعظهم فيه... » (البيذق، *أخبار*، 95). ويظهر من السياق ان اللفظ يعني هنا : المجلس/اللقاء/الاجتماع... قصد التذاكر والتفاوض والتشاور وتبادل الرأي.

وبهذا المعنى ذكره مونتاني R. Montagne، حيث قال : «إن الامام المعصوم غالبا مايجمع هو بنفسه أنصاره في «أگْرَاوْ» ـ وهي كلمة تعني في مجموع المغرب الأمازيغي «جماعة» كل رجال قبيلة مّا، المؤسسة، قصد التداول فيما بينهم»(R. Montagne, 62) .

وفي مكان آخر يشير نفس المؤلف إلى أنه حينما يحضر كل الرجال مداولات القرية أو «الخمس» أو القبيلة وهم حاملو السلاح، فإن المجلس في هذه الحالة يحمل اسم «أگْرَاوْ» (R. Montagne, 175) وهذا يعني أن الأمر هنا يتعلق بتجمع أزمة، لاباجتماع عادي لاعضاء الجماعة.

غير أن الرجوع إلى الأصل للغوي للكلمة، يلقي أضواء كاشفة على أسرار مدلولها التاريخي، والمقاصد الأولى من المؤسسة التي كانت علمًا لها.

لقد علق روبير مونتاي على كلمة أگْرَاوْ، ذاكرا أنها أمَازيغية مأخوذة من الفعل «گْرُو» الذي يعني اجتمع؛ مضيفا في الوقت ذاته أنها ترادف ما يسمى «أجْمُوعْ» أو «الجماعة» في أماكن أخرى. (R. Montagne, p. 175, note1) ونفس الفعل يستعمل اليوم بمعنى جَمَع، التقط شيئا معينا كالزيتون وأرگانْ والحبوب.... فالجمع والالتقاط ليسا هنا بالمعنى المطلق، لان شرط الاختيار متضمّن في الفعل.

واذا رجعنا إلى المعجم، نلاحظ أنه يوضح أكثر المعاني المجردة التي تؤديها مادة «إيگْرُو» (= إِيگْرَا) التي

اشتقت منها كلمة أكْرَاوْ أو تَاكْرَاوْتْ. ومن أبرز هذه المعاني ما يلي : التمييز مع المعرفة والفهم/القدرة على التمييز الدقيق بين الصحيح والخاطئ، بين الحسن والقبيح/القدرة على الحكم الصحيح على الأشياء/القدرة على تحقيق الامور والأشياء/القدرة على الانتباه مع اليقظة الفكرية/التحلي بالجدية والاناة وملازمة التصرف الوقور...(Ch. De Foulcauld, *Dictionnaire*, p. 473).

من كل ما سبق يمكن أن نستنتج إذن أن أكْرَاوْ هو مجلس الجماعة الذي يتكون من أفراد مختارين لخصالهم الحميدة، يتكلفون بتصريف الشؤون العامة على أحسن وجه.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، تحقيق ليفي بروفنسال.

Ch. De. Foucauld, *Dictionnaire* ; R. Montagne, *les Berbères et le Makhzen* ; H. Bruno, *Notes sur le statut coutumier des Berbères marocains dans les archives ʃerliers*, vol. 1, fasc. 3, 1915 - 1916, Paris 1916, pp. 135 sqq ; H. Bruno, *Introduction à l'étude du droit coutumier des Berbères du Maroc central,* dans les Archives berbères, vol. 3, fasc. 4, 1918 pp. 306 sqq.

علي صدقي أزايكو

إِكْرَابْنْ أو كْرَابة مفرده أكْرَاب. هم السقاؤون بالقرب

وكان عددهم كثيرا في مختلف مدن المغرب، إلى عهد غير بعيد، ومازالوا يشاهدون لحد الآن، لكن بقلة وفي بعض المدن الكبرى كفاس ومراكش أثناء الصيف أصلهم من وادي گير، كإخوانهم إزرزاين.

يرتدي الگراب قميصا (تاقشابت) فوقه صدرة من صوف (أجلاب) تثبت على الكتف بزرين، وسروالا قصيرا (اسروال) ويضع على رأسه قلنسوة (تشاشيت) أو عمامة فوقهما مظلة (ترازة) مزدانة بمختلف الألوان "والمزون" ويتقلد في أحد الجانبين (تارفافْت)، وهي وُسيدة من الجلد أو القماش الخشن أو المطاط، تمنع الماء من بل ثيابه. ويعلق في الجانب الآخر جرابا كبيرا من الجلد، يجعل فيه نقوده وكذلك الأقداح (تطاسين) والناقوس، عندما يستعد لملء قربته بالماء.

وللقربة (تاگدّيت) حزام (الذْيور) في طرفه كلاب (شناق) وإذا ملاها الگراب أدخل في فتحتها أنبوبا من النحاس أو الصفيح (ازنبوب) ثم انطلق وهو يدق الناقوس في كل آونة، ليعلن عن حضوره.

ليست للگراب أجرة معينة، بل يكتفي، كنظيره زرزاي، بما يجود به الشارب، وهي تزيد وتنقص حسب الفصول. ويتصدق أحيانا أحد المارة فيتشتري ملء القربة الذي يوزع "كماء السبيل" على كل من طلبه، كما ترش بعض القبور بذلك الماء يوم عاشوراء. وفي عهد سحيق، كانت طائفة إگرابن تؤدي مهمة رجال الماطفئ. فإذا نشب حريق، انذر أمينهم فحثهم على الإسراع إلى مكان الحريق. فيطفئونه بسرعة ويكافؤون بمبلغ هام.

إن ولي الگرابة هو مولاي يعقوب، ذلك الملك الشهير الذي ترك تاجه ليتحول إلى سقاء تواضعا لله تعالى، حسب الأسطورة. وكان جرابه بالتالي مثقوبا عمدا حتى تسقط منه حصيلته كلها.

كان إگرابن يجتمعون ويكتتبون كل عام لتحديد اليوم الذي سيقام فيه موسم مولاي يعقوب. فيشترون ثورا، ودقيقا، وسكرا وشايا، وشمعا، ثم ينطلقون من فاس إلى قرية مولاي يعقوب راجلين، ذهابا وإيابا، حتى يستحقوا أكبر بركة. وبعد قضاء يوم في الغناء والرقص، يذبحون القربان ولا يأخذون منه، كنصيب لهم، سوى فخذ، تاركين البقية للفقراء وذوي العاهات. ثم تكون ليلة كلها فرح وابتهاج قبل العودة إلى فاس.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ مارمول، *إفريقيا*.

محمد الأخضر

أكرّاس، عبد الرحمان بن مصباح اليالصوتي السلوي، فقيه صالح أصله من غمارة شمالي فاس، ووالده الإمام مصباح (تـ750 / 49 ـ 1350) المعدود من أهل فاس، وإليه تنسب المدرسة المصباحية الشهيرة هناك لكونه أول من درس فيها بعد أن بناها أبو الحسن المريني. وهو من تلاميذ حافظ المذهب المالكي أبي الحسن الصغيِّر شارح *المدونة*، وله فتاوى مبثوتة في *المعيار*. وعبد الرحمان هو أيضا ابن خالة المحدث الصالح سليمان بن يوسف بن عمر الأنفاسي الفاسي (تـ799 / 96 ـ 1397) وأكراس الذي عرف به هو لقب أبيه مصباح الذي كان يحفظ كراسا في اليوم. ولعل انتقال عبد الرحمان إلى سلا كان بسبب الشيخ أحمد بن عاشر الذي أقام مدة بفاس ومكناس قبل أن ينتقل إلى مدينة سلا ويستوطنها، فانتقل معه إليها عدد من أعيان الفقهاء والصالحين من هاتين المدينتين ومن الأندلس وغيرها.

لقي أحمد بن الخطيب القسنطيني عبد الرحمان أكراس بسلا في جملة من لقي بها من الصالحين، وأثنى عليه كثيرا وقال إنه كان في العلم كأبيه إلا أنه فاقه بالاجتهاد في العبادة والإقبال على ضروب الطاعات. "وكان مبسوط أسرة الوجه لا تلقاه إلا ضاحكا مستبشرا يغلب عليه حسن الظَن بالله تعالى... منطلق اليد بالبذل، محسنا لأصحابه بالقول والفعل . وكان من قوله : رجال الدنيا هم رجال الآخرة إذا وُفقوا لحسن الظن بالله تعالى والجد في العمل له" (*السلسل العذب*، 63).

توفي عبد الرحمان أكراس بسلا سنة أربع وستين وسبعمائة / 62 ـ 1363 ودفن وراء الجامع الأعظم.

أحمد بن الخطيب القسنطين، *أنس الفقير*، 84 ؛ م. الحضرمي، *السلسل العذب*، سلا 1988، ص. 63 ـ 64 ؛ أ. الونشريسي، *وفيات*، *ألف سنة من الوفيات*، الرباط 1977، ص. 124.

محمد حجي

أكْرَامْ، جمعها إكْرَامْن، وهي تعني في الاستعمال الأمازيغي الولي الصالح. كما تطلق تجاوزا على أبنائه وحفدته بصفة عامة.

إننا لا نعرف ـ في الحالة الحاضرة لمعارفنا ـ الأصل اللغوي للكلمة، ومع ذلك فإن الناس ما يزالون يتداولون فعلا له علاقة مؤكدة بها وهو "إسْكْرْمْ" أي حَلَق "أگرام" أو الولي رأس الطفل ـ ذكراً أو أنثى ـ بشكل خاص. أو قص

شعره بنفس الشكل. وبالفعل فإن الآباء كانوا، حتى وقت قريب، يذهبون بمولودهم ـ بعد أربعين يوما من مولده ـ إلى ولي يختارونه ليحلق له رأسه لأول مرة. وفي هذه الحالة لا تكون الحلاقة كاملة، بل تُترك خصل من الشعر، تختلف من حيث العدد والشكل، حسب عادة كل "أگرام". ويحترم ذلك النموذج إلى أن يبلغ الطفل سنا معينا، إذ ذلك فقط يمكن تغييره إلى الشكل العادي.

إن فئة "إگُرَّامْنْ" في المجتمع المغربي القروي بوجه خاص، تحتل مكانة خاصة، نظرا لأهمية دورها المجتمعي وخطورته. هذا الدور الذي أفرزه مجتمع مهدد باستمرار في موارده الاقتصادية والبشرية، نظرا لتواتر الكوارث الطبيعية، ومضطر، نتيجة ذلك، إلى التحرك الدائم، والتدافع الحتمي، في اتجاه المناطق التي تكون أكثر خصبا، وغير مستقر سياسيا نظرا لانعدام سلطة زمنية قوية،أحيانا تكون قادرة على التحكم الكامل في كل أجزاء البلاد، وضبط شؤونها، ومصاب بخوف مزمن ومزدوج : من سخط الطبيعة الملموسة والمستترة، ومن غارة الإنسان المجاور المهدد باستمرار في كيانه.

إن دور "إگرامن" هذا يمكن تحديده في أمرين اثنين : أحدهما هو ما يتكفلون به للناس من حماية لهم ولأبنائهم وأموالهم ضد كل قوى الشر المرئية منها وغير المرئية، وما يجلبه رضاهم على الناس من بركة في الأموال وصحة في الأبدان.

وثانيهما ما يضطلعون به من مهام التحكيم سواء بين الأفراد أو بين الجماعات في حالة نشوب نزاعات أو صراعات، وما تكتسبه أضرحتهم، بعد مماتهم، من قدسية تساعد على حل كثير من المشاكل المتعلقة بأمن الأفراد، وبالمنازعات الجنحية، وكثيرا ما تكون مزارات تنعقد حولها مواسم سنوية لا تخفى أهميتها الاقتصادية.

ولكي نعطي فكرة عن أهمية دور "إگرامن" في المجتمع المغربي القديم، نورد فقرة من دوحة *الناشر*، وردت في ترجمة أبي عبد الله محمد بن مبارك الأقاوي : "... وكان إذا هاجت فتن القبائل، يبعث لهم بالكف عن القتال، فمن تعدى أمره عجلت عقوبته في الوقت، صار ذلك من الأمر المتعارف عند البعيد والقريب. ثم إنه وضع أياما معلومة في كل شهر يسمونها أيام سيدي محمد بن مبارك، لا يحمل فيها أحد سلاحا، ولا يقدر أحد على المشاجرة فيها، ويجمع الرجل مع قاتل أبيه وولده وما يقدر أن يكلمه وذلك شائع عند قبائل العرب والبربر من أهل سوس وبلاد القبلة (...) ومناقبه كثيرة لا تحصى، وهو الذي أمر قبائل سوس بالانقياد إلى السلطانين الشريفين أبي العباس أحمد وأخيه أبي عبد الله محمد الشيخ، وأمرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله تعالى لما رأى النصارى تغلبوا على سواحل تلك البلاد، وكان من أمرهما ما هو معلوم...".

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر*، ص. 114.

G. Surdon, *Esquisses de droit coutumier berbère marocain*, Rabat, 1928, pp. 91 sqq ; E.Laoust, *Mots et choses berbères*, Paris, 1920 (Rabat 1983), pp. 142 - 315 ; E. Dermenghem, *Le culte des saints dans l'Islam maghrébin*, Paris, 1954, pp. 162 sqq; J. Berque, *structures sociales du Haut-Atlas*, Paris 1955, p. 249 sqq, 434-435 ; A. Bel, *La Religion musulmane en Berbérie*, Paris, 1938, Tome I, pp. 341 sqq.

صدقي علي أزايكو

أگرام، أحمد بن محمد، من قبيلة أيت فلاس الودريمي، يعرف بالشارح. فقيه أديب، أخذ العلوم الشرعية عن العلامة عابد البوشواري، ثم رحل إلى مدينة فاس لمتابعة دراسته، شارط بعد رجوعه في مدرسة أو خريب الهشتوكية ثم مدرسة سيدي سعيد النكنافية الحاحية. ولعله توفي هناك بعد الاستقلال.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 17 : 316.

عبد الله درقاوي

أگرام، أحمد بن مَحمد بن محمد بن عبد الكريم اليعقوبي. داعية من دعاة السلفية، وأحد أنصار السنة النبوية، واعظ متمكن بناصية القول، صورة صادقة للمصلح النظيف الذي يعمل دون أن ينتظر أجرا على عمله. ينحدر من أسرة الشيخ مَحمد بن يعقوب الصنهاجي الذي عاش في القرن العاشر. نزح بعض أجداده من سوس إلى مسفيوة، وبها استقروا. ويلقب بأگرام، ومعناها بالبربرية المرابط أو الصالح.

أحمد أگرام

ولد عام 1302 / 1884 بزاوية (تاسيوين) وتلقى تعليمه الأولي عن أبيه، وبعد وفاة والده سهرت أمه على تربيته تربية صالحة، فأدخلته إلى كتاب الزاوية لإتمام حفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى (مدرسة أريكة) عند العلامة الحاج علي بن بوجمعة، ومنها إلى (مدرسة فروگة) وتسمى كذلك مدرسة تولولت. وبعد أن استتتم حفظ القرآن مع جملة من المبادئ العلمية، شد الرحيل إلى مراكش فدرس في جامع ابن يوسف مواظبا على مجالسة كبار العلماء والفقهاء، آخذا عنهم بالمشافهة والمذاكرة. ومن أبرز شيوخه : صالح السرغيني، وابن التاودي، والحاج عبد السلام السرغيني، ومحمد بن عمر السرغيني، ومحمد الفطواكي الضرير، وبوشعيب البهلولي الشاوي، والحاج العربي الرحماني، وأمَّان (محمد) بوستة، وأحمد العلمي، واليزيد الروداني، والحاج علي المسفيوي، والمحدث أبو شعيب الدكالي. كما أجازه بعض الشيوخ الفاسيين مثل العلامة عبد الصمد كنون.

كان أگرام مثالا للطالب المجد النشيط المثابر على

حلقات الدروس إلى أن تخرج عام 1338 / 1919، فشارط في مدرسة مولاي الجيلالي الجعيدي بالويدان ـ الرحامنة ـ فأظهر كفاءة وقدرة على نفع الطلبة، وجلب الكثير من عشاق العلم إليها. ثم عاد إلى مراكش ليدرِّس بجامع ابن يوسف مادتي : الفقه والنحو، وسائر العلوم الشرعية.

وفي عام 1355 / 1936 فتح مدرسة حرة بسيدي بوحربة على غرار المدارس الحرة التي فتحها بعض زملائه العلماء أمثال : عبد القادر المسفيوي، وعبد الجليل بلقزيز، ومحمد بن عبد الرازق، ومبارك الغراس، والمختار السوسي وغيرهم. وقد وجدت هذه المدارس إقبالا كبيرا من المتعطشين للثقافة العربية التي حاول المستعمر القضاء عليها.

كما ساهم في بعض الأعمال الاجتماعية مثل : تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية التي كان من أنشط أعضائها. وذهب ضمن الوفد الرسمي الذي قدَّم في رابع ذي الحجة عام 1353 / 20 مارس 1934 عريضة إلى جلالة الملك محمد الخامس تطلب منه إنشاء جمعية خيرية إسلامية مستقلة عن تدخلات بلدية مراكش نظير الجمعية الخيرية الإسلامية الرباطية. وقد نشرت مجلة "السلام" التطوانية صورة الوفد المتكون من عشرة أفراد. وإلي جانب ما ذكر خصص بعض الوقت للطبقة الشعبية، لكن سرعان ما استهوته هذه الطبقة التي أصبحت تتقاطر على مجالسه، وغدا له جمهور كبير يلازمه في كل دروسه التي تقام بمسجد ابن يوسف أو مسجد حارة الصورة أو المواسين. وقد اكتسب هذه الشهرة وهذا الجمهور بموقفه الشديد الصارم تجاه البدع، والتنديد بالطرقيين. فدروسه كانت دعوة إصلاحية بغية تنقية الأفكار، وتصفية العقيدة من شوائب البدع والخرافات التي علقت بها، والتي تنخر كيان الأمة الإسلامية، فهو متشبث بأفكار ابن تيمية، يناصر العقيدة الوهابية التي تأثر بها أثناء أداء فريضة الحج الذي ذهب إليه مرتين، ولا أريد أن أتعرض إلى موقف بعض العلماء منه، وبالأخص شيخ الجماعة محمد بن الحسن الدباغ الذي تراشق وإياه بالكلمات على المنابر.

ومن مواقفه الإصلاحية، أنه عمد مع ثلة من أتباعه إلى شجرة كانت بحارة باب دكالة فقطعها، بعد أن كانت النساء يعقدن بها التمائم والحروز وغير ذلك رجاء دفع الأذى، أو جلب الخير.

وقد حباه الله دماثة أخلاق، ولين عريكة، وطلاقة وجه، وخفض جناح لمن يقصده من ذوي الحاجات، فيقضي حاجتهم عن طيب خاطر، ويحقق مبتغاهم بوجه بشوش.

تولى خطبة الجمعة بمسجد برِّيمة، وقد تخلى عنها في أخرياته تورعا منه، كما عُرض عليه تولي القضاء فرفض. ولما أسس النظام بجامع ابن يوسف عام 1358 / 1939 رفض التدريس به اعتقادا منه بأن الصندوق الذي تؤدى منه رواتب العلماء مصدره حرام، ولذا كان يسميه بالصندوق الأسود. مع أن حالته المادية يومها حالة ضيقة، بحيث لم يكن له من السعة ما يجعله يرفض مثل هذه العروض.

توفي ـ رحمه الله ـ في جمادى الثانية 1376 / 1956 فجأة، بعد أن قطع أيامه كلها في التدريس ونشر العلم، ودفن بروضة باب أغمات، فبكته مراكش وبكته منابرها.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 16 : 100 ؛ *روايات شفوية عن أسرة المترجم وتلاميذه.*

أحمد متفكر

أكْرَامُو، سعيد بن سليمان السملالي، ينتسب إلى أسرة الكرَّاميين بسوس لا إلى إكرَّامْن وهم المرابطون أو الصلحاء مطلقا، وقد ترد نسبته هكذا : الكرامي، من أسرة علمية في القرن التاسع الهجري ينتسبون إلى ابن العربي المعافري. ومساكن الكراميين بتازموت من سملالة بالأطلس الصغير ولاتزال قبور مشاهيرهم هنالك معروفة.

ذكر الرسموكي في *وفياته* أن وفاة سعيد هذا كانت في 16 شعبان عام 882 وأن مدفنه بمسجد تازموت. وذكره الحضيكي في *طبقاته*، ووصفه صاحب *بشارة الزائرين* بالولاية والتآليف العديدة، منها شروح على *الرسالة والأجرومية* والخراز وابن الحاجب.

واستنتج محمد المختار السوسي من عبارات بعض شروحه أنه محدث مستحضر.

وكانت مشارطته جل حياته بقرية الأحدويني إزاء سوق الثلاثاء الأگمارية المشهورة ببعقيلة.

ذكر صاحب *المعسول* أقاصيص تنسب إليه دالة على تقدير الناس له إلى حد المبالغة، وحتى إنهم ينسبون إليه قصيدة في تباري طلبة بربر وعرب على من يسكن أرفع البيوت في مدرسته، وأولها :

بسم الإله في الكلام إزْوَر وهو على عون العبيد إزْضَرِ

وهي ليست لأكرامو بل هي للشاعر أحمد بن محمد بن يعزى بن عبد السميح التاغاتيني الرسموكي المتوفي عام 1080 هـ.

ومما ذكر عن أكرامو أنه درس بغرناطة لا بفاس، إذ هو من أواخر من درسوا بالأندلس.

وفي أسرة أكرامو علماء آخرون ذكرهم صاحب *بشارة الزائرين* ونقل عنه صاحب *المعسول* (7 : 23 ـ 30).

م. المختار السوسي، *المعسول*، 3 : 212، 7 : 23 ـ 30، 8 : 244.

أحمد التوفيق

إگْرزگاغنْ، (البستان الأحمر) قيل إنه اسم قرية اندثرت ولم يبق منها اليوم إلا أطلال توجد بقبيلة إيداوبُوزْيا الحاحية، وكان أهلها مشهورين بالعلم والأدب، وآخر من اشتغل منهم في خطة العدالة والقضاء والإفتاء بالقبيلة هما : الفقيه الأكرم سيدي سعيد أزطام البوزيادي الحاحي، العارف بأحكام الشريعة وألفاظ الوثيقة والميرات والتقسيم والفريضة وأحكام الديانة (*رسالة إليه*)، وولده العلامة الأديب سيدي يدير بن سعيد أزطام البوزيادي (= البوزياوي)، عاشا معا إلى نهاية القرن الثالث عشر

الهجري، وبموتهما انقطع ذكر إگْرْزگّاغْنْ بين الناس، ويبدو أنها هي القرية المذكورة في *وصف إفريقيا* (1 : 81) تحت اسم إداوْ زگواغْنْ.

تحريات ميدانية.

محند أيت الحاج

أگرسيف ـ المغرب الشرقي ـ ← **گرسيف**

أگرسيف ـ سوس ـ ← **تافراوت**

أگْرَضْ، لفظة بربرية معناها العنق ـ عنق الإنسان ـ أي صلة ما بين الرأس والجسد. ويعني أيضا الممر الجبلي الضيق في المناطق الجبلية القليلة الارتفاع. وفي هذا المعنى يقصر لاووست (E. Laoust) إطلاقه على الممرات الجبلية بالأطلس الصغير (*Mots et choses*, 115)، حيث يتكرر كاسم موقع، حتى عدد منها حوالي ثلاثة عشر (*Contribution*, 41-42). بينما تتكرر لفظة "تيزي"، ـ الممر الجبلي ـ في جبال الأطلس الكبير والمتوسط.

وأگرض، المقصودة هنا، قرية كبيرة، تقع غربي مدينة بني ملال، على بعد حوالي تسعة وثلاثين كلم : في منطقة اتصال قبيلتي بني عْياطْ (أو أيت عْياضْ) وأيت عتاب، بدير الأطلس المتوسط الغربي. ولا يكون مع تَخْسَيْتْ (= القرع) اسما لموقع واحد، كما ظن العباس بن إبراهيم (*الإعلام*، 9 : 184 ـ 186)، ومن بعده محمد المختار السوسي (*المعسول*، 12 : 112). فأگرض تقع شرقي تخسيت على بعد حوالي كيلومترين. ويتكون معظم سكانها ـ حاليا ـ من البربر، من قبيلة بني عياط، بينما يتكون أغلب سكان تخسيت من العرب. ويبدو أن هذه الأخيرة أحدث من أگرض.

أول من ذكر أگرض ـ فيما نعلم ـ هو الحسن الوزان، الذي زارها سنة 921 / 1515. لكنه يدعوها مدينة أيت عْياضْ ـ نسبها، كما نسب مثيلاتها للقبائل التي تحيط بها ـ وقد كانت زمن الوزان مدينة مسورة. ذكر أنها من تأسيس الأفارقة، في موقع دفاعي حصين من مقدمة جبال الأطلس المتوسط الغربي. وقد اشتهرت آنذاك بغناها، بسبب ازدهار الزراعة، واشتغال سكانها بالتجارة والصناعة (*وصف إفريقيا*، 1 : 146). ولعل هذا الازدهار ناتج عن وفرة مياهها، بسبب موقعها في الدير، ووقوعها على مقربة من الطريق التجاري الرابط بين مراكش وفاس.

وقد اقترن ازدهارها بشهرتها؛ لا سيما لما ظهر بها متصوف كبير مثل سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي المتوفي حوالي سنة 957 / 1550 ـ 1551 (*الإعلام*، 9 : 185)، الذي ذاع صيته كرجل ديِّن صالح، تواترت عنه الكرامات. فقصده الناس من الآفاق، من أجل التبرك وأخذ الأوراد (*الدوحة*، 91).

ولعل أگرض قد أضحت منذئذ، مركزا صوفيا معروفا بين مراكز دير الأطلس. وقد نشأت بها، في بداية القرن الثاني عشر / الثامن عشر، زاوية ناصرية تابعة لتمگروت؛ أسسها أحد تلاميذ الشيخ أحمد ابن ناصر، المدعو أحمد بن البكري، من حفدة سيدي علي بن إبراهيم البوزيدي (*الدرة الجليلة*، 2 : 347).

ولا يعرف سبب اختفاء الطريقة الناصرية من أگرض. فالظهائر الموجهة إلى مرابطي المنطقة لا تذكر هذه النسبة (ثلاثة ظهائر : اثنان حسنيان والثالث عزيزي). وما تزال بها زاوية قادرية قائمة حتى عهد قريب، يشرف عليها حفدة سيدي علي بن إبراهيم ويلقون أورادها (De. La Chapelle. 62).

يشير دولاشابيل إلى معركة خاضتها قبائل المنطقة ـ وكانت أگرض منطلقها ـ ضد الكولونيل (Mangin). وما يزال أهل البلدة والمناطق المجاورة يقيمون حول ضريح الصالح سيدي علي بن إبراهيم موسما سنويا يعقد يوم سابع عيد المولد النبوي.

م. ابن عسكر، *دوحة الناشر* ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12.

E. Laoust, *Mots et choses* ; F. De. La Chapelle, *Un document sur la politique* ; E. Laoust, *Contribution*.

أحمد عمالك

أگْرْضْ (مسجد ـ) يدعى هذا المسجد : تِيمْزگيداَ أوگْرْضْ، أي مسجد أگرض، ويقع في قبيلة مسگينَة، فَرقة أيت عباي، شرقي أگادير، بحوالي 12 كلم، ويحتوي على مدرسة عتيقة.

أگرض : المسجد والامام

ولعل تأسيس هذا المسجد يعود إلى العهد المرابطي، والمحراب القديم لمسجد أگرض ما يزال منحرفا نحو الجنوب بصورة بارزة إلى جانب المحراب المعدل، كما أن القبور كانت توجَّه في سمت المحراب المنحرف.

وتؤكد الرواية الشفوية أن هذا المسجد يعد أقدم مسجد قريب إلى الساحل الأطلسي في اتجاه ميناء أگادير، كما تؤكد أنه في أثناء المعارك التي خاضها السعديون ضد البرتغال أثناء احتلالهم لحصن أگادير ما بين (1505 ـ 1541م) كان المجاهدون ينقلون القتلى لدفنهم في مقبرة هذا المسجد، وهناك ما يدل دلالة واضحة على مدى مصداقية هذه الرواية، منها : أن الاتساع الهائل لتلك المقبرة ـ وهي قديمة التعمير ـ لا يتلاءم والتجمع السكني لهذه المنطقة، حيث إن

قبيلة مسگينة عموما لا يبلغ مجموع سكانها في نهاية القرن التاسع عشر سوى قرابة ألف كانون، وإن بعض المداشر القريبة منها إلى المسجد لا يمكن أن يعزى إليها تعمير مثل هذه المقبرة الهائلة الاتساع. ومنها عدم وجود مسجد آخر ومقبرة بنفس الأهمية بينها وبين ميناء أگادير. ومنها قيام حصن مشابه لحصن أگادير في منطقة مشرفة على هذا المسجد شمالا قرب عين ماء غزيرة حتى الآن، ويتميز بأبنيته المخالفة للأبنية المحلية، وما تزال بعض مرافقه قائمة. ومنها كون بعض مظاهر العمارة بمسجد أگرض تحمل الطابع السعدي، وكذلك زخرفة بعض القبور التي ما تزال معروفة لدى السكان باسم "تيسعديين" مما يمكن تفسيره بأنها قبور بعض الأمراء السعديين وهي تتميز بأضرحتها المزخرفة دون سواها من القبور الأخرى المتواضعة.

هذا وقد ضاع الكثير من أخبار هذه الجهة، في غير ما تتناقله الأخبار عن أسماء من تخرج من مدرسة هذا المسجد وأسماء شيوخها، ولا شك أنها عرفت ازدهارا علميا قبل تأسيس مدرسة إغلالنْ على مقربة منها في نهاية القرن الثاني عشر / 18. وقد تحدث المختار السوسي عن إنشائها على يد سيدي يحيى بن سعيد الإلاني الجزولي (تـ 1205 / 1791) وما عرفته بدورها من تخريج علماء أفذاذ، وبخاصة في عهد سيدي الحاج مسعود الوفقاوي (تـ 1366 / 1946).

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، I : 37 ـ 42 و 4 : 61 ؛ *المعسول*، 3 : 59.

R. Montagne et M. Ben Daoud, *Documents pour servir à l'étude du droit coutumier du sud du Maroc*. Hespéris, 1927, p. 417.

عمر أفا

أگرگور، اسم قرية تقع على الحافة الشمالية الغربية لهضبة كيكْ الكائنة جنوب غرب مراكش. وهي مبنية في تراب أيَت واوزگيت، غير بعيد من بحيرة سد لالاً تاكركوست التي تتجمع فيها مياه نهري نفيس وأمزميز.

إن كلمة أگرگور معروفة في مناطق أمازيغية من شمال إفريقيا ومع ذلك فإن مدلولها اللغوي غير مضبوط لحد الآن. ويمكن أن نفترض أنها تعني المجرى الواسع الذي يكوِّنه نهرٌ ما عند خروجه من الجبل إلى السهل حيث يحط السيل أحجاراً كثيرة. ومعلوم أن أگرگور تقع على الضفة اليمنى لواد نفيس، في منطقة يتسع فيها مجراه بشكل بيِّن، خصوصاً إذا قورن بمجراه الأعلى.

لقد لعبت قرية أگرگور دوراً تاريخيا هاما في حياة سكان جبال نفيس، إذ كانت مقر إقامة قواد المخزن المركزي، المكلفين من قِبل قائد أهل سوس والقصبة بمراكش، بشؤون أهل وادي نَفيس وقبيلة إغيغاين.

وبعد موت السلطان الحسن الأول، استولى عليها القائد الطيب الگنتافي، ثم نازعه عليها القائد الأگلاوي. وبعد جولة من المفاوضات بين القائدين عادت في بداية القرن العشرين إلى سلطة الگنتافيين. وكانت أگرگور بالنسبة إلى

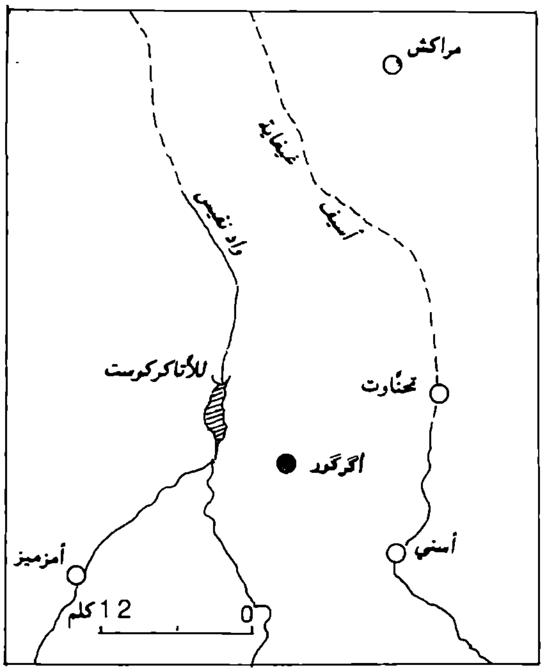

أگرگور

هؤلاء ذات أهمية استراتيجية كبيرة، لأنها كانت نافذتهم على الحوز والعاصمة الجنوبية مراكش، كما كانت مركزاً لمراقبة أهم طريق يربط وادي نفيس بحوز مراكش.

Ch. De. Foucauld, *Dictionnaires* t. IV, p. 1755 ; *Reconnaissance*, p. 337 ; De. Segonzac, *Voyage au Maroc* (1899 - 1901), 3º partie, Le sous, p. 238 p. 99 ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen*, pp. 126, 133, 275, 277, 301, 336 ; E. Laoust, *Contribution*, p. 89 ; C. Justinard, *Le Caïd Goundafi*, pp. 38, 39, 46, 47 ; P. Pascon, *Le Haouz*, t. I, pp. 28, 182, 274, 346, 348, 367.

علي صدقي أزايكو

إكرْمَالتْ، جبل يعلو سطح البحر بـ 2008 متر، ويقع أساساً بأرضَ قبيلة زرقات بناحية صنهاجة، ويمتد إلى قبائل بني مزدوى وبني عمارت وبني بشير، واسم الجبل مأخوذ من اسم مدشر بفرقة علال من قبيلة زرقات.

وفي هذا الجبل اعتصم المجاهدون بعد أن استسلم الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في شهر ماي 1926. وظلوا به إلى شهر يوليوز من السنة التالية.

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa 1930*. 2 : 36 ; Domenech lafuente (Ange), *geografia de la Zone Norte del Protectorado de Espana en Marruecos 1942*, p 26 ; Cabello Alcaraz, JO, *Apuntes de geografia de marruecos*, 1951, p. 71.

م. ابن عزوز حكيم

إگْرْوَانْ، أو جروان، اسم جمع بالبربرية، مفرده أگراوْ. وهو اسم لقبيلة إگْرْوَانْ التي يوجد موطنها حاليا غرب مدينة مكناس. وقد ورد ذكر هذه القبيلة لأول مرة في كتب التاريخ، في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، صاحب *المقتبس من كتاب الأنساب*. وكانت تشكل في هذه الحقبة، فرقة من بني صطاط، أحد أمجاد صنهاجة القبلة. (المقتبس، 53 ـ 57) وكانت هذه القبائل تنتشر في هذا التاريخ، في مناطق الجنوب خلف جبال الأطلس. ولا نستطيع بالضبط، تحديد المجال الجغرافي الذي كانت تحتله

إگروان في هذه الفترة. إلا أنه من المؤكد أنها قد استقرت في أعالي زيز لمدة غير يسيرة من الزمن، حيث يوجد قصر يحمل اسمها إلي الآن. (*Notes sur le Haut Ziz*, 70) ويظهر أن قدومها إلى تلك المنطقة، قد تم في مرحلة متأخرة، وواكب هجرة قبائل أيت إدراسن التي خرجت من الصحراء الغربية في اتجاه الشمال الشرقي، مع قيام الحركة المرابطية. (*آثار التدخل الأجنبي*، 1 : 8 ـ 20). ومع أوائل القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، اضطر الاجروانيون كغيرهم من قبائل واحات الجنوب الشرقي، تحت ضغوط اقتصادية وبشرية، إلى استئناف الهجرة نحو الشمال. فعندما تحدث صاحب *الإحيا والانتعاش* عن مجاعة عام 1071 / 1660، ذكر أن قبيلة إجروان قد فرت مع كثير من القبائل من بلاد أزغار إلى واحات الصحراء. ولم تعد منها إلا في السنة الموالية عندما سمعت بخصب بلاد الغرب وأزغار وتادلا (*الإحيا والانتعاش*، 250 ـ 251). ويرجع تاريخ استيطان إگروان في أزغار بالضبط في مدينة الدلاء، إلى عهد محمد الحاج الدلائي (1046 / 1637 ـ 1071 / 1660). فقد أصبحت هذه القبيلة، تشكل مع أيت إدراسن ومجاط وأيت إمور وبني مطير، عصبية الإمارة الدلائية وحميتها. فقد تمكن هذا الأمير بواسطة تلك القبائل، من امتلاك أهم مناطق المغرب لمدة تنيف عن ربع قرن. (*الزاوية الدلائية*، 153). إلا أنه في سنة 1094 / 1683 على إثر الحملة العسكرية التي جردها مولاي إسماعيل على صنهاجة فازاز (الأطلس المتوسط)، اضطر الإجروانيون إلى الفرار بأنفسهم من جديد، نحو الجنوب الشرقي. فقد ورد في مخطوط نشره أحد الضباط الفرنسيين، أن إجروان أيام هذا الأخير، كانوا يعيشون في منطقة الجنوب الشرقي (*Un document sur la politique*, 40). وإلى ما يقرب من هذا، أشار مارتان (Martin)، استنادا إلى وثائق محلية، أن هؤلاء القوم كانوا، إلى عهد السلطان مولاي عبد الله، ما يزالون يعيشون فسادا في واحات تافيلالت، ويسطون على القوافل التجارية المتنقلة صوب توات (*Quatre siècles d'hist. du Maroc*, 91). ومع أوائل عهد ابنه سيدي محمد، اتجه الإجروانيون من جديد نحو الشمال، ودخلوا في منافسة شديدة مع أيت ادراسن الذين أنزلهم السلطان بأحواز مكناس، ونفذ لهم الأرض هناك (*تاريخ الضعيف*، 165). ويظهر أنهم قد استغلوا الفراغ الذي نجم عن نزول الإدراسنيين إلى السهول وصاروا يغيرون عليهم من الخلف ويتطلعون بدورهم إلى التسلل إلى المراعي الدافئة واقتطاع نصيب من أرض سايس الخصبة. وللوصول إلى هذه الغاية، استعانوا في سنة 1172 / 1761 بالأودايا وأنزلوا بجيرانهم هزيمة كبيرة. وأخرجوهم من بلادهم(الزياني، *الترجمان*، 72). ولصد إگروان وغيرهم عن المنطقة، طلب السلطان سيدي محمد بن عبد الله من والي مكناس، عقد حلف بين أيت إدراسن وأيت إمور وأمر العبيد بنصرتهم. وقد نشبت بين الفريقين في سنة 1173 / 1762، حرب فظيعة انتهت بانتصار حلف أيت إدراسن وأيت إمور والعبيد وانكسار شوكة إگروان والأودايا (*الاستقصا*، 8 : 13 ـ 14). إلا أنه عندما تجبر أيت إدراسن على السلطان وخرجوا عن طاعته في سنة 1179 / 1768، شارك الإجروانيون والودايا إلى جانب العبيد في حرب أعدائهم بالأمس واقتصوا منهم وهزموهم شر هزيمة. (*الاستقصا*، 8 : 28). وقد وردت في الحوليات التاريخية، في الفترة السليمانية أخبار كثيرة عن انتفاض إجراون وحروبها مع جيرانها أيت إدراسن. ويتضح من تلك الإشارات، أن هذه القبيلة قد وقعت في هذا العهد، بين كماشتين. فكان عليها أن تواجه ضغط قبائل أيت أمالو التي كانت تسعى إلى النزول إلى السهول من جهة. ومن جهة ثانية، كان عليها أن تصمد في وجه الحركات السلطانية ومضايقات أيت إمور وأيت إدراسن. ولم تستقر إجراون في موطنها الحالي على ما يبدو، إلا في عهد مولاي عبد الرحمان. فبعد أحداث معركة ظيان (زايان) (1234 / 1818)، واستمرار هيجان القبائل، اقدم هذا الأخير، على نقل إملوان وأيت إمور عن بلدهم إلى الحوز. وبذلك وهنت عصبية أيت إدراسن وخضعوا من جديد لسلطان الدولة. (*اختصار الابتسام*، 381). وبهذا الإجراء، خف الضغط على المنطقة، وتمكنت قبيلة إجروان من اقتطاع مجالها الحيوي وانحاشت لجانب المخزن. ولا نعرف بالضبط حدود هذا المجال الذي كان يتقلص أو يتوسع حسب قوة القبيلة أو ضعفها، إلا إشارات وردت في مصدر متأخر، تفيد أن هذه القبيلة كانت قبل سنة 1912، تنتشر على مساحة 600 كلم مربع بين جبل قفص شمالا وأگوراي جنوبا وبين خط مكناس ـ وعين عرمة (*La Région de Meknès*, 30). وكانت هذه القبيلة حسب نفس المصدر تنقسم إلى خمس قيادات : أيت يعزم : على رأسها القائد علي بن محمد و عدد خيامها 415 ؛ أيت الحسن (أ) : على رأسها القائد الحسين بن عكي و عدد خيامها 220 ؛ أيت الحسن (ب) : على رأسها القائد عقٌ بن علي و عدد خيامها 580؛ أيت حمو : على رأسها القائد ادريس ولد بردان و عدد خيامها 600 ؛ أيت ويخليفي : على رأسها القائد مصطفى الهردي وعدد خيامها 520. (*La Région de Meknès, 31*).

البيذق، *الأنساب* ؛ ع. العياشي، *الإحيا* ؛ الزياني، *الترجمان* ؛م. الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ حجي، *الزاوية الدلائية* ؛ كنينح، *آثار التدخل*.

Oustry, *Notes sur le Haut Ziz*, in Bull. de la Soc. de Géog. et d'Archéol. d'Oran, 1910 ; Arnaud (cap), *Monographie de la Région de Meknès*, Meknès 1914 ; Reynier (Lieut.). *Un document sur la politique de Moulay Ismïl dans l'Atlas*, Archives Marocaines, vol. XXVII, Paris 1931 ; Martin (A.G.P), *Quatre siècles d'histoire marocaine*.

العربي أكنينح

أگزناي ← الجزنائي

إگزناين ← جزناية

أكْزُول، أسرة تطوانية أصلها من الأندلس حيث لا زالت هناك أسر إسبانية تحمل نفس الاسم Gazul كما أن هناك مدينة بمقاطعة قادس تسمى قلعة أكْزُولين Alcala de los Gazules. ومن أفراد هذه الأسرة بتطوان تذكر لنا الوثائق : الأمين أحمد بن محمد أكزول الذي كان ضمن الوفد الذي مثل تطوان في حفلة مبايعة السلطان مولاي عبد الرحمن بن هشام بفاس عام 1238 / 1823، ويبدو أنه توفي قبل عام 1249 / 1833 وهو يشغل منصب أمين الديوانة.

وهناك فرد آخر اسمه عبد السلام كان أمينا للديوانة سنة 1276 / 1859. وبتطوان زنقة تحمل اسم هذه الأسرة، وهي الزنقة التي أطلق عليها الإسبان خلال احتلالهم للمدينة سنة 1860 م اسم طلعة القصبة Subida al Castillo. ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط خاص ؛. أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 22 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 3 : 286. 5 : 195. 8 : 285 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigena, *Familias ilustres de Tetuan* (A) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen espanol* (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أكُزول، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفيلالي، فقيه مشارك، انتصب للعدالة بفاس طوال حياته. أخذ عن القاضي محمد بن محمد بن سودة، ومحمد ميارة، والخطيب حمدون الزبار. وأكثرُ أخذه عن الشيخ عبد القادر الفاسي، سمع عليه كثيراً في التفسير والحديث والأصول والكلام والمنطق والبيان، ولازم دروسه سنين عديدة ليلاً ونهاراً. ودرسً هو أيضا دهراً بالقرويين إلى أن أصابه مرض لزم به داره وتوفي بفاس عام 1090 / 79 ـ 1680.

ع. الفاسي، *الإعلام بمن غبر* (مخطوط).

محمد حجي

الأكزولي (أسرة رباطية) ← **الكزولي**

إكْس ـ لِي ـ بَانْ، Aix-Les-Bains مدينة فرنسية صغيرة عاصمة مقاطعة لاسافوا تقع على الضفة الشرقية لبحيرة لابورجي وتبعد بمسافة يسيرة من مدينة جنيف السويسرية. عدد سكانها نحو ثلاثين ألف نسمة. وهي منتجع وحمة جميلة يقصدها السياح في فصل الصيف بالخصوص والمرضى للاستجمام والعلاج من داء المفاصل وغيره من أمراض الشرايين والأعصاب فيتعالجون بالمياه المعدنية وشتى الوسائل لما تتوفر عليه من أجهزة صحية.

هذه البلدة هي التي اختارتها الحكومة الفرنسية خلال اشتداد الأزمة في العلاقات المغربية ـ الفرنسية لعقد مؤتمر أو على الأصح "اجتماع إكس ـ لي ـ بان" ما بين 22 و 27 غشت 1955 تمهيداً للخروج من المأزق الذي وقعت فيه بعد خلع جلالة محمد الخامس ونفيه إلى كورسيكا ثم مدغشقر، مما نجم عنه اشتداد المقاومة الشعبية في المغرب وبلوغ الأمة أوجها فأخذت حكومة باريس تبحث عن حل.

تمَّ خلع محمد الخامس، كما هو معلوم، قبل ذلك بسنتين في 20 غشت 1953. وخلافاً لما كان يتوقعه القائمون بهذه المؤامرة، فإن المقاومة الشعبية لم تهدأ والعمليات الفدائية لم تزدد إلاَّ استفحالاً معزِّزةً مطالبة الشعب المغربي بعودة المشروعية بإعادة محمد الخامس الذي ظل صامدا في موقفه مصراً على رفض التنازل عن العرش.

BIBLIOTHEQUE

نظمت على مر سنتين ثورة الملك والشعب فأحبطت المشاريع الاستعمارية التي كانت تهيأ من الدوائر الفرنسية، ولم يُجد القمع في القضاء على هذه الثورة، كما لم يُجد استبدال الجنرال گيوم مدبر المؤامرة بالمقيم العام الجديد فرانسيس لاكوسط أو جيلبير گرانفال وغيرهما، مثلما لم تستطع حكومات الجمهورية الرابعة المتتالية أن تعالج المشكلة، إلى أن تولى الحكم م. إيدگار فور المعروف بقوة شخصيته. وهو الذي أبدى كثيرا من الجرأة والحنكة السياسية لمعالجة الأزمة المغربية ـ الفرنسية ممهدا بعقد اجتماع إكس ـ لي ـ بان.

كانت مسألة إحداث مجلس للعرش ليحل محل السلطان ابن عرفة الذي نصبته الحكومة الفرنسية من أهم الحلول المطروحة على بساط البحث بعدما رفض الشعب المغربي الدعي رفضاً باتا وفشلت كل المساعي لتثبيت مركزه.

انعقد مؤتمر إكس ـ لي ـ بان في ظروف بالغة الاضطراب بالمغرب : قبل يومين لقي قائد القوات المسلحة الفرنسية بالمغرب مصرعه وحصلت اضطرابات في الدار البيضاء وعقبتها عمليات فدائية في منتهى الخطورة بالحواضر والبوادي حيث أتلفت المواصلات السلكية والهاتفية مما شل حركة الجيش الفرنسي، وأوقدت الحرائق في مزارع المعمرين والمتعاونين الإقطاعيين الممالئين لإدارة الحماية، ووقعت اضطرابات قدم ممثل فرنسا گرانفال استقالته في أعقابها ولم يَمض على تعيينه أزيد من خمسين يوما.

في هذا الجو المحموم دعت الحكومة الفرنسية لمدينة إكس ـ لي ـ بان شخصيات مغربية وفرنسية من شتى الاتجاهات والهيآت للاستماع إلى آرائهم في موضوع حل الأزمة. وكانت الحكومة الفرنسية ممثلة بوفد يرأسه السيد انطوان بينى وزير الخارجية، وهو من أقوى الشخصيات الوزارية، يرافقه السيد بير جولي المكلف بالشؤون المغربية. أما الشخصيات المغربية السبعة والثلاثون الذين دُعوا للاجتماع فكان من بينهم بعض قادة حزب الاستقلال : الحاج عمر بن عبد الجليل، عبد الرحيم بوعبيد، المهدي ابن بركة، وبعض قادة حزب الشورى والاستقلال : عبد القادر بنجلون، عبد الهادي بوطالب، محمد الشرقاوي، أحمد ابن سودة. ومن الشخصيات المستقلة دُعي مبارك البكاي والفاطمي بنسليمان. كما دُعي وفد من سامي شخصيات المخزن (الحكومة المغربية) وفي مقدمتهم الصدر الأعظم محمد المقري، ووفد من كبار رجال السلطة وفي مقدمتهم

الباشا التهامي الگلاوي الذي كان على رأس المتآمرين ، وكذلك عبد الحي الكتاني. كما شارك في الاجتماع ممثلون عن إدارة الحماية والجالية الفرنسية من معمرين وغيرهم.

باستثناء ممثلي الإدارة الفرنسية والموالين لها كان إجماع المتحدثين على وجود إعادة المشروعية في شخص محمد الخامس ورجوعه إلى عرشه، وكان للحجج التي قدمها المتشبثوت بالمشروعية تأثير قوي على الوفد الفرنسي وخاصة على رئيسه السيد أنطوان بيني الذي لعب دورا مهما في تطور الأحداث بعد ذلك.

بعد انفضاض اجتماع إكس ـ لي ـ بان يوم 27 غشت 1955 اجتمع مجلس وزاري برآسة روني كوتي رئيس الجمهورية، وبحث الخيارات المطروحة على ضوء النتائج المستخلصة من المؤتمر. وبعد ساعات طويلة من المناشات الحادة، تم الاتفاق على إزاحة ابن عرفة عن العرش وتنصيب مجلس بدله وتأسيس حكومة مغربية، كما تقرر الدخول في محادثات مع محمد الخامس في منفاه لأخذ موافقته. وجهت الحكومة الفرنسية الجنرال كاترو وهو من قواد فرنسا الكبار إلى انتسيرابي، حيث كان محمد الخامس منفيا، يوم 4 شتنبر 1955 وعين مقيم فرنسي جديد في المغرب لتنفيذ السياسة الجديدة. ثم وقعت أحداث جسام قبل أن تعود المشروعية إلى نصابها بعودة محمد الخامس يوم 16 نوفمبر 1955 إلى عرشه حاملاً معه الاستقلال الذي كافح هو وشعبه في سبيله.

ق. الزهيري، *محمد الخامس الملك البطل*.

P. July, *Une république pour un Roi*, Fayard ; C. Paillat, *La liquidation*, Robert Laffont.

قاسم الزهيري

أگشتيم، قد ينسب إليها في تراجم العلماء باسم الجشتيمي، وهي قرية بفرقة أفلاً واسيف، على بعد حوالي 7 كلم شمالاً من تافراوت، عند قدم الدير الجنوبي لجبل الكست الشرقي.

أحمد التوفيق

إكوت ← تكنة

إگـيگ، أبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي. هنالك بعض الاختلاف في ذكر هذا الاسم. *فروض القرطاس* يذكره باسم إبراهيم بن إسماعيل الهزرجي، بينما يكتفي صاحب *الحلل الموشية* باسم "أبو إبراهيم". وكذلك ابن عذاري في الجزء الرابع. ونعتقد أن صاحب *روض القرطاس* كان مخطئا في الصورة التي قدم عليها اسم المترجم، إذ نجد أقدم المصادر وهو *أخبار المهدي* للبيذق يدعوه إسماعيل بن يسلال الهزرجي وكذلك عبد الواحد المراكشي الذي يسميه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى الهزرجي، ويسميه البيذق، أيضا، إسماعيل إيگيگ الذي يعني باللغة البربرية الرعد.

كل المصادر متفقة على أنه من أصحاب المهدي العشرة. وكان من الأولين الذين اتصلوا بالمهدي وتتلمذوا عليه. ونسبته تدل على أنه من قبيلة هزرجة التي يعدها عبد الواحد المراكشي من قبائل مصمودة القاطنة حول مراكش وهم هزميرة وهيلانة وهزرجة، كما يذكرها ابن خلدون من بين القبائل السابقة لدعوة المهدي مع هنتاتة وتينملل وهرغة. ويظهر أن هزرجة كانت من بين القبائل المعادية للمرابطين إذ أن هؤلاء، حسب رواية البيذق، بنوا حصن تاسغيموت وأسندوا قيادته لأبي بكر بن اللمطي مع مائتي فارس وخمسمائة راجل لحراسة "بلاد هزرجة".

حينما التجأ ابن تومرت إلى أغمات ن ويلان وجد معارضة من طائفة من السكان وتأييدا من طائفة أخرى وكان من بين طلبته المذكورين في المصادر سليمان بن البقال وإسماعيل الهزرجي. وقام هذا الأخير بدور مهم في حماية ابن تومرت بعد أن غادر أغمات إلى إيگلوان من بلاد مسفيوة. فقد أمر علي بن يوسف بالقبض على الفقيه السوسي، لكن إسماعيل أتاه بنجدة تتكون من مائتين من رجال قبيلته فحملوه إلى بلاد هزرجة ثم إلي إمسفيوا، ومن ثم وجد ابن تومرت نفسه في منعة فأخذ يتنقل في جبال الأطلس.

هاته الحفاوة التي أظهرها في خدمة المهدي جعلته يحتل المرتبة الثانية من بين أصحاب المهدي بعد عبد المومن. فيذكر البيذق مثلا، أن أول من بايع المهدي تحت شجرة الخروب المشهورة كان هو عبد المومن، ثم أبو إبراهيم، ثم عمر أصناگ الخ... ونجد دليلا ثانيا على هاته المنزلة في كون المهدي، حينما أسند لعبد المون قيادة گدميوة في إحدى غزواته للمرابطين وسلمه علما أبيض، عين إسماعيل قائدا علي قبيلته هرغة وأعطاه علما أصفر، كما كلفه بمهمة القضاء بين الموحدين.

حافظ إسماعيل على الحظوة التي أدركها مع الإمام المهدي إلى وفاة هذا الأخير فنجده من بين الأصحاب الخمسة الذي تميزوا بالبقاء مع المهدي في الأيام الأخيرة من حياته وهم حسب ترتيب البيذق عبد المومن و "أبو إبراهيم وعمر اصناگ ووسنار وأخته أمّ العزيز بن عيسى". واستمروا على هذه الحال بعد وفاته، وكان أبو محمد وسنار وهو الناطق باسم تلك الجماعة لدى جمهور الأنصار.

وكان لا بد لإسماعيل من أن يكون من بين أول من يتخذ موقفا محددا من بيعة عبد المومن التي أثارت، ولا شك، مشاكل بين شيوخ المصامدة وزعمائهم. ويقدم لنا البيذق صورة عن مشهد تلك البيعة قائلا :

"وصاح عبد المومن بالقبائل وضم الموحدين وجعل المجلس، فاستعمل ركائز وحال بين الرجال والنساء، ثم وعظ الناس وقال لهم في آخر كلامه : بقي عندكم عهد بيعة المهدي رضي الله عنه. قالوا : نعم. فقد تم وعد عمر أصناگ ثم سائر المشيخة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ ثم قال لهم : المهدي قد توفي ـ رضي الله عنه ـ فبكى الناس، ثم قال لهم : اسكتوا. فسكتوا. فقال أبو إبراهيم وعمر اصناگ وعبد الرحمن بن زكو ومحمد بن محمد لعبد

المومن: امدد يمينك نبايعك البيعة التي عقدناها مع الإمام المهدي، فمد يده وبايعوه، ثم تبعهم سائر الناس حتى إلى الليل".

من هذه الرواية يتضح لنا أن الدور الذي قام به إسماعيل كان حاسما في بيعة عبد المومن إذ كان أول من بادر إليها. ومن خلال النتف القليلة التي نقرأ عنه في المصادر، نكتشف له دورا آخر شبيها بالمؤرخ الرسمي للدولة. فقد نقل البيذق عن كتاب يسميه "كتاب المجموع" أبياتاً وأخباراً تتعلق بالمهدي ابن تومرت وفيها تاريخ وفاته وكلها مكتوبة بخط أبي إبراهيم. فالرجل كان، إذن، محصلا على ثقافة أهلته لأن يشغل مناصب مثل القضاء والكتابة وتسجيل الأحداث التاريخية.

لكنه كان في آن واحد يضطلع بمهام عسكرية منذ عهد المهدي ونظرا لما أظهره من تأييد لعبد المومن منذ البداية فقد أسند إليه هذا الأخير مهام عسكرية أخرى. فكان معه في الحرب الطويلة التي قادها من المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط في مطاردة الملك المرابطي تاشفين. وكان يمسك بإحدى يدي عمر أصناگ بينما يمسك عبد المومن باليد الأخرى وهو واقف في مرضه يعظ الموحدين في اليوم الذي مات فيه.

وفي هاته الغزوة الطويلة تزوج فاطمة بنت يوسف الزناتية التي كانت من أعيان السبايا التي أخذت في ناحية تلمسان هي وبنت ماكسن بن المعز ومئة بكر. وقد أجرى عبد المومن القرعة مع أبي إبراهيم من أجل فاطمة المذكورة فكانت من نصيب هذا الأخير. وما كان عبد المومن يقبل أن يجرى القرعة معه لو لا شعوره بأنه قرينه في الدعوة الموحدية، وكفء له في نظام الجماعة، بل إن المهدي سبق له وأن سوى بين الرجلين في المسؤولية العسكرية في إحدى غزواته للمرابطين حينما "أخذ علما أبيض فدفعه للخليفة الإمام عبد المومن بن علي وأخرج معه گدميوة، وأخذ علما ثانيا أصفر فدفعه لأبي إبراهيم وقدمه على هرغة" (البيذق). ونجده في طريق الرجوع في تلك الحرب الطويلة يقوم بقتال ثائر بناحية أگرسيف اسمه أبو يعلى ويقضي عليه بتعاون مع أبي بكر ويفتين.

وهكذا، نجد أوثق المصادر تبرز حضوره في عدد من الوقائع المهمة، مشيرة بذلك إلى أهمية شخصيته في الدولة. فنجده إلى جنب عبد المومن عند الدخول إلى تلمسان، وقد خرج البعض من أهلها يلتمسون العفو من الخليفة الموحدي. ونصادفه بعد ذلك في حصار فاس مع أبي بكر بن الجبر. ولا أدل على منزلته في الدولة من كون عبد المومن يجعل من الخاصة الذين يستشيرهم في أسرار الدولة، فيذكر ابن عذاري في حوادث 547 هـ أن عبد المومن لما أراد غزو بني حماد "استسر ذلك مع خاصته ووزرائه، منهم أبو إبراهيم وأبو حفص وغيرهما، وأظهر لهم ما في طي نفسه من ذلك".

ويتفرد عبد الواحد المراكشي برواية عن موت المترجم تدل على البطولة والوفاء. فقد علم أبو إبراهيم بأن بعض قرابة المهدي من أيت ومغار أرادوا أن يتسللوا إلى خباء عبد المومن ليلا ليغتالوه" فأتى عبد المومن فقال له :"لي إليك حاجة ؟" قال :"وما هي، يا أبا إبراهيم ؟" قال :"أن تخرج عن هذا الخباء وتدعني أبيت فيه" ولم يعلمه بمراد القوم، فظن عبد المومن أنه إنما يستوهبه الخباء لأنه أعجبه. فخرج عنه وتركه له. فبات فيه إسماعيل المذكور، فدخل عليه أولئك القوم، فتولوه بالحديد حتى برد. فلما أصبحوا ورأوا أنهم لم يصيبوا عبد المومن، فروا بأنفسهم حتى أتوا مراكش وراموا القيام بها..".

رواية قد تكون صحيحة، إلا أنها لم ترد إلا عند صاحب "المعجب". ويذكر هذا المؤلف بعد ذلك كيف أن مقتل أبي إبراهيم فداء له أثار في نفسه "وجدا مفرطا أخرجه عن حد التماسك إلى الجزع. فأمر بغسله وتكفينه، وصلى عليه بنفسه، ودفن". ونال ابن أبي إبراهيم الوحيد - واسمه يحيى -" جاها متسعا ورتبة عالية" في أيام أبي يوسف يعقوب وأيام أبي عبد الله محمد إذ "كانت أكثر أمورهم ترجع إليه" إلى أن مات في سنة 602 هـ.

وبالجملة، فأبو إبراهيم إسماعيل الهزرجي من الوجوه البارزة في صدر دولة الموحدين. ولا شك أن التنظيم الذي ابتكره ابن تومرت في ضبط حركته والذي استمر بعد وفاته كان سببا في بروز شخصيات من هذا النوع في بنية الدولة الموحدية.

أ. البيذق، *أخبار المهدي* ؛ *كتاب الأنساب* ؛ ع. بن أبي زرع، *القرطاس* ؛ ع. المراكشي، *المعجب* ؛ ع. ابن خلدون، *العبر* ؛ ابن القطان، *نظم الجمان* ؛ ع. عنان، *عصر المرابطين والموحدين*.

محمد زنيبر

أگْلاگْلْ، حصن من حصون حاحا. ذكره الإخباري البرتغالي (دوگويش) تحت اسم "الجيل Algel" بينما حرف الإسباني مارمول قليلا هذا الاسم إذ كتبه الگيل Alguel. وحدد دوسنيفال (P. De Cénival) موقعه بمنطقة دمسيرة، على الطريق الرابط بين مراكش وتارودانت (عبر تيزي أو ماشوُ). وتُجمع المصادر على مناعة موقع هذا الحصن المسور والمشيد على جبل تحيط به جبال أخرى لا تقل عنه مناعة. ويذكر مارمول أن سكانه كانوا يعتمدون على الزراعة وتربية الماعز وأنهم كانوا لذلك أغنياء. وأگلاگل من الحصون التي حاول البرتغاليون خلال عام 921 / 1515 طرد القائم بأمر الله وابنه أحمد منها بعد تخريب مقرهما الرئيسي بمنطقة الشياظمة : تَدْنيست، الموجودة قرب أفوغال. فبعد طرد السعديين من أمگور في صفر 921 / أبريل 1515 التجأوا إلى حصن أگلاگل، الأمر الذي أكره البرتغاليين على تنظيم حملة لطردهم من هناك إلا أن هذه الحملة انتهت بهزيمة برتغالية كبرى وبقتل عدد كبير من حلفائهم.

R. Ricard, *Les Portugais au Maroc* ; C. de Marmol, *L'Afrique* ; De Cénival, *Sources Inédites*, Portugal, T.I.

أحمد بوشرب

الأگلاوي، بيت شهير في الأطلس الكبير من قبيلة أگلاوة أو إگليوا والمفرد أگلاوو. وقد يكون هذا الاسم مشتقا من أگلو وجمعه إگلوان. وأصبح هذا الجمع اسم مكان بالأطلس الكبير الأوسط ويعني الفج العميق وهو وصف دقيق لطوبوغرافية أعالي أودية الأطلس الكبير. ومنذ أوائل القرن الثامن عشر أضيفت صفة "المزواري" إلى الأگلاويين آل الحاج الراضي بن أحمد الأگلاوي المزوار. الذي قد يكون أول من حمل منهم هذا اللقب، وهو يعني نقيب عائلة مرابطية، وربما كان أول من كلف بإعادة تنظيم موسم الجد الأعلى للعائلة الولي أبي محمد صالح الماگري دفين مدينة أسفي.

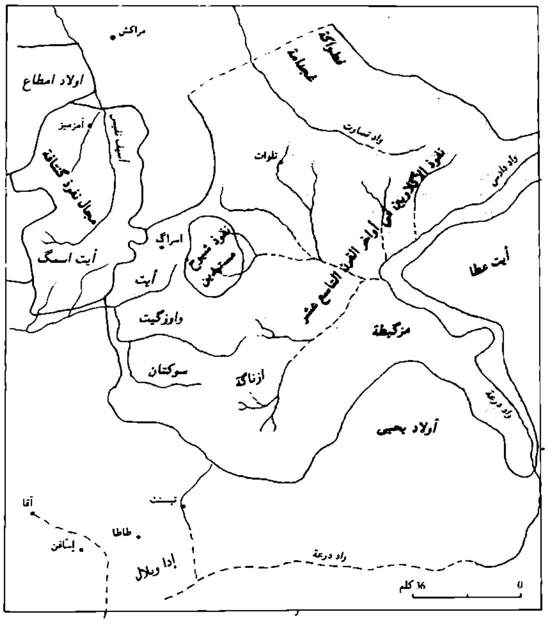

مجال نفوذ الأگلاويين في أواخر القرن التاسع عشر

هذه هي الرواية التي كان كبار العائلة يعتمدونها، وما زال حفدتهم يبنون عليها شجرة نسبهم، كما أنها الرواية التي اعتمدها مارت وإدمون گوفيون في سياق كتابتهما تاريخ هذه العائلة والتي انتهيا من تدوينها سنة 1923 ضمن تأريخهما لأعيان المغرب الأقصى، أي أن هذه الرواية كانت موجودة قبل الشجرة العائلية التي شهد بها كثير من زوار قصر الباشا التهامي الأگلاوي بمراكش والتي قد تكون بدورها مبنية علي نفس الرواية التي لا تزال معتمدة لدى الأگلاويين المزواريين إلى الآن. وهي ترجع أصل هذه العائلة إلى موطن دكالة الجنوبية (عبدة الحالية) وتضعه في نسق ديني، وهو شيء معروف عبر تاريخ المغرب. تبدأ الظاهرة عادة بهذا الأصل الحقيقي أو الوهمي ثم انتقال المؤسس إلى غير موطنه الأصلي حيث يصبح بعد ذلك محايداً داخل الصراعات القبلية والعائلية لكي يصير بعد ذلك حكماً ليست له مصلحة في اللعبة السياسية الاجتماعية، لكن بعد جيل تقريبا يصبح أبناؤه أو ورثته طرفا في النسق القبلي مستغلين دور الجد أو الأب في طريقهم إلى الصعود نحو الزعامة السياسية والقبلية.

إن هذا النسق وهذا التطور هو الذي وضع فيه أغلب الدارسين لهذه الظاهرة، وضمنهما شرح ظهور عائلة الأگلاويين المزواريين من الحاج الراضي الذي لعب دور المرحلة الأولى، ودور حفيده محمد بن الحاج أحمد بن الراضي - إبيبض - المؤسس لزعامة العائلة في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي.

لكن هذا المنظور يتعارض مع المعلومات والأخبار التي عرفت عن هذه العائلة وتاريخها. فمنذ العشرينات من هذه القرن حين كان روبير مونطاني R. Montagne يبحث عن العلاقات بين المخزن والبربر تناقض مع هذه الأطروحة في كثير من جوانبها ومضامينها السَياسية والدينية والاجتماعية. وكان أول ما ناقشه هو أصل هذه العائلة الذي قد يكون حسب زعمه ليس من شمال الأطلس الكبير (من موطن بني ماگر إلى تلوات) لكن من تونزولين في درعة الوسطى نحو الشمال. وهذا يتطابق مع حركات الهجرات التقليدية التى عرفها المغرب عبر التاريخ (جنوب / شمال) وبذلك تكون هذه العائلة إحدى العائلات التي نجحت في الصعود إلى السلطة في إطار اللعبة القبلية التقليدية من الدور المحلي الداخلي إلى الدور الجهوي ثم المخزني في خلال قرنين من الزمان.

وإذا اعتمدنا هذه الأطروحة فإن "المزوار" اللقب الذي عرفت به عائلة الأگلاوي يصبح له معنى الزعامة القبلية الحربية والسياسية، ويعني لغة "أمزوار" أي الأول في الأمازيغية، وقد يعنى كذلك الابن البكر أو يكون مأخوذا عن النظام الفلاحي وإنتاج البواكر، وهذا المدلول موجود في المنطقة كتصنيف للأراضي بين التي تزرع باكراً والتي تؤخر (أمازوزي ـ أمازْور) وانتقل هذا المعنى الفلاحي الموسمي إلى المعنى الاجتماعي السياسي والقبلي. لكن مع العلم أن هذا المفهو كان قديما في القاموس التاريخي المغربي منذ العهد الموحدي.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 14، 15 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9.

Ch. De Faucault, *Reconnaissance au Maroc* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; M. et E. Gouvion, *A'ayan al Maghrib al Aqsa* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech.*

الأگلاوي، إبيبْض، محمد بن الحاج أحمد بن الحاج الراضي، لا يعرف تاريخ ولادته بالضبط، لكن من المحتمل أن يكون ولد فيما بين سنتي 1820 و1825. وهذا الاحتمال يرجع بنا إلى تاريخ مساعدته لأبيه القائد أحمد الأگلاوي المزواري ونيابته عنه، وكان عمره يقدر آنذاك بأكثر من خمسة وعشرين عاما. كما أن هذا الاحتمال يسانده تاريخ زواج محمد إبيبض للمرة الأولى من للا تاگراًمت (السيدة المرابطة) وإنجابها لابنه الأول محمد. وهذا كله ضمن إطار مجتمع أعيان البادية المغربية في مغرب القرن التاسع عشر الذي كانت تسيطر عليه عادة الزواج المبكر جدا. وإشراك الابن البكر في تسيير شؤون الأسرة والقبيلة.

أما "إبيبض" فتعني الذري الصغير وهو طائر نحيف ضعيف، قد يكون أطلق عليه لنحافة جسمه أو لأنه كان أقرع الرأس. وليس في ذلك أي علاقة سر سحرية أو دينية كما ذهب إلى ذهب گوفيون (Gouvion) في مقاله عن أصل العائلة ولقب المؤسس، من أن الطائر الدري كان شبه مقدس لدى سكان الجنوب ونظرا لاصول العائلة وعلى الخصوص، ميلاد محمد إبيبْض من للأ تاگرامت التي عرفت بللا تيببطت. وهذا الاحتمال الأخير يتناقض مع الرواية الشفوية والأخبار الباقية في ذاكرة مسنِّي المنطقة وكذلك لدى حفدته.

وصل القائد محمد إبيبْضْ إلى زعامة قبيلة أگلاوة الشمالية خلفاً لأبيه القائد أحمد الأگلاوي المزواري في بداية العقد الخامس من القرن التاسع عشر الميلادي حيث عين في سنة 1855 قائدا على عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام. لكن هذه القيادة كانت إذ ذاك تابعة لقيادة عائلة الزمراني صاحب الدير الشمالي والجنوبي. وإذا كان تاريخ رآسة عائلة الأگلاوي قد بدأ من هذه المرحلة فإن تاريخ المراحل السابقة ما يزال يكتنفه الغموض والمعلومات التاريخية قليلة، في حين أن الآراء والأطروحات تتناقض، وأصبح اليوم من الصعب إثبات أو نفي كثير من هذه المعلومات، ولو أن أغلبها بنيت عليه دراسات وسير ذاتية عامة لأقطاب أو زعماء هذه العائلة، كالمدني والتهامي دون الوصول إلى إثبات موضوعي مبني على وثائق تاريخية معروفة.

لقد ظهر القائد محمد الأگلاوي المزواري إبيبْض على الساحة السياسية في أواسط القرن الماضي كما أسلفنا. وقبل نهاية الخمسينات أصبح قائد قبيلة أگلاوة الكبرى (الشمالية ثم الجنوبية) سنة 1855 حين عين من طرف السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام بظهير، وكان أول *قائد مخزني مكلف بالجنوب في هذا العهد، وبذلك استقلت* قبيلته عن قيادة عائلة الزمراني. ومعه انتقل دور العائلة من الاشتغال بالتجارة المحلية (في الملح خصوصا) ومراقبة الطرق التجارية بين مراكش وتافيلالت ودرعة ودمنات إلى الزعامة القبلية والانتماء إلى الإطار المخزني. وقد عمل على توسيع نفوذه فتأتّى له ذلك بعدما استطاع القضاء على الزعامات المحلية الأخرى المناهضة والمنافسة داخل قبائل أهل ورزازات ووزگيطة (أيت واوزگيط) وفي سنة 1864 م، أي بعد حرب تطوان والمشاكل المالية الناتجة عنها، ونظراً للدور الذي لعبه في أداء أموال طائلة للمخزن، أضيفت إلى قيادته قبائل أخرى محاذية لمجال قيادته نحو الشرق وهي إمغران وأيت سدرات ودادس وتودغة (تادغوت) وهي التي تمر الطريق الرابطة بين تافيلالت ومراكش عبر أراضيها. وكانت هذه أول مرحلة توسعية في إطار القيادة المخزنية. أما المرحلة الثانية فهي تضم القبائل المجاورة لأگلاوة نحو الجنوب ونحو الغرب وهي مزگيطة وزناگة (إزناگن أو صنهاجة) وتمّ بذلك القضاء على الزعامة القبيلية المتمثلة في عائلة أيت عمرو (العمري) وعائلة القائد علي الورزازي بتامضاخت، وأصبح مجال قيادة الأگلاوي إبيبْض يمتد من تودغة إلى قمة الأطلس الكبير، ومن أعالي درعة إلى قمة توبكال، وهو أوسع ومتكامل بشريا واقتصاديا بين الصحراء والواحات والجبل، تمر عبره الطرق التجارية. وقد لعب هذا المجال دورا أساسيا في قوة هذا القائد حتى وفاته في 4 غشت 1886 وأصبح قاعدة مادية وبشرية لقوة الرؤساء من أبنائه.

وبعد وفاة القائد محمد بن أحمد الأگلاوي إبيبْض ترك عدة أبناء، منهم المدني (1853 - 1918) والتهامي (1876 - 1956) ومحمد (1851 - 1876) وحسي (ت. 1949) وحمادي (ت. 1954) وعلال (ت. 1954) وقد لعب كل واحد من هؤلاء دوراً في ترسيخ سلطة العائلة في مجالها الجهوي والمخزني وبرز اثنان منهم : المدني وزير السلطان عبد الحفيظ، والتهامي باشا مدينة مراكش.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 14، 15 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9.

Ch. De Faucault, *Reconnaissance au Maroc* ; R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; M. et E. Gouvion, *A'ayan al Maghrib al Aqsa* ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech.*

محمد أوجامع

الأگلاوي، التهامي بن محمد بن حمو المدعو إبيبض المزواري ينسب إلى قبيلة أگلاوة قبيلة أمازيغية بجبال الأطلس. وهي مذكورة عند النسابين في عداد مصمودة، وزعماؤها المزواريون يقولون انهم شرفاء من سلسلة الولي أبي محمد صالح دفين مدينة أسفي، في القرن السابع الهجري. كان لهذه القبيلة اتصال قديم بالمخزن ومن ذلك أن السلطان المولى إسماعيل العلوي قد استقبل وجيشه من طرف قبيلة أگلاوة بعدما أدركتهم ثلوج جبال الأطلس أثناء رحلة ملكية من تافيلالت إلى مراكش عبر *تيزي نْ تلوات. وتكررت واقعة مشابهة في القرن التاسع* عشر حيث استقبل محمد بن حمو الأگلاوي "حركة" السلطان محمد بن عبد الرحمان وسهر على مرورها بسلام من أوعار جبال تلوات التي يتحكم فيها ويعرف شعابها رجاله المحنكون وذلك عام 1864 كما استقبل ابنه المدني الأگلاوي آخر "حركات" السلطان المولى الحسن في نفس الظروف وأسفرت تلك الزيارة الملكية عن تعيين المدني الأگلاوي خليفة للسلطان على أگلاوة والقبائل المجاورة لها.

التهامي هو الابن الثالث لمحمد بن حمو إبيبض ولد له بتلوات من زوجته زهرة الملقبة بأم الخير عام 1878. وتلقى دراسته الأولى بزاوية "سگر" بأوريكة قرب مراكش، فحفظ القرآن بأكثر من رواية واحدة واهتم بالفقه اهتماما خاصا حيث حفظ عن ظهر قلب *مختصر الشيخ خليل* وأخذ علوم العربية عن عدد من العلماء الكبار أمثال سيدي المدني الوفراني. ولم تشغله اهتماماته السياسية عن القراءة ومجالسة العلماء والعناية بهم والبحث عن المخطوطات وليس أدل على ذلك من خزانته العظيمة الغنية بنفائس

المصنفات. كان لشقيقه المدني الفضل الأكبر في تربيته العسكرية، فقد لاحظ فيه منذ صغره الاستعداد الكبير والمهارة النادرة ليجعل منه رجل حرب كبير. ولم يكن المدني ليخطئ في فراسته هذه بحيث تألق التهامي في أولى معاركه وهو ابن الخامسة عشرة. وقد خاض هذه المعارك ضد قبيلة أيت واوزگيت وقبيلتـي مسفيوية وغيغاية دفاعا عن قبيلة أوريكة وهو فيها إذ ذاك طالب علم. كما ظهرت خصائصه العسكرية في الحركات المخزنية ومنها محاربة كل من الروگي الطاهر بن سليمان اللاجئ بالرحامنة والروگي بوحمارة اللذين حاربهما السلطان المولى عبد العزيز. بدأ التهامي الأگلاوي حياته السياسية بتعيينه على رأس اگلاوة والقبائل المجاورة لها من طرف أخيه المدني الذي استقر بمراكش بالقرب من الخليفة السلطاني المولى عبد الحفيظ. ولما تم الأمر لمولاي حفيظ وأصبح سلطانا على المغرب في أواخر عام 1907 عين المدني الأگلاوي قائدا للجيوش الشريفية وعين شقيقه التهامي باشا على مدينة مراكش في بداية عام 1908. وبعد استتباب الأمر للمولى عبد الحفيظ واستقراره بمدينة فاس عين المدني صدرا أعظم وحرر ظهير التعيين الرسمي لأخيه التهامي باشا مراكش وهو يحمل تاريخ 19 جمادى الثانية 1327 / 8 يوليوز 1909.

ولما التفت المولى عبد الحفيظ عن زعماء اگلاوة لأسباب لا داعي لذكرها هنا نزع المدني من الصدارة العظمى وعين مكانه "المقرى" ونزع أخوه التهامي من باشوية مراكش وعين مكانه أحد المخلصين الأوفياء للسلطان هو إدريس أمنو وذلك في أواسط عام 1911 م.

التهامي الأگلاوي
باشا مراكش

وفي نهاية العهد الحفيظي استطاعت فرنسا بضغوطها أن تفرض حمايتها على المغرب، وكان على زعماء اگلاوة أن يتخذوا موقفهم من الوضع الجديد اعتبارا لفنوذهم في الحوز، وربما كان التهامي مثلا يرى في الحماية الفرنسية مؤشرا للنهوض بالمغرب وادخال اصلاحات على مستويات متعددة كان المغرب بحاجة واسعة إليها في ذلك الوقت. وعلى أي حال فإنه قام بمبادرات إيجابية اتجاه الدولة الحامية، من ذلك إنقاذ مجموعة من الفرنسيين على رأسهم القنصل ميگري (Maigret) من قبضة المتطلع إلى الحكم أحمد الهيبة وتسليمهم للقائد الفرنسي الكولونيل مانجان (Mangin). وفي شتنبر 1912 عين التهامي من جديد باشا على مراكش بأمر من المولى عبد الحفيظ بعد التوقيع على عهد الحماية باقتراح من الدولة الحامية، ومنذ هذا التاريخ والتهـامي يشـارك في الحملات العسكرية المتوالية بجنوب المغرب من أجل تهدئة قبائل هذه المناطق. وأولى هذه الحركات تلك التي حارب خلالها أحمد الهيبة الذي فر من تارودانت إلى جهة الصحراء، وقد عين التهامي أحد أنصاره وهو حيدا أوميس باشا على هذه المدينة وخليفة للمخزن على منطقة سوس.

وعلى الرغم من موافقة الباشا التهامي الفرنسيين على سياستهم التي يعتقد أنها اصلاحية فإن مساعداته "وحركاته" العسكرية التي امتدت إلى عام 1934 لم تكن في خدمة الحماية بقدر ما كانت من أجل تثبيت نفوذه على الجنوب وتوسيع منطقة حكمه. يظهر أن التهامي كان أقل حماسا من أخيه في خدمة الفرنسيين بحيث كان يخفي عليهم مخططاته السياسية وأهدافه العسكرية بل ربما اتصل بدول أجنبية أخرى كألمانيا وإنجلترا ليضيق الخناق عليهم ويحد شيئا ما من نفوذهم الشيء الذي جعل الوزير الفرنسي في الدفاع "دلاديي" (Daladier) يقول : "إن التهامي يشبه كلبا بلا ذنب لا نعرف أبدا ما يفكر فيه".

وفي 14 غشت 1918 توفي المدني الأگلاوي فقررت فرنسا في شخص مقيمها العام بالمغرب ليوطي منح الباشا التهامي زعامة قبائل أگلاوة بالإضافة إلى باشوية مراكش على الرغم من معارضة رئيس الإقليم الجنرال دولاموت De Lamothe الذي كان لا يحبذ أن يجمع التهامي بين المهمتين معا. ومنذ ذلك الوقت ازداد نفوذ أگلاوة امتدادا بفضل شخصية التهامي القوية ودهائه السياسي. ولم يسع الفرنسيين إلا أن يساعدوه على توسيع هذا النفوذ الشيء الذي جعل خصومه ومعارضيه أمثال القائدين الطيب الگندافي وعبد المالك المتوگي يدورون في فلكه. وفي سنة 1934 توفي ابن أخيه السيد حمو قائد تلوات الذي كان يقف حجر عثرة في وجه الامتداد الفرنسي بإيعاز من التهامي فاستطاعت الحماية أن تستكمل سيادتها على المناطق الجنوبية وأصبح الباشا الأگلاوي الحاكم المطلق على الجنوب المغربي من مراكش إلى تخوم الصحراء. انتهت إذن المعارك "والحركات" وساد نوع من الهدوء والاستقرار جعل الباشا يتفرغ للشؤون السياسية والاقتصادية حيث بدأ يشتغل بالتجارة والفلاحة فنمت ثروة أگلاوة التي كانت ثروة كبيرة منذ القرن التاسع عشر. ويستنتج ماكسويل (Maxwell) أن زعماء أگلاوة على خلاف قواد الأطلس لم يؤسسوا ثروتهم على النهب والسرقة بل كان لهم معدن ملح كبير قرب "تلوات" وكانت تأتيهم القوافل من موريطانيا والصحراء والسودان وواحات الجنوب المغربي بل وحتى من داخل المغرب لتشتري الملح، وعلى الرغم من تشغيل مائتي رجل آنذاك فإنهم لم يستطيعوا تلبية رغبات جميع هذه القوافل. فثروة الأگلاويين إذن قديمة وازدادت نموا على عهد الباشا

التهامي الذي أعطته فرنسا عددا من الامتيازات مكنته من توسيع هذه الثروة. وعلى الرغم من موافقة الباشا على سياسة فرنسا الإصلاحية فإنه كان أكثر الناس إخلاصا وأكثرهم حبا ووفاء للمخزن، ولم يكن هذا الوفاء والإخلاص إلا استمرارا وامتدادا لإخلاص أجداده وتقديرهم للأسرة الشريفة.

وإذا تمخضت الأحداث السياسية أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات عما سمي بالخلاف بين الباشا والقصر فإن الأگلاوي لم يكن على ما يبدو سوى ضحية صراع كبير متعدد الجوانب والأشكال، هو في بعض وجوهه لون من *ألوان الصراع بين القديم والحديث*. وقد كان باشا مراكش، ولم يكن وحده، يمثل هذا الوجه العتيق للقوة الاجتماعية في تصوره لمستقبل البلاد ولتحرر المرأة وتفتح التعليم وكانت أشد مواقفه حرجا تتمثل في قمعه لعدد من الشباب الوطنيين، ولم يكن له أن يكتسب وعيا سياسيا جديدا إلا من خلال الأحداث، لذلك بادر، بعد ضرر غير قليل، إلى التكفير عن تلك الأعمال عندما تخلى في خريف 1955 عن دور المتمرد الذي ألصقه به رجال الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب، وذلك أن الأگلاوي قد صرح يوم 22 أكتوبر 1955 بأنه يبايع السلطان الشرعي سيدي محمد بن يوسف ويطالب بإعادته فورا إلى عرشه، فنزل ذلك التصريح كالصاعقة على المتشددين الاستعماريين وقطع عليهم الطريق في مرحلة النزع الاستعماري الأخير الذي كان من المحتمل لولا موقف الأگلاوي أن ينقلب إلى فاجعة أخرى. وعلى الرغم مما قيل في هذه الفترة الحاسمة في تاريخ المغرب المعاصر فإنها لا تزال بحاجة إلى دراسات تاريخية علمية متأنية تمكن من إبراز الجوانب الحقيقية لمجرياتها وخلفيات هذه الأحداث وأبعادها.

ومما وقع عليه الاتفاق بين معاصري التهامي الأگلاوي أنه كان محبا للعلم والعلماء ولم يذخر وسعا في تشجيعهم ومساعدتهم. ومن آثاره في هذا المجال دفاعه عن إدخال النظام لجامعة ابن يوسف بعد أن كان مقتصرا على القرويين. وقد تم هذا ابتداء من شتنبر 1939 كما ألح على إحداث السلك النهائي في نفس الكلية عام 1943. ولم تقتصر عنايته على الفقهاء والعلماء بل شملت كذلك الأدباء والشعراء سواء في داخل المغرب أو في خارجه. ومن الذين امتد إليهم نواله وعطاؤه أمير الشعراء أحمد شوقي لما كان في منفاه بإسبانيا. وكان قد تم لقاء بين الرجلين في القاهرة عام 1905 لما كان الباشا في طريقه إلى الحج. كما استفاد منها كذلك أحد شعراء لبنان الكبار رشيد مصوبع الذي مدحه بقصيدة طويلة يقول في مطلعها :

دع كل شعر غابـر وعتيـد — وخذ البدائع من يراع رشيد

دع كل شعر غير شعر قلته — ليس النهيق محاكي التغريد

وإن اهتمامه بالعلم والعلماء مكنه من جمع خزانة كتب مهمة تحتوي على عدد من النوادر والنفائس، وكان قد أمر بتحبيسها على خزانة جامعة ابن يوسف، ويوجد قسم منها اليوم محفوظا بالخزانة العامة بالرباط تحت حرف ج. وكان يطبع الكتب على حسابه الخاص نذكر على سبيل المثال *إيضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة* للعلامة أحمد بن سليمان الجزولي الرسموكي والكتاب مطبوع بالقاهرة. وكان التهامي يعطف على الضعفاء والفقراء ولا سيما في الأعياد وفي المناسبات الدينية، وقد توج هذه العناية بتأسيس ملجأ خيري لأبناء المعوزين عام 1934. وكان قد أقام حفلا كبيرا وقت تدشينه فتم استدعاء الأعيان والكبار وألقى شاعره الكبير محمد بن إبراهيم شاعر الحمراء قصيدة خلد فيها هذا العمل الجليل يقول في مطلعها :

كيف المآل إذا تكون الحال — بالجوع يقضي نسوة ورجال

وقد توفي الباشا الحاج التهامي المزواري الأگلاوي يوم 21 فبراير 1956 ودفن بضريح الشيخ محمد بن سليمان الجزولي أحد الرجال السبعة بحومة روض العروس بمراكش.

M.H. Lyautey, *Paroles d'action*, Colin, 1927 ; G. Babin, *Le Maroc sans masque "son excellence"*, G. Ficker 1932 ; M. Bernard, *La pacification du Maroc*, 1907-1934, 1936 ; Cap. Schoen, *Le Pacha de Marrakech*, (notice dactylographiée, 1938); R. Barrot, *Justice pour le Maroc*, éd. Seuil, 1953 ; R. Montagne, *Révolution au Maroc*, éd. France-Empire, 1953 ; G. Granval, *Ma mission au Maroc*, Plon, 1956 ; J. et S. Lacouture, *Le Maroc à l'épreuve*, Seuil, 1958 ; A. Juin, *Le Maghreb en Feu*, Plon, 1957, Mémoires II, Fayard, 1960 ; G. Elgey, *Histoire de la quatrième République*, T1 et T2, Fayard, 1965 et 1968 ; H. Bleuchot, *Les libéraux Français au Maroc 1947-1956*, 1973 ; S. Berriau, *Simone est comme ça*, Laffont, 1973 ; N. Nataf, *L'indépendance du Maroc*, Plon, 1975 ; Hassan II, *Le Défi*, A. Michel, 1976 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*, T 2, Rabat, 1977 ; Ch. A. Julien, *Le Maroc face aux impérialismes* (notamment pp. 22-229).

أحمد شوقي بينبين

الأگلاوي، حمادي بن محمد إبيبض المزواري، أمه للا سعادة، الزوجة الثالثة لمؤسس العائلة الأگلاوية وهو أكبر إخوته من أمه : حسي قائد قصبة مراكش، وعلال قائد دمنات وأحوازها.

ومن المرجح أن يكون حمادي قد ولد في بداية العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادي. وهذا الاحتمال تسانده الرواية الشفرية القائلة بأنه هو وإخوته كانوا صغارا لما توفي أبوهم القائد محمد إبيبض عام 1886 وعاشوا تحت رعاية أخيهم الكبير المدني.

عين القائد حمادي خليفة للقائد حمو على قصبة ورزازات وأحوازها القريبة من سنة 1923 إلى وفاة القائد حمو عام 1937 تم خليفة للباشا التهامي ولابنه إبراهيم الذي خلف القائد حمو في قيادة جنوبي الأطلس الكبير.

سكن القائد حمادي قصبة تَوْريرت حتى وفاته سنة 1954. ولا زال أولاده وحفدته يمثلون فرع عائلة الأگلاوي المزواري بموطنهم الأصلي ورزازات.

الأگلاوي، حمُّو أومْحمّد بن محمد (الكبير) بن محمد إبيبض، ويدعى أيضا بلسان قومه : مُحَنْد أومْحمد، جدته لأبيه هي للا تَكَرُّامْت من عائلة المرابطين المعروفين بالسعدانيين (إيدْ وِيسَاعْدَنْ) بتلوات. أما أمه فهي للا إيجّة بنت أحمد شيخ قبيلة أهل ورزازات وكان مقر زعامتهم بتاسافت.

ولد حمو عام 1876 بعد مقتل أبيه وكفله جده حتى وفاة هذا الأخير عام 1886 وانتقال الزعامة إلى عهد القائد المدني. وحفاظا على ترابط أفراد العائلة، وعلى عادة سكان البادية وخصوصا الزعامات المحلية تزوج القائد المدني للاّ إيجّة أحمد.

وهكذا اجتمع للقائد حمو من الحسب ما لم يجتمع لغيره من المزواريين الأگلاويين مما رفعه إلى منزلة عمه القائد المدني وهو ما يزال صغير السن. وقد استطاعت أمه أن تستغل هذا الوضع الخاص حتى تم إسناد قيادة قبائل جنوب الأطلس كلها إلى القائد حمو وهو دون سن الرشد، وذلك منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى سنة وفاته عام 1937 في حين أنه لن يعيّن بصفة رسمية في هذا المنصب إلا في عام 1910 أيام السلطان المولى عبد الحفيظ بعدما تزوج أخت القائد حمو من أمه وهي للاّ ربيعة بنت المدني.

استقر القائد حمو بتلوات - المقر الرئيسي للعائلة - وبقي يسيّر شؤون قبائل الجنوب من أعلى الأطلس الكبير إلى تُدغة شرقا ودرعة جنوبا كقائد شبه مستقل.

عرف عن القائد حمو عطفه على القبائل التابعة لقيادته، وكان يدافع عنها ضد ضغوط عمه التهامي وأساليبه في القيادة والتسيير. وكان يخص بهذا العطف قبائل أخواله أهل ورزازات وأصهار عائلته وزگيطة (أيت واوزگيط) وإمغْران.

وبعد وفاة القائد المدني عام 1918 وتولي التهامي زعامة العائلة رفض القائد حمو دخول القوات الفرنسية إلى مجال قيادته للقضاء على مقاومة قبائل أيت سدْرات ودادْس وأيت عطّا، من أجل ربط تافيلالت - والجزائر - بمراكش عبر أعالي وادي درعة، وهي مقاومة اشتدت ما بين عام 1921 وعام 1929، واعتبر في حينه حسب الرواية الشفوية، هذا التدخل بمثابة نصرة النصارى على المسلمين، وتدخلا لعمه وللقوات الفرنسية في شؤون قيادته. وقد تسببت له هذه المواقف في متاعب كثيرة تجاه عمه التهامي وتجاه الجيش الفرنسي حتى سنة وفاته، 1937.

R. Montagne, *Les Berbères et le Makhzen* ; E. et M. Gouvion, *A'yan al Maghrib al Aqsa*, pp. 33 - 352 ; P. Pascon, *Le Haouz de Marrakech*.

محمد أوجامع

ألأگلاوي، عبد الملك بن المدني، تولى قيادة ولتاتة وفطواكة واستقر في دمنات باقتراح من والده المدني الأگلاوي وعمه التهامي وبموافقة الدولة عام 1331 / 1913. وفي ذلك العهد دخل الفرنسيون إلى دمنات. وقد أطاع معظم فطواكة وولتانة لعبد الملك بعد تمردهم على عمه علال من قبل. لكن أهل المرتفعات من ولتاتة برئاسة أولعيد أحساين تحركوا للهجوم على دمنات، وكان هذا الشيخ على اتصال بالمرابط الحنصالي سيدي محا. ولكن مدافع القوات الفرنسية شتتت جموع أولئك المُغيرين.

وقد عزم الفرنسيون على غزو قبائل أيت مساض وأيت محمد التي كان المرابط الحنصالي يتزعمها، فجهزوا حركة لذلك أشركوا فيها المدني الأگلاوي وعاملي هنتيفة أوراغ وأشطّو ومع ثلاثتهم مقاتلو عمالاتهم. وكان عبد الملك في حركة فطواكة وولتاتة التي ترأسها محمد أبلاغ، وقد أصيب عبد الملك في ذلك القتال فمات في شوال 1336 / 1918. ودفن بضريح سيدي أحمد أمنديل بدمنات. وقد اغتم لذلك والده المدني ولما رجع إلى مراكش لم يخرج من داره حتى مات في الشهر الموالي.

الأگلاوي، علال بن محمد، أخو الأگلاويين الشهيرين المدني والتهامي. عند ما تولي المولى عبد الحفيظ ملك المغرب، وصار المدني الأگلاوي وزيرا في سلطته، دفعت الأسرة الأگلاوية بحدود نفوذ قيادتها على قبائل الأطلس نحو الشرق لتحقيق أطماع قديمة في الاستيلاء على دمنات، ولا سيما بعد أن تحول جزء من تجارة الواحات الصحراوية مع شمالي الأطلس إلى ممر فدغات الذي يفضي إلى دادس فرارا من العطاء في ممر *تلوات والأسواق التي كان يراقبها الأگلاويون* قديمة كانت أو مستحدثة.

فدبرت مؤامرات مع رؤوس الأمر في فطواكة ودمنات لتمهيد دخول علال الأگلاوي قائدا إلى دمنات التي كان يحكمها من لدن المولى عبد العزيز أحد أعيانها المدعو الحاج محمد أبلاّغ منذ 1904. وقد أفلح علال فيما رامه عام 1909 بعد قتال قضى فيه أبلاغ. وأخذ يعمل انطلاقا من قصبة دمنات لتمهيد القبائل الجبلية ولكنها استعصت عليه.

وعندما أبعد مولاي حفيظ الرئيسين الأگلاويين من الحكم تولى أمنو باشوية مراكش وعُين الناجم الأخصاصي قائدا على دمنات فخرج منها علال لمدة سنة. حتى تمكن الفرنسيون بانعقاد الحماية فعاد علال إلى دمنات، ولم يفلح في استمالة قبائل الجبال التي تحزبت ضده مستنكفة من قمعه وسوء تدبيره، وكان العصيان ضده برئاسة شيخ فوقاني من أيت بلال من ولتاتة يدعى أولعيد أحساين. حينئذ رأى المدني الأگلاوي أن يستدعي أخاه علال وأن يعين مكانه بدمنات ولده عبد الملك بن المدني.

الأگلاوي، عمر بن المدني، بعد مقتل أخيه عبد الملك في غزو الأطلس الكبير الأوسط (أيت مَحمد) في شوال 1336 / 1918 ووفاة والده المدني في ذي القعدة عام 1336 / غشت 1918، اقترحه عمه التهامي الأگلاوي بموافقة إدارة الحماية ليتولى قيادة إينولتان. فاستقر في قصبة دمنات ومنها زاول حكم الجبال المجاورة في إطار النظام القائم إلى أن توفي يوم الجمعة 9 غشت 1957.

حج وغلب عليه اسم الحاج عمر وربما نُعت بالفقيه. تجانيّ الطريقة. كان له طلب سابق. اهتم بالبحث في تاريخ دمنات وجهاتها، ونسب له محمد المختار السوسي تاريخا في الموضوع (*المعسول*، 1 : 24)، وذكر ابن سودة هذا التاريخ وسماه : *الالتفات إلى تاريخ دمنات* (*دليل*، 1 : 31). وهذا

المصنِّف لم يظهر للعيان ولم يفلح من طلبه عند بعض ورثته. كانت لعمر الأكلاوي خزانة كتب بيع طرف منها بعد وفاته. وفيها عثر العدل أحمد نجيب الدمناتي على أوراق من مسودة التاريخ المشار إليه أعلاه، وأدرج ما فيها في مصنفه حول تاريخ دمنات المسمى *بالقول الجامع في تاريخ دمنات وما وقع فيها من الوقائع* (مخطوط).

م. الغجدامي، *التسلي* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ أ. نجيب، *القول الجامع*.

أحمد التوفيق

الأكلاوي، المدني بن محمد إبيبض المزواري. هو الابن الثاني للقائد محمد من زوجته للا سعادة. ولد بتلوات في الأطلس الكبير وبها تربى ودرس على يد الفقيه الهسكوري الذي استقدمه أبوه لتعليم أبنائه. وكان المدني يساعد أباه في تسيير شئون القبيلة ومجالسة أعيانها لأن الابن البكر محمدا كان ميالا للراحة. ومنذ ذلك الحين أصبح المدني على دراية بعديد من الشئون والمشاكل والعلاقات وهو دون سن الرشد.

ولما توفي أبوه القائد محمد إبيبض المزواري سنة 1886 أسند إليه السلطان المولى الحسن قيادة القبائل التي كان أبوه يحكمها. لكن المدني، الذي استفاد من انضباط عدد من القبائل داخل حكم أبيه بدأ في توسيع مجال سلطته نحو الشرق والشمال في اتجاه تافيلالت ومراكش. ولما مرت المحلة السلطانية في شتاء 1892 عبر أراضي قيادته استقبل السلطان المولى الحسن أحسن استقبال، وكانت نتيجة هذه الحفاوة هي رضى السلطان على القائد وتزويده بمعدات حربية حديثة من بنادق وأسلحة ثقيلة كان في حينها لا يتوفر عليها إلا المخزن وكان لهذه الأسلحة أثر كبير في تقوية نفوذه، وفي استعماله سر سرعة انتشار دائرة سلطته في القبائل وضد القواد الآخرين. وقد عين السلطان في تلك الأثناء القائد المدني على تافيلالت، لكن هذا المنصب الجديد رغم أهميته لم يصرف القائد المدني عن محاولات توسيع مجال سلطة عائلته في الأطلس الكبير الأوسط في اتجاه مدينة دمنات، ولا عن ضم آخر القبائل التي تفصل أراضيها بين مركز سلطته بتلوات ومراكش، وهذه القبائل هي فطواكة وغجدامة ومسيوة حيث كان مجال قيادته قبل نهاية القرن بقليل، وقد شبه روبير مونطاني مجال سلطته بمجال القواد الكبار في عهد الدولة المرينية وعهد ابن خلدون.

لقد كان منطق الأحداث إلى هذا الحد في تاريخ عائلة المزواريين الأكلاويين يسيطر عليه الطابع المحلي والقبلي والجهوي. لكن مع نهاية القرن وبداية الظرفية الجديدة المعروفة بالسير الاستعماري نحو احتلال المغرب تولد منطق جديد مرتبط أساسا بالتحولات الكبرى التي شهدها المغرب في عهد السلطان عبد العزيز وطغيان العامل الخارجي على سير الأحداث وسرعتها. وانتقل معه دور العائلة المزوارية من المستوى الجهوي إلى قالب الجهاز المخزني.

فعندما ظهرت ثورة الجيلالي الزرهوني (أبو حمارة) شارك المدني الأكلاوي وأخوه التهامي في محاولات المخزن العزيزي في إخماد هذا التمرد وساندا السلطان بالمال والمقاتلين من التابعين لقيادتهما بالجنوب. وقد أدى عدد من الملابسات الظرفية إلى تحول الأكلاويين عن تأييد مولاي عبد العزيز ولعبوا دورا في مبايعة السلطان المولى عبد الحفيظ. ويرى صاحب *الإعلام* أن دخول الفرنسيين إلى الدار البيضاء وإلى الشاوية هو السبب المباشر في هذا التحول وقد حذا حذوهم عدد من القواد الكبار في التراجع عن مساند السلطان مولاي عبد العزيز ومناصرة السلطة الحفيظة في نفس المرحلة باستثناء القائد عبد المالك المتوگي.

وكانت نتيجة هذا التحول في العلاقات والتحالفات الظرفية هي انتقال سلطة المدني الأكلاوي من مستوى القبيلة والجهة إلى مستوى المخزن المركزي، إذ عينه السلطان عبد الحفيظ وزيرا للحرب. وهذا المنصب هو أخطر منصب في الظرفية الجديدة التي دخل إليها المغرب، وأصبح بذلك المدني الأكلاوي صاحب السلطة الحقيقية اعتمادا على مجاله القبلي والقيادي الذي أصبح أكبر مجال قيادي في المغرب بعدما أضيفت إليه قبائل الدير الشمالي المحاذية للحوز ولمدينة مراكش، وكانت خريطة هذا المجال تمتد من درعة إلى نهر تانسيفت. وقد توسعت مع دخول القوات الفرنسية وبداية عهد الحماية (1912). ذلك أن سلطة المدني وأخيه التهامي، باشا مراكش، قد عرفت نوعا من التوقف ما بين سنتي 1910 و1912 لأسباب متعددة، وإن كان أهمها هو علاقة هذه العائلة بالفرنسيين، وهو الشيء الذي أغضب السلطان المولى عبد الحفيظ، سلطان الجهاد. وبعد الدخول الرسمي للمغرب تحت حماية فرنسا وإسبانيا ومبايعة سلطان جديد في شخص المولى يوسف بن الحسن، وتعيين الجنرال اليوطي مقيما عاما أدخل هذا الأخير ضمن سياسته لاحتلال المغرب استغلال عوامل القوة الداخلية والموجودة بالمغرب آنذاك، وكان أهمها سلطة القواد الكبار. ومن ثمة فكر في استعمال هذه القوى لصالحه بدل إثارتها ومحاربتها، بالمحافظة عليها وعلى سلطتها الفعلية والرمزية. وقد استجاب جل القواد الكبار لهذه السياسة، سيما وأن فشل حركة أحمد الهيبة بن ماء العينين كانت تتعارض مع مواقف ومصالح هذه "الأوليغارشية القيادية". لكن رجوع عائلة المزواريين إلى دفة الحكم وتسيير الشئون في هذه المرحلة فرضه موقف الباشا التهامي بكيفية أوضح وكان ذلك بمثابة أفول نجم الوزير - القائد المدني وظهور الشخصية الجديدة الطموحة في زعامة العائلة ومن ورائها البناء القبلي والقيادي والسلطوي. ومنذ هذا التاريخ إلى سنة وفاة المدني 1918 أصبح التهامي هو المحاور المباشر للفرنسيين من جهة كما أنه بدأ في تغيير القواد والسلطات القبلية والأعيان داخل المجال القيادي الذي أسسه أبوه وأخوه. لكن رغم ظهور قوة التهامي فإن الدور الذي لعبه

المدني هو دور بارز وأساسي في بناء قوة العائلة المزوارية ـ الأكلاوية. فهو الذي سنَّ تعيين أبناء العائلة في مناصب قيادة القبائل التي دخلت في إطار أعمال قيادته، وهو الذي بني سلسلة من القصبات في إطار هذه القيادة، أصبحت بمثابة القلاع المحصنة ضد الهجمات من تافيلالت إلى تازارت إلى ورزازات ودادس وإيمغران ووزكيطة ومسفيوة ودمنات... وقضى على القوى الداخلية للقبائل وزعاماتها المحلية مما مكنه بعد من تسيير شئون هذه القبائل بواسطة إخوانه ونقل سلطة عائلته مما وراء الأطلس نحو الصحراء إلى الحوز ومراكش وإلى داخل المخزن المركزي وأصبح صاحب القرار السياسي والحربي في مرحلة خاسمة من تاريخ المغرب.

ع. ابن إبراهيم، *الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام*، الجزء الرابع.

G. Deverdun, *Glawa*, E.I. ; A. Laroui, *Les Origines sociales et culturelles du nationalisme marocain.*

محمد أوجامع

أگلّيدْ، اسم أمازيغي معناه الأمير أو السلطان أو الملك. استعملته النصوص الأجنبية القديمة لنعت ملوك نوميديا : ماسينيسا وأبنائه وغيرهم. والظاهر أنه كان يعني الملك أو الزعيم في مجموع إفريقيا الشمالية، لا يعرف له اشتقاق مؤكد. ولا يعرف ما إذا كان أگلّيد (وجمعه : إگلْدانْ) يوحي في استعماله الأصلي بمعنى التغلب والقوة أو بمعنى التقديس الديني أو بهما معا. ومن الناس من يرى أن اسم أگليد يذكر باسم جالوت الذي هو عند ابن خلدون ملك البربر قبل أن يسيروا من فلسطين إلى المغرب (*العبر*، 2 : 273)، ولكن الصيغة معروفة في غيره من الأسماء مثل أصْنّيضْ وهو البرد وأجْدّيكَ وهو الزهرة إلخ. وقد يستعمل في جهات جبال الأطلس المتوسط اسم أجْدّيكَ بمعنى أگلّيد.

وقد كان أگليد اسما لبعض الأشخاص أو نُسبت إلى هذا الاسم حصون أو أسوار أو مزارع في العصر الإسلامي، وتسمى بعض الزناتيين باسم گلّداسن أو جلداسن، (بمعنى: تسلطن لهم؟).

وما يزال أهل الأطلس الكبير وسوس والجنوب عامة يستعملون لفظ أگليد للدلالة على السلطان في الماضي أو الحاضر أو عند الحديث عن الملوك المذكورين في القصص، كما يستعملون هذا الاسم مجازا إذا قصدوا ملك النحل (أگلّدنْ تيزوّا) أو يقولون "أگليد مَقّْرْنْ" (الملك الأكبر أو ملك الملوك) وهم يقصدون الله، وأكثر ما يستعملونه في الحلف والاستعطاف.

Ch. A. Julien, *Histoire de l'Afrique du Nord*, 1 : 61-100 ; S. Chaker et G. Camps, *Agellid in E. B.*

أحمد التوفيق

أگلْمامْ ← أگلْمانْ

أگلْمانْ أزگزا، بحيرة دائمة توجد في الأطلس المتوسط، ضمن هضبة أجدير التي تشكل الجزء الجنوبي الغربي من القسط الهضبي من الأطلس المتوسط، وفي نفس الوقت الجزء الأكثر ارتفاعا حيث معدل الارتفاعات بتعدى 2000 م بينما تصل على السطوح إلى 2271 م لكن بحيرة أزگزا محاطة بارتفاعات متوسطة، معدلها حوالي 1700 م يمتاز هذا الجزء من الأطلس المتوسط بتجزئ تكتوني حاد مع انتظام كبير في الحوادث على شكل انكسارات متوازنة اتجاهها شمالي غربي ـ جنوبي شرقي، متقاربة بحيث لا تبعد بعضها عن بعض بأكثر من كيلومترين. إلا أن مداها يبقى متواضعا. وكثرة التضاريس سبب في كثافة آثار التعرية الخطية والكارستية فقد استغلت الكرستة هذه البنية المجزأة وشكلت فيها العديد من المنخفضات، أهمها السهل الكارستي الذي تشغله بحيرة أزگزا.

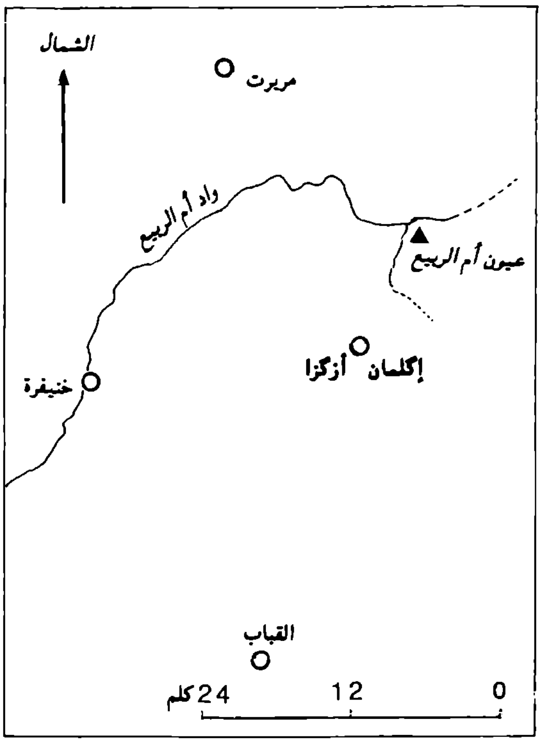

أكلمان أزكزا

يمتد المنخفض الكارستي على مسافة 4 كلم. وهو أصلا منخفض أوسع من ذلك، تم تجزيئه من طرف سفوح جلمودية ومخاريط انصباب. أصله تكتوني حيث موقعه مقعر منكسر. وتشغل هذا المنخفض فرشة مائية تظهر على شكل بحيرة مركزة في الزاوية الجنوبية الشرقية. وهذه الفرشة المائية تعتبر انطلاق عملية التعميق في هذا الحوض المنغلق.

يَرتفع مستوى مياه البحار في فترات الإمطار الحاد والمستمر. هكذا ارتفعت المياه بعدة أمتار بعد تهاطلات سنة 1963 الاستثنائية، ودام هذا الارتفاع سنة 1964. وفي هذه الأثناء تتصل أزگزا بضاية مجاورة لها تدعى تاخْريشتْ .

وتتراجع المياه أوقات الجفاف بصفة واضحة. وينتج عن هذا النشاط التعرية السطحية في المجالات المهجورة، كاقتلاع المواد الطينية التي تغشي القعر والمتأصلة عن

عملية النزكلة.إزالة هذه الشوائب يؤدي إلى انفتاح الشقوق والمسام الواسعة فتصبح المياه قابلة للتسرب. وبما أن نزول مياه البحيرة يتوازى بعد نزول في مستوى الفرشة الباطنية، فإن بعض المغارات الباطنية المهجورة من طرف الماء تصبح قابلة للانهيار والتهدم فيتكدس السطح وتتكون إثر ذلك حفر تهدل حديثة عمق بعضها يصل حتى 20 م.

وهكذا فان الكرستة المحدودة في السطح على جوانب البحيرة والمتمثلة في حركية قرض الجوانب، وتوسيع المنخفض، تتلوها عملية كرستة متجهة نحو الاعماق، كلما نزع المناخ الى الجفاف. هذا التوالي لفترات الفيض والتراجع يسجل سنويا أو كل سنتين، لكن مظاهره أكثر وضوحا إذا اعتبرنا المراحل الطويلة الرباعية. ذلك ان البحيرة الحالية يعلوها مستوىً مسطح قديم، يظهر في الجزء الجنوبي الغربي، تكون في مرحلة فيض رباعية، وتراجعت عنه المياه، فأصابته التعرية الخطية فخددته إلى متون مستطيلة والمستوى الكارستي الحالي، عل جوانب البحيرة، تعلوه بعض الأكمات الصغرى التي تعتبر جزراً متخلفة لم تسوها آثار الكرستة .

أما فترات التراجع القديمة فتشهد عليها التراكمات المزامنة لانخفاض مستوى المياه. هذه التراكمات سيلية وتتكون من مواد طينية محمرة تحتوي على شظايا من السلكس، متأصلة عن تحليل الكلس وتراكم شوائبه غير الذؤوبة. هذه التوضعات المشكلة لمخاريط انصباب، تقطعها المجاري المائية.

أكلمان أزگزا منخفض كارستي، تطوره مرتبط بالتواتر المناخي البيسنوي والدوري وقد ساهمت العمليات الدينامية الأخرى وخاصة منها السيل في تشكيل هذا الحوض الواسع.

J. Martin, *Le Moyen Atlas Central, étude géo-morphologique* - Notes et Mém serv. géol., nº 258 bis, 1981.

عبد الله العوينة

أكلمانْ أزگّاغْ، ومعنى أكلمانْ البحيرة، وقد تأتي في نطق بعض القبائل بميم في الأخير : أكلمامْ، وأكلمان أزگاغ هي البحيرة الحمراء. توجد في جهة أم خنيگ مرزولي في الأطلس المتوسط على بعد 38 كلم من أزرو في طريق تيمحضيت. وهذه البحيرة واقعة في منطقة تضاريس بركانية تتعدد فيها الفوهات البركانية المنطفئة.

أكلمان سيدي علي، أي بحيرة سيدي علي أو محند أكبر البحيرات الجبلية في الأطلس المتوسط. على بعد 54 كلم من أزرو في طريق تيمحضيت طولها ثلاثة كيلو مترات، عميقة جدا، تقع على ارتفاع 2000 م. وهي واقعة في منخفض بركاني تنبع مياهها من عيون كثيرة، وعلى جنباتها مراعي قبائل أيت عرفة وإركلاون وقبائل من ملوية في زمن المصيف. وفي البحيرة أسماك وعلى الضفة الجنوبية جرف كلسي تغطيه أشجار البلوط وبينها قليل من أشجار الأرز الشامخة. وفي أسفل هذا الجرف يوجد قبر الولي الذي تنسب إليه البحيرة.

أگلموس ـ جغرافيا ـ مركز حضري ينتمي إلى تلك المدن الصغرى الحديثة العهد التي استمدت ديناميتها وحيوتيها من سهولة المواصلات معها، إذ نجدها تنتظم حول محاور الطرق التي أصبحت تشكل أماكن اجتذاب ديمغرافي واقتصادي من نوع متميز. فرغم كون هذا المركز يقع في الهضبة الوسطى ذات الطابع الهضبي الوعر (جنوب هضبة المنت) نجده يأخذ موطنه عند مفترق الطريق الرابطة بين مولاي بوعزة وامريرت والطريق المؤدية من ألماس إلى خنيفرة التي تبعد عنه بخمسة وثلاثين كلم في اتجاه الجنوب الشرقي.

فبفضل هذا الموقع الجغرافي المنفتح نشأت هذه البلدة الصغيرة وأخذت مكانها على الضفة اليمنى لواد أگلموس عند قدم مرتفع يطل عليها من الواجهة الشمالية على مدى أرتفاع 1223 م ويرجع تاريخ بروزها إلى العقود الأخيرة باعتبار التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي أصبحت تعيشها المنطقة.

فالقبائل المقيمة هنا مثل أيت مِّي أگلموس وأيت مِّي إيزِيار وأيت حمُّو وْحمُّو وإحْبلان وغيرهم يتعاطون نمط عيش نصَف ترحالي يعتمد على التنقل بين المرتفعات المكسوة بالغابات في الصيف والأحواض المنخفضة في الشتاء، أصبحوا يميلون إلى الاستقرار، وبعضهم إلى التموطن بالمراكز الحضرية المجاورة، من بينها أگلموس الذي أصبح يمثل مركز استقطاب حضري هام. فقد تضاعف عدد السكان من 1971 إلى 1982 حيث ارتفع عددهم من 1622 إلى 4092 نسمة، ويرتقب أن يصل هذا الرقم إلى ما يقرب من 8000 نسمة في نهاية الثمانينات إذا ما استمرت وتيرة التزايد على هذا المنوال.

كما أن التحولات الوظيفية التي سجلتها بلدة أگلموس أخيرا لمن شأنها أن تجعل منها مركزا قابلا للتطور، فبالرغم من كون القطاع الفلاحي وخاصة منه تربية الماشية لازال يلعب دورا أساسيا في اقتصادها، فإن أنشطة أخرى مرتبطة بالوظائف الجديدة التي أصبحت تتقلدها مثل التسيير الإداري والخدمات الاقتصادية والاجتماعية بدأت تتعدد وتتنوع. فقد صار أگلموس يمثل مركز قيادة تابعا لعمالة خنيفرة، الشيء الذي جعله يستفيد في السنوات الأخيرة من تأسيس مصالح عمومية هامة توفر له خدمات تربوية وتعليمية وصحية وبريدية وغيرها. وتعزز دوره التسييري بخلق إدارة تسهر على تعميم الإرشاد الفلاحي بين صفوف الفلاحين ومربِّي الماشية. وانتعشت الأنشطة التجارية بظهور سوق دائم للمواد الغذائية والملابس والأجهزة المنزلية والميكانيكية وغيرها (ما يقرب من مائة دكان) إلى جانب السوق الأسبوعي الذي يقام يوم السبت والذي يعتبر من أهم أسواق المواشي بالمنطقة، بفضل سهولة المواصلات التي تتمتع بها. وتبرز وظيفته الهامة هاته بوجود مجزرة وعدد كثير من الجزارين (ما يقرب من ثلاثين) الذين يزاولون نشاطهم به. كما أن بعض الحرف مثل

الخياطة والحلاقة والتجارة والحدادة وطحن الحبوب بالإضافة إلى إصلاح السيارات والمقاهي ازدهرت واستمدت عناصر نموها من هذه الدينامية الاقتصادية.

وتنظم أغلبية هذه الأنشطة على طول المحور الطرقي ألماس - خنيفرة الذي أصبح يعيشه هذا المركز وصارت التجزءات والبنايات تتعدد وتتكاثر، وبدأت تبرز معالمه المجالية والعمرانية حيث نلاحظ أن التوسع الممتد نحو الأراضي المنبسطة لم يخضع لتهيئة مسبقة، وظهور القطاعات الحضرية المشكّلة للمدينة يرجع إلى صيرورات عفوية مما جعل السكن ينتشر في غالبية الأحيان في مناطق تغيب عنها التجهيزات الضرورية، وتأخذ عادةً الأزقةُ رغم ضيقها شكلا منتظما ولا زالت غالبيتها غير معبدة. أما السكن فلا يختلف من حيث تنظيمه المعماري ومواد بنائه عن باقي السكن الشعبي المنتشر على هوامش المدن حيث نجده في غالب الأمر غير جاهز ومكونا من دور صغيرة متلاحمة وذات طابق أو طابقين باستثناء الشارع الرئيسي الذي بدأت تظهر فيه بعض العمارات الصغيرة الأنيقة المظهر والتي تأخذ إلى جانب الصومعات الثلاث مكانة بارزة داخل المشهد الحضري لهذه المجموعة التي يوحي مستقبلها بتطور سريع.

Note de présentation du plan d'aménagement d'Aguelmous, Ministère de l'intérieur ; *Recensement général de la population et de l'habitat*. 1971 - 1982 ; *Carte Topographique d'Aguelmous* 1973 ; *Enquête sur place*.

عائشة البلغيتي

أگلمُوس، - تاريخ - اسم أمازيغي تحمله اليوم قريتان إحداهما بالأطلس الكبير في قبيلة أيت تمنت والثانية ببلاد زيان من الأطلس المتوسط، وتفيد الكلمة في اللغة الأمازيغية المتداولة رداءَ البُرْنس وخصوصا منه القسم الأعلى الذي يُغطّى بهِ الرأس، لكن بعض الدراسات ترى فيها كلمة مركبة ومرتبطة بموقع كثير المياه، فيكون الشطر الأول منها "أگْ" بمعني فوق الشيء، وربما : أگّل" أي عَلِّق - بصيغة الأمر - أو عالقٌ في الأعلى ؛ ولْمُوس (أو مُوس) وهو الماء. هذا التحليلَ يعطي معنى يمكن ترجمته ب "فوق الماء" على أن الارتباط بالمعنى الأول قد يكون صحيحا كذلك ولا يتعارض مع الثاني إذ الغالب على الظن أن طوبوغرافية المكانين مخروطية الشكل وتكثر بها المياه في آن واحد.

تقطن بالقرية الثانية، وهي أكبر حجما وأهمية من الأولى، مجموعات من قبائل زيان. والقرية اليوم نقطة اقتصادية هامة بها سوق كبير يعتبر من أكبر أسواق البقر في الأطلس المتوسط.

J. F. Troin, *Les souks marocains*, 2 vol, 1975 ; E. Laoust, *Contribution*, p. 103 ; *Mots et choses*, p. 130 ; L. Mezzine, *Sur l'étymologie du toponyme Sijilmassa*, H. T., 1984, p. 19-25.

عبد العزيز توري

أگلميم (أيت مرغاد) ← **گلميمة**

أگليميم (تكنة) ← **گلميم**

أگلُو، يجسد فم تادمة أگلو على الساحل الأطلسي جنوب ميناء ماسة التاريخي إحدى النقط الشاطئية التي جمعت حول اسمها من التساؤلات ما تصعب الإجابة عليه. ومعلوم أن هذا المرسى يتجاوز موقعه ليشمل فصائل أگلو المحيطية. كما أن المعدر المعروف بنفس الاسم يقتطع حيزا متميزا داخل أزَغارْنْ - تاسْرا بالمنطقة الساحلية الممتدة بين وادي ألْغاس ووادي أدودو. أما فصائل أيت أگلو فتراقب أيضا سلسلة الهضاب المحيطة بما فيها المرتفعات المطلة حوالي ضفتي فم وادي أدودو على المحيط. يجسد هذا الفم مرسى أگلو التي تحد الطبيعة الصخرية للشاطئ من صلاحيتها للإرساء خاصة في فصل الشتاء (R. Montagne, 1930 : 21). وعن حدود تراب أيت أگلو فأيت ماسة وأيت المعدر شمالا وأيت تزنيت شرقا. وأما من الناحية الجنوبية الشرقية فتحدها أيت بريبم إلى جوار أيت الساحل على الحدود الجنوبية.

وتجدر الإشارة إلى أنه باستثناء أهل ماسة، فإن أزغارْنْ - تاسْرا يشمل علاوة على الوحدات القبلية الآنفة كلا من أيت إسافن وأولاد جرار وأيت جرار لعوينة وأيت أگرير وأيت الگعدة والخنابيب. ويضيف لوشاتوليي Le Chatelier صاحب هذا التصنيف بأن أيت أگلو هي أكثر هذه الوحدات عدة وعددا. فهي تتوفر حسب تقديراته لسنة 1890 على 3000 بندقية و895 فرس مساوية بذلك ضعف كل من أيت بريبم وأيت تزنيت كل واحدة على حدة. ولإبراز أهمية هذه الإشارة فهاتان القبيلتان تحتلان مباشرة الصف الثاني (Le Chatelier, 1891 : 9). تنقسم فصائل أيت أگلو إلى أربع تجزئات هي : أيت راغوية أو (أيت أگلو) وأيت إمْجّاط وأيت إمِّي نكتيرگ وأيت سيدي باركة.

الناظر في الإشارات النادرة حول نشأة وتطور هذه الفصائل يخرج بانطباع يؤكده غياب المكتوب والمروي. ذلك أن ما تمخض عنه التاريخ المحلي ما يزال أكثر عمقا وأبعد من أن يكون قد استكشف كله. فالقرون الأربعة الأخيرة تبدو وكأنها قد حولت أزغارْنْ - تاسْرا إلى مسرح لتلاحم التركيبات الإثنية المتباينة اللغة والمنشأ ونمط العيش. على أن مقدرة معدر أگلو على الاستيعاب والمحافظة على بنياته الأمازيغية تعتبر عاملا فعالا مبلورا لمجمل الموجات البشرية على تداخلها وتناقض مكوناتها وفصائلها. ذلك ما يدعو إليه الوقوف عند تنظيم المجال القروي من حيث هو كرسم لخط التطور الالتفافي بين هذه الموجات.

أول شيء يستقطب الاهتمام هو الفرق الواضح بين القصور المحاطة بأسوار تميزها شكلا ومضمونا وبين المداشر المنفتحة على المجال الخارجي. ففي الوقت الذي يحد السور من توارد النازحين يرتبط تنظيم المجال داخل كل مدشر بظاهرة تمايز فصائله المؤسسة لأقسامه. من هنا فإمكانية التراكم بالمداشر يفصح خلافا للقصور عن مكنون ذاتي هش. هذا التمييز بين القصور والمداشر يحدد إشكالية هذه الأخيرة في تكريسها للتحولات التاريخية التي تتبلور في

علاقة كل قصر والمداشر المحيطة به. وهي رؤيا يقدمها لنا تناثر المداشر حول أربعة قصور. فنجد حول قصر إمجَّاط أكَلو مداشر القصبة وإمي نْ العينة وتيكمًّا مزين والكَاع وحربي وازاض، كما نجَدَ حول قصر إمي نْ تاركَة مداشر تاكَنيت وتجاريفت وتاميليت. أما حول قصر زاوية أكَلو فنجد مدشري سيدي الحسين وسيدي احماد، ونجد حول قصر زاوية سيدي وكَاكَ تالمدات تيسمكَنان وتافدنة وتالموشت وتالمودات أفلا وتاملحات وتساميرت (Le Chevalier, 22) نلاحظ بأن قصري إمجاط أكَلو وزاوية سيدي وكَاكَ تتقاسمان أكبر عدد من المداشر التي تساهم في ترسيخ جدلية المجالين القروي والديني. على أن هذا الجرد لم يذكر مجمل المداشر التي تسهم كما وكيفا في ترسيخ التوجه الصوفي لسكان المداشر. فقرية إكَرار وحدها تمثل حرارة القرون الماضية (*المعسول*، 12 : 127 ـ 277).

وتتابع قرى أماراغ واد شديد وسيدي داود (*المعسول*، 13 : 361 ـ 365) وانونتكَيفا (*المعسول*، 13 : 357) في تقابل وانتظام يربطها بزاويتي أكَلو وسيدي وكَاكَ. ولإدراك ما عسى أن يكون لهذه الجدلية من مدلول بالنسبة للبنيات المحلية يجدر التساؤل عن علاقة المجال بوكَاكَ بن زلو اللمطي أستاذ مؤسس الدولة المرابطية (*المعسول*، 11 : 32 ـ 37).

يمثل فحص هذه العلاقة أولى الإشكالات الوثيقة الارتباط بالانتساب الديني لفصائل أيت أكَلو إلى زاوية سيدي وكَاكَ. وهي مقابلة نشأت بناء على وجود قبر ورباط وكَاكَ بعين المكان. وهنا قد نتساءل ما الذي دعا ابن خلدون إلى القول باستقرار وكَاكَ بسجلماسة (I : 68 ـ 117)؟ لقد أشار ابن عذاري نقلا عن البكري المعاصر لوكَاكَ بأن مقره كان بمالكوس قرب نفيس (البكري، 303 ـ 364). هذا الرأي وإن أيده الإدريسي (*صفة*، 73) فهو يبدو مخالفا لإشارة ابن الزيات التي لا تخلو من أهمية. فإذا كانت شدة الأمطار قد اقتضت من الوافدين على وكَاكَ ستة أشهر للرجوع إلى مقرهم بنفيس (ابن الزيات، 90)، فالمدة تتجلى عن مسافة ترجح أكَلو أكثر من مالكوس أوتينمل (Justinard, 77-116-117) أو تادرارت بهشتوكة (*المعسول*، 1 : 39). كما أن مما يزيد من صلاحية هذا الاحتمال أن الرباط المؤسس لدولة المرابطين بالصحراء قد أنشئ بدوره بعد استشارة وكَاكَ على نقطة شاطئية. ولرب نقطة تنضاف إلى "ساحل ماسة" تسببت في الخطأ الوارد في نص ابن خلدون.

وهكذا تعجز المقارنات الممكنة عن فك هذا اللغز ونظل بذلك قاصرين عن تفسير انتماء أيت أكَلو إلى وكَاكَ كجد روحي لا اسمي (*المعسول*، 11 : 37). ففي إطار الاهتمامات المخزنية بعد سنة 1956 جاء هذا القصور مبررا في إضافة مشهد وكَاكَ إلى الأحباس. ويزيد من تعقيد هذا الإشكال أن أهل أكَلو ينسبون لسبب ما الطريقة الناصرية إلى شيخ زاويتهم مبررين بذلك هيمنتها المحلية.

مهما يكن فإن الطابع الصوفي المميز لمداشر أيت أكَلو قد ساهم تاريخيا في إحباط المحاولات التوسعية للقبائل المجاورة. لقد شكل هذا الطابع السلاح الأول للطلبة والفقهاء في مواجهة ذوي السلطة العسكرية. وهكذا يمكن أن نتمعن في طبيعة الالفافات المحلية من حيث هي كتجسيد لحساسية العلاقات بين فصائل أكَلو نفسها. فالطابع الديني المتميز جعل بعض الفصائل تظهر بمظهر قليلة الشوكة والعصبية. بل يمكن القول بأن هذه الفصائل لا تأبه لكل ما من شأنه تعزيز مكانتها العسكرية بين القبائل.

فنذكر مثلا أن من بين أهل تيخفيست بسملالة هاجر إد عبد الكريم منذ فترة قد تتجاوز ثلاثة قرون إلى أكَلو حيث أصبحوا يمثلون وجها من وجوه الزاوية. وبتدهور علاقتهم بموطنهم الأصلي، يكون انتماؤهم إلى زاوية أكَلو غير كاف للإبقاء على صبغتهم القبلية (*المعسول*، 4 : 34) وقد نزل آل حسين التمكَيدشتيون الكَرسيفيون بزاوية أكَلو في ظروف مشابهة (*المعسول*، 13 : 277). وهو أيضا ما يمكن أن نقوله عن أهل سيدي مسعود بن إبراهيم من أنامر بأيت موسى الذين يرجع انتماؤهم إلى أهل ساموكت من أيت تيكني (*المعسول*، 9 : 103). لقد عرفت مدرسة سيدي وكَاكَ انجلاء الكَيلوليين مما فتح أبواب الهجرة أمام سليلي الفقهاء والمتصوفة الملتزمين (*المعسول*، 10 : 208).

على أن هذه الصورة الهيكلية تنطوي على فقر كبير إن هي أهملت كيانات أيت أكَلو العسكرية المتحالفة مع الفقهاء والزوايا. وتنطوي الملاحظات النادرة عن هذه الكيانات على أهمية خاصة. ذلك أن التناقضات المحلية تلعب دورها في عقد التحالفات بين الغور الأمازيغي المحلي وأيت أنومر والخنابيب ذوي الصبغة الأعرابية (*المعسول*، 9 : 103). وهكذا يلتف أيت أكَلو داخل حلف تحكَّات حيث تلعب العداوة بينهم وبين حلف إكَزُولْنْ دور المحرك. كما أن الصراع الدائم داخل نفس الحلف بين أيت أكَلو وأيت تزنيت يخدم أساسا أهل أكَلو في عدم أداء الضرائب والجبايات خلال مختلف الحقب. وهكذا إذا كان أيت أكَلو يحملون هديتهم السنوية إلى زاوية قطب سوس الأول سيدي احماد أو موسى بتازروالت، فذلك لا يعني أكثر من الاعتراف بسلطته الروحية. وهي سلطة وإن أطرت لإعادة هيكلة حلف إكَزولن فلن تحول دون أيت أكَلو واستقلاليتهم السياسية والقبلية. لقد أرسل أبو حسون السملالي سلطان إكَزولن عبد الرحمان بن إبراهيم قاضيا له على أكَلو ومداشره المجاورة سنة 1070 / 1660. كما نزل بعض أبناء عثمان بن أحمد الإكَراري قاضيا بأكَلو واستقر بمدشر إكَرار (*المعسول*، 13 : 266). وكان عبد الله بن محمد بن سعيد المشكَدادي التيزركَيني من بين الذين أرسلهم أبو حسون للقضاء في أكَلو حيث بقي نسله بمدشر أماراغ (*المعسول*، 13 : 282). كما انتشرت الأحكام الفقهية لأخيه عبد الرحمان وأخيه إبراهيم. ولا شك أيضا في أن أبا

حسون قد استعان بمرسى أگلو للتخفيف عن ميناء ماسة خلال القرن السابع عشر. إلا أن الصبغة الدينية لمداشر أيت أگلو وقصورها الأربعة قد حالت دونها وأداء الضرائب والمكوس.

فندرك بذلك لماذا تسبب خراب إليغ عاصمة أبي حسون السملالي في شتات مرسى أگلو وقضاتها مما جعل بعضهم ينزحون إلى أگادير (*المعسول*، 13 : 282).

هكذا وعلى الرغم من أن عداوة أگلو وأهل تزنيت تعد مرحلية فهي لا تفيد في تقلباتها سوى الاعتراف الشكلي بالسلطة المركزية. وهكذا يمكننا الاطلاع على الظهير الحسني الذي تعين بموجبه عبد الرحمان بن إبراهيم بن محمد قاضيا بأگلو (*المعسول*، 13 : 310). وكان لعثمان أحمد أضرضور محاضرات في القضاء تدل على مدى ما تتوفر عليه المداشر من علماء ومخطوطات طافحة (*المعسول*، 13 : 373 ـ 378 ـ 384). ويمكن أن نذكر محمد بن إسماعيل بن أحمد الإگراري قاضي أگلو ومداشره خلال النصف الأول من القرن العشرين (*المعسول*، 13 : 361 ـ 422 ـ 440). كل هذه الإشارات تروى لنا ضمنيا حقيقة العلاقة بين التلقائية الدينية وقانون التعامل مع السلطة السياسية الشرعية.

م. الإدريسي الشريف، *صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس* ـ ليدن ـ 1864 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *مدارس سوس العتيقة* ؛ أ. البكري، *كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*، ترجمة دوسلان ـ باريس ـ 1965 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*؛ ي. التادلي، *التشوف*.

A. Le Chatelier, *Tribus du Sud-Ouest Marocain*, Paris, F. Leroux, 1981, 90 p. ; R. Montagne, *Une tribu berbère du Sud Marocain*, Massat, Hesp., T. IV trim., 1924, pp. 405-440 ; *Les berbères et le Makhzen*, Paris, F. Alcan, 1930, 450p. ; Cne Malval, *Les tribus dissidentes de l'annexe de Tiznit*, Archives de la direction des affaires indigènes, 1926 ; *Notes historiques sur l'annexe de Tiznit*, Archives de la direction des affaires indigènes, 1926.

مصطفى ناعمي

الأگلُويِّ، محمد بن علي، ينسب إلى قبيلة أگلو المجاورة لتزنيت، بعقيليّ أصلا، فقيه نحوي أصولي، له يد في البلاغة غير قصيرة، تظهر في بنات قلمه شعرا ونثرا. من كبار المتخرجين بالشيخ أحمد التمكدشتي وبابنه الحسن. زاول التدريس بمدرسة إيمي نترگا بأگلو وبمدرسة عين المزوار بهوارة. كان كلفا بالسيرة وبالصلاة على صاحبها مما حدا به إلى شرح *ألفية* العراقي في السيرة وبسببه ذكر بين المؤلفين السوسيين. توفي عام 1296 / 1878.

الأگراري، *روضة الأفنان*، مخطوط ؛ السگرادي، *تحلية الطروس*، مخطوط ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 201 ؛ *المعسول*، 13 : 209.

عبد الله درقاوي

إگلي، الخلط بين إگلي عاصمة منطقة وادي سوس حتى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وجبل إگيليز القريب من مسقط رأس المهدي بن تومرت، يعد من بين الأمثلة الكثيرة التي تحتم الاهتمام بالبحث الطبونيمي. ذلك لأن هذا الخطأ وثيق الصلة بمنهجية النصوص العربية القديمة والحديثة. وهو أمر مرده إلى كون الجغرافيين ومدوني الأحداث يجهلون بأن أوسع الأعلام انتشاراً ألصقها بالذاكرة المحلية وأكثرها إفصاحاً عن مرفلوجيتها وعطائها الاقتصادي والاجتماعي. ندرك بذلك ما للخرائط المحلية من إسهام، إن هي أحسن استعمالها، في تنمية الحس التاريخي للمجال وفهم البيئة وأسباب التعددات الطبونيمة. فمثلا، إذا ماحاولنا البحث في المعجم الأمازيغي الخاص بأسماء الأماكن من خلال القوائم المتداولة سجلنا التصاق إگلي بعدد كثير منها. هذه الكلمة تفيد الدفع بالقطيع نحو مكان أكثر خصوبة. وهو مايؤيده المراكشي حين يضيف مامعناه الواجة الخضراء (*المعجب*، 187).

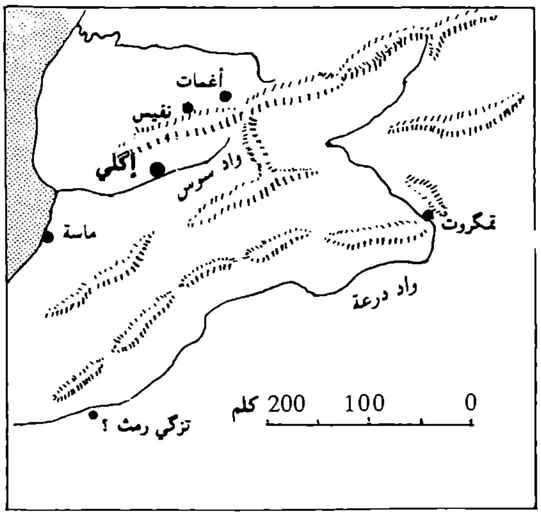

إگلي

إن المتأمل في موقع إگلي قاعدة وادي سوس التاريخية يدرك بسهولة ضرورة الشرح الطبونيمي كوثيقة تضاف إلى أدوات المؤرخين وغيرهم (ابن حوقل، 90 ـ 97، البكري، 161 ـ الإدريسي، 72 ـ 73). فهي تتوسط بسيط تَازُكنِّيتْ القريب من تارودانت حيث تبرهن أهمية غابات الزيتون والنخيل بما لايدع مجالا للشك على أهمية الموقع حتى اليوم في تثبيت التسمية وإذا كان ياقوت الحموي ينص على إيجلن (معجم، 415) والزركشي على إگلين (*تاريخ*، 3)، فإن مجمل النصوص الأخرى تتفق على "إگلي". ولعل أهم شهادة لخص بها كتاب *الاستبصار* مرويات سابقيه هي تلك التي أعلن من خلالها أن المدينة كانت عظيمة كبيرة قديمة أزلية أخرج منها عقبة بن نافع سبياً لم ير مثله حسنا (*الاستبصار*، 45). وقد لاحظ محمد المختار السوسي أن صاحب هذا الكتاب قد اقتصر خلال القرن الثاني عشر الميلادي على ذكر المدينة دون جارتها *تارودانت* التي اكتفى المراكشي بدوره بذكرها حوالي أربعين سنة بعد ذلك (*خلال*، 3 : 189).

على أن أسباب هذا الاختزال مهما كانت راجعة إلى اضمحلال المدينة فهي لا تكفي لخلطها بمسقط رأس ابن تومرت بتغْمْرت شرقي جبل إگيلِّيز حيث متعبده ورباطه.

لقد برهنت النصوص المعاصرة للمهدي على أنه ينتمي إلى إگلي - انْ - وارْغْن، أي جبل إگيليز ببلاد أرغن (هرغة المصمودية) جنوبي وادي سوس شرق إگلي العاصمة المحلية (البيذق، *المقتبس*، 17 - *أخبار*، 32 - 48 - 90 - 91) على أن من مظاهر الجدة الجذرية التي أتى بها أبو بكر المكنّى بالبيذق تعريبه لأسماء القبائل والأماكن. فجاء تعامله معها تطوعيا جعله يكتفي بإگلي هرغة وإگلي سوس بدل دلالاتهما الطبونيمية الحقيقية. ومن الأكيد أن خاصية محاولته تمكن من تغيير الواقع في إطار خاص يساير مطامح الموحدين ومقاصدهم.

وإذا تساءلنا اليوم عن نتائج هذه الممارسة التي أخذ الموحدون على عاتقهم مسؤولية إنجاحها، اتضح البعد الجسيم لهذا المنعطف كإشكالية مركزية. إننا ونحن بصدد المعنى التاريخي لعلاقة الناس بمجالهم نكشف عن سر فعالية التحليل الطبونيمي. فالواضح أن علاقة الناس بظروف وجودهم تمر عبر بنية تفرض على الناس ولا تمر بوعيهم. وهي إشكالية تتداخل في بعدها الوراثي لتغدو إشكالا إبِستمولوجيا قد يعد من علامات التطور في صيغته التركيبية.

الزركشي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تونس، 1872 ؛ ع. المراكشي، *المعجب*، 568 ؛ ياقوت الحموي، *معجم البلدان*، 1 ؛ م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 254 ؛ أ. البكري، *المغرب*، 212؛ م. الإدريسي، *وصف إفريقيا والأندلس*، ليدن، 1968، 393 ؛ أ. البيذق، *المقتبس*، 60 ؛ *أخبار المهدي* ؛ ابن حوقل، *كتاب صورة الأرض*، بيروت، 1979 ؛ *الاستبصار*.

Levi - Provençal, *Extraits des Historiens arabes du Maroc*, Paris, 1948, p. 85.

مصطفى ناعمي

أكليم ← وجدة (إقليم -)

الأگماري، أحمد بن سعيد بن الطيب الأغْرْاُبُوئِي الأگماري نسبة إلى قبيلة إدا گاگمارْ السوسية. العلامة الأديب والقاضي، تلقى تعليمه في مسجد قريته، ثم اقتحم العلوم على يد والده، ثم على يد سيدي محمد بن عمرو، والتحق بعد ذلك بالمدرسة الإلغية حيث لازم الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي، ثم أعمل الرحلة إلى فاس فجاور بالقرويين، فاستتم من العلوم الشرعية ما كان يعوزه بسوس. استقر أخيرا بمدرسة تاكاتْرْت، وبعد الاستقلال عين قاضيا شرعيا في عدة محاكم. أورد محمد المختار السوسي مختارات من أشعاره ورسائله ووصفه بالأديب المتفوق.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 106 ؛ *رجالات* ؛ السكرادي، *تحلية الطروس*، مخطوط.

الأگماري، الطيب بن خالد بن محمد ولد عام 1220 / 1893 من الأسرة العلمية الأغرابوئية الأگمارية نسبة إلى قبيلة إدا گاگمارْ، عالم جليل رباني، تغرب عن بلاده في سبيل التحصيل ثم عاد إليها ليتصدر للتعليم والإرشاد، فشرط في مدرسة بوَزْكارْنْ ومدرسة تاكارْت. كان مشاركا في الفتوى وقضاء النوازل فكان محترما معظما مقبول الرأي لا يتخطى حكمه مع بركة وخير وصلاح. أصيب بالعمى قبل وفاته لمدة طويلة، وبالرغم من ذلك فإنه لم يترك التعليم والإرشاد حتى لحق بربه عام 1311 / 1893.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 11 : 93.

الأگماري، محمد بن عبد الله بن سعيد، من قرية أيت محمد، عالم كبير ذو مقام عال في عصره، كما تدل عليه الفتاوى والأحكام التي صدرت عنه، وربما أدرك أوائل القرن الثالث عشر، وقد وقف المختار السوسي على فتاوى له متعددة في رحلاته الجزولية، وأبوه عبد الله بن سعيد كان علامة مفتيا عاصر أحمد العباسي الشهير، وقد رد عليه العباسي، وبيتهم في قرية "إدمْحَمَّدْ" بيت علم ويقال لهم إدْ الطالْب سعيد.

م. المختار السوسي، *خلال جزولة*، 2 : 21.

الأگماري، محمد بن عبد الله بن محمد البوشكيري، ولد عام 1210 / 1795. ينسب إلى قبيلة إدا گاگمار علامة جليل القدر، جال في التدريس وفي كل ميدان علمي، فقضى وافتى بنزاهة تامة، وقد أتقن السيرة كوالده وتمكن من النحو والفقه والفنون المتداولة، ودرس في تاغلول كثيرا وفي المدرسة الأگمارية. وهو صاحب *المنظومة البوشْكرية* الشلحية المشهورة. توفي عن سن عالية وعن سمعة طيبة عام 1282 / 1867.

م. المختار السوسي، *رجالات*.

عبد الله درقاوي

أُگماسْ، قرية صغيرة في منتصف الطريق بين أزرو وإفران (الأطلس المتوسط)، تستوطنها قبيلة أيت فاسْكا وهو فرع من فروع قبائل إيركلاون (أيت مْگيلد). والكلمة الأمازيغية مركبة من لفظين : أُگّ ويفيد كل ما يوجد أعلى الشيء، وماس ويرتبط بالماء الكثير، وماء السقي. فيكون معنى كلمة أگماس المكان الذي يعلو المساحات المسقية أو المكان الذي لا يصله الماء.

وتحتفظ قرية أگماس الحالية بنماذج من السكن التقليدي العتيق الحاملة لاسم إغْرْمْ وهو شبيه بالقصر المنتشر بالجنوب المغربي إذ يتوفر على سور خارجي وقائي يحيط بالدور التي تتكئ على واجهاته الداخلية لكي يبقى وسط إغرْمْ عبارة عن ساحة كبيرة تتجمع فيها الدواب. وهذا النمط اليوم في طريق الانقراض.

E. Laoust, *L'habitation chez les transhumants*, pp. 289-292; L. Mezzine, *Sur l'étymologie du toponyme Sijilmassa*, H. T. XXII, 1984, pp. 19-25.

عبد العزيز توري

أگمكام ← الأكحل مجمد

أݣنات، كتلة جبلية بارزة بين سهول تافلالت والمنخفضات التي تكون استمراريتها الغربية وذلك جهة الجنوب، والممر الممتد جنوب الأطلس الكبير (المنخفض قرب أطلسي) جهة الشمال. ويتكون هنا هذا الممر من سهول تدغة وغريس الأوسط (ما بين تنغير وݣلميمة، مرورا بتنجداد). وهي تكون استمرارا لكتل الأطلس الصغير، إلا أنها مفصولة بوضوح عن صاغرو بفج واسع.

والكتلة مكونة من وحدة قبلكمبرية، هي جزء من الدرع الإفريقي، تم رفعها بشدة، بحيث تبلغ قمتها 1720 م. لكن هذا المحدب غير متماثل الجانبين. فبينما السفح الجنوبي طويل وضعيف الانحناء، يسمح بظهور الطبقات الرسوبية الأولية التي تكون غطاء الكتلة القبلكمبرية، نجد شمالا هذه الكتلة تشرف مباشرة على منخفض انكساري تراكمت فيه مواد حديثة. وعدم التماثل هذا ناتج للحركات التكتونية الحديثة التي رفعت الكتلة بشدة في جانبها الشمالي، الشيء الذي أكسبها هذا الانحناء العام في اتجاه الجنوب. وهذه القاعدة المرفوبنيوية ليست خاصة بأݣنات، بل نجدها تعم كذلك كتلة صاغرو بأكملها.

داخل السلسلة تمتاز التضاريس بارتباطها بنوعية الصخور وتصرفها أمام عوامل التعرية الصحراوية. فالݣرانيت والريوليت والݣابرو صخور باطنية، قابلة للتفتت الحبيبي والتصدع. ولذا فهي تعطي سفوحا مقعرة مغلفة بمواد انهيالية خشنة، والمناخ الجاف يمنع من توفير تربة حقيقية. لذا تظهر البروزات الصخرية عارية مسودة، مغلفة بالطلاء الصحراوي، بينما أقدام السفوح مغطاة بالمهيلات.

شمالا وجنوبا، تميل الكتلة القديمة تحت الغطاء الأولي وتحت المواد الغشائية الحديثة.

السفح الشمالي هو الأوعر، حيث تختفي الكتلة سريعا تحت غطاء شديد الميل نحتت فيه التعرية أشكالا أبلاشية هي عبارة عن تجعدات وحيدة الميل كثيرا ما تجزؤها انكسارات. وكل الجبهات تنظر نحو أݣنات. كل تجعد أو عرف يشرف على منخفض محفور في الطبقات الهشة. وفي هذه المنخفضات شكل السيل الرباعي حادورات تتعمق فيها حاليا الشبكة المائية.

والغريب في هذه الحاشية أن حادورات نازلة من أعراف الغطاء، تمتد لتمر فوق الهوامش الشمالية من الكتلة القبلكمبرية وخاصة الصخور الݣرانيتية البارزة بين توروگ وملاب. هذا دليل على أن سطحا واحدا قطع الهوامش الشمالية للكتلة وحاشيتها الرسوبية. وهذا السطح هو الذي يفسر المجرى غير العادي لتدغة. فهذا النهر القادم من الأطلس الكبير، يتبع المنخفض الكبير الجنوب الأطلسي، ثم فجأة ينحرف ليتعمق في الهامش الشمالي لأݣنات ناحية ملاب. وهذا المجرى غير العادي راجع لكون الكتلة وحاشيتها كانتا تمثلان سطحا تحاتيا واحدا أرجعه المؤلفون (F. Joly, *Etude sur le relief du SE du Maroc*) إلى الثلاثي. ويمتد هذا السطح شمالا حتى قدم الكويسطا الكريطاسية التي تكون الحدود الشمالية للمنخفض التحاتي الهامشي على جانب كتلة أݣنات.

أما الحاشية الجنوبية فهي تكون الجانب العادي، ضعيف الانحناء لمحدب أݣنات، حيث نجد الغطاء الرسوبي ضعيف التشويه ومكونات من طبقات متوالية من الكلس والحث والشست. هذا الغطاء المتموج على آفاق واسعة، تعرض كذلك لآثار التعرية الانتقائية التي شكلت به تضاريس أبلاشية مكونة من أعراف غير متماثلة الجوانب وممرات تملأها توضعات حديثة. وتتعدد هذه الأعراف تبعا للسلسلة الرسوبية حيث تظهر أولها ملاصقة للكتلة ومشكلة في طبقات الكلس الأدودوني ثم الجيورجي، تتبعها، أعراف حثية من الكمبري الأعلى فالديفوني. بعض هذه الأعراف ترسم حلقات محيطة بمقعرات واسعة كما هو الحال ناحية فزو. أما الممرات فهي معرضة للتذرية الريحية وبالتالي تشكل سهولا حصوية تدعى الرگ الصحراوي.

F. Joly, *Etude sur le relief dans le S.E marocain*, Trav. Inst. Sc., Sér. Géol. et Géogr. phys. nº 10, 1962.

عبد الله العوينة

أكنّاس، محمد بن عيسى، ولد سنة 1912 بالماعلي ناحية تازا. انضم إلى صفوف جيش التحرير، وعمل ضمن الفرقة التي كانت بمركز بوزينب والماعلي تحت مسؤولية محمد بن علال أعبدلي. شارك في تنفيذ عدة عمليات فدائية حتى استشهد رحمه الله يوم 5 أكتوبر 1956 بمسقط رأسه.

وثائق المندوبية السامية وجيش التحرير.

عز الدين العلام

أݣناو، عربيه : ݣناوي. يغلب على الظن أن معناه : الغاني، نسبة إلى غانا من بلاد السودان الغربي، ويطلق الأمازيغيون هذا الاسم على الأسمر مطلقا، كما قد ينعتون به من لا يبين في كلامه بحسب مألوف أسماعهم بأن يكون ذا مرض كلامي أو يكون أجنبيا.

أحمد التوفيق

أݣناو، أسرة تطوانية أصلها من بني بوشيبت بناحية صنهاجة، وكل ما نعرفه عنها أن أحد أفرادها المسمى محمد أݣناو كان ضمن الوفد التطواني الذي حمل إلى فاس وثيقة مبايعة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في ربيع الأول 1276 / 1859.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ الرهوني، *عمدة الراوين*، 3 : 12 ؛ م. داود، *تاريخ تطوان*، 3 : 369 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de asuntos indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* 1921 (G) ; Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo* 1929 (A) ; *Vademecum de intervenciones* (año 1931) 1932 (G) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español* 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

باب **أݣناو**، أحد أبواب مراكش الشهيرة، اختلف في معنى اسمه حيث ربطه مؤلف *الإعلام* بلقب "الكبش الأجم"،

بينما أشار صاحب *المسالك*، كما جاء في نسخة القسطنطينية، إلى كونه مرتبطا ببركة ماء عرفت "ببركة الأقنى" كانت توجد غير بعيد منه.

إلا أن اسم أگناو، ومعناه الزنجي أو الأسود، قد يأتي من حجر *النضيد* (Schiste) *الداكن اللون الذي استعمل* في بناء الباب، على واجهته الخارجية، في نظام تناوبي مع أحجار أخرى وهو ما يضفي عليه الصفة الجمالية التي تميزه.

ويستفاد كذلك من كلام العُمري عن باب أگناو أنه هو الذي كان يطلق عليه اسم باب السقائف وهو مايتناسب مع ما جاء في تصميم برتغالي يرجع إلى سنة 1585 م، لكن مارمول يعاكس ذلك بجعل باب السقائف بعيدا إلى الجنوب.

وإذا كانت النصوص المتوفرة غير قادرة على إفادتنا في موضوع معنى الاسم وسبب إطلاقه على هذه الباب، فإنها كثيرة الحديث عن هذه الاخيرة خاصة كلما تعلق الامر بذكر أخبار الثورات والفتن التي عرفتها البلاد والمدينة في فترات مختلفة من تاريخهما والتي نتج عنها القبض عن أصحابها فيصلبون وتعلق رؤوسهم بهذه الباب، لتكون عبرة لغيرهم.

باب أگناو بمراكش

بني باب أگناو بالحجارة المنحوتة والآجر في نظام تتابعي محكم، وقد لاحظ الباحثان شارل آلان وگاستون دوڤيردان في دراستهما لهذه المعلمة والتي يعيدان إنشاءها إلى العهد الموحدي، أنها كانت تتوفر على غرار الأبواب الموحدية، على برجين جانبيين لم يبق منهما سوى أثر اقتلاعهما، ويوضح التصميم البرتغالي أنهما كانا مربعي الزوايا، وتعلوهما شرفات مثلثة الشكل وكان المدخل أصلا مدخلا ذا التواء واحد، مغطى عن آخره بسقف يصله درج أقيم في جانبه الجنوبي.

وأهم ما يميز باب أگناو اليوم، زخرفته الرائعة التي تجعل منه بابا من أجمل أبواب مدن الغرب الإسلامي، فهي قبل كل شيء باب أريد منها تمجيد المنشئ وإظهار قدرته على الإبداع والتشييد، فجاءت آية في الزخرفة، احتفظ لدورها الدفاعي بمرتبة ثانوية، يعززها تشييد باب الرب المثلث الالتواء على بعد بضعة أمتار فقط.

أما عناصر زخرفته فتجمع كل ما هو معروف في الزخرفة الإسلامية من أشكال هندسية ونباتية وكتابة منقوشة ففتحته "قوس على شكل حدوة جواد تحيط به فقرتا عقد Voussoirs بسيطتان تتوسطهما واجهة عقد Archivolte *تحدها ثلاثة خطوط من الزينة المفصصة* Festons متداخلة فيما بينها، تنتهي في أسفل عضادات الباب بشكل زخرفي ثعباني Serpentiforme، أما الركنيتان فتزينهما زخرفة نباتية غنية وكثيفة تتوسطها صدفة وتعلوها زهيرة رباعية الأوراق، ويحيط بمجموع هذه التنظيمية الزخرفية إطار يحمل الآيتين 46 و 48 من سورة الحجر (*Portes anciennes*, 120).

العمري، *مسالك الأبصار* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2.

Dozy, *Supplément*, II ; H. Terrasse, *Le décor des portes anciennes du Maroc*, Hesp., 1923, p. 356-392 ; *L'art hispano-mauresque*, 1932, p. 294-297 ; G. Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech*, nº 59-60-61 ; Ch. Alain et G. Deverdun, *Les portes anciennes de Marrakech*, Hesp., p. 117-120.

عبد العزيز توري

إگْنَاوِنْ (فرقة الرقص) ← گناوة

أكْنْسُوسْ، أحمد بن سعيد المراكشي، من أهل العلم والورع في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري بمدينة مراكش. كانت نشأته بهذه المدينة التي بها تلقى تعليمه. لم نقف على أشياخه في العلم، ومن المرجح أن جل تحصيله كان على يد فقهاء مدينته الذين تولوا التدريس في تلك المرحلة كالفقيه محمد بن سعيد المرغيثي. فعن هذا الفقيه وغيره أخذ من العلم ما جعله مشاركا في كثير من فروع المعرفة وعد من حذاق ونجباء طلبة مراكش.

ولما استقامت له تلك المشاركة الواسعة في العلم، مارس التدريس والإمامة بأحد مساجد مدينة مراكش. وفي ذلك المسجد التقى بالشيخ محمد بن عبد الله السوسي الذي كانت ولايته قد ظهرت للناس. كان ذلك اللقاء في حدود العشرة السادسة من القرن الحادي عشر الهجري. ولم يكن أحمد بن سعيد آنذاك من المقرين لأحد بالولاية ولا من القائلين بعلم الباطن. لكن هيبة هذا الشيخ جعلته ينجذب ويرتبط به، ويسلك طريق القوم على يده، حتى صار من تلامذته المقربين.

لازم شيخه محمد بن عبد الله السوسي طيلة إقامته القصيرة بمدينة مراكش. وفي هذه المدة ظهر نسكه وصلاحه. وفي حدود سنة 1069 / 1658 خرج شيخه محمد بن عبد الله من مراكش قاصدا الديار المقدسة. فخرج هو معه ليخدمه.

وفي مكة المكرمة استقر مع شيخه وخدمه نحواً من اثنتي عشرة سنة. فكان أكنسوس هو الذي يراسل أصحاب الشيخ بالمغرب. ولما توفي هذا الشيخ بالحرم الشريف عام 1079 / 1668 قام أكنسوس مقامه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك في تربية المريدين. ويستفاد من مراسلاته ومن كلام الحجاج المغاربة الذين شاهدوه وتعرفوا إليه بالحرم الشريف أنه بلغ درجة كبرى في سلم التصوف والصلاح.

عاش أحمد ابن سعيد أكنسوس بعد وفاة شيخه نحواً من اثنتي عشرة سنة وبذلك تكون وفاته حوالي 1091 / 1680.

أ. الولالي، *مباحث الأنوار* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 2 : 324.

عبد العزيز بوعصاب

أكنسوس، عبد الله بن محمد بن أحمد المراكشي، وردت كنيته في بعض المصادر كنسوس أو الكنسوسي. كان أبوه مؤرخا وأديبا وكاتبا في الديوان السلطاني.

عرف عبد الله بمشاركته الواسعة في مختلف فروع المعرفة، وبرع في الكتابة والإنشاء والترسيل، فكان شاعراً ممتازاً وكاتباً فحلا. له قصائد شعرية في مواضيع وأغراض متنوعة، وكان يكتب المكاتب الطنانة البليغة. وبذلك شابه أباه في حدة الفكر والقلم. فاستكتبه السلطان المولى الحسن زمن خلافته لأبيه بمراكش، وأقره في ديوانه بعد مبايعته عام 1290 / 1873 كما مارس نفس الوظيفة أيام الوزير أحمد بن موسى الذي كان يُكرمه ويجله.

وقبل استكتابه بالديوان، كان قد مارس التدريس وأجاد فيه، حتى قال أحد الوزراء : إنه لم ير مثله علما وتحقيقا. وبالإضافة إلى تكوينه الممتاز، كانت له خصال حميدة، أشاد بها كل من عاشره أو تعرف إليه.

لا ندري هل خلف كتبا أو دواوين شعرية، وكل ما أشارت إليه مصادر ترجمته هو أن مقيداته حيزت بعد موته من لدن القصر السلطاني. ولا شك أن تلك المقيدات تعد شهادة ملاحظ واكب تجربة دولة عرفت كثيراً من التطورات في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وكانت وفاته عام 1316 / 1898.

ع. اللجائي، *المفاخر العلية*، (مخطوط) ؛ م. غريط، *فواصل الجمان*، 171 ـ 183 ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 8 : 343.

عبد العزيز بوعصاب

أكنسُوسْ، محمد بن أحمد بن محمد بن يونس بن مسعود، كما وقفت عليه في إجازة أجاز بها أبا علي الحسن السوسي التنمليزي. عُرف بأكنسوس مبدوءا بهمزة مفتوحة، وبكنسوس دونها منكّرا، وبالكنسوس بدونها أيضا معرفا، وبالكنسوسي منسوبا على طريقة النسبة في العربية، وتعني هذه الكلمة أنه من (إِداوكُنْسُوسْ) إحدى قبائل سوس العريقة. وينسب بالجعفري انتماء إلى جعفر بن أبي طالب، وهو قد كان في شك من صحة هذا النسب فتركه حينا، ثم عاد إليه للسبب الذي ذكره في *الجيش* (2 : 150).

ولد عام 1211 / 1796 ـ 1797 بقبيلة تنمرت كما أخبر بذلك في إحدى رسائله. وتيتم من أبيه وهو صغير، وما أن أدرك وميز حتى غادر مسقط رأسه إلى الزاوية الناصرية حيث أخواله، فحفظ القرآن، واستظهر الأمهات، وشدا من أوليات العلوم، ثم شد الرحلة إلى فاس طالب علم عام 1229 وفيها اتخذ مسكنه بمدرسة الصفارين، واتفق له أن يسكن منها بيتا لصق البيت الذي كان يسكنه الشيخ الجزولي صاحب *دلائل الخيرات*، وانكب على التحصيل والاستفادة واصبا دائبا، فلم يمض عليه زهاء ثماني سنوات حتى أشير إليه بالأصابع، وعد من ذوي الفهم والتحصيل.

ذكر أكنسوس مشيخته في إجازة له بما نصه : "وقد اقتضى الحال أن أذكر جملة من مشايخنا الذين أخذنا عنهم مباشرة، ولازمناهم بالخدمة والمعاشرة، تبركا بذكرهم، ووفاء ببعض ما يجب من حقهم وشكرهم، فمنهم :

الشيخ النحرير العلامة المسن البركة حافظ الدنيا بالإجماع الحاج المرابط المتعبد أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد السلام الناصري. ومنهم شيخنا العلامة القدوة المتبحر المؤلف الناظم الناثر الذي نفعنا الله به أبو الفيض سيدي حمدون بن عبد الرحمان المرداسي الفاسي. ومنهم شيخنا العلامة المتفنن في جميع العلوم، أعجوبة الزمان، معول المحصلين، أبو عبد الله سيدي محمد بن عمرو الزروالي الفاسي، ومنهم شيخنا العلامة النفاع المشارك صاحب التآليف العديدة، والأوضاع المفيدة، القاضي أبو عبد الله سيدي محمد بن منصور الشفشاوني الفاسي. ومنهم شيخنا العلامة القاضي الأجل الأشهر أبو العباس سيدي أحمد ين الشيخ التاودي ابن سودة المري الفاسي ومنهم الشيخ البركة حامل لواء المذهب المالكي بلا نزاع سيدي عبد السلام الأزمي الفاسي. ومنهم الشيخ البركة المتصوف ذو الاخلاق المحمدية أبو محمد سيدي عبد القادر بن أحمد الكوهن الفاسي. ومنهم الشيخ البركة ولي الله تعالى أويس زمانه سيدي محمد المكي السراغني المراكشي المعروف بابن مريدة. ومنهم الشيخ البركة الأستاذ سيدي الحاج عبد الله السگياطي الشياظمي. ومنهم الشيخ الأستاذ صاحب الأنوار الفياضة، والأحوال التي أثمرتها الرياضة، والانزواء عن الخلق، والايواء إلى جانب الحق، سيدي الحاج التهامي الوبيري الحمري. إلى آخرين ممن شاركناهم في الأخذ عن جل المذكورين من الفاسيين... ».

ويأتي في صدارة من أخذ عنه : السلطان العلوي محمد الرابع، ونجل المترجم عبد الله، وإدريس بن الطيب بن اليماني، والصوفي المشهور العربي ابن السائح. وبعدهم محمد بن المعطي السرغيني المراكشي، ومحمد بن أحمد أزنيط، وسعيد العسري، وسعيد بن محمد أجيمي، وعبد الله بن وقاص. ومن السوسيين : الحسن بن الطيفور، وعبد الله بن محمد الأدوزي، وعبد الكريم بن عبد الرحمان الكرامي، وأحمد بن محمد الحسيني الطاطائي، والحاج الحسين بن أحمد الإفراني، وسعيد العباسي الدراركي، وعبد الكريم التناني في آخرين.

التقي أكنسوس بعامة أشياخ وطنه، ولازم الجلة منهم حتى استنفد ما عندهم، ثم أمعن بعد ذلك، في القراءة الشخصية إمعانا استغرق فراغه، وهو كان منهوما بالقراءة مشغوفا بالكتب، يقتنيها، ويستنسخها، ويستعيرها، ويتردد على أصحاب المكتبات من أصدقائه ومعارفه ليشبع

نهمه بالمعرفة، فاحتوى صدره لذلك، معارف جمة، وصارت له المشادكة الواسعة في مختلف العلوم والفنون، فذكر بين الفقهاء والفرضيين، وعد في الحيسوبيين والموقتين والمعدلين، و جعل في اللغويين و النحاة و البلاغيين، وكان أديبا ناقدا، وكاتبا شاعرا، وهو بعد مؤرخ أخباري، وصاحب نوادر ومحاضرات. وكان له نظر في المنطق وفي العلوم الروحانية من أوفاق وسر حرف وتصوف، ثم كان له شدو في الطبابة كما كانت له معرفة بالكيمياء بآية أنه ألف كتابا في الكيمياء سنذكره عند التعريف بآثاره. وتناهت مشاركته إلى أن كان له بصر بالعدانة (صناعة استخراج المعادن) نستشهد على ذلك، برسالة وردت عليه من الحاجب موسى بن أحمد عن أمر سلطاني تطلب منه تقويم كتاب في المعادن فأجاب عنها جواب العارف البصير (ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 : 463 ـ 465).

لا يماري أحد في أن أكنسوس منشئ مجيد، تشهد له بذلك آثاره الكتابية من رسائله الديوانية، والأخرى الاخوانية، وسائر ما كاتب به غيره، وهو كثير غزير، كما يشهد به نثره في تآليفه من *الجيش*، *والجواب المسكت*، *والحلل الزنجفورية*. ومن نماذج نثره الذي يثبت اقتداره على الكتابة البليغة المصنعة *مقامته* الطويلة النفس، وكم له من أمثالها في الصنعة البديعية بين ما كتبه من الرسائل والفصول، وذلك ما يجعله طبقة عالية بين كتاب عصره مشارقة ومغاربة، ممن ظل يكتب على النمط القديم ولا يلتفت إلى دعوة التجديد في الكتابة التي بدأ صوتها يرتفع في ذلك الحين.

ولا ينكر عارف بالشعر أن أكنسوس يمتلك، موهبة شعرية قديرة، وعندي أنه يمثل فحولة الشعر بالمغرب على عهده، ولست أحاشي في ذلك أحدا من معاصريه، ولا محمد بن إدريس الذي كان أيضا شاعرا مطبوعا. وقد ابتدأ قرض الشعر المطبوع من مطلع شبابه ولما تتجاوز سنه الثامنة عشرة، ثم تمادى ينظمه طوال ستين سنة أو تزيد، فينظم ما تدعو إليه المناسبات، وهو كثير، وفي *الجيش* منه زهاء ألف قافية، ثم ينظم ما تجيش به نفسه، وعساه أن يكون أغزر وأكثر فالمتوقع أن يكون شعره كبير المقدار.

أما التاريخ فلا مقال لأحد في أن أكنسوس كان ملمّا به، يعلل أحداثه، ويستنتج منها كأي مؤرخ حاذق بصير كما يرى ذلك في مواضع عديدة من جيشه. وعليه فمن الغبن أن يتنقص منه بعضهم كمؤرخ لفترة خاصة من تاريخ وطنه عايش أحداثها، وشارك في صنعها، وخلف من ورائه مرجعا معولا عليه فيها. ومن البخس أيضا أن يعيب عليه آخرون أنه كتب تاريخه بأسلوب جزل رصين فيه صنعة وتنميق، كأنهم يختارون الهلهلة على الجزالة، والركاكة على البلاغة. ومن التكذب عليه أن يقال عنه إنه كان يتملق ويتصيد المناسبات ليحمد الحاكمين بما لم يفعلوا مع أنه ذكر من نقائص الملوك القاصرين ومثالب الأمراء المنحرفين ما لا يجرؤ سواه على قوله، لا سيما والدولة هي التي أوعزت إليه بالتأليف فهي ترغب ـ لا شك ـ في إظهار الجميل والتغطية على القبيح.

كان الشفوف الذي ظهر به أكنسوس في الوسط الثقافي قد تأدى إلى المولى سليمان فاستدناه منه، ثم استكتبه، ثم زادت حظوته لديه فاستوزره عام 1235 والدولة يومئذ تعيش أزمات بالغة الشدة، فكان يعهد إليه بالمهمات الصعاب فيضطلع بها في حسن تأت وكمال كفاية. ولم يطل عهد أكنسوس في الوزارة إذ أدرك المولى سليمان أجله عام 1238 فخلفه من بعده ابن أخيه المولى عبد الرحمان بعهد منه إليه. وبإثر ما بويع المولى عبد الرحمان قدم عليه أكنسوس فأذن له في الدخول عليه، وانبسط له، وساءله في أشياء من أمور الدولة، ثم اتسع معه في الحديث حتى سارّه بأشياء من أموره الخاصة، وحتى شكا له ما رآه من أولاد عمه المولى سليمان حيث نفسوا عليه أن يعهد إليه بالأمر من بعده، ولكن الحاشية لم ترغب في وجوده بينهم، فسعوا به عنده بوشايات وأقاويل لم يصغ إليها العاهل في أول الأمر، ولكنهم دأبوا على المَحْلِ وقلّبوا الأمور حتى أفسدوا عليه قلبه، وأحس أكنسوس بما يدبر ضده فتنحي من تلقاء نفسه قبل أن يصيبه من كيدهم ما يخاف، وقد حكى في الجيش (2 : 3 ـ 5) قصة التآمر عليه، وسمى المتآمرين ضده، وذكر من بينهم صديقه القديم محمد بن إدريس، والمختار الجامعي في آخرين.

اهتم الكاتبون عن أكنسوس بأنه كان وزيرا، وتحدثوا عنه مؤرخا، واعتدوا به شاعرا مجيدا، وكاتبا قديرا، وصنفوه في الأدباء، وذكروه بالباع الطويل في علوم اللسان العربي، وعدوه في الفرضيين والحيسوبيين والمعدلين، ولكن أكثرهم سكت عنه كصوفي كان له أثر بالغ في الدعوة إلى الله بين الخاصة والعامة، والدؤوب على إرشاد الناس زهاء خمسين سنة أو تزيد، لم يَستحسر في ذلك ولم يمسّه فيه نصب ولا لغوب. كان أكنسوس من أتباع الناصرية سيرا على أثر أسلافه الذين كانوا قد دخلوا فيها من عهد شيخها محمد بن ناصر، فلما ارتحل لفاس طالب علم وجد التجانية تملأ دنيا فاس وتشغل ناسها، وكان شيخها التجاني يومئذ ما يزال بقيد الحياة، وكان مقامه إذ ذاك بفاس، فلأجل ما كان يسمعه سماعا فاشيا من الثناء عليه بكل لسان تردد عليه زائرا متبركا، ولكنه لم يأخذ عنه لأن همته كانت منصرفة إلى تحصيل العلم الذي اغترب من أجله. وكان دعاة التجانية يومئذ نشيطين ملحين في اجتذاب الاتباع، وكان أكنسوس وأمثاله من أهل الفضل ممن يعنيهم أن يكونوا في صفوف التجانية، فألحوا عليه في الانضمام إليهم حتى استجاب لهم وما كاد. وما إن انتمى أكنسوس إلى التجانية حتى صار من أحسن الدعاة إليها، ومن أقوى أنصارها المنافحين عنها، وهي إنما انتشرت في السوس بمساعيه الحميدة وعمله الدائب في الدعوة إليها، والتمهيد لها. ومن جده في ترسيخ التجانية وتثبيت أقدامها أن أسس لها بحي المواسين من مراكش سنة 1262 هـ

زاوية ذات بهجة كانت متربى المريدين، ومجمع الذاكرين، ومحجة الزائرين، فلما توفاه الله تولى أمرها ابنه سيدي العربي، ومن بعده حفيده سيدي يوسف، ويقوم بشأنها اليوم نجل حفيده سيدي أحمد بن يوسف أحد شيوخ العلم والتربية بمراكش نسأل الله في أجله وأمتع به.

كان المترجم ذا نزعة صوفية جعلته على استقامة مثالية، وألزمته كلمة التقوى، وألقت عليه سمت الصالحين، وجنبته انحرافات الساسة وباطلهم، مع أنه خاض في شئون وقته خوضا لا يكاد يسلم معه لمن خاض مثله عرض ولا دين إلا بوقاية من الله الذي يعصم من الأسواء. والشيخ الكنسوسي بعيد الغور دراك أريب، مع نقاء طوية وصفاء سريرة، وهو جَدِلٌ قوي العارضة، ناصع الحجة، وهو عف الكلمة، لا يجهر بالسوء ابتداء، ولا يجاري فيه البادئ به، ولكن يجادل بالتي هي أحسن، ويجامل المسيء، ويتلطف به، ويتودد إليه، أخذا منه بآداب الإسلام. إنه يمثل العالم المسلم الذي يحكم الشريعة في أمور الدنيا ولا يحكم الدنيا في أمور الشريعة، دون أن يكون ضيق العطن أو جامدا، يحجر من الأمور ما يتسع له الدين. وكان في خلقه ربعة أسمر البشرة أطلس، والأطلس الذي لا شعر في وجهه. وقد عاش عمره الطويل ممتعا بالسلامة، إلا أنه أصيب في كريمتيه بأخرة من حياته، فتقبل الآفة بعد طول السلامة صابرا محتسبا.

توفي يوم الثلاثاء 29 من المحرم عام 1294 / 14 يبراير سنة 1877، وجعل مدفنه بمقبرة السهيلي وعلى مقربة من ضريحه خارج باب الرب أحد أبواب مراكش القديمة في الجنوب الشرقي منها، وكان يوم دفنه يوما مشهودا.

ترك أكتسوس، آثارا كثيرة، منها : *الأجوبة التونسية*، *وتأليف في علم الكيمياء*، *وتحقيق القاموس المحيط*، *وتصحيح الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم*، *والجواب المسكت*، كتبه دفاعا عن الطريقة التجانية وردا على الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار البكاي فيما قاله بشأنها وشأن شيخها. طبع بالمطبعة التونسية الرسمية عام 1307 هـ في زهاء 40 صفحة من قطع الوسط ثم طبع ثانية بالجزائر سنة 1913 *والجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي*، كتبه بإشارة من السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن وبتأكيد من وزيره أبي الثناء محمد الطيب بن اليماني. يوجد *الجيش* مخطوطا في عدة مكتبات عامة وخاصة. وطبع على الحجر بفاس بتصحيح عبد الكريم بن العربي بنيس عام 1336 هـ. *وحسام الانتصار في وزارة بني عشرين الأنصار*، *والحلل الزنجفورية في أجوبة الأسئلة الطيفورية*، طبعت *الحلل الزنجفورية* بالمطبعة التونسية الرسمية سنة 1312 هـ في زهاء 60 ص. من القطع الوسط. *وخمائل الورد والنسرين في بيت أبناء عشرين*، *والديوان*، *والرسائل*، *ورسائله إلى الوزير محمد العربي الجامعي* في مجموع خاص. وشرح على قصيدة *الزياني في مسألة قطع الفتوى بفاس ونواحيها*. وطرر على الكتب، *وكناش*، ذكره أحمد سكيرج في الربع الأول في *رفع النقاب* (ص. 171)، *والمقامة الكنسوسية*، وهي مقامة طويلة النفس تتألف من 475 قرينة تتخللها أشعار عدة أبياتها 84 بيتا.

ل. شيخو، *الآداب العربية في القرن التاسع عشر*، 1924، 2 : 23-24 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف* ؛ م. ابن الموفق، *السعادة* ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 7 ؛ ع. گنون، *ذكريات مشاهير المغرب* (العدد 4) ؛ ع. المشرفي، *الحسام المشرفي*، مخطوط ؛ م. السرغيني، حديقة *الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار*، مخطوط ؛ أ. سكيرج، *رفع النقاب بعد كشف الحجاب عمن تلاقى مع التجاني من الأصحاب*، ط. تطوان، (الربع الثاني) ؛ أ. الشنقيطي، *روض شمائل أهل الحديقة في التعريف بأكابر أهل الطريقة*، مخطوط ؛ م. غريط، *فواصل الجمان* ؛ ع. الرندة، *الكتابة و الكتاب*، ط. فاس، 1922 ؛ ل. بروفنسال، *مؤرخو الشرفاء* ؛ م. السائح، *المنتخبات العبقرية*، ط. الرباط، 1920 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ م. الأخضر، *الحياة الأدبية*.

أحمد الشرقاوي إقبال

أكنُول، دائرة من دوائر إقليم تازا، تقع في قلب جبال الريف الشرقية وتضم الجماعات القروية والحضرية التالية : جماعة أكنول القرية التي يبلغ عدد سكانها حسب إحصائيات 1982، 18.999 نسمة. وجماعة أكنول الحضرية : 2052 نسمة، وجماعة أجدير : 23.636 نسمة. وجماعة تيزي وسلي : 23.840 نسمة. وجماعة مزكتان : 16.232 نسمة.

تتميز هذه المنطقة الجبلية بصعوبة المسالك وقلة المواصلات، وتشتت السكان وتنقلهم المستمر، إما داخل الدائرة نفسها أو إلى أبعد من ذلك، حيث الهجرة الداخلية مرتفعة جدا في بعض الحالات. ولعل عدم توفر المساحات الأرضية الصالحة للزراعة، والاعتماد على التشجير ومنتجاته من لوز وزيتون هو الذي يفسر أسباب هذه الهجرة. وتبقى أهم الموارد الاقتصادية التي يعتمد عليها سكان المنطقة، ومداخيل العمال المهاجرين ومعاشات قدماء المقاومين ورجال جيش التحرير.

تحتل هذه الدائرة، بجماعاتها الخمس مكانة ملحوظة في تاريخ المغرب المعاصر. فسكانها وقفوا بجانب المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي حينما أعلن جهاده ضد الاحتلالات الإسباني والفرنسي (انظر أجدير) كما أن قبائل هذه الدائرة احتضنت ثورة فاتح أكتوبر 1955 حيث اندلعت من جماعات أكنول، وبورد، وتيزي وسلي، وأجدير، مما عرّض القبائل الريفية إلى الاضطهاد والقهر من طرف الجيوش الفرنسية، وقد أبلت هذه القبائل البلاء الحسن، وضحت بكل صدق وشجاعة بالمال والنفس في سبيل تحرير البلاد وعودة المغفور له محمد الخامس من المنفى إلى العرش.

وقد سمّت السلطات الاستعمارية هذه المنطقة، نظرا

لبطولاتها وجهادها "بمثلث الموت" تقصد به جماعات أكنول، وتيزي وسلي، وأجدير.

تتميز المنطقة بأسلوب عيشها وبأسواقها الأسبوعية وبمحافظة سكانها الريفيين على عادات وتقاليد قبائلهم التي تعد جزءا من التراث الوطني. كما تتوفر المنطقة على عين للمياه تعرف سابقا بالعين "الحمراء"، ثم سماها محمد الخامس عين الرحمة.

ع. بنعبد الله، *الموسوعة المغربية*، 2 : 39 ؛ ع. الدوائري وع. الذهبي، م. غورضو، *مقالات في مجلة المقاومة وجيش التحرير*، معلومات عن الإقليم من عمالة تازا ودائرة أكنول.

Encyclopédie d'outre - Mer, nov. 1955, p. 480 (*Aknoul*) ; Direction du Plan, *Etude d'identification du projet directeur de la planification, province de Taza*, Rabat 1976.

مبارك زكي

إكنيون ← **ورزازات** (إقليم ـ)

أگوالْ، على وزن أفعّال ـ بتشديد العين ـ وتنطق أحيانا في بعض جهات المغرب مثل جهة عبدة : "گوّالْ"، على وزن فْعّال ـ بتشديد العين ـ وتنطق أحيانا في بعض جهات المغرب مثل جهة عبدة : "گوال"، بتخفيف العين، وتسمي عند الأمازيغيين أگوَالْ (بتخفيف، حركة الواو) حاول البعض أن ينسب هذا الاسم إلى التجوال (مصدر) معتمداً أن آلة الإيقاع المسماة بهذا الاسم كانت رفيقاً لبعض الشعراء الذين تجولوا عبر القبائل والأحياء ينشدون شعرهم الزجل (الرباعي) وقد كثر عددهم منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري خاصة في السهول الأطلسية وما يقابلها من هضاب، إلا أن ذلك بعيد والقريب هو نسبة التسمية إلى (القول)، فيكون (گوال) إذ استعمل كمصاحب للقول. فمايزال القوالون من شعراء وأصحاب ثنائيات dialogue وأفراد monologue يعتمدون آلة إيقاع أو آلة وتر. كوسيلة لاستلفات الانتباه قبل الإدلاء بالقول جريا على ما تعود حتى في الحضارات القديمة حيث كان يسبق الإعلام أو الإخبار بدقات طبول.

فأگوال آلة إيقاع عربية الأصل، من طول متراوح بين 35 و40 سم أسطوانية مشدودة وسط المسافة ضيقة مخرج الصوت، ذات قاعدة بين10 و 15 سم يشد عليها جلد خروف أو ماعز وهو الأفضل. دخلت المغرب في القرن السابع الهجري مع العناصر الهلالية إلى جانب آلات إيقاعية ونفخية منها (الليرة) والهراج وهو آلة إيقاع استعملت لمصاحبة الذكر الصوفي الذي كان يروى على إيقاع (أَقْلاَّل) والهرّاج أضخم وأوسع، واستمد اسمه من الضجة التي يحدثها. ونجد إضافة أداة التعريف الشلحية إلى الاسم هي من فعل الأمازيغ المغاربة كما وقع في (أنشاد) و(أعلام) بالنسبة للمنشد والمشرف الموجه في رقصات أحواش بحوض السوس ومن يدخل في حزامه، والصحيح (الگوال).

والدليل على أن (أگوال) أداة عربية هو استعمالها مصاحبة للغناء العربي فقط، كما عند قبائل هوارة قرب أولاد تايمة بسوس وكما في العيط والغناء الحوزي مع تعديل في الطول حيث يكون أقصر ويعرف بالتعريجة. ولايظهر في أحيدوس وأحواش سوى لدى قبائل تَسْگوِينْ بجبال أطلس مراكش لكن في شكل مغاير وأقصر جدا يعتبر طبلة لا تستعمل للمصاحبة بل لتنشيط الرقصة الحربية وتحريكها. وأگوال، إيقاعي يعطي جميع حروف الإيقاع من (دومة) و(سيكا) وما يتوسطهما. ويمكن الموقع البارع من (تزويق) الإيقاع به حسب ما يشاء.

محمد أبو حميد

أكوتام، اسم لجبل بالأطلس الصغير، وينطق محليا لدى سكان قبيلة أيت حَامْد : أكوسام بالسين عوضا عن التاء وهو مجرد تحريف في النطق، ونعرف على الأقل ثلاثة مواقع متقاربة في الاسم مع "أكوتام" وهي "كتامة" المشهورة في شمال المغرب بجبال الريف، و"قصر كتامة" وهو الاسم القديم للمدينة التي تدعى حاليا القصر الكبير، وأخيرا "گرْجْ كْسَامة" وهو في التخوم المغربية من موريطانية كما ورد في كتاب *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*.

ويهمنا أكوتام الموجود بالأطلس الصغير، وقد زرت المنطقة التي يقع فيها شرق مدينة تيزنيت بقبيلة رسموگة غرب قيادة أنزي، وتبلغ أعلى قممه 541 مترا، ويطل جبل أكوتام على وادي تادرت الذي ينحدر نحو قريتي "بُوتُورگي" و"تُوسْلاَنْ"، ويحده شمالا الوادي المذكور، وجنوبا مدشر "أگريز"، وشرقا مدشر "أنْزَاضْ" وغربا مدشر "تُوسْلان" ومزارعها.

أكوتام، (منجم) يوجد بهذا الجبل " منجم أكوتام " وهو منجم قديم تستخرج منه الفضة، وقد انتبهنا إلى هذا المنجم بسبب وجود قطعة نقدية تدعى الموزونة "الكتاميًة" أو "تَاكُوتَامْتْ" يكثر ورودها في النوازل الفقهية السوسية، وقد سميت بذلك لأنها كانت تصنع من الفضة المستخرجة من منجم أكوتام.

لقد اشتهر هذا المنجم منذ القرن السادس عشر، ومازال السكان يعرفون الجبل باسم جبل المعادن ومع ذلك فقد صادفنا عسرا في تحديد موقعه وإثبات أنه منجم للفضة.

ويبدو أن هذا المنجم هو الذي يعنيه صاحب كتاب *وصف إفريقيا* عندما تحدث عن منجم للفضة بجبال إيلالن دون أن يحدد موقعه بالضبط، وهذا الإبهام هو الذي جعل أغلب الكتاب يجتهدون لمحاولة تحديد موقعه، فقد ذهب روزان بيرجي (Rosenberger) إلى أن المنجم الذي يتحدث عنه الحسن الوزان يوجد في منطقة هلالة الحالية مابين تارودانت وتافراوت، ويعتقد أنه منجم " تَامجُّوط " في منطقة تالوين، أما أوسطاش (Eustache) فيرى أن هذا المنجم يوجد بين جبال هلالة غير أن موقعه يعتبر مجهولا، وحينما مر الرحالة الإنجليزي جاكسون (Jackson) في نهاية القرن 18 م تعرض للحديث عن منجم للفضة بجبال إيلالن في هشتوكة وهذا الموقع أقرب ما يكون إلى منجم أكوتام، وذكر أن

خصام السكان حول معدنه أدى إلى تعطيله، وأن فضته أصفى من فضة الريال الإسباني.

وهكذا لم يذكر أحد اسم منجم أكوتام صراحة باستثناء الإشارة التي أوردها جوستنار (Justinard) في كتابه عن إمارة تازروالت ولكنه اكتفي بمجرد الإشارة.

ولم يرد هذا الاسم في مختلف الخرائط التي نشرت ما بين سنتي 1934 ـ 1971 وقد اطلعنا على مجموع الملفات الموجودة بقسم البيبليوغرافية والمصادر الغميسة بوزارة الطاقة والمعادن عن جيولوجية المنطقة دون جدوى.

وقد ظهر مؤخرا اسم منجم أكوسام على خريطة جديدة لم تنشر إلى الآن وقد أنجزتها مديرية الجيولوجيا حول الرواسب المعدنية بالمغرب سنة 1980 بمقياس 500.000 / 1 ورد فيها منجم أكوسام تحت رقم 352 على أنه يحتوي على معدن النحاس مما يخالف ما تؤكده الوثائق المحلية من كونه يحتوي على معدن الفضة، ولعل مافيه من عروق الفضة وقع نضوبها، وهذا مما يحتاج إلى مزيد من البحث. ومن الوثائق التي تؤكد وجود الفضة في هذا المنجم إحدى فتاوي العلامة ابن عبد السميح (تـ. 1669 م) وهو من سكان هذه الناحية وقد وردت له هذه الفتوى ضمن "نوازل البرجي" حيث يقول : "ومعدن أكوتام من معادن الفضة ولا عبرة بما فيه من الرصاص لأن الحكم للغالب".

وبعد هذا كله استطعنا اعتمادا على تراكم وثائقي تحديد هذا المنجم على خريطة تافروت مقياس : 200.000 / 1 بين إحداثيي : ص 307 وس 111. وأنه كان مشهوراً بمعدن الفضة في الفترة بين القرن 16 م ونهاية القرن 18 م.

أكوتام، (العملة الكتامية)، ففي منتصف القرن السابع عشر كان بودميعة : أبو حسون السملالي الذي أنشأ الإمارة السملالية، يستغل منجم أكوتام في تأسيس دار لضرب السكة في الفترة مابين نهاية العهد السعدي والمرحلة الأولى من تأسيس الدولة العلوية حينما تقاسمت البلاد عدة إمارات حاولت كل منها أن تضفي على نفسها مظاهر السلطة والملك ، وبالخصوص قيامها بضرب السكة، فكما قامت الإمارة الدلائية بضرب نقودها في فاس كذلك فعلت الإمارة السملالية بجبل أكوتام بسوس . ورغم أن الوثائق لم تفصح عما إذا كان صنع النقود يتم في عين المكان أو يتم في حاضرة إيليغ عاصمة أبي حسون، فإن بعض الوثائق وبعض الأهازيج الشعبية تحتفظ بذكر بودميعة وسكته الكتامية وتسميها أحيانا "سكة مولانا علي بن محمد" كما في وثائق مدرسة أزاريف.

وكانت السكة الكتامية ترد في مختلف الوثائق والتقاليد والنوازل السوسية، تذكر صرفها كما تذكر أوزانها، ففي رسالة عن السكة لعمر بن عبد العزيز الكرسيفي أن هناك نوعين من الموزونة الكتامية :

ـ الموزونة الكتامية الأولى (الكبيرة) وتزن 27 حبة من حبوب الشعير وقد اجتهدنا في استخراج وزن حبة الشعير السوسية وتساوي 0,04411 غراما وبذلك تزن القطعة الكتامية 1,19 غراما من الفضة.

ـ الموزونة الكتامية الأخيرة (الصغيرة أو العباسية) 12 حبة من حبوب الشعير وتساوي 0,35 غ ولم نقف على مدلول العباسية باستثناء ربط الاسم بمكان شرق منجم أكوتام يدعى أيت عباس، ولم نذّخر جهدا في البحث عن قطع النقود الكتامية دون نتيجة ولعل ذلك يعود إلى المصير الذي لاقته الإمارة السملالية على يد السلطان مولاي رشيد سنة 1670 م حيث انكتم أمر الأسرة السملالية لقرابة قرن من الزمن، قبل أن يظهر أحفادها من جديد .

ونؤكد أن النقود الكتامية لم يقع رواجها في المناطق الشمالية من المغرب، ومع ذلك نجد مؤخرا في الكتاب الهام الذي أصدره بنك المغرب حول المسكوكات العلوية على يد السيد دانيل أوسطاش (D. Eustache) تأويلا يتعلق بالنقود الكتامية من حيث التسمية ودار الضرب وصاحبها، وهو تأويل موهوم ورد ضمن الشروح التي أضافها أوسطاش لرسالة عمر بن عبد العزيز الگرسيفي بعد ترجمتها بمعية السيد محمد العلاوي وهي ملحقة بالكتاب المذكور. فقد نسبت الموزونة الكتامية إلى دار الضرب القائمة بقصر كتامة ـ كمانسبت إلى الباشا أحمد بن علي الريفي في عهد مولاي المستضيء بن السلطان مولاي إسماعيل العلوي . وينطلق هذا التفسير من مجرد التقارب الموجود بين اسم كتامة والكتامية، ومن الأحداث الدائرة حول قصر كتامة، وقرية كتامة بالريف في الفترة القريبة من تاريخ تأليف الگرسيفي. ويظل هذا التفسير مجرد اجتهاد من قبل أحد خبراء المسكوكات الإسلامية، ونؤكد زيادة على ما أوردناه عن حقيقة هذه النقود وانتسابها إلى منجم أكوتام، أنها لم ترد في أية وثيقة من الوثائق بشمال المغرب وأنها إنما راجت بسوس في الفترة مابين نهاية الدولة السعدية وقيام الدولة العلوية وقد احتفظت بها التقاليد والنوازل الفقهية بسوس لحل المشاكل التي تتضمنها عقود الناس خاصة منها عقود الرهن والديون.

أ. ابن الحاج أحمد بن حمدون، *الدر المنتخب*، مخطوط، خزانة معهد تارودانت رقم م 36 ، 267 ؛ ع. أفا، *مسألة النقود في تاريخ المغرب*، طبع 1988، 283، 298، 318 ؛ ب. محمد السملالي، *نوازل البرجي*، (مخطوط خاص) ؛ م. حجي، *الزاوية الدلائية*، طبعة 1964، 212 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، ط 1962، 16 : 169 ؛ *إليغ قديما وحديثا*، طبعة 1966، 42 ؛ أ. الشنقيطي، *الوسيط في تراجم أدباء شنقيط*، ط 1961، 451 ؛ ع. الگرسيفي بن عبد العزيز، *رسالة في أوزان النقود*، الخزانة الحسنية رقم 1877 ؛ م. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 13 ؛ م. الوزان الفاسي، *وصف إفريقيا*، (تحقيق حجي والاخضر) 1 : 96 ؛ *خريطة الرواسب المعدنية بالمغرب*، قسم الجيولوجيا، وزارة الطاقة والمعادن، انجاز 1980 (غير منشورة) مقياس 1/500.000 ؛ *وثيقة مدرسة أزاريف عن استغلال معدن أكوتام*.

D. Eustache, *Corpus des monnaies alawites*, collection de la Banque du Maroc, Rabat, 1984, T.1, pp. 585 - 623 ; C. Jackson,

Account of the Empire of Morocco and the districts of Suse and Tafilalet, London 1968, p. 127 ; Justinard (colonel), *Le Tazeroualt, un saint berbère : Sidi Ahmed ou Moussa*, Paris 1954 pp. 52-53 ; B. Rosenberger, *Les vieilles exploitations minières et les centres métallurgiques du Maroc* (R.G.M) nº 17 p. 81.
عمر أفا

أگودار ← مراكش (إقليم ـ)

أگوديم ← خنيفرة (إقليم ـ)

أگُورَايْ، قصبة تقع على بعد 25 كلم جنوب مدينة مكناس، وتنتمي إلى الدير الشمالي الذي يشكل منطقة اتصال بين مرتفعات الأطلس المتوسط في الجنوب وهضبة مكناس في الشمال. وقد شكل هذا النطاق ـ كما هو الحال بالنسبة لنطاقات الدير بالمغرب ـ ميدانا لتبلور علاقات متباينة حسب الفترات التاريخية، بين الجماعات المتوطنة أو العابرة لهذا المجال، وبين هذه الجماعات والسلطة المركزية. وهكذا فإن قصبة أگوراي التي نشأت في ظل الصراع بين المخزن والقبائل كثكنة مخزنية، والتي فقدت هذا الدور بمجيء الحماية، صارت تبحث لنفسها عن دور جديد، بعد التحولات العميقة التي شهدها دير الأطلس المتوسط منذ بداية القرن.

قصبة أگوراي الإسماعيلية

تُشَكّل قصبة أگوراي موقعا عسكريا أساسيا ضمن الحزام الثالث من القصبات التي شيدها المولى إسماعيل حول مدينة مكناس بهدف تدعيم سلطة المخزن بأحواز المدينة والمناطق الجبلية المجاورة. فإذا كان الحزام الثاني يشكل خطا دفاعيا ثانيا وسكنا لبعض الشرفاء العلويين (قصبة بوفكران، قصبة حرطان، قصبة المنزه...)، فإن الحزام الثالث يقع مباشرة عند مشارف الأطلس المتوسط، (منطقة الدير) ويتشكّل هذا الحزام الأخير من قصبات اگوراي والحاجب وإيموزار بالإضافة إلى القلاع التي شيدها المولى إسماعيل خلال حملته ضد أيت يوسي وأيت سغروشن سنة 1096 هـ (قلعة واد گيگو، قلعة وطواط...).

ويعتبر دير أگوراي من المجالات التي يصعب فيها تتبع حركة الاستقرار بسبب حركية السكان ـ التي ترتبط بسيادة النشاط الرعوي ـ ثم قلة المصادر التي تناولت حركة السكان في هذا المجال، باستثناء الكتابات التي تتبعت حملات المخزن ضد القبائل الثائرة، وبعض الروايات الشفوية التي سَجّلها الفرنسيون خلال السنوات الأولى للحماية. وتشير الوثائق إلى أن دير أگوراي كان في بداية القرن السابع عشر مجالا للنزاع بين قبائل گروان وبني مطير وبني مگيلد، كما أن أول تجمع بشري كان عبارة عن قرية تتشكل من "نوايل" متناثرة على جوانب وادي الرحا (قرب القصبة الحالية)، وفي بداية عهد المولى إسماعيل تعرضت القرية لوباء أتى على معظم سكانها، في حين التحقت البقية بالقصبة التي شيدها السلطان بعين كرمة، بعيدا عن التجمع الأصلي، لتكون ثكنة لعناصر البواخر، وقاعدة الانطلاق لمواجهة القبائل المناوئة بالأطلس المتوسط وخاصة بني مگيلد وأيت يوسي وأيت سغروشن، التي تشكل العمود الفقري لحلف إدْرَاسَن. وبالرغم من صغر حجم القصبة ـ حيث لا تتعدى مساحتها 1,2 هكتار ـ فإنها استقبلت عناصر سكانية جديدة : أسر مطيرية وگروانية، بالإضافة إلى الأسرى الأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام (العلوج) وقد استقروا على دفعات متوالية، منذ القرن السابع عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر (كانت آخر دفعة تتشكل من الأوربيين الذين أسروا بقلعية ما بين 1828 و1831. وقد اندمجت هذه العناصر لتكون الأساس السكاني للقصبة.

تطور القصبة : من الثكنة إلى المركز الحضري : يمكن التمييز على أساس التطور الوظيفي والتوسع المجالي لمركز أگوراي بين ثلاث مراحل :

ـ المرحلة الأولى وتمتد حتى أوائل عهد الحماية : لم تسجل القصبة على مدى ثلاثة قرون أي توسع خارج الأسوار، بسبب تدهور الظروف الأمنية ـ فقد كانت تعيش حالة حصار شبه دائم ـ وافتقارها لأساس اقتصادي يضمن نموها وتوسعها، حيث كانت تعتمد أساسا على الإعانات التي تتلقاها من المخزن مقابل الخدمات العسكرية، بالإضافة إلى فلاحة ضئيلة المردود وبعض الحرف التقليدية (صياغة الحلي). وكانت مرافق القصبة تنحصر في المسجد الكبير، الذي استكمل بناؤه في عهد السلطان محمد بن عبد الله، والكتاب الملحق بالمسجد، والزاوية العيساوية التي كان ينخرط فيها معظم السكان.

ـ مرحلة الحماية : أدى الاحتلال الفرنسي لمنطقة السايس (1912) والدير الشمالي للأطلس المتوسط (1914) إلى حدوث تحولات مجالية هامة شملت جميع المستويات.

ـ على المستوي الاقتصادي : أدى استحواذ المعمرين والأعيان على أخصب الأراضي الزراعية بقطاع وادي الرحا إلى تقلص الرصيد العقاري للقصبة وتحول نسبة هامة من السكان إلى عمال فلاحين لدى المعمرين (ضيعات أيت يَعْزَم بالخصوص).

ـ على المستوى الوظيفي : فقدت القصبة دورها كثكنة مخزنية لتتحول إلى مركز قروي تابع لجماعة گروان الجنوبيين.

ـ على مستوى التوسع : شهدت هذه الفترة ظهور بعض الأنوية السكنية خارج الأسوار (دوار عميمي، دوار

الصحراوي...)، غير أن النمو الديمغرافي للمركز ظل محدودا (832 نسمة سنة 1915 و1898 نسمة سنة 1960).

ـ مرحلة الاستقلال : تميزت هذه المرحلة أساسا بتوسع الأنشطة التالية (قطاع التجارة والخدمات) وتراجع الفلاحة كأساس اقتصادي للقصبة. كما حظى المركز على مستوى التنظيم بتصميم للنمو، لتوجيه توسعه المجالي وهو التوسع الذي اشتدت وتيرته منذ أوائل السبعينيات. وبموازاة ذلك شهد عدد السكان تزايدا مطردا نتج أساسا عن الهجرة، حيث انتقل هذا العدد من 3047 نسمة سنة 1971 إلى 4930 نسمة سنة 1982 (بزيادة سنوية بلغت 5,6٪).

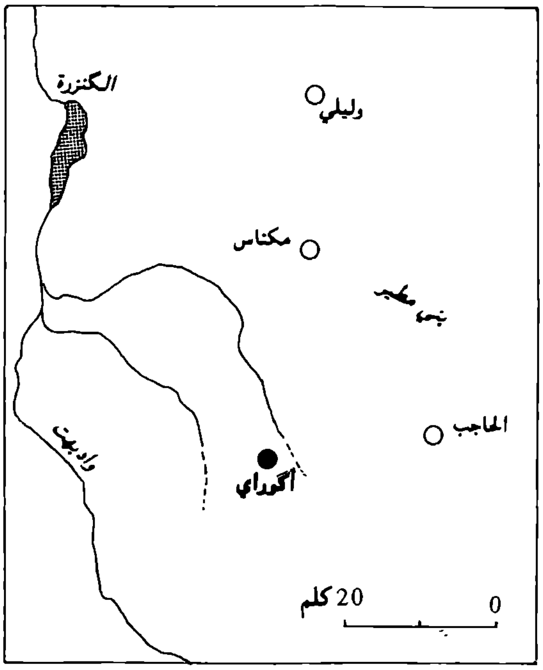

أكوراي

وكنتيجة لهذه التحولات بدأ المركز يفقد طابعه القروي ليتخذ صفة المركز الحضري، وقد تعززت هذه الصفة بالأساس بفضل تدعيم الدور الإداري والتأطيري لأگوراي كمقر لقيادة گروان الجنوبيين، وكمركز يضم أهم التجهيزات الاجتماعية بالقيادة (ابتدائيتين، إعدادية، مركز صحي، مركز بريدي...).

أ. الناصري، *الاستقصا*، 7 : 68 ؛ ع. ابن زيدان، *العز والصولة* ؛ *إتحاف*، 1 : 170 ـ 176 ؛ م. اللحية، *الحياة الاقتصادية بمدينة مكناس في القرن التاسع عشر* ؛ ع. اكنينح، *آثار التدخل الأجنبي*؛ ح. جنان، *ميكانيزمات ومظاهر تحول العالم القروي*، مجلة كلية الآداب بفاس، ع. 1 : 109 ـ 151 ؛ *الخرائط الطوبوغرافية لمكناس والحاجب وأگوراي* ؛ وزارة السكنى، *تصميم النمو لمركز أگوراي* 1/2.000.

Abés, *Monographie d'une tribu berbère, les Ait Ndhir (Beni M'tir)*, in A. B., 1917, Ve, p. 149 ; E. F. Gautier, *Le Moyen Atlas*, Hesp., 3e trim. 1925, pp. 251-264 ; P. H. Koehler, *Quelques points sur les captifs chrétiens de Meknès*, Hesp., tome 8, 1928 ; P. Olivier, *Répartition des tribus et de la propriété dans la banlieue de Meknès*, BESM, 1936, pp. 271-275 ; J. Célérier, *L'économie montagnarde dans le Moyen Atlas*, RGM, nº 1, 1939, pp. 57-67 ; F. Joly, *Place des pays de piémont dans la vie économique et humaine du Maroc*, Notes marocaines, nº 13, 1960, pp. 97-102 ; M. Kerbout, *Les périmètres irrigués du "Dir" moyen atlassique septentrional*. D.E.S. 1981 ; *La mutation des structures agraires dans les périmètres irrigués du Dir moyen - atlassique septentrional, aspects et mécanismes*, RGM, nº 7, 1983, pp. 89-109 ; *Atlas de Sebou*, Cartes + Notices ; M.A.R.A, *Projet de développement intégré de la région d'El Hajeb (Commune du Dir)*. D.P.A, Meknès.

عبد الرحمان رحو

أگـــوز، عاصمة منطقة رجراجة في العهد الموحدي. تقع على الضفة اليمنى لنهر تانسيفت، على بعد حوالي عشرة كلمترات من المصب، قبالة قلعة حميدوش ببلاد الشياظمة. وصفها البكري ومؤلف كتاب *الاستبصار* بميناء أغمات. ويبدو أن تراجع أگوز بعد القرن الثاني عشر يعود إلى الصعوبات التي تواجهها السفن المستعملة للنهر بين الميناء والمصب (*الاستبصار*، 207). لذا سرعان ما هجرت السفن أگوز التي عوضتها أسفي كمنفذ لمنتجات دكالة والحوز. وهكذا لم يُثر حصن أگوز انتباه الوزان الذي لم يشر إليه. كما لم تتعرض له كتب الرحلات البرتغالية والإسبانية التي ازدهرت في نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر، والتي أولت عناية خاصة للساحل المغربي. إلا أن أگوز لم تندثر. فقد كانت في بداية القرن السادس عشر محصنة وآهلة، أقطعها الملك البرتغالي لأول قبطان في أسفي سنة 913 / 1508، غير أنه لم يستقر بها لوقت قصير إلا سنة 921 / 1515. وذكر الإخباري البرتغالي أگوز ضمن القرى الخاضعة للبرتغاليين، والتي كانت تدفع لهم ضريبة سنوية. وكان صحن أگوز يكتسي بالنسبة لهؤلاء أهمية استراتيجية قصوى، خصوصا بعد استقرار السعديين بالشياظمة (918 / 1513). فقد أصبحوا يتوخون من التحكم فيها مراقبة منطقة الشياظمة، ومنع الشرفاء السعديين من تجاوز تانسيفت والاتصال بعبدة التي كانت آنذاك أهم حلفائهم بدكالة. ولتحقيق هذا الهدف أرسل قبطان أسفي خمسين فارسا للإقامة بأگوز (1515). إلا أن سكانها أخلوها حين دخول محمد البرتغالي إلى دكالة سنة 924 / 1518. وهكذا بقيت قرية أگوز فارغة إلى أن مر بها مارمول (2 : 110).

ويبدو أن تغير الأوضاع السياسية بدكالة لصالح السعديين بعد قتل أكبر قبطان بأسفي سنة 922 / 1516 ويحيى أو تعفوفت (923 / 1518)، ووصول النفوذ السعدي إلى أسوار أگوز دفع المسؤولين البرتغاليين إلى إعادة النظر في الأدوار التي يمكن أن تلعبها أگوز للحفاظ على المكتسبات البرتغالية. فخلال سنة 925 / 1519 درس البلاط البرتغالي مشروع تحصين كل من أگوز وسگياط للحد من النفوذ السعدي. وفي نهاية الأمر تقرر التخلي عن الموقع القديم لأگوز وبناء قلعة على الساحل احتفظت بنفس الاسم، وهو الحصن المعروف اليوم بـ "الصويرة القديمة". وشيد هذا الحصن على مرتفع صخري صغير يحيط به البحر من جهتين سنة 926 / 1520. غير أن الحصن سرعان ما أصبح بدوره عرضة لهجمات المجاهدين الذين ضربوا حصارا حوله

وحرموا حاميته من مياه العيون التي كانت تعتمد عليها في شربها. وأمام عجز لشبونة عن تزويد الحصن بما كان في حاجة إليه من أقوات وعتاد وأموال، تم التخلي عنه سنة 931 / 1525.

أ. البكري، *الاستبصار* ؛ أ. بوشرب، *دكالة*.

P. de Cénival [et al...], *S. I. H. M*, Série sa'dienne, Portugal, tomes 1 et 2 ; B. Rosenberger, *Note sur Kouz, Un ancien port à l'embouchure de l'Oued Tensift*. H.T., 1967, vol. III. fasc. unique.

أحمد بوشرب

إكُونْكَا، اسم مجموعة بشرية صغيرة (حوالي 350 كانون في بداية القرن العشرين)، تنتمي إلى اتحادية «أشْتُوكْنْ» أو هشتوكة الواقعة أراضيهم جهة الجنوب من مدينة أگادير.

أما أراضي «إكونكا» بالذات، فتقع جنوب مدينة «بُويْگْرا» وتمتد على منطقة هضبية بين الأطلس الصغير وسهل سوس. ويحدها «إيداوگاران» من الجنوب و«إيمْشْگيگيانْ» من الشرق، و«تاسْگْدْلْتْ» من الشمال، و«إداوْمحمّدْ» وإداوْمْنُّو» من الغرب.

وبخصوص المعنى اللغوي لكلمة «أكْنْكُو» في المفرد، وجمعها «إكُونْكَا»، فإننا لم نتمكن مع الأسف من التعرف عليه وتحديده الآن، اعتمادا على ما هو مكتوب من كتب اللغة.

إن موقع بلاد «إكُونْكَا» عند ملتقى الجبل والسهل، أثر كثيرا على مجرى حياتهم السياسية والاقتصادية. إذ جعلهم ذلك على الدوام بين أخذ ورد بين جاذبية السهل والسلطات التي تتحكم فيه، وضغط الجبل المائل إلى الاستقلال والتملص من سلطة المخزن التي تسود عادة في المناطق السهلية.

وقد تورطوا أكثر من غيرهم من سكان "الدير" نظرا لوجود واحد من أهم المسالك الطبيعية التي تخترق الأطلس الصغير الغربي من شماله إلى جنوبه، انطلاقا من أراضيهم.

هذا الطريق يبتدئ من «إمي مْقُّورْنْ» أو المدخل الكبير، عند الحدود الغربية لأرضهم ويمر ببلادهم ليؤدي إلى أيت بَاهَا وأيت مْزالْ ثم إلى إداوْسْمْلالْ وأمانوزْ حتى تامانارْتْ...

ومنه تمر حركات المخزن عند الضرورة في اتجاه الجبل، وإليه ينتبه الجبليون ليتحكموا فيه درءاً لحملات المخزن العسكرية.

هذه الوضعية التي تعرضهم للضغوط الآتية من السهل والضغوط الآتية من الجبل، والتي تتكرر دوريا حسب ما يقع من تغييرات على مستوى السلطة المركزية - بالإضافة إلى عوامل أخرى - اضطرتهم إلى البحث عن وسائل ناجحة، تقيهم من خطر الفناء في زمن الأزمات. ومن هذه الوسائل مؤسسة أگادير أو حصن الجماعة، والمعروف باسم «أگادير نْ - إكُونْكَا». (انظر مادة أگادير).

لقد تأسس هذا الحصن في أواخر القرن السابع، في أعلى منطقة من بلاد إكونكا وهي المسماة «أزيلالْ»، وهي التي توجد فيها أقدم قري إكونكا مع المدرسة والسوق واختيار هذا الموقع راجع بالطبع إلى أسباب أمنية. ومعلوم أن منطقة سوس عرفت في نهاية القرن السابع عشر وبداية الثامن عشر اضطرابات كثيرة بسبب الثائرين على السلطان من أفراد عائلته وأبنائه.

ومنذ تأسيسه إلى نهاية القرن التاسع عشر، أدخلت عليه تعديلات متوالية قصد توسيعه وتحصينه. ويبدو أنه كان في البداية ملكا لثلاث مجموعات فقط، هي : أيت باحْمانْ وأيت صيصا وأيت مْشْراكْ، ثم انضم إليهم بعد ذلك أيت واراحْمانْ، وهذه المجموعات تكون نصف «قبيلة» إكونكا.

وفي بداية القرن التاسع عشر، بدأ الحصن يحمل اسم "أگادير نْ - إكونكا" بعد أن كان يسمى في الوثائق التي كتبت قبل التاريخ المذكور "حصن بني باحمان" وفي نفس الوقت التحقت المجموعات المكونة للنصف الآخر من "إكونكا" بالمشاركين في الحصن. وبذلك أصبح مؤسسة يستفيد منها مجموع سكان «القبيلة».

وحتى تكون مؤسسة أگادير المركز الموحد للجماعة، والمكان الآمن لممتلكاتها وأسباب عيشها، والملجأ الحصين لها حين تداهمها المخاطر، أحاطها المستفيدون منها بهالة من الاحترام والوقار، كما وضعوا قانونا يعتمد في تسييرها وفي حل ما قد يعرض من مشاكل ونوازل أثناء ذلك. كما كونوا مجلس «إنفْلاسْ». الذي يسهر على تنفيذ القانون وتأويله، وقد يضيف إليه عند الضرورة بعض البنود التي تستلزمها المستجدات من القضايا. وهذا المجلس يتجدد كل سنة، ولا يشارك فيه إلا ذوو السمعة الطيبة والأخلاق المحمودة من علية القوم.

R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : L'Agadir des Ikounka*, Hesp., tome IX, Année 1929, 2 - 3e trim., pp. 145-266.

صدقي علي أزايكو

إگِيدْرْ، يطلق الاسم في الشلحة على الصقر، وقد سميت به فرقة من قبيلة أيت زلطن الحاحية، واشتهرت عندما عينت إدارة الحماية الفرنسية أحد أولادها قائدا على قبيلة أيت زلطن وأيت عيسى وهو القائد محمد السيد أزلطن، وبعده ابنه القائد المختار بن محمد السيد الزلطني الذي تولى القيادة عام 1340 / 1921. ومن خلفائه على قبيلة أيت عيسى القائد أحمد إگادْرْنْ الذي تولى عام 1340 هـ كخليفة لعمه على هذه القبيلة، فشدد عليهم في الحكم حتى ثاروا عليه ذات يوم ورموه بالبارود، فقتل أحد رفقائه دون أن يصاب هو بشيء. ومن أعماله بإگي مهند الذي هو مركز حكمه بناء حصن وبجانبه رياضه البديعة التي حشد لبنائها جميع عمال وصناع القبيلة، وكان مولعا بالتدخين والفساد، وله في التدخين ذوق خاص مع بعض سماره، وأدى ذلك إلى أن دس له فيه بعض سماره السم فمات فور تناوله، في إحدى ليالي سمره عام 1342 / 1923. فعين مكانه القائد المختار آتي الترجمة.

إكيدْرْ، علال بن أحمد إلى سنة 1354 / 1935 حيث تنازل القائد المختار عن الحكم على قبيلة أيت عيسى وفصلها عن إيالته بسبب خلاف حدث بينه وبين أفراد عائلته إكادرن وعلى رأسهم خليفته علال، وقرر أن يعزله فلم يجد وسيلة تبرر له غايته تلك غير التنازل عن ذلك الجزء من ايالته للقائد التيكزيريني. أما القائد المختار فقد ظل قائدا على قبيلة أيت زلطن إلى أواخر عهد الحماية.

إكيدْر، المختار بن محمد، ولد حوالي 1308 / 1890، وتولى قيادة أيت زلطن وأيت عيسى منذ عام 1920 بعد أن توفي والده القائد، وكان جده علي كاتبا خاصا للسلطان مولاي الحسن ورافقه في جميع تنقلاته، وللمختار إكدر أخ يدعى المهدي وهو خليفته وتحته بنت القائد السابق لأيت زلطن أحمد أُمبارك الذي تولى بعد عبد الله أبيهي.

تحريات مدنية.

J. et M. Gouvion, *A'ayan al-Maghrib al-Aqsa*

محمد أيت الحاج

إكيسْلْ، معناه : المكان الذي على مجرى مائي. وقد يطلق على ساقية مرفوعة فوق الحنايا والأقواس وهو وارد اسما لعدة مواقع. وقد ورد اسم إكيسل في كتاب *التشوف* (ص. 423). وفي تامسنا موقع إكيسل آخر وهو الذي يعرف اليوم بـ گيسْرْ على بعد 28 كلم من سطات في طريق البروج، وبه أطلال عمارة قديمة.

أحمد التوفيق

أُكيك، محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان. وأكيك بهمزة مضمومة في أوله تفيد النسبة إلى بلده الأصلي كيك (بكافين عاديتين) وهو بلد واقع في هضبة عالية وراء قرية مولاي إبراهيم جنوبي مراكش على بعد حوالي خمسين كلمترا. فقيه متمكن "انتهت إليه الفتاوي بالبلاد الدمناتية" (*الإعلام*، 6 : 80) له كتاب *عنوان الشرعة وبرهان الرفعة في تذييل أجوبة فقيه درعة*، ذيّل به فتاوي الفقيه محمد بن محمد بن عبد الله بن الحسين الدرعي، أتمه يوم الاثنين رابع شعبان عام 1167 / 27 ماي 1754 ويقع في أحد عشر كراساً من القالب الكبير ويوجد مخطوطا في خزانة تناغملت. وله كتاب فقهي آخر في حكم حوز القبائل سماه *مواهب ذي الجلال في نوازل البلاد السائبة والجبال*، *وحاشية على نوازل العباسي*، وله كتاب في *أزواج النبي*، وكتاب مفقود اسمه : *العنوان، أن ليس الخبر كالعيان*. درس الكيكي بمراكش وتامگروت وأخذ طريق الناصريين وعُدَّ من أعلام تلاميذهم، وانتهى به المقام إلى قبيلة كرول من جبال دمنات حيث كان يرشد إلى الشرع.

توفي في شهر رجب عام 1185 / أكتوبر - نونبر 1771.

م. المكي الناصري، *الدرر المرصعة*، مرقون بتحقيق محمد الحبيب نوحي ؛ م. الخليفتي، *الدرة الجليلة*، بتحقيق أ. عمالك ؛ ع. ابن إبراهيم، *الإعلام*، 6 : 80 - 81 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط ؛ أ. التوفيق، مقدمة تحقيق كتاب *مواهب ذي الجلال*.

محمد حجي

إگيليز، (گيليز) كلمة أمازيغية لم يضبط بعد مدلولها اللغوي. غير أن المادة المعجمية «گْلْز»، تحتوي على معان تقرب كثيرا مما يمكن أن يكون هو المعنى الحقيقي لـ«إگيليزْ». من بين هذه المعاني نجد ما يدل على : الشيء المتروك أو المنعزل / على البقايا أو الزوائد / على مخلفات أي شيء نصف محروق.

كما أن كلمة «إگليز» (ج. إگْلْزَانْ) أو «إگْلْگيزْ» (ج. إگْلْگيزْنْ) (وهذه الأخيرة يمكن أن تنطق بقلب الگاف الأخيرة ياءً)، تستعمل حتى اليوم لتدل على الحشرة السوداء المعروفة باسم «الجُعَل».

إن هذه المعاني يمكن أن تلاحظ كلها في جبل إگيليز (گيليز) القريب من مراكش بصفة خاصة. فهو شبه متروك ومنعزل، وسط سهل الحوز الواسع، بالنسبة إلى السلسلة الأطلسية ومرتفعات «جبيلات» الواقعة على الضفة اليُمنى لنهر تانسيفت. وكأنه من بقايا الجبال المذكورة أو من زوائدها، انسحبت عنه وبقي فَضلة في شكل تل صخري شاهد وسط بسيط من الأرض. كما أن اللون الغالب عليه في عين الناظر إليه، هو اللون الرمادي المائل إلى السواد.

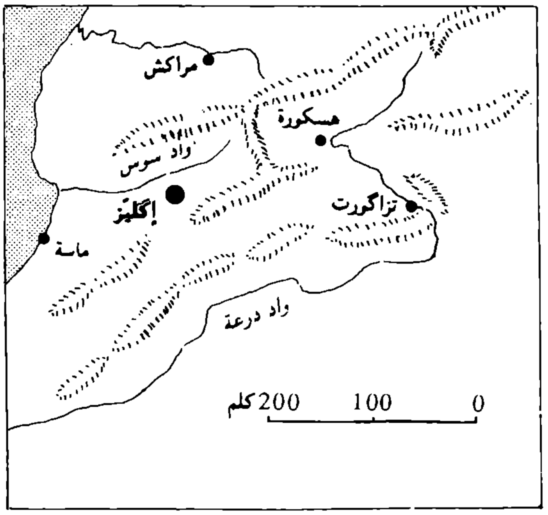

لقد ارتبطت شهرة كلمة «إگيليزْ» أو «إگْليزْ»، بمكانين تاريخيين هامّين هما : جبل بـ «أَرْغَنْ» أو هرغة سوس؛ كان الإمام المهدي بن تومرت، يختلي فيه للتأمل والتعبد، قبل انتقاله إلى تينملّ. وهو الذي ينعته البيذق ب «إگيليز متاع هرغة»، رفيه يقول كذلك : «... لما دخل [الإمام المهدي] الغار [إيفْرِي] معتكفا فيه بإگيليز برباط هرغة...». تلقى البيعة الأولى من أتباعه. وقد بويع البيعة الكبرى حين استقر بتينملّ. وبعد موت محمد ابن تومرت. اتخذ الموحدون «الغار المقدس» و«المسجد المعظم» الذي بجواره، مزاراً يحتفى به، وتشد إليه رحال الخلفاء.

ويبدو أنه بقي كذلك حتى القرن الثامن عشر، وهذا ما يفهم على الأقل من عبارة مؤلف *رحلة الوافد*. حين يقول : «... وقد سألت بعض من لقيته من أهل بلده [ابن تومرت] من هرغة سوس. على اسم بلده هناك عندهم، في

أي موضع هو فيه، فقالوا لي تأصيله من عندنا، من مدشر يقال له تفكّتْ. وله حصن عندنا في أعلى جبل يقال له إكّيليز. ودَيَار وأثر قصبة مشهور عند الناس، واحدق على ذلك من طرف الجبل بسور من حجر...» وقد اعتقد محمد المختار السوسي أن «إكّيليز» تحريف لـ «إكّلي». وهذا غير صحيح، لأن المكانين موجودان في أرْغَنْ باسميهما. ثم إن كلمة «إكّيليز» توجد في أماكن أخرى غير هرغة ومراكش.

أما المكان الثاني، فهو جبل صغير منعزل (527 م)، يقع شمال غرب مدينة مراكش، لعب دورا هاما في التاريخ العسكري للمدينة، حيث كان على الدوام نقطة ارتكاز كل الجيوش التي هاجمتها. كما أثر إلى حد ما في المجال العمراني للمدينة، إذ كان يكون المصدر الوحيد القريب لأحجار البناء. ومنه اقتلع المرابطون مادة بناء قصر الحجر. وأعطي اسمه لأول حي عصري بالمدينة.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن هذا الجبل كان كذلك خلوة الأولياء أمثال محمد بن تميم الزناتي وأبي العباس السبتي وغيرهما.

أ. البيذق، *كتاب أخبار المهدي* (طبعة باريس) 30، 40، 72 وغيرها ؛ ي. التادلي، *التشوف*، 149، 395، 459 ؛ ع. بن إبراهيم، *رحلة الوافد*، 243 ؛ م. السوسي، *خلال جزولة*، 4 : 166 وما بعدها.

Ch. De Foucauld, *Dictionnaire*, 428-29 ; E. Laoust, *Contribution*, 117-118 ; C. Deverdun, *Marrakech*, 4, 19, 53.

صدقي علي أزايكو

الإكّيوازي، أبو بكر بن محمد (1279 ـ 1355 / 1862 ـ 1936) البعقيلي أصلا الإكّيوازي التمنارتي مولدا ونشأة، تلقى تعليمهِ الأول ببلدته، ثم جال في سبيل تحصيل العلوم الشرعية، فزار المدرسة الإلغية والأخصاصية والإفرانية قبل أن يلقي مراسيه بالمدرسة البونعمانية بين يدي العلامة مسعود المعدري فلازمه سنوات، شارط إثر تخرجه في مدرسة إيمي أكّادير ثم في أقّا، غير أن القضاء والفتيا غلبا عليه وبهما اشتهر وعرف، موصوفا بالتواضع والعدالة، في المرتبة العليا بين الفقهاء جهة تمنارت إلى أقا، له اتصال برؤساء تمنارت آل أبلعيد، فكان يقضي ويفتي تحت رعايتهم قبل الاحتلال. له رسائل منشورة في *المعسول* مع مؤلّفين : الأول في الأمير أحمد الهيبة، والثاني في شرح قصيدة صوفية.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 ؛ *سوس العالمة*، 203 ؛ رجالات.

عبد الله درقاوي

ألاركُونْ، (بِّيدْرُو أنطونيو Pedro Antonio de Alarcon) محام وصحافي إسباني، يعتبر من أشهر الأدباء والكتاب الإسبان في القرن التاسع عشر، ولد بمدينة وادي آش بالقرب من غرناطة يوم 10 مارس 1833، ولم يكن له من العمر سوى عشرين سنة عندما أسس بغرناطة مجلة صدى الغرب (*El Eco de Occidente*) التي أصبحت من أشهر المجلات الأدبية بإسبانيا، ثم انتقل إلى مدريد حيث كان يشارك في جميع المجلات الأدبية الصادرة آنذاك بالعاصمة الإسبانية.

وفي عهد الملكة إسابيل الثانية (Isabel II) لم يكن بمدريد صحفي أشهر من ألاركون لأنه جعل من جريدة (*El Làtigo*) منبرا لمحاربة الملكة المذكورة لعدم اهتمامها بشؤون الدولة.

أنجز ألاركون عشرات المؤلفات في ميادين الأدب والقصة والمسرح. وأول إنتاج له قصته المسرحية التي تحمل عنوان الابن المبذر (*El hijo pròdigo*). أما آخر إنتاجه فهو كتابه الذي يحمل اسم تاريخ كتبي (*Historia de mis libros*) وقد نشر جميع إنتاجه سنة 1899 في 19 مجلدا ضخماً.

وازدادت شهرة ألاركون عندما التحق تلقائيا بالجيش الغازي لبلاد المغرب في أواخر سنة 1859 بهدف القيام بعمل مراسل لأهم الصحف الإسبانية التي كانت تنشر مراسلاته عن الحرب القائمة بشمال المغرب، وهذه المراسلات هي التي تم طبعها سنة 1861 تحت عنوان يوميات شاهد عيان للحرب الإفريقية *Diario de un testigo de la guerra de Africa* هذا المؤلَّف الذي أصبح اليوم يكوِّن المرجع الإسباني لتاريخ تلك الحرب، وقد طبع عشرات المرات بإسبانيا وبدول أمريكا الجنوبية.

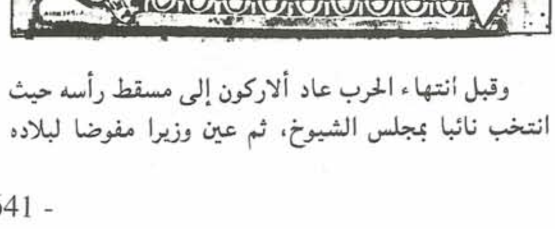

وقبل انتهاء الحرب عاد ألاركون إلى مسقط رأسه حيث انتخب نائبا بمجلس الشيوخ، ثم عين وزيرا مفوضا لبلاده

بالسويد والنرويج. وفي سنة 1875 عين مستشارا للدولة بمدريد، وفي نفس السنة التحق بالأكاديمية الملكية للغة الإسبانية، وتوفي بمدريد يوم 10 يوليوز 1891.

P. A. Alarcon, *Obras completas*, Madrid 1899 ; *Diario de un testigo de la guerra de Africa*, Madrid, 1860 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, tomo 4.

محمد ابن عزوز حكيم

ألبَرني، عائشة بنت علال، ولدت سنة 1938 بوادي زم إقليم خريبكة، وشاركت في حوادث الانتفاضة الشعبية التي عرفتها مدينة وادزم والنواحي المجاورة يوم 20 غشت 1955 مشاركة فعالة، تلك الانتفاضة التي واجهها الجيش الفرنسي بإطلاق النار من الطائرات الحربية على المتظاهرين فسقطت عائشة وهي حاملة العلم المغربي وصورة محمد الخامس في جملة القتلى ضحايا القمع الوحشي.

ألبيرش الحداد، محمد بن عمر بن الحسن. ولد سنة 1933 بالرباط وعمل في صفوف المقاومة واعتقل سنة 1952 على إثر مشاركته في قنبلة سينما الحمراء بحي العكاري حيث مكث في السجن مدة سنة. وبعد خروجه ذهب إلى الدار البيضاء وبقي هناك ستة أشهر، ثم التجأ إلى تطوان، ومن هناك كان يقوم بتهريب الأسلحة لتزويد المقاومين بالمنطقة السلطانية. وبعد الاستقلال التحق بمدينة الرباط، فاغتيل بحي العكاري يوم الاثنين 27 يبراير 1956.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير.

عز الدين العلام

إلْطُون Elton أسرة إنجليزية نزحت من جبل طارق إلى المغرب حوالي 1834 للتجارة. وكان منها :

إلطون، وليام جيمس W. James الذي استوطن سنة 1834 مدينة الصويرة، ثم عين نائبا قنصليا بالرباط (1847 ـ 1856) والصويرة (1856 ـ 1867) ثم أسفي سنة 1867. وكانت وفاته بها سنة 1869. وله تقارير قنصلية وتجارية بالوثائق البريطانية : F. O. Consular Report.

إلطون، وليام صامويل W. Samuel وظف بالنيابة القنصلية بالرباط مع أبيه ثم بأسفي حيث اعتنق الدين الإسلامي سنة 1858. وكانت وفاته بها سنة 1869.

م. بوشعراء، *الهجرة من المغرب وإليه مخطوط.*

J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, 1 : 105 et 2 : 336.

مصطفى بوشعراء

الألعاب الأولمبية والمغرب، الألعاب الأولمبية تظاهرة رياضية قديمةنظمت لأول مرة ببلاد اليونان سنة 776 ق.م وكان آخر مهرجان أقيم لها سنة 393 م حيث اقترن توقف هذه الألعاب بمنع كل المناسبات والطقوس الوثنية.

وفي 25 نوفمبر 1892 قام بيير دي كوبيرتان (Pierre de Coubertin) بعرض مشروع على اللجنة الدولية العليا للرياضة لإحياء هذا التقليد الرياضي العريق وتنظيمه من جديد بكيفية مخالفة للعهد الإغريقي القديم بحيث يكتسي صبغة عالمية ويعرف تنوعا في الألعاب بعد ان كان مقتصراً على العدو والمصارعة قديما. وفي خريف 1896 كانت أثينا عاصمة اليونان نقطة انطلاق أول دورة أولمبية في العهد الحديث. وتوالت الدورات بفاصل أربع سنوات بين الدورة والأخرى كما عرفت الألعاب توقفا أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

وفي سنة 1960 دخل المغرب حظيرة الألعاب الألمبية وكان ذلك في دورة روما بإيطاليا. وقد توج المغرب انضمامه بإحرازه على أول ميدالية مغربية في تاريخ الأولمبياد وذلك بواسطة العداء محمد الراضي في سباق الماراطون حيث احتل الصف الثاني وراء الإثيوبي "أببي كيلا" ونال الميدالية الفضية.

ثم شارك المغرب في دورة طوكيو باليابان سنة 1964 وكذلك في دورة مكسيكو سنة 1968 ودورة ميونيج بألمانيا الغربية سنة 1972 وغاب عن دورتي مونريال بكندا سنة 1976 وموسكو بالاتحاد السوفياتي سنة 1980.

كانت مشاركة المغرب في هذه الدورات مشاركة متواضعة حيث لم يحقق الأبطال المغاربة أي إنجاز، إلى أن جاءت دورة لوس أنجلس سنة 1984 فدخل المغرب هذه الألعاب من بابها الواسع وقلب كل التكهنات حيث استطاعت العداءة نوال المتوكل الإحراز على الميدالية الذهبية في مسافة 400م حواجز، فكانت أول فتاة عربية إفريقية ومسلمة تحقق هذا الإنجاز، وأضاف البطل العالمي سعيد عويطة ميدالية ذهبية أخرى في سباق 5000م مستوية. ويسدل الستار على دورة لوس أنجلس لتحمل الشعلة الأولمبية إلى سيول عاصمة كوريا الجنوبية حيث أقيمت دورة 1988 وقد كان أمل المغاربة كبيرا في تحقيق أكبر إنجاز أولمبي، لكن سوء الحظ حال دون ذلك حيث أصيب البطل العالمي سعيد عويطة بتوعك جعله يكتفي بالرتبة الثالثة في مسافة 800م مستوية ويحرز على الميدالية النحاسية في حين حقق مواطنه إبراهيم بوطيب المفاجأة بفوزه في سباق 10.000 م مستوية ونال الميدالية الذهبية. واختتم الملاكم عشيق سلسلة التتويج بميدالية نحاسية أخرى. وعلى الرغم من كل هذا فإن الأبطال المغاربة وخاصة في ألعاب القوى قد مثلوا الرياضة المغربية أحسن تمثيل ولا أدل على ذلك من تأهلهم إلى الأدوار النهائية في كل المسافات والمسابقات وهم عاقدون العزم على الفوز في ملتقى برشلونة حيث ستقام الدورة المقبلة 1992.

الدورات الأولمبية التي شارك فيها المغرب :

1960	روما	1972	ميونيخ
1964	طوكيو	1984	لوس أنجلس
1968	مكسيكو	1988	سيـــول

Bernard Gillet, *Histoire du Sport*, "Que sais-je", p. 30-106; *Chronologie Universelle*, p. 21-98.

محمد بلعربي

إلغ، قرية ومدرسة تطلبتا من محمد المختار السوسي إلماما لا مزيد عليه يقتضي تمحيصاً للعلاقة بين المؤلف ومؤلفاته. فقد يعتقد البعض أن ارتباط الفقيه بمسقط رأسه ومدرسته هو دليل على وفرة ما يمكن أن ينجز عنها. لكن الواقع أن علاقته بإلغ موطنه الأصلي جعل مجهوداته المتواصلة تتجاوز الإلغيين إلى ماعداهم. لقد عنون أضخم إنجاز له حول هذه المدرسة و زاويتها *بالمعسول* في الإلغيين وأساتذتهم وأصدقائهم. وبذلك يكون قد تتبع أخبار من سكن إلغ ومن عاصر مدرستها من فقهاء سوس وبعض الصحراويين. وإذا تتبعنا دلالة هذا المنهج تحول كتاب *المعسول* إلى أضخم إنجاز في تراجم الأسر العلمية والسياسية السوسية. وبذلك يكون المؤلف قد وفر لباحث القرن المقبل أهم أداة مكتوبة للبحث والتنقيب في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمنطقة (*سوس*، 225 ـ *المعسول*، 1 : د ـ هـ ـ و ـ ز). وبمثل هذه الرؤيا يمكننا أن نحدد أهمية قرية إلغ ومدرستها اللتين دخلتا التاريخ من باب أوسع من أن يقتصر عليهما.

لعل أقدم إشارة إلى قرية إلغ في المصادر التاريخية هي تلك التي وردت في *ديوان* أحمد المنصور الذهبي في مختتم القرن العاشر الهجري. ولربما كان السبب راجعًا إلى انزواء القرية والبسيط الذي يحمل نفس الاسم داخل سلاسل الأطلس الصغير. فهي تعزله من الجهات الأربع فاصلة بذلك بين مداشره الإحدى والعشرين وبسيط تزنيت التي تبعد من جهة الغرب بحوالي 84 كلم. ولابد أن نشير أيضا إلى أن معدن النحاس القريب من مدشر أݣجݣال يعتبر أهم مورد للبسيط على اتساع أرجائه. فقلة الموارد المائية والجدب والإقلال هي التي تسبب قلة الإنتاج الفلاحي كعامل أساسي في الحيلولة دون تحقيق مشاريع علمية بحجم يستحق الذكر (*المعسول*، 1 : 27). فكيف إذن وفي أية ظروف تأسست مدرسة إلغ؟

قبل أن يتم هذا التأسيس كانت بمجمل مداشر البسيط مدرستان لم تفلح الأولى بإزربي في تخريج ولاطالب واحد. أما الثانية فهي الوافقاوية التي كان يسيرها الݣرسيفيون مكتفين بمسايرة سكان المداشر (*المعسول*، 1 : 41). يتضح إذن أن الوعي بضرورة مدرسة علمية بالمعنى المتوارث يستلزم معرفة المقاييس العملية الضرورية. لذلك فإن مدرسة إلغ في حد ذاتها لم تتأسس خلافا لما جرت به العادة بفضل أو مساهمة الفصائل المقيمة بعين المكان. لقد جاءت توضيحات محمد المختار السوسي حفيد المؤسس لتعبر عن إرادة هذا الأخير وطموحاته. لذلك يكون لزاما الوقوف عند خصائص محمد بن عبدالله بن صالح الإلغي المؤسس ووضعيته التي تقارب مابين إمكانياته المحدودة من جهة وطموحاته اللامحدودة من جهة أخرى. كانت ولادته سنة 1265 / 1848 بإلغ التي كان مسجد زاويتها موقوفا على طلبة دويملالن التمليين. ولربما كان لهذا العامل صداه في نفس الشاب الذي لم يلبث أن غادر موطنه للتحصيل وتكميل تعليمه. فبعد غياب دام زهاء عشر سنوات نجده وقد أصبح عالما وقاضيا يحدد اختياراته. ومما لاشك فيه أن لهذه المرتبة الاجتماعية ميزتها التي ستميزه كأول شخصية بهذا الحجم بين أفراد أسرته وفصيلته البسيطة (*المعسول*، 1 : 161). على أن علاقته المباشرة بواقع أسرته ستظل القاعدة التي ترتكز عليها اختياراته انطلاقا من وضعيته. وهكذا نستسيغ أنه ربما يكون قد خطط لمشروعه الشخصي قبل البداية في الأشغال سنة 1291 / 1874 (*المعسول*، 1 : 163). لسنا ندري إذن كيف تم التخطيط للمشروع ولكننا نراه بصدد تحويل المسجد إلى مدرسة صغيرة تتألف من المرافق المعتادة من غرف وهري للتخزين ومطبخ ومغسل للوضوء وساحة للحطب. وقد تبنت هذه المرافق جلب الطلبة الذين أشرف المؤسس على تسيير شؤونهم وتعليمهم وتحمل نفقاتهم إلى أن غادر القرية مجدداً بعد ثلاث سنوات. وهنا يمكن أن نتساءل بحق عن السبب الذي دفع به إلى المشارطة بالمدرسة البومروانية سنة قبل مجاعة 1295 / 1879 التاريخية؟

لمدة ثلاث سنوات شمل الجفاف الأخيرتين منها جمع المؤسس مذخراته مما توصل به من شرط مسجد الزاوية البومروانية من جهة ومدرستها من جهة ثانية. وإذا لم تكن المجاعة هي مبتدعة التخطيط الذي مكنه من تطوير أساليبه في اقتناء أكبر قدر من أراضي بسيط إلغ، فإنها قد وفرت له الشروط الكفيلة باستغلال نكسة الآخرين لحسابه. نصبح من هنا أمام وضعية كفيلة بضبط مخططات استثمارية على المدى القريب والبعيد. لقد جاءت حيازة الأراضي بأبخس الأثمنة كتغيير في حجم ونوعية دوره المحلي حينما أصبح بمستطاعه في هذا البسيط المجدب انتاج 1000 غرارة من الحبوب في السنة المطرة (*المعسول*، 1 : 168). وبإعادته تخطيط المدرسة التي ضاق حجمها عن استقبال الوافدين يكون المؤسس قد اهتدى إلى الطريقة المثلى التي تصب في مختلف الاتجاهات التي تنصرف إليها اهتماماته. هذا ما يفيده الوقوف ولو بسرعة على مجرى تطور الأحداث. فقد قرر التاكانزيون والتاجارمونيون والأغوديديون الإعانة بجزء من أعشارهم سنويا وتكفل آل أسيف مڭورن بإمداد المؤسسة بمايلزمها من الحطب. فلم يبق إلا المرابطون الذين تعتبر الإعانات من بين الركائز المعتمدة في مداخيلهم. على أن فصلا مهما انتهى بتخصيص نصيب من أعشاره السنوية للمؤسسة وامتنع الباقون بحجة أن مدرستهم المنافسة الجديدة بإيمور لن تكون أقل أهمية (*المعسول* : 1 : 165 ـ 168).

نرى بذلك كيف يمكن لتسيير المدرسة الإلغية أن يتحول إلى نوع من الاستثمار الذي يستهدف الإبقاء على التجهيزات وتعويض المدفوعات بعد أن تتكفل فصائل إلغ بتحمل النفقات. لقد تطور أسلوب المؤسس في التعامل مع مؤسسته إلى عملية تنظيمية تتلاءم ونوعية الأزمات الطبيعية التي لن تلبث أن تعاود المنطقة. على أن المدرسة

لن تبلغ، رغم المجهودات المتواصلة للمؤسس، شأو المدارس العتيقة حيث لم يتعد عدد الواردين عليها أزيد من خمسين (*المعسول*، 1 : 166). وقد ظلت المدرسة البومروانية قدوة ومثالا يحتذى به في إلغ نظرا لما للمؤسس من ارتباط بها وبأساتذتها الذين تتلمذوا عليه. ولربما كان لمحدودية مدرسة إلغ هذه دور في انشغال المؤسس عن التعليم بالبت في النوازل وبالقضاء لأزيد من سنة ونصف في آخر حياته. ذلك أنه لما قرر العودة من جديد إلى مؤسسته لم يلبث أن ترفي سنة 1303 / 1868. فقد استناب في ربيع هذه السنة ابنه علي الدرقاوي والد مؤلف *المعسول* كي يجدد زيارته للسلطان بمراكش حيث توفي باحواز تامصلوحت.

لقد تخرج مؤسس المدرسة الإلغية من المدرسة الجشتيمية وهي ناصرية المشرب (*مدارس* : 53). على أن انتماء ابنه علي إلى الطريقة الدرقاوية وانشغاله الكلي بعلوم الباطن سيحولان دونه وخلافة أبيه على المدرسة الإلغية. فكان أن تكلف علي بن عبدالله الإلغي أخو المؤسس مستعينا على ذلك في البداية بابن أخيه وبالعلامة أحمد بن محمد اليزيدي. وقد اتخد فيما بعد من تلامذنه أبي القاسم التاجارمونتي نائبا لن يلبث بدوره أن يسلمه مقالد التسيير بعد أن شغلد القضاء إلى حين وفاته سنة 1347 / 1929 (*المعسول* : 1 : 328).

لقد اعتمدت أعراف هذه المدرسة على المنهاج الاعتيادي في تدريس موادها. فنجد فن قراءات القرآن مرتبطا بالتفسير الذي لم يكن ينفصل عن الحديث والسيرة. أما النحو واللغة والتصريف فقد كانت محط انكباب السوسيين عموما. ولعل السبب في ذلك راجع إلى رغبة الأمازيغ في التقرب من لغة القرآن. فاعتبارا بأن كل ماعدا الفقه واللغة ثانوي، تندرج باقي الفنون بما فيها علم الأصول التي انفطع تطبيقها كفن منذ ماقبل القرن التاسع الهجري. وبالرغم من كون مدرسة إلغ قد تميزت باهتمامها الخاص بالبيان والتلخيص والاستعارة الكيرانية، فإن علم الكلام قد ظل بعيدا عنها (*سوس* : 42). أما اهتمامها بالفرائض والحساب فهذا أمر يدخل في نطاق تخصص السوسيين في هذين الفنين (*سوس* : 31 ـ 38 ـ 44).

لم يكن إذن من الغريب أن تبتدئ مدرسة إلغ الطور الأول بحفظ القرآن وتكرير القواعد وممارستها. فقد كانت إعادة الأجرومية والمتون والزواوي والمبنيات أمر لامناص منه لتهذيب لسان المبتدئ. أما فيما يتعلق بمادة الفقه ومشتقاتها فقد كانت منظومة ابن عاشر تمثل بجانب *الرسالة والمقامات* خلال الطور الثاني. يقبل الدارس بعد ذلك على *المختصر والتحفة والزقاقية والعمل والمنهج والألفية بالاشموني* والحديث والتفسير والفرائض والحساب. أما القصائد فقد كانت كلامية العجم وبانت سعاد والمعلقات السبع والدريدية والدالية لليوسي والهمزية والبردة. وكنموذج لصياغة الرسائل في مادة الإنشاء كانت *مقامات الحريري* تحتل المكانة الأولى. هذا الطور الثالث على اتساعه كان يشمل أيضا متن *التلخيص* والاستعارات بمنظومة *ابن كيران* والأصول في *جمع الجوامع* (*المعسول*، 1 : 57 ـ 58 ـ 167). ويفيدنا محمد المختار السوسي بأنه في الرمضانات لايقرأ إلا الحساب والفرائض والبخاري. وتتخلل هذه الدروس من عشية الأربعاء إلى عشية الجمعة كتب الأدب على تمايزها *كالمستظرف ومروج الذهب* وابن خلكان وسيرة *ابن هشام والمواهب اللدنية* لتقف في أعلى مقام عند *نفح الطيب* (*المعسول*، 1 : 57).

يبقى أن نشير إلى توظيف اللغة الأمازيغية كأداة أساسية في التعليم. وهو أسلوب اعتمدته المدرسة الإلغية شأنها في ذلك شأن باقي المدارس السوسية (*المعسول*، 20: 280). لقد كان هذا الأسلوب يسهل عمليتي الحفظ والاستظهار المعتمدين كمنهجية مثلى (*المعسول*، 6 : 8 ـ 18، 10 : 54) وهكذا كانت *الأجرومية والألفية ومختصر خليل* تحفظ بعفوية تجعل من المدرسة امتدادا للكتّاب. ومما يزيد من صلاحية التشبيه أن أوقات الصلوات كانت وحدها المجسدة الفعلية لفترات الاستراحة (سوس، 31 ومابعدها). على هذه الهيئة درس ما بعد محمد المختار السوسي بإلغ. ويمكن القول بأن المدرسة قد عرفت خلال فترة ما بعد الوجود الفرنسي نوعا من الاستمرارية ميزها إلى حد ما عن جل المدارس التي انقرضت قبل منتصف هذا القرن.

م. المختار السوسي، *الترياق المداوي في أخبار الشيخ الحاج علي الدرقاوي*، تطوان ـ 1960 ؛ *المعسول* ؛ *سوس العالمة* ؛ *إيليغ قديما وحديثا* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الرسالتان البونعمانية والشوقية* ؛ *معتقل الصحراء* ؛ *حول مائدة الغداء* ؛ *طاقة ريحان* ؛ *مدارس سوس العتيقة*.

مصطفى ناعمي

الإلغي، إبراهيم بن أحمد الطالبي السليماني، راوية فقيه، ولد عام 1282 / 1865 وتلقى تعليمه الأول بمسجد قريته ثم افتتح المبادئ العلمية على الشيخ الإلغي في المدرسة الفوكرضية ثم البومروانية، والتحق بعد هذا بالمدرسة الإلغية فالأدوزية فلازمها شهورا وتخرج منها مكتفيا بما أخذه بعد أن حصل تحصيلا متوسطا عانى التصوف مع الشيخ الإلغي، فساح معه إلى مختلف القبائل. وبعد وفاة هذا الأخير لازم مجلس الأستاذ علي بن عبد الله الإلغي يساعده في فض النوازل حتى صار نوازليا ماهرا، وفي هذا المجال طوى بقية أيامه، وحين نُفي المختار السوسي إلى إلغ استفاد من ذاكرته القوية، فقال "بأن تسعة أعشار ما في كتاب *المعسول* مما يتعلق بالإلغيين وبجيرانهم من أخبار الرؤساء والوقائع والحروب والأنساب إنما استقيته كنقطة من بحره". كانت وفاته عام 1368 / 1948.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 58.

الإلغي، إبراهيم بن علي الملقب برضى الله. ينتسب إلى إلغ ـ بسكون اللام وكسرها ـ بسيط فسيح على مرتفعات جبل الأطلس الصغير جنوبي إقليم أگادير ـ قيادة

تفراوت ـ تكتنفه جبال وشعاب تتناثر حولها مداشر وقرى، من بينها قرية آل عبد الله أُسعيد مهد المترجم. وقد عرفت هذه البقعة النائية حركة دائبة في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي.

في هذا الوسط عرف المترجم الحياة خلال الحرب العالمية الأولى (1910) ونشأ في رعاية أبيه الشيخ الصوفي الحاج علي بن أحمد الدرقاوي الإلغي ومن أمه الفقيهة السيدة رقية بنت محمد بن العربي الأدوزي شيخ علماء مدرسة أدوز الشهيرة. مات أبوه وهو ابن عدة أشهر، ثم ماتت أمه وهو ما زال في ميعة الصبا. فكفله أخوه محمد المختار السوسي، وأشرف على تعليمه وتوجيهه إلى أن أدرك سن الرشد.

أخذ القرآن وبعض المبادئ عن معلمي الزاوية وعن بعض أساتذة بلدته، ثم انتقل إلى فاس سنة 1925 وهو دون الحلم صحبة أخيه المختار الذي أخذ على عاتقه عبء تثقيفه وتوجيهه. فكان يتلقى منه مباشرة مبادئ العلوم كما كان يحضر معه سائر مجالس العلماء الكبار المتصدرين للتدريس بجامعة القرويين كالطاهر الكتاني والعباس بناني ومحمد بن الحبيب الفيلالي ومحمد بن العربي العلوي والحسين العراقي وأحمد بن المامون البلغيتي. كما كان يحضر المجالس الخاصة التي يعقدها الشبان المتنورون ليدرسوا كتبا وفنونا لا تدرس بالقروين. علاوة على حلقات الدروس الحديثة التي كانت تلقى بزاوية ماء العينين بدرب السراج من حومة الطالعة في فنون الهندسة والحساب والجغرافيا والآداب العربية والأجنبية من طرف بعض أساتذة ثانوية مولاي إدريس.

وبعد أن حذق جملة الفنون الرائجة في ذلك الحين انتقل مع أخيه محمد المختار إلى الرباط سنة 1928 حيث عرفت المجالس العلمية ازدهاراً كبيراً بفضل علمائها المشاهير : الشيخ أبي شعيب الدكالي، وسيدي المدني بن الحسني، والشيخ محمد السايح.. فكان ملازما لمجالسهم آخذا عنهم في الأصلين الكتاب والسنة وفي اللغة والآداب. ولما حل بمراكش سنة 1929 لازم كذلك مجالس أخيه ومجالس علمائها الكبار : كمولاي أحمد العلمي، وسيدي محمد بن عمر السرغيني.

وفي جميع مراحل تعلمه كان إبراهيم يتحلى بروح عصامية ويستكمل معلوماته الثقافية من هنا وهناك منكبا على مطالعة أشتات الكتب وبالأخص ما استجد منها وله علاقة بالتطورات الفكرية في العالمين العربي والغربي، واستطاع بمجهوده الخاص أن يقرأ اللغتين الفرنسية والإسبانية.. فحصل له بكل ذلك ملكة قوية في جملة علوم اللغة والفقه والآداب شهد له بها أساتذته الذين أجازوه ورشحوه لتولى مهام التدريس والتعليم..

وفعلا أخذ يعقد مجلسا علميا ويتصدر للتدريس في بعض مساجد مراكش وهو دون الخامسة والعشرين من عمره. وفي نفس الوقت كان يدير أول مدرسة حرة أسست بمراكش على أيدي ذوي الغيرة من تجار المدينة وهي التي صارت تسمى مدرسة الحياة ثم تطورت بعد ذلك إلى أن صارت مدرسة ابتدائية كبرى تحت اسم مجموعة مدارس محمد الخامس بمراكش. وعاد إلى الرباط سنة 1935 ليعمل كأستاذ في مدرسة محمد جسوس الحرة حيث كان من جملة أساتذتها الأوائل في الثلاثينات.

ولما اشتدت الأزمة الوطنية ونفي قادة الوطنية من الرباط وفاس ومراكش وغيرها رأى نفسه مضطرا إلى أن يلتمس له خلاصا من مغبة النفي والتشريد. فاستطاع بمساعدة بعض المخلصين أن يفلت من زمام الحصار المضروب ويلتجئ إلى منطقة الشمال سنة 1938 واستقر بتطوان التي آوته ورحبت به حيث وجد بها مناخا ملائما لمتابعة أعماله التعلمية والأدبية. فعين أستاذا في معهد مولاي الحسن وفي ربيبه معهد مولاي المهدي ثم بالمعهد الرسمي للتعليم الثانوي ومدارس المعلمين والمعلمات كما عين أستاذا في كلية المعهد الديني العالي الذي تولى إدارته عدة سنين قبل أن يعود إلى الرباط من جديد.

وفي تطوان تزوج الأستاذة آمنة اللوه، ثم التحق بالمجلس الأعلى للنقض والإبرام بالرباط من جملة العلماء المبرزين الذين اختارهم الملك المنعم محمد الخامس مستشارين به، حيث بقي يعمل بهذه الصفة كنائب عام إلى أن بلغ سن التقاعد. وفي نفس الوقت عمل أستاذا محاضرا بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس بالرباط، ثم انتقل إلى سلك المحاماة كمستشار قانوني، وفي نفس الوقت مكلف بمهمة في وزارة العدل. كما عين عضوا في المجلس العلمي بتارودانت عند تأسيسه سنة 1981. واعتكف أخيرا على تحرير أبحاثه ونشرها في الصحف والمجلات، كما عاوده الحنين إلى مناجاة الشعر فشدا به.

كان إبراهيم الإلغي متضلعا في علم الفقه، متمكنا من العربية، له اقتدار على صوغ المنظوم والمنثور، بالإضافة إلى مشاركته في التاريخ. واختاره الله لجواره صبيحة يوم الخميس 2 صفر الخير 1406 / 17 أكتوبر 1985، صُلي عليه بمسجد السنة ودفن بمقبرة الشهداء بالرباط.

آثاره العلمية : *دراسات عن عبد المومن الموحدي، وخالد بن الوليد، وإقليم شنقيط. تاريخ الأدب العربي* في أربعة أجزاء. *سلسلة كتب تعليمية* في النحو والبلاغة والبيان والعروض وأصول الفقه، وتاريخ التشريع، إضافة إلى إنتاجه الأدبي : مجموعة *أبحاث* وأحاديث إذاعية، ورسائل، ومترجمات أجنبية، و*دواوين شعرية*.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 1 : 282 ؛ *الإلغيات*، 2 : 136 ؛ ع. بن منصور، *أعلام المغرب العربي*، 1 : 203 ؛ أ. اللوه، *ملامح من حياة إبراهيم الإلغي* (مرقون).

الإلْغِي، أحمد بن الحسن بن سعيد، من أسرة البنائيين الإبغشانيين، فقيه أديب مطلع، حفظ القرآن وتلقى مبادئ العربية بالمدارس الإكضيئية والسعيدية والإلغية والنهالية والتانكرتية الإفرانية فنهل من مناهل كبار

العلماء أمثال أقارض الصوابي وعلي بن عبد الله الإلغي والطاهر الإفراني وعن هذا الأخير ترقى في الأدب واللغة ترقيا كبيرا.

تخرج سنة 1345 هـ والتحق بميدان التدريس فزاول نشاطه العلمي بمدرسة أفيلال ثم مدرسة إيمور، وقد تكونت حوله هالة علمية وتلاميذ بإكبابه على التدريس إكباب المجدين مع الاستقامة التامة ومتانة الدين.

له مجموعة *أدبية* أودعها محمد المختار السوسي كتابه المخطوط جوف *الفرا*، ونشر منها نماذج في كتابيه *المعسول والإلغيات*.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 5 : 165 ؛ *الإلغيات*، 189.

الإلغي، أحمد بن علي بن أحمد نسبة إلى بسيط إلغ الذي تسكنه خمس قبائل من بينها قبيلة المرابطين آل الشيخ عبد الله بن سعيد، وهو أحد أبناء شيخ الطريقة الدرقاوية بسوس، تقلب في الرئاسة القبلية قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، وبهذا الشرط وردت ترجمته في *المعسول*، شارك في الكفاح ضد الاحتلال الأجنبي، ويعتبره المختار السوسي مصدرا موثوقا فى الأحداث التى كانت سوس مسرحا لها قبيل الاحتلال النهائي لجزولة، وهو الذي أوحى لأخيه محمد المختار بجمع كتاب في الإلغيين، فألف كتابه *المعسول* في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم وأصدقائهم السوسيين. توفي في الثالث من جمادى الأولى سنة 1356 هـ إثر مرض عضال.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 ؛ *الترياق*.

الإلغي، بلقاسم بن عبد الله، عابد تؤثر عنه أخبار الفراسات، مقصود للرقى والتمائم، منزعه إلى الفرائض والحساب والتوثيق، شارط في عدة مساجد، واستقر بالصحراء حينا بإشارة من الشيخ ماء العينين، ثم زاول بعد رجوعه كتابة الرسوم العدلية تحت رعاية علي بن عبد الله الإلغي، كان ميلاده عام 1280 / 1863 ووفاته عام 1350 / 1931.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 13.

الإلغي، سليمان بن محمد (1130 . 1199 / 1717 . 1784) أول فقيه من علماء الأسرة الإلغية العالمة، لا يعرف عن أولياته شيء. من أساتذته مسعود بن محمد المرزكوني السملالي والشيخ محمد بن يحيى الأزازيفي. منزلته في عصره منزلة متوسطة لأنه لا يدلي بين معاصريه لا بإفتاء ولا بتدريس، وإنما يزاول قسمة التركات ويفتي في النوازل غير العويصة. صار في زمنه رجل إلغ المقصود من آخر القرن الثاني عشر. موصوف بالعدل والتثبت والتدين. توفي عن سن عالية ربما أوفت على الثمانين.

م.م. السوسي، *المعسول*، 1 : 138 ؛ *رجالات العلم العربي*.

الإلغي، عبد الله بن صالح، ولد عام 1245 / 1829 ورث الشهرة بالصلاح عن والده، وجمع الدنيا إلى الدين، ففلح وأثل وتاجر، يوثر عنه كشف كثير وآراء سديدة وحكم ماثورة. توفي إثر مرض يوم 26 ذي الحجة 1322.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 156.

الإلغي، علي بن أحمد بن محمد، من المشايخ البارزين في الطريقة الدرقاوية بالمغرب بصفة عامة وفي سوس بصفة خاصة. ولد عام 1268 / 1851 وتلقى المبادىء العلمية بإلغ. عانى حفظ القرآن، وحين استتم حفظه التحق بعدة مدارس سوسية، منها مدرسة المولود ومدرسة تازروالت ثم مدرسة إفران وأخيرا المدرسة الأدوزية، عند العلامة محمد بن العربي الأدوزي، فتخرج وهو يتقن النحو والتصريف والفقه والبيان والأصول واللغة والفقه وضبط الألفاظ، فاشتغل حينا يقضي في النوازل وقسمة التركات ثم راجع المشاركة والتعليم بعد ذلك، غير أن الشيخ الإلغي مالت نفسه إلى التصوف، فكان ميالا إلى العزلة، كثير التهجد، زوارا لمشاهد الصالحين باحثا عما يرضي أشواقه وروحه إلى أن تعرف على الطريقة الناصرية وهو طالب بالمدرسة الافرانية بتانكرت فانتمى إليها حينا قبل أن تستأثر به الطريقة الدرقاوية الحديثة العهد بسوس على يد شيخها سيدي سعيد بن همو المعدري ففارق مجاورة المدارس وطلب الأسباب وسلك مسلك المتصوفة المتجردين يطوف البلاد السوسية صحبة شيخه لإرشاد العباد، ولم يكتف بذلك بل صبحه إلى موطن الدرقاوية ببلاد جبالة كما زار فاسا وحاور العلامة شيخ الإسلام محمد گنون الكثير التنديد بالطرقيين، وبعد أن عاد من رحلته وجد شيخه قد توفي فقرّ عزمه على تأسيس زاوية بقريته "إلغ" فتم له ذلك سنة 1302 / 1884، فأمضى فيها أكثر من ربع قرن لم ينقطع فيها عن إرشاد العباد خاصتهم وعامتهم، يعطي لكل ذي حق حقه، فيقتصر للعامة على مايتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحري الحلال والحرام ومراقبة الله في كل أحوالهم، وأما الخاصة وهم أصحابه الذين أخذوا عنه فإنه يؤاخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط المعروفة عند الصوفية، وقد اتسعت الطريقة وانتشرت حتى بلغت كل قبائل سوس بل ومناطق أخرى خارج سوس كالحوز ودرعة وتادلا وزعير والصحراء... وقد قدر مريدوه وأتباعه في حياته بعشرين ألفا وقدرت زواياه بأكثر من مائة وخمسين زاوية، غير أن الطريقة في تناقص بعد وفاة شيخها حتى لم يبق من مظهر الطريقة الإلغية إلا الموسم الذي لا يزال كل المنتسبين إليه يحرصون على أن لا يتخلفوا عنه في شهر غشت من كل سنة، وهو موسم خالص لذكر الله.

وقد ألفت حول شخصية الشيخ الإلغي مؤلفات جلها لا يزال مخطوطاً. نذكر منها *المامول المبغي في مناقب الشيخ الشيخ سيدي الحاج على السوسي الإلغي*، للفقيه محمد التادلي ؛ وكتاب *الفتح الموهوب في مناقب الشيخ المحبوب*، للفقيه الطاهر السماهري ؛ وكتاب *السر الجلي في مناقب الشيخ سيدي الحاج علي*، للفقيه سيدي عمر المجاطي (مطبوع) ؛ وكتاب *الترياق المداوي في أخبار*

الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي لنجله العلامة محمد المختار السوسي، كما ألفت كتب في مشاهير مريديه وأتباعه ككتاب *منية المتطلعين إلى من في الزاوية الإلغية من الفقراء المنقطعين* ؛ وكتاب *من أفواه الرجال* لمحمد المختار السوسي.

ومعلوم أن الشيخ الإلغي ضرب أيضا بسهم في التأليف، فصدرت عنه مؤلفات ذكر بسببها بين علماء سوس المؤلفين، من ذلك كتاب مترجم الأمير في العبادات، ومترجم الحكم العطائية باللسان الأمازيغي السوسي، وكتاب *عقد الجمان* في آداب الطريقة، وكتاب *المبدئ المعيد في أخبار الشيخ سعيد*، وكتاب *في الطب*، بالإضافة إلى رحلته *الحجازية* المنظومة في حوالي ألف بيت، هذا وقد لبى الشيخ الإلغي نداء ربه يوم 28 من ذي الحجة من سنة 1328 وقت صلاة العصر فدفن في المكان الذي وضع فيه قبره في الموسم الاخير في حياته.

ع.السكراتي، *تحلية الطروس* (مخطوط) ؛ أ.الإكراري، *روضة الافنان* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 184 ؛ *الترياق المداوي* ؛ *من أفواه الرجال*.

الإلغي، علي بن عبد الله بن صالح. أحد الأعلام البارزين في التدريس والقضاء والرآسة والإرشاد الصوفي. ولد عام 1275 / 1858 وتلقى علومه بالمدرسة الإفرانية ثم بمدرسة سيدي همو بن الحسن حيث أتقن القراءات القرآنية، ولازم بعد ذلك أخاه محمد بن عبد الله والأستاذ محمد اليزيدي والشيخ علي الدرقاوي إلى أن تمكن، فتصدر للتدريس بالمدرسة الإلغية خلفاً لأخيه المذكور، فقام بتنشيط الدراسات اللغوية والأدبية إلى جانب العلوم الشرعية الأخرى مدة ليست باليسيرة، فتخرج من مجلسه خلق كثير من أبناء المنطقة نشروا من محاسنه ومفاخره ما ترك له ذكراً طيباً في كل الأرجاء، ولم يكتف بذلك فأضاف إلى التدريس خطة القضاء والفتيا بعد أن تلقى ظهيراً بتوليته من السلطان المولى الحسن لما حل بسوس للمرة الثانية، فصار لذلك قبلة المتقاضين، بل صار بعد ذلك رئيسا على إخوانه المرابطين الإلغيين، زيادة على مشاركته في الإرشاد الصوفي على الطريقة التجانية.

وبعد أن ظهر الشيخ أحمد الهيبة في الميدان التحق بصفوف المقاومة والجهاد، فشارك في عدد من المعارك الكبرى التي خاضتها القبائل ضد جيوش الاحتلال، وقد كانت له المكانة السامية في الاستحواذ على القلوب في كل المجامع بمواعظه العميقة وخطبه المؤثرة.

لهذا العلامة مشاركة فعالة في تنشيط الأدب العربي بسوس، بل أصبحت المدرسة الإلغية وناديها في أيامه مهبط الأدباء في سوس والصحراء. وقد صدرت منه رسائل بليغة وقصائد لطيفة تجعله في طليعة أدباء المغرب، نشر المختار السوسي مجموعة من إنتاجه الأدبي في كتبه، *المعسول*، و*مترعات الكؤوس*، و*جوف الفرا*.

توفي في السادس من ربيع الثاني سنة 1347 / 23 غشت 1928.

أ. الإكراري، *روضة الأفنان* (مخطوط) ؛ ع. السكراتي، *تعطير الطروس* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 325 ؛ *مترعات الكؤوس* (مخطوط) ؛ *جوف الفرا* (مخطوط) ؛ *المجموعة الفقهية* (مخطوط).

الإلغي، محمد بن عبد الله بن صالح، ولد عام 1265 / 1848 وتلقى مبادئه العلمية في قرية الزاوية، وفيها أتقن حفظ القرآن، ثم انتقل إلى مدرسة تانكرت الإفرانية عند العلامة محمد بن إبراهيم التامانارتي الإفراني حيث حط رحاله إلى أن افعوعم وطابه وأشبع ذهنه، فعاد إلى بلدته وأسس المدرسة الإلغية التي أصبحت مقصد الطلبة من كل أنحاء سوس.

وضع هذا الأستاذ للمدرسة نظاماً خاصاً انفردت به مما ساعد على حسن سيرها ونجاح مهمتها العلمية حيث قسم الدراسة إلى ثلاثة أطوار مخصصاً لكل طور مؤلفات معلومة في العلوم الشرعية مع الاعتناء الخاص بالدراسة الأدبية واللغوية وتشجيع الطالب على معاناة الترسل والقريض، فجاءت هذه الطريقة بنتائج محمودة في فترة وجيزة، ولا أدل على ذلك من عدد الأدباء المتخرجين من المدرسة، ولن نذكر منهم سوى الشاعر الطاهر الإفراني الذي لم يتجاوزها إلى غيرها.

لمحمد الإلغي علاقة وطيدة بملوك وقته ورؤسائه المولى الحسن الأول الذي أتحفه وأكرم من خلاله جميع المرابطين الإلغيين بظهير توقير واحترام، والحسين بن هاشم بودميعة

لم يخلف هذا الأستاذ آثاراً ولامؤلفات لاشتغاله الدائم بالدرس والإرشاد والفتوى وإنما تنسب له *حاشية على البهجة* لم تتم، وتصدر عنه مقتطعات ورسائل في مناسبات مختلفة غالبها إخوانية، أما فتاويه فتوجد منها نماذج بكتاب *المجموعة الفقهية*.

توفى يوم الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة 1303 بأحواز مراكش إثر مثوله بين يدي السلطان المولى الحسن، فنقلت تجاليده بعد ذلك إلى مثواه الأخير بقريته بإلغ.

ع. السكراتي، *تحلية الطروس* (مخطوط) ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 2 : 160 ؛ *سوس العالمة* ؛ *المجموعة الفقهية* (مخطوط) ؛ *جوف الفرا* (مخطوط).

عبد الله درقاوي

ألْفَاوُو إِي مِنْدُوثَا (فيليبِّي) Felipe Alfau y Mendoza ولد سنة 1853، وبعد أن تخرج من الأكادمية العسكرية العامة التحق بصفوف الجيش ولم يلتحق بحامية مليلة إلا بعد أن كان قد حصل رتبة جنرال سنة 1909 حيث نجده يشارك في معركة خندق الذئب ليوم 27 يوليوز 1909 التي قتل فيها الجنرال بينطوس Pintos وخسر فيها الجيش الإسباني 752 رجلا مابين قتيل وجريح من ضباط وجنود. وعلى إثر هذه الحركة ثارت الجماهير بمدينة برشلونة مطالبة

بجعل حد للحرب القائمة بالمغرب، فيما عرف بالاسبوع المفجع.

شارك صاحب الترجمة في عدد كثير من المعارك التي خاضتها القوات الاسبانية ضد الثورة الريفية الأولى التي كان يقودها البطل سيدي محمد أمزيان، وقد أصيب الجنرال ألفَاوُو في معركة سوق خميس بني بويفرور يوم 30 سبتمبر 1909 بجروح نقل على إثرها إلى بلاده.

وفي سنة 1909 عين حاكما عسكريا عاماً بمدينة سبتة حيث شن عملية لاحتلال الفنيدق وأسمير وسانية الطريس والمضيق والملالين.

وفي يوم 27 نوفمبر 1912 وقعت المعاهدة الفرنسية الإسبانية الثالثة بخصوص تقسيم المغرب بين الدولتين فأصبح من "حق" إسبانيا أن تحتل مدينة تطوان، وهذا ما قام به صاحب الترجمة حيث تمكن من دخول قاعدة الشمال يوم 1913 سلمًا.

وفي يوم 3 أبريل عين ألفَاوُو أول مقيم عام لبلاده بالمغرب، وفي يوم 27 من نفس الشهر استقبل الخليفة السلطاني الأول بالشمال الأمير مولاي المهدي بن إسماعيل حفيد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان. وما أن استقر ألفَاوُو بتطوان حتى بدأ يفكر في توسيع رقعة احتلال الجيش الإسباني للتراب المغربي حيث قام باحتلال مركز اللوزيين يوم 11 يونيو 1913 غير أن قواته أصبحت محاصرة في نفس اليوم ولم يستطع فك الحصار عنها إلا بعد خوض معارك كبيرة خسر خلالها الإسبانيون 201 رجل ما بين قتيل وجريح من ضباط وجنود.

ولم يكن الشعب الإسباني مهيأ لقبول هذه التضحية الكبيرة في سبيل مركز يوجد على أبواب تطوان، حيث شنت الصحافة حملة شعواء على الجنرال ألفاوو الذي اضطر إلى تقديم استقالته يوم 11 غشت من نفس السنة.

ولم نعثر على تاريخ وفاته.

م. ابن عزوز حكيم، *الشريف الريسوني والمقاومة المسلحة في شمال المغرب*، الرباط 1981.

Martinez Campos, *España belica - Siglo XX*, Madrid 1972 ; Servicio Historico militar ; *Historia de las Campañas de Marruecos*, Madrid 1947, 1981 ; T. Garcia Figueras, *Marruecos*, Madrid 1944.

ألْفُونْصو الثالث عشر Alfonso XIII ينتمي إلى عائلة بوربون Borbon الملكية. ولد بمدريد يوم 17 ماي 1886 حيث بويع ملكا خلفا لوالده الملك ألفونصو الثاني عشر الذي كان قد توفي قبل ولادة ابنه بشهور، وقد تولت الوصاية على العرش أمه الملكة ماريا كريسطينا Maria Cristina ولم يتم تتويجه إلا يوم 17 ماي 1902. وتقول عنه جميع المصادر إنه في اليوم الذي ترأس فيه أول مجلس وزاري بعد تتويجه بيوم واحد "أظهر عزمه على أنه سيتولى الحكم المباشر لدولته، وكذلك كان الأمر إذ كانت له نظرة رومانتيكية لتاريخ إسبانيا، شأنه في ذلك شأن العسكريين الإسبان في عهده".

وهذه النظرة الرومانتيكية لتاريخ بلاده هي التي جعلته

الفونسو الثالث عشر.

يأخذ على عاتقه التدخل في القضية المغربية، لأنه بصفته رئيس منظمات الكهنوت العسكرية الأربعة في إسبانيا كان يرى من واجبه العمل على تنفيذ وصية الملكة إيسابيل الكاثوليكية Isabel la Catolica الخاصة بغزو المغرب والعمل على احتلال أراضيه وتنصير سكانه، ولذلك نراه يتعامل مع القضية المغربية بهذه الروح الصليبية في الاتفاقيات السرية التي كان يبرمها مع الدول الأوروبية بخصوص المغرب، وفي إعانتها الخفية للثائر بوحمارة، وفي الدور الذي قام به وفده في مؤتمر الجزيرة الخضراء، وفي مشاركته في الاعتداء على مدينة الدار البيضاء سنة 1907، وفي غزو قواته لناحية الريف انطلاقاً من مدينة مليلية سنة 1909 وفي احتلال أسطوله لمدينة العرائش ثم القصر الكبير سنة 1911، وفي حرب الإبادة التي عرفها شمال المغرب من سنة 1913 إلى سنة 1927 الخ.

وتقول جميع المصادر الإسبانية إنه "كان السبب في كارثة الجيش الإسباني بأنوال "تلك الكارثة التي كانت سبب الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال بريمودي ريفيرا Primo de Rivera يوم 13 سبتمبر 1923 حيث أصبح الحكم بإسبانيا بيد العسكريين باتفاق تام مع صاحب الترجمة.

ولا شك أن الحروب التي خاضها الجيش الإسباني بأرض المغرب والتي كان الشعب الإسباني يرفضها ويطالب بإيقافها لفداحة الخسائر البشرية والمالية التي يتكبدها الجيش، كانت السبب الرئيسي في نتيجة الانتخابات البلدية التي جرت بإسبانيا يوم 14 أبريل وأطاحت بصاحب

الترجمة، فاضطر إلى مغادرة بلاده واللجوء إلى فرنسا ومنها توجه إلى إيطاليا حيث مكث إلى أن وافته المنية بروما يوم 28 فبراير 1941.

Enciclopedia Espasa Calpe, tomo 4, Manuel Rubio Cabeza ; *Diccionario de la Guerra Civil española*, Barcelona 1987 ; Servicio Historico Militar, *Historia de las campañas de Marruecos*, Madrid 1947-1981.

ألْفونصُو العاشر Alfonso X ولد بمدينة بورغس يوم 23 نوفمبر 1221، واعتلى عرش بلاده يوم فاتح يونيو 1252 على إثر وفاة والده الملك فيرناندو الثالث Fernando III الملقب بالقديس El Santo. ولقب صاحب الترجمة بالعالم El Sabio لاهتمامه الفائق بالعلوم ومساعدته الكبيرة للعلماء، فهو الذي أنشأ مدرسة التراجمة Colegio de traductores بطليطلة التي كانت ملتقى علماء المسلمين

الفونسو العاشر
يسلم تاجه رهينة للخليفة يعقوب المنصور المريني

والنصارى واليهود. وأشرف على تأليف الملحمة الشهيرة المعروفة بالأمداح *Lantigas* ووضع التشريع المعروف بالمدونات السبع *Siete Partidas* الذي بمقتضاه أصبحت كثير من الأشياء الخاصة والعامة في بلاد قشتالة Castilla تخضع لقوانين مضبوطة بكيفية لم يسبق لها مثيل.

وفي سنة 1282 ثار ضده ولده دون سانشو Don Sancho وكاد أن ينتزع منه الملك لولا لجوء صاحب الترجمة إلى السلطان يعقوب المنصور المريني الذي سانده وأعانه على القضاء على ثورة ابنه، وكان من بين المساعدات التي قدمها له فرض قيمته 60.000 دينار ذهبي، وذلك في مقابل تاج ملكه الذي سلمه له فظل رهينة بمراكش إلى أن كان من أمره ما لم تذكره التواريخ.

توفي صاحب الترجمة بإشبيلية يوم 4 أبريل 1284.

جميع الكتب المؤلفة في تاريخ إسبانيا العام.

Florian de Ocampo, *Cronica general de Alfonso el Sabio, 1541* ; Marques de Mondejar, *Memorias sobre Alfonso el Sabio*, Madrid 1845 ; *Enciclopedia Espasa Calpe*, Tomo 4.

محمد ابن عزوز حكيم

بني **ألكاس**، أحد بطون بني ورتاجن المستقرة بنواحي تازا، كان السلاطين المرينيون يختارون منهم لمنصب الوزارة رعياً للخؤولة المترتبة عن زوجة عبد الحق بن محيو الورتاجنية. منهم :

ابن **ألْكاس، أبو بكر** بن غازي، استوزره السلطان عبد العزيز سنة 769 / 1367. ولم يلبث أن قام مستبداً على السعيد بن عبد العزيز (774 / 1372) إلى أن ثار عليه ابن عمه محمد بن عثمان بن ألكاس، فنفاه إلى ميورقة ثم سمح له بالإقامة في غساسة (777 / 1375) إلى أن تقبض عليه وقتله (779 / 1377).

ابن **ألْكاس، العباس** بن المقداد، ابن أخي محمد بن عثمان آتي الذكر. كان قد التحق إثر النكبة بتونس. ثم عاد برفقة الحسن بن المريني الطامع في الملك، وتحصن معه بغمارة في جبل الصفيحة. وقد تغلب عليهما مسعود بن ماساي وزير موسى بن أبي عنان.

ع. ابن خلدون، *العبر*، 7 : 677 . 687 . 688 . 697 . 698 . 701 . 702 . 703 . 704 . 705 . 707 . 708 . 711 . 712 . 713 . 725 . 729 . 732 . 733. 734. 735. 742 ؛ إ. بن الأحمر، *روضة النسرين*، 26. 33. 34. 35.

ابن **ألْكاس، غازي** أول وزراء السلطانين أبي سعيد وابنه أبي الحسن. توفي في معركة طريف سنة 741 / 1314.

ابن **ألْكاس، محمد** بن عثمان نشأ في رعاية الوزير أبي بكر بن غازي. كان أول ظهوره حينما كلفه ابن عمه الوزير بحماية سبتة من طمع محمد ابن الأحمر المخلوع. وهنالك بدا له انتداب أحمد بن أبي سالم، أحد أحفاد أبي الحسن، من ضمن القرابة المرينية بطنجة، للبيعة وتسلم الملك. فاستوزره السلطان أحمد، إلى أن نافسه مسعود بن ماساي الفودودي، وكانت نكبته سنة 786 / 84 . 386).

حسن الفگيگي

ألكست ← جزولة

إلأنْ، كلمة بربرية تطلق على نوع نباتي من فصيلة النجيليات Poaceae شبيه بالذرة، لذلك سمّي بالذرة البيضاء أو الذرة الرقيقة. كما يسمى تَافْسُوت وعْبَابُو، وله عدة أسماء علمية لكن الأكثر مداولة هو صُورْغُومْ ڤولْكَاري Sorghum Vulgare.

إنه نبات ذو ساق يمكن أن يصل ارتفاعه إلى متر ونصف، تبلغ أوراقه 45 سنتمترا. أزهاره على شكل عُثكُول أسطواني وهو جد كثيف. برّته شبه كروية وذات لون رمادي لُؤلُئِي (الذرة البيضاء) تظهر الأزهار في فصل الصيف.

إلآن، نبات يجهل موطنه الأصلي، وقد كان يزرع في آسيا وإفريقيا المدارية منذ عصور ماقبل التاريخ أما في المغرب فإن زراعته انتشرت في المناطق الجنوبية في البلاد التي أدخل إليها من إفريقيا السوداء.

إن حبوب إلآن غنية بالكالسيوم والفوسفور. ولهذا فإنها تستعمل في التطبيب التقليدي والحديث، إذ يتناوله الإنسان في حالات عديدة كطور النقاهة أو عند المرأة المرضعة أو التي وضعت حملها، كما يتناوله المصاب بكسر (إنجْبارْ).

Maire René, *Flore de l'Afrique du Nord* ; J. Bellakhdar, *Médecine traditionnelle et toxicologie ouest-sahariennes.*

عبد المالك بنعبيد

ألمَا، (مدرسة ـ) إحدى المدارس الأربع المشهورة بتدريس القراءات والعلوم منذ القدم بقبيلة إفْسْفَاسْنْ، إداوْتَنَانْ مع مدرسة إيسيمنا بقبيلة تانكرت، ومدرسة سقالة بقبيلة أيت واعزون، والمدرسة الرابعة هي العظمى في محل الولي الصالح سيدي إبراهيم بن علي التغانيميني (ت 989 / 1581) تجتمع عليها قبيلة إداوْتَنَانْ كلها، ويدفعون فيها الشعير والإدام ويغرمون كلهم أجرة الإمام.

أما مدرسة ألْمَا فهي خاصة بثلث إفْسفاسن، وهي عامرة من قديم الزمان، فلا تخلو من عالم مدرس ومتعلمين، يقوم سكان القبيلة بدفع مؤنتهم وأجرة الامام إلى الآن، ويقال بأن موضع مدرسة ألما كان رباطا قديما للمجاهدين الذين يحاربون العدو البرتغالي المستولي على حصن (فونتي) بأگادير الذي لا يبعد عنه إلا بحوالي 20 كلم جهة الشمال الشرقي عند سفح جبل الأطلس الكبير، ولا زالت هناك عدة قبور للشهداء، مزارة ومعتقدة، لذلك أسست القبيلةَ حولها مدرستها العلمية لتكون في حماها كعادة جميع القبائل، ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة :

1 ـ الفقيه النوازلي المشهور بالتدريس سيدي إبراهيم بن الحسن التنكرتي التناني (ت 1296) شارط فيها مدة بعد تخرجه على العلامة سيدي أحمد أجْمَّل بمدرسة هشتوكة السوسية، فملأها تدريسا وافتاء وقضاء بين الناس.

(الكشطي، التعريف بالبلدة التنانية : 47)

2 ـ العلامة سيدي محمد بن علي بن امحمد بوعزى الوركاوي التناني، وهو عالم جليل تخرج على يد العلامة العربي الأدوزى بسوس ثم عاد إلى بلدته ولازم التدريس في مدرسة ألما هذه مدة 52 سنة إلى أن توفي بها عام 1328. وقد تخرج منها على يده عدد كثير من الطلبة منهم خلفه فيها ابنه أحمد بن محمد بوعزى.

3 ـ العلامة المدرس الحاج أحمد بن الحاج علي التناني الكشطي (1310 ـ 1374) الذي أنهى دراسته العلمية بفاس عام 1340 فعاد إلي بلدته (كشط) ليشارط في مدرسة إغيلان ومدرسة أبي الناقة قبل أن يلتحق بمدرسة ألْمَا عام 1345 حيث قضى ماتبقى من حياته معتكفا على التدريس فالتف حوله مآت من طلبة العلم الوافدين من حاحا وسوس إلى أن توفي عام 1374 وقد تخرج به عدد من العلماء والأدباء الذين يمثلون زينة هذا العصر في حاحا وإداوتنان، ومن بينهم صهره وخلفه في مدرسة ألما بعده الفقيه الأديب:

4 ـ سيدي الحاج محمد بن محند بن عبد الله التفگختي التناني الذي لازم التدريس بهذه المدرسة منذ وفاة شيخه المذكور إلى الآن، وكان كسلفه يلقن الأوراد الصوفية على الطريقة الأحمدية التجانية، فازداد نشاطه وقوي نفوذه لدى العامة والخاصة فتوسعت بذلك مرافق المدرسة وكثرت أملاكها وازداد إقبال الطلبة عليها إلى اليوم.

أ. الكشطي، *التعريف بالبلدة التنانية*، مخطوط.

محند أيت الحاج

ألْمَاسْ، تمثل مدينة ألماس مركز جماعة ودائرة تابعة لإقليم الخميسات، وتعد أهم مركز في الهضبة الوسطى المرتفعة والمركز الوحيد داخل قبيلة أيت عمار المنتسبة إلى مجموعة أيت سگوگو التي تتوسط مجموعات زمور وزايان وگروان وبني مگيلد. تعكس هذه الأهمية مدى صمود المدينة أمام جملة من شروط النمو الحضري غير الملائمة في تلك المنطقة والمتمثلة أساسا في موقع العزلة وضعف الموارد الاقتصادية. بينما يمكن اعتبار المؤهلات المحلية غير معيقة إلى حدٍّ بعيد بالنظر إلى خصائص الموضع المحلّي والموقع الإقليمي. ذلك أن المدينة تأخذ موقعها التقليدي على محور المرور الاضطراري بين زايان والأطلس المتوسط من جهة وهضبة زمور وزعير السفلى من جهة أخرى. وتمر الآن بالمدينة طريق ثلاثية تؤدّي إلى مولاي بوعزة (على بعد حوالي 50 كلم نحو الجنوب الغربي) وثلاثة طرق ثانوية تربط بين مدينة ألماس ونحو الشمال الشرقي مكناس ونحو الشمال الغربي تيدآس (على بعد 44 كلم) والمعازيز (52 كلم) والخميسات (95 كلم) ونحو الجنوب الشرقي أگلْمُوس وخنيفرة. ويخضع لهذا التقسيم توزيع الحافلات نفسه: ثلاث حافلات نحو الرباط وواحدة نحو الخميسات وخنيفرة وواحدة نحو الخميسات وحدها.

تقع المدينة وسط منفرج بأحد أوسع وأكثف الغابات المغربية، وتقع بالضبط في الحدّ الشمالي الشرقي للهضبة المسماة باسم المدينة، عند سفح تلّ يبلغ أوجه في 1257م. تتميز هذه الكتلة الهرسينية الغرانيتية بتخليفها تضاريس منبسطة يتراوح ارتفاعها بين 1000 و1100 متر وإفرازها تربات رملية حمراء أوداكنة متوسطة السمك. بل تزخر كل المنطقة وحتى داخل المدينة بالمياه المعدنية النابعة من صخور الغرانيت كما يمتاز محيط ألماس بتساقطات وافرة (773 ملم سنويا بالمدينة) وغابات متنوعة (فلين وبلوط أخضر وصنوبر وعرعر وضرو،...) من شأن هذه المميزات أن توفر قاعدة اقتصادية محلية ثمينة، وسط منطقة تكون فيها الموارد ضعيفة والأراضي القابلة للزراعة شبه مفقودة بالفعل، تشهد الزراعة حول المركز توسعاً ملموساً يتمثل في تنويع المزروعات وممارسة الزراعات الاكثر تأقلما مع المناخ الجبلي والتربة الرملية، خصوصاً بعد انطلاق المشروع

الفلاحي المندمج لزمور وألماس في أواسط الثمانينات. ويتعلق الأمر بتطوير الفلاحة المتنوعة عامة وتطوير الزراعات الشتوية على وجه الخصوص. وقد نجد مغارس التفاح حتى داخل المدينة ومعملا لتلفيفه بيد شركة "أربور". من جانب آخر، تستغل الغابة لأغراض صناعية (الفلين والخشب المتنوع) ورعوية بالأساس . يظهر هذا الانتعاش الفلاحي جليا في كثرة المنتوجات الزراعية والرعوية المعروضة كل يوم ثلاثاء في السوق الاسبوعي الضخم والوحيد بالمنطقة. وهو الذي جلب صندوقاً محلياً للقرض الفلاحي فتح أبوابه سنة 1987 لينضم إلى التجهيزات الفلاحية الأخرى كمركز الأشغال الفلاحية ومصلحة المياه والغابات واسطبل تربية الخيول.

ألماس : صورة جوية

لاشك أن الموضع والموقع، وبالتالي مخلفاتهما الاقتصادية قد لعبت دوراً أساسياً في وتيرة الحركية السكانية للمدينة. وبالفعل فقد انتقل عدد سكان المدينة من 2089 ن سنة 1960 إلى 2922 ن سنة 1971 (بنسبة نمو 3 ٪ سنويا) و5253 ن سنة 1982 (بنسبة نمو 5،13 ٪ سنويا). وتشكل الهجرة القروية إلى المدينة وحدها نسبة 66،1 ٪ من مجموع النمو الإجمالي، مثلما يحدث في تيداس التي تشبه ألْماس في حجم السكان ونسبة التزايد السكاني. وبالطبع فإن استيعاب التزايد السكاني الهائل يتطلب إحداث مرافق جديدة وتوسيع حمولة المرافق السابقة، كما هو الشأن بالنسبة لإحداث مركز القرض الفلاحي مؤخراً ودار الشباب وروض الأطفال ومجمع الصناعة التقليدية (للزرابي)، بالإضافة إلى التجهيزات والمرافق السابقة: السوق ومقر الدائرة والدرك ومركز البريد والصيدلية ومدرستان ومركز صحّي ومصلحة المياه والغابات والكهرباء والماء الصالح للشرب والنادي النسوي ... أما ثانوية ولي العهد فقد شهدت بدورها تزايداً كبيراً في أعداد التلاميذ (1082 سنة 1988).

إن هذه التحولات الديمغرافية والتجهيزية والاقتصادية لم تنعكس بشكل ملحوظ في تطور المدينة نفسها. لقد جاءت لمحاولة إخراج المركز الفلاحي والإداري من الأزمة التي تبدو واضحة على أنشطته وشكله. ولو أن عملية القضاء على أجزاء السّكن الأكثر هشاشة قد انطلقت مؤخراً، فإن المشهد المبني لا زال يتسم بطابع شبه ريفي خارج المنشآت الإدارية ووسط المدينة وحي "برنامج التغذية العالمية" وفي "الأراضي المخزنية". تتوزع الأجزاء السكنية والفراغات بنوع من العشوائية وتربطها أزقة ترابية في أكثر الحالات تتخذ المدينة شكلاً خاصاً يتمثل في مثلث شبه منتظم متوجّه نحو الشمال الشرقي ومحصور بشكل هندسي بين التلّ الغابوي الذي يشرف على المدينة في الواجهة الغربية والطريق الثانوية نحو الجنوب والطريق الثلاثية نحو الشمال الغربي، وهذا يخلق مشكلاً كبيراً أمام توسع المدينة التي خنقتها التضاريس والحيازات الفلاحية في الواجهة الجنوبية والشرقية، حيث توجد مغارس شركة "أربور" ويتجلى ركود الأنشطة في محدودية المركز التجاري خارج السوق الأسبوعي وقلة الخدمات غير الإدارية وانعدام الأنشطة الصناعية وأكبر دليل على ذلك الجمود يتمثل في تجميد مجمع الصناعة التقليدية الذي أحدث مؤخراً. ولعل المشكل الكبير الذي لم تتوصل بعد المدينة إلى تجاوزه هو عائق العزلة والانفراد في مركز الجزء المرتفع من الهضبة الوسطى، إذ قريباً من المدينة تحيط بالهضبة الغرانيتية المنبسطة تضاريس وَعْرَةَ على شكل حلقة مكوّنة من الأجراف وأعراف حادّة وأودية قوية التعمق، ناتجة عن كثافة الشبكة المائية وتصلّب صخور الكوارتزيت والحث والشيست في تكوينات حقبة الأردوفيسي، ممّا يزيد حدّة صعوبة التنقل وقلة وسائل النقل وضعف شبكة الطرق. كما أن المدينة تظل منعزلة عن النشاط الصناعي الممارس بمقربتها، حيث توقف منجم القصدير بالكاريت (المعروف بأيت عمار) منذ ما يزيد عن 20 سنة، ويتم استخراج وتكييف المياه المعدنية بمعزل عن المدينة من حيث العوائد التشغيلية والتنظيمية.

إن تسمية ألْماس تعني أيضاً اسم العين المعدنية المعروفة. بل عند عامة الناس، يكون المدلول المعدني هو الأشهر أو الوحيد. توجد عين تَاسَّامَرْ الحية (للاحية) في قصر واد أكُنُود الذي يشكل المجرى الأعلى لوادي أبي رقراق بمنطقة صغيرة تدعى تارميلات. ويقع المجمع الصناعي والفندق (من درجة 3 أ) على بعد حوالي 15 كلم من المدينة. إن المعمل يشغل بين 150 و 200 عامل وينتج أكثر من 30.000 م3 سنويا من المياه المعدنية (32.050 م3 سنة 1986). تنبثق الينابيع المعدنية الرئيسية الثلاثة من شقوق انكسار داخل الكتلة الغرانيتية، لكنها الآن محمية من كل احتمال للتلوث بواسطة سقف وجدران اسمنتية تغوص داخل السفح. تستعمل مياه الينابيع الثانوية (4 لترات في الثانية) في المسبح الصغير والحمامات المقامة بعين المكان في قعر الوادي، وتحوّل مياه الينابيع الرئيسية

في المعمل بصبيب قار طول السنة (20 لترا في الثانية وحرارة 42،8). بعد جلب الماء والغاز إلى المصنع على ارتفاع 550 م ومسافة 3 كلم تتمّ عملية الخزن والتّلبّد والتصفية. وكانت نفس القنوات مع ناقلة هوائية تزوّد محطة استشفائية معدنية بالفندق لمدة طويلة. فعلاً، ظهرت نتائج إيجابية ملموسة ضد تصلب الشرايين وبعض أشكال داء المفاصل وإصابات المعدة والأمعاء، إلا أن التجربة توقفت نظراً لبعد الفندق عن المنبع الذي يفقد جزءاً من خصائص المياه الدافئة والمنعشة المعدنية (خصوصا الحديد والسيليس).

حول العين الرئيسية ومركز ألماس هناك ينابيع معدنية أخرى نابعة في الصخور المتحولة (شِيسْت وحث مع كلس) التي تعلو تكوينات الغرانيت، وهي شبيهة بها من حيث المميزات الكيماوية. لكن صبيبها أضعف بكثير من صبيب عين للاحية. أقربها إلى المحطة تبعد عنها بحوالي 6 كلم نحو الجنوب الشرقي (تنات أوراش)، والأخرى بحوالي 12 أو13 كلم (تنات بورو في الغرب وتنات تاوارت في الشمال الشرقي وترنارا ـ ن ـ الشريف في الشمال الشرقي. أما عين سيدي علي فقد بدأ استغلالها منذ أواسط السبعينات وتوجد في عالية ثلاث نبعات بين مدينة ومحطة ألماس وتنبع هي أيضًا من التكوينات المتحولة.

قسم الخرائط، *صورة جوية لألماس*، الرباط، بعثة 1970.

G. Beaudet, *Le plateau central marocain*, Rabat, 1969 ; M. Combe, *Ressources thermo - minérales du Maroc*, Rep. 23 Intern. Géd. Congr, Prague, 1960 ; M. Combe, M. Ferre, J. P. Thauvin, *Meseta centrale et meseta côtière, Ressources en eau du Maroc* , T. 2 , Ed , serv. géol. du Maroc, Rabat 1975, p. 147 - 171 ; Division de la Carte, *Carte topographigue de Moulay Bou Azza 1/100.000* Rabat, 1946 ; M.A.R.A, *Plan Directeur de Vulgarisation, enquêtes*, Rabat, 1986, D. Noın, *La Population rurale du Maroc*, P.U.F, Paris, 1970, 2T.

مصطفى عياد

أيت ألمان ← **بولمان** (إقليم ـ)

ألمانيا والمغرب، مرت العلاقات المغربية الألمانية بعدة محطات ولحظات تاريخية متميزة منذ حرب تطوان حتى الآن. كما أن هذه العلاقات تتميز بكونها هادئة ويسودها التعاون المتبادل بين الطرفين، رغم أنه غير متكافئ. ولذلك فإن الرغبة الجامحة للطرف الأقوى تنزع دائمة إلى الهيمنة متى سمحت الظروف الدولية بذلك.

وهكذا فإن العلاقات السياسية بين المغرب وألمانيا مثلا ما بين 1870 أي بعد الحرب الفرنسية الألمانية حول «الألزاس واللورين»، وبين 1912 وقت إبرام معاهدة الحماية بين فرنسا والمغرب تثير عدة إشكالات وتساؤلات كبرى تهم بالأساس موقع ومركز الطرفين في النظام الدولي للقرن التاسع عشر، حيث تسود سياسة توازن القوى. والمسألة المركزية المتحكمة فيها على الرغم من الاختلاف في تفسير محتواها، أن كلا منهما يهدف من ورائها إلى خدمة مصالحه الخاصة، المناقضة تماما لمصالح الطرف الثاني. فمن جهة تهدف ألمانيا إلى الحصول على امتيازات وعلى موانئ في المغرب، وربما لها مطالع استعمارية أكثر طموحا. ومن جهة ثانية يهدف المغرب إلى تقوية الدعم الألماني من أجل منع فرنسا أو على الأقل من أجل منع تسريع عملية سيطرتها على المغرب وفرض الحماية عليه.

ويبدو أن رصد هذه العلاقات ومواكبة تطورها قد يسفر عن التشابك الحاصل فيها خلال القرن التاسع عشر، وحتى قبل الحماية بين ما هو ذو طابع سياسي واستراتيجي وبين ما هو ذو طابع اقتصادي. فإذا خفت الجانب الاستراتيجي جزئيا أو كليا في الفترات اللاحقة وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، فإن الجانب الاقتصادي بقي مشعا وهاجا حتى الآن.

1 ـ المرحلة الأولى 1870 ـ 1912 : بدأت الاهتمامات الألمانية بالمغرب مباشرة بعد حرب تطوان 1864، فمنذ سنة 1869 عملت ألمانيا على التفكير في تعيين قنصل عام لها بالمغرب، غير أن حربها مع فرنسا سنة 1870 من جهة، ووفاة سيدي محمد بن عبد الرحمان من جهة ثانية قد أخرت التمثيل الدبلوماسي بين البلدين حتى سنة 1873 حيث عينت بشكل رسمي "وبر" Weber وزيرا مفوضا لها في طنجة. وسوف يعمل هذا الأخير على تركيز نفوذ دولته في المغرب عبر تدخلاتها الواضحة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي.

ومن المعلوم أن العلاقات التجارية آنذاك تتم بين المغرب وألمانيا بشكل غير مباشر انطلاقا من جبل طارق أو من البرتغال، ولكنها تتسم بكونها ضعيفة ومتقطعة بل حتى المنتجات الألمانية المروجة داخل المغرب يتم بيعها تحت علامات تجارية إنجليزية.

وقد يتداخل خلال هذه الفترة ما هو اقتصادي بما هو سياسي في العلاقات الألمانية المغربية، وسوف يستمر هذا التداخل حتى فرض الحماية على المغرب. ولكن قد يطغى في بعض الأحيان البعد الإستراتيجي على الاقتصادي، فبعد حرب 1870 بينها وبين فرنسا ورغبة منها في الحفاظ على التوازن الجديد الناتج عن كونها القوة الثانية على الصعيد الأوروبي والدولي قد دفع بها للمحافظة على هذا الوضع خارج أوروبا لمواجهة النفوذ الفرنسي، لذا كان لا بد لها أن تهتم بالمغرب المجاور للجزائر الفرنسية لمراقبة نفوذها هناك أو محاصرته.

ولم تخرج السياسة الألمانية إزاء المغرب عن هذه الجادة حينما كان يؤطرها بسمارك ما بين 1870 ـ 1890، على الرغم من شعوره بأن قيام الوحدة الألمانية قد خلق في النظام الإقليمي الأوروبي موجة من الخوف والحقد تجاه ألمانيا. ولذلك لجأ إلى حمايتها من الأخطار المحتملة بإقامة حزام أمني من التحالفات والصداقات على المستوى الأوروبي لعزل فرنسا. ومع ذلك لا بد من التفكير في ترضية فرنسا والتخفيف من هزيمتها بدفعها إلى تنمية نفوذها خارج أوروبا مع غل يدها جزئيا في المغرب. والسبب في ذلك يكمن في كونها قد أصبحت بعد وحدتها دولة صناعية.

وأصبحت في حاجة إلى صرف منتجاتها، لذلك بدأت تفكر بجدية في اتباع سياسة استعمارية في المغرب مع التمسك بشدة بالتفوق داخل النظام الأوروبي. فسياسة بسمارك تنطلق من ضرورة الحصول على أجزاء من التراب المغربي ليمارس بواسطتها نوعا من الضغط الدبلوماسي في إطار المساومات مع القوى العظمى، وخاصة فرنسا وبريطانيا ذات المصالح القوية في المغرب. وربما أن ذلك قد تحقق لألمانيا في مؤتمر مدريد عام 1880 وبشكل لم يثر الدول الأوروبية بحيث خرجت من هذا المؤتمر بحقوق مهمة بفضل سياسة وكياسة بسمارك.

فبعد مؤتمر مدريد سوف يلاحظ تكاثف العلاقات التجارية مع المغرب، إذ ان التجارة الألمانية ستركز على السوق المغربي لدراسة حاجياته. سواء عبر عرض بعض المنتجات في المدن المغربية كالدار البيضاء أو ربط علاقات تجارية مع التجار المغاربة ابتداء من سنة 1886. ولخدمة هذه المصالح التجارية سيعزز نشاط الدبلوماسية الألمانية بالمغرب وسوف تتقمص دور الصديق الأول والنصوح للمغرب. وإذن ستعمل ألمانيا على تغيير وزيرها المفوض في طنجة، وذلك بتعين طسطا Testa بحيث سيتم التشديد بعد ذلك وفقا للمتطلبات الجديدة لهذه المرحلة المتزامنة مع تقوية العلاقات السياسية والاقتصادية، والمواكبة لتكالب القوى الاستعمارية على المغرب والتي استشعر المغرب خطورتها منذ سنة 1878، حينما أرسل أول سفارة إلى برلين برآسة عامل أسفي السيد الطيب ابن هيمة، وكان موضوع هذه السفارة مطالبة المغرب لألمانيا بأن تزوده بالسلاح وبالسلع المختلفة. ومقابل ذلك طالبت ألمانيا بميناء في شمال المغرب أو على شواطئ المحيط الأطلسي. وقد فشلت هذه السفارة لعدم توصلها إلى اتفاق حول الأمور المتفاوض حولها.

لذلك أرسل المغرب سفارة ثانية إلى الديار الألمانية يرأسها الحاج محمد بركاش ابن وزير خارجية المغرب آنذاك والمرافق للبعثة الطلابية الحربية إلى ألمانيا. ومن ثمة ستلح ألمانيا تحت ضغط الظروف الاقتصادية بالنسبة لها، والضغوط العسكرية بالنسبة للمغرب على ضرورة إبرام اتفاقية تجارية مع المغرب، وقد دخلت مع السفارة المشار إليها في مفاوضات حول هذه الاتفاقية، لكن المفاوضات تعثرت بسبب ما يطلبه الجانب الألماني من تصدير للحبوب والحيوانات من المغرب إلى ألمانيا وعلى الرغم من فشل المفاوضات آنذاك فإن الحسن الأول قرر سنة 1887 الاعتماد على المصانع الحربية الألمانية لتجهيز جيشه وخاصة مصانع "كروب" وبذلك أصبح المغرب زبونا مخلصا لألمانيا. بحيث إن العلاقات المغربية ستتقوى خاصة بإرسال المغرب سفارة جديدة إلى برلين برئاسة عبد السلام بن رشيد قائد أولاد حريز، وذلك بغية التفاوض حول الاتفاق التجاري المشار إليه آنفا، وشراء مدافع كروب "لتقوية ثغري طنجة والرباط".

وفي هذا الإطار كذلك أرسلت ألمانيا سفيرا لها إلى المغرب في شخص "طاطنباخ" الذي استطاع أن يتصل بالمولى الحسن الأول، كما استطاع أن يقنع المخزن بضرورة إبرام الاتفاقية التجارية بين الطرفين وتم ذلك فعلا بتاريخ 1890/6/1. وقد جاءت هذه الاتفاقية في وقت كانت فيه الأسواق التجارية الدولية شبه مغلقة أمام التجارة الألمانية، لذلك نجد أنها شديدة التمسك بأن تبقى السوق المغربية مفتوحة في وجهها، خاصة وأن الاتفاقية قد منحت لها حق الدولة الأولى بالرعاية.

لكن سياسة ألمانيا المغربية ليست فقط ذات بعد اقتصادي، فبعدها الاستراتيجي السياسي واضح خاصة بعد عزل بسمارك سنة 1890 ومحاصرة فرنسا لها على المستوى الأوروبي مما أدى إلى إضعاف نفوذها على الصعيد الدولي.

ولمواجهة الحصار الفرنسي المضروب عليها لا بد من زعزعة، أو على الأقل عرقلة السياسة الفرنسية في المغرب بمساندتها للمغاربة في مقاومة فرنسا وذلك لهدفين واضحين، وهما : الحصول على جزء من المغرب أو إرغامها على قبول تعويضها في الكونغو والكمرون. تلك إذن هي دواعي التدخل الألماني في المغرب، وما ادعاؤها بالحرص على استقلال المغرب وسيادة ملكه إلا مجرد ذريعة لخدمة مصالحها الدولية الاستعمارية. وسوف يتضح ذلك جليا عندما حركت فرنسا سنة 1905 مشروع الإصلاح الذي تنوي الدول الأروبية تطبيقه في المغرب، واعتبرته ألمانيا مخالفا للوضع الراهن وتحملت مسؤولية إحباطه بالزيارة التي قام بها غليوم الثاني إلى طنجة في نفس السنة.

ولمواجهة المشروع الذي حركته فرنسا نادت ألمانيا بعقد مؤتمر دولي حول المغرب، وقد حبذ المغرب هذه الفكرة شريطة أن يكون محل المؤتمر طنجة، غير أن الدول الأوروبية الأخرى فضلت الجزيرة الخضراء.

وقد تمخض هذا المؤتمر عن ميثاق الجزيرة الخضراء المعتبر كهزيمة للسياسة الفرنسية ولكي تتحرر فرنسا من قيود الجزيرة الخضراء لا بد أن تدفع الثمن غاليا لألمانيا، فجاءت نتيجة لذلك الاتفاقية الألمانية الفرنسية في فبراير 1909 حول المغرب. وربما أن هذا الاتفاق هو الذي جعل ألمانيا تغض الطرف جزئيا عن غزو فرنسا للشاوية 1907 . 1908. ولكن علي الرغم من ذلك فإن ألمانيا كانت تساند حركة المولى عبد الحفيظ وتدعمه بالسلاح.

غير أن اتفاق 1909 قد فشل في جل كل القضايا العالقة بين فرنسا وألمانيا ولذلك لم يطبق نهائيا، الشيء الذي دفع بالدولتين أن توقعا على اتفاقية أخرى في نفس الاتجاه بتاريخ 4 نونبر 1911. جاء فيها أن المصالح الألمانية في المغرب سوف تتم حمايتها وخاصة المصالح الاقتصادية والسياسية. ومقابل ذلك فإن ألمانيا لن تعرقل عمل فرنسا في المغرب، ولها أن تدخل الإصلاحات الاقتصادية والمالية والإدارية والعسكرية شريطة المحافظة على المساواة الاقتصادية. ومقابل ذلك حصلت ألمانيا على تعويضات في

القارة الإفريقية وخاصة في الكونغو. وقد كان ذلك خاتمة إطلاق يد فرنسا في المغرب الذي توج بعقد اتفاقية الحماية بتاريخ 30 مارس 1912.

وهكذا يلاحظ أن المغرب لم يكن، انطلاقا مما سبق، هدفا مباشرا للسيادة الألمانية ما بين 1870 ـ 1912 بقدر ما كان مجرد وسيلة يمكن استخدامها من أجل الضغط للمحافظة على التوازنات داخل الساحة الأوروبية والدولية وقد عبرت الدبلوماسية الألمانية عن ذلك عدة مرات. فعندما تقوت المصالح الألمانية في المغرب، لوحظ أن هذا البلد أصبح موضوع مساومات بين الدبلوماسية الألمانية والفرنسية قصد الحصول على تعويضات في مناطق أخرى من العالم.

2 ـ المرحلة الثانية 1912 ـ 1956 : إن هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى سوف تضع حدا لمصالحها وامتيازاتها التي كانت تتمتع بها في المغرب بموجب اتفاقية 1911، وقد أكدت اتفاقية فرساي في متن مادتها 141، أن ألمانيا قد انتزعت منها جميع الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها في المغرب. وبموجب هذه المادة تنازلت ألمانيا لفرنسا عن جميع امتيازاتها في المغرب الناتجة عن عقد الجزيرة الخضراء سنة 1906، وعن الاتفاقية الفرنسية الألمانية حول المغرب لسنة 1909، وعن الاتفاقية الفرنسية الألمانية لسنة 1911. كما تم إلغاء كل الاتفاقيات والمعاهدات والعقود المبرمة بين المغرب وألمانيا ابتداء من 3 غشت 1914.

وتبعا لهذا بقيت العلاقات وخاصة التجارية بين ألمانيا والمغرب "المحمي" متوقفة بسبب الحرب، ولم تأخذ مجراها إلا بعد مرور عدة سنوات على الحرب العالمية الأولى بشكل بطيئ، ولكن في ذات الوقت تصاعدي. وقد نظمت هذه العلاقات بمَوجب ظهائر ملكية، أهمها ظهيران، وأولهما بتاريخ 11 يناير 1920 المنظم للتجارة بين الطرفين، ويضم هذا الظهير عشر مواد، كما صدر ظهير آخر في نفس اليوم ينظم وضعية الرعايا الألمانيين في المغرب، ويشتمل على خمس مواد، تنص المادة الأولى منه على أن "الدخول والإقامة، وممارسة الحقوق في المنظمة الفرنسية للرعايا الألمان يكون خاضعا لتسليم رخصة بشأن ذلك وتعتبر هذه الرخصة شخصية".

وبالنظر إلى هذين الظهيرين يلاحظ أنهما متشددان إزاء ألمانيا إذا ما قورنا بظهائر لاحقة، بحيث سيسمح لألمانيا شيئا فشيئا بأن تمارس النشاط التجاري بشكل متحفظ ثم فيما بعد بشكل حر. وقد صدر ظهير شريف آخر بتاريخ 11 غشت 1927 حاملا بعض التخفيف، إذ نصت المادتان (40 و41) منه على السماح للسفن التجارية الألمانية بالدخول والرسو في المراسي المغربية من أجل أن تحمل أو أن تفرغ البضائع والركاب. كما صدر ظهير 11 مارس 1933 متضمنا تخفيفا لما جاءت به اتفاقية فرساي، فالمادة الرابعة منه نصت على إمكانية التجار والشركات التجارية الألمانية في حق التعاقد والتصرف وامتلاك العقارات.

وقد بدأت أبواب المغرب مرة أخرى تفتح أمام التجارة والمصالح الألمانية خلال ما بين الحربين بفعل هذه الترسنة القانونية المعبر عنها بالظهائر المشار إليها. وقد ساهمت في التطور التجاري بين الطرفين ما بين 1921 و1938 على الشكل الآتي :

السنة	الواردات	الصادرات
1921	2617	4208
1934	1216	54062
1938	42427	56512

ولكن ابتداء من سنة 1939 سوف تتوقف هذه العلاقات بفعل الحرب العالمية الثانية وبالخصوص إلى ما بعد الاستقلال حيث سيبرز إطار جديد للعلاقات الاقتصادية الألمانية، وقد شجع في تنامي هذه العلاقات بعد الاستقلال انتفاء العراقيل ذات الطبيعة السياسية بين الطرفين. فلا مواقف بين ألمانيا والمغرب سياسية متجمدة تفرض ضرورة تذويبها، ولا جروح بين الطرفين يجب تضميدها. وقد ساعد كل ذلك ومن جديد في فتح السوق المغربية أمام ألمانيا.

3 ـ المرحلة الثالثة من 1956 حتى الآن : بعد استقلال المغرب ازدادت علاقاته مع ألمانيا تمتينا، ذلك أن هذا البلد قد تبنى مباشرة بعد الاستقلال التوجه الليبرالي على المستوى الاقتصادي والسياسي، وكان ذلك حافزا مهما بالنسبة للمستثمرين والشركات والبيوت المالية الألمانية، وحتى للمسؤولين الألمان لتطمينهم ضد التخوفات الناشئة عن التأميم وفرض الحراسات الجاري بها العمل في مختلف الدول المستجدة الاستقلال وخاصة في الدول العربية المجاورة. ولتنظيم إطار هذه العلاقات أبرمت عدة اتفاقيات للتعاون الاقتصادي كإطار لاتفاقيات أخرى ذات طابع قطاعي متخصص. وهكذا فعندما أبرمت الاتفاقية التجارية المغربية الألمانية سنة 1959 لوحظ أن ألمانيا ساهمت في المؤسسات المالية المغربية ذات الطابع التنموي.

ومن المعلوم أن التعاون الألماني المغربيَ الذي واكب دخول ألمانيا كمساهم في هذه المؤسسات، قد دفع بتسهيل إبرام اتفاقيات هادفة لتسوية العلاقات بين الطرفين. ولكن رغم كثافة الجهاز الاتفاقي آنذاك فإن الاستثمارات الألمانية في المغرب بقيت هزيلة على الرغم من كونها طالت جل المجالات الاقتصادية ـ المجال المعدني والفلاحي والصناعي والسياحي.. الخ.

وتجدر الإشارة إلى عدة معطيات ساهمت في تنامي التعاون الألماني المغربي منذ منتصف الستينات، من بينها رغبة المغرب في أن تدعمه ألمانيا أمام المجموعة الاقتصادية الأوروبية. والأزمة المالية التي عانى منها المغرب ما بين 1963 ـ 1964، وأزمة العلاقات المغربية الفرنسية ابتداء من أواخر سنة 1965 وكذلك تطبيق المخطط الثلاثي لسنوات (64 ـ 1967). هذه المعطيات كلها حفزت المغرب ليشدد على الدعم الألماني، وضرورة تنظيمه بشكل

دائم. وقد مهد لذلك بالاتفاقيات المشار إليها خلال سنوات 1961 حتى سنة 1963، وبالزيارة التي قام بها الممثل الشخصي لجلالة الملك السيد أحمد بلفريج. وإذا كانت معالم التعاون الألماني المغربي قد رسمت إطاراته اقتصاديا فلا بد من تحرك سياسي ينعشه ويدفع به إلى الأمام، لذا تم التفكير في زيارة ملكية إلى بون قصد تعميق وتطوير حقل التعاون المغربي الألماني، وقد سمحت هذه الزيارة الممتدة ما بين 29 نونبر 1965 و 2 دجنبر 1965 على الرغم من الخلاف الألماني العربي، بتطوير العلاقات المغربية الألمانية إذ أكد المسؤولون الألمان على الرغبة في المساعدة على تطوير الاقتصاد المغربي في السنوات اللاحقة، ولذلك يمكن القول إن التعاون الألماني المغربي قد تطور بشكل ملموس بفعل الوفاق السياسي بين الطرفين. وسوف يترجم هذا الوفاق السياسي من الجانب الألماني بالزيارة الرسمية التي قام بها الرئيس الألماني Lübke في شهر مارس سنة 1966، مدى اعتماد المغرب على ألمانيا في الوقت الذي توترت فيه العلاقات المغربية الفرنسية بفعل قضية بنبركة. إذ خلال هذه الفترة سوف تتواتر الزيارات المتبادلة بين الطرفين. ففي فبراير سنة 1968 استدعى "ولي براند" وزير خارجية ألمانيا للقيام بزيارة للمغرب، وأكد على أهمية ،وضرورة التعاون التجاري والاقتصادي واهتمام ألمانيا بالمساهمة في مشاريع المخطط الخماسي. وبعد ذلك زار الوزير الألماني المكلف بالتعاون المغربي ليبين هذا الاهتمام الألماني. ومقابل ذلك زار وزير خارجية المغرب أحمد العراقي ألمانيا سنة 1971 قصد الدفع بهذا التعاون قدما.

وقد كان لهذه الزيارات المتبادلة وقع سياسي أثر بشكل مباشر على الجانب التجاري والمالي والاقتصادي بصورة لم تكن منتظرةً من قبل. فخلال سنة 1973 لوحظ تدفق الأموال الألمانية على المغرب بشكل قروض ومساعدات. ففيما بين يناير ودجنبر من سنة 1973 وقّع المغرب وألمانيا على ثلاث اتفاقيات تهم التعاون المالي. كما أن سنوات 1974 ـ 1975 ـ 1976 عرفت تكاثف العلاقات الاقتصادية والمالية بين الطرفين، وعبر عنها بمجموعة من الاتفاقيات. وقد لوحظ خلال سنوات 1978 ـ 1979 اعتماد المغرب على ألمانيا والمجموعة العربية بشكل كبير في تمويل مشاريعه التنموية، وقد تجلى ذلك من خلال الاتفاقيات المالية الألمانية المغربية آنذاك.

إن هذا المد القوي في العلاقات الاقتصادية المغربية الألمانية في منتصف أواخر السبعينات سوف يلمس ثقله من كلا الطرفين، فمن المعلوم أن في سنوات 78 ـ 1979 ارتفعت قيمة التجارة المغربية الألمانية بمقدار 10،5 ٪ لكي تقفز من 824،5 م مارك إلى 910،9 م مارك. وكان ميزان المبادلات في صالح المغرب، لذا أصبحت ألمانيا تحتل الرتبة الرابعة سنة 1979 من بين الدول المزودة للمغرب، واحتل المغرب الرتبة الثانية ضمن لائحة الدول المزودة لألمانيا بالفوسفاط.

ولتقوية هذا النشاط التبادلي قام المستشار الألماني هلموت شميت بزيارة رسمية إلى المغرب يومي 6 ـ 7 يناير 1981. وقد تباحث مع جلالة الملك من جهة ومع الوزير الأول المعطي بوعبيد في شأن العلاقات الاقتصادية وضرورة تطويرها. ولذلك نجد هذه العلاقات قد عرفت قفزات نوعية ما بين 80 ـ 1984. ففي سنة 1980 أبرمت اتفاقيات للتعاون المالي بلغت قيمتها 75 م مارك، وذلك قصد تمويل مجموعة من المشاريع الفلاحية. بالإضافة إلى اتفاقيات أخرى في نفس السنة، منها اتفاقية القرض البالغ 24،9 م مارك، واتفاقية القرض البالغ 62،4 م مارك. وكذلك في سنة 1981 منحت ألمانيا للمغرب قرضا بلغ 75 م مارك قصد تمويل مشاريع زراعية بالإضافة إلى منحة تقدر ب 10 م مارك.

وقد توالت هذه القروض ما بين سنوات 1982 ـ 1983 ـ 1984. لتساهم في تنمية عدة قطاعات كتمويل مشروع اللكوس، الشطر الأول، أو تهم التعاون التقني بشكل عام، أو تموين بعض المدن بالماء الصالح للشرب مثل سيدي إفني وخنيفرة ومريرت، وتزنيت وبني ملال وخريبگة ووادزم.

ويمكن إجمال الأموال المتدفقة على شكل قروض ما بين 1982 ـ 1984 فيما مجموعه 307،2 م مارك. ويتضح مما سبق أنه إذا كانت العلاقات المغربية الألمانية ما بين 1870 ـ 1912 مبنية على الاعتبارات الاستراتيجية السياسية بالإضافة إلى اهتمامها بالاعتبارات الاقتصادية فإن هذه العلاقات بدأت تركز على العنصر الاقتصادي لوحده منذ الحرب العالمية الأولى حتى الآن. وقد تعاظم الطرح بعد الحرب العالمية الثانية حيث منع ألمانيا الانغماس في سياسة التسابق نحو التسلح، فوجهت تبعا لذلك كل جهودها إلى الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية. فأصبحت منذ الستينات قطباً اقتصادياً دولياً منافساً لدولتي القمة الدولية حتى في فترة الثنائية القطبية المرنة بفضل ما تدره من مساعدة اقتصادية وليس عسكرية لفتح أسواق العالم الثالث أمام اقتصادها الراغب في أسواق كبرى لصرف فائض انتاجه. وفي هذا الإطار تندرج العلاقات الألمانية لما بعد الاستقلال.

ج. عياش، *دراسات في تاريخ المغرب*، الرباط، 1986 ؛ م. بوشعراء، *الاستيطان والحماية بالمغرب*، 1280 ـ 1311 ؛ ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 2 ؛ ع. بنشنهو، *البيان المطرب لنظام حكومة المغرب*، ط.2.1951، 45 ؛ ع. بن سلامة، *التقليد المغربي في الحكم : الوضع الدستوري قبل الحماية*، البحث العلمي، ع27، سنة 1977، 63 ؛ ع. كريمي، *النظام القانوني لانتقال رؤوس بين الدول العربية*، 1، المقدمة سنة 1987 كلية الحقوق بالرباط.

J. Miège, *Le Maroc et l'Europe 1830-1894*, 4 : 14-19 ; Bulow, *La politique Allemande*, p. 34 ; L. Maurice, *La politique Marocaine de l'Allemagne*, Paris 1916, p. 5 ; V. Berard, *Affaire du Maroc*, Paris, Armand Colin 1906, p. 58 ; P. Renouvin, *L'histoire des relations internationales*, T. VI, *le XIX siècle* p. 90 ; A.F., Février 1920, nº 2, p. 71 ; *Les relations internationales : Le Maghreb et l'allemagne*, Maghreb, nº 13, Janvier-Février 1966, p. 4-5 ; Bulletin de l'information de l'ambassade du Maroc à Paris, Décembre 1965, p. 1 ; A. Berramdane, *Le Maroc et l'occident 1800-1974*, éd. Karthala, 1987, p. 260-261 ; Maroc Document, nº 3, Juin 1968, p. 78 ; Le monde, 25 Mai 1971 ; Borm (3243) 25/12/1974, p. 1746. (3387) 27/7/77 p. 871. (3491) 26/9/79 p. 754. Marchés

tropicaux et mediteranéens, nº 1836, 16/1/1981. (3583) 1/7/81, p. 318. A.A.N. 1981, (3642) 18/8/82, p. 431. (3646) 15/9/8, p. 449 (3701) 5/10/83 p. 83. (3729) 18/4/84, p. 157. (3749) 9/591984 p. 358. (3760) 21/11/84.

علي كريمي

الألْـمَنْتي، إبراهيم الرسموكي، فقيه مشارك تخرج من مدرسة أزَاريف، وتولى فيها التدريس. من مشايخه محمد ابن المواز حين رحل إلى سوس مع المولى الحسن، أخذ عنه المقولات، وكان إلى جانب التدريس يزاول الإفتاء في النوازل بقبيلته، توفي عام 1340 / 1921، وهو مذكور بين المؤلفين السوسيين بمؤلف في *أخبار الهيبة*.

م. المختار السوسي، *سوس العالمة*، 209 ـ 222 ؛ *خلال جزولة*، 1 : 118.

عبد الله درقاوي

ألْـمُـوسْنينُو، حاسْدايْ، حبر بتطوان، ومؤلف *مشْـميروث حا ـ قَدِيش* "الأمانة المقدسة" وهو تعليق على شَرحَ راشي حول أسَفار موسى الخمسة (*ليڤورم*، 1826)، *ومواعظ*.

توفي سنة 1728.

ألمُوسْنينُو، موشي بن حاسداي السابق الذكر. مؤلف *بأورينْ بَـ ـ تَنَاخْ*، وهو تفسير لأسفار موسى الخمسة.

توفي أواسطَ القرن الثامن عشر.

طوليدانو، *نير حما عرب*، 158.

شمعون ليڤي

ألميس مرموشة ← **بولمان** (إقليم ـ)

الألواح، تسمية للأعراف القبيلة المكتوبة عند جزولة خاصة، وقد تسمى في قبائل أخرى العرف أو القانون أو الديوان أو الشروط أو تيعقْدينْ أو إزْرَفْ. وهي من وضع القبائل قصد تدبير شؤونها الداخلية والحفاظ على أمنها الخارجي، وقد تتعدد القبائل أو الفرق أو مجموعات الأسر. ولم يعثر لحد الآن على لوح من ألواح جزولة يرجع إلى ما قبل عام 904 / 1498، أو إلى ما بعد عام 1348 / 1929، وقد يكون توقف إنتاج هذه الأعراف بسبب السيطرة الفرنسية التي تمت في هذا التاريخ الأخير تقريبا.

تكتب الألواح بحضور مقدمي الجماعة المعنية بها وهم المسمَّون بإنْفْلاسْ في سوس، وقد يحضر كتابتها إمام المسجد أو فقيه المدرسة أو شاهد عدل القرية، وفي بداية اللوح ترد مثل هذه العبارة :"اتفقت ورضيت قبيلتنا (...) عامتهم وخاصتهم وطلبتهم وفقراؤهم..." أو عبارة :"اتفقت الجماعة كلها بمحضرهم جميعا على ..." أو عبارة : "هذا العرف بينهم كلهم برضاهم ورضى شيوخهم بأمرهم من غير إكراه لواحد منهم". ومن العادة أن تقرأ الألواح على الملتزمين بها في جمع يحضره الرجال والنساء، وتشرح مقتضياتها باللغة المحلية (الأمازيغية)، وينص على هذا الإعلان كتابة في اللوح بمثل عبارة : "ما ذكر أعلاه برَّحوا به كله فوق مسجدهم ليسمعه الداني والبعيد"، ولمنع أي زيادة أو نقصان في نص اللوح يتم إيداعه في مكان مصون لدى أمين الحصن (أگادير) الجماعي إن وُجد أو عند إمام المسجد، وقد تكتب منه نسخ بعدد العرفاء (إنفلاس) في القبيلة ليكون عند كل واحد منهم، ولا يتم استخراجه للاطلاع عليه إلا بمحضر الجماعة إذا ما حدثت نازلة تقتضي ذلك.

وقد صنف العثماني الألواح إلى ثلاثة أنواع :

ـ نوع ينظم مرفقا في داخل قبيلة كأن ينظم ساقية الري وصيانتها والاستفادة منها أو من عيون الماء أو حراسة الغلات والثمار وجنيها أو اذخارها في حصن الجماعة أو استغلال المطاحن التي تدور بماء الساقية أو النهر أو استغلال معاصر الزيت أو تنظيم رعي الماشية بالتناوب أو تنظيم الأسواق الأسبوعية أو الموسمية أو أمن الطرق أو العرف في التعامل مع أحياء سكنى اليهود أو رعاية المساجد والزوايا والأضرحة.

صدر رسم طويل من ألواح سوس يتحدث عن قضاء أنفاليس

ـ نوع ينظم حياة قبيلة في مختلف جوانبها، فهي ألواح جامعة تنسب إلى القبائل، ومن نماذجها لوح ماسة ولوح إفران (سوس) ولوح إكُونْكَا.

ـ نوع ينظم علاقة التحالف أو التصالح بين قبيلتين أو أكثر.

ويضاف إلى بنود اللوح ما تقتضيه الضرورة، وهي بصفة عامة تحدد واجبات الأفراد نحو الجماعة في شأن ما يهم الحياة الزراعية أو التعاضد أو الدفاع، كما تحدد الجنح والجنايات وما يترتب عنها من العقوبات، وهي تتراوح بين

صدر لوح من ألواح سوس

أداء اليمين وإعطاء غرامة مالية تسمى "النصاف" (الإنصاف) أو تانفكورت، وقد ينص فيها على استقبال إنفلاس في ضيافة، أو على تخريب دار الجاني أو مصادرة أمواله أو نفيه من أرض القبيلة. ومقاصدها في الجملة هي

توزيع منظم للخدمات ولاستغلال المجال الزراعي والرعوي وحفظ أمن الأشخاص والممتلكات، ولا يخلو تطبيقها من تجاوزات قد يستفيد منها القائمون عليها وهم الشيوخ والأعيان أو العرفاء (إنفلاس).

جانب من لوح خشبي ملولب

إن الأعراف المسجلة في الألواح نمت في القرون الأخيرة بسوس على مرأى ومسمع من الفقهاء الساهرين على تطبيق الشرع الإسلامي، وقد صار الفقهاء في بعض الأحيان من المحررين لتلك الألواح مادام ما يرد فيها غير متناقض مع نص شرعي صريح. وفي بعض الأحيان يرد في اللوح نصح من الفقيه إلى العرفاء المنفذين للألواح كما ورد في لوح أيت وادريم : "وليكن وقوفكم (أيها العرفاء) مع الضعيف أكثر مما تقفون..." (العثماني، 236) وكان للفقهاء فضل تنمية الجانب الموافق للشرع في ألواح جزولة، وقد جاء ما يفيد ذلك في *لوح ماسة* (نسخته الأصيلة بمكتبة معهد محمد الخامس بتارودانت) ووقع النص في لوح آخر على أن "كل ما حكم به (الفقيه) وأفتى به لا يفتش فيه أحد لا بالنفود ولا بالمضاد لأنه أنفذه وأمضاه هو بينهما (بين الخصمين)" (لوح أيت عمرو بإداوْباعقْيل، نسخة خاصة، والمقصود هو الفقيه أحمد أمزوغ). وبقدر ما كانت تتقوى في القبائل القيادات الشخصية المعززة بالنفوذ المخزني ازداد تدخل السلطة في شؤون الجماعات وأشغالها وأحلافها وأحكامها، فضعفت بذلك الحاجة إلى إنتاج الألواح وصارت تنعدم شروط العمل بها وهواستقلال الجماعة القبلية في الممارسة "الجماعية" للأحكام.

م. العثماني، *ألواح جزولة والتشريع الإسلامي*، د. د. ع.، الرباط، 1970 (يتضمن المظان بالعربية).

R. Montagne, *Un magasin collectif de l'Anti-Atlas : L'Agadir des ikounka*, Hesp. IX, 1929, 145-267 ; *Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc* ; Ben Daoud, *Recueil du droit coutumier de Massat*, Hesp. IV, 1924, 405-39.

عمر أفا

إلياس بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع. كان للأسرة التي ينتمي إليها دور كبير ببلاد المغرب. فعقبة أول فاتح مسلم لعموم هذه المنطقة، وحبيب كان قائدا كبيرا قتل في حرب الخوارج بضواحي طنجة. وقد استولى نجله عبد الرحمان على الحكم بإفريقية سنة 127 / 745 م بينما كانت الخلافة الأموية تقترب من نهايتها. غير أن مروان الجعدي أقره على ولاية بلاد المغرب. وظهر أخوه إلياس قائدا على جيوشه التي حاربت الخوارج بإفريقيية الذين رفضوا السلطة الأموية. وهكذا واجه إلياس عرب الساحل وبربر الجبال وثورة باجة، وساير أخاه عبد الرحمان في إخضاع سكان هذه البلاد بالقوة. وقاد عبد الرحمان بنفسه جيشا انتهى إلى تلمسان ثم دخل المغرب ووصل إلى إگلي بسوس حيث أنشأ بها معسكراً ظل قائما إلى عهد البكري على الأقل. والأرجح أن إلياس بن حبيب رافق أخاه أو التحق به في هذه الحملة، لأن أخاه عينه في البداية على طرابلس لكن تسرَّع بإعدام رئيس الإباضية بها مما أدى إلى عزله. ثم إن عبد الرحمان في حملته عبر المغرب الكبير ترك ابنِه حبيبا ينوب عنه بالقيروان، فلابد أن يكون إلياس سندا له. وتوغلت الحملة جنوبا باتجاه أودغشت وهي تقوم بحفر آبار ظلت أماكنها معروفة بضعة قرون على الأقل. ثم عادت مثقلة بالسبي والغنائم التي اشتملت على كميات كبيرة من الذهب.

وعندما آل الأمر إلى الدولة العباسية أعلنت أسرة ابن حبيب ولاءها لأبي العباس السفاح، ثم لأبي جعفر المنصور، كما توافد على القيروان عدد من أمراء بني أمية، وكانت تلك فرصة سنحت لإلياس، فتزوج من البيت الأموي، لكن عبد الرحمان ارتاب ببعض الأمراء منهم، فقتلهم، كما أعلن سحب بيعته للمنصور الذي هدده بعد أن استقل هدية ابن حبيب إليه. عندئذ دبر إلياس وأخوه عبد الوارث مؤامرة لاغتيال عبد الرحمان كانتقام لقتل بعض أصهاره من أمراء بني أمية، ولأن عبد الرحمان كان يعتمد على إلياس في فتوحه، فإذا كتب إلى الخليفة نسبها إلى نفسه ونجله حبيب. وقرر إلياس بعد نجاح المؤامرة ضد عبد الرحمان أن يستولي على الحكم لنفسه، لكن مقاومة حبيب بن عبد الرحمان ألجأته إلى أن يشاطره الحكم، فتخلى له عن بعض مراكز إفريقية، وتخلى لأخيه عمران عن جزء آخر منها واستبد هو بباقي إفريقية وسائر المغرب.

على أن إلياس بن حبيب عاد إلى الدعوة العباسية بعد استيلائه على السلطة سنة 137 / 754 وحاول أن يتخلص من أخيه عمران بقتله أو نفيه إلى الأندلس مع عبد الوارث. وكان عمران على ولاية تونس، فتخلص منه إلياس غدرا حسب ابن خلدون. ثم إن ابن أخيه حبيبا استولى على تونس ودخل وإياه في صراع جديد انتهى بقتل إلياس على إثر مبارزة ثنائية بينهما. وقد قضى إلياس في ولاية بلاد المغرب سنة ونصف سنة، ولكن لا يعرف شيء عن شكل تعامل سكان المغرب معه. والأرجح أنه لم يشمل المغرب بنفوذ يذكر لأن حركة الصفرية وحركة برغواطة كانتا تتشاطران النفوذ على أهم مناطق المغرب إلا ما كان من أجزاء محدودة لا تدين هي أيضا بالولاء لأحد ؛ خصوصا بعد انسحاب حملة عبد الرحمان بن حبيب التي كانت لها أهمية ظرفية عبر المغرب الكبير وإفريقيا الغربية.

ع. ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية والأندلس* ؛ أ. البكري، *المغرب في ذكر إفريقية والمغرب* ؛ ابن عذاري، *البيان المعرب*، 1 ؛ ع. ابن خلدون، *العبر*، 4 : 404 - 409 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 1 : 120 - 122.

إبراهيم حركات

ألْيان الغماري،(أويُلْيَان) شخصية تاريخية قيل عنها الكثير، لدرجة أن هناك من يشك في وجودها

الحقيقي، وذلك لكثرة الأساطير التي تحوم حولها منذ أكثر من اثني عشر قرنا، والسبب في ذلك يرجع إلى كون أقدم مصدر أثبت وجودها أطلق عليها اسم "أورباني" (Urbani) أو "أوربانوس" (Urbanus) بدلا من أليان، ونعني بذلك التاريخ الذي كتبه القسيس إسيدورو دي بيخا (Isidoro de Beja) الذي يعرف بـ "تاريخ الباثينسي" (*Cronica del Pacense*)، ويرجع تاريخه إلى سنة 754 م. أي أنه وضع بعد الفتح الإسلامي للأندلس بـ 43 سنة.

وقد وصف القسيس المذكور أليان بـ "الرجل النبيل الذي كان يزاول سلطة اكسارخوس (وال) بإفريقيا البيزنطية. ومما زاد في الطين بلة أن الذين كتبوا عن الفتح الإسلامي للأندلس بعد القسيس أسيدورو وهم قسيس اللبيلدة (Monge de Albelda) صاحب التاريخ المعروف بتاريخ البيلدينسي (*Cronica Albeldense*) والمؤلف سنة 976 م، والقسيس سيباسطيان ذي سالامنكا (Sebastian de Salamanca) الذي ألف كتابه حول حياة الملك الإسباني ألفونصو الثالث (Alfonso III) سنة 866 م. لم يذكروا حاكم سبتة آنذاك لا باسم أورباني ولا أوربانوس ولا أليان، وأول من ذكره باسم خوليان (Julian) هو الراهب سيلوس (Monge de Silos) الذي ألف كتابه المعروف بتاريخ سيلينسي (*Cronica Silense*) سنة 1115 م. وهـذا ما جعل المؤرخين من بعده يطلقون على أليان اسم الكونت دون خوليان (Conde don Julian).

وكان ابن عبد الحكم أول مؤرخ عربي أثبت وجود أليان وسماه يليان وياليان وتبعه في ذلك كل من ابن حوقل واليعقوبي وابن عذاري والمقري وغيرهم.

وطال الجدل بين المؤرخين حول شخصية أليان هل هي حقيقة تاريخية أم مجرد أسطورة، إلى أن اعتنى المؤرخ الإسباني كوديرا (Codera) بالموضوع ونشر في مجلة أراغون (Revista de Aragon) سنة 1902 بحثا دقيقا أكد للجميع وخصوصا لمن كانوا يزعمون أن شخصية أليان ما هي إلا أسطورة على أنها أطروحة لا أساس لها من الصحة.

ولم يقتصر كوديرا على إثبات الوجود التاريخي لأليان، بل إنه أكد بالحجج الدامغة أنه "كان شخصية بربرية بارزة تنتمي إلى غمارة واسمه الحقيقي هو أوربان (Urban) أو أولبان (Olban) وكان مسيحيا".

وجاء العالم الإسباني مينينديث بيدال (Menendez - Pidal) ليؤكد ما أثبته كوديرا حيث قال "إن اسم أليان هو أولبان (Olban) وأصله بربري من قبيلة غمارة بل إنه كان أمير غمارة في زمنه "وهكذا حسم مينينديث بيدال الخلاف القائم بين المؤرخين عندما أصدر كتابه الذي يحمل عنوان "أسطورة آخر ملوك القوط" (*Leyenda del ultimo rey godo*).

ولكل من كوديرا وبيدال يرجع الفضل في شرح الأسباب التي جعلت أليان يفتح باب سبتة في وجه طارق بن زياد ويساعده على فتح الأندلس، وكذلك هذه المسألة كانت هي الأخرى موضوع جدل بين المؤرخين نتيجة لوجود الأسطورة القائلة بأن أليان أراد بذلك أن ينتقم من الملك القوطي دون رودريكو (Don Rodrigo) الذي اعتدى على شرف بنت أليان المسماة فلوريندا (Florinda)، هذه الأسطورة التي كان أول من أثارها من المؤرخين العرب هو ابن عبد الحكم في القرن التاسع الميلادي، ثم أخذها عنه المؤرخون الإسبان والراهب سيلوس (Monge de Silos) في القرن الثاني عشر الميلادي. والجدير بالذكر أن هذا الراهب هو أول من لقب فلوريندا بنت أليان بـ "لاكابا" (La Cava) أي القحبة.

يقول كل من كوديرا وبيدال عن أسباب الفتح الإسلامي للأندلس إن موسى بن نصير عندما جاء إلى شمال إفريقيا للمرة الأولى لمحاصرة أليان بمدينة سبتة ولم يستطع فتحها فتوجه إلى طنجة واستولى عليها، وفي سنة 708 م. توفي الملك القوطي فيطيثا (Witiza) وأقصي ابنه أرشيلا (Archila) من الملك الذي استولى عليه دون رودريگو (Don Rodrigo) وحيث إنه كانت بين أسرة فيطيثا وأمير سبتة أليان علاقة عائلية هناك من يقول إن زوجة أليان المسماة فالدرينا (Faldrina) كانت بنت الملك فيطيثا فقد لجأ كل من الأمير أرشيلا وأخيه الأسقف دون أوپّاس (Obispo don Oppas) إلى أليان وطلبا منه أن يتوسط لهما لدى طارق بن زياد من أجل أن يعينهما على استرجاع عرش أبيهما، وقد استجاب طارق لطلبهما على أساس أن تفتح له أبواب سبتة القريبة من بلاد الأندلس، فكان الأمر كذلك وكان من أمر الفتح ما هو معروف.

وأما قصة الاعتداء على شرف فلوريندا من طرف الملك دون رودريگو فقد قال كل من كوديرا ومينينديث بيدال إنهما لا يستبعدان وقوعها بدليل ما قاله أسقف طليطلة (Obispo de Toledo) عندما أكد في كتابه "تاريخ الملك دون رودريكو مع هلاك إسبانيا وكيف استولى عليها العرب" (*Cronicas del Rey don Rodrigo con la destruccion de Espana y cano los Moros la ganaras*) إن أليان رافق طارق بن زياد في حملته وأنه هو الذي قتل بيده الملك دون رودريگو انتقاما لشرف ابنته.

بقي أن نقول إن الصواب في كتابة اسم صاحب الترجمة هو أليان وليس يُليان أو يوليان، بدليل أن الجغرافي أبا عبيد البكري ذكر في القرن الحادي عشر الميلادي نهر أليان ويقربه قصر أليان على شاطئ بوغاز جبل طارق بين سبتة وطنجة، وفي يومنا هذا لا زال النهر المذكور يعرف بوادي أليان كما تعرف المرسى المجاورة له بمرسى أليان.

أ. البكري، *المسالك والممالك*.

Sebastian de Salamanca, *Cronicon de Alfonso II* ; Obispo de Toledo, *Cronicas del Rey Don Rodrigo con la destruccion de España y cano los moros la ganaras*, Toledo 1549 ; Isidoro de Beja, *Cronica el Pacense*, Pamplona 1615 ; Monge de Albelda, *Cronica Albeldense*, Madrid 1663 ; Monge de Silos, *Cronica silense*, Revista de filosofia literatura y ciencia de Sevilla, t. VI, 1875 ; F. Codera, *Estadios criticos* ; Revista de Aragon, mayo-junio 1902 ; *Sitadios criticos de historia arabe* (*el llamado Conde Don Julian*), Zaragoza 1903 ; J. Menendez Pidal, *Leyenda del ultimo Rey Godo*, Madrid, 1906 ; M. R. Codola, *Historia de España*, t. I Barcelona ; A. Salcedo, *Historia de España*, t. X, Madrid.

أليَان، نهر ينبع من عينْ الحمرة بجبال أنْجرة، وطوله 24 كيلومترا. تصب مياهه في بوغاز جبل طارق بين مدينة طنجة والقصر الصغير، واسمه نسبة لحاكم سبتة عند الفتح الاسلامي المعروف بـ "أليان الغماري". وقد ذكره البكري حيث قال إن بقرب مصبه كان يوجد قصر أليان.

أبو عبيد البكري، 108.

Ministerio de la Guerra, *Accion de Espana en Africa,* 1930 (G), p. 47 ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la zona norte del protectorado de Espana en Marruecos, 1942*, p. 42 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos.*

محمد ابن عزوز حكيم

إليزابيط الأولى ← إنجلترا والمغرب

إليغْ، المدينة والإمارة. يمكن إعادة العوامل الأساسية لظهور مدينة إليغ عاصمة إمارة تازروالت ابتداءا من 1021 / 1612 إلى ثلاثة مؤشرات أولية متكاملة الأبعاد.

1. التمركز الكبير لتجارة الصحراء الأطلسية منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي بالسوس الأقصى وعاصمته التجارية تَكَاوْصْتْ (وصف، 1 : 95). فقد كان من شأن هذا الاحتكار التجاري أن تأهلت المنطقة لاستقطاب التجارة البحرية الأروبية التي فتحت مرافئها المتعددة على شواطئ المنطقة (*Les ruines*, 16). فجاء لذلك تحالف الأعراب المحليين مع هذا التسرب الاقتصادي المسيحي كعامل من بين العوامل الأساسية القليلة التي بلورت الحركة الصوفية الشعبية واستقرار ظاهرة الزوايا من حيث هي وسيلة لردع هذا المد الأجنبي.

2. إن ربطنا هنا بين أهمية العاملين الاقتصادي والسياسي في محور الجانب الديني لحلف جزولة التاريخي، يجب أن يعزز بالقيمة الروحية لسيدي احماد أو موسى المتوفى سنة 971 / 1565. فإذا كنا نحن اليوم لا نعرف أي بوادر خاصة للقوة الروحية المميزة لهذا الصوفي الكبير عن باقي الأقطاب المعاصرين، فإن مؤلفات الفترة لكل من البعقيلي وأدَفال الدرعي ومحمد العربي الفاسي والسكتاني والتمنارتي والحضيكي والرسموكي والإفراني تبرز كلها بما لا يدع مجالا للشك أن سلوكيته قد جعلته فوق جميع الاعتبارات وعكست حول اندفاعاته شخصية ذات انفجار بطولي يميزه عما اسواه. إذا استثنينا نص التمنارتي، فإن مجمل هذه النصوص توضح أن انفراد تازروالت دون تَكَاوْصْتْ أو تَمَنَارْتْ أوتارودانْتْ العاصمة العلمية لسوس، بزاوية سيدي احماد أوموسى جعل منها القاعدة الروحية الأولى لرابطة جزولة. لقد قضى سيدي احماد أوموسى النصف الثاني من عمره الطويل في عين المكان يتصدر باقي الأقطاب الذين كانوا يلتفون حول زاويته شأنهم في ذلك شأن قوافل التجار والحجيج. فوطدت بذلك السوق الموسمية المحلية المكانة الاستراتيجية لتازروالت ولعائلة الشيخ. هذا العامل البنيوي الحاسم سيشحذ خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين من همة القبائل المحلية في محاولة لإنشاء سلطة سياسية مركزية يعتبر السوس يومها من أكثر المناطق تأهلا لها. لقد برهن پول پاسكون من خلال دراسته حول هذه الإمارة، على أن ما يحمل القبائل السوسية خلال هذه الحقبة على صياغة نظرية الارتباط السياسي والاقتصادي، هو تحصيلهم المشروعية من سلطتهم الروحية منذ المرابطين. وبعبارة أخرى، فإننا نتبين كيف انطلقت دولة سوس من حقيقة تاريخية تعكس منذ ظهور السعديين الواقع المعيش. لقد اتضحت معالم الشروع السياسي أمام أبناء سيدي احماد أوموسى منذ 1006 / 1597، حيث رأينا ابنه معتقلا بتارودانت من طرف السلطان احمد المنصور الذهبي. وهو حدث عمل دونما شك دوره في تقوية الأسس العلمية لمقارنة سياسة نافذة المفعول.

3. لقد أثبتت دراسات پول پاسكون القيمة حسن استعمال آل سيدي احماد أوموسى لتركته الروحية كأسلوب ظرفي يتلاءم ومقتضيات المرحلة التاريخية التي سخرت كل مواردها لرصد الأهداف السياسية المنشودة. ذلك أنه قبل إعلانهم عن سلطة سياسية مستقلة، استهدف حفدة الشيخ إحداث تكييف هيكلي يعتمد أساسا تقويم الموارد الترابية والمائية قصد تدعيم شبكة من التحالفات المحلية (*La Maison*, 21). بهذا الصدد، فإننا نكاد نجهل كل شيء عن الصدفة التي أهلت أبا حسون السملالي المؤسس التاريخي لإمارة إليغ، للقضاء على منازعيه من باقي حفدة الشيخ في حق التسيد على بسيط تازروالت. يعتبر مخطوط *بشارة الزائرين* للكرامي بالرغم من انتمائه إلى نهاية القرن الثامن عشر، من أقرب المصادر من ظروف نشأة وتطور المدينة. فهو يورد باقتضاب المراحل الأساسية التي مر منها بناء المدينة، مفيدا بأن مؤسسها قد اختط الأزقة والسوق وأبواب السور الأربعة. فعلى مشارف بسيط تازروالت يجثم حصن تَاجْكُجَالْتْ الذي شكل المقر الأول لأسرة أبي الحسن علي بن امحمد بن امحمد ابن الشيخ سيدي احماد أوموسى، المكنى ببودميعة والمشهور بأبي حسون السملالي. ويبدو أنه قد جرب عدة مواقع قبل أن يستقر رأيه على بسيط إليغ كمكان أليق لبناء عاصمته الجديدة. يبعد هذا الموقع عن تزنيت شرقا بحوالي 84 كلم تحيط به جبال أمغسو وتوگال وجبل الايغشانيين. وتفيد الرواية الشفوية أن أصل كلمة إليغ مشتق من لفظ أمازيغي - أعرابي مشترك هو إليق الذي يقابله الفعل العربي لاق، يليق. ومما يدل على أن الكلمة هناك تفيد لياقة المكان للاستقرار أن ثلاثة مواقع سوسية، على الأقل، اشتهرت بنفس الاسم هي: القرية الواقعة بإدا أوزكري وأخرى شرق طاطا غير بعيد عن تاتْلْت وقرية إلغ ندّو گادير بأيت عبد الله أوسعيد شرق أيت وفقا. (*المعسول*، 16 : 12). وقد يدل معنى إليغ بالاستناد إلى اللغة الأمازيغية على الموقع الذي في العمق أو في الحد الأقصى إذ يقولون مثلا : إليغ وانُو بمعنى عمق البئر، وقد يُنعث بإليغ ما هو واقع تحت بالنسبة لنقطة أخرى. ومعلوم بهذا الصدد، أن للممارسة والعادات دورا

كليا في تعريف الملامح الجيومرفلوجيه وتسميتها بمجمل الصحراء والشمال الإفريقي.

لقد جاءت المدينة مستطيلة الشكل تخترقها طولا وعرضا شوارع رئيسية تصل أبواب سورها الأربعة بعضها ببعض. أما حجمها، فقد كان يشمل ما بخارج السور من أحياء استحدثت لاستقرار الفصائل الجزولية والأعرابية المجلوبة (*إليغ*، 61). ومما يرجح فرضية الجلب هذه أن بعض العقود العقارية بسجل العائلة، يأخذ شكل إطباق سياسي وعسكري (*La Maison*, 22). كما أن الدور الذي قام به مسجونو البحارة المسيحيون في بناء المدينة يعتبر هاما خلال عشر سنوات من العمل ابتداء من 1012 / 1612 (*إليغ*، 66 ـ 67).

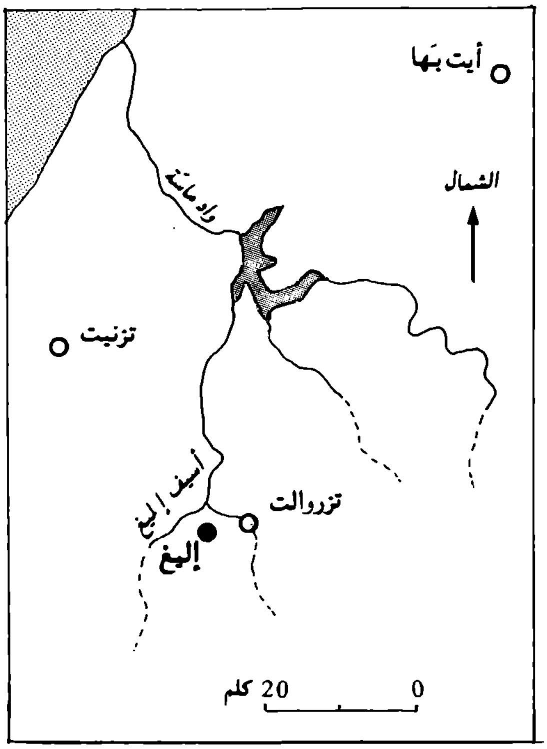

إليغ

أما من حيث حجم المدينة الديمغرافي، فمما يرجح احتواءها على حوالي 14.000 عائلة، أن أهمية طائفتها اليهودية تبرز معالم مدينة تجارية وحرفية من الحجم المتوسط (*La Maison*, 113). لقد استطاع أبو حسون السملالي باحتكاره ميناء ماسة الذي كان يومها أهم من ميناء أگادير (فونتي)، أن يجلب إليه تحالفات تجارية ودبلوماسية مع القوى الأروبية وخاصة منها هولندا وفرنسا (*S.I.H.M., Pays Bas*, 3 : 400, 4 : 2 ; *Angleterre*, 3 : 138) غير أنه لن يصل إلى مبتغاه كسلطان على كافة أرجاء سوس الا بعد وفاة سيدي يحيى الماسي سنة 1035 / 1626 (*نزهة*، 2 : 346 ـ 475). وقد جاء احتلاله ميناء أگادير ومدينة تارودانت كمؤشر على ضرورة التوجه كليا نحو الجهتين الشرقية والشمالية. نلمس بذلك ظروف توجهه إلى درعة للاستيلاء على أهم مسلك تجاري حل يومها محل الطريق الرابط بين فاس والصحراء عبر سجلماسة. على أن هذه الخطوة كانت تعتبر بدورها انتقالية اذا ما قورنت بضرورة إحلال الأمن بمراكش وأحوازها التي كانت تعرف في هذه الأثناء تقوية إمارة الشبانات بزعامة عبد الكريم بن أبي بكر الشباني المعروف بكروم الحاج (*نزهة*، 394) ؛ (*S.I.H.M., Pays Bas*, 3 : note 2 : 411-412).

هل يمكن اعتبار تطلعات أبي حسون السملالي إلى محاربة كروم الحاج أمرا واردا ؟ (*نزهة* ؛ *S.I.H.M, Pays Bas*, 3 : 393-394 : 2). إن دل ما أوردناه من العوامل التأسيسية للإمارة على معنى، فإنه سيدفعنا إلى التمييز بين إليغ وباقي الإمارات الموجودة يومها بمراكش وبالدلاء وأبعادها المتفاوتة (*Le Tafilalet*, 308 à 315). إن المتتبع لأخبار تافيلالت واستصراخ الشرفاء العلويين بإليغ ضد أعدائهم الزبيريين من أهل تابوعصامت، يدرك أن إصراخ أبي حسون للشريف بن علي كان يكفي إمارة سوس لتصدر الزعامة (*إليغ*، 95 ـ 96 ـ 97). وقد كان حريا بأبي حسون الا يتباطأ في مواجهة الشبانات كأفضل وسيلة عسكرية لتأمين طرقاته التجارية على الأقل. ولكن مراده وذويه لم يكن «إلا غنيمة سلامة الأعراض ونجاة سلب النفوس» كما شهد بذلك خصومه السياسيون من الدلائيين (*نزهة*، 254). ندرك من هنا أهمية الفرصة المتاحة للعلويين. لقد تحرك هؤلاء منذ سنة 1044 / 1635 مدججين بفعالية الحنكة السياسية التي تميز بها كل اللاجئين السياسيين من ذوي الانتساب إلى السلالة النبوية. فبعد أن تمكن المولى امحمد من إخراج والده مولاي الشريف من سجن الإمارة السوسية الذي عرف مولد المولى إسماعيل (*الضعيف*، 8 ـ 9)، كانت نواة السلطة العلوية قد تأسست (*استقصا*، 4 : 8).

هكذا وبعد وفاة أبي حسون السملالي بإحدى عشرة سنه عرفت الإمارة نهاية المرحلة الأولى من تاريخها. ففي سنة 1081 / 1670 دخل المولى الرشيد المنطقة ليثأر لأبيه فدمر المدينة التي عرفت هروب محمد بن أبي حسون وإخوته إلى حيث آوتهم قبيلة أيت أُوسا التكنية (*La Maison*, 48). على أن ردود الفعل المحلية تقدم لنا مصادر السلطة بسوس على أنها تقتضي مقاييس مبنية على مسلمات تاريخية ثابتة، ذلك أنه بالرغم من كون الفصائل المحلية قد اغتنمت فرصة اندحار العائلة الأميرية لاسترجاع مياهها وأراضيها، فإن المرحلة الثانية من حياة الإمارة ستبدأ بعد خمس وستين سنة من الركود. ففي كثير من الاحتياط عاد يحيى بن احماد بن محمد بن أبي حسون السملالي سنة 1117 / 1695 ليحاول إعادة أمجاد أسرته. لكن التاريخ يسجل لعلي ابنه التجاءه إلى ما اختزنته الذاكرة المحلية لإبراز ملاحم الإمارة من جديد. وسوف تتوضح الأمور أكثر مع مجيئ هاشم بن علي سنة 1216 / 1801 الذي لم يجد أي صعوبة في تصدر الشؤون المحلية بسوس على عادة جده أبي حسون. وهي وضعية أهلته لاسترجاع ممتلكات عائلته وتصدر الشؤون المالية والتجارية. هكذا ظهر الحسن بن هاشم الذي سيمثل أهم وجه في تاريخ هذه المرحلة الثانية من حياة إليغ . لقد

استأثر هذا الأمير بسمعة جده أبي حسون بعد أن أتم بناء إليغ الجديدة غير بعيد من انقاض القديمة.

وخلال هذه المرحلة من عمر الإمارة تأتي مجمل المنغرافيات والدراسات الأروبية باهتمام الأمير بالمنحنى التجاري كموضوع أساسي للحفاظ على استقلاليتها ومشروعيتها التاريخية كعاصمة لحلف جزولة وما حواليه. لقد ظلت الإمارة محتفظة بمكانتها كمؤسسة تراثية لها رقابتها على القبائل للحيلولة دون أي تسرب خارجي مناوئ للتقاليد السوسية العريقة التي لم تكن تتنافى مع مشروعية السلطة الدينية لأمير المؤمنين. وقد تتضح هذه الصورة اكثر في فترات احتداد التنافس بين إليغ وگلميم حول رغبة كليهما في الانفراد بمشروع الميناء الساحلي تحت حماية إحدى القوى البحرية. وتجدر الاشارة بهذا الصدد إلى أن الأسباب الاقتصادية وعلاقتها بضرورة استعمال لغة التخاطب مع القوى الأروبية، هي السبيل الأمثل يومها لإعادة النظر في خطط سيرها على المدى القريب والمتوسط. ولاشك أن أهم ما يمكن ان نقف عنده من آثار هذه المرحلة هي مراسلات المخزن مع إليغ التي درسها پول پاسكون ومحمد الناجي. فقد واكبت هذه المراسلات قسطا وافرا من مواقف رؤساء سوس ومجمل العوامل المكانية التي تعكس مفهوم الاستقلالية المحلية.

لقد سجل الخميس : 10 : 1303 / 8 : 7 : 1886 انتهاء المرحلة الثانية من تاريخ هذه الإمارة بوفاة الحسين بن هاشم. على أن هذه الوفاة لم تكن هي السبب الحاسم في الحد من حياة الإمارة. فقد بلغ نبأ الوفاة مسامع محمد بن الحسين بن هاشم وهو في موكب السلطان المولى الحسن الذي لم يلبث إذاك ان سلمه ظهير تعيينه قائدا على قبائل تازروالت وسملالة ورسموكة والمعدر وأيت رخا وتانكرت وإداوشْگرا. وغير خاف ما في هذا التعيين من معان سياسية حيث يرد أهمية وارث الحسين بن هاشم إلى رتبة قائد مخزني. لقد سبق أن أسفرت زيارة السلطان إلى تزنيت أربع سنوات قبل هذا التاريخ، عن مخاوف الحسين ابن هاشم الذي التجأ إلى جبل سملالة تحسبا لأي محاولة عسكرية. ولكن مرونة السلطان وحنكته الروحية وذهاب ابن الحسين إلى الحضرة السلطانية، فجاء بذلك تعيين هذا الأخير كعملية تخفيفية تبقي لكل طرف هيبته وسلطاته. على أن هذا التحول الحاسم الذي طرأ على شكل الإمارة ليس براجع لمجرد زيارة سلطانية إلى عين المكان، لقد أدى انكسار البنية الاقتصادية من جراء انحراف تجارة القوافل نحو مرافئ الصحراء الجنوبية بأرگان وسان لوي وغيرهما، إلى تصدع الهيكل السياسي والاقتصادي بمجمل المناطق السوسية والصحراوية. هذا ما تجلى بوضوح تام من خلال المصاعب التي سببها البعقليون للحسين بن هاشم في الحقبة الصعبة والأخيرة من حياته.

هكذا ومع محمد بن الحسين بن هاشم تبتدئ المرحلة الثالثة من تاريخ الإمارة. وهنا لا بد أن نشير إلى أن محمدا لم يكن أقل شجاعة في مواجهة الأحداث من أبيه. فبالرغم من تغير المعطيات الأساسية، استطاع تصفية الأجواء بأن حطم قبيلة بعقيلة عسكريا معيدا بذلك للإمارة بعض رونقها السالف. وبالرغم من تردده على مراكش لأداء فروض الطاعة، فإن البعد الأميري لإليغ كان ما يزال محافظا على جوهره. ولا أدل على ذلك من أن حلفي إيگزُولْنْ وتَحْكَاتْ الرئيسيين في سوس قد بادرا، بزعامة محمد بن محمد بن الحسين بن هاشم، إلى مجابهة الجيش السلطاني الذي أصبح يسيره بّا حماد باسم المولى عبد العزيز. بعد ذلك كان لحفيد الحسين بن هشام، وهو احماد بن محمد، دور طلائعي إلى جانب أبيه في الذوذ عن بقاء الإمارة حرة أمام تراكم المصاعب وبداية الزحف العسكري الفرنسي. وهنا لا يمكننا إلا أن نفسر حياد الإمارة أمام حركة الشيخ ماء العينين وأبنائه الذين حاولوا إنشاء نواة سياسية باسم الجهاد، بمنطق المنافسة. فعدم السماح للمنافسين السياسيين بالتسرب جاء اساسا بمساعدة سملالة الذين أبدوا تحفظا متوقعا. والمتتبع لأخبار حفدة الحسين بن هاشم خلال الحضور الفرنسي بالمنطقة يسجل بوضوح عدم استفادتهم سياسيا ولا اقتصاديا من المرحلة. بل الأوفى من ذلك أن رئيس العائلة الحالي يعد من أكثر المحافظين على صلابة التقاليد المحلية وأعرافها.

الإفراني، *نزهة الحادي* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المختار السوسي، *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الإلغيات* ؛ *إليغ قديما وحديثا* ؛ الوزان، *وصف إفريقيا* ؛ الضعيف، *تاريخ*.

H. De Castries, *S.I.H.M*, 1ère Série ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe siècles*, Hesp., 1925, t. V, 3, p. 265-276, 1926, TVI, 4 et p. 351-364 ; *Un Petit Royaume Berbère : Le Tazeroualt, Un Saint berbère Sidi Ahmed Ou Moussa*, Paris, 1954, 125 p. ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*; P. Pascon, *Les ruines d'Agouitir de Khnifis, province de Tarfaya (Santa Cruz de Mar Pequena)*, Ministère des Affaires Etrangères, Rabat, 1963, pp. 16 à 20 ; *La Maison d'Illigh et l'histoire sociale du tazerwalt* ; M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous al Aqsa* ; L. Mezzine, *Tafilalet*.

مصطفى ناعمي

إليغ، (مدرسة ـ) السؤال الذي يتبادر إلى الذهن بشأن هذه المدرسة هو بماذا استطاعت أن تتميز خلال نصف قرن الذي يمثل حياة إليغ القديمة، عن زاوية تازروالت الأم ؟ من المعروف محليا أنه قبل الانتهاء من بناء مدينة إليغ سنة 1031 / 1623، كانت زاوية سيدي احماد أو موسى قد تحولت إلى مدرسة لا نعلم عنها إلا القليل. فنحن نجهل مثلا من من حفدة الشيخ المؤسس، عين الفقيه مسعود بن احماد بن عبد الله السَّمُوگْنِي المتوفى سنة 1048 / 1623 مشرفا عليها. لقد بنى أبوحسون السملالي قبة الزاوية ثم مدرستها وعين عيسى بن محمد العيني مشرفا على أحباسها (*خلال*، 2 : 26 ؛ *إليغ*، 289).

أما عندما اكتمل بناء عاصمة الإمارة فقد كان مسجدها الجامع يتصدر معالمها الرئيسية بشكل تبرزه الملامح الأثرية بما لا يدع مجالا للشك. والملاحظ أساسا هو أن المصادر المعاصرة والقريبة تشير بوضوح إلى الازدهار

الذي ميز أجواء إليغ إلى أن دكتها أنفاض المولى الرشيد سنة 1081 / 1670. فعندما نعلم أن الازدحام الشديد الذي طبع أوقات الوعظ قد بلغ حد مقتل أحدهم (*إليغ*، 57)، فإن الطابع المشترك بين مختلف فصائل سوس يبدو في حد ذاته أخطر منافس على تارودانت عاصمة العلم بالمنطقة. لقد أحيطت أسوار إليغ العامرة بمداشر اعتبرت امتدادا لها. ولعل الدور الاستشاري الذي ميز العلماء لدى أبي حسون السملالي خير دليل على عناية هذا الأخير بالمدرسة وعناصرها من طلبة وأساتذة. وهنا لابد أن نشير إلى المحاور الهامة في مجال الإنتاج الأدبي والفقهي والقضائي التي أوردها كتاب *إليغ قديما وحديثا* وما اتسم به الجو الثقافي والأدبي من حيوية ونشاط.

I . غير أنه على الصعيد المدرسي العلمي الملموس، تقودنا بعض المخطوطات نحو الدور الطلائعي لمدرسة تازررالت في ارتياد ميدان الفنون الحربية. فمؤرخو المدارس العسكرية العتيقة يكادون أن يتفقوا على دور سيدي احماد أو موسى المجدد في هذا الميدان. ذلك أنه بالرغم من نكران حفدته الحاليين، إلا أن كل الدلائل تفيد بأنه كان من ذوي المهارات والخبرات الذين مارسوا الفنون الحربية. وكانت أغلب ممارساته تمرينات رياضية اتسمت فيما بعد بميسم التهريج الذي يُلْصَقُ بصورته طفلا. من هذا المنطلق، فإنه لا يمكن أن يقوم لمدرسة إليغ دور وراثي في هذا الميدان ولا أن تكون لها مكانع تربوية، إلا إذا أقامت تصورا مدرسيا للفنون الحربية. وهو ما تثبته المجموعة الهامة من الكتب المخطوطة الموجودة حاليا بخزانة آل أبي حسون السملالي. وهكذا نجد منها ما نسخ محليا مما يتعلق بالرماية وصناعة الأسلحة والبارود. كما أنها تفيد بأن سيدي علي بناصر وسيدي سعيد بناصر من آل حمر قد أخذا الرماية عن الشيخ سيدي احماد أوموسى خلال مرافقتهما له أثناء رحلته المشرقية (*خلال*، 2 : 33). وهنا لا بد أن نضيف أن تخصص مدرسة احمر في هذا الميدان ربما كان مرده إلي وفرة الخيول العبدية الشهيرة بهذه المنطقة. مهما يكن من أمر، فقد جاء تهافت عبيد البخاري بأمر من المولى إسماعيل للتعلم في عين المكان كخير دليل على تطور مدرسة سيدي احماد أو موسى خارج سوس. ومعلوم أن أمراء وملوك الدولة العلوية قد اعتادوا قضاء فترة من شبابهم في المثابرة بهذه المدرسة التي كان من بين تلامذتها المولى عبد الحفيظ (*خلال*، 2 : 33 ـ 34). لنا إذن أن نقرر بأن المميزات الخاصة بإمارة تازررالت ومدرستها العسكرية تدلنا بوضوح على أن مجمل الشروط العملية المتوفرة كانت تبدو يومئذ موازية لإمكاناتها الفكرية الوجدانية، إذ عندما تشتد العقيدة ضد المد الأجنبي وتتقوى وحدة الإمارة تصبح المدرسة خير نواة للتنظيم الحربي العسكري المنظم.

II . يمثل الجانب العلمي الثقافي الزاخر ثاني وجه للمقارنه بين مدرسة إليغ وزاوية سيدي احماد أوموسى الأم، ذلك أن التفاف أدباء جزولة وعلمائها حول أبي حسون السملالي منذ ما قبل الاحتفال بالمدينة الجديدة، يعكس أكبر شاهد صدق على تخصص المدرسة الجديدة في علوم الظاهر التي تتجاوز واحدا وعشرين علما يطغى عليها الطابع الفقهي (*سوس العالمة*، 31 وما بعدها). كما أنه علاوة عن كون هذا الطابع يميز جامع إليغ عما عداه من المدارس العادية (*مدارس*، 57)، فإن الوجه الذي يطغى على أي مقارنة بينها وبين الزاوية الأم هو تخصص هذه الأخيرة في علم الباطن. ففي وقت استمدت فيه مدرسة تازررالت شرعيتها من قطبها المؤسس، انطلقت مدرسة إليغ لتواكب صيرورة الثرات الفقهي والأدبي وعلوم المنطق والحساب من حيث ارتباطها بالفرائض. هذا وبالرغم من أن الاعتناء بالتأريخ والوفيات كان يعتبر محط استهزاء الفقهاء والعلماء (*إليغ*، 74)، فإننا نجد أبا حسون السملالي نفسه يطلب من ابن يعزى احمد بن محمد الرسموكي أن ينهج هذا السبيل. وهو ما جعل هذا الأخير يكتب *الجمهرة السوسية* في انساب سوس. ولعل هذه الفكرة ناتجة عن الرغبة في توسيع حقل الأفكار والإنقاذ من طغيان التقليد. هذا ما يمكن أن نستشفه من مؤلف *تاريخ سوس ورجاله* في ثلاثة أسفار لمحمد بن أحمد السوسي المانوزي المتوفى سنة 1366 / 1948.

من أوضح الإشارات إلى أهمية مدرسة إليغ ما قاله الحسن بن مسعود اليوسي المتوفى سنة 1102 / 1692، عن منهجية أستاذه عبد العزيز بن بكر بن أحمد الرسموكي البرجي (*سوس*، الباب الرابع ؛ *إليغ*، 67). فارتكازا على المسيرة التكاملية بين التشريع والقضاء والتعليم يتراءى أن هذا العالم الكبير قد عمل على جمع وتدوين فتاوي مجمل علماء القطر السوسي فيما سمي *بالفتاوي البرجية*. وهو عمل يجسد أهمية المقارعات الفقهية والفكرية وفحواها عموما. وقد جاءت المناقشة حول جواز أو عدم جواز بناء بيعة يهودية بإليغ كنموذج للتأكد من حجج المدرسة الإليغية في ميدان الممارسات المحلية (*إليغ*، 62 ؛ *الاستقصا*، 3 : 132). كما تكشف المواقف المتباينة عن الالتحام الموجود داخل حقل الفتاوي بين القضاء والتعليم، على أن البعد التأسيسي لهذا الالتحام يتطلب تنسيقا ينبغي تأسيسه على مستوى الأجيال التي استفادت من المدرسة وأفادتها.
لقد جاء العالم الكبير بناصرليجعل من إليغ أشهر مدارس سوس. فقد ساهم بقسط وافر في تكوين كبار علماء هذا القطر خلال العقود الثلاثة التي سبقت نهاية إليغ القديمة سنة 1081 / 1670. بل الأوفى من ذلك أن ازدهار العلوم الدينية انما يرجع في نظر محمد المختار السوسي خلال القرنين اللاحقين إلى هذه المساهمة القيمة (*مدارس*، 52 ـ 53). لقد كان أول قاض للقضاة بعلمنا هو محمد بن سعيد بن علي من أسرة أبناء عبد العزيز الأزاريفيين (*مدارس*، 113 ـ 114). وقد توفي سنة 1043 / 634 (*المعسول*، 8 : 137). وإذا كان عدد القضاة يومها أكبر من أن نلم به، فإنه يكفي أن نذكر من بينهم : عبد الله بن علي بن محمد بن امحند

أو إبراهيم الشيخ التمنارتي الذي توفى سنة 1074 / 1664 (*المعسول*، 7 : 54). كما أن هناك عبد الرحمن بن محمد بن سعيد (*مدارس*، 113 ـ 114) والنوازلي سيدي عبد الواسع بن أبي القاسم المرابط البعقيلي من أهل أغرابو المنتمين إلى ابن رشد (*وفيات*، 14).

من هنا نكون أمام حلقة وصل تربط بين بداية إليغ القديمة ونهايتها. فالاتصال على مستوى الأجيال التي تقاسمت حياة المدرسة منذ عبد العزيز الرسموكي البرجي تلميذ عبد الله بن يعقوب وأبي عيسى السكتاني بتارودانت، إلى تلميذه الحسن اليوسي معاصر الرعيل الأول من تلاميذ الشيخ ابن ناصر (*المعسول*، 7 : 20). الا أن مقتضى الدفاع عن الجانب المتكامل الأبعاد لمدرسة إليغ الأولى يقتضي الدفاع عن أهمية الجانب الأدبي. لقد كان من بين الذين تألقوا في هذا الميدان العالم الأديب محمد بن الحسن بن بلقاسم اللكوسي كاتب أبي حسنو السملالي. فقد نظم بالإضافة إلى *نقاية* السيوطي، قصائد مشهورة في أساليب متنوعة (*المعسول*، 7 : 6 ؛ *إليغ*، 84 : 85). من أبرز إنتاجاته الأدبية مراسلات أبي حسون السملالي مع محمد بن الشريف العلوي (*الاستقصا*، 3 : 111) ومع يحيى الحاحي (*إليغ*، 82). وهي رسائل تمثل نوعا من التأليف الذي يهتم فيه مؤلفه بالنقل والاختيار ويعمد فيه إلى إبراز جوانب من ثقافة الخاصة. يظهر من هذا الجانب أمر هام للوضعية الثقافية التي يتأدى فيها التعليم الإسلامي إلى أهل اللسان الأمازيغي السوسي. وهنا لا بد أن نضيف للتوضيح، بأن اللغة المستعملة بمدرسة إليغ للتعليم شأنها شأن باقي مدارس سوس العتيقة، هي الشلحية. فاللغة العربية تدرس قواعدها عادة باللغة الشلحية مثل *الأجرومية والألفية* وكذا بالنسبة للفقه مثل مختصر *خليل* كما يفيدنا محمد المختار السوسي (*المعسول*، 20 : 280). لقد كان اكتظاظ البرنامج اليومي من صلاة الصبح إلى ما بعد العشاء، مع فترات استراحة تمثلها أوقات الصلاة، ينضاف إلى الاعتماد الكلي على الحفظ والعقاب كطريقة تربوية، ليبرز المنهج الأمثل في التعليم على كل المستويات (*المعسول*، 3 : 270، 10 : 155). على أننا سوف لن نستقصي القول في هذا الجانب لأنه قد يلزمنا عرض المناهج التربوية وتاريخها إلا أنه يبرز بجلاء تام الجانب الذي كان يميز أسرة الأمير أبي حسون كأسرة عالمة. إن عددا من علماء جزولة المشهورين ينتمون إلى هذه الأسرة. ويكفي أن نشير من بينهم إلى محمد بن علي بن الحسين بن احماد أو موسى الذي تتلمذ على عيسى السكتاني وعبد العزيز الرسموكي البرجي وتلميذ هذا الأخير يعقوب السملالي وعلي بن أحمد السموگني، وقد أشار الحضيكي إلى أن وفاته كانت سنة 1066 / 1658 مما يفيد بأنه كان أستاذا بإليغ القديمة. كما كان العالم الحسن بن علي بن الحسين بن القطب احماد أوموسى هو أيضا تلميذا لكل من عبد الله بن يعقوب وعلي بن أحمد السموگني (*المعسول*، 12 : 57). وعلى الرغم من أن هجرته إلى مراكش وحاجة قد تكون هربا من سيد إليغ، إلا أن وفاته عشر سنوات بعد هذا الأخير قد تفيد قدومه إلى المدينة.

بوضوح هذا الجانب عن ارتباط هذه العائلة بالعلم والتدريس، لم نعد في حاجة إلى المقارنة السريعة والتوفيق الحدسي بين ما يميز إليغ القديمة والجديدة. فهذه رؤيا تدفعنا لفصل القول بالامتداد العضوي عبر الأجيال اللاحقة للمدرسة وملامحها التاريخية (*إليغ*، 289 ـ 261 ـ 296 ـ 297). ومما لا شك فيه أن الصورة الحقيقية التي ستطبع الآفاق المحلية للإمارة هي اختياراتها التي تستند على العمل التجاري والتربوي بالذات لتجديد أمر الدين والدنيا وتنشيط معالمها. هذا بالضبط ما يبينه كتاب *إليغ قديما وحديثا* والجزء الثاني من *خلال جزولة* (26 وما بعدها). على أن الإشارات الكثيرة من خلال كتاب *المعسول* توضح أهمية المدرسة خلال القرن التاسع عشر. لا سيما وأن الحسن أوهاشم قضى حياته في الاقتداء بمؤسس الإمارة (*سوس* 159 ـ 162). والواقع أن ثمة تحولا واضحا في مسيرة هذه المدرسة خلال هذا القرن. ذلك أنه بالرغم من كون تلامذة العربي الأدوزي قد ملأوا المدرسة (*المعسول*، 8 : 157 ـ 282 ـ 288)، إلا أن نسبية المقارنة مع الفترات السابقة تكشف عن المضاعفات القياسية لانهيار إليغ تجاريا وسياسيا.

اليوسي، *فهرس* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. المختار السوسي، *المعسول* ؛ *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الإلغيات* ؛ *إليغ قديما وحديثا* ؛ *مدارس سوس العتيقة* ؛ *مناقب البعقيلي* ؛ *وفيات الرسموكي*.

M. Tozy, *De quelques lieux de la competition politique au Tazerouait, Colloque International sur le devenir de la société rurale au Maroc*, BESM, nº 159-160-161, 1978, pp. 155-182.

مصطفى ناعمي

الإليغِي، الحسين بن هاشم بن علي بن يحيى بن احماد ابن محماد بن علي المشهور بأبي حسون السملالي المكنى ببودميعة، بن امحمد بن امحمد بن سيدي احماد أوموسى دفين تازروالت وقطب الجنوب المغربي كافة. ومعلوم أن مكانة هذا الأخير قد مهدت الأمور أمام ظهور إمارة تازروالت، فقد بنى أبو حسون السملالي مدينة إليغ عاصمة الإمارة بعد أن أسس الإمارة في بداية القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي. وهي إمارة تنفرد من بين إمارات هذا القرن بالاستمرارية في ظل الدولة العلوية المركزية. فقد انتهت النكسة التي سببها المولى الرشيد للإمارة سنة 1727. بعودة يحيى إلى عين المكان ليمهد استقرار ابنه وحفيده هاشم والد الحسين. وهكذا عمل هاشم بجد منذ 1810 على تثبيت دعائم الإمارة مغتنما فرصة ضعف مخزن المولى سليمان. لقد حاول جهده استعادة جزء من الأراضي الأميرية التي كان جده محماد بن أبي حسون السملالي قد تخلى عنها خلال نفيه. كما عمد تنظيم موسم سيدي أحماد أوموسى التجاري محييا بذلك الشبكة

الرابطة بين إليغ ومحيطها البعيد والقريب. وقد كان من نتائج هذه المحاولة أن تكررت الحملات السلطانية على إليغ الجديدة بقيادة محمد بن يحيى أغناج وهروب هاشم غير ما مرة إلى أحماد بن صالح الأسكاوري من إيد عيسى حيث ولد له الحسين سنة 1224 / 1809 من أم أمانوزية تدعى باكة بنت عبد النعيم (*إليغ*، 245). كما تجلى تحالف خصوم العائلة التقليديين كنتجة منطقية انتهت بتدبير موت هاشم أثناء موسم تازروالت سنة 1825 (*La Maison*, 91). جاءت بذلك خلافة علي بن هاشم لأبيه أمرا عاديا لم يلبث أن كشف عن عجزه في الأخذ بثأر أبيه ومواجهة الضغوط المتراكمة ممهدا بذلك السبيل إلى وصول الحسين إلى السلطة سنة 1258 / 1848. وهنا تسجل الأحداث بأنه إذا كان هاشم قد سعى إلى الاستمرار في الخط الرائد الذي رسمه أبو حسون السملالي سعيا في تثبيت دعائم الإمارة، فإن ابنه الحسين يعد بحق أكبر مدعم خلال القرن الماضي لاستقلالية الإمارة ووجودها.

لقد نشأ الحسين نشأة الأمراء الذين توفرت لهم مجمل المؤهلات العلمية والعسكرية والترفيهية، فجاء متميز الشخصية قويها (*إليغ*، 249. 250). يصفه الناس بشدة الوطأة والشجاعة والحرص على الانتقام وحب الرئاسة. وبالرغم من أن سلطته الملموسة لم تكن تتجاوز بسيط تازروالت وإليغ، فإن استراتيجية السوق المحلية ودورها الاقتصادي خلال هذه الحقبة الزمنية قد سهلت مأموريته كما سنرى. وقد عُرف بنفسيته المتعالية وتطلعاته السياسية التي تعتبرها الرواية الشفوية من أشهر مميزاته الفطرية، ولن تلبث الإشاعات أن تجعل منه قاتل أخيه علي. والفكرة هنا قد تواكب بعض مستخلصات الرواية الآتية التي تبرز مكانته بين أعلام العالم القبلي منذ استحواذه على الإمارة. فقد استضاف بطلب منهم سنة 1260 / 1844 آل سيدي امحند أوبراهيم الشيخ التمنارتي وأبناء أمغار التمنارتي للفصل بينهم في قضية مقتل أمغار (*إليغ*، 252). ولكن حيرته وتماطله الكبير أمام استعصاء الفتوى اضطرت طرفي النزاع في نهاية المشكل إلى الوصول للحل المناسب في غيابه. فجاءت بذلك الصياغة الزمانية لمشكل عادي من هذا الحجم محملة بالتساؤلات حول خلفيات هذا التماطل. ذلك أنه علاوة على تحكم الحسين في موقف كهذا، فإن التماطل يكشف في مراميه دلالة أساسية عن رغبة السيد الجديد في القيام بأكبر دعاية حول أهميته كسلطة راسخة المعالم. والمحلل لمثل هذا المنحنى من الفرضيات السياسية لا يمكنه إلا أن يلمس التخطيط والبحث الناطق عن السمة التاريخية المتميزة. بالإضافة إلى ذلك فإن الجانب البرتكولي الذي سيميز موكبه عن سابقيه والهالة التي سيضر بها حول تحركاته هي مؤشرات إضافية تبلور الجنوح الواضح للسلطة ومستوى تعبيري، يجب أن نركز على المدرسة التي أطرته منذ طفولته من حيث مرتكزها التنظيري والتطبيقي في الاتجاه السياسي الذي يتوسل بالصراع على مختلف ملامحه. فما هي المنهجية المعلنة خلال 45 سنة من الرئاسة وإلى أي مدى سينجح الحسين بالفعل في استنباط اختصاصاته المتميزة بالاستناد إليها ؟

لقد كان الالتفاف الجزولي حول زاوية القطب سيدي احماد أو موسى بتازروالت رمزا اعتياديا تابثا للرغبة الجماعية. هذا التعريف الديني ذو النبرة السياسة توظفه التشكيلات القبلية بشكل تركيبي في علاقتها مع تازروالت وعاصمتها إليغ. ففي إطار العلاقة بين الشرعية المركزية للدولة العلوية والإمارة تطرح مسألة المراجعة الدائمة بناء على ما يقتضيه التحالف القبلي الجزولي حول بنيته السياسية المحلية. وهكذا فإن النواة التي تتحكم تجاريا ودينيا في المعطيات السياسية والاجتماعية تتأسس على فكرة الالتحام بتازروالت وعاصمتها. ذلك ما تبرزه بجلاء المراحل التي أعقبت غزو المولى الرشيد لإليغ سنة 1081 / 1670. إن الاستعادة الصورية للأحداث توضح تحكم هذا الثابت البنيوي الذي سيتبناه الحسين بن هاشم في شكله المهيمن (*إليغ*، 278. 279).

وهو أمر صادف الاستقرار النسبي الذي كانت تعرفه الإمارة يومها نظرا لعامل رئيسي. ذلك هو إرساء الهيكل التأطيري لتجارة القوافل بمواسم تازروالت ووادي نون السنوية. هذه المواسم كانت توفر للقبائل جملة من الاختيارات للإبقاء على إمكانية المقايضة كأفضل وسيلة لتبادل المصالح والحاجيات. لقد كان على سيد إليغ أن يرتب جملة من الامتيازات الممنوحة بشروط خاصة تهم علاوة على طبيعة القروض ومدة صلاحيتها، ترصيص شبكة من التحالفات المدعمة لسلامة السوق وأمنها ؛ هذه المهام التجارية والسياسية تجعل وحدها من سيد إليغ حامي حركية الرواج السلعي والمتوفر على مطلق الصلاحيات لتنفيذ ما يراه جديرا بتخطي عراقيل الأمن والرواج التجاري.

ومن بين الدراسات القيمة التي قام بها پول ياسكون حول إليغ الجزء التمهيدي لدفاتر *بيوعات الحسين بن هاشم*. فقد لاحظ في دراسته *إعادة شراء تازروالت من طرف إليغ* بأن كلمة بيوعات لم تكن تعني إلا الملكيات التي تم شراؤها نقدا. كما لاحظ بأن عقود شراء هذه الملكيات تتوزع في ثمانية من بين عشرة سجلات دوّنها النساخ. وبالرغم من كون الراحل پاسكون لم يتمكن من إتمام مشروعه الدراسي، إلا أنه تساءل عن وتيرة هذه المشتريات وعلاقتها بالعمليات التجارية. وقد سجل بأن تحصيل ممتلكات القاصرين أو محميي إليغ غالبا ما تأخذ شكلا نهائيا. كما أن تملك الأراضي المرهونة أو المدفوعة مقابل قروض محددة الأجل، تعتبر أمرا معمولا به واعتيادا تبرره بعض النوازل الفقهية المتساهلة حتى خارج تازروالت. على أن الطابع النهائي لعمليات الشراء العادية كان يفترض بالضرورة توفر الأموال. فجاءت بذلك السياسة التمويلية

للحسين بن هاشم كأفضل وسيلة لترويج كمية لا يستهان بها من القطع النقدية من خلال اقتصاد زراعي لا يعرف الفائض الإنتاجي. لقد قامت الإمارة بالاستيلاء على أربعة أو ستة آلاف هكتار لا تمثل من بينها ممتلكات تازروالت إلا حوالي 7 ٪. ونظرا للطريقة المشبوهة التي أدت إلى الهيمنة على ما تبقى من هذه النسبة، فإن ضخامة حجم الاستثمارات التي تتطلب حوالي 70.660 درهما لتجهيز كل هكتار تطرح المزيد من التساؤلات. ما معنى هذا النهج في منطقة تعتبر فيها إنتاجية ومردودية الأرض جد محدودة؟

من هنا يتدخل حجم النشاط التجاري عبر الصحراء كمؤطر بنيوي أساسي لعمليات القرض والتمويل. لقد كان الحسين بمثابة بنك للمشاريع على طول السنة، إلا أن حركية الرواج كانت ترتبط أساسا بمناسبة المواسم الثلاثة الكبرى لسيدي احماد أو موسى في نهاية شهر مارس ونهاية شهر أكتوبر وبالأخص في نهاية شهر غشت عند وصول القوافل الكبرى. ضمن حدود هذه المعايير التحليلية فكر پاسكون في مقارنة المنحنى الشهري لتواريخ حلول آجال القروض بمنحنى التملكات العقارية لتحليل دور التجارة في القدرة الشرائية للملكيات العقارية. وإذا كان الموت قد حال بين هذا الباحث ومشروعه الضخم فإن السؤال الذي يبقى معلقا هو لماذا عمل الحسين من حيث هو كممول بنكي على حيازة الممتلكات العقارية بحجم قد لا يكون هو خير وسيلة لمواجهة النكسات الطبيعية ومراقبة أسعار واحتياطي المنتجات الفلاحية والرعوية؟

علاوة على المسار التاريخي للبنيات الزراعية للإمارة، فإن دراسة پول پاسكون تشكل مرجعا لا ينضب مركزة على الدور الاستراتيجي للتجارة في احتكار المجال الاقتصادي والسياسي. فمراقبة الشبكة التجارية هي الكفيلة وحدها بتغطية نفقات إليغ وتزويد مذخراتها. ذلك أنه إذا كانت آلاف الهكتارات تمنح دار إليغ ما تسقيه عيون سوس الشاسع والحق في التسيد على جماعات متمايزة من أهل المداشر (*La Maison*, 20 - 40)، فإن سجلات الحسين ترتكز على نشاط بنكي رهين بالضواغط المتحكمة في نشاطه كمقاول بنكي. لقد أبرز پاسكون بأن نسبة 89 ٪ من المقاولات التجارية قد تمت ما بين 1277 ـ 1289 / 1860 ـ 1872. هذه الفترة تكاد توافق تولي المولى محمد بن عبد الرحمان السلطة المركزية. وهو جانب قد يرتبط بحرص الحسين على تمويل المشاريع ليواجه بعد ذلك بضرورة حمايتها والسهر على استعمالها المربح مما يجعل لزاما عليه المجازفة في حدود معينة. تقييم هذه الحدود يغدو بالنسبة لسيد إليغ رهينا بتعدد المعايير بحيث لا تعدو الضمانات أن تكون عنصرا من بين عناصر شتى نذكر من بينها : 1 ـ "سلف الله والإحسان" الذي يمثل ربع مجموع العمليات المالية. وهو نوع من السلفات يتم عادة يوم الخميس الذي هو يوم انعقاد السوق الأسبوعي. ولا يخفى دور هذه القروض الشخصية من حيث هي كوسيلة مثلى لكسب ولاء أو حياد الأعيان المقترضين. 2 ـ تمويل المقاولات التجارية، وهي سلفات تقتضي تمويل مشروع إعادة بيع السلع الواردة عبر مختلف أسواق سوس واقتسام الربح مناصفة (*La Maison*, 60). وبمقتضى هذا النوع من العمليات البنكية المحضة تتم الاستفادة من رأس المال المستثمر مع الإخلال الضمني لا الشرعي بتحريم الربا. 3 ـ تمويل المقاولات الإنتاجية للفلاحة وتربية المواشي. 4 ـ بيوعات بالسلف المشروط. 5 ـ الكفالة أو الالتزام بالدفع للحسين من طرف غير المقترضين. 6 ـ الالتزام بالدفع المحدد في حالة ضياع العبيد أو الماشية أو البضائع المعارة. 7 ـ قروض شخصية:

هذه السياسة التمويلية تطرح كما نرى مشكل إعادة هيكلة الرواج المرتبط نوعيا بالمحيط العام لتمويل المقاولات. وهي سياسة تقتضي التوفيق بين الرغبة الأكيدة في تمويل أكبر عدد من المشاريع وبين الحفاظ على احترام ومراقبة التوازنات الداخلية مما يستدعي ضرورة إحلال التوفير الداخلي وتعزيزه على الأمد المتوسط والطويل. هذا النهج السياسي يبدو الدافع الأول إلى تخصص الحسين في هذا الجانب الاستراتيجي دون غيره. فنجاعة العمل بمقتضى تعليمات معدل الفائدة وبالتالي معرفة ما إذا كان التزايد في وسائل التمويل لتأطير القروض أمرا ضروريا، لا يمكن تحقيقه إلا بحضور نظام متكامل الأبعاد. هذه الظرفية تجعل لزاما على سيد إليغ أن يضمن لخططه القدرة على مواجهة العمليات الهادفة والمتكاثرة وذلك بطرق موثوق بها تبرهن على مردوديتها، وهكذا فكيفية التدخل قد تتخذ أشكالا متنوعة تقوم بتشخيص الحالات المعينة واستنباطها. ولعل هذا هو ما يفسر أن أغلبية القروض الممنوحة لا تتجاوز نصف سنة كمدة وسط. كما أن اتخاذ الإجراءات الناجعة فيما يتعلق بتزايد الدعم التمويلي وتلاؤمه تنبثق من تيسير المساطر وتنويع التقنيات البنكية.

لقد هيأت المعطيات الجغرافية مجمل الفرص التي مكنت إليغ وگليميم خلال القرن التاسع عشر من احتكار تجارة القوافل (*La Maison*, 67-69). فتحكم بذلك الحسين بن هاشم في المحور الرابط بين إليغ وتندوف وتنبكتو عبر تاودني. كما انفرد أهل بيروك بالطريق الساحلية الواصلة إلى شنقيط فأطار (Gatell, 24). لقد تكفل تجار قبيلة تجكانت المرابطة بتندوف بتزويد مشوار إليغ بسلع تنبكتو كخير معامل لرواج وديناميكية الحسين فلم يبق على هذا الأخير إلا الشراء حسب شروط العرض أو التدخل كوسيط لبيع هذه السلع بعد أن يتم شراؤها من طرف التجار الآخرين. بذلك يتصدر ميدان المبادلات حسب متطلبات يهود الصويرة الذين كانوا يقومون بالوساطة مع الأروبيين. تكون بذلك إليغ محطة سلعية للتمرير من الصويرة وإليها، حيث تقوم التجارة الأروبية بتقنين العرض والطلب (O. Lenz, 1 : 350-359). ونضيف بهذا الصدد أن الحسين كان قد سمح بدخول اليهود لأول مرة إلى موسم تازروالت (O. Lenz, 1 : 364). كما أنه سن ذغيرة إضافية

سماها أسكارلانز بنفقات الشرطة (351 ـ 350 : 1). وبذلك ندرك لماذا لم تسجل كنانيشه خلال عشرين سنة إلا جريمتين لكل سنة. يتجلى بذلك دوره المتكامل الأبعاد في استتباب أمن الأشخاص والممتلكات عبر شبكة طرقية تتجاوز السوس إلى ما عداه. وهي حقيقة تاريخية تتطلب بالإضافة إلى تكذيب مرويات الأجانب، مراجعة المفهوم الاصطلاحي لكلمة «بلاد السيبة».

لقد تحولت إليغ في عهد الحسين بن هاشم إلي مكان اندماج الأعيان وندوتهم (*إليغ*، 267 ـ 268). فجاء بذلك التعدد في المقاصد خير سمة تاريخية للكشف عن حركية الصراعات المحلية وطبيعتها. وبالرغم من أن تمنارت وگليميم كانتا تشاركان إليغ في تمثيل الهيكل التأطيري لحلف جزولة التاريخي، فإن الهالة الدينية المميزة لإليغ كانت تمثل خير سند في تزيين صورة الحسين وإظهار ألمعيته، وحينما نشدد على أهمية هذا الرئيس المتميز من حيث هو كبنية فلأن تناسل المقدرات على امتداد المجال القروي السوسي يعني أساسا انتقال التصرف من الممارسة الاجتماعية إلى الممارسة السياسية المحض. إننا إذا تناولنا الاختلافات القائمة بين الحسين وبين الرؤساء المحليين، فإنه لا داعي لخشية الوقوع في إشكالية حل اللف الجزولي. فهذا أمر لا يمكن أن يتحقق إلا من داخل المشروعية الدينية لهذه الإمارة في تزعم حلف جزولة الأكبر. إن المجال الوحيد الذي يمكن أن نستمد منه المعلومات هو مجال علاقات جميع القبائل الجزولية مع الفئات المنتمية إلى لف تْحگّاتْ. بل إن الحسين قد يذهب إلى حد المغالطة المقصودة كأفضل وسيلة للتسيّد بعد أن يكون قد اشتم سوء التصرف. فيكرر على النحو مداخلاته إلى أن يعثر على ما يلزمه من إصغاء. هكذا تتأرجح النزعة السياسية الأميرية بين الموقف المتشيع والموقف الانتهازي لتكرس صورة الأمير كقوة سياسية متميزة ومهابة من طرف الخاص والعام. وهي صورة تكمن كما نرى في قدرة سيد إليغ على إبراز السيرورة الداخلية التي من خلالها تتم مقاومة عوامل التغيير الجريئة. فحتى وإن تعارضت القراءات في بعض المستويات مع ما قدمه هذا النموذج من خصوصيات، فإنه يمنح مجموعة كبيرة من المعطيات حول الصيغة المتكاملة للرئيس القبلي. انطلاقا من هذا الطرح فإن سيد إليغ يمثل مرجعا لا ينضب درجت الرواية على وصفه بأكبر شخصية متميزة خلال التاسع عشر بمنطقة سوس. بل الأوفى من ذلك أن صورته ما انفكت منذ وفاته سنة 1303 / 1886 تلعب دور الخميرة مما يجعل من العسير التحدث عنه أو سماع الحديث عنه بالصفاء واللامبالاة المتجردة. ولتلمس حالة الهيبة والاحترام التي أحاطت به حتى خارج سوس والمغرب، فلننظر للرسائل السلطانية إليه. إن الدراسة الهامة التي قام بها پول باسكون ومحمد الناجي بهذا الشأن تواجهنا بحقيقة ثابتة وهي التأكيد على الطابع المستقل لإليغ كإمارة على هامش الدولة المركزية. إن كلمة «محبنا» التي خاطب بها دائما السلطان سيد إليغ لا تفاجئ المهتمين بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي المغربي. لقد جرت العادة يومها بأن تستجلي الرسائل السلطانية مكانة المرسول إليه من خلال الباب التمهيدي الذي يبتدئ دائما بكلمة «خديمنا الأرضي». وإذا كانت المفارقة بين الخديم والمحب تبرز آثار المفاهيم الحقوقية، فإن تدرج القواعد المخزنية يومها يُبرز القوة الحقوقية المطلقة التي تميز الحسين بن هشام.إلى حدود سنة 1280 / 1863 جرت العادة بين سيد إليغ والسلطان على تبادل الخدمات الودية فجاء بعد ذلك تحالف الحسين مع أهل بيروك بگليميم حول فكرة التعامل المباشر مع الأروبيين، سببا في توتر هذه العلاقات بشكل ملحوظ (*إليغ*، 274 ؛ *المعسول*، 12 : 99). لقد جاء بناء ميناء الصويرة منذ سنة 1765 ليضيف عنصرا إلى بداية انكسار البنية الاقتصادية المحلية من جراء انجراف تجارة القوافل نحو المرافئ الجنوبية للصحراء. فجاء تضييق الخناق كقاسم بين إليغ وگليميم من حيث هما محطتان ترتبط تجارتهما بضرورة تسهيل الرواج والتوزيع عبر خط بحري مباشر. هنا وعلاوة عما تورده المنغرافيات الأروبية المعاصرة، فإن دراسة پاسكون والناجي تتدخل بشكل حاسم لتوضح عن كتب فترات احتداد التنافس بين المحطتين حول رغبة كليهما في الانفراد بمشروع الميناء البحري. ولا بد من أن نشير بهذا الصدد إلى أنه بالرغم من احتفاظ إليغ بمكانتها كمؤسسة تراثية لمواجهة التسرب الخارجي، إلا أن تقاليدها المؤسسة لم تكن تتنامى مع مبدأ التبادل التجاري والسياسي المباشر عبر شواطئ المنطقة مع القوى البحرية. نحيط من هنا بحساسية المشاكل الأساسية التي كانت تعكر صفو إليغ. فقد أنهكت التناقضات المتزايدة قوى الحسين مما أدى بأعدائه البعقليين إلى محاولة تحطيم دعائم إليغ للحد من محاولات إليغ وگليميم. وقد ارتأى الحسين بن هشام وهو في أحلك ساعاته الأخيرة أن يلجأ إلى جبل سملالة بالرغم من مرضه وتزايد أعدائه بدل المثول أمام الحضرة السلطانية بتزنيت التي لا تبعد إلا بحوالي 40 كلمتر. هذا الاحتياط من المحاولات العسكرية لم يحل دون الحسين وإرسال ابنه محمد ليؤدي مراسيم الولاء. وهكذا بلغ نبأ وفاته إلى ابنه وهو بالموكب السلطاني حيث لم يلبث أن تسلم ظهير تعيينه قائدا على قبائل تازروالت وسملالة ورسموكة والمعدر وأيت رْخَا وتانْگرْتْ وإداوْشْقْرا. ولا شك في أنه بإمكان أي بحث منغرافي أن يثبت ما في هذا التعيين من تخفيض لخليفة الحسين ابن هشام الذي لم يلبث بدوره أن انكب على إعادة الأمور إلى نصابها.

ع. ابن زيدان، *الإتحاف*، 1 ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 ؛ م. المختار السوسي، *المعسول*، 12 ؛ *سوس العالمة* ؛ *خلال جزولة* ؛ *الإلغيات* ؛ *إليغ قديما وحديثا*.

J. G. Jackson, *An Account of the Empire of Morocco and the District of Suse etc.....* Londres, 1809 ; Ch. Cochelet, *Naufrage du Brick Français "La Sophie" Perdu le 30 Mai 1819 sur la Côte Occidentale d'Afrique etc....* Paris, 1821 ; J. Gatell, *Description du Sous*, Bulletin de la Société de Géographie, Mars

- Avril 1871 ; F. A. Mathews, *El Sus, El Wad Nun y El Sahara*, Boletin de la Sociedad de Geografia de Madrid, XII, 1882, pp. 513-525 ; O. Lenz, *Tombouctou*, traduction Lehautcourt, 2 tomes, Hachette, Paris, 1886 en particulier t. I, pp. 351-359 ; R. Jannasch, *Die Deutshe Handelsexpedition*, 1886, Berlin, 1887 ; Ch. De Foucauld, *Reconnaissance au Maroc* ; A. Le Chatelier, *Tribus du Sud Ouest Marocain, Bassins, cotiers Sous et Draa*, Publication de l'Ecole des Lettres d'Alger, Paris, 1891, pp. 34-51 ; L. Justinard, *Notes sur l'histoire du Sous au XIXe Siècle*, Hesp., t. V, 1925, 2è, p. 227-238, T. VI, 1926, 4 et p. 351-364 ; *Les Aït Ba Amrane, Villes et Tribus du Maroc*, 1930, Vol. 8 ; *Notes d'histoire et de littérature*, Hesp., 1949, 3 - 4, p. 321-32 ; *Un petit royaume berbère, le Tazerwalt, Un Saint Berbère, Sidi Ahmed U-Musa*, I.H.E.M., 1954, Paris, 125 p. ; E. W. Bovill, *Caravans of the Old Sahara, An Introduction to the History of Western Sudan*, Oxford, 1933 ; *The Golden trade of the Moors*, Londres, 1958 ; J. L. Miège, *Le Maroc et l'Europe*, T. I, p. 130, etc.., T. II, p. 88 etc.., p. 90 etc.. *Documents d'Histoire* ; J. Meunié, *Le Maroc Saharien*, T. II, pp. 640-733-734 ; P. Pascon, *Le Commerce de la Maison d'Illigh d'après le registre comptable de Husayn B. Hachem (Tazerwalt 1850-1875)*, Annales E.S.C, nº 3-4, Août, 1980, pp. 700-729 ; *La Maison d'Illigh et l'histoire sociale du Tazerwalt*, Smer, Rabat, 1983, 223p. ; M. Ennaji, *Le Makhzen et le Sous Al Aqsa: la correspondance politique de la Maison d'Illigh*, CNRS, Paris, 1988.

مصطفى ناعمي

أليلي ← الدفلى

أمَارگْ، 1. لغويا : أمارگ (ج إيموريگ)، حالة عاطفية تجمع بين الحزن والحنين والشوق إلى البلد الأم (تامازيرت) أو إلي الأحبة الغائبين، وهو إحساس ممزوج بنوع من الحسرة واللوعة والحرمان والمرارة الدفينة : (يَاغْت وُومَارگْ = ألمّ به الشوق والحنين) وتستعمل مفردة أمارگ/إيموريگ في المجالين الأدبي والفني لينسحب مدلولها على مختلف أشكال التعبير الأدبي والإبداعي وخاصة في ميدان الشعر والغناء والموسيقى، راقصة كانت أو غير راقصة.

أمَارگ = الشعر. غالباً مالا تعني الكلمة النظم بمفهومه التقني (أي الصنعة) بقدر ماتدل على الشعر كنتاج انفعال وجداني. ويعرف الشاعر (أنْظّام، أمارير) أيضا بـ "بُووْمَارگ" أو "بَابْ نُومَارگ" (= صاحب الشعر). وفي نفس السياق يطلق المصطلح علي القصيدة الشعرية في حد ذاتها أو على الانتاج الشعري لشاعر معيّن (أمَارگ ن. سيدي حمُّو طّالب) وعلى الأغنية أو مجموعة الأغاني المتداولة في أحواش أو من قبل الرّوَايس (= أمارگ ن وحْوَاش، أمارگ ن رّوَايس، أمارگ ن ترُويّا) .

ومن الواضح أن العلاقة بين مدلوليْ أمارگ، اللغوي والفني تصبح بديهية بالنظر إلى مفهوم الشاعرية في الثقافة الأمازيغية، حيث إنها ليست وظيفة متميّزة، بقدر ما هي مجموعة مواصفات ينفرد بها أنْظّام (الشاعر) خاصة منها توفّره على موهبة فطرية وقدرة على التعبير البليغ عن تصورات إبداعية وفلسفية للأشياء. وذلك مادفع ببعض الدارسين (پوليت گالان 1985 : 115) لافتراض علاقة محتملة بين جذر كل من كلمة أمارگ وكلمة تَاوَارگا (الحُلْم) باعتبار أن أمارگ كالحلم، "مجال" للرؤى والأخيلة والأوهام".

بالنسبة للمعجم الأمازيغي بالأطلس المتوسط (تامازيغت) ينحصر استعمال الكلمة على مدلولات " الشوق والحنين واللوعة" بخلاف الجنوب المغربي، الناطق بتاشلحيت (سوس، الأطلس الكبير والأطلس الصغيرحيث تتداول بمفهوميْها اللغوي والاصطلاحي الفني .

2. أمارگ، بمفهوم الشعر (= تانضّامْت، آوَالْ) : الشعر من أقدم الفنون والآداب الأمازيغية، واكثرها تداولا وانتشاراً في المجتمع الأمازيغي قديماً وحديثاً، وهو من أهم المكونات التي ترتكز عليها الثقافة الأمازيغية المتسمة بالشفهية والجماعية. والشعر وما يتصل به من فنون كالغناء والرقص، ليس في أصله حرفة تحتكرها طبقة معينة، بل ظاهرة جماعية وتجربة يمكن للشخص ممارستها دون الانسلاخ عن وضعيته الرئيسية وعن أنشطته اليومية كفلاّح، كسائر أبناء قبيلته. وتكون المناسبات الاجتماعية والدينية، كالأعراس والحفلات والأعياد والمواسم، فرصة يهتبلها الشعراء (أيت أومارگ) لإبراز مواهبهم، خاصة في حلقات أحواش (أسَايْس/إسُويَاس)، حيث ينذمج الشعر في آن واحد مع الغناء والرقص الجماعيين.

وذلك ما جعل مصطلح أمارگ يفيد كلاً من الشعر والغناء والرقص في نفس الوقت، كما أدى ذلك إلى ارتباط الشعر الأمازيغي بالغناء، ممّا يجعله في أصله شعراً غنائياً أكثر منه شعراً بحتاً، والواقع الأدبي الراهن يفرض الفصل بين الشعر التقليدي (أو الغنائي) وبين الشعر "الحديث"، ذلك أن أمارگ التقليدي تحتّم عليه طبيعته الشفهية والجماعية أن يلتصق بظروف تواصلية محدّدة، يفقد بدونها قيمته الفنية لدى العامّة، إذ من تلك الظروف يستمدّ مدلوله ومقوماته ووظائفه. فالشاعر لا ينشد أشعاره (إبداعاً كانت أم محفوظات) الاّ أمام جمهور ينذمج معه عضوياً ويتفاعل معه ويتأكّد هو (أي الشاعر) من إصغائه له، مع التزام جميع الأطراف بطقوس معيّنة تفرضها المناسبة (أحواش أو غيره). وتنعكس ظروف هذا التواصل المقنّن على مضمون الشعر نفسه، حيث يكون الموضوع ذا علاقة بالمناسبة وبالحياة اليومية للقبيلة وللإنسان في البادية عموماً، وقد تتخلل القصائد المغناة تعاليق على انشغالات الأهالي محليّاً ووطنياً وعالمياً. وتبرز الوظيفة التواصلية في أمارگ على مستوى عبارات المقدمات والاستهلالات التي تتكرر فيها عناصر"إفهامية" مركّزة على المتلقي مثل أيْتْما (إخواني) لأَحْبَابْ (الأحبة، الحضور) الخ.

ويتجلى ارتباط الشعر الأمازيغي بالغناء أيضاً في الصعوبة التي يجدها أنظّام في قرض الشعر خارج إطاره الطبيعي، حيث يضطر إلى المرور من دَنْدَنَة وزنه وعروضه ولحنه (تالاَلايت) بصوت مسموع قبل نظم أبياته، وكأنه يستحضر الجوّ الأصلي الذي يتأتّى فيه ارتجالُ النظم، من ذلك كلمة لْغَا (تَالْغَات) التي تطلق على القصيدة المغناة وعلى الشعر المغنى، وهي في مدلولها العميق مزيج من النص واللحن والغناء في الشعر.

من الشفهية إلى التدوين والكتابة (التأليف) : يجد دارس الأدب الأمازيغي عامة والشعرمنه بوجه خاص صعوبة كبرى في توسيع دائرة إلمامه بكل الإنتاجات القديمة في غياب حفظتها ورواتها، وذلك راجع للخاصية الشفوية التي تطبع الثقافة الشعبية بأكملها، حيث إن عدم تدوين الشعر القديم جعله عرضةً للتلف والتشويه والانتحال. كما أنه رغم قدم هذا الفن وعراقته في المجتمع الأمازيغي، فإن الذاكرة الشعبية لم تحتفظ منه إلاّ بالقسط الهزيل المنقول بالتوارث جيلاً بعد جيل. الاّ أن هناك استثناء يخص الأشعار المنسوبة إلى سيدي حمّو الطالب (أمرير 1985) والتي عرف قسط منها طريقه إلى التدوين والجمع والتداول رغم ما يحول حول ديوانه من تضارب في الآراء، ومثلها في ذلك بعض الدواوين الشعرية ذات المضمون الديني والعقائدي التي حظيت بالتدوين وأهمها بحر الدموع والحوض للأوزالي (سيدي محمد بن علي أگبيل أوزال) ولعقائد ن دين (عقائد الدين) للصنهاجي (القرن السابع عشر). ويظهر أن هذا الاستثناء يرجع أساساً إلى الطبيعة الدينية لهذه الأشعار، حيث إن غيرها من الأشعار الأخرى لنفس الأشخاص لم يُعتَنَ بجمعها وتدوينها، فأصابها الضياع أو التحريف. وقد ساهم الدارسون الأجانب وخاصة منهم الفرنسيون إبان فترة الاستعمار بكثافة في جمع الأشعار المتداولة آنذاك سواء بين العامة أو المنظومة من قبل شعراء معاصرين. ومن أقدم المجموعات المدوَّنة كتاب دولابورت(1840) الذي يتضمن قصيدة الصبي الشهيرة، وكتاب شتوم (1895) المشتمل على أشعار غنائية من تازروالت، وكذلك مؤلفات كل من جوستينار ولاووست (1930 / 1940) وأرسين وغيرهم. ويعد مؤلف بوليت گالان (1972) المتضمِّن لأشعار الجوّالين وفرق الروايس (الحاج بلعيد، أمنتاگ، بوبكر أنشاد، أزعري...) التي جمعتها مابين سنتي 1954 و1966 أهمّ المراجع العلمية في هذا المجال. وبعد أن عرفت الثقافة الشعبية المغربية انتعاشاً محسوساً في أواخر الستينات، اتجه اهتمام الدارسين المغاربة إلى الانتاجات الأدبية الشفوية لتأسيس تقليد جديد يرتكز من جهة على جمع مختلف أشكال التعبير الفني والأدبي المهددة بالتلف وتدوينها وذلك عن طريق تسجيل الروايات المحفوظة المجهول أصحابها، ومن جهة أخرى على تشجيع التأليف بالأمازيغية ونقل الإبداعات الشفوية إلى التقليد الكتابي. وهكذا، وبالنسبة للجمع والتوثيق ظهرت منشورات متعددة، منها أمانار (1968) لأمزال و إيمزّار (1975) لجمعية البحث والتبادل الثقافي (الرباط) التي أصدرت دورية أرَاتْنْ وهي ذات هدف مماثل إضافة إلى المجموعات الشعرية المدوَّنة التي تذيّل الدراسات الجامعية حول الشعرالأمازيغي (أمارير، معاوي ...). وعلى مستوى التأليف، فقد ظهرت فئة جديدة من الشعراء الشباب (الجيل الجديد) تنتمي إلى طبقة المتقفين الجامعيين والموظفين، ينشرون أشعارهم بالخط العربي أو اللاتيني سواء في المجلاّت أو علي شكل دواوين مستقلة. وبانتقال الشعر الأمازيغي تدريجيا من الشفهية إلى الكتابة، أصبح يدوّن حسب النموذج العربي العمودي المشطّر إلى شطرين، أو حسب النموذج الحديث عربياً أو أجنبياً، وذلك تبعاً للتيار الذي تندرج فيه ثقافة الشاعر. ويمكن القول إن هذه الظاهرة تعدّ بداية لنهضة ثقافية وأدبية طالت النثر الأمازيغي بدوره بعد أن تشبّع بآتارها الشعر لمدة طويلة، إذ أصبح الحقل الأدبي الأمازيغي يعرف إلى جانب الشعراء (مستاوي، صدقي، أخياط، إد بلقاسم، الجشتيمي بوزيد، أحرضان وغيرهم) ظهور مؤلفين للقصة (إد بلقاسم) والمسرح (المومني) والمقالة (أخياط ...). كما أصبح بتلك القفزة النوعية يميّز كيفيّاً مابين الشعر التقليدي الغنائي الذي ما زال مستمراً على أيدي الروايس وفي حلقات أحواش وأحيدوس، وبين الشعر الحديث المتداول في المجلاّت والدواوين والمحافل الثقافية إلى جانب الإنتاجات الأدبية الأخرى على الصعيد الوطني. ومن إيجابيات هذا التحوّل النوعي في طبيعة الشعر الأمازيغي تطويره وإغناؤه بمضامين وأغراض جديدة أخرجته من الدائرة المغلقة التي كان حبيسها لارتباطه أكثر بالمجال البدوي وبالغناء المبتذل بعد الانتقال به إلى الحواضر على أيدي الروايس المحترفين. إلاّ أن من المآخذ التي تسجل في حق الشعر الحديث (المكتوب) الخارج عن إطاره التقليدي الذي يضمن له تواصلية جماعية طبيعيّة، كونه يفقد باستنساخه وتداوله عبر الكتابة أهمّ خصائصه الشفهية ،منها النبر والإيقاع والتنغيم وحيوية التواصل المباشر بين الشاعر والجمهور، فضلاً عن صعوبة إعادة أدائه كما هو، من قبل القارىء (بوكوس 1985). وهكذا كسب الشعر الحديث خصائص جديدة كتنوع المضامين ومسايرة العصر لكن مع اختزال قسري مردّه إلى عدم كفاية تقنيات الاستنساخ الراهنة. ويرى بعض الدارسين (بوكوس، نفس المرجع) أنه بالإمكان تفادي سلبيات الاستنساخ هذه باستعمال تقنيات التسجيل والتوثيق الحديثة (الفيديو مثلاً). وعلى مستوى المبدعين، فقد أدت تجربة الكتابة والنشر إلى تصحيح الأوضاع وتكريس الشاعر كمنتج معرّف ومحدّد الهوية، تنسب إليه القصيدة ويصان بذلك انتاجه من الانتحال والتشويه، وأصبح في الوقت الراهن يُمَيِّزُ ما بين ما هو إبداع شخصي وما هو محفوظْ ومتوارث. كما بدأ التراكم المسجَّل في الساحة الأدبية الأمازيغية يفرز أسس بناء مدارس شعرية ذات تقاليد متباينة.

لغة الشعر الأمازيغي : كغيرها من اللغات الشعرية العالمية، تختلف لغة الشعر الأمازيغي بشكل محسوس عن لغة التخاطب العادية، إذ تتميّز بغنى من حيث معجمها وبغزارة في الصور البلاغية والتعابير المجازية والرموز والأخْيلة. كما تنفرد بخاصية شكلية تجعل تركيبها يخضع لقوالبَ النظم والعروض. وقد تطمس فيها الاختلافات المعجمية الموجودة بين اللهجات المختلفة، حيث تميلُ إلى

اختزالها لتكون مستساغة ومفهومة في مناطق متباعدة. وكثيراً ما تحافظ لغة الشعر على مفردات وصيغ عتيقة لم تعد متداولة في اللغة العادية، وكل هذه المواصفات وغيرها تنحو بهذه اللغة إلى أن تكون نواةً لتوحيد اللهجات المختلفة خاصة وأن الشعراء الجوّالين يقومون بدور نشر الكلام المنظوم خارج الحدود الجغرافية للقبائل، ومن هنا يصطلح على تسمية الشعر الأمازيغي بـ "أوال أمازيغ"، أي الكلام (الشعري) الأمازيغي الذي يستمدُّ تراكيبه ومعجمه وأدواته التعبيرية من لهجات مختلفة. ومن مميِّزات القصيدة الأمازيغية التزامُها باستهلال ذي مضمون ديني توسّلي، يتبرك فيه بذكر الله والرسول والأولياء والصالحين.

الشعراء والمغنُّون : بالنظر إلى شفهية الشعر الأمازيغي وارتباطه التقليدي بالغناء والموسيقى والرقص، فالشاعر (انظّام ـ أمارير...) هو في نفس الوقت المغني والمنشد للأشعار التي يقرضها أو يحفظها، وكثيراً ما يتولّى أيضاً مهمة قائد الفرقة الراقصة (في أحواش وأحيدوس). ذلك لأن الشعر لا يكون متكاملاً إلاَّ في محفل تواصليّ تكون فيه للشاعر وظيفة الإلقاء بمحضر جمهور مهتمٍّ بإنتاجه ومتفاعل معه. ولذلك يشترط في الشاعر حسن الصوت واحترام قواعد الإنشاد كاللحن والإيقاع والنبر. وينطبق ذلك على الشعراء في جميع المناطق الأمازيغية، التي يختلف فيها اسم الشاعر ـ المغني حسب وظيفة هذا الأخير وحسب اللهجة المتداولة في المنطقة التي يزاول فيها نشاطه الفني : أنظّام، أمارير، رأيس، أنشّاد، أمدْياز، شِّيخْ أشرّاف...

أنظّام، أمارير (ج. إينضامنْ، إمَاريرن) : شاعر موهوب ذو حظوة وسط قبيلته (المجتمع السُّوسي بالخصوص)، وهو أصلاً غير محترف، إذ يكتفي بقرض الشعر لإلقائه في المناسبات الاجتماعية وحفلات أحواش. ويرجع العامة موهبته إلى ما يعرف ب "علْم لْكُرْش (علم البطن) أو "علم الباطن" أو علم النور"، وهو ما يقابل (أو ينافي في نظر الفقهاء) علم الدين أو علم الحق الذي يمتلكه العلماء والفقهاء. وهؤلاء على ما يظن هم الذين أطلقوا على الشعر والغناء هذا الاسم لارتباطه بأمور الدنيا واستنكاف العلماء من الاهتمام بما هو غير ديني منه. وذلك ما يفسِّر لا محالة عدم ترسيخ الأشعار الغير الدينية بالتدوين كما حدث لإنتاجات سيدي حمُّو الطالب المنظومة في أغراض دنيوية. ومن الشائع أيضاً أن "يتشيَّخ" أنظام وأمارير حيث يربط موهبته بأحد الأولياء والصالحين يستلهمه الإبداع الغزير ويتبرك بمكرماته، ويفصح عن ذلك في ذيباجة قصائده.

رأيس (ج. رُّوَايْس)، تارَّايْسْت (ج. تارَّايسين) : هو الشاعر المحترف الجوّال الذي يجمع بين النظم والعزف والغناء، له فرقة (ربّاعت، ربِّيعت) يتكسب بها، وهي مكوَّنة عادة من رجال ونساء، بعد أن كانت من قبل مقتصرة على الرجال والصبيان (عوض النساء) لا يقوم الرجال بالعزف على لُوثَار (كَنبري) ونَّاقوس، بينما تتولى النسوة الترديد الجماعي وأداء حركات راقصة. أما رَّايس، فكثيراً ما يعرف على آلة ربّاب. وهناك فرق تسيِّرها تارَّايست ويكتفى فيها الرجال بالعزف على الالآت، حيث تكون تارَّايست هي المغنية والشاعرة والمسؤولة عن الفرقة.

أمْدْياز، أمْلْكَاز، أمْرْيَاز (ج. إيمديازن، إيملكَّازن، إيمريازن) كلمة من جذر "د.ي.ز" الموجود في لهجة غدامس بمفهوم رقص : دْيْز، ومنه على الأرجح اشتقت كلمة أمدياز التي تدل أصلاً على "العنصر الأساسي في فرقة راقصة". وإيمديازن عبارة عن فرقة شبه محترفة تتكسب من إنشاد الشعر الغنائي الذي تتنقل به عبر مناطق الأطلس المتوسط. وتتألف الفرقة في الغالب من أشخاص لا يزاولون هذا النشاط الفني إلاَّ في بعض فترات السنة الفلاحية، خاصة عند نهاية الخريف وبداية الصيف، حيث ينصرفون في بقية الفصول الأخرى إلى مشاغلهم اليومية كسائر أفراد قبيلتهم. ويختلف أمْدْياز التقليدي عن رَّايس السّوسي من وجهة نظر درجة الاحتراف، إذ أن هذا الأخير فنان محترف متفرغ إلى الغناء والتكسب بفنه دون غيره. وتتكوَّن فرقة إيمديازن النموذجية من العناصر التالية : (1) أمْغَار ن يمديازن (رايس الفرقة) وهو الشاعر والمغني الرئيسي، كثيراً ما يصاحب إنشاده بالعزف على لْكَمَنْجَا (الكما، ويسمى أيضاً شيّخ أو أنْشَاد. (2) بُووْ غانيم (صاحب القصبة = عازف الناي) وهو شخصية محورية في الفرقة، يقوم بدور المهرّج والمضحك، إذ يرتدي لباساً غريباً ويقوم بحركات بهلوانية لاجتذاب الجمهور وتسليته، ويتولى عملية جمع التبرعات التي يتعالى أمْدَياز عن القيام بها. ويرجع اسمه إلى الناي (أَغَانيمْ) المزدوج القصبتين الذي يعزف عليه (3) إيردَّادن أَو إينشادن (المردِّدون) وهم المجموعة المردّدة الأشعار التي ينظمها ويغنيها رئيس الفرقة (أمدياز)، كما يقومون بالعزف على أدوات الإيقاع، ومن ذلك تسميتهم كذلك ب "إيدْ بُو طارّت (أصحاب الدفوف) ويعرف غناؤهم بـ "كِّسْتْ". وعلى غرار الرّوايس، فإن إيمديازن، يرجعون موهبتهم إلى الأولياء والصالحين تبركاً بهم واستلهاماً لكراماتهم. ومن الدارسين من يرى أن فرق "الشيخات" بالأطلس المتوسط تنحدر من فرق إيمديازن، حيث تم من فترة الاستعمار استبدال المرددين الذكور بمجموعات راقصة نسائية.

ويطلق اسم إيملكَّازن (م. أمْلكَّاز) في نواحي مدينة الخميسات بالأطلس المتوسط، على فرقة مماثلة لفرقة إيمديازن تضم ثلاثة أو أربعة أشخاص يرأسهم أملكَّاز، وتشارك في الحفلات والمهرجانات وألعاب الفروسية، وتتكسب بالسيّر في ركاب الفرسان مشيدة بالفائزين منهم.

وفي مناطق الريف، هناك فرق شّيْوخ (م. شّيخ) المتضمّنة لكل من شيخ وهو الشاعر المغني وإيزمّارن (م. أزمّار) وهم المرافقون له، والعازفون على أميداز أو أزمّار (= مزمار القربة). وتشارك هذه الفرق في الحفلات الاجتماعية كالزفاف والختان وغيرهما.

أنْشّادْ (ج. إينشادن) أو أمدّاح (ج. إيمّداحْن) وهو شخصية يوازي نشاطها الفني نشاط أمدياز بالأطلس المتوسط الاّ أنه شاعر أكثر مما هو مغنّ، يقوم بنظم وإنشاد مطوّلات شعرية ذات طابع ملحميّ ومضامين دينية واجتماعية واخلاقيه. له ايضاً فرقه تتألف من ثلاثة أو أربعة أفراد، يرددون أشعاره الشخصية أو محفوظاته من الشعر الجيّد (تازضايت/تيزضايين، أزضاي). ويختلف عن أمْدياز باستقراره وملازمته للقبيلة وعزوفه عن التكسّب بفنّه، كما لا تتوفّر فرقته على عازف مزمار أو مهرّج. يستعمل أحيانا الكمان لمصاحبة إنشاده مستغنياً عن أفراد فرقته.

إهياضن (م. أهياض : فرقة فنيّة متجولة في منطقة سوس تضم جموعة في الشباب المعروفين أيضاً ب "رمّا أو بأولاد سيدي حماد أو موسى. يترأسهم "مقدّم" يتولى تنظيم حفلاتهم وعروضهم الفنية والبهلوانية في مختلف مناطق المغرب وخارجه ولهم دور كبير في نشر الأشعار والألحان والرقصات الأمازيغية بين قبائل سوس. ومن آلاتهم تالّونت (الطارة) ولْعْوّاد (الناي القصير) (انظر المادة).

أنواع الشعر الأمازيغي : يتضمن معجم الشعر الغنائي الأمازيغي عدداً مهماً من المصطلحات الدالة على مفهوم القطعة الشعرية الغنائية، ممّا يعكس ازدهار هذا الفن وتطوّره في الثقافة المحليّة لمختلف المناطق الأمازيغية بالمغرب. ويرجع الاختلاف والتنوع في التسميات إلى عوامل شكلية ووظيفية، إقليمية. ذلك أن نوعاً معيناً قد يعرف بأسماء مختلفة باختلاف المناطق التي يستعمل فيها، وقد تعرف المنطقة الواحدة أسماء مرادفة لنفس النوع. وفي الحالتين يتميّز كل صنف بخصوصياته الشكلية ومواصفاته الفنية والموسيقية. كما أن للمواضيع والأغراض والمناسبات دوراً في اختلاف الأنواع الشعرية الغنائية. وفيما يلي أهم الأنواع التي ترد في الدراسات التصنيفية والوصفية (جواد، لورتا جاكوب، أمرير، بوزيد، معاوي، أولسن...). وتُعبّر المصطلحات في نفس الوقت عن النموذج الشعري والموسيقي والغنائي :

لّغا : الشعر المغنّى بمنطقة سوس، وكذلك اللحن المصاحب ل أورار = الغناء) دون استعمال آلات موسيقية. ويقابله أسّنيمّر (أيت بوكّماز)، وتاللّغات وهي قطعة شعرية مغناةَ لاتتعدى بيتين أو ثلاثة ينشدها أمارير في أحواش.

تَازرْارت : (1) غناء فردي قصير يتخلل أحواش في إحدى مراحله، خاصة بعد أهَايُو أي توقف الغناء الجماعي والعزف على آلات الإيقاع (2) غناء فردي نسائي بالخصوص تتغنى به الفتيات في الحقول وخارج المحافل التقليدية. وهو أيضاً ذلك الغناء الجماعي للنساء أثناء مراسيم تهييء العروس للزفاف. ومن الناحية اللغوية يمكن ربط الكلمة بمفردة تَازرورت أي هدب الثوب أو حاشيته، من فعل زررْ = طرّز، رصّع. ذلك أن تازرارت عبارة عن ذيباجة للغناء في أحواش. ويتكون بيت تازرارت من عشرة مقاطع موزعة على شكل وحداث مقطعية صغيرة تفصل بينها نغمات مطوّلة على نحو "الموال" في الموسيقي العربية، مما يجعلها تتطلب من المغني (ة) نفساً قوياً إذ كلّما طالت تازرارت وتنوعت ألحانُها (ريّح) كلما كان ذلك مستحسنا من لدن السامعين. (3) في أيت مگون : إضافة إلى المدلول الأول لتازرارت، ينسحب المصطلح كذلك على الغناء المصحوب بالرقص مع عزف الإيقاع على آلة "البندير"، ويكون بالخصوص في مناسبة الزفاف. أما بالنسبة لمنطقه گلاوة (إيگلواً) فالكلمة تقتصر على الغناء الموقّع بالبندير فقط.

تامَاوايت : (بالأطلس المتوسط) : عبارة عن "موّال" طويل النفس على غرار تازرارت، وهي الشكل الغنائي الذي يظهر فيه حسن الصوت والتحكم في اللحن والأداء وبراعة المغني (ة) في تلوين النغم والميلوديا. وكثيراً ما تتخلل مطّولاتُ تاماوايت رقصات أحيدوس.

تامواشت : لها نفس المدلول في بعض المناطق من الأطلس المتوسط. كما تعني في مناطق أخرى منه "الشعر الهجائي".

تامْدّاحْت، تامْدْيازت، تاملكازت، تامْليازت، تايفّارت : قصائد غنائية مطولة أو مجموعة قصائد قصيرة متوالية، يغنيها أمدياز وأمدّاح أثناء جولاتهما. وتكون مصحوبة أحيانا بغناء لْمَعْبُود الذي يأتي بعد الإستهلال الديني قصد طلب الضيافة ومدح المسضيف والدعوات له. ولفرق إيمديازن أنواع غنائية أخرى يمزجون بينها في - أدوارهم إضافة إلى الأجناس السابقة؛ ومنها تازضايت (تيزضاي) تيغراض، تاغيُولْت (تيغْيال).

تانْشَادْت : قصيدة غنائية مطوّلة ذات مضمون ديني وعْظي وأخلاقي، يختص بها أنشاد (إينشادن) ويقابلها في نفس السياق الديني أهْلّيل، وهو المصطلح الأكثر تداولاً في الأطلس المتوسط حين يتعلق الأمر بالأشعار الدينية الصرفة.

إزْلي، (إزْلاَنْ) : شعر مصحوب بالعزف، يردّده إردادن بعد الشاعر المغني، أو في حلقات أحيدوس بالأطلس المتوسط.

ويتكون إزلي الواحد من بيتين أو أربعة أبيات فقط.

إزْرى (إيزران) (بدون تفخيم الراء) : في منطقة الريف: هو الأغنية، وتكون إما نسائية : إزْرانْ رْهْوا (= أغاني عاطفية) أو ررُّور أي القصائد المغناة من قبل شيوخ في الحفلات، وقد تكون ذات مضمون هجائي.

تاحواشت : مقطوعة قصيرة يغنيها الراقصون في أحواش بعد أن يرتجلها أنظّام (الشاعر) وتتكوّن غالباً من بيتين اثنين .

تاگزّومت : تطلقت في الأطلس الكبير على أنماط شعرية مختلفة باختلاف المناطق. فهي تعني تلك الأشعار

المحلية التي نادراً ما يتجاوز تداولها حدود القبيلة، وترتبط في الغالب بحفلات الزفاف، إذ تسبق النوع المعروف بـ "تامغرا"، كما تغنى في ساحة عمومية (أسايس) أثناء المناسبات والأعياد، وتؤدّى بدون مصاحبة موسيقية، حيث يرتجل أشعارها الرجال دون النساء وذلك على شكل كورال يشّكل صفاً يقابل صف عازفي البنادر وبينهما تندرج النسوة المكتفيات بالرقص. ويغني الشعراء شطراً من البيت الشعري وتعقبهم المجموعة الرجالية لترديد الشطر الثاني.

تامغرا : لغة : "حفلة خاصة بالزفاف"، أو "الزفاف" نفسه كما تعني الكلمة "رقصة الزفاف" (أيت مگون) التي تؤديها النساء وسط صفي الرجال، كل واحدة على حدة، تبعاً لإيقاع البنادر. وأثناء الرقصة تكون المرأة ممسكة بعصا سداة نول النسج، تحتفظ بها النساء طيلة أيام الحفل. وتكون تامغرا مسبوقة بارتجالات شعرية من نوع تاگزومت.

أورَارْ : لغة وبالأطلس المتوسط "اللعب"، أما في سوس فهو الغناء بصفة عامة (تِّيْرير = غنّى) ويعنى المصطلح في أيت مگون : الغناء المجرّد من العزف الموسيقي، تؤديه مجموعتان نسائيتان بالتعاقب واحدة تلو الأخرى. ويكون ذلك في مناسبات معينة كالختان والزفاف على الخصوص. ويتكون رصيد هذا النوع من المحفوظات الشعرية المتداولة، إذ لا مجال فيه للارتجال أو الإبداع. وفي أيت مگون، يقتصر أداء أورار على السيدات المتزوجات أو المطلقات، دون الأوانس. ولهذا الصنف مقابل في الريف وهو رْغْنُوج (م.أغْنيّجْ).

أراسَالْ : جميع أشكال الشعر الغنائي (بآيت مگون)، سواء كان مصحوباً بالعزف أو بدونه (=أسِي أراسال مرادف أسِي لَغَا، أي الأداء، الغناء).

لْمسَاقَ : غناء يسبق أحواش، قبل دخول النساء للمرقص يؤديه الرجال والأطفال عزفاً على أگنزا (البندير) وتكون أبياته أحياناً من ارتجال الشعراء خاصة لإبراز مستجّداتهم الإبداعية، وقد تكون أشعاره من مجموعات تيرَويْسا (نظم وغناء رّوَايس) المتداولة بسوس.

أسالاّوْ : (من سَّالاً = أبْكَى) : مردَّدات شعرية نسائية بالأطلس الصغير، تؤدى بدون موسيقى، أثناء مراحل إعداد العروس للزفاف فترة الحناء، وتشييع الموكب إلى بيت الزوجين. وفي نفس السياق يستعمل مصطلح تاسُوگانت، وكذلك إيزويرّيگن (من زوُور = سبق) وإيبيسْميتْن (من البسملة) وكلها تدل على الأغاني الاستهلالية المتضمنة لعبارات استجلاب الفأل الحسن والطالع السعيد.

لاَدْكَارْ : (من دكْر) وهي أذكار وأناشيد صوفية يتغنى بها في المناسبات الدينية والمواسم المخصصة للأولياء والزوايا والأضرحة، بعضها باللسان الأمازيغي وجزء كبير منها بالعربية المغربية. وللنساء نوع مماثل يعرف بـ لاَحْوَال (الأحوال = التواجد)، وهي عبارة عن حلقات حضرة صوفية تجمع بين الإنشاد والرقص. ولا شك أن أهلّيل بالأطلس المتوسط يدخل كذلك ضمن هذا النوع الصوفي.

3 ـ النظم و"العروض" في الشعر الأمازيغي : من خلال الدراسات التنظيرية الحديثة في مجال الشعر الأمازيغي (جواد 1976 و 1982 و 1983) أمكن رصد النظام العروضي والنظمي لتامازيغت (الأطلس المتوسط) وتاشلحيت بكيفية علمية، تجاوزت حدود الاقتراضات الانطباعية السابقة. وهكذا فالنظم الأمازيغي يتأسس على عروض قوامه تِييَّات (م. تيت)، وهي وحدات صوتية من مقطع واحد يتشكل منها رِّيح أي اللحن والوزن. وتكوّن مجموع التّيات منظومة من الصيغ (القواعد) التي تعتمد كنماذج قارة، حصرها ح. جواد (المراجع السابقة) في سبع وثمانين صيغة عروضية. وتنقسم هذه المنظومة إلى ثلاث عشرة وحدة مقطعية، ثمان منها تشكّل النواة وهي : لاَ، دَا، لاَلْ، لاَيْ، دالْ، لايْ، دَايْ، لاَيْلْ، دايْل، تؤلّف مع الخمس الباقية، وهي أ، أيْ، لِي، لاَدْ، لايْدْ، والتي تعتبر كمتغيّرات لوحدات المجموعةالنوويّة. وتتم صياغة هذه العناصر على شكل مركّبات متفاوتة الطول يشمل أقصرها ثمان وحدات وأطولها ثمان عشرة وحدة. وتكوِّن الصيغ المتماثلة في الطول سلسلة متجاسة. ويخضع تركيب الوحدات على شكل صيغ إلى قواعد صارمة تحدّدها السمات البنيوية للوحدات ليتأتّى لها أن تندمج ضمن منظومة محكمة البناء. وهكذا يتخذ كل نوع من الأبيات الشعرية ترسيمة من المقاطع النموذجية ترتبط به وتُلزم الشاعر للانقياد بها طوال إنشاده للقصيدة. ويمكن لأي أذُن مستأنسة بالنظم الأمازيغي أن تستخرج الصيغة العروضية للبيت بعد سماعه، والحكم على هذا الأخير بالصواب أو الخطإ عروضياً وإيقاعياً. ذلك لأن البيت الشعري كمادة لغوية (مفردات ومركّبات وجمل ...) ليس سوى تجسيد للصيغة العروضية التي تكمن وراءه، والتي تعرف تقليدياً بـ تادَالاَيت (أو تانانايت أو تالالاَيْت) ولذلك غالبا ما يبدأ ارتجال الشعر أو الإنشاد بتقديم هذه "الليْلَلَة" التي ينسج على منوالها ما يتلوها من أبيات مغناة أو ملقاة بدون لحن، وهي التي يعتمدها الشعراء أيضاً لتقطيع الأبيات وتشطيرها وتقويم جودتها العروضية.

4 ـ العروض والموسيقى : تنطلق الدراسات العلمية الحديثة حول الشعر الغنائي الأمازيغي من فرضية أساسية مفادها أن العروض الشعري يُشكّل بنية الموسيقى الغنائية الآلية أو الصوتية، وهو المعتمد في تصنيف الأجناس الموسيقية الغنائية إلى ثلاثة : "الأشعار الغنائية الطقوسية". و"الشعر الغنائي العادي" و"الموسيقي الراقصة". ولذلك فالبنية الموسيقية للأغنية تعالج من وجهة نظر علاقتها بالأنموذج العروضي الذي يميّزها عن غيرها. ويفترض أيضاً أن النموذج العروضي يكون مترسخاً في ذهن الشاعر والمغني، حيث ينتمي إلى الرصيد المكوّن

لقدرته الشعرية وموهبته الفنية. وانطلاقا من الصيغ العروضية المتداولة تحدّد الموسيقى الصوتية انطلاقاً من لحن تالالايت الذي يعطي للأغنية خصوصيتها اللحنية والإيقاعية. وللصوت أهمية قصوى في الشعر الغنائي، حيث يختار كل شاعر الطبقة الصوتية التي تناسب اللحن والإيقاع المراد أداؤهما بالنسبة لقطعة من صنف معين. أما المجموعات الصوتية (الكورال) فغالبا ما تختار طبقة صوتية متوسطة تمتد بين نغمتي "لا" و"دو" في السلّم العالمي. وقد حدّدت السلاليم الموسيقية المستعملة في الغناء الأمازيغي في ثلاثة أصناف : ثلاثية ورباعية وخماسية. فتاگزومت مثلاً تغنّى في السلاليم الثلاثية الأصوات، وأورار في السلاليم الرباعية، ولْمسَاق. وتازرارت وأحواش في السلاليم الخماسية. وبالنظر إلي تقارب السلاليم الثلاثة يمكن إجمالها في سلم تأليفي واحد يشمل الدرجات المستعملة في الموسيقى الغنائية الأمازيغية عامة وذلك على النحو الآتي : (بـ .لورطا ـ جاكوب 1980 ص. 109، شكل 7).

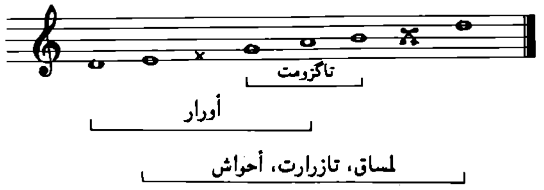

وبالنسبة للأوزان التقليدية، فيظهر أن هناك تطابقا بين أوزان الشعر وإيقاعات الموسيقى والرقص. فمن أبرز الأوزان المتداولة هناك أهْنَاقار، ودّرْست، وتَامسّوست وتـابيروست وأمسرّح. ومن المقامات (ريّح) المتداولة في موسيقى تريّوسا (الروايس) بالخصوص، والتي تستعمل في أدائها آلات الرّباب ولوتار والنّاقوس، مقام كل من لمعكّل وأگناو وأشْلحي وأمْنَاصفى (بين أگناوي وأشلحي)، وهي حسب النماذج التالية كما وضعها الأستاذ بلعيد العكّاف :

أ) لْمعْكّل : سلّمه الأساسي صول، لا دو، ري فا (صول) ويتوفّر على علامة شاعرة بينما تغيب فيه الدرجتان 3 و 6 وينجز على طريقتين.

ـ الطريقة الأولى : انطلاقا من "صول"

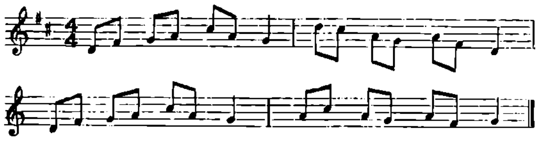

الطريقة الثانية : انطلاقا من "ري".

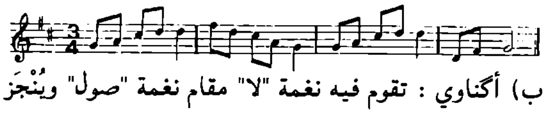

ب) أگناوي : تقوم فيه نغمة "لا" مقام نغمة "صول" ويُنْجَز بطريقتين :

الطريقة الأولى : وسُلّمها الأساسي هو : ري مي صول (دياز) لا، دو (دياز) ري. ويتوفّر على العلامة الشاعرة لكنه يخلون من الدرجتين 3 و 6

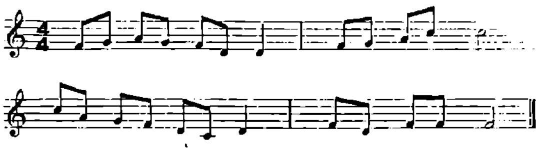

الطريقة الثانية : تعتمد بدورها على نغمة "لا" وسُلّمها الأساسي هو : ري، مي صول لاَ، سي (ري)، مع تغييب درجتي 3 و 7.

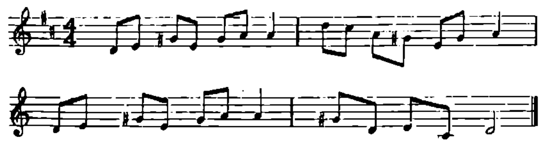

ج) أشلحي : يعتمد فيه العزف (الرباب بالخصوص) على نغمة "صول". ويؤدى على طريقتين :

الطريقة الأولى : سلمها الأساسي هو :

فا، صول، لا، دو، ري (فا)، حيث يخلو من الدرجتين 4 و 7 :

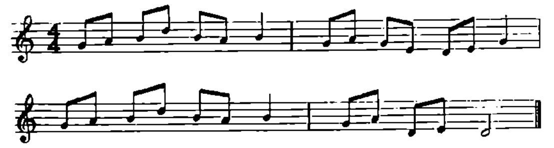

الطريقة الثانية : وتعتمد كسلم أساسي :

دو، ري، فا (دياز)، صول ، سي (دو) وهو سلم يتوفّر على العلامة الشاعرة ويخلو من الدرجتين 3 و 6 :

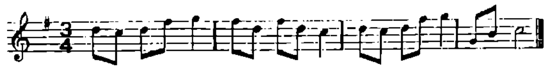

م. أبودرار، (1969) : *من أهازيج سوس، أحواش*، الفنون، عدد 1 : 99 ـ 102 ؛ أ. أمزال، (1968) : *أمانارْ*، ديوان شعر شلحي، الرباط ؛ ع. أمرير، (1975) : *الشعر المغربي الأمازيغي، لهجة سوس*، الدار البيضاء دار الكتاب ؛ ع. أمرير، (1978) : *أمَالُو، ظلال من الفنون الشعبية المغربية*، الدار البيضاء ؛ ع. أمرير، (1986) : *الشعر الأمازيغي المنسوب إلى سيدي حمّو الطالب*، البيضاء ؛ ح. إيد بلقاسم، (1986) : *تاسْليتْ ونْزارْ*، مجموعة شعرية أمازيغية، الرباط ؛ ح. إيد بلقاسم، (1988) : *إيمَارَايْن*، مجموعة قصصية أمازيغية، الرباط ؛ أ. بوزيد (1984): *أحواش، الرقصى والغناء الجماعي بسوس*، (مرقون) (تحت الطبع)، الرباط، عكاظ ؛ م. بيزران، (1987) : *إيفراون*، ديوان، الدار البيضاء ؛ ع. صدقي، (تحت الطبع) : تيميتار، ديوان، منشورات عكاظ، 1989 ؛ ع. المعاوي، (1984) : *الشعر المغربي الغنائي السوسي "لقصيدة"* ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا (مرقونة)، كلية الآداب، الرباط ؛ م. مستاوي، (1976) : *إيسكراف*، ديوان شعر أمازيغي، الدار البيضاء ؛ م. مستاوي، (1979) : *تاضصاد يطّاون*، ديوان شعر أمازيغي معرّب، الدار البيضاء ؛ م. مستاوي، (1988) : *أسَايْس*، ديوان شعر أمازيغي معرّب، الدار البيضاء ؛ ع. الصافي المومني، (1931) : *أوسّان صمّيدنين*، الدار البيضاء الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، (1966) : *إيموزّار*، مجموعة شعرية بتامازيغت، الرباط. (مرقون) ؛ *الجامعة*

الصيفية بأگادير (1981) : أعمال الدورة الأولى، المحمدية ؛ جمعية الانطلاقة الثقافية بالناظور (1980) : *المهرجان الأول للشعر الأمازيغي* (الناظور 6 ـ 5 ـ 1979) *نماذج مختارة من الشعر الريفي* (مرقون).

A. Bounfour, (1985), *Linguistique et littérature : Etude sur la poésie orale marocaine*, thèse d'Etat, Univ. Paris III, Sorbonne Nouvelle ; (1986), *Transformations et enjeux de la poésie berbère, Nouveaux enjeux culturel au Maghreb*, p. 181-189, Paris ; A. Chottin, (1933), *Corpus de musique marocaine II, Musique et danses berbères du pays chleuh*, Paris ; (1939), *Tableau de la musique marocaine*, Paris ; P. Galand-Pernet, (1969), *Un schèma grillé de la poésie berbère, Etude de motif des métamorphoses dans les poèmes chleuhs*, Word, Vol. 25, nº 1-2-3, p. 120-130 ; (1972) *Recueil de poèmes chleuhs*, I, *Chants de trouveurs*, Paris ; (1985), *Le poème oral et ses marges : prologues berbères*, Lalies, Actes des sessions de linguistique et de littérature (Aussois, 1984), Paris ; *Littérature Orale et représentation du texte : Les poèmes berbères traditionnels, Etude de littérature ancienne*, tome 3, *Le texte et ses présentations*, p. 107-118, Paris ; H. Jouad, (1977), *Les règles métriques dans la poèsie berbère*, Cahiers de poètique comparée, III/1, p. 25-29, Paris ; (1983), *Les éléments de versification en berbère marocain tamazight et tachlhit*, (ronéotypé), thèse de IIIème cycle, Univer. de Paris III ; (1986), *Métres et rythmes de la poèsie orale en berbère marocain, la composante rythmique*, Cahiers de poètique comparée, nº 12, p. 103-127, Paris ; (1987), *La matrice rythmique, fondement caché du vers*, Etudes et documents berbères, nº 3, p. 47-59, Paris ; H. Jouad et B. Lortat-Jacob, (1982), *Les modèles métriques dans la poésie de tradition orale et leur traitement musical*, Revue de musicologie, t. 68, (1-2) p. 174-197, Paris ; J. Karpati, (1961) *Mélodie, vers et structure strophique dans la musique berbère du Maroc Central*, Studia Musicologica (Budapest) I (3-4) p. 451-473 ; E. Laoust, (1928), *Chants berbères contre l'occupation française, Mémorial Henri Basset*, Paris, p. 9-20 ; C. Lefebure, (1986), *Ousmane : la chanson berbère reverdie, Nouveaux enjeux culturels au Maghreb*, p. 189-208, Paris, CNRS ; (1987), *Contrat mensonger, un chant d'amdyaz sur l'émigration*, Etudes et documents berbéres, nº 3, p. 28-46, Paris ; B. Lortat-Jacob, (1980), *Musique et fêtes au Haut Atlas*, Paris ; L. Paul-Margueritte, (1935), *Chants berbères du Maroc*, Paris, Berger Levrault ; M. Peyron, (1985), *Une forme dynamique de poèsie orale : Les izlan et les timawayin du Moyen Atlas, (Maroc)*, Langues et littératures, nº 5, p. 161-185, Rabat, Publications de la Faculté des Lettres ; A. Roux, (1928) a, *Un Chant d'Amdyaz, l'aïde berbére du groupe linguistique beraber, Mémorial H. Basset*, p. 237-247, Paris ; (1928) b, *Les Imdyazen ou Aèdes berbères du groupe linguistique beraber*, Hesp. VIII (2), p. 231-251 ; M. Rovsing-Olsen, (1984), *Chants de mariage de l'Atlas marocain*, thèse de IIIème cycle, Paris X, (Dactylographié) ; Ph. Schuyler, (1979), *A Repertory of Ideas : The Music of Rwaïs, Berber Professional Musicians from Southwestern Morocco*, (Ronéotypé), P.H.D., Univ. of Washington.

الحسين مجاهد

إماريغنْ، قد ترد في الوثائق هكذا : مريغة، قرية في الأطلس الكبير عند الكيلوميتر 58 على طريق الذاهب من مراكش إلى تارودانت عبر تيزي ـ نْ ـ تاست، واسم هذه القرية مشتق من الملح لأن بها ملاحة شهيرة يصدر ملحها إلى قبائل المصامدة في الأطلس وإلى سوس وقبائل جهات أمزميز وكذا إلى مراكش، وحتى إن لم يتأكد أنها الملاحة المذكورة عند البكري حين حديثه عن الطريق بين أغمات وسوس فإن هنالك إشارات تدل على قدم هذه الملاحة والقرية المرتبطة بها.

لم تكن القرية في موقعها الحالي على منحدر الجبل مجتنبة الطريق إلى جهات تينمل وسوس بل كانت في البسيط حيث مزارع إماريغن اليوم، وكانت تسمى تَاگْموتْ (من شكل الكمامة الذي ينطبق على الموقع المحاط بالجبال من كل جهة)، وهذا الاسم باق في رسوم ملكية ساقية القرية المشتقة من أسيف ـ نْ ـ وازّاضْنْ، وباق على المزارع التي كانت بها القرية واندثرت اليوم نهائيا.

ذكر صاحب *كتاب الأنساب* وهو على الأرجح ابن عبد الحليم الأيلاني العارف بذلك الميدان الحافظ لمتوارث أخبار أهله أن الفاتح عقبة بن نافع عندما كان مارا إلى سوس ترك بتاگموت هذه عددا من أصحابه المرضى، وقد حددها هذا الكاتب بأنها تاگموت التي قرب كيك، فلا يبقى مجال للشك أنها هذه التي نتحدث عنها.

وما زالت في مزارع إماريغن حقول تعرف باسم "دار أوگادير" أي عند الحصن، وهي ذكرى الحصن المركزي في القرية القديمة، وهما في الواقع حصنان. وكانت بهذه المزارع إلى منتصف هذا القرن أطلال المسجد الجامع الذي كانت تقصده عدد من القبائل بالرغم من كون المغزى الحقيقي لتقديس ذلك المكان قد تنوسي. وقد كان بعض القواد الكتنافيين في هذا القرن كلما تردد على هذه القرية، وكانت ضمن قيادتهم، يذكر لشيوخها من أيت واحمان أن هذه القرية المسماة بتاگموت تستحق أن يقام بها "موسم" و"معروف" سنوي إحياء لذكرى من دفن بها من الرجال العظام، وكان هؤلاء الگتنافيون يستندون في ذلك إلى مطالعات طلبتهم في بعض كتب خزائنهم الغنية وهم ورثة الموقع المهد الذي انطلق منه الموحدون تينمل.

ومن أهمية موقع إماريغن عند مدخل وادي نفيس الضيق والخروج إلى السهل أن المعركة الحاسمة بين الموحدين والمرابطين وهي التاسعة في ترتيب البيذق قد وقعت أمامها في فج أسدرم.

ويذكر ابن عذاري في *البيان المغرب* (قسم الموحدين، 58) نقلا عن ابن عبد الملك أن الوزير الكاتب أبا جعفر أحمد ابن عطية قد نكبه عبد المومن الموحدي فسجن عام 552 هـ ثم أخرج من سجنه هو وأخوه أبو عقيل وحملا إلى جبل درن وقتلا بموضع تاگموت قرب الملاحة وذلك في التاسع والعشرين لصفر من سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، قتلا على يد من حملاهما إلى هنالك وهو رجل من گومية يعرف بيوسف بن عبد العزيز.

وقد تبدل الموقع والاسم في زمن لاحق وصارت قرية إماريغن التي ورثت نفس الأهمية حيث نجد ولد الزرهوني مؤلف كتاب *رحلة الوافد* يتحدث عن القصبة المخزنية الإسماعيلية التي كانت بهذه القرية وكان بها القائد احماد بن علي وهو المعروف عندهم ببو العصافر وقصبته معروفة إلى اليوم بأگادير ـ نْ ـ بو العصافر وجدرانها ما تزال قائمة في أعلى منحدر مشرف.

يذكر أهل إماريغن الذين يروون أخبارا عن ماضيهم أن المولى سليمان مر بها مستخفيا ذات يوم عيد فأكرمه رجل يدعى أگيلال فأعطاه بطاقة توجه بها إلى مراكش وعاد بظهير المشيخة، ولكن الأسرة التي توارثت المشيخة منذ أواخر القرن الماضي هي أيت وحمان وكان ولاؤها تارة لقواد السهل وتارة لأهل تاگنتافت إلى أن تكرس هؤلاء بسيطرة الفرنسيين.

تحريات ميدانية ؛ أ. البكري، *المغرب* ؛ المراكشي، *المعجب* ؛ ابن عذاري، *البيان المغرب* (قسم الموحدين) ؛ ابن عبد الحليم (؟) *كتاب الأنساب*، مخطوط، خ. ع. 1275 ك ؛ ل. ابن الخطيب، *الإحاطة* ؛ أ. المقري، *نفح الطيب* ؛ الزرهوني، *رحلة الوافد* ؛ أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

أحمد التوفيق

إمازيغن، في اللغة "البربرية"، جمع، مفرده : أمازيغ. وهو الاسم الذي يسمي به "البربر" أنفسهم. مؤنث أمازيغ هو تامازيغْت، يطلق على المرأة وعلى اللغة. عند قبائل التوارگ المنتشرة في قلب الصحراء الكبرى، يسكن حرف الزاي في "أمازيغ" ويقلب إما هاء، وإما شيناً أو جيماً، بحيث تنطق اللفظة "أماهغ" عند التوارگ الجزائريين، و"أماشغ" عند التوارگ الماليين، و"أماجغ" عند التوارگ النيجيريين (*Encycl. Berb.* 4 : 563).

I ـ كلمة أمازيغ، من حيث صيغتهااللغوية، اسم فاعل ؛ وهي صيغة نادرة لم يوضع على وزنها إلا عدد قليل من أسماء الفاعل. وهي مشتقة، حسب ما هو متوفر من القرائن، من الفعل "يوزغ" ـ المنطوق "يوهغ" عند التوارگ ـ الذي معناه غَزَا، أو أغارَ. ويرى بعض اللغويين أن "أمازيغ" مشتق من فعل آخر اعتبروه مُمَاتاً في اللهجات كلها، قد يكون هو الفعل "إزيغ"، أو الفعل "يوزاغ" (*Encycl. Berb.*, 4 : 566) وهو افتراض انبنى على الخلط بين ثلاثة أفعال أخرى، هي "ياغ" بمعنى أصاب أو اعترى ؛ و"ياغ" أو "يوغ" بمعنى أخذ، أو نال، أو سقط، أو اشتعل، أو أضاء ؛ و"يووْغ" بمعنى رعى في معنى انتجع. وعلى أي حال، "أمازيغ" اسم مُشْرَب معنى النُّبل والشهامة والإباء، سواء في المغرب أو عند التوارگ : De Foucauld, 2) (673. قد يكون ذلك ناتجا من مجرد الاعتزاز بالنفس، من قبل إمازيغن، لأن الشعوب تتخذ عادة أنسابها عنوانا للعزة والمناعة ؛ وهو ما نعتقده.

تسمية "البربر" أنفسهم بـ "إمازيغن" ضاربة في القدم، وبها عرفهم أقدم المؤرخين ؛ وعرفهم بها أقرب جيرانهم إليهم، وهم المصريون القدماء، مع تحريف لاسمهم في النطق، ثم في الكتابة، له مبرراته اللغوية. كان المصريون القدماء، في عهد "راعامسيس" الثالث، يسمونهم "ماشوْش"، لأن اللغة المصرية في ذلك الوقت كانت تقلب الزاي شيناً، والغين شينا أيضا، بعد قلبه خاءً، وتفصل في الكتابة بالواو (واو فارقة) بين الحرفين المتجانسين (*Grammaire*, 27, 28, 29). وقد ذكر المؤرخ اليوناني هيكاتايوس Hekataios إمازيغن في القرن السادس قبل الميلاد باسم "مازيس Mazyes"، وذكرهم هيروضوتوس Herodotos في القرن الخامس ق. م. باسم "ماكسييس Maccyes". أما المؤرخون اللاتينيون فقد أوردوا الاسم نفسه محرفا إلى "مازاكس Mazasc أو Mazaces"، أو إلى "مازيكس Mazikes"، وهي أسماء جموع (Collectifs) بمعنى واحد أطلقوها على "الشعب النوميدي" (*Dictionnaire latin*, 956) ويظهر أن أول قبيلة أمازيغية كبرى احتكّت بقدماء المصريين احتكاك حرب (1227 ق. م) كانت تسمى "ليبو" وكانت مستوطنة لأراضي ليبيا الحالية (Berbères، عن هيروضوتوس،11). وقد اختلط الأمر على المؤرخين الأول، ومنهم هيروضوتس، فصاروا يسمون إمازيغن تارة باسمهم هذا، محرفا قليلا أو كثيرا، وتارة باسم "ليبيا Libyè" الدال في شعر هوميروس Homeros على الأراضي الممتدة من تخوم مصر القديمة، شرقا، إلى المحيط، غربا (*Dictionnaire grec*, 1190). ولما أنشئت المستعمرات التجارية الفينيقية على شواطئ إفريقية الشمالية وازدهرت ولفتت أنظار اليونان والرومان إلى الساحل الجنوبي للبحر المتوسط أخذ الكتاب الإغريق واللاتينيون يسمون الأمازيغيين عامة بـ "الأفارقة"، ويصنفونهم إلى ليبيين ونوميديين وموريين، انطلاقا من الشرق وانتهاء بالغرب. وكان منهم من يخلط بين هذه الأسماء Scylax في (*Le Maroc chez les auteurs anciens*)، وCesar في (*La guerre d'Afrique*, 4). فصاروا يسجلون أسماء المجموعات القبلية الأمازيغية بشيء من التفصيل يصعب، بل يتعذر اعتماده في ترتيب تلك المجموعات من حيث أحجامها ولا من حيث استمرارية وجودها في الزمان حاملة اسمها الأول، ولا من حيث انتشارها في المكان ؛ وذلك نظرا لما طرأ من تحريف في النطق والتسجيل، من جهة أولى، ولكون تلك القبائل تتألف في معظمها من عشائر البدو الرحل، من جهة ثانية، ثم نظرا لاعتبار أمر لا بدّ من اعتباره هو أن من المحقق في ضوء ما هو ملحوظ إلى يومنا هذا، أن المترجمين للقبائل عن سماع عبر الزمان أو عبر المكان، كثيرا ما يخلطون بين الجزء والكل، من جهة ثالثة. وعلى سبيل الإشارة، لا الترجيح، نستعرض هنا أسماء القبائل الأمازيغية القديمة كما استقرأها الأستاذ ديزانج Desanges في تعليقة على بلينيوس الأكبر (*Histoire Naturelle*, V) مجتهدا في رسم خريطة لمواطن كل قبيلة :

1 ـ حسب ديزانج كانت قبيلتا "ماسايسيلي، أو ماسايسولي Masaesyli, Masaisuli" و"بانيورايي Baniurae" تستوطنان شمالي المغرب الأقصى بين المتوسط شمالا والمحيط غربا ونهر سبو جنوبا. وكانت قبيلة "أوتولولي Autololes" منتشرة في السهول الأطلنتية بين بورگراگ وتانسيفت الحاليين وكانت قبيلة "كاناريي Canarii" نازلة بناحية فگيگ الحالية.

2 ـ وفي المغرب الأوسط كانت القبائل النوميدية Numidia مستقرة أو شبه مستقرة في شرقي البلاد، بينما كانت قبائل "گايتولي Gaetulia" تنتجع في الأنجاد العليا Les Hauts Plateaux، وقبائل "أيثيوبيا Aethiobia" تشغل المنطقة الممتدة جنوب الأطلس الصحراوي.

3 ـ وفي تونس الحالية كانت القبائل النوميدية نفسها منتشرة في غربي البلاد من الساحل المتوسطي إلى ناحية

القيروان الحالية، ممثلة أحسن تمثيل في قبيلة "ماسيلي Massili، أو Massyli" أو "ماسولي Massuli"، المنطوق اسمها هكذا بسين مضعفة باعتبار النطق الفرنسي، والمنطوق اسمها حسب ما نرجح "مازولي" أو "مازيلي"، بالزاي، لأن السين المضعفة كانت بمثابة الزاي عند اللاتينيين قبل تبنيهم Y وZ اليونانيين، *Traité de grammaire*, 33). أما أراضي "زاوگيتانا أو زاوغيتانا Zeugitana" و"بيزاكينا أو بيزاقينا Byzacena" فكانت خاضعة للنفوذ القرطاجي، قبل الاحتلال الروماني لها.

4 - وفي ليبيا نجد، حسب ديزانج قبيلة فزانيي Phazanii من الجهة الجنوبية الغربية للجبال المعروفة الآن بجبل نفوسة ؛ ثم نجد بالتتابع على مقربة من الساحل المتوسطي، وانطلاقا من الغرب تجاه الشرق قبيلة "ماكايي، أو ماقايي، أو ماغايي Macae" فقبيلة "ناساموني Nasamones" فقبيلة "مارماريداي Marmaridae"، فقبيلة "ماريوتاي Mareotae"، وهي الأخيرة من جهة الشرق تمتد مواطنها إلى بحيرة قرب دلتا النيل كانت تسمى باسمها. وفي عرض الصحراء الليبية، حيال الخليج من جانبه الغربي، كانت توجد مواطن قبائل "گارامانتي، أو غارامانتي، أو جرامانتي Garamantes".

من المعلوم أن المغرب الأقصى مع الجزء الأكبر من المغرب الأوسط كان يعرف عند اليونان باسم "ماوروسيا Maurusia" ؛ هم الذين سمّوا هذه المنطقة بهذا الاسم لأول مرة، فأخذه عنهم الرومان وقالوا "ماوريتانيا Mauritania". وهنا يجب لفت النظر إلى أن الاسم اليوناني Maurusia قريب من حيث مادته اللغوية من الفعل الإغريقي "ماورسو Maurso" الذي معناه "أظلم". فهل معنى ذلك أن اليونان كانوا يقصدون بـ "ماوروسيا Maurusia" أرض الظلمات، لأن الشمس تغرب فيها بالنسبة إليهم ؟ وهل لذلك علاقة بما كان العرب يسمونه "بحر الظلمات"؟ هذان تساؤلان يستحقان أن يبحث عن جواب لهما. أما الجزء الشرقي من المغرب الأوسط وما يليه من غربي تونس الحالية فكان يسمى "نوميديا Numidia". وكانت الأراضي المحادية للشاطئ المتوسطي شرقا وشمالا تسمى "أفريقيا Africa"، فيما يهم الأناسي، و"أفريقانوس Africanus"، أو "أفريقوس Africus"، في الشعر خاصة، فيما يهم الحيوانات والأشياء (*Dictionnaire français-latin*, 59). وبقدر ما يمكن الفصل بأن اسمي "ماوريتانيا Mauritania، أو ماوروسيا Maurusia" و"نوميديا Numidia" ليسا أمازيغيين، بقدر ما يمكن ترجيح أن هذه الألفاظ الثلاثة "أفر Afer" و"أفري Afri" و"أفريقوس، أو أفريغوس، أو أفريكوس Africus" تنتمي من حيث صيغها إلى الحقل اللغوي الأمازيغي، وحتى من حيث مدلولاتها. لكن لا سبيل إلى الجزم في الموضوع، لأن اللغة اللاتينية كانت تلحق بالأسماء زوائد إعرابية متغيرة، تظهر حينا وتختفي حينا، من جهة، وأن حروف الهجاء في نظام الكتابة اللاتينية تطور عددها مع الزمن، فتغيرت رمزية بعضها الفونولوجية (*Traité de grammaire*, 33...). ولهذا السبب، وللأسباب الأخرى المذكورة آنفا، يكاد يتعذر على المؤرخ، حاليا، أن يقارن بين أسماء القبائل الأمازيغية التي وردت في المؤلفات اليونانية واللاتينية القديمة، وبين أسماء القبائل التي عددها ابن خلدون في عصره ؛ إلا أن اسم قبيلة "لْواتا" الشهيرة أورده بعض كتاب الإغريق واضحا لا غبار عليه : "لْواتا، أو لْواتاه Louâtah" : كما ذكروا اسم "إفوراقس، أو إفوراغس، أو إنوغاس أو إفورن Ifuraces" الذي يمكن أن يشخص في "إفوغاس" التوارگ، أو في "يفرن" (*Les Berbères*, Fournel, 98... 103). ويجوز أن نتساءل : هل من علاقة بين كاناريي "Canari" والجزر الخالدات؟ أو بين "أوتولولي Autololes" و"والال، أيت والال" ؟ وبين "گايتوليا Gaetulea" و"گودالا"؟ وبين "مازيلي، مازولي Massyli, Massuli, Massili" و"مزالا، أيت مزالا إمزيلن"؟ وبين "زاوگيتانا، زاوغيتانا Zeugitana" و"زْواغا، ئزگّاغن"؟ وهل لاسم "فازانيي Phazanii" صلة بنفوسه، أو على الأرجح بالفزّان الحالية، التي عرفت عند التوارگ باسم "تارگا"؟، (*Dictionnaire Touareg*, IV, 1588). أما "بانيورايي Baniurae"، فقد اقترح باحث مغربي أن نشخصها في "بني واراين" ؛ إلا أن ذلك مستبعد لأن الاسم الأمازيغي لهذه القبيلة هو "أيت واراين"، وفي العهد الإسلامي ترجمت "أيت" إلى "بني".

II - سبب تسمية إمازيغن بـ "البربر" : كانت الشعوب قديما قليلة التواصل بينها، وكانت تعتبر أن من لا يفصح عما يريد، في لغتها هي، لا يمكن أن ينعت إلا بالعجمة، أي بالخرس والبكامة. ولذا كان للعرب عجمهم، ولليونان عجمهم، هم "البارباري Barbari". وكان للأمازيغيين عجمهم أيضا، هم "إگناون" ؛ وقد لزمت هذه التسمية بعض شعوب إفريقية الغربية، فيما تفرع عنها من أسماء البلدان، كغينيا وغانا، اللتين كان ينسب إليهما في المغرب بـ "گناوي؛ عبد گناوي". والغين في غانا وفي غينيا مقلوبة عن الكاف المعقودة. ولا تزال فئة من سكان المغرب الذين هم من أصل زنجي يسمون "گناوا". أما اللفظة الأمازيغية الأصلية فهي "أگناو" التي تجمع على "إگناون" ؛ ومعناها الأعجم، الأبكم، الأخرس... كان اليونان إذن يطلقون اسم Barbari على غيرهم من الشعوب، بدءاً باللاتينيين، ولما أخذه عنهم الرومان صاروا يسمون به كل شعب خارج عن المجال الحضاري اليوناني اللاتيني (*Dictionnaire latin*, 207). فمن المحقق إذن أن الأمازيغيين كانوا "بارباري Barbari" في نظر الرومان، وكانوا ينعتون بذلك النعت، لا سيما أنهم قاوموا روما مقاومة شديدة، حربيا (*Rome et les Berbères*)، وثقافيا (*La Résistance Africaine*)، ولا سيما أن جل قبائلهم ظلت خارج المناطق الشمالية الخاضعة للنفوذ الروماني. فلزمهم طيلة عهد الرومان ؛ وكان من الطبيعي أن يلزمهم طيلة عهد السيطرة البيزانتية على مدن

الساحل المتوسطي الجنوبي، بما أن "الروم"، أي البيزانتيين من ورثة الإمبراطورية الرومانية. وعند الفتح الإسلامي أخذ العرب عن "الروم" كلمة "بارباري Barbari" وجعلوها "بربر". ولقد ظل الإفرنج، أي الأروبيون، يسمون إفريقية الشمالية "بارباريا، Barbaria, Barbarie" ؛ أو الدول البارباربة Etats Barbaresques إلى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي (*Dictionnaire Robert*) ؛ ولما احتكوا بأهالي المغرب والجزائر الناطقين بالعربية العامية سمعوا منهم اسم "لبرابر" منطوقا براءين مرققتين ونقلوه إلى لغاتهم في شكل Berbers أو Berbères.

وما سوى هذا من التفسيرات التي ذهب إليها بعض المؤرخين العرب متكلف ليس له ما يثبته بالاستدلال والمنطق. إن كل ما روي من الأشعار العربية في موضوع نسب "البربر" وإلحاقهم بقبائل العرب، من مضرية وقحطانية، لم يكن مبنيا على معرفة مضبوطة ؛ وإنما كان صادرا عن رغبات سياسية كانت تراود نفوس العرب و"البربر" معا.

وعلى أي حال لقد تجاهل الأمازيغيون اسم "البربر"، في لغتهم، طوال العصور، واحتفظوا باسمهم الأصلي "إمازيغن". ولم يتقبل منهم اسم "شلوح" الذي سموا به في المغرب - وربما لأن بعض قبائلهم كانت تقطع الطرقات على المسافرين - إلا سكان غربي الأطلس الكبير وسوس ؛ يسمون أنفسهم "إشلحين"، مع الإفراد على "أشلحي" ؛ لكن لوحظ عندهم في العقدين الأخيرين أنهم يفضلون اسم "إمازيغن". ومما يجب ذكره أن لفظة "أرومي"، أي الرومي أو الإفرنجي في اللغة الأمازيغية محملة في أصل مدلولها بمعنى القساوة وانعدام الرأفة، توازي في ذلك كلمة "بارباري Barbari" الرومية ؛ ولهذا التوازي امتداد فيما تسمى به ثمرة الصبار، الشائكة القشرة، المعروفة عند المغاربة بـ "كرموص النصارى" أي تَين الإفرنج"، وعند الفرنسيين بـ "Figue de Barbarie" أي تين بلاد البربر.

III - أصل إمازيغن : كتب الكثير في هذا الباب، وملخص ما كتب أن المؤرخين العرب كادوا يجزمون، في العصر الوسيط، أن "البربر" من أصل يماني، أي من "العرب العاربة" الذين لم يكن لهم قط عهد بالعجمة ؛ وعلى نهجهم سار المنظرون للاستعمار الفرنسي الاستيطاني في القرن الماضي وأوائل هذا القرن، فأخذوا يتمحلون البراهين على أن "البربر" أوربيو المنبت، خاصة الشقر والبيض منهم. ومن الواضح أن الحافز في الادعائين كليهما سياسي، سواء أكان صادرا عن حسن نية أم كان إرادة تبرير للاستيطان. ومع تراجع الاستعمار الأروبي عن إفريقية الشمالية، أخذت هذه المسألة العلمية تفرض على الباحثين كل تحفظ لازم، لا سيما تجاه المصادر المكتوبة، ما لم تدعمها معطيات أخرى أكثر ضمانا للموضوعية. وقد عمل بجد، خلال الأربعين سنة الأخيرة، على استغلال الإمكانات الأركيولوجية والأنتربولوجية واللسنية في البحث عن أصل الأمازيغيين، أو عن أصول المغاربه على الأصح. والنتائج الأولى التي أفضت إليها البحوث أن سكان إفريقية الشمالية الحاليين، في جملتهم، لهم صلة وثيقة بالإنسان الذي استقر بهذه الديار منذ ما قبل التاريخ، أي منذ ما قدر بـ 9.000 سنة، من جهة ؛ وأن المد البشري في هذه المنطقة، كان دائما يتجه وجهة الغرب انطلاقا من الشرق، من جهة أخرى (*Berbères*, Camps, 44). وبناء على هذا، يمكن القول إن من العبث أن يبحث لـ "لبربر" عن مواطن أصلية غير التي نشأوا فيها منذ ما يقرب من مائة قرن. ومن يتكلف ذلك البحث يستوجب على نفسه أن يطبقه في التماس "مواطن أصيلة" للصينيين، مثلا، أو لهنود الهند والسند، أو لقدماء المصريين، أو لليمانيين أنفسهم وللعرب كافة، ليعلم من أين جاؤوا إلى جزيرة العرب. وكل ما يمكن تأكيده اليوم، فيما يرجع للقرابة القديمة المحتملة بين إمازيغن واليمانيين، يكمن في قرائن ثلاث :

أ - عدد لا بأس به من أسماء الأماكن التي توجد على الطريق البري الواصل بين المغرب الكبير وبين اليمن عبر القارة الإفريقية، لها صيغ أمازيغية واضحة، ولبعضها مدلولات في اللغة "البربرية". منها في صعيد مصر : أبنو، وأسيوط، وأخميم، وتيما، وتالا، وأصوان (أسوان)، وتوشكا... وفي شمالي السودان : تاراگما، وأتبارا، وتيمرايين... وفي إيريتريا : أكسوم، وأسمارا، وأگوالا، وأگوردات أو أگورضاد... لكن، لا يوجد في اليمن نفسها، حسب ما هو مرسوم في الخرائط العادية، أسماء أماكن من هذا القبيل، إلا اسم جزيرة "أنتوفاش". أيرجع تسلسل الأسماء السالفة الذكر على الطريق القارية الرابطة بين إفريقية الشمالية وبين اليمن إلى عهد هجرة قديمة تركت آثارها في الأصقاع التي عبرتها ؟ أم يرجع إلى قرابة بين اللغة الأمازيغية وبين المصرية القديمة، واللغات الكوشية؟

ب - لقد عثرت شخصيا على عدد من الألفاظ العربية التي قال بشأنها صاحب *لسان العرب* إنها "حمْيرية" أو "يمانية" ؛ وهي ألفاظ لها وجود في الأمازيَغية، إما بمدلولها "الحمْيَري" وإما بمدلول معاكس، وكأنها انقلبت إلى أضدادها. لكن عدد هذه الألفاظ قليل لا يسمح بجزم في الموضوع، إلا إذا تمت دراسة مقارنة ميدانية بين اللهجات الأمازيغية واللهجات اليمانية الحالية من حيث معطياتها المعجمية والصرفية والفونولوجية.

ج - بين حروف "تيفيناغ"، القديمة منها والتوارگية، وبين حروف الحميريين شبه ملحوظ في الأشكال. لكنها لا تتقابل في تأدية الأصوات، إلا في حالتين اثنتين بتجاوز في التدقيق (مراسلة شخصية بيني وبين الباحث الفرنسي كريستيان روبان Christian Robin، محرر الفصل الخاص بحضارة جنوبي الجزيرة قبل الإسلام في (l'Arabie du Sud).

ولعل طريق البحث في هذا الموضوع سيختصر في العقود الأولى من القرن المقبل، أو قبلها بقليل، لأن وسائل

المقارنة الأنثروبولوجية بين الشعوب أصبحت جد دقيقة، بفضل الاكتشافات الأخيرة التي حققها العالمان "جان دوصي Jean Dausset" و"جان بيرنار Jean Bernard" المتخصصان في فحص الكريات الحمراء على مستوى أشكال سطوحها. ولقد تمكن هذان العالمان من اقتفاء آثار شعوب هاجرت مواطنها الأصلية منذ خمسة عشر ألف سنة (*Le sang et l'histoire*).

IV ـ خصوصيات الأمازيغيين ومميزاتهم : هل للأمازيغين خصوصيات، بصفتهم "بربرا" ليس غير ؟ ـ لقد ذهب كثير من المؤلفين في تاريخ إفريقية الشمالية، والأروبيون خاصة منهم، إلى أن الأمازيغيين كانوا دائما، ولا يزالون يميلون إلى الفوضى، وبالتالي إلى التخلص من قبضة كل سلطان يريد تنظيم أمورهم. فنتج من ذلك تتابع الثورات والفتن، بغير انقطاع، في مواطنهم، وتعرضها المستمر للهجمات الآتية من الخارج. ويعزى ميلهم هذا، في نظر أولئك المؤلفين إلى... طبيعتهم الأمازيغية التي انفردوا بها. وهذا ليس بتفسير علمي، بل هو تفسير نظري محض صادر عن حسن نية أو عن رغبة سياسية. والواقع الملموس، الذي يلمسه كل من أتيح له أن يدرس تواريخ الأمم مقارنة من زوايا مختلفة، هو أن طبيعة إفريقية الشمالية الجغرافية هي التي كيفت في العمق المجتمع الأمازيغي وجعلت منه مجتمعا أقرب إلى البداوة منه إلى الحضارة والتمدن، وذلك بحكم عاملين اثنين، أولهما اختلاف المناطق خصبا وجدبا، وبرودة ودفئا، وغزارة أو قلة في الماء، باعتبار تتابع الفصول، ثم وجود "هامش" صحراوي شاسع وراء الأطالس الثلاثة، ونجود داخلية شبيهة بالجرداء. وثانيهما هو اجتياح القحط والجفاف مناطق معينة لمدة معينة، أو مناطق مترامية الأطراف على مدى سنوات، وهو مايسمِّيه صاحب *الاستقصا* بـ "توالي المجاعات والانتجاعات" (4 : 67). هذان العاملان هما اللذان تسبّبا في استمراريّة نمط العيش الاستنجاعّي، الذي تسبّب بدوره في استمراريّة النظام القلبي في جلّ الأقاليم، لأن النظام القبلي هو المواتي لحياة الحلّ والترحال الجماعيين. وعلى النظام القبلي ترتّب ما ترتب من الخصوصيات في التقاليد الاجتماعية، التي تؤثّر بدورها في طباع الأفراد. من تلك الخصوصيّات مثلاً الميْل إلى التقشّف ورفض حياة البذخ والتنعم. ومن تلك الخصوصيات الحرص على إقرار مبدإ المساواة بين أفراد العشيرة، وبين العشائر في نطاق الكيان القبلي، وعلى إقامة أعراف يتعارف عليها في التساكن والتعايش والتعامل في سياق الانتجاع المستمر، ثم على مراعاة العصبيات التي هي ضمان القدرة على الدفاع عن المصالح المشتركة، في حدود آفاق القبيلة المكانية والزمنية، أو على أحسن تقدير، في حدود آفاق حلف من القبائل المتجاورة ومن هذا كله يحصل توازن اجتماعي نسبي وغير قار يكون في أغلب الحالات هو الحائل دون قيام نظام سياسي قوي، مركز في المكان، طويل البقاء في الزمان. وفي ضوء هذه الاعتبارات يفهم تاريخ الأمازيغيين، ويفهم تاريخ شعوب أخرى. وفي ضوء هذه الاعتبارات أيضا يبحث عن أسس الديموقراطيات المحلية "البربرية"، وعن سر قدرة الأمازيغيين على مواجهة القوى الأجنبية بعدم الاستسلام لها حتى عند توالي انتصاراتها الحربية أو السياسية. وفي ضوء هذه الاعتبارات يدرك السبب الذي من أجله كان "البربر" في العهد الإسلامي، يرغبون عن اتخاذ الحَكَم من ذويهم وبني جلدهم، ومن أجله كان كل ذي طموح سياسي منهم يتنكر لانتمائه القبلي ولانتمائه الأمازيغي (*Histoire politique du Maroc*).

الديموقراطيات المحلية كانت قائمة على مبدإ المساواة بين أفراد العشيرة وبين العشائر التي تجمعها قرابة الدم، ثم بطون القبيلة الواحدة أو بين القبائل المتجاورة، ولكن مع مراعاة توازن القوى. ولا ينتدب لتمثيل الجماعة في دواليب هذا الحكم الديموقراطي نواب يعينهم الاقتراع، ولكن ينتدب له الشيوخ الذين ترشحهم مكانتهم الاجتماعية وقدراتهم. كان رؤساء العشائر عادة يتهربون من تحمل المسؤوليات نظراً لما يتبعها من التكاليف التي لا يجزى عليها بأي تعويض. ولذا كانت مجالس الشورى تحار لا في الفصل بين مرشحين للمناصب بانتخاب أحدهم، ولكن في إيجاد من يقبل تحمل المسؤولية ؛ وكان المجلس يضطر أحيانا إلى اختيار عضو غائب عن قصد أو عن غير قصد، فيأتيه في بيته للإلحاح عليه كي يقبل منصبا ما. كانت المناصب الرئيسية، عند قبائل الرحل وأنصاف الرحل هي الآتية : القيادة في الحرب، والريادة في الاستنجاع، وعضوية مجلس القضاء ؛ وكانت ريادة الاستنجاع تعوض عند أهل المدر بالأمانة على شؤون القرية. كان الرائد يسمى "أمغار ن توگا = شيخ المرعى" ؛ والقائد "أمغار ن تيريت = شيخ الاستنفار" ؛ والعضو في مجلس القضاء "أمزارفو" أو أنزارفو" ؛ والقضاء الجماعي "أزرف" ؛ والأمين على شؤون القرية "أنفلوس". كان القائد يعين عند نشوب الحرب، وتنتهي مهمته بانتهاء الحروب. وكان الرائد يعين لمدة سنة، من فصل ربيع إلى فصل الربيع الذي يليه. أما عضو مجلس القضاء فكان يعين لمدة غير محددة لا تنتهي عادة إلا بوفاته أو باستقالته لعُذر مقبول. كان تنظيم الانتجاع يقتضي من "شيخ المرعى" أن يكون عارفا لأماكن الكلأ في تسلسلها بين الجبال والسهول، أو النجود والبراري، ولأهمية مساحتها ونوعيتها وما هو ملك خاص وما هو مشاع (أمردول = المرعى الشاسع ؛ ألمو = المرعى الخصب المخضر ؛ أزنيگ = البقعة فيها كلأ ؛ أگدال، أو أودال = المرعى المحظور). وكان فوق هذا ينبغي له أن يكون ديبلوماسيا قادرا على التفاوض بنجاح مع شيوخ القبائل الأخرى عند المنازعات. أما القائد "شيخ الاستنفار" فكان ينتخب، لا بالتصويت المرجح لرأي الأغلبية، ولكن بالتعيين المتفق عليه بالإجماع، من بين الشجعان الذين لهم

سوابق في إصابة الظن والإشارة بالخطة الحربية المناسبة. كان يفوض إليه الأمر كله يوم القتال ؛ أما شؤون التعبئة والاستعداد فمن اختصاص مجلس الشورى وكان من المفروض في كل مرشح للعضوية في مجلس القضاء أن يكون ملما بتفاصيل الأعراف والتقاليد التي تستن بها القبيلة، وملما كذلك بالشريعة الإسلامية في خطوطها العريضة، قادرا على الاجتهاد حتى يسهم مع زملائه في حسم القضايا التي هي من باب النوازل حسما يغني "فقه" الأعراف.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض القبائل كانت تتفق على إنشاء مجالس مشتركة بينها تقوم مقام محاكم الاستئناف، وأن التقاضي كان يوجب على المتقاضين استعمال تعابير معينة لإشعار المجلس الابتدائي، في لباقة، بأن حكمه مرفوض، واستعمال تعابير أخرى لإشعار مجلس الاستئناف بأن عليه المعول بصفته المرجع النهائي. كانت أحكام مجلس الاستئناف تنفذ غالبا، بفضل ضغوط أعيان القبيلة على المحكوم عليه. كانت المنازعات التي تعرض على مجلس القضاء لا تختلف في شيء عن المنازعات التي تشجر في المجتمعات الرعوية، أو في المجتمعات القروية من أجل الكلإ والماء والخصومات المتعددة الأسباب، وحراسة البساتين وتحديد الحقول المزروعة. كانت قضايا القتل العمد وغير العمد من أكثر المسائل استعصاء على الحل ؛ وكانت تعالج بالطريقة التي تعالج بها عند البدو الرحل في كثير من مناطق المعمور (*Le prix du sang*.., 8 à 14). كان القضاة يجتهدون في تقدير التعويض عن الجروح اجتهادات تختلف من قبيلة إلى أخرى ومن سنة إلى سنة باختلاف الأوضاع الاقتصادية. كان التعويض عن الجرح في الوجه يحدد عند "أيت عطا"، مثلا، بالطريقة الآتية : يقف أحد القضاة أمام الجريح - بعد أن يكون الجرح الذي في وجهه قد التأم - ثم يسير القهقرى رويدا رويدا إلى أن تتعذر عليه رؤية النَّدَبَة، أي أثر الجرح ؛ فيتوقف، ويقيس أحد القضاة الآخرين ما بينه وبين الجريح من عدد الخطوات. ثم يصدر مجلس القضاء حكمه بأن يعوض المجني عليه عن جرحه. فإن كان رجلا حكم له بأخذ ما يساوي عدد الخطى غنما ؛ وإن كان امرأة حكم لها تأخذه بقرا.

هذه الأوضاع القبلية كانت سائدة في المجتمع التقليدي الأمازيغي إلى منتصف القرن العشرين ؛ والغالب أنها لم تتغير كثيرا منذ العصور القديمة. ولقد كانت مصدر قوة وضعف في آن واحد. كانت مصدر قوة لأنها حالت دون قيام أي نظام فييودالي كالذي عرفته أوربا، ودون قيام أي نظام طاغوتي كالذي عرفه وادي النيل لمدة ثلاثة آلاف سنة، ودون قيام أي نظام قيصري ولاكسروي. ولذا لم يستعبد "البربر" قط استعبادا جماعيا. وحتى إذا برزت لهم في الأفق قوة تدّعي الجبروت ناوشتها القبائل بدون انقطاع أو رحلت عن منطقة نفوذها متحينة الفرص للانقضاض عليها وكسر شوكتها عاجلا أو آجلا. وكانت مصدر قوة نسبية مكنت الأمازيغيين من مواجهة الهجمات الاستعمارية التي توالت على إفريقية الشمالية ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد. ذلك لأن حياة البداوة تمنع الشعوب من الركون إلى التنعم والاسترخاء، من جهة، ولأن المهاجمين كانوا يجدون أمامهم دائما مقاومة سريعة التنقل من ناحية إلى ناحية، غير ملتزمة بقرار رئاسة مركزية ؛ فإذا استسلمت قبائل لاذت قبائل أخرى بالجبال أو بالصحراء لتنطلق منها بعد حين وتنغص على المستعمر مقامه وتجعله دائما في موقف الدفاع إلى أن تذهب ريحه مع الزمان وتبقى الأرض لأهلها. ومما لا شك فيه أن الشعور المبهم بالانتماء العرقي أو اللغوي المشترك كان يضمن مستوى أدنى من التآزر بين القبائل في مواجهتها للأجنبي الدخيل. وكانت مصدر قوة نسبية أيضا لأنها عاقت عمليات المثاقفة التي تلاحقت على أرض المغرب الكبير عن بلوغ مداها في أي عصر من العصور، رغم طول الزمن، فمكنت اللغة الأمازيغية من البقاء. مكنتها من البقاء في حالة متردية، لكن في حالة قابلة للانتعاش، بينما صارت إلى خبر كان عشرات اللغات التي عايشتها وعاصرتها في القديم، كالمصرية القديمة، واللاتينية والفينيقية والغالية وغيرها.

لكن، من جهة أخرى، كانت تلك الأوضاع مصدر ضعف ملحوظ، لأنها أولا جعلت الأمازيغيين، بصفتهم أمة، في مواقف الدفاع عن النفس في جل حقب التاريخ، مع ما كان يتوفر لهم من القوة الحربية الكمينة في عدد قبائلهم وفي تعودهم حياة الشظف. كانوا يهاجمون في عقر دارهم، ولم يكونوا قادرين على التكتل العسكري الذي تنبع منه الرغبة في التوسع على حساب الغير. وكانت مصدر ضعف لأنها منعت قيام أي دولة مركزية قوية يسمح لها طول بقائها بتنظيم الأمة في عمق كيانها، ولو مع مصادرة جزء مهم من الحريات، وبإنشاء حضارة مادية رفيعة متميزة. وكانت مصدر ضعف، بما أن امتناع "البربر" عن السماح لأية فصيلة منهم بالسيطرة والتعالي كان يضطرهم إلى تحكيم غيرهم في شؤونهم، إما على مستوى الدول وإما على مستوى الأفراد، إلى أن صار ذوو الطموح السياسي منهم، بسبب ذلك، ينتحلون الأنساب غير الأمازيغية كي يستتب لهم الأمر ؛ فعل ذلك ابن تومرت وعبد المؤمن بن علي والسلاطين المرينيون وغيرهم، كما فعله من قبلهم يوبا الثاني إذ كان يدعي ويرسخ في أذهان الناس أنه من سلالة البطل اليوناني الأسطوري "هرقل Hercule, Hêraklês" (Gsell, VIII : 237). وكانت تلك الأوضاع مصدر ضعف لأنها حالت بين الثقافة الأمازيغية الذاتية وبين النمو والازدهار، وأبقتها على حالتها المناسبة لنمط العيش القبلي المائل إلى البداوة. فوجدت تلك الثقافة نفسها في تنافس وتبارٍ مع ثقافات أكثر نموا وسلمت لها بالتعاقب على شغل مجالات التحضر والتمدن.

وهكذا يمكن القول إن "البربر" لم يكن لهم الاختيار بين المسار الذي ساروا فيه منذ فجر التاريخ إلى اليوم وبين مسارات أخرى، ولكن جغرافية مواطنهم الطبيعية هي التي رسمت لهم معالم ذلك المسار، بما فرضته من أساليب الاسترزاق وما يترتب عليهامن ظواهر الدور والتسلسل بين تقاليد المجتمع وطباع الأفراد في التفاعل مع بيئة ليست بصريحة الخصب ولا بصريحة الجدب، تجود حينا وتبخل أحيانا، تضاريسها متجزئة، ومناخها مائل إلى الجفاف مطبوع بالمتناقضات التي من جرائها يستمر انجراف التربة، إذ لا غطاء نباتي ينظم توزيع المياه بين الانصراف والتسرب إلى الجوف، ولا "أُفُق أول Premier horizon" يسمح بظهور غطاء نباتي متماسك ذي شأن. وما على المرء، إن هو أراد أن يلمس هذه الظواهر، والمظاهر شاخصة للعيان، إلا أن يمعن النظر في المناظر التي يمكنه أن يشاهدها من الطائرة، في تتابعها من وسط أوربا إلى جنوبي المغرب، إذا ما أتيح له السفر من أوربا إلى المغرب يوم صحو من أيام الصيف أو الخريف أو الشتاء.

أما ما نبت فوق الأراضي "المغاربية" من حضارات مستوردة، فيرجع سبب ازدهاره ازدهارا نسبيا إلى كونه نقلة فصلت عن حضارات احتضنت نشأتها وترعرها أراض أخرى بطبائع جغرافية أخرى. ربت شعوبا أخرى، إما بخصبها المتواصل ووفرة أسباب التكاثر والتماسك والتكاثل فيها، وإما بقساوتها الداعية إلى التطلع والتشوف إلى سواها.

ويبقى لنا مع ذلك أن نلتفت ونلفت الأنظار إلى خصوصيتين أمازيغيتين، علاقة إحداها بالبيئة ونمط العيش ظاهرة، وسبب وجود الأخرى غير واضح. الخصوصية الأولى هي الجنوح إلى التمسك بالراديكالية في الاختيار والسلوك والنظر ؛ ومنها نتج تبني الدوناتية المسيحية في العصر القديم، ثم تبني مذهب الخوارج في العصر الوسيط، والانفراد بالمالكية ؛ وبها يمكن تفسير صرامة ابن تومرت وصرامة تلامذته من الموحدين الأول، ويمكن تفسير ميل أفراد إلى الصلاحية والنسك المفرطين وميل آخرين إلى الشعوذة والنصب والسطو والتشغيب. والخصوصية الثانية هي ازدراء الإطناب في القول والفخفخة والتبجج، شأنهم في ذلك شأن الإسبارطيين القدماء (*التاريخ العالمي للتربية*، *L'histoire mondiale de l'éducation*, I : 142...). وعنها صدر موقف يوسف بن تاشفين إذ أمر كاتبه بأن يقتضب الجواب على الرسالة المطولة التي كان ملك أستوريا "ألفونسو" السادس قد بعث بها إليه محذرا له قبيل يوم الزلاقة. هذه الخصوصية قد تبلورت عند الأمازيغيين في مثل سائر قديم يقول "المتبجِّح القَوَّال لاَ يفْعَل، والفَعَّال العَامِل لا يقول = وَنّايْتّنين وْرايْتُكَّا، ونّا يْتكَّان وْرايْتّيْني".

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية* ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا* ؛ م. شفيق، *الشعر الأمازيغي*... ع. 4، 1408 / 1987 ؛ ع. محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*.

R. Raymond, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, "Les Belles Lettres", Paris 1924 ; Pline L'Ancien, *Histoire Naturelle*, Livre V, texte établi et commenté par Jehan Desanges, "Les Belles Lettres", Paris 1980 ; Salluste, *Bellum jugurthinum*, texte établi par Alfred Ernout, Les Belles Lettres, Paris 1971 ; Silius Italicus, *La guerre Punique*, tome I, livres I-IV, texte établi et traduit par Pierre Minoconi et Georges Devallet, Les Belles Lettres, Paris 1979 ; Cesar, *Guerre d'Afrique*, texte établi et traduit par A. Bouvet, Les Belles Lettres, Paris, 1949 ; Louis Rinn, *Les origines berbères*, éd. Adolphe Jourdan, Alger 1889 ; H. Fournel. *Les berbers*, tome I, Paris 1875 ; S. Gsell, *Histoirè Ancienne de l'Afrique du Nord*, 8 volumes, Hachette, Paris 1920-1928 ; DJ. J. Meunié, *Greniers - Citadelles du Maroc*, 2 volumes, Arts et Métiers, Paris 1951 ; M. Rachet, *Rome et les Berbères*, Latomus, R.E.L, Bruxelles 1970 ; G. Camps, *Berbères aux marges de l'histoire*, éd. des Hespérides, Toulouse 1980 ; M. Benabou, *La Résistance Africaine à la Romanisation*, Maspéro, Paris 1976 ; F. Decret, M'hamed Fantar, *l'Afrique du Nord dans l'Antiquité*, Payot, Paris 1981 ; A. Mandouze, *Prosopographie de l'Afrique Chrétienne*, C.N.R.S, Paris 1982 ; J. Bernard, *Le Sang et l'Histoire*, Buchet - Chastel, Paris 1983 ; *Encyclopédie Berbère*, volume IV, Edisud, Aix-en-prevence 1987 ; L. de Saint - Quentin, *3000 ans avec les Berbères*, Edition Delagrave, Paris 1949 ; M. Chafik, in Französich heute, nº spécial sur le Maghreb, Juin 1984) Frankfurt, (en ce qui concerne les noms de Masinissa et Jugurtha) ; M. Ferro, *l'Histoire sous surveillance*, Calmann-Levy, Paris 1985.

محمد شفيق

أمازيغية، تنتمي اللغة الأمازيغية إلى ما يسمى بالأسرة الحامية ـ السامية، التي تشتمل على الفروع الآتية: الفرع السامي، والفرع المصري ـ القبطي، والفرع الكوشي، والفرع التشادي، ثم الفرع الليبي ـ الأمازيغي. ويتكون هذا الفرع الأخير من اللغات الليبية والأمازيغية والغوانشية. يرجع بعض مؤرخي اللغات التقاربات الملحوظة بين اللغات المنتمية إلى هذه الفروع إلى العلائق البنيوية الموجودة بينها، وكذلك إلى الاتصالات الحاصلة بين الشعوب التي تنطق بها لمدى عشرات القرون. ويذهب بعضهم إلى القول بوجود أسرة تشمل اللغات الإفريقية والأسيوية.

التاريخ : يكاد يكون تأريخ اللغة الأمازيغية عملا عسيرا لندرة الوثائق. فتلك التي يعتمد عليها في مراجع التاريخ القديم إنما تنحصر في بعض أسماء الأعلام البشرية وأسماء الأمكنة. إن أهم مرجع نتوفر عليه يتمثل في النصوص الليبية ـ الأمازيغية التي ترجع إلى ما قبل ميلاد المسيح بحوالي قرن ونصف قرن. وهذه النصوص منحوتة على نصب مأتمية برموز تشبه.كثيرا رموز تيفيناغ، وعددها يفوق ألفا وثلاثمائة نص. إلا أنها لا تزال تحتفظ بسرها، إذ أن رموزها لم تفك بعد. أما عن المرحلة الإسلامية فإن المؤرخين، وخصوصا منهم مؤلفي الحوليات والسير، يتحدثون عن عديد من المراجع المكتوبة باللسان الأمازيغي، منها على الخصوص الأدبيات الدينية للخوارج والبرغواطيين والموحدين، ولكن جلها اندثر، ولم نعد نملك منها سوى بعض أسماء الأعلام البشرية وأعلام الأمكنة وبعض الجمل المتناثرة. وحتى أشعار سيدي حمو الطالب التي قد تساعد على استقراء السمات العامة لأمازيغية القرن الثامن عشر (؟) لم تصل إلينا إلا عبر الرواية الشفوية. وهكذا يكون أقدم متنين بالأمازيغية هما كتابا الفقيه محمد أعلي أوزال : (الهوزالي) كتاب *الحوض*

وكتاب *بحر الدموع*، وكلاهما في قواعد الفقه على المذهب المالكي. لقد ألفا في القرن الثامن عشر بلسان تاشلحيت وكتبا بالحروف العربية، والجدير بالذكر أن لغة هذه النصوص لا تختلف في شيء عن الأمازيغية الحديثة من حيث صرفها ومعجمها وتركيبها.

الخط ـ تشكــل رموز تيفيناغ النظام الخطي الأمازيغي الأصيل. ويعود استعمال هذه الرموز إلى ما يزيد عن ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. إنه نظام يقوم على الصوامت أساسا، تتخذ فيه الكتابة اتجاها غير ثابت، قد يكون عموديا وقد يكون أفقيا. والرموز أحادية عموما، إلا أن الرموز التي تدل على الأصوات المركبة تكون ثنائية. وإضافة إلى الرموز الصوامت تستعمل بعض الرموز لبيان حدود الكلمات والجمل. لا يزال هذا النظام الخطي يستخدم في بعض المجالات والكتب والأبحاث وحتى في التعليم. يتم توافق هذا النظام مع الخاصيات الصوتية للمتغيرات اللسانية المحلية سواء عن طريق إعادة تأويل الرموز الأصلية أو عن طريق اختراع رموز جديدة.

الحرف العربي	قيمته الصوتية	رمز تيفناغ	الحرف العربي	قيمته الصوتية	رمز تيفناغ
گ	g	ⴳ	ـَـ ـُـ	a	ⴰ
گري	ḡ	ⴳⵯ	ـُـ	u (ou)	ⵓ
"دج"	"dj"	ⴵ	ـَـ ـِـ	é	ⴻ
ج	j	I	ـِـ	i	ⵉ
ش	ch	ⵛ	و	w	ⵡ
"تش"	"tch"	ⵞ	ي	y	ⵢ
ت	t.	+	هـ	ḥ	ⵃ
ث	t	×	هـ	ḥ	ⵀ
"تس"	"ts"	t	ع	"ع"	ⵄ
ط	t	y	ق	q	ⵇ
د	d	Λ	غ	ġ (gh)	ⵖ
ذ	ḏ	V	خ	ḫ (kh)	ⵅ
ظ	ḍ	E	م	m	ⵎ
ض	ḍ	ⴹ	ب	b	ⴱ
ص	ṣ	ⵚ	پ	ḇ (v)	ⴲ
ر	r	O	ف	f	ⴼ
س	s	ⵙ	ک	k	ⴽ
ز	z	ⵣ	کش	ḵ	ⴿ
"صز"	ż	*	ل	l	ⵍ
			ن	n	ⵏ

المصدر : مجلة أمازيغ عدد 7 ـ 1981، ص. 39.

الخريطة اللغوية : تشمل المنطقة اللغوية التي تستعمل فيها الأمازيغية أقطارا شاسعة تمتد من مصر شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا، ومن الضفة الجنوبية للبحر المتوسط شمالا إلى النيجر ومالي جنوبا. توجد في مصر مجموعة سيواه ؛ وفي ليبيا مجموعات آوجلة وسوكنة وزوارة ونفوسة ؛ وفي تونس هناك مجموعات ساقية ومجورة وسند وتامزرات وزوارة وشنيني ودويرات وجربة ؛ وفي الجزائر مجموعات الشاوية ومزاب والقبائل ؛ وفي المغرب مجموعات الريف والأطلس المتوسط والأطلس الكبير والأطلس الصغير وكذلك مجموعات تقطن الجنوب الشرقي والجنوب الغربي. وتوجد مجموعة التوارگ (الطوارق) جنوبي الجزائر وشمالي مالي والنيجر ؛ أما مجموعة إزناگن أو زناگة (صنهاجة) فهي توجد في التخوم الموريتانية ـ السينغالية ؛ وأخيرا هناك ما تبقى من مجموعة الغوانتش في جزر كناريا. يصعب حاليا تحديد عدد الناطقين بالأمازيغية لعدم توفر إحصائيات مضبوطة. وعموما يلاحظ أن كثافة المجموعات الأمازيغية تتضخم من الشرق إلى الغرب، وأن هذه المجموعات توجد في الأرياف أساسا وإن كانت طوائف عديدة منها تقطن الحواضر بفعل الهجرة الداخلية والخارجية. إن أهم تمركزات الناطقين بالأمازيغية توجد بالمغرب والجزائر والصحراء.

البنى اللغوية : فبالرغم من اتساع الرقعة الجغرافية التي تستعمل فيها الأمازيغية وتشتت المجموعات الأمازيغية الناتج عن هذا الاتساع من جهة، ومن عدم معايرة اللغة وتقنينها من جهة أخرى، فإن البنى اللغوية تبقى ثابتة وموحدة، أما المتغيرات المحلية فهي لا تمس إلا الأشكال الظاهرية.

الأصوات : على المستوى الصِّواتي، يتكون النظام الصامتي من الأنساق التالية : الشفوي (ب، م، ف)، الأسناني (ت، د، ض، ن)، السِّنخي (س، ز، ل، ر)، شبه الحنكي (ش، ج)، الحنكي (ك، گ)، اللهوي (ق، خ، غ)، البلعومي (ح، ع)، والحنجري (هـ). ويتميز هذا النظام بالترابطات التالية : (أ) الجهر وهو ترابط يقابل فئة مجهورة مع أخرى مهموسة أي : ب، د، ز، ج، گ، غ، ع مقابل ف، ت، س، ش، ك، خ، ح، (ب) التفخيم وهو ترابط يقابل فئة مفخمة مع أخرى غير مفخمة أي : ض، ز مقابل د، ز، (ت) الخنة وهو ترابط يقابل فئة مخنة مع فئة شفاهية أي : م، ن، مقابل ب، د، (جـ) التشديد وهو ترابط يشطر النظام الصامتي إلى فئتين متساويتين تتكون إحداهما من الصوامت المشددة والأخرى من الصوامت المرخية. وتنضاف إلى صوامت هذا النظام صوامت أخرى هامشية منها المشفهات (كو، گو خو، غو، قو) والمفخمات (ط، ب، ل، ص، ش، ج). ويلاحظ محليا تحييد المقابلة بين الصوامت المقفلة والصوامت الاحتكاكية حيث تنجر المشددات مقفلة والمرخية احتكاكية، أي پ ث ذ ک گ مقابل بّ تّ دّ کّ گّ. أما على المستوى الصوتي فالمسددات تنتج عن سيرورة المماثلة بين الصوامت المتاخمة المنتمية إلى كلمات متميزة، أما التفخيم فينتشر إجباريا من الصامت المفخم قاعديا إلى الأصوات الموجودة ضمن المقطع الواحد، وينتشر التفخيم اختياريا إلى الأصوات التي تنتمي إلى نفس الكلمة.

يشتمل النظام الصائتي على ثلاث وحدات قاعدية، هي ـَ، ـُ، ـِ، حيث المقابلات قصوى، إذ أن ت مفتوح وث متأخر ويـ متقدم. ولكل من هذه الوحدات على المستوى الصوتي بديلات تتجلى بالخصوص في إطار سياق صامتي مفخم حيث تنجر الصوائت مفتوحة. يضاف محليا إلى هذه الصوائت صائت قصير يدمج في سلسلة الصوامت لعرض صوتي ـ تركيبي. أما أشباه الصوائت صائت قصير يدمج في سلسلة الصوامت لعرض صوتي ـ تركيبي. أما أشباه الصوائت ي، و، فإنهما لا يخضعان لعملية الاستبدال مع الصوائت المغلقة ـِ، ـُ، بل إنهما في توزيع تكاملي معها على التوالي، حيث يخضع إنجاز هذه أو تلك للسياق، فالصوائت تنجز في سياق صامتي وأشباه الصوائت تنجز في سياق صائتي. وفي سياق تعاقب الصوائت تحدث إحدى السيرورتين، إما الإدغام وإما فك الإدغام. ففي حالة الإدغام يتحول الصائت الثاني إلى شبه صائت، مثال : يـَنَّـ ـُشَّن ينجز يـَـنَّـ وشَّن "رأى الثعلب" ؛ وفي حالة فك الإدغام يدمج شبه صائت بين الصائتين، مثال : يْدُّـَ ـُشن ينجز ـدّـَ وـُشّن "انصرف ابن آوى". ونظرا للهوية الصواتية الملتبسة لأشباه الصوائت من جهة، وللصلة المشتركة بينها وبين الصوائت المغلقة من جهة أخرى، يفترض أن هذه الوحدات إنما تشكل فصيلة صوتية واحدة وأن ما يتحكم في إنجازها كصائت أو كشبه صائت إنما هو ارتباطها بالنواة المقطعية أو باستهلال المقطع وبتقفيلته، على التوالي.

يُضبط تنسيق الوحدات الصوتية في إطار المقطع مجموعة من الضوابط الصوتية ـ التركيبية من أهمها ضابط عدم التجانس الذي يقصي تعاقب الوحدات المتجانسة ؛ تتكون البنية المقطعية من خمس وحدات على الأكثر، تكون ضمنها النواة هي العنصر الضروري وهي إما صائت وإما صامت ؛ أما استهلال المقطع وتقفيلته فهما يتكونان على الأكثر من صامتين، ويتقيد تنسيق الوحدات الصوتية في إطار المقطع وفق مبدإ الجهورية الكلي الذي يقضي بأن المنحنى الجهوري يتنامى من الاستهلال إلى النواة ويتناقص من النواة إلى التقفيلة. أما عن التلحين فإن النبر والتنغيم لا يتسمان بوظيفة تمييزية، ويظهر أن نبر التشديد يقع على المقطع الأول في الكلمة في حين أن التنغيم يقع على المقطع الأخير منها، ويجب القول في هذا المضمار إن البحث لا يزال في مراحله الأولى، لذا نكتفي بهذه العموميات.

الصرف والتركيب، تتألف الكلمة من مصدر ومن إشارات ذاتية تتصدّره أو تلحق به. وهي تدل على الفاعل. ويتكون المصدر من جذر ومن صيغة، يحتوي الجذر على صوامت عددها يتراوح ما بين صامت واحد وخمسة صوامت، وعموما فعددها اثنان أو ثلاثة ؛ تحمل هذه الصوامت الدلالة المشتركة بين كافة الكلمات المشتقة منها. تمثل الصيغة بنية المصدر كما تحدد الهوية النحوية للكملة، من اسم أو فعل ومن مذكر أو مؤنث ومن مفرد أو جمع. فمثلا كلمة ـِـمكرـَزن "حراثونِ" تتكون من الجذر ك ر ز ومن الصيغة م + ص ص + ـَ + ص ومن علامة الجنس وهي ـِ وعلامة العدد وهي ن.

الفَعل وصيغه، تنقسم الأشكال الفعلية إلى أشكال قاعدية وأخرى مشتقة. تكون الأشكال القاعدية متعدية أو لازمة. ولها ثلاث صيغ (أ) صيغة المبهم وهي صيغة غير مشحونة، مثال سغ "اشترى"، (ب) صيغة المبهم المضعف وهي مشتقة من الصيغة الأولى حسب سيرورات مختلفة منها تصدير تـ مشددة، مثال : ـَمز تـمز "خذ"، وتشديد صامت مصدري، مثال : كرز، كّرزَ "اَحرث"، مگر، مگّر "احصد"، وزيادة الصائت المفتوح ـَ، مثال : سكر، سكـَر "افعل"، وتركيب السيرورات السالفة، مثال : بـدّ، تّبدـَد "قف"، فْل، فّـَل "اترك" ؛ (ت) صيغة الماضي، وهي إثباتية أو نافية تشتق الصيغة النافية بزيادة الصامت المتقدم ـِ قبل آخر صامت في المصدر، مثال : سّن، سـّـِن "علم ضَد جهل". أما الأشكال فهي تنقسم إلى ثلاثَة أصناف ؛ يشتق الصنف الأول بتصدير س للمصدر دلالة على السببية على وجه العموم، ويشتق الصنف الثاني بتصدير ت للمصدر دلالة على المبني للمجهول، ويشتق الصنف الثالث بتصدير م للمصدر دلالة على المبادلة. ولكل من هذه الأدوات التصديرية س تـ م بديلات سياقية تنتمي إلى نفس الفصيلة، وهي الصوافر والأسنانية والشفهية على التوالي. عموما يتخذ كل فعل الأشكال القاعدية والأشكال المشتقة، مثال : لْسْ لسّـَ، لسـِ، سّلس، تّلس، مّلس "لبس".

تشكل أفعال الصفة صنفا متميزا من الأفعال، إذ أنها من الناحية الشكلية مصدرة بالصائت ي في صيغة الأمر، ومن الناحية التركيبية فهي أساسا لازمة، وهي قابلة لجميع ما يلحق غيرها من الصيغ الفعلية ؛ أما من الناحية الدلالية فهي تعني الصفات الجسدية والأخلاقية وكذا الألوان. أما صيغة الأمر فهي تماثل الصيغ المبهمة إلا أنها تتميز عن باقي الصيغ الفعلية لكونها لا تقبل صنفا خاصا من الإشارات الذاتية، مثلا : زّنز،زّنز ـَ "بع" وأخيرا هناك الصيغة الفاعلية والمفعولية وهي تؤدي معنى الفعل ومعنى الصفة، كما تتكون على أساس الأشكال القاعدية والأشكال المشتقة، فهي تتغير حسب العدد وتبقى مبنية من حيث الجنس. ولهذه الصيغة صنف خاص من الإشارات الذاتية، مثال تـَمغـَرت لـِ (نـّ) يـُـفـَن ـَيدي "المرأة التي وجدت الكلب".

تنقسم الإشارات الذاتية إلى ثلاثة أبواب (أ) باب متكامل يضاف إلى صيغة المبهم الدالة على المضارع وإلى صيغة غير المبهم الدالة على الماضي، وهو كما يلي : غ ـ (ح، خ)، ت ـ ت، ـــ ، تـ ـ ، ن ـ ، تـ ـ م، تـ ـ مت، ن، ـ نتـ ، (ب) باب غير متكامل يلحق بصيغة المبهم الدالة على الأمر، وهو كالتالي : ـ Ø، ـ تـ ، ـ تمت، (ت) جدول غير متكامل يضاف إلى صيغة الفاعلي ـ المفعولي وهو كالآتي : ـِ ـ ن صيغة المفرد و ـ ـِـن في صيغة الجمع.

ترافق الصيغ الفعلية مجموعة من الأدوات المتصلة بها. فأدوات ـَـد، رـَـد، ـَـرـَ تتصل بصيغة المبهم البسيط المضعف أداة ـَـر (دـَ، لـّـَ) فهي خاصة بصيغة المبهم المضعف. وتؤدي كل من هذه الأدوات صورة الغير المحقق، إذ تضع ـَـد الفعل في إطار اللاواقع عكس أداة ـَـر (دـَ، لـّـَ) التي تضعه في إطار الواقع، أما أداة رـَـد فهي تدل على المستقبل وقد تؤدي صيغة الماضي صورا مختلفة منها الوقتية والشروعية والنهائية ؛ أما صيغة المضارع فهي تؤدي صور الاستمرارية والتكرارية والدرجية وكذا الشروعية.

وتصحب الفعل أدوات أخري منها أدوات التوجيه وهي دون، التوجه الأولي للفعل نحو المتكلم وتوجهه الثاني نحو المخاطب، مثال : زرـــد "مرّ من هنا"، زرـــنّ "مر من هناك"، ومنها أدوات الضمائر المباشرة وغير المباشرة (انظر ما يلي).

تتموضع الأدوات المتصلة في الجملة على الشكل التالي : الفعل + الضمير غير المباشر + الضمير المباشر + أداة التوجيه، مثال : فكــغ ـَس ت ــد "أعطيته إياه هنا". وإذا استعملت أدوات النفي والاستفهام مثلا يكون تركيب الكلمات كالآتي : أداة الاستفهام + الضمير الغير المباشر + الضمير المباشر + أداة التوجيه + أداة النفي + الفعل، مثال : يس ـَس ت ـِد ـُر فكـِغ "ألم أعطه إياه هنا ؟".

الاسم وصيغه، يكون الاسم مذكرا أو مؤنثا يبتدئ الاسم المذكر عموما بصائت غالبا ما يكون ـَ وأحيانا ـــ وناذرا ـُ، مثال ـَفُسْ "يد"، ـــمــ "فم" ـُدم "وجه". ويفترض أن هذا الصائت قد يكون منتميا إلى المصدر أو مصدّرا له. أما أسماء العلم والأسماء الدالة على القرابة فهي تبتدئ عموما بصامت، مثال : بـَـبـَ "أبي" گومـَ "أخي"، ويمكن كذلك أن تبتدئ بصائت مثال : ـــمّـــ "أمي"، ـُلتمـَ "أختى". أما الأسماء المستعارة من العربية أو الدخيلة عن طريق العربية فهي تبتدئ ب ل + صامت، مثال : لقـَـيد أو بصامت مشدد، حين يكون هذا الصامت شمسيا، مثال : سّـُق ويشتق الاسم المؤنث بزيادة ت إلى بداية صيغة المذكر وإلى آخرها، مثال : تـَفرـُخت "بنت"، وإلى بداية الأسماء التي ليست لها صيغة المذكر، مثال : تــخســ "الضأن". ويكون الاسم مفردا أو جمعا. يشتق جمع المذكر عموما بإلحاق الصوامت و، ت، ن بصيغة المفرد وباستبدال لحن المذكر بلحن الجمع وهو ـَ ـــ ـُ. يتم اشتقاق صيغة الجمع على أساس صيغة المفرد وفق النماذج التالية : (أ) إلحاق ن بصيغة المفرد مع استبدال لحن المفرد أي ـَ بلحن الجمع أي ـــ، مثال : ـزـُـر، ـزـُـرن "سقف، سقوف" ؛ (ب) زيادة ـَ إلى صيغة المفرد، مثال : ـنرفض، ـنرفـَـض "طحال، أطحلة"، (ت) استبدال لحن المفرد ـَ ـَ ـــ بلحن الجمع ـــ ـُ ـَ، مثال : ـَگـَدـِر ـِگـُدـَر "حصن، حصون". أما اشتقاق جمع المؤنث فهو يتم على أساس صيغة الجمع المذكر بزيادة لحن خاص بالمؤنث وهو تـــ حسب النماذج التالية : (أ) تصدير ت، مثال : ـسدـَل، تـسدـَل "غطاء، أغطية). (ب) تصدير ت وزيادة ـــ، مثال : ـفـَسّن، تـفـَسّـن "أياد صغيرة"، (ت) تصدير تـ وزيادة تـــ ، مثال : ـسلـَن، تـسلـَتـن "مخطوبات". ويعتبر هذا النموذج الأخير أكثر شيوعا من غيره.

وتخضع صيغة الاسم كذلك لحالته التركيبية، فإذا كان في حالة الفصل فإنها لا تتغير،أما إذا كان في حالة الوصل فإن تغييرا يحدث في المقطع الأول من الكلمة وبالذات في الصائت الأول. يكون الاسم في حالة وصل إذا كان يشغل إحدى الوظائف التركيبية التالية : فاعل غير مبأر ومفعول عددي ومفعول إضافي ومفعول حرفي. وتختلف طبيعة هذا التغيير حسب انتماء الاسم إلى الصنف الذي يبتدئ بصائت مصدري أو إلى الصنف الذي يبتدئ بصائت غير مصدري. فالاسم المذكر الذي ينتمي إلى الصنف الأول والذي يوجد في حالة وصل ينجز بزيادة شبه صائت في مقدمته وتنطق شبه الصائت "و" أو "ي" حسب مخرج الصائت السابق، مثال : ـَخوس، وـَخس "سنّ"، ـــزي، يـــزي "ذبابة". أما الاسم المؤنث فهو يبقى على الشكل الذي هو عليه في حالة الفصل. وبخصوص الأسماء التي تنتمي إلى الصنف الذي يبتدئ بصائت غير مصدري فالمذكر منها يحتفظ بصائته، ما عدا ـَ حيث ينقلب ـُ أو و إذا كان مسبوقا بصامت أو بصائت على التوالي مثال : ـَفرـُخ ـكشم، ـكشم ـُفرـُخ "دخل الولد"، ـَفرـُخ ـدّـَ، ـدّـَ وفرـُخ. أما المؤنث فإنه يفقد صائته الأول، مثال : تـَفرـُخت تدّـَ تفرـُخت "راحت البنت". لا تخضع أسماء العلم وأسماء القرابة والأسماء المستعارة الغير المنذمجة للتغيرات التي تطرأ على غيرها من الأسماء في حالة الوصل.

يشتق الاسم الفعلي سواء من الصيغ الفعلية القاعدية أو من الصيغ المشتقة، وهو يسلك سلوك غيره من الأسماء من الناحية الصرفية ـ التركيبية. والأسماء الفعلية ثلاثة أصناف هي اسم الفعل واسم الفاعل واسم الأداة أو المكان.
(أ) يتوفر اسم الفعل المذكر على صيغتين أساسيتين : صيغة يضاف فيها صائت إلى المصدر الفعلي ويرتبط هذا الصائت بالموقع الأول وبالموقع ما قبل الأخير في الصيغة، مثلا سرم ـَسرـَم "برى، بري"، زض، ـزـض "طَحَن، طَحْن" طض ـُضـُض "رضَع، رضْع". أما الصيغة الثانية فيتم ضمنها تصدير صائت إلى المصدر الفعلي، مثلا : كـُشم ـَكـُشم "عجَز، عجْز" زنُزّ، ـَزـُزّ "نسَف، نسْف (الحبوب)"، زّـ ، ـُزـُ "غرَس، غرْس". وللاسم الفعلي المؤنث صيغتان رئيسيتان، صيغة تصدر فيها تاء التأنيث ويزاد صائت يرتبط بموقعين في الصيغة وهما الموقع الثاني والموقع الأخير، مثال : مگر، تـَمگرـَ "حصد، حصاد"، رز، تـرزي "كسَر، كسْر". وصيغة تضاف فيها أداة التأنيث المتقطعة ت ـ ت إلى المصدر الفعلي ويزاد صائت يرتبط

بالموقع الثاني وبالموقع ما قبل الأخير، ينجز هذا الصائت ـ في حالة تجانس الصوائت الأخرى محالفة لها، مثال : گَلّ، تـَگَلّـت "أقسم، قسم"، زَلّ، تـَزَلّـت "صلّ، صلاة". (ب) لاسم الفاعل كذلك صيغتان أساسيتان، صيغة يضاف فيها إلى المصدر المضعف صائت يرتبط بالموقع الأول وبالموقع ما قبل الأخير، مثال : خدّم، ـَخدّـَم "عمل - عامل" عزّب، ـَعزّـَب "انتجع، منتجع"، وصيغة يضاف فيها إلى صيغة الفعل المتبادل الصائت ـَ وهو يرتبط بالموقع الأول وبالموقع ما قبل الأخير، مثال : مزّدغ، ـَمزدـَغ "تساكن، ساكن"، ـگومر، ـَنگومَر "صاد، صياد". (ت) أما اسم الأداة أو المكان فله صيغة أساسية يضاف فيها الصامت ت إلى صيغة الفعل المبني للمجهول مثال : سكرز، ـَسكرز "حرث، محراث"، سكرف، ـَسكرف "شكل، شكال"، سمضل، ـَسمضل "قبر، مقبرة". إضافة إلى العلامات الذاتية التي تتصل بالفعل هنالك ستة أبواب من الضمائر تعود على الاسم وهي : (أ) الضمائر المباشرة أي : يـ ، ك (ش)، كم (شم)، ت، تّ، ـَغ (ـَح، ـَخ)، كون، كونت، تن، تنت ؛ (ب) الضمائر الغير المباشرة وهي : ـ، ـَك (ـَش)، ـَم، ـَس، ـَغ (ـَح، ـَخ)، ـَود (ـَكن)، ـَونت (ـَكّنت)، سن، سنت. تلحق هذه الضمائر (أ، ب) بالفعل ما عدا في حالة وجود أداة فعلية تجذبها (انظر ما سبق). (ت) ضمائر الملكية وهي : ـَنـُ، نك (نش)، نم، نس، نغ (نّح، نّخ)، نّـُن، نّـُنت (نكنت)، نس، نسنت. (ج) ضمائر القرابة وهي Ø، ك (ش)، م، س، تنغ (تنح، تنخ)، تـُن، تـُنت (نكـَت)، نسن، نسنت ؛ وتلحق هذه الضمائر بالاسم. (جـ) الضمائر الحرفية هي : ـ، ك (ش)، م، س، نغ (نح، نخ)، ـُن، ـُنت (كنت)، سن، سنت، وهي تلحق بالفعل ما عدا في حالة الاستباق. (خ) الضمائر المستقلة وهي : نكّي (نكّ)، كيّـ (شكّ)، كمّـ (شم)، نتّـَ، نتّـَت، نكّنـِ (نـكنـِ)، كونّـِ، كونّمتـِ (شنّـَنت)، نتّنـ (نـهنـ)، نتنتـ (نـهنتـ).

تَستعمل هذه الضمائر عادةَ قبلَ الفعل وهي متعددة الوظائف. أما أدوات الإشارة فهي أنواع مختلفة منها اللواحق ومنها الضمائر ومنها الظرفية. فاللواحق ثلاثة مبنية من حيث الجنس والعدد، فهي : ـَد (ت). "هذا"، ـَنّ (ينّ) "ذلك"، نّـَ "ذاك"، مثال : تَـخـَمـت ـَد "هـذه الخيمة"، ـَسـف ـَنّ "ذلك النهر"، ـُشّن نّـَ "ذاك ابن آوى". أما الضمائر فهي : وـَد، تـَد، وـَنّ، وـَنّـَ، تـَنّـَ للمفرد ووـد، تـد، وـنّ، تـنّ، وـنّ، تـنّ للجمع. وأخيرا الإشارات الظرفية هي غـد، دـد "هنا"، غـنّ، دـ "هناك". أما عن الأسماء العددية فهي تنقسم إلى أسماء أصلية وإلى أخرى ترتيبية. والأسماء الأصلية نوعان : نوع غير مركب ونوع مركب، فالأسماء غير المركبة هي من واحد إلى عشرة : يـَن (يـُن)، سـِن، كرَض (شرَض)، كّـُز، سمّـُس، سضـس، سـَ، تـَم، تّزَـ، مرـَو. يشتق المؤنث منها بإلحاق تـ إلى المذكر، مثال : يـَت، سنـَت، إلخ.. يضاف الاسم في الصيغة العددية فيتغير حسب الجنس والعدد والحالة، مثال: سنـَت تربـَتـن "طفلتان اثنتان". أما الأسماء الأصلية المركبة فهي تتكون على الشكل التالي : الوحدات + د + العشرات + ن + الاسم، وهذا التركيب صالح في عملية الجمع، أما عملية الضرب فهي تصاغ كالآتي : الوحدات + ـدـَ + العشرات + ن + الاسم، ويكون الاسم المضاف متغيرا حسب الجنس والحالة، مثال : سنـَت دمرـَوت ن تسكّـُرت "اثنتا عشر حجلة"، سمّـُس ـدـَ عشرين ن وـنـُ "خمسة عشرة بئراً". أما الأسماء الترتيبية فهي مركبة كالتالي : وـ (للمذكر) أو تـ (للمؤنث) + سّ + الاسم الأصلي + الاسم المضاف. ويتغير هذا الاسم حسب الجنس والعدد والحالة، ما عدا في وضعية الاستباق، مثال : تـسّ كرـَطّ تمغـرـِن. تّمغـَرت تـسّ كرـَطّ "المرأة الثالثة".

الجملة : تكون الجملةَ بسيطة أو مركبة، والجملة البسيطة إما اسمية مثال : هـَ وشّن "هوذا ابن آوى"، وإما فعلية، مثال : ـنغـَ وشّن "قتل ابن آوى". وتتكون الجملة المفيدة من فعل ومن إشارات ذاتية، يشغل ضمنها الفعل الوظيفة الحملية وتشغل الإشارة الوظيفة الفاعلية، مثال : ـدّـَ "ذهب" ويمكن أن تعود هذه الإشارة على اسم سابق، مثال : علـ ـدّـَ "علي ذهب" أو على اسم لاحق، مثال : ـدّ ـَ علـ "ذهب علي". ويمكن أن تضاف إلى هذه الجملة فَضلة تكون إما اسما، مثال : ـسغـَ علـ تـَسرد ـَنت "ابتاع علي بغلة" وإما ضميراً، مثال : ـَسغـَت علـ "ابتاعها علي". وتتوسع الجملة توسعا غير مباشر بواسطة حروف تؤدي وظيفة أدوية، مثال : بضـُت س تـُزّـَلت "قسّمه بالسكين"، أو وظيفة مضافية، مثال : ـزّنزـَت ـ علـ "باعه لعلي"، أو وظيفة مكانية، مثال : ـضرَغ وـَمـَن "سقط في الماء". وتتوسع الجملة كذلك بواسطة أدوات تركيبية تؤدي وظيفة زمنية (ـَيلـِغ، ـَلـگ، غـَر سـَر، إلخ)، أو وظيفة قصدية (خـَمـَ، فـَدّ، إلخ)، أو وظيفة سببية (ـَشكـُ مـنرـِ إلخ)، أ، وظيفة شرطية (ـِغ، مرـَ، إلخ).

أما الجملة الموصولة فهي تضاف بواسطة أداة موصولة مثال : تـَمـَزـِرت نّـَ ـقّـُرن تجلـَ "الأرض (التي هي) قاحلة تضيع"، ـدّـَ وسَرد ـُن لـَ ـسوـَن ـَمـَن "راح البغل الذي شرب الماء". وقد تؤدي الجملة الفاعلية وظيفة الجملة الموصولة، مثال : ـَرگـَز يـُسّرن "الرجل المسن". تصدّر الجملة الاستفهامية بأدوات مثل مـَنـِ "أين" ـِس "هل"، مـَن "أي".

أما التركيب العطفي فقد يتم عن طريق المجاورة المباشرة، مثال : ـدّـَ ـكرز ـزّنز "راح فحصد وباع" وعن طريق روابط النسق مثل د التي تؤدي معنى الوصل، مثال: ـشّـَ ـَكسـُم دـُغرـُم دوـَضـل "أكل اللحم والخبز والعنب". وروابط مثل نغدّ، نـِغ التي تؤدّي معنى الفصل، مثال : ـسوـَ ـَمـَن نـِغ ـَغـُ "شرب الماء أو اللبن"،

وروابط أخرى مثل مَشَ، مَشّ، مش، ولَينّ، إلخ ؛ مثال : تُست مَشّ ضرَس "أخذته ولكنه سقط منها".

وفي إطار الجملة يمكن للمركب الاسمي أن يكون مفصولا، مثلا : نتّت تمزغت دتگ "(هي) أمازيغية هي" أو موضعا، مثال : تفُنَست تدّس رتِ "راحت البقرة إلى الحقل".

ابن عبد الحكم، *فتوح إفريقية* ؛ الشريف الإدريسي، *نزهة المشتاق*؛ ع. ابن خلدون، *المقدمة* ؛ ابن عبد العظيم الأزموري، *بهجة الناظرين*، مخطوط ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، م. شفيق، *الشعر الأمازيغي*.. ع. 4، 1408 / 1987 ؛ ع. محمود إسماعيل، *الخوارج في بلاد المغرب*.

E. T. Abdelmassih, 1971, *Tamazight Verb Structure : a generative approach*, The Hague, s. d, Indiana, U.P.A, Séries 2 ; A. Akouaou, 1976, *L'expression de la qualité en berbère : Le verbe, parler de base : Le tachlhiyt de Tiznit*, thèse de 3ème cycle, Paris ; J. R. Applegate, 1958, *An outline of the structure of shilha*, New York ; (1970) *Berber languages*, Current Trends in Linguistics, 6, La Haye - Paris, Mouton, p. 586-661 ; L. Bary, 1983, *Etude syntaxique d'un parler de la langue tamazight: Le tachelhit d'Inezgane, approche fonctionnelle*, thèse de 3ème cycle, Faculté des Lettres, Rabat ; A. Basset, 1929, *La langue berbère, morphologie, le verbe, etude de thèmes*, Paris Leroux; (1952), *La langue berbère, Handbook of African languages, part I*, London, International African Institute, Dawson of Pall Mall ; F. Bentolila, 1981, *Grammaire fonctionnelle d'un parler berbère : Aït Seghrouchen d'Oum Jeniba (Maroc)*, Paris Selaf ; S. Biarnay, 1917, *Etudes sur les dialectes berbères du Rif*, Paris Leroux ; F. Boukhris, 1986, *Le verbe en tamazight : Lexique et morphologie (parler des Zemmours)*, thèse de 3ème cycle, Paris III / EPHE ; A. Boukous, 1987, *Phonotactique et domaines prosodiques en berbère*, thèse d'Etat, Paris VIII ; K. Cadi, 1981, *Le verbe en Tarifit (Maroc - Nord) : Formes, Structures et Valences*,thèse de 3ème cycle, Paris III, EPHE ; *Système verbal rifain, Forme et sens*, Paris, Selaf ; S. Chaker, 1983, *Un parler berbère d'Algérie (Kabylie), Syntaxe*, Publications de l'Univesité de Provence ; M. Chami, 1979, *Un parler amazigh du Rif marocain : approche phonologique et morphologique*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; M. Chtatou,1982, *Aspects of the philology of a Berber Dialect of the Rif*, Thesis for degree of Doctor of philosophy, University of London ; D. Cohen, 1968, *Les langues chamito sémitiques, Le langage*, Paris Gallimard, Encycl. de la Pleiade, N.R.F, p. 1288-1330 ; C. Derkaoui, 1986, *Etude du verbe et de ses modalités dans le dialecte tachelhit*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; M. El Medlaoui, 1985, *Segments et Syllabation dans le parler tachlhit d'Imdlawn*,thèse de 3ème cycle, Paris VIII ; E. El Moujahid, 1981, *La classe duenom dans un parler de la langue tamazight : Le tachlhiyt d'Igherm (Souss, Maroc)*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; L. Galand, 1955, *Etat et procès : Les verbes de qualité en berbère*, Hesp. p. 245-251 ; (1956) *L'énoncé verbal en berbère : Etude des fonctions*, Cahiers de Ferdinand de Saussure, nº 21, Genève, p. 33-53 ; (1977) *Continuité et renouvellement d'un système verbal : Le cas du berbère*, B. S. L, 72/1, p. 275-303 ; M. Guerssel, 1976, *Issues in Berber Phonology*, M.A, Univ. of Washington ; (1986) *Glides and Syllabicity in Berber*, Linguistic Inquiry, 17 : 1-12 ; M.J. Harries, 1971, *Syntactic Structure of Tamazight*, Doctorat Dissertation, Univ. of California ; B. Hebaz, 1979, *L'aspect en berbère tachelhiyt (Maroc) Parler de base : Immi (Marrakech - Ouarzazate)*, thèse de 3ème cycle, Paris V ; A. Jebbour, 1988, *Processus de formation du pluriel nominal en tamazight (Tachelhit de Tiznit), Approche non concatenative*, D.E.S., Faculté des Lettres, Rabat ; T. Penchoen, 1973, *Etude syntaxique d'un parler berbère (Aït Frah de l'Aurès)*, Napoli, Centro di Studi Maghribini, V ; A. Renisio, 1932, *Etude sur les dialectes berbères des Beni Iznassen du Rif et des Senhaja de Srair, Grammaire, lentes et lexique*, Paris, Leroux ; J. Saïle, 1976, *A phonological study of tamazight Berber : dialect of the Ayt Ndhir*. Ph. Univ. of California, Los Angeles ; M. Taïfi, 1979, *Le tamazight au contact de l'arabe dialectal (étude sociolinguistique sur le parler des Aït-Mguild)*, thèse de 3ème cycle, Paris III, EPHE.

أحمد بوكوس

أمَالك، أحمد، وأمالك تعنى ابن مالك. تولي باشوية قصبة مراكش بعد موت إبراهيم الگراوي الذي وافق تاريخ موت السلطان محمد بن عبد الرحمان عام 1874. وقد كانت له حركات لتطويع بعض قواد الحوز والأطلس لسلطة المخزن منهم القائد محمد أِلحسْن الگنتافي الذي كان في جبله "أحذر من غراب وأمنع من عقاب" يهادي قواد مراكش ولا ينزل إليهم. وكان السلطان مولاي الحسن قد ولى الوصيف أحمد أمالك على الجيش السوسي وما أضيف إليه. وقد ضايق الگنتافي وكتب بأمره إلى السلطان في فاس مع العلم بأن الگنتافي إنما كان يستنكف من معاملة أمالك ولا يخرج عن الطاعة للسلطان وكان أحمد أمالك ما يزال قائدا للجيش السوسي بمراكش في شوال 1293 عندما كتب إليه السلطان لبناء قبة فارهة على باب الرئيس من الدار الكبرى بالحضرة المراكشية، ذكر ذلك صاحب *الاستقصا* (6 : 160) وقال إنه كان حينئذ يتولى إحصاء صائرها.

أ. الناصري، *الاستقصا*، 9 : 146، 147، 160.

أحمد التوفيق

أيت **أمَالُو**، كلمة أمازيغية تعني الظل، وقد استعملت ضمن قاموس جغرافية المغرب لتعني السفح الظليل ubac. ونتحدث عن سكان "أمالو" مقابل سكان "أسَمّْ" أو السفح المشمس adret .

فأيْتْ أمَالُو هم سكان السفح الظليل. غير أن هذا النعت قد لا ينطبق دائما مع الوضع الجغرافي للسفح. ظهر هذا النعت بعد التحركات السكانية التي شهدها المغرب بعد القرن الخامس عشر نتيجة تفاعل عدة عوامل. ولكن الواقع المترتب عن توزع القبائل على السفحين : المشمس المقابل للجنوب أو الجنوب الشرقي، والظليل المقابل للغرب أو الشمال، قد ظهر متميزا منذ القديم، وكان له أثر على العلاقات بين مجموعات قبائل السفحين، وفي أول كتاب معروف يتعرض لهذه القبائل الجبلية المغربية وهو *كتاب الأنساب* للبيذق نجد تمييزا، لهذا السبب ولعواقبه بدون شك، بين قبائل الظل وقبائل القبلة.

يقول صاحب *الاستقصا* (9 : 199) "أيت أمالو من برابرة فزاز، وهم بطن من صنهاجة يشتمل على أفخاذ كثيرة مثل ظيان وبني مگيلد وشقيرن وأيت سخمان وأيت يسري وغيرهم... قد عمروا جبال فازاز وملأوا قننها وتحصنوا بأوعارها منذ تملك البربر المغرب قبل الإسلام بأعصار طويلة.

كما نجد الحديث أيضا عن أيت عطة ـ نُ ـ أمالو عند "دوفوكو De Foucauld (ص. 69) حيث حدد موطن هؤلاء كالتالي : تحد بلادهم شمالا تادلة وجنوبا وادي العبيد وأيت يسري وغربا أيت بوزيد. وأهم عشائرهم أيت بويكنيفن (تالمست) وأيت أنير (برنات) ثم ممثلون للأفخاذ الأخرى بناحية واويزغت.

يبدو أن القاسم المشترك بين هذه القبائل هو حركيتها تجاه السهول وما تُحدثه من رعب وفوضى استوجب التصدي لها عدة مرات في التاريخ سواء من طرف الحكام

أو من طرف أحلاف قبائل مهددة بذلك الزحف. ولذلك وصف أيت أمالو بأنهم قطاع الطرق اشتغلوا بالفساد وإشعال الفتن وتحالفوا على معصية السلطان، وطاعة الشيطان (دوفوكو، 69 ؛ *الاستقصا*، 8 : 115 : 130).

وقد رد بعض المؤلفين هذه الفتنة إلى محاولة هؤلاء الحصول على مجالين اقتصاديين متكاملين (جبل وسهل) بينما ذهب البعض الآخر إلى أن أصول هذه الديناميكية تعود إلى الهجومات التي شنها عرب معقل على مجالات هؤلاء. وبذلك دفعوا بهم نحو السهول ولربما كان التعليل الأخير مجرد دفعة عنيفة في إطار حركة بطيئة. إن هذا الدفع العنيف المخيف بجحافل من سكان الجبال نحو السهول والعواصم أقلق سلاطين المغرب. حيث بدا أيت عطة - نُ - أمالو يهددون تادلا بينما تقدمت قبائل الأطلس المتوسط نحو السهول والهضاب الأطلسية، فاستعمل معهم المخزن أحيانا سياسة لينة وأحيانا أخرى سياسة الشدة والصرامة.

فمولاي إسماعيل بعد إخضاعه أيت إدراسن "أعطاهم الغنم وألزمهم برعايتها وحفظها وأسقط عنهم الوظائف فصلحت أحوالهم". كما أمر سيدي محمد بن عبد الله سنة 1175 هـ بالعفو عن قبائل أيت عطة (1202 هـ) حيث أمرهم أن يبعثوا بستمائة رجل منهم وأربعمائة من عبيد تافلالت ليكسوهم ويسلحهم ويستعملهم في خدمة البحر وجنديته فبعثوا بهم إليه. ولم يخل هذا التعامل من القساوة والشدة في بعض الأحيان، ففي سنة 1104 هـ حاصر مولاي إسماعيل أيت أمالو فزاز من كل جهة وقتل منهم عددا كبيرا في ليلة واحدة (*الاستقصا*، 7 : 78) وفعل سيدي محمد بن عبد الله ما يشبه ذلك حيث شن غارات ضد أيت إيمور فهلك منهم ما ينيف عن ثمانمائة شخص فأمر بحز رؤوسهم وبعثها إلى فاس لتعلق على الأسوار، (*الاستقصا*، 8 : 130) وفي عهد مولاي سليمان بعث ابنه إلى أيت عطة فهاجمهم وأسر عددا منهم إلى فاس حيث قتل منهم عددا بباب المحروق.

إن هذه الحركات والمعارك تكررت في تاريخ المغرب ومجاله، حيث أدت إلى تنقل عدد من القبائل واتخاذ إجراءات مختلفة قصد تثبيتها مثل بناء قلاع لصد هجوماتها. وهكذا أمر السلطان مولاي إسماعيل ومن بعده ببناء حصون وقلاع أهمها : قلعة عين اللوح وقلعة عين أزرو وقلعة باعليل وقلعة وادي گيگو وقلعة وادي سكورة وقلعة وادي تشواكت، وقلعة دار الطمع، وقلعة تابوست وقصر بني مطير وقلعة وطواط، وقلعة القصابي، وقلعة ادخسان وقلعة واويزغت وغيرها. ولربما لم يكن هذا البناء سوى تجديد وبعث لقلاع قديمة استدعى موقع التوتر بين السهل والجبل قيامها منذ المرابطين أو حتى قبلهم.

وتذكر المصادر أن السلاطين أنزلوا بهذه القلاع فرسانا من العبيد أو القبائل الموالية للمخزن مثل دكالة والشاوية، وبذلك تم وضع حصار على أيت أمالو، ومنعوا من النزول نحو المراعي الشتوية والحرث، لكن هذه القبائل ظلت تتحرك حتى العهد القريب منا.

أ. البيذق، *كتاب الأنساب* ؛ أ. الزياني، *الترجمان* ؛ *الروضة السليمانية* ؛ الضعيف، *تاريخ* ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8 و 9.

De Foucauld, *Reconnaissance* ; G. S. Colin, *Origine arabe des grands mouvements de populations berbères dans le Moyen Atlas*, Hesp. t. 25, p. 265-268, 2 et 3 trim. 1938.

محمد أيت حمزة

أمَانْ مْلُولْنين، يعني بالشلحية المياه البيضاء، وهو عبارة عن مكان في غجدامة قرب تاساوت وقعت فيه مغركتان شهيرتان : الأولى وقعت بين أبي حفص الهنتاتي وقبائل هسكورة، في إطار تمهيد الأمر للدولة الموحدية، ذكرها البيذق في أخبار المهدي في باب استفتاح مراكش (ص. 67). والثانية وقعت بين المرتضى الموحدي وأبي يحيى المريني (أبي بكر بن عبد الحق). وقد عسكر المرتضى في هذا المكان عام 1251 م بعد خروجه من مراكش. ذكر ذلك المؤرخ الإسباني ميراندا.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*.

A. Huici Miranda , *Historia politica del imperio* Almohade, 2 tomes - Tetouan 1957.

محمد مزين

أمَانُوزْ، قبيلة في الأطلس الصغير جنوبي تافراوت، أوأمَّلن، شمال فم الحصن وتمانارت. وتقع إليغ إلى الغرب من أمانوز على بعد أقل من 50 كلم. كانت لشيوخ أمانوز علاقات بالشيخ احماد أوموسى، وقد وصل إليهم القائد المخزني على حاحا في بداية القرن التاسع عشر وهو أغناج قصد إخضاعهم للواجبات المخزنية.

أحمد التوفيق

امبارك بن محمد، بن الضو. من مواليد سنة 1914 بدوار أداي فرقة إدْياكُو، قبيلة اصبويا، أيت باعمران، إقليم تيزنيت. انخرط الشهيد المذكور في صفوف جيش التحرير ضمن فرقة السيد العلالي، شارك في عدة معارك ضد العدو.

سقط شهيدا في معركة تسمى (معركة أصدر يوم 23 / 11 / 1957) وترك أولاده الثلاثة وزوجته.

وثائق المندوبية السامية لقدماء المقاومين وجيش التحرير - الرباط.

عز الدين العلام

أمْبِيرْكُو، محمد اسمه الحقيقي محمد بن الحاج أحمد الدكالي واشتهر عند المطربين بالرباط باسم "حبيبي أمبيركو" ولد سنة 1311 / 1893 وتوفى سنة 1382 / 1962. وكان من حفاظ الطرب الأندلسي ومن العازفين على الرباب. فكان يستحضر معظم نوبات الآلة وموازينها، كما يحفظ الشيء الكثير من الطرب الغرناطي الجزائري والمألوف التونسي. وكان، بالإضافة إلى ذلك، يشتغل بصنع العيدان. شارك في مؤتمر الموسيقى العربية سنة 1932 ضمن الوفد المغربي ومن هنالك جلب قالب العود المصري إلى المغرب. وكان من بين أساتذته في الآلة الحاج عبد السلام بنيوسف وبامحمد گديرة والحاج المختار الأودي وعبد القادر كريش. وترأس مدة طويلة على جوق الطرب الأندلسي بالإذاعة المغربية.

ع. بنمنصور، مجموع أزجال وتواشيح وأشعار الموسيقى الأندلسية، الرباط 1977 ؛ ص. الشرقي، *أضواء على الموسيقى المغربية*، المحمدية 1977.

أمْبِيرْكُو، المكي، اسمه الحقيقي المكي الدكالي وانتماؤه لقبيلة أولاد فرج بدكالة. من أسرة نزحت إلى الرباط منذ أجيال. كان من أنجب الطلبة الذين تخرجوا على كبار علماء مدينة الرباط مثل عبد الرحمان بريطل ومحمد الرندة والمكي البطاوري وأحمد جسوس وأبي شعيب الدكالي فدرس الفقه والكتب الستة في الحديث والتفسير والشفا وألفية ابن مالك والشاطبية في القراءات.

كان يشتغل بالتجارة في الكتب والوراقة والنساخة ويتميز بخطه الجميل ويشتغل أيضا بتجليد الكتب. وبرغم كل مشاغله المهنية، فإنه كان شغوفا بالعلم ويحضر سائر الدروس العلمية التي كانت تلقى بمدينة الرباط. وكان دكانه مقصدا لعدد من الطلاب والعلماء، وإلى جانب كل ذلك كان له شغف خاص بالطرب ويجيد العزف على آلة الكمان. وإليه يرجع الفضل في محاولة نشر بعض نوبات الآلة المقتبسة من مجموع الحايك التطواني. وهكذا نشر في سنة 1353 / 1935 ست نوبات هي رمل الماية والعشاق والإصبهان وغريبة الحسين والرصد ورصد الذيل، وله عدة تقاييد علمية نقلها عن شيوخه. توفي في 12 ربيع الثاني سنة 1353 / 3 يوليوز 1936.

ع. الجراري، *من أعلام الفكر المعاصر* ؛ ي. الشامي، *نوبات الآلة*.

محمد زنيبر

أمبلوسيا (Ampelusia) نجد هذا المصطلح لأول مرة عند بومبونيوس ميلا (Pomponius Mela) في مؤلفه *De chorographia* الفصل الأول، الفقرة 25 والفصل الثالث الفقرة 107. وأيضا عند بلين الشيخ (Pline l'Ancien) في مؤلفه *التاريخ الطبيعي* (*Histoire Naturelle*) الكتاب الخامس الفقرة 2.

ويعتبر بومبونيوس ميلا التسمية إغريقية، ويقول إن لها مقابلا محليا. لم يورده... لكنه قال إن لكلا التسميتين معنى واحدا (1 : 25).

ويعتقد بومبونيوس ميلا بأن هذا الشناخ (Promontoire) المعروف تحت اسم أمبلوسيا هو الحد الأقصى الذي تبتدئ انطلاقا منه أرض ليبيا ويشكل في نفس الوقت الحد النهائي للمحيط الأطلسي (3 : 107).

ويردد بلين الشيخ نفس الفكرة عندما يعتبر أمبلوسيا الحد الأقصى للمحيط ويرجح بدوره التسمية لأصل إغريقي (2 : 5).

مصدر ميلا السابق الذكر يغفل ذكر التسمية المحلية إلا أننا نجد بمصادر أخرى ومنها مؤلف سطرابون (Strabon) الجغرافية *Geographie*، الكتاب (17 : 3، 2) اسم كوطاييس (Koteis) وعند بطليموس (Ptolemee) في كتابه الجغرافية (4 : 1، 1. طبعة Muller, ص. 572) نجد اسم كوطيس (Kotes)، لنفس الشناخ.

والاسم الإغريقي لهذا الشناخ يعني رأس العنب. والسائد أيضا بين الباحثين المعاصرين أن لكوطيس وكوطاييس نفس المعنى.

وحسب مجموعة من الدراسات فهذا المصطلح الأخير (كوطاييس أو كوطيس هو المصطلح الإفريقي الذي لم يذكره بومبونيوس ميلا، ولكنه حسب مجموعة أخرى مشتق من اللغة الفنيقية. والشناخ المذكور في كل هذه المصادر تتفق الدراسات المعاصرة على أنه يطابق رأس سبارطيل (Cap Spartel).

M. Tissot, *Recherches sur la géographie comparée de la Maurétanie Tingitane*, M. A. I. B. L, Paris, 1877 ; Pomponius Mela, *De chorographia*, Livre III, éd. C. Frick, Leipzig, 1880 ; R. Roget, *Le Maroc chez les auteurs anciens*, Paris, 1924 ; J. Ramin, *Le périple d'Hannon*, Bar, supplementary Series 3, 1976 : Pline l'Ancien, *Histoire Naturelle*, V, 1-46, Texte établi et traduit par J. Desanges, Belles - Lettres (CUF) Paris, 1980 ; *Encyclopédie Berbère*, S. V. *Ampelusia* IV, 1987, pp. 605-606.

بلكامل البيضاوية وعبد العزيز بل الفايدة

أمَشار، نهر ينبع بجبل تيزيران بقبيلة بني خالد الغمارية، وبعد سقيه لأرض القبيلة المذكورة تصب مياهه في البحر المتوسط بالمرسى التي تحمل اسمه.

Ministerio de la Guerra, *Accion de España en Africa*, 1930, p. 55 ; A. Domenech Lafuente, *Geografia de la zona norte del protectorado de España en Marruecos*, 1942, p. 39 et 49 ; J. Cabello Alcaraz, *Apuntes de geografia de Marruecos*, 1951 p. 63 et 88.

م. ابن عزوز حكيم

الأمثال المغربية، أصبحت الأمثال اليوم - أكثر من أي وقت مضى - من التراث الذي يُهتم في كل بلد بتدوينه، ويُعتنى بتسجيله ويحرص على حفظه كي لا يتعرض للضياع. لا سيما أن الأمثال أصبحت في البيئات الحضرية قليلة الاستعمال. ومما يدعو إلى تقييدها وعدها من الآثار المخلدة في الكتب المجلدة أنها تعتبر مرايا تنعكس عليها فلسفة الشعوب وقوالب تصب فيها حكمة الأجيال، ومن هنا رأينا في عصرنا كثرة معاجم الأمثال ووفرة مجامعها في جميع البلدان وبكل اللغات.

إن الأمثال المستعملة في المغرب هي إما بالعربية المعربة أو العامية وإما بالأمازيغية، وهي أمثال تنحدر من جيل إلى جيل ويرويها الخلف عن السلف وكانت تحفظ في الغالب بواسطة الرواية الشفوية إذ كان الناس قديما لا يجدون حاجة إلى تدوينها، ولا يحسون بضرورة العمل على تسجيلها ولم يكونوا يستسيغونه وقد ينتقدون من يقوم به.

ومن حسن الحظ أن هذه النظرة قد تغيرت اليوم وظهرت مجموعة من المدونات في الأمثال المغربية المسموعة في عدد من المدن والأقاليم المغربية.

أما المحاولات القديمة فمنها محاولة أبي يحيى عبيد الله الزجالي القرطبي الأصل والنشأة المراكشي المهجر والملحد المتوفى سنة 694 هـ فقد جمع هذا الأديب الحسيب حوالي ألفين ومائتي مثل من الأمثال المسموعة في عصر الموحدين. وهو عصر نضجت فيه الوحدة التي قامت أيام

المرابطين بين الأندلس وبلدان المغرب الكبير، وإن كانت لهذه الوحدة جذور تاريخية بعيدة، وكان من نتائجها أن توحدت النظم والتقاليد، وتشابهت السنن والعوائد، وكثرت الرحلات والهجرات بين الأندلس وبلدان المغرب، ولذلك وجدنا في مجموعة الزجالي أمثالاً مشتركة يستشهد بها الناس في مدن الأندلس وحواضر المغرب وما يزال بعضها مسموعاً إلى يومنا هذا.

وقد وجدنا طائفة من هذه الأمثال مستعملة في رسائل كان ابن عباد الرندي (ت. 792 هـ) يوجهها من مدينة سلا إلى بلديِّة المقيم بمدينة فاس يحيى السراج المتوفى سنة 805

وفي مطلع القرن التاسع جمع الفقيه الغرناطي أبو عبد الله محمد ابن عاصم قدراً مهما من الأمثال العامية التي كانت مسموعة في غرناطة ومملكة بني الأحمر وقد دلنا البحث على أن عدداً كبيراً منها كان معروفاً أيضاً في فاس ومملكة بني مرين.

إن هذه المجموعات الثلاث تمثل تطور الاستعمال في الأمثال وتغير صيغها عبر تلك القرون، وهو تغير يكون طفيفاً أحياناً، فالمثل الذي يورده ابن هشام كما يلي :

على قدر كسائك، مد رجليك.

يرويه الزجالي هكذا :

على قياس كسيك،مد رجليك.

ونجده عند ابن عاصم على النحو التالي :

على ساحل كسيك، تمد رجليك.

وفي آخر القرن التاسع الهجري قبيل غروب شمس الإسلام عن الأندلس ألف أبو الحسن علي ابن القفال مجموعة من الأمثال العامية دلت على ظرفه وذكائه، ورحب بها الناس في وقته وقرظها بعض الشعراء من أهل عصره، ولعلها ضاعت فيما ضاع عند سقوط مملكة غرناطة. ونجد هذا التقليد الأندلسي الحضاري الجميل - تقليد جمع الأمثال العامية - يستمر في المغرب بعد ضياع الفردوس المفقود، ونراه في القرن العاشر الهجري عند أبي العباس أحمد بن علي المعروف بالمنجور المتوفى سنة 990 هـ فقد "كان مولعاً بأمثال العامة - خصوصاً عامة الأندلس - يستحسن لغتهم ولكنتهم ويثني عليهم وعلى بلادهم الجزيرة ويستحسنها ويتشوف إليها" ومن المعروف أن هذا الفقيه كان شيخ الجماعة في العصر السعدي.

أما في العصر العلوي فإن أشهر من يذكر إذا ذكرت الأمثال هو أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي (ت 1102 هـ) فكتابه *زهر الأكم* من أهم المعاجم التي ألفت في الأمثال قديماً وحديثاً، وقد سجل فيه شيئاً من "الأمثال الوقتية" وهي أمثال العامة في وقته، ومنها على سبيل المثال :

- امش بالنعلين حتى تجد السباط -

- اترك صاحب الغاسول يسكت -

وذكر في أصله الحكاية التالية : "زعموا أن شخصين اصطحبا في طريق لأحدهما حمل من حديد أو شبهه وللآخر حمل من الغاسول - وهو طين تغسل به الرؤوس - فأصابهما مطر فجعل صاحب الحديد يتوجع ويتخوف على سلعته من البلل فقال له صاحب الغاسول ما ذكر. ومعلوم أن الحديد وشبهه لا يضره البلل شيئاً، وأما الغاسول المذكور فأي شيء من البلل خلص إليه يحلّله ويفسده فيضرُّ به، يقال فيمن يتوجع ويتألم أو يتشكى ويتظلم أو يتأسف ويتندم وثمَّ مَن هو أجدر منه".

فإذا تجاوزنا القرن الحادي عشر - وفيه عاش اليوسي - إلى القرن الثاني عشر فسنجد تأليفاً أدبياً مغربياً يشتمل على طائفة من أمثال العامة، وهو كتاب *المحكم* لأبي مدين الفاسي المتوفى سنة 1181 هـ والأمثال التي أوردها في كتابه مرتبة على حروف المعجم ونقف فيها على أمثال موجودة في مجموعة الزجالي ومجموعة ابن عاصم مع تغيير بسيط مما يدل على سيرورة المثل واستمراريته، ومثال ذلك :

حاجة بقطاع، يهودي يقضيها

ورد هكذا عند الزجالي وابن عاصم أما أبو مدين فقد أورده كما يلي :

حاجة بالدراهم، يهودي يقضيها

حلت الدراهم محل القطاع التي كانت مستعملة في اللهجة الأندلسية وإن ظلت مستعملة عند الفقهاء والموثقين المغاربة ونجدها عند ابن عاشر (ت. 1040 هـ) في متنه المعروف.

ولدينا مجموعة أمثال عامية تنتمي إلى هذا العصر يبدو أنها مصنفة منذ أكثر من قرن على الأقل. وقد امَّحى للأسف في الورقة الأخيرة منها اسم مصنفها وتاريخ تصنيفها، وتمتاز هذه المجموعة بأن صاحبها لم يكن له حظ من الطلب، ولذلك فهي صورة طبق الأصل للأمثال المغربية منذ مائة عام أو أزيد ونجد فيها أثراً لا ستمرار أمثال أندلسية قديمة موجودة عند الزجالي كهذا المثل :

عرايس الزهراء واحدة تنسيك أخرى

فقد ذهبت الزهراء وأهلها، وبقي في الناس مثلها. وآخر هذه المجموعات التاريخية من الأمثال العامية هي التي ألفها الأديب الكاتب الغالي بن سليمان وقد أشار إليها في كتابه : *فواصل الجمان* ولكننا لم نقف عليها.

أما في عصرنا هذا فقد دونت مجموعات عديدة في الأمثال المغربية طبع بعضها وما يزال بعضها الآخر مخطوطاً.

هذا بإيجاز ما يتعلق بتراثنا من الأمثال الدارجة بالعربية العامية، وأما ما يتعلق بالأمثال الأمازيغية فلا نعرف فيها شيئاً مدوناً في القديم، ولا شك أن عدداً منها تعرَّب بتعرُّب الناطقين بها، ويوجد في مذكرات الأمير الزيري عبد الله بن بلقين دفين أغمات نماذج من هذه الأمثال الأمازيغية المعرَّبة، كهذا المثل :

من ثور حي لا تلبس هراكيس

ونلمح منها شيئاً فيما بقي من مؤلفات البيدق مؤرخ دولة الموحدين كالمثل التالي :

الشارب إذا منع اللبن والماء يتقصص

يبدو من المسلسل الذي سقته باختصار أن لدينا تراثاً طيباً من الأمثال المغربية، ويضاف إليه ما نجده في بعض المؤلفات العامة ككتب البلدان وكتب الفلاحة وأشعار الأزجال والملحون وغيرها، فمما نجده في النوع الأول هذا المثال الوارد في *المسالك والممالك* للبكري على سبيل المثال:

فاس، بلد بلا ناس

وفي *الاستبصار* لمؤلف من عصر الموحدين :

فاس، بلد النساء والأفراس

أما الأمثال الواردة في كتب الفلاحة والتقاويم الفلاحية فهي متعددة، كما أن أزجال ابن قزمان التي قيلت في عصر المرابطين تشتمل على مجموعة من الأمثال التي استعملها ذلك الزجال الكبير.

إن لهذه الأمثال فوائد متعددة :

أولها الفائدة التاريخية والاجتماعية من حيث إنها وثيقة شعبية لها قيمتها في تصوير البيئة الاجتماعية والنفسية للمجتمعات القديمة، وفيها إشارات إلى عدد من عوائد المجتمع المغربي وتقاليده وقيمه.

وثانيها الفائدة اللغوية والأدبية فهي تعرفنا بطبيعة العامية المغربية وتفيدنا في نشأتها وتطورها وتقدم لنا ثروة من المفردات والتراكيب التي لا غنى عنها لدارس اللغات واللهجات.

م. بنشريفة، *أمثال العوام في الأندلس*، جزآن، 1971 ؛ المصادر المذكورة في هذا المرجع.

محمد بنشريفة

أمْـجّـاوْ، لفظ يدل حسب التعبير الأمازيغي الريفي، على ما في معنى الحلق الأكبر، من المؤنث "تـمجًا" والاسم معروف بالغرب الجزائري، حوز تلمسان، نسبَ إلى موضعه عدد من الفقهاء والقضاة.

أمجاو فرقة : ينطبق هذا الاسم، من الجانب الإداري المحلي، على إحدى الفرق الأربع المكـونـة لإطار قبيلة بني سعيد الريفية وتحتل الفرقة جغرافيا الكتلة المرتفعة الممتدة شرق القبيلة، بإطلالها على الساحل المتوسطي من ناحية الشمال، ابتداء من مصب واد گرط شرقاً إلى جون واد "تشوكت"، عند سيدي عبد الجبار. ويحيط بالكتلة من حدودها الشرقية مجرى واد گرط، ومنها فرقة أمجاو على فرقة بني بوغافر القلعية. ويرسم حدود الفرقة من الوجهة الجنوبية امتداد مجرى واد البعاج، الذي يفصلها عن جارتها فرقة "أيت تمايت". تضم فرقة أمجاو 32 مدشراً و 5 جماعات.

أمجاو، قصبة : تأسست بالفرقة قصبة عرفت باسمها في وقت سابق للقرن العاشر الهجري عدها الحسن الوزان من ضمن مدن إقليم گرط، رعياً لموقعها وعدد السكان المجاورين لها. اختير لها موضع على أعلى كُدية مشرفة بانحداراتها الشديدة على مجرى واد گرط، اقيمت بين مداشر : إزْعومَنْ، إوَرداَنَنْ، في شمالها، وفي شرقها يوجد القضيا وإحْميداتَن وإشبّانَنْ، بينما يتوزع في جنوبها مدشر تَفَرْحونْت، تَماسينْتْ ولَعْزيبْ.

أمجاو، إمارة : تكونت بأراضي هذه الفرقة، في بداية القرن العاشر الهجري/16 الميلادي، بناء على ما أورده الحسن الوزان، شبه إمارة صغيرة مدت سيطرتها على قبيلتي بني سعيد وبني توزين. كان ذلك على يد فارس شاب، ينتمي إلى إحدى الأسر الموحدية المستقرة بالفرقة، لم يذكر الوزان اسمه، وحسب رواية السكان فاسمه حدو الفارس، الذي مازال أحفاده يحملون اسم أولاد حدو الفارس. وكان مبدأ ظهور الإمارة على يد الفارس، استقلالها عن الإشراف الجبائي لمدينة بادس على المنطقة الغربية من الريف الشرقي. هذا مما تمكن منه الفارس المجاوي بمساعدة خمسين فارسا جمعهم من إقليم گرط، وبهم تمكن من الاستيلاء على قصبة أمجاو. وبعد فشل حاكم بادس من فرض طاعته عليه، أقر محمد البرتغالي حكمه على المنطقة، لقاء السهر على حماية ساحل بطوية من القرصنة الإسبانية، مما جعله يحظى بمزيد من الرعاية من طرف الملك الوطاسي ويضع رهن إشارته مائتين من اجود فرسان المنطقة. بقي الفارس حاكم بطوية إلى أن أخبرنا "مارمول كربخال" Marmol Carbajal بتولية عبد الله الغالب لأحد أبناء الفارس مكان والده.

ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 267 ؛ *كناش قبائل الريف*، 161 مخ. خ.ج. رقم 192 ؛ *قائمة مداشر فرقة أمجاو* (قيادة بني سعيد) ضابط حول تنظيم وسير أعمال اللجن القروية للفرق والجماعات في قبائل المنطقة 95-56 نيابة الأمرر الوطنية، تطوان 1953 ؛ ح. الفيگيگي، *بحث ميداني*، 29 مارس 1975.

C. Marmol, *Afrique* 2 : 292.

حسن الفيگيگي

إمْ - حا - بَنيم (أمّ الأطفال) Em - Ha - Banim

مؤسسة للتعليم العتيق، أدخلت عليها برامج حديثة. ويرجع إنشاؤها إلى ربي روسي اسمه ر - زيڤ هلبيران استوطن المغرب حوالي عام 1911. وقد سميت هذه المدرسة بإم حا - بنيم لأن الحبر الروسي زيڤ استعطف أمهات الأطفال اليهود لمساعدته على إنشائها بفاس، بعدما لاحظ الفقر الذي باتت تتردى فيه المؤسسات التعليمية اليهودية. فاجتمعت هؤلاء الأمهات، وأكثرهن من أزواج وجهاء المدينة وأعيانها، في شكل تنظيم يسمى "الحبرة" (الطريقة أو الجمعية) وأطلقن على هذا التنظيم اسم "إم - حا - بَنيم" وشرعن يوفرن المال من مواردهن الخاصة ومما كنّ ينفقنه على البيت، لأداء واجبات الانخراط في "الحبرة".

لم يمض إلا قليل من الوقت على ميلاد هذه المؤسسة حتى أخذت تنتشر عبر المغرب، فبعد فاس، نشأت أخوات لها بمكناس وصفرو والدار البيضاء ومدن أخرى، وصار التعليم العتيق الصرف يترك المجال أكثر فأكثر للمواد غير الدينية.

فإذا ما أخذنا مثلاً مدرسة "إم ـ حا ـ بَنيم" بصفرو، في عهد أوج ازدهارها (1956 ـ 1957)، نجد أن عدد تلاميذها كان يومئذ يبلغ 650، إناثاً وذكوراً، موزعين على 12 حجرة، يؤطرهم 15 معلماً في اللغة العبرية، يلقنونهم التوراة ويعلمونهم الصلوات، و"شلهان عدوك"، أي الشريعة الدينية، وغير ذلك. كانت برامج هذه المواد تلقن في نصف النهار، في حين كان النصف الآخر مخصصاً للغة الفرنسية والمواد غير الدينية التي عهد بتدريسها إلى معلمين تابعين للرابطة الإسرائيلية العالمية. وتجدر الإشارة إلى أن أنجب تلاميذ هذه المدارس كانوا يتابعون دراساتهم بمؤسسات تسمى "يشيباه بيت داود" أي المدرسة التلمودية العليا، التي كان يوجد منها ما يقرب من الأربعين.

أما اليوم، فإن مدارس "أسار ـ حا ـ توراة" تواصل التكوين الذي كانت تقوم به مدارس إم ـ حا ـ بَنيم.

ح. الزعفراني، *التربية اليهودية في دار الإسلام*، 1969، ص. 108.

كلود سلطان

إمْحَـزَانْ، عائلة شهيرة من فخذة أيت حركات في زايان في بلدة خنيفرة مركز قبائل زايان، كانت فيهم الرآسة تارة لحسابهم الخاص وتارة لحساب المخزن أو لمقاومة التدخل الاستعماري. لقب الواحد منهم : أمحْزون أو أحيزون، ولعل معناه الأعرج. وتذكر الرواية الشفوية أن أوَل تعاملهم المعروف مع المخزن كان في عهد السلطان مولاي إسماعيل (1672 ـ 1727) وكان رئيسهم إذ ذاك موسى بن لحسن بن سعيد بن يعقوب، وحفيده الملقب بأمحزون لأول مرة كان معاصراً لمولاي سليمان (1794 ـ 1822). وكان من أنصار المرابط الثائر بوبكر أمهاوش في قتال 1818. وبعد تعامل ولده عقًا مع السلطان عبد الرحمان بن هشام، ثم بعد ذلك تعامل ابنه حمو أعقًا مع السلطان محمد بن عبد الرحمان وهو الذي تغلب على أصحاب خنيفرة فأقام فيها وأخضعها للغرامات.

كان لحمُّو أمحزون أولاد برز منهم سعيد الذي أخضع خلال خمس عشرة سنة جميع الزيانيين الذين يوجدون بين بني مگيلد وإشقيرن وزمور وزعير، ثم خلفه موحى أحمو أمحزون المعروف بالزياني، وقد ولد في منتصف القرن التاسع عشر. وكان وسيما للغاية، كسائر أهله، فارسا عارفا بأساليب القيادة، له من الأولاد خمسة عشر منهم أمهروق، نشؤوا على الفروسية والدهاء السياسي. وقد استعمل السلطان مولاي الحسن عائلة إمحزان لضمان الطاعة والسكينة في كتلة قبيلة شديدة المراس، فأعطى لموحى أحمو ظهيرا سلطانيا بالقيادة على زايان عام 1883 ودعمه بثلاثمائة من العساكر وبالسلاح خاصة، فاستطاع توسيع نفوذه على نطاق واسع، وكان ممن غزاهم وأثرى في نهبهم أيت زگوگو، وإن ظل بعض الزيانيين يناصبونه العداء وعلى رأسهم إشقيرن يعقوب أعيسى الذين هزمهم في ألمسيد، وبالرغم من كون الزايانيين أكثر من ثمانية عشر ألف فارس فإن موحى أحمو توصل حوالي 1885 إلى إخضاع غالبيتهم العظمى. وقد حظي بحفاوة استقبال السلطان له في فاس عام 1886، وأهدى ابنته فطومة للأمير مولاي عبد العزيز وكانت ما تزال طفلة. وقد تدخلت العساكر المخزنية عام 1889 لتطويع أيت سخمان المشاغبين من أطراف منطقة نفوذ الزياني، واقتصت منهم بعمليات في أغباله والقباب وتينتغالين، وترتب عن هذا التدخل نزاع دام عشرين سنة بين موحى أحمو وبين المرابط علي أمهاوش، وكان أسلاف هذا المرابط يباركون رآسة بيت آل أمحزون قبل انحياش أبنائه رسميا لفائدة السلطة المخزنية. وكان أمهاوش في الحقيقة يتقمص إرادة أيت سُخمان وغيرهم من أيت أمالو في معارضة توسيع نفوذ إمحزان.

وبعد موت السلطان مولاي الحسن ظهر من موحى أحمو سلوك استبدادي تجاه المخزن، ولم يعد عساكر السلطان المعينون عنده سوى حراس شخصيين له. وفي سنة 1908 ناصر موحى أحمو السلطان مولاي عبد الحفيظ، وقد تزوج هذا السلطان ابنة الزياني التي كانت قد أهديت لأخيه من قبل. وفي هذه الظروف تكون تحالف جمع قبائل بني مگيلد وأيت سخمان وأيت يوسي وگروان، واستطاعوا كسر حملة مخزنية في الحاجب، واصطدموا بجيوش موحى أحمو في قتال وحشي رهيب بين الإخوة الأشداء، وفي 1909 هزم علي أمهاوش في معركة أزرونايت لحسن فتخلى عن قيادة إمزيناتن من إشقيرن لمصلحة موحى أحمو. و لما تقدم الجيش الفرنسي لغزو الأطلس المتوسط عام 1909 عادت للمتنارعين وحدة الصف، وأعلن موحى أحمو الجهاد ضد التدخل الاستعماري في الشاوية، وتأسس حلف لمنعهم من الدخول إلى الأطلس ضم زايان بقيادة أمحزون، وأيت أمالو بقيادة أمهاوش. وأيت زگوگو بقيادة القائد أگبلي، وكان نفوذ هذا الأخير يشمل مريرت وألماس وأزرو، وقد استطاع إمحزان تحقيق نصر عسكري على الغزاة في معركة لَهْري يوم 13 نوفمبر 1914. ولهري قرية صغيرة قرب خنيفرة قتل من الغزاة فيها أكثر من ثلاثين ضابطا، وبذلك بدأت ملحمة مقاومة الأطلس المتوسط.

إن التحول الاجتماعي الذي ترتب عن استتباب السلطة لموحى أحمو على قبائل زايان كقائد مخزني منذ 1877، لا يختلف عن التحول في القبائل الأخرى التي خضعت في ظروف مماثلة لسلطة القواد المخزنيين الكبار، ومن أبرز مظاهره صعود هؤلاء القواد فوق الأعراف الجاري بها العمل في تلك القبائل ولا سيما القضاء على نظام الحماية والإيواء للأفراد بحسب طقوس خاصة منها تقديم الذبائح، إذ لم يعد هذا النمط يؤدي إلى إقحام الحماة في نزاعات المحميين إلا في حالات نادرة، وحتى في هذه الحالات كان المستفيد حمو القائد الجديد. وقد كان في بيت إمحزان أشخاص حمدت سيرتهم في النظر في المشاكل الداخلية للزايانيين، ومن أشهر هؤلاء أولعايدي الذي كانوا يرشحونه لخلافة عمه موحى أحمو.

وفي خضم الصراع ضد الفرنسيين سقط أبناء إمحزان في فخ التفرقة ،النزاع بين موحى أحمّو وأبنائه من جهة وبين ابن أخيه أولعايدي وأبنائه من جهة أخرى، دام هذا النزاع الدموي طيلة عام 1918 واستمر بعد ذلك، وترتب عنه إضعاف المقاومة في الأطلس بقيادة إمحزان، فقد صار موحى أحمّو شيخا يكتفي بمراقبة أبنائه في المعركة وما لبث النزاع أن قام بينه وبين أبنائه أنفسهم، وذات يوم من عام 1921 أصيب برصاصة في رأسه وهو يراقبهم في القتال من مكان مشرف، فمات وكان بعضهم قد جنح إلى الاستسلام حتى استمروا في التولية على زايان بعد غزوهم، وتركوا أيت سخمان وحدهم في المعركة لبضع سنين أخرى.

وثائق شرقاوة ؛ أ. الناصري، *الاستقصا*، 8، 9 ؛ *مجلة تاريخ المغرب*، العدد 4، السنة 4، 1404 / غشت 1984، الرباط 63 ـ 82 ؛ *رواية شفوية، ورقات حول إمحزان في ملكية المالكي الملكي*.

Bulletin de la société de géographie du Maroc ; R. Peyronnet, *Tadla*... 1920, Casablanca ; F. Berger, *Moha ou Hammou le Zaïani : Un royaume berbère contemporain au Maroc (1877-1921)*, Ed. de l'Atlas, Marrakech 1929 ; J. Drouin, *Un cycle oral hagiographique dans le Moyen Atlas marocain*, Imp. nationale Paris 1975.

الملكي المالكي

أمحْلي، أسرة تطوانية أصلها من فاس، وكان منها الولي الصالح سيدي أبو جيدة. ثم بعده بنحو قرن استوطن تطوان التاجر عبد الملك أمحلي الذي عاش إلى حدود سنة 1229 / 1814، وهو الذي بنى الحمام والفرن اللذين يحملان حاليا اسم هذه الأسرة بحي الساقية الفوقية والحصارين، وإلى عبد الملك المذكور تنسب زنقة أمْحْلي بتطوان.

وكان لعبد الملك أخ اسمه عبد القادر توفي سنة 1342 / 1923 وبه انقرضت هذه الأسرة بتطوان.

ع. سكيرج، *نزهة الإخوان*، مخطوط ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 4، 4 : 107 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2:329 ؛ *تاريخ تطوان*، 1 : 94 ؛ م. ابن عزوز حكيم، *عائلات تطوان*.

Delegacion de Asuntos Indigenas, *Familias ilustres de Tetuan* ; M. Isidro de las Cagigas, *Familias tetuanies de abolengo*, 1929 (A), *Vademecum de Intervenciones* (año 1931) (A) ; M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

أمَحْلي، أبو جيدة، مجذوب شهير الولاية في عدة مدن مغربية مثل فاس ومكناس وتازا وتطوان، وذلك لأنه كان مقيما بفاس وعندما يرى قافلة تستعد للخروج منها يعتريه باعث السفر وينادي في الناس من يعطي له ثمن كراء الدابة التي يسافر عليها، وفي إحدى زياراته لتطوان توفي بها سنة 1138 / 1726 وبني على قبره ضريح بزنقة الخرازين يعرف بسيدي بوجيدة، تقام فيه الصلوات الخمس ويتبرك الناس بالدفن في جواره.

م. القادري، *التقاط الدرر*، 2 : 129 ؛ ابن الحاج، *الدر المنتخب*، مخطوط، 8 : 52 ؛ ع. سكيرج، *نزهة الإخوان* ؛ أ. الرهوني، *عمدة الراوين*، 2 : 10، 4 : 106 ؛ م. داود، *مختصر تاريخ تطوان*، 2 : 329 ؛ *تاريخ تطوان*، 9 : 330، 3 :

M. Ibn Azzuz Hakim, *Apellidos tetuanies de origen español*, 1949 (A).

محمد ابن عزوز حكيم

أمْحَوْلُو، محمد بن عبد الرحمان، فقيه أديب شاعر من أهل قرية إسي، تولى منصب الكتابة الأعلى في إليغ على عهد بودميعة، وهو شاعره الخاص، نافح عنه ضد يحيى الحاحي بقصائد طنانة إثر بيعة بودميعة، له ولد يسمى أحمد، وهو شاعر أيضا، وقد خلف والده في ديوان الأمير المذكور. معدود بين المؤلفين السوسيين بمجموعة تضم ما تجاذبه مع يحيى من نثر وشعر.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 9 : 157، 18 : 308 ؛ *سوس العالمة*، 61 ـ 187 ؛ *إليغ قديما وحديثا*، 53 ؛ *رجالات العلم العربي*.

عبد الله درقاوي

إمدلاون ← كنفيسته

إمرابْضَنْ، من الأصل العربي لكلمة : مرابط، فمنها يصاغ بالأمازيغية أمرابْضْ أو أمْربيضْ إفرادا، وإمرابْضَن جمعاً. ويستعمل اللفظ في معنى الرجل الصالح أو المنتسب إلى الشرف. ولذلك عرفت بهذا الاسم عدد من الأسر في منطقة الريف، وبه نعتت مجموعة من المداشر.

ويطلق اسم إمرابضن حاليا على فرقة معروفة بقبيلة بني ورياغل تتألف من خمسة عشر مدشرا، موزعة على المنحدرات الممتدة على طول الضفة اليمنى لواد غيس، ما بين واد "الحد"، رافد غيس، وخندق "أكزاَنْ"، عند حدود فرقتي أيت يوسف وبني بوعياش.

ويعود وجود اسم إمرابضن إلى الأسر المنحدرة من سلالة الشيخ إسحاق بن مطهر الورياغلي، المعروف بالأعرج، والمتوفى عام 683 / 1284. وكان قد انتقل من سبتة وقصد بني ورياغل ونزل بجبل حمام على وادي غيس عند مدشر بني ملوك، ومن هناك تكاثر أفراد أسرته، منهم الشيخ عبد العزيز بن موسى الورياغلي الذي استقر "بأغيل أيرور"، ومن هناك انتشر المرابطون الغلبزوريون. ومن أبناء هذه الأسرة السيد عيسى بن عبد الكريم، صاحب الزاوية المعروفة باسمه، وأبو بكر بن عمر المتوفى عام 1080 / 1669.

ع. البادسي، *المقصد الشريف*، 110 ؛ م. بن جعفر الكتاني، *سلوة الأنفاس*، 2 : 80 ـ 81 ك *ضابط القبائل لنيابة الأمور الوطنية*، 86.

حسن الفكيكي

أمراس ← المرس

الأمراني، بيت كبير من الشرفاء العلويين الحسنيين انتقل جدهم الحسن الداخل إلى المغرب قادماً من ينبع بالحجاز في القرن السابع الهجري، واستقر بسجلماسة من بلاد تافيلالت. يتصل الأمرانيون بأبناء عمهم العلويين ملوك المغرب في جدهم علي بن يوسف بن مولاي علي الشريف. فجد العلويين الملوك محمد بن علي بن يوسف بينما جد الأمرانيين محرز بن علي بن يوسف. ونسبة الأمرانيين إلى زاوية الأمراني الشهيرة بسجلماسة التي قال عنها صاحب *الأنوار السنية* : "إن أهلها من الأشراف الأخيار الطيبين النجار، لا تلقى أحداً منهم إلا توسمت فيه

الصلاح، والخير والنجاح". ولهم غير هذه الزاوية مواطن عديدة في تافيلالت مثل دار مولاي الطالب بواد افلي، وقصبتي أولاد عميرة وأولاد رحُ بواد الرتب، وتاحسنونت وتوجدْت وترِست وأُخَنُّوس الصغير. وقد بدأ الأمرانيون يطلعَون من تَافيلالت منذ أواسط القرن الحادي عشر / 17، واستوطنوا الأطلس المتوسط وما بعده من الهضاب والسهول. وربما كان محمد بن عبد الواحد بن العربي بن محرز أول من قدم منهم إلى الأطلس، في صحبة المولى الرشيد بن الشريف حين هرب من أخيه المولى مَحمد ونزلا بالزاوية الدلآئية فأقطعه محمد الحاج الدلائي (1046 . 1079 / 1636 . 1668) إفران. ثم أقره المولى الرشيد على هذا الإقطاع. وظل مستوطنا بإفران إلى ان مات حوالي 1085 / 1674 وبقي أبناؤه مقيمين هناك وانتقل بعضهم إلى المناطق المجاورة، واستقروا في الحاجب وأيت أمَالو وزمور الشلح ومكناس وزرهون وفاس وتازا.

ومن أضرحة الأمرانيين الشهيرة بالأطلس المتوسط والبسائط المتصلة به :

ـ ضريح الطاهر بن محمد الأمراني في أگوراي.

ـ ضريح أبي سالم عبد الله بن الطاهر الأمراني بالحاجب في تسگدلت.

ـ ضريح المدني بن عبد الله بن الطاهر الأمراني بالحاجب وكان بطلا مغواراً تأخرت وفاته إلى العشرة الأولى من القرن الرابع عشر/ أواخر القرن 18 م.

ـ ضريح محمد بن الطاهر الأمراني بافران.

أحاط الملوك العلويون أبناء عمهم الأمرانيين بكثير من الرعاية والإعزاز، وأصهروا إليهم ببناتهم، وولوهم خططاً سامية مدنية وعسكرية، كما برز من الأمرانيين عدد من العلماء والصلحاء شغلوا حيزاً كبيراً في كتب التراجم المؤلفة في القرون الأربعة الأخيرة.

م. الزكي العلوي، *الشجرة الشماء*، مخطوط ؛ م. العلوي، *الأنوار السنية في نسب من بسجلماسة من الأشراف المحمدية* ؛ أ. الفضيلي، *الدرر البهية*، ج.1.ع.ابن زيدان، *إتحاف*، 2 ؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*،1.

الأمـرانـي، جامع ودرب بفاس، في حومة الأقواس من عدوة الأندلس، ينسبان إلى عمر بن حفيد بن عمر بن عبد الرحمان الأمراني، من أهل الخير والدّين والثروة والجاه كان حياً أواخر القرن الثاني عشر / 18. (*الدرر البهية*، 1. 132 . 133).

الأمـرانـي، العباس بن بناصر بن عبد السلام الحسني. ولد بمكناس عام 1320 / 2 . 1903 وبها نشأ ودرس، ثم انتقل إلى فارس فأخذ عن أعلام القرويين أمثال عبد الله الفضيلي، وعبد الرحمان بن القروشي، والطايع بن الحاج وأحمد بن الجيلالي الأمغاري، ومحمد بن العربي العلوي وأضرابهم، فتخرج منها عالما مشاركا عام 1350 / 1932 وعين مدرساً بالقرويين حيث بقي يعمل نحو خمس عشرة سنة، سمي بعدها قاضياً بوجدة فصفرو، تم عاد إلى

التدريس بالقرويين بفاس وبدار الحديث الحسنية بالرباط إلى أن أدركته الوفاة بفاس بعد مرض عضال يوم السبت 27 رمضان عام 1403 / 9 يوليوز 1983.

الأمراني، عبد الرحمان بن محمد الملقب بالامام، كان فقيها أصوليا مفتيا زاهدا في الدنيا راغبا فيما يقربه إلى مولاه، عاش في مسقط رأسه بسجلماسة منقطعا لإفادة الطلبة وإرشاد العامة في أمور دينهم ودنياهم. وقد عرض عليه المولى إسماعيل الزواج بابنته فأبىقائلا :"خفت أن تفتنني عن ديني". وكانت وفاته بسجلماسة في تاريخ غير محدد أوائل القرن الثاني عشر / 17، ودفن بأرض له هناك حبسها على المساكين قرب ضريح سيدي بوزكري.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 132.

محمد حجي

الأمراني، عبد السلام. ينتمي هذا الشريف إلى بيت مخزني عريق، كان أحد قواد الجيش المغربي في العهد العزيزي. ترأس منذ منتصف عام 1902 حملة للقضاء على حركة الروگي الجيلالي الزرهوني المعروف بأبي حمارة، وأعطيت له الأوامر للعمل على استتباب الأمن في المغرب الشرقي، إلا أنه عجز عن إخماد هذه الفتنة. وتذكر المصادر المغربية أن أبا حمارة أحرز انتصارات هامة على قواته، واستولى على جميع ما لديها من الأسلحة والذخيرة وحتى "الجوارى السوداوات اللاتي اصطحبهن القائد العام مولاي عبد السلام الأمراني إلى ساحة القتال، وفر الناجون من القتل إلى فاس، وبدأوا يدخلونها عراة حفاة (*أعلام المغرب*، ج 1 : 313). ويتعين القول أن المخزن العزيزي كان أرسل حملات صغيرة أخرى لمحاربة الروگي بقيادة أخيه محمد الأمراني والأمير عبد الرحمان الملقب بمولاي الكبير.

وحول قيادة القوات العسكرية الموجهة لسحق المتمردين، ذكر المختار السوسي (*المعسول*؛ 20 : 40) أنها لم تكن موحدة، وأضاف على لسان القائد الناجم الخصاصي، وهو من الضباط الذين شاركوا في قمع فتنة أبي حمارة، أن كل واحد من القواد الثلاثة كان يطلق على انفراد في شهر رمضان مدفع الإمساك والإفطار في المحال المجتمعة في مكان واحد إشعاراً بأنه صاحب الأمر والنهي دون صاحبيه.

وتعوزنا المادة التاريخية لرصد تحركات المحلة التي تراسها القائد عبد السلام الأمراني خلال العهد العزيزي. مع ذلك فإن الوثائق المخزنية تشير إلى أنه تولى قيادة محلة مخزنية أخرى في ربيع 1907 للقبض على أحمد الريسوني الذي رفع راية العصيان بعد عزله عن قيادة قبيلة الفحص في 28 دجنبر 1906. لقد تمكن هذا الثائر من الفرار والتجأ إلى قبيلة بني مصور لدى العياشي الزلال، ثم تابع طريقه إلى بني عروس ليقيم بتازروت، بعد أن تمكن من تأليب بعض القبائل الجبلية على السلطة المركزية، وأخيراً غادر جبل العلم وحل بقبيلة الأخماس.

وفي هذه الأثناء زحفت حملة مولاي عبد السلام الأمراني إلى الأخماس انطلاقاً من قبيلة بني يسف بالقصر الكبير بعد أن استقر الريسوني بزاوية سيدي يوسف التليدي بالأخماس ومعه الضابط الإنجليزي هارى ماكلين أسيرا. لقد تم اعتقاله يوم فاتح يوليوز 1907 بمدشر الغراف بقبيلة أهل سريف ثم اقتيد أسيرا إلى زاوية سيدي يوسف التليدي بالأخماس.

م. المختار السوسي، *المعسول*، 20 ؛ ع. ابن منصور، *أعلام المغرب*، 11.

Bulletin du comité de l'Afrique Française, avec un supplément : Renseignements coloniaux, Paris à partir de 1902 ; W. Harris, *Le Maroc disparu*, Quai d'Orsay, *Documents diplomatiques, Affaires du Maroc* (1901 - 1905).

محمد الأمين البزاز

الأمراني، عبد الله بن الطاهر المكني أبا سالم. ولد بيفران وبها نشأ ثم انتقل إلى الحاجب حين أقطعه إياه السلطان المولى سليمان مع أرض أزرو.وكان شيخا صالحاً عابداً. ناصري الطريقة أخذها عن الشيخ علي بن يوسف الناصري، وأخذها عن الأمراني عدد من كبار صوفية العصر أمثال العربي بن السائح الشرقاوي الرباطي ومحمد الدباغ بوطربوش وعبد الكبير الفاسي.

وكانت وفاته بالحاجب في منتصف القرن الثالث عشر / 18، وضريحه مشهور بتسگدالت.

أ. الفضيلي،*الدرر البهية*، 129:1 ؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*، 1 : 64 ـ 65.

الأمراني، عبد الله الكامل بن محمد بن عبد الله بن الطاهر العلوي الحسني، علامة دراكة فهامة حافظ نحرير، ولد بفاس عام 1260 / 44 ـ 1845 ودرس بها على كبار الشيوخ : عبد الكبير بن الطاهر الفاسي، وأحمد بناني كلا، ومحمد گنون، وأحمد السلوي، ومحمد بن عبد الرحمان العلوي، ومحمد بن عبد الواحد ابن سودة، كما أخذ عن العربي ابن السايح الشرقاوي. وأجازه كما أجازه غيره. *وكان ـ كأسلافه ـ ناصري الطريقة، أخذها عن محمد بن أبي* بكر الناصري (لا عن أحمد الناصري كما في *الدرر البهية* لأن التاريخ لا يقبله). وقد اصهر إليه السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بابنته، ونال لديه حظوة لم ينلها غيره من قرابته.

انقطع عبد الله الكامل للعلم والتعليم، فكان كثير القراءة في أوقات معينة لا يتأخر عنها، دؤوبا على التدريس متفرغا له في فصوله المعهودة بحيث ينقطع أثناءها عن المكلفين بأشغاله، مع حسن السمت والوقار، والتأنق في اللباس، وملازمة أفعال البر. فصل تلميذه عبد الحفيظ الفاسي القول في المواد التي كان يلقنها بالقرويين المشتملة على التفسير والحديث والفقه والسير والعربية، وقال عن طريقته الشيقة في التعليم : "له حفظ عجيب وعارضة قوية في التدريس، ومعرفة بتنظيمه وترتيبه، وتلخيص المسائل وسبكها وتصويرها بأبسط عبارة، مع الإعراب والفصاحة والبلاغة، وذلك مما يزيد تدريسه طلاوة ورونقا. "(*رياض الجنة*، 1 : 77).

له فهرس جامع لمقروءات وإجازات شيوخه، جمعه له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي. وكانت وفاته بفاس يوم السبت 20 جمادى الثانية (في *إتحاف المطالع* جمادى الأولى) عام 1321 / 12 شتنبر 1903، ودفن بعرصتهم المجاورة للزاوية الناصرية التي أصبحت بعد ذلك روضة.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 130 ؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*، 2:77 ـ 80 ؛ ع. ابن سودة، *إتحاف المطالع* ؛ مخطوط، *دليل*، 2 : 326 ؛ إ. بن الماحي الإدريسي، *وفيات*، مخطوط.

الأمراني، مبارك بن محمد العلوي الحسني فقيه وجيه، عالم مشارك، اشتغل مدة بالتدريس، ثم أصبح رئيس المجلس العلمي بالقرويين، وبعد ذلك عين وزيراً للخليفة السلطاني بمراكش، ومات في حادثة سير بين مراكش والدار البيضاء يوم السبت 25 رمضان 1381 / 3 مارس 1962، ودفن بروضة الأشراف بمراكش.

ع.ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط.

الأمراني، محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن الطالب الحسني. عالم فلكي مؤلف كتاب *الياقوتة العصماء في معرفة أوقات الصلوات بمنجاة إله الأرض والسموات*. ولعله ابن الشيخ عبد الرحمان بن محمد الملقب بالإمام سابق الترجمة، فتكون وفاته في أواسط القرن الثاني عشر / 17. واظن ان اسم الطالب الجد الثاني للمترجم مصحف عن الطاهر.

م. العلمي؛ *إنهاض الهمم العالية*، مخطوط.

الأمراني، محمد بن عبد الله بن الطاهر العلوي الحسني. ولد بيفران أوائل القرن الثالث عشر/ 18، ونشأ بزرهون، ودرس بفاس على كبار شيوخ القرويين، ثم استوطن مدينة مكناس حيث أصهر إليه السلطان المولى سليمان بابنته السيدة أم هاني، فبنى بها بعد أن ولي الملك المولى عبد الرحمان بن هشام، وأنجب منها ثلاثة أبناء عبد السلام، ومحمد، وعبد الله الكامل.

كان المترجم ـ كأبيه ـ ناصري الطريقة، أخذها عن الشيخ أبي بكر بن على بن يوسف الناصري وغيره، وانتقل إلى فاس عام 1268. وسكن بحومة الطالعة، وأدركته الوفاة

بفاس عام 1275 / 58 ـ 1859. ودفن بالزاوية الناصرية في سويقة ابن صافي.

إ. الفضيلي، *الدرر البهية*، 1 : 129 ـ 130 ؛ ع.ابن سودة، *إتحاف المطالع*، مخطوط؛ ع.الفاسي، *رياض الجنة*،1 : 65.

محمد حجي

الأمراني، محمد بن محمد بن عبد الله بن الطاهر. ولد عام 1249 / 1833، وأمه أم هانيء بنت السلطان المولى سليمان. وقد سماه السلطان مولاي عبد الرحمان محمدا، حسبما جاء في رسالة منه لأمه، مؤرخة ب 23 ربيع الثاني1249 / 17 غشت 1833.

خرج جد الأمرانيين، محمد بن عبد الواحد من تافيلالت مع المولى الرشيد في القرن السابع عشر، واستقر بالزاوية الدلائية بالأطلس المتوسط، وفيها درس وتزوج، وظل مستقرا ببلاد زايان إلى وفاته.

ولقد حاز أفراد الأسرة الأمرانية، الذين لعبوا دورا كبيرا داخل المخزن، كمستشارين وكقواد عسكريين بصفة خاصة، احترام ملوك الدولة العلوية وتوقيرهم. وكسبوا ذلك الاحترام نتيجة لمكانتهم أولا، ثم نتيجة لما اتصف به محمد الأمراني وإخوته من استقامة ونزاهة.

ففي عام1309 / 1891 ـ 1892، أصدر السلطان مولاي الحسن ظهيرا يوصي فيه باحترام وتوقير محمد الأمراني وأخويه، جاء فيه : "أقررنا حملته أبناء عمنا سيدي محمد [....] مولاي محمد الأمراني وشقيقيه مولاي عبد السلام ومولاي الكامل على ما ألفوه من جانبنا العالي بالله وجانب أسلافنا قدسهم الله، من التوقير والتعظيم والاحترام. ومزيد القرب والاحتباء والإكرام، وزدناهم على ذلك توقيرا واحتراما وعناية وتعظيما" (*إتحاف*، 4 : 287).

أعمال محمد الأمراني داخل المخزن : يعتبر محمد الأمراني من شخصيات المخزن التي اتصفت بالحزم والسياسة. وقادت نجدات عديدة، بينت أن الرجل كان يجمع في شخصه بين شجاعة القائد العسكري، ودهاء الحاكم السياسي. وقد كسب هذا التكوين، نتيجة للتجارب والتقلبات التي مر بها داخل المخزن في ظل أربعة سلاطين.

ففي صيف 1311 / 1894، كان محمد الأمراني بصحبة السلطان مولاي الحسن الذي توفي فجأة ببلاد تادلا، ولما رأى محمد الأمراني رجحان كفة الحاجب أحمد بن موسى الذي بايع الابن الأصغر للسلطان مولاي عبد العزيز، انخرط محمد الأمراني في سلك المبايعين ونصح إخوته بالسكوت ومبايعة السلطان الجديد.

كان محمد الأمراني، مقربا من السلطان مولاي الحسن، وحظى لديه بمنزلة رفيعة وعناية خاصة لما زوجه السلطان بأخته، (السيدة أم كلثوم بنت السلطان محمد بن عبد الرحمان). وكان بمثابة المستشار يرافق السلطان خلال حركاته، ويعتمد عليه في الأمور المهمة. فقد كلفه بمهام عديدة لدى القبائل المغربية. كجمع الواجبات المخزنية ومواجهة بعض الانتفاضات، والإصلاح بين القبائل، وتولية القواد. وكان النجاح حليف الرجل، لما تميز به "من حسن السياسة ولطف التدبير".

وفي عهد مولاي عبد العزيز (1896 ـ 1908)، ظلت مكانة الرجل على ما هي عليه. فقد أسندت إليه قيادة الجيوش السلطانية خلال حركة الأخماس بالشمال، وخلال حركة الرحامنة بالجنوب (1313 / 1895 ـ 1896). وخاصة حركة أحمد بن موسى لقبائل الأعشاش بالشاوية سنة 1315 / 1897 ـ 1898. فخلال انتفاضة الرحامنة، نظم الصدر الأعظم أحمد بن موسى حركة عظيمة أسند خلالها قياة قبائل الحوز ودكالة وعبدة لمحمد الأمراني.

أما خلال حركة الشاوية، فقد كان محمد الأمراني من كبار القواد، إذ تولى قيادة قبائل الغرب. وكان من أكبر مستشاري الوزير الأكبر الذين اشرفوا على حل قضية الأعشاش حلا مرضيا للمخزن. تشهد على ذلك المراسلات العديدة بينه وبين الوزير الصدر. كما تولى حل مسألة هجوم القبائل على مكناس سنة 1902، وأصلح بين گروان وبني مطير ومجاط. (ابن زيدان، *إتحاف*، 6 مخطوط، 278).

أما في عهد مولاي عبد الحفيظ، فقد أدرك محمد الأمراني مكانة مرموقة، وترقى في الوظيف عندما عينه السلطان الجديد خليفة عنه بالدار البيضاء والشاوية وفي الوقت نفسه عينه رئيسا للجنة الدولية لتفويضات الدار البيضاء بعد أن عزل مولاي الأمين بن عبد الرحمان من الوظيفتين المذكورتين.

وقد أبدى محمد الأمراني، خلال مداولات لجنة التفويضات، غيرة وطنية واضحة، في محاولة للدفاع عن المصالح الوطنية أمام تواطؤ ممثلي الدول الاستعمارية الذين كانت لهم الأغلبية في اللجنة المذكورة.

وفي سنة 1911، تولى محمد الأمراني قيادة طرف من جيوش الحماية، خلال الحملة الفرنسية الشهيرة على فاس، وهو الذي تولى مهمة إعادة الهدوء إلى مكناس، التي كان قد بويع فيها مولاي الزين. وبعد تنازل مولاي عبد الحفيظ أقره السلطان مولي يوسف في وظيفه وأضاف إليه عمالة المدينة إلى أن توفي بالدار البيضاء، يوم 14 رمضان 1331 الموافق 17 غشت 1913.

ع. ابن زيدان، *إتحاف*، 1 و4 ؛ *وثائق خ. ح*. بالرباط ؛ *كناش مخطوط خ. ح* رقم 234.

علال الخديمي

أمرزگان ← **ورزازات** (إقليم ـ)

أمرصيد ← **خنيفرة** (اقليم ـ)

أمْرگُو، حصن مرابطي يرتبط اسمه بالجبل الذي بني فوقه، ويقع بضواحي قرية فاس البالي، وبالقرب من ضريح الولي الصالح مولاي بوشتا الخمار، على بعد حوالي خمسين كيلومتراً إلى الشمال الغربي من مدينة فاس.

يعد هذا الحصن من أهم وأشهر البقايا التحصينية

المرابطية، وقد اختيرت لتشييده أعلى نقطة متقدمة من الجبل الكلسي الذي يحمله، وهي بقعة يناهز طولها أربعمائة متر وعرضها مائة متر، بينما يصل علوها إلى خمسمائة متر فوق سطح البحر، وبذلك تتحكم في مراقبة سهل "ورغة" وجميع المنطقة المحاذية مراقبة تامة وشاملة.

يتبين من الدراسات القليلة التي أقيمت في موضوع هذه القلعة أن تاريخ وظيفتها العسكرية لم يعمر طويلا. فإلى جانب كونها لم تظهر في النصوص التي تحكي تاريخ الدولة المرابطية، فإن دورها في الصراعات المرابطية ـ الموحدية لم يبرز سوى مرتين، كانت أولاها سنة 536 / 1141 ـ 1142، حيث كانت هي رأس الحربة في استراتيجية محاصرة الجيوش المرابطية المعتصمة بالجبال، وكانت الثانية سنة 540 / 1145 ـ 1146 عندما لجأ إليها الفارون من دخول عبد المومن بن علي إلى فاس. على أن هذا الاعتصام لم يكن ليدوم طويلا إذ سرعان ما اقتحم فيلق موحدي القلعة ليخرج منها المعتصمين ويقتلهم عن آخرهم عدى عمر بن يينتان الذي نجا من الهلاك اعترافا من الموحدين بإشارة أبيه على الأمير علي بن يوسف بالعفو عن المهدي بن تومرت في بداية أمره بمراكش.

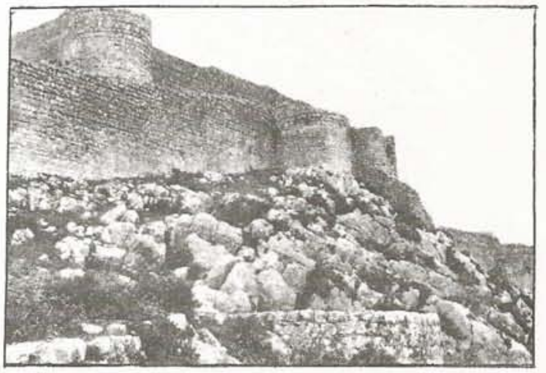

بقايا حصن أمرگو

ومنذ ذلك التاريخ لم يعد لأمرگو ذكر في المصادر اللهم إلاّ ما جاء في *وصف إفريقيا*، وهو كلام يخص القرية التي ظهرت أسفل الجبل دون أي إشارة إلى القلعة. علي أن حرب الريف فى بداية السنوات العشرين من هذا القرن، أعادت لهذه الأخيرة قليلا من نشاطها الماضي إذ اتخذتها لمدة فرقة من الجيش الفرنسي مركزا لمراقبة ما يحيط بها من الأراضي.

يحتل أمرگو من الناحية المعمارية مساحة طولها 225 مترا وعرضها 62 مترا في أوسع نقطة منه. وقد جاءت جدرانه ملتصقة بجوانب الجبل لكي تستفيد من الانحدارات التي تحيط بالمنبسط الأعلى. وبذلك نجد شكل البناء العام متعدد الزوايا، وقطر الأبراج مختلفا باختلاف اتساع النقط التي بنيت فوقها. عدد هذه الأبراج اثنا عشر برجا احتلت أغلبها نقط تغيير اتجاه الجدران وذلك للتحكم في الدفاع عن أطراف هذه الجدران بكيفية فعالة.

مجموع البناية مشيد بالحجارة المتوسطة الحجم المنتظمة في طبقات محكمة، يجمع بينها لياط من جير ورمل جيد "وليس في أي جهة من البناية وجود للطابية كما هو الحال بقلعة تاسغيموت أو غيرها من قلاع القرن الثاني عشر" (H.Terrasse, *La forteresse almoravide d'Amergo*, p. 395). أما سمك السور الخارجي فيختلف حسب الأماكن ليتراوح ما بين 1,35 متر و1,45 متر، بينما نجده يتراوح ما بين متر و1,40 متر في جدران الأبراج. وهذا الاختلاف في السمك مرتبط بطوبوغرافية المكان أي بقوة أو ضعف انحدار جوانب الجبل ومناعتها الطبيعية.

ما تبقى من أبواب الحصن يوحي بأن مداخيله كانت أبوابا مستقيمة، وأن المدخل الرئيسي الواقع في الجدار الغربي والذي لا شيء يميزه أو يبرز وجوده فوق الجدار (مثلا البرجان العاديان الواقعان من كل جانب في أبواب القرن الثاني عشر) يفتح على قاعة مستطيلة من جهة الشمال الغربي وعلى أخرى مربعة من جهة الجنوب الشرقي. وقياسا بما هو معروف في التحصينات المرابطية، يرجح أن يكون موقع الدرج الذي يؤدي إلى أعلى السور بإحدى هاتين القاعتين.

في وسط القلعة نظم تحصين ثان مستطيل الشكل معزز ببرجين آخرين، ويحيط بساحة داخلية فسيحة أقيمت في زاويتها الشمالية بناية من المرجح أن تكون هي مسكن القائد ؛ وقد عثر في أرضية بعض حجراتها على فتحات توحي بوجود مخازن للمؤن. أما خزان الماء الذي كانت تجمع فيه مياه الأمطار فتم حفره في القسم الجنوبي ـ الشرقي من الساحة الكبرى.

وإذا كانت العناصر المعمارية لقلعة أمرگو مرابطية في صلبها فإن كثيرا من هذه العناصر يميزها عن غيرها من التحصينات الصنهاجية ومن التحصينات الأندلسية ـ المغربية كما هي معروفة إلى اليوم. من ذلك استعمالها للبرج الدائري وحده دون غيره، واحتواؤها لمحرز يتوسطها ويحيط به سور وقائي ثان، ثم وجود جدار وقائي متقدم معزز كذلك ببرجين من جهة المدخل الشرقي وهي أضعف نقطة في القلعة.

يرى هنري طيراس أن كل هذه العناصر فيها تأثيرات أوربية استقاها المرابطون من نماذج القلاع المسيحية، وربما كان بناؤو أمرگو مسيحيين فعلا، بحكم تسخير المرابطين لكثير من المرتزقة المسيحيين في أغراض مختلفة من أغراض دولتهم وفي الشؤون العسكرية على وجه الخصوص. وإذا كانت هذه الاستخلاصات مقبولة في تفسيراتها فإن القول بها يستدعي دراسة أدق وأوضح ليتبين مقدار الحقيقة فيها مما هو من قبيل الحكم المسبق.

أ. البيذق، *أخبار المهدي*، 53 ـ 62 ؛ ح. الوزان، *وصف إفريقيا*، 308.

Oudinot et Saladin, *Note sur Beni Tende, Mergo, Tansor et Angla*, Bulletin Archéologique, 1916, p. 118 s. ; E. Levi-Provençal, *Les ruines almoravides du pays de l'Ouergha*, Bulletin Archéologique, 1918, p. 194 s. ; H. Terrasse, *La forteresse almoravide d'Amergo*, Al-Andalus, XVIII, 1953, p. 389 s. ; G. Marçais, *L'architecture musulmane d'Occident*, Paris, 1954, p. 219 ; Encyclopédie Berbère, IV, Aix-en-Provence, 1987, p. 589.

عبد العزيز توري

أتاي : مغروس تحت البلوط الفليني بالعرائش

انظر صفحة 105

أتيل : (طاطا)

انظر صفحة 133

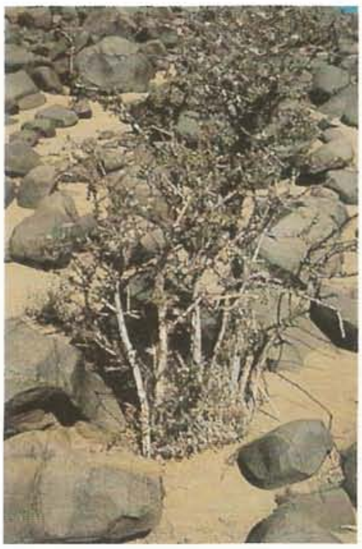

أتيل : في تيسينت

انظر صفحة 133

إجاص : المعمورة

انظر صفحة 138

أذمام

انظر صفحة 301

أذميم : غابة اركان

انظر صفحة 301

أرز : غابة تدغين بالريف انظر صفحة 308

أرز : غابة اجدير (خنيفرة) انظر صفحة 308

أرز أوراق انظر صفحة 308

أرز : خشب انظر صفحة 308

أركان : غابة قرب تمنار انظر صفحة 322

أركان : شجرة ضخمة انظر صفحة 322

أرگان أوراق و ثمار

انظر صفحة 322

أرگان : قشرة

انظر صفحة 322

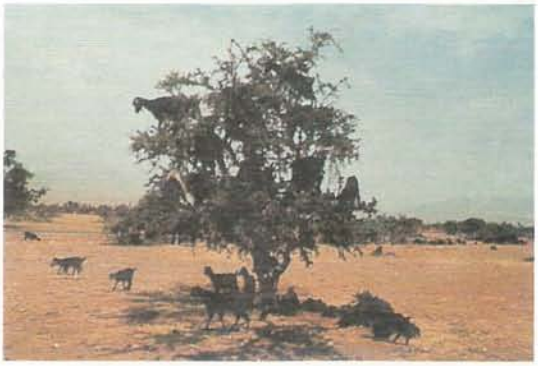

أرگان : ماعز فوق شجر الارگان

انظر صفحة 322

أرگان : تهيء زيت ارگان بسهل سوس

انظر صفحة 323

أرگان : تهيء زيت أرگان

انظر صفحة 323

أروكاريا : كشبان الجديدة

انظر صفحة 328

أزمور : غابة قرب ضريح صالح — انظر صفحة 347

أزگار : باقة من أزگار وسطها بطم — انظر صفحة 346

أزمور : بقايا من غابة أزمور بفضل وجود ضريح صالح
انظر صفحة 347

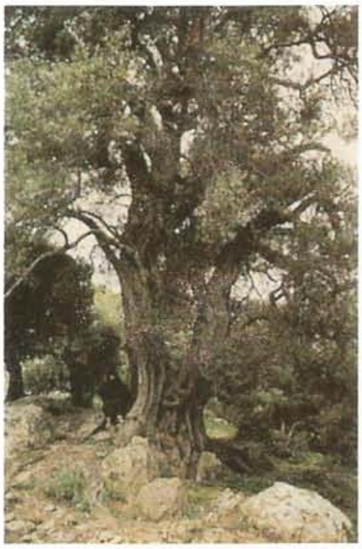

أزمور : شجرة صخمة — انظر صفحة 347

أزوكا : غابة تمنار — انظر صفحة 367

أزوكا : غابة اوريكا — انظر صفحة 367

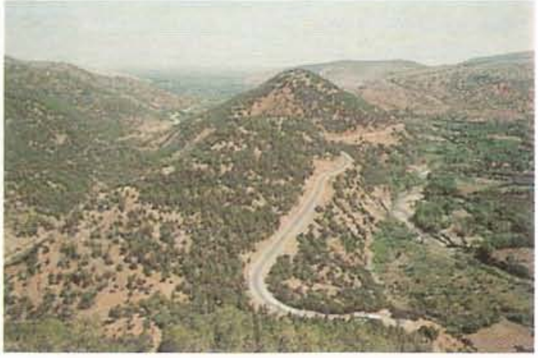

ازوكا :أوراق و ثمار

انظر صفحة 367

أزوكني : جنيبات

انظر صفحة 368

ازوكين : زعيترة (تارودانت)

انظر صفحة 368

أزير : أوراق و أزدهار

انظر صفحة 369

أزير : تقطير أزير

انظر صفحة 369

أشنة

انظر صفحة 471

ابن آروى انظر صفحة 73

أرنب انظر صفحة 326

أسد انظر صفحة 403

أسد انظر صفحة 403

إناء من فخار في موقع أشقار انظر صفحة 468

إناء خزفي آخر من موقع أشقار انظر صفحة 468

Directeur de publication : **Mohamed Hajji**

Comité de rédaction : **Ahmed Toufiq**
Mohamed Hajji

Comités scientifiques :

Pour les sciences humaines

Mohamed BENCHERIFA, Faculté des Lettres, Rabat.
Mohamed ZNIBER, Faculté des Lettres, Rabat.
Salem YAFOUT, Faculté des Lettres, Rabat.
Mustapha NAIMI, Institut Universitaire Pour La Recherche Scientifique, Rabat.

Pour la géographie et les sciences de la nature

Abdellah LAOUINA, Faculté des Lettres, Rabat.
Dris EL-FASSI, Institut agronomique et vétérinaire Hassan II, Rabat.
Mustapha AYAD, Faculté des Lettres, Rabat.
Abdelmalek BENABID, Ecole Nationale Fôrestière, Salé.
Mohamed RAMDANI, Institut Scientifique, Rabat.

Copyright © 1989

ISBN (Ensemble) 9981 - 03 - 000 - 7
ISBN (Tome II) 9981 - 03 - 002 - 3

Tous droits réservés, y compris le droit de traduction ou de reproduction
même partielles sous quelque forme que ce soit.

Imprimerie de Salé

«sala»

Lot 14, Zone Industrielle de Tabriquet
B.P. 596 - Salé
SALÉ - MAROC - Tél: (07) 85.06.92

Encyclopédie du Maroc

Dictionnaire alphabétique des connaissances sur le passé et le présent du Maroc.

2

Publiée par

L'Association des Auteurs Marocains pour la Publication

Editée par

L'Imprimerie de Salé

1989 / 1410

عصور التاريخ

العصور	التقسيم الزمني	وقائع
الفينيقي	من القرن الحادي عشر إلى القرن السادس قبل الميلاد	تجارة مع عالم البحر المتوسط : خزف فينيقي
فينيقي - بونيقي	من القرن السادس إلى القرن الثالث قبل الميلاد	رحلة حانون : إقامة مستعمرات قرطاجية
الموريطاني	من القرن الثالث قبل الميلاد إلى عام 40 بعد الميلاد	- قيام مراكز قرطاجية - تقدم حركة استقرار السكان. - ظهور المملكة الموريطانية خلال القرن - الاتصالات الأولى، بروما وبإيطاليا. - ابتداء من عام 25 ق.م. : - بداية الرومنة.
الروماني	من عام 40 بعد الميلاد إلى القرن الخامس للميلاد	- الاستعمار الروماني، علاقات تجا رومنة السكان. - في عام 285 : انسحاب الإدارة من جنوب المنطقة الطنجية نحو الشم
الوندالي والبيزنطي	من عام 429 بعد الميلاد إلى وصول الإسلام	- مرور الونداليين من مضيق جبل اتجاه قرطاجة سنة 429 م. - لم يعد تحت السلطة الرومانية سوى سبتة. يبدو أن الغزو البيزنط إلى المغرب.

يم في المغرب

... واقتصادية وثقافية	المواقع الرئيسية
يقي على شواطئ البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي	- ليكسوس، الصويرة ومنطقة طنجة
الشواطئ المغربية. بداية استقرار السكان.	- ليكسوس، طنجة ، القواس، الصويرة
قبل الميلاد . مستعمرات رومانية : زليل وباناساوبابًا.	- زليل ، باناسا ، بابًا ، طنجة، تامودا ، ليكسوس، سلا ، وليلي
يقة، انية	
في رب يتد	- سبتة، طنجة، وليلي

أنجز هذه اللوحة : عمر أكراز

Encyclopédie du Maroc

2